

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190908

UNIVERSAL
LIBRARY

فهرس المجلد الخامس

من المقتبس

صفحة

صفحة

٤٣١	الاطفال . حمايتهم	١	
٥٢٧	« عقولهم	٣٢٣	الابر
٥٤٤	اعلام برتقالية . تصحيحها	١٦٠	ابن رشد (كتاب)
٤١٩	اعمال الاعلام (كتاب)	١٦٠	« الطفيل (»)
٢٣٣	اغنياؤنا	٥٤٥	« القارح . رسالته
٢٨٨	اكتشاف نافع	٥٢٠	« مقالة المثلث
٢٠٨	آلات الطرب واغاني العرب .	٣٥٣	ابو الملاء المعري
	مصطلحاتها	١٩٥	الانكل الشرقي
٥٨١	الاسكا والاسكاويون	٦٩	اترابنا العميان
٦٢٢	« وكلونديك	٣٤٧	آثار عربية
٨٢	المانيا . التعليم فيها	٣١٣	الاخبار . آفتها
٥١٥	« . المدارس الصناعية فيها	٣٣٥	اخبار العلماء باخبار الحكماء
٧٩٤	الامراء . صناعاتهم	٧٠	الاخلاق بالطعام
٣٨٣	الى العرب (قصيدة)	٥٢٨	الاخلاق والعادات
٥٢٠	امالي تاريخية	٧٨٩	الآداب العربية
١٥٦	امهات مخطوطات	٣٢٣	ارشاد الاربيب الى معرفة الاديب
٨٣	اميركا الاسرائيلية		(كتاب)
٧٦٥	اميركا . السوربون فيها		الفحول (كتاب)
٤٣١	انكثرا والاقتصاديات		الخطوط الحديدية فيها
٤٨٦	اوربا . التحصيل فيها		السماء (كتاب)
٣٥١	الاولاد . جاستهم		مدرسته
٣٥٢	« المدخنون		استماره
٧٢	ابطاليا . التمثيل فيها		

٢٢٧	التعليم الوطني	صفحة
٨٥	التقيل . م . م . م	ب
٤٦٦	التلغراف	٦٧١ بدائع الصنائع (كتاب)
٤٢٨	التلفون . فوائده	٤٠٤ البرئقال . جمهوريتها
٦٥٨	تول . توي	٧٩٤ بردي قديم
٧٣٣	» رثاؤه (قصيدتان)	٧٣ البريد الالماني
ج		٦٦٦ البشر . لحومهم
٨٥	الجمال الطبيعي . حمايته	٦٧٢ البشر . تقويمه
٥٨٩	الجمعيات . قانونها	١٥٤ بلجيكا الحديثة
٤٣٣	الجن	٧٩٥ البوارج . اعظمها
١٨ و ٨٩ و ١٧٧	الجن . مذاهب الاعراب	ت
	وفلاسفة الاسلام فيها	١٦٠ تاريخ ابي الحاسن (كتاب)
٧١	الجيش النامل	١٥٢ التاريخ . معناه
ح		٥٩٢ التأليف . سعتة ومؤلفو الشيعة
٢٧٦	حالة الامم الاقتصادية (كتاب)	٣ » . سعتة في الاسلام
٥٩٩	الحس . تربيته	٣١٦ » . قانون حقه
١٦٠	حضارة بابل (كتاب)	٥٠١ و ٥٦٩ التجارة . غرفها
٣٢ و ١١٩ و ٧٩٥	حكم افرنجية	٣٤٩ التجارة . انتظامها
٨٥	الحمة	١٢١ التربية الاوربية
٤٤٩	حمة ابي رباح	٥٣٧ » الجديدة
٨٤	الحنطة . محصولها	٣٥١ تربية العقل
٥٣٤	حوران . اصلاحها	٣٤٧ التربية العقلية
٤٣٠	الحيوانات . ا .	٣٤٧ » . غايتها
		٨٠ » مدرستها
٢٨٨	الخصب .	٣٤٩ » المشتركة
٤٣٢	الخط المائل	٢٨٨ » اليابانية
٧١	الخلاص . ا .	٢٨٨ الترجمة دارها

صفحة	صفحة
٧٣	الخلية . مدرستها
د	د
٢٢٥	الدارس في المدارس
٦٠٩	الدرر الكامنة
٢٥٠	الدروز . اصلهم
٢٤٢	» . جبلهم وفتحهم
٤٢٢	دروس التاريخ الاسلامي
١٦٠	دروس الحياة الانسانية (كتاب)
٧٩٨	الدروس العربية (كتاب)
٦٧١	الدولة الاسلامية (كتاب)
٢١٦	ديوان احمد نسيم (كتاب)
٧٩٩	ديوان سلامة بن جندل (كتاب)
٥٦٤	الدين والدنيا
ذ	ذ
٢١١	الذخيرة لابن بسام
١٥٥	الذهب . محصوله
ر	ر
٥٢٠	الراضي بالله
٧٨٣	الرأي الصريح
٤٨٦	الرئيس البرنقالي
٢٨٢	رسائل البابية (كتاب)
٤٦٨	روضة العقلاء وزهة الفضلاء
(كتاب)	(كتاب)
٨٣	الرياضات اليابانية
٣٢	الريحانيات (كتاب)
ص	ص
٧٠٣	صحافتنا وصحافتهم
س	س
٣٠١ و ٢٥٨	السجل المعلق
٧٩	السجناء
٤٩٦	السريانية - في العربية العامية
الفاظها	الفاظها
٧٣	السكك الحديدية . حوادثها
٧٩٧	السكك العثمانية
٧٧	السل . هلكاه
٨٧	سلامة ابن جندل . ديوانه
٣٤٤	سلانيك . الجرائد فيها
١٥٩	سمير الميالي (كتاب)
٤٨٨	السن . اوهاها
٨٠٠	السنة الخامسة . خاتمها
٥١١	سورة . نهضتها
٨٤	سويسرا . الصحافة فيها
٤٧٩	السياسة الاسلامية (كتاب)
٧١	السياسي . صفاته
ش	ش
٧٤	التام . اكتناء عربيها
٤٨٤	التام ومصر . المحسنون لها
٧٩٣	الشرق . بسطه
٤٢٧	الشعب . مكانه
٢٨٤	الشعري اليابانية
٧٨	الشمس . الاستشفاء فيها
ص	ص

صفحة	صفحة
العلم (مجلة) ٨٨	٤٢٦ الصحافة . مدارسها
العلم . فقهه (كتاب) ٨٨	٤٢٧ الصحة . الساحات لها
علم نفس الطفل ٣٤٨	١٥٣ الصحة المدرسية
العلم . وقف له ٢٨٦	٣٤٢ الصحف والنجاح
الماؤنا وكيف ينشئون ابناءهم ٦٩٩	٦٦٧ الصور السائية
المحلة . تربية صغارهم ٦٩	١٤٤ الصور . العالم فيها
العناصر . مؤتمرها ٥٩٨	٨١ الصين . التعليم الحديث فيها
العين . صحتها ١٤٥	ض
غ	١٤٨ الضاحية . تربية البيوت فيها
الغابات . مدارسها ٥٢١	٦٧٣ الضوء اللامع
٣٣ و ٢٨٢ غرائب الغرب ط	
١٥٩ الغصن الرطيب في فن الخطيب	٧٩٨ الطريقة القدسية (كتاب)
(كتاب)	٤٣١ الاطفال . حمايتهم
ف	٨١ الطليان . عملهم
الفرصة . التنزيه فيها ٧٧	٤٨٤ الطيور . اعمالها
٦٤٣ الفصيح العامي والعامي الفصيح	ظ
١٥٨ فلسفة الاسلام (كتاب)	٤٨٩ الظلمات . ظلمات عصرها
٨٠ الفوسفات . سماده	ع
ق	٨٤ العالم . خريطته
٣٤٩ القراءة . سن تعليمها	٣٢١ عبث المنيب (قصيدة)
٨١ القرى والمدن الانكل سكسونية	٨٧ العبرانيون والفنيقيون
٧٢ القلب . خفقانه	٤٦٧ العرب
٤١١ قلمون الاسفل . رحلة اليه	٤٩٦ العربية النامية . الالفاظ السربانية
٤٥٣ القنائي والسيرافي . مناظرتهما	فيها
ك	٢٦٨ العقارات . قانون تكليفها
٤١٠ كتاب المنيب	٣٥١ العقل . تربيته

صفحة	صفحة
٥٤٤ مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام	٣٨٥ الكتابة والكتب ودورها
في الجن « كتاب »	٢٢٤ و٢٨٣ و٤٢٤ و٧٩٩ كتب متفرقة
٥٢٠ المرأة اليابانية	٧١٠ الكرك . عمراتها
٦٢٩ المسلمون والبولونيون	٧٣٧ الكواكب السائرة
٥١٩ المصارف . ذهبها	ل
٦٦٢ مصر . الضاعة فيها	٢٦٤ اللاما وعبادوه
٤٨٣ « . العلم والمال فيها	٤٨٧ اللعب والترية
٧٧٠ المصريون مقابرهم وجزائريهم	٧٠ اللغات الحية . تمليها
١٥٩ طابع الاضواء « كتاب »	١٠٥ و١١ اللغات الاسلامية . نثؤها
٦٧٠ المعادن المذخورة	٨٣ اللغة الروسية
٧٢ المعادن الثمينة	٢٩٤ اللغة العربية . هل هي حية
٧٩٤ معجم انكليزي	١٦٠ اللغة النابانية (كتاب)
٤٣٢ المعلمون والمعلمات . نصائح لهم	١٥٤ ليبسيك . كليتها
٢٨٣ معيار الفتاوى « كتاب »	م
٨٠ المطاط . نركاته	١١٤ المالية العثمانية
٤٣٠ مطابعات	٧٠ المباحث اليمولوجية
٨٢ المطبوعات الاميركية	١٥٩ مبادي الفلاسفة القديمة (كتاب)
٢٠٤ ملك الانكليز وامبراطور الهند	٥٤٠ مباحث الفكر ومناهج العرب (كتاب)
٢٧٩ منطق المشرقيين « كتاب »	٢٨٣ مجلات جديدة . ثلاث
٧٢ الموسيقىون . جمعيتهم	٤٢٥ و٨٨ مجلدان جديدتان
٤٢٣ المنابر الوري « كتاب »	٢١٩ الجمع العالي السميوني . تقريره
٧٥٠ و٦٨٦ ميزان التقدير في تباين التقدير	٥١٨ مخطوطات نادرة
ن	٢٢٥ المدارس . المدارس فيها
٤٢٩ النجاح الالماني	٣٥٢ « . صحتها
٨٨ النجب « مجلة »	٥٩٨ المدارك . ضعاتها
١٤١ النزهة . المدرس فيها	٣٤٧ المدرسة والاخلاق

اصلاح الاغلاط

صفحة	صفحة
١٦١ » العربية . جرائدها	١٧٠ النساء . تلميذين .
٣٠٨ الهند الانكليزية . حالها	٤٨١ النساءيات « كتاب »
٣٥٠ » البريطانية	١٥٨ النصائح الكافية « كتاب »
٤٣١ الهواء الطلق	٣٢٥ و ٣٧١ النظرات . نظرة فيها
٢٨٢ الهيئة والاسلام « كتاب »	٢٨٩ النظم والانشاء . صناعتها
ي	٢٨٦ النفوس . مسألة قاتها
٤٢٧ يابان الاقتصادية	و
٤٨٧ » فقرها وغناها	٣٥٠ الولادات والوفيات
	٥٣٥ الولايات العثمانية . سكانها

اصلاح الاغلاط

التي وقعت في مجلد هذه السنة

صفحة	سطر خطأ	صواب	صفحة	سطر خطأ	صواب
٤	١٦ فلان	فلاناً	١١١	٠٠ هذه الصفحة طبعت خطأ	صواب
١١	١٠ معاني	معان	١٣١	١٢ ان عبد	ابن عبد
١٩	٧ احد	احدا	١٤٩	١١ ثلاثة	ثلاث
٣٧	١٤ الاقتصاديين	الاقتصاديان	١٨٠	١٠ فافتقر	فافتقرا
« « «	« « « الاثريين	الاثريان	١٨٢	١٢ في الصروع	في المصروع
« « «	« « « المؤرخين	المؤرخان	« « «	١٣ علم به	علم له به
« « «	« « « الفيلسوفين	الفيلسوفان	١٨٣	١٤ واذا	واذا
٣٩	١٥ نفيم	نفيم	١٨٤	٢١ قادراً	قادر
٤٤	١٤ احد	احدى	١٨٩	١٩ واذا	وان (او)
٨٠	١٨ او ثلاثا	او ثلاث			واذا فليبراجع
٨٨	٤ واحدة	واحد			

اصلاح الاغلاط

صواب	صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ
الاول	٢٤ ٤٥٠	استيثاق	١٢ ٢٠٥
يستعين	١٨ ٤٧٢	ابي عبد الله ابي	٤ ٢١٥
وار	٢٠ ٤٧٥	عامر ابي عيسى	
والطائفة	٢٠ ٤٩٠	قرا	١٦ ٢٤٦
احداً	« « « «	فيسوع	١٤ ٢٥٣
البرء آء	٨ ٤٩١	خطب	١٢ ٢٥٤
البرء آء	١ ٤٩٥	سليمان	١٤ « « «
ابي	١٧ ٤٩٦	بالنبوة	« « « «
الفرق	١٦ ٥٠٣	غير الصافية	٢٢ ٢٧١
قسمين	« « « «	٠ . . .	٢٥ ٢٧٢
بل طالب	١٧ ٥٠٦	في ستة الاشهر	١٩ ٢٧٤
التجار	٢٠ ٥٠٧	حق	١٥ ٢٧٥
غير	٤ ٥١١	التونسيون	٩ ٢٧٨
محكم وجاهل	٦ ٥١٤	فانقصت	١٨ « « «
الارض او الارضي	٧ ٥٢٤	وولايتا	١٢ ١٨٣
موفور	١٧ ٥٢٥	بعض من لم	٢٥ ٣١٣
وتزلفه	١ ٥٤٦	بزييننا	٩ ٣٣٤
وقول	٢٦ ٥٥٤	احداً	١١ ٣٥٢
البحري	١ ٥٥٥	مثلهم كالحمار	٩١ ٣٩٢
علي من النسيان	٢٣ ٥٦٢	مليوناً	٣ ٤٠٨
اذا ما جئته	٣ ٥٦٣	الفطر	٢٦ ٤١٣
الاديان	٢٣ ٥٦٤	اي	١٧ ٤١٧
لما	٧ ٥٦٦	وكصيص	٢٠ « « «
والمدارس	١٥ ٥٦٩	ابو الحسين	٢٦ ٤١٩
احدى	٤ ٥٧٤	تجنيها	١٤ ٤٤٨
اولا وثوانيا	١٨ « « «	الافدمون	١٩ ٤٥٠

اصلاح الاغلاط

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
٢٣ ٥٧٩	الغرفة	الغرفة	١٩ ٦٩٧
« « ٢٤	مقارنا	مقارنا	١٣ ٧٠٦
١٨ ٥٨٠	اثنين	اثنين	٢١ ٧١٤
١١ ٥٨١	الفريقان	الفريقين	٦ ٧١٦
١٦ ٥٨٥	فالاولين	فالاولون	٣ ٧٣٨
« « ١٧	والآخريين	والآخرون	٧ ٧٣٦
٩ ٥٩٦	واثنين	واثنان	١ ٧٥١
٨ ٦٠٥	يراقبوا انفسهم	يراقبوا نفسيها	١٨ ٧٥٠
١ ٦٠٦	يحلوا	يحلوا	« « ٢٠
٢٥ ٦١٠	وابو حيان	وابي حيان	« « ٢١
١٠ ٦١٢	شباب ان ط	شباب من ان	٧٥٤
١٤ ٦١٥	عشرين رجب	عشري رجب	« « ١٥
٢٢ ٦٥٧	دوم واشتام	دوم واشام	١٢ ٧٥٦
١٩ ٦٦٨	الاثنا عشر	الاثني عشر	١ ٧٦٠
١٧ ٦٧٣	خمس	خمسة	« « ٤٣
٥ ٦٧٥	وقرقاس	وقرقاس	« « ٥
« « ٢٦	تخريره	تخريره	« « ٧
٣٢ ٦٩٣	ملا كف	من كف	« « ٩
٨ ٦٩٤	ومن	وعن	١ ٧٦٢
٢٥ ٦٩٥	فيها	فيه	« « ٢٣
١ ٦٩٦	الآخر	الآخري	٣ ٧٦٤
« « ١٤	بلغ ثمان	تبلغ ثمانية	« « ٢٧
« « ١٤	وعشرين	وعشرين	٧ ٧٧٣
« « ٣	اواربع	اواربعاً	٤ ٧٩٠
٣ ٦٩٧	محدود	محدودة	« « «

١٣٢٨

المقتبس

مجلة علمية اجتماعية
تصدر في كل شهر عربي بدمشق

١
٢



لانشؤها

مكي عياد



المجلد الخامس

١٩١٠ — ١٣٢٨



قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيدبان ونصف
وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

سعة التأليف

في الاسلام

من جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمان تعددت مجلداتهما فدلّا على انساع نطاق التأليف في الاسلام ايام كان علماؤه منصرفين الى العلم والعمل يصرفون اثنى اوقاتهم في خدمة الامة وهما كتاب الكواكب الدراري في تبويب مسند الامام احمد على ابواب البخاري للجامع الامام ابي الحسن علي بن عروة الحنبلي من اهل القرن التاسع وكتاب تاريخ دمشق الكبير لوضعه الحافظ ابي القاسم ابن عساكر من اهل القرن السادس .

هذان السفران الجليلان آيتان ناطقتان على طول نفس اجدادنا وشدة واثامهما وجهالتنا فقد وجد من الاول مجلدات كثيرة ضخمة لا تنقل عن ثمانين مجلداً متفرقة ومما وجد منها المجلد الثاني والعشرون بعد ائمة بحيث لا يظن ان الكتاب بلغ اقل من مئة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والاصول والفقه الحنبلي وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والادب فهو دائرة معارف اسلامية حقيقية ضمت بين جوانبها اشهر كتابات علماء الحنابلة وكبار مجتهدي الامة مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن رجب وغيرهم من الاعلام

واما تاريخ دمشق فله الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وهي تامة وكان كتب في ثمانين مجلداً . ولقد جرى ذكره بين حافظ^(١) مصر في عهده زكي الدين المنذري وطال الحديث في امره واستعظامه فقال حافظ مصر: ما اظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقتصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتعب . قال ابن خلكان: ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضيع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات مابكاد بنضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة

وبعد فإن الخالق تعالى وضع في افراد من كل امة خاصيات وملكات قلما يشاركون فيها كثيرون وآتاهم هبات يستخدمونها في نفع البشر ونفوساً لاتعرف الملل لدرك مقاصدهم الشريفة . وكلما ارتقت الحضارة في شعب ينبغ فيه رجال يصرفون على الافادة والاستفادة نقد اعمارهم ويتمحضون لاحسان الخدمة حتى لا يكادون يرون السعادة والملاذ والخير وكل ما تطمح اليه نفوس بني الانسان من المعالي الا فيما هم بسبيله

ومن انعم النظر في تراجم نوابغ العلماء ودرس حياتهم حتى دراستها لا يلبث ان يزول عجبها اذا شاهد كيف كانوا يستغرقون في اعمالهم ويتفانون فيما اخذوا به نفوسهم فيزهدون في المال والبنين ويفطمون انفسهم عن حب المناصب والمراتب والزخارف والسفاسف

كنا ذات يوم نذكر لاحد اصدقائنا من الاطباء الذين صرفوا شطراً من حياتهم في الغرب اتساع التأليف في هذه الامة قديماً فقال اما ما يبلغكم عن اكثر المؤلفين في الغرب اليوم من كثرة المصنفات فليس لاكثرهم منه الا النظر القليل يكتبه لهم اذكاء المتخرجين بهم بعد ان يكونوا تفتقوا عنهم بعض ماله علاقة في الموضوع الذي ألفوا فيه حتى اذا انوا بكل آخره يدفعونه الى اساتذتهم فيجبلون فيه انظارهم ويمثلونه للطبع مفتحة باسمائهم والمنصف منهم من يذكر ان تليذه فلان اعانه في التأليف وبعضهم يضمنون بمثل هذه الاشارة

ولما اوردنا لصاحبنا اسماء كثير من اشتهروا في الاسلام وألفوا النوايل الممتعة الضخمة وعنوا وحدهم في الاكثر بجمعها وتنسيقها وتصنيفها وتبويضها وتسويداها وان ما أثر عنهم كان مردوداً لو لم يردتني لسان اهل العدل والصدق من المؤرخين وعلماء التراجم وبعضهم قد يكونون من اضدادهم وحاسدهم — عند ذلك افتنع صاحبنا بصحة رأينا وقال ان حال الافرنج اليوم يخالف حال سلفنا فان الافرنجي مهما بلغ من حبه الحكمة وتفانيه في خدمة المعارف يقطع له اوقافاً لراحته وادخال الفرح على قلبه لينشط الى متابعة السير في عمله اما الشرقي فانه يفرط فيما تحض له فحاله اما تعب ليس وراءه غاية او راحة ما بعد ورائها وراء

افتح اي كتاب من كتب التراجم ولا سيما تراجم اهل القرون السبعة الاولى الاسلام تسقط على مبلغ عناية رجالنا بالتأليف وتوفرهم على النفع وقد يظن ان معظم ما خلفوه من كتبهم هو

ديني محض ولا اثر لهم في العلوم الدينية ولكن هذا الظن لا يغني من الحق شيئاً لان جماهير المؤلفين المجيدين لم يكونوا متمكنين من علوم الدين باغفال علوم الدنيا بل انهم كانوا يعتقدون بان العلوم باسرها نافعة في الدارين وما نفع في هذه الاولى كان خليقاً بان ينفع في الاخرى

هذا ابو محمد بن حزم الظاهري واهل الظاهر نفاة القياس والتعليل وهو معدود في الطبقة الاولى بين علماء الدين ومع هذا تجد له تأليف ممتعة فيما نعتبره من علوم الدنيا فقد ذكر غير واحد من علماء الاندلس^(١) ان تصانيفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والمال وغير ذلك من المارئ والنسب وكتب الادب والرد على المخالفين نحو من ار بمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة . وهذا شيء اعلمناه لاحد من كان في مدة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري فانه اكثر اهل الاسلام تصنيفاً فقد ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرعاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ ابي جعفر الطبري الكبير ان قوماً من تلاميذ ابي جعفر لخصوا ايام حياته منذ بلغ الحلم الى ان توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها اوراق مصفاته فصار لكل يوم اربع عشرة ورقة ومن جملة تأليفه التفسير الكبير والتاريخ الذي هو اصح التاريخ وانبتها وكلاهما ملبوع متداول وهو الذي قال اثلاميده : هل لكم ان املي عليكم كتاباً في التاريخ قالوا ولم يكون حجه فقال ثلاثون الف ورقة فاستعظموا ذلك وارادوه على الاختصار حتى املاه عليهم في ثلاثة آلاف ورقة فجاء كبار ابناء اليوم احد عشر مجلداً ضخماً لانه هذا التندر وهو يحرقل ويقول ماتت الهم لان تلاميده لم يوافقوه على جعل تاريخه في ثلاثين الف ورقة فماذا كان يقول لوجاء في هذا العصر ورأى انحطاط علوم الدين وعلوم الدنيا بين قومه

وابن جرير في اجادة في التأليف واكثره منه مشهور كما مر من تقدمه ومن تأخر عليه من المصنفين مثل ابن تيمية من اهل الترن الثامن فقد قال فيه احد واصفيه^(٢) ان له من المؤلفات والقواعد والفنای والاجوبة والرسائل والتعاليق ما لا ينحصر ولا ينضب ولا اعلم احداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك مع ان تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً

منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج اليه ويراجعه من الكتب . وقال غيره كان الامام يكتب في اليوم والليلة من التفسير او من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة الاوائل نحواً من اربعة كراريس او ازيد وما يعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد وجمع بعض الناس فتاوية بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت نحو ثلاثين مجلد أو قيل ان تأليفه تبلغ ثمانمائة مجلد .

ومثله ابو الفرج ابن الجوزي الواعظ من علماء القرن السادس صنف في فنون ^(١) عديدة وكتبه اكثر من ان تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولون انه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقامت الكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يتقبله العقل ويقال انه جمعت براية اقلامه التي كتب بها حديث الرسول فحصل مسابقي كثير واوصى ان يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد مرته ففعل ذلك فكفت وفضل منها ومن المكثرين من التأليف ابن الهيثم الرياضي الطبيعى فقد عدد ابن ابي أصيبعة ^(٢) مصنفاته في زهاء اربع صفحات هذا عدا ما ضاعت دساتيره منه لما فارق البصرة والاهواز وانتقل الى مصر قل : وما انما تنقص عن مئة مجلد . ومثله الفارابي احد فلاسفة الاسلام كان مكتبة من التأليف وقد اضاع اكثرها لانه كان يكتب في رقاع كيفما اتفق ويختار الفلاة ومجاري الانهار للتأليف فطير الاوراق التي يكتبها ومثلها ابو الريحان البيروني قال يافوت : كان لغوياً أدبياً له في الرياضيات والنجوم اليد الطولى ولما صنف القانون المسعودي اجازه السلطان بحمل فيه فضة فرده للاستغناء عنه وكان مكباً على تحصيل العلوم منسجماً على التصانيف لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر دخل عليه بعض اصحابه وهو يجود بنفسه فقال له في تلك الحال كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة فقال : أي هذه الحال قال : يا هذا أودع الدنيا وانا عالم بها أليس خيراً من ان اخلبها وانا جاهل بها قال : فذكرتها له وخرجت فسمعت الصريح عليه وانا في الطريق . قال يافوت : واما تصانيفه في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوت الحصر ورأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في ستين ورقة . وقال بعض مترجميه : ان كتبه زادت على حمل بعير

والبيروني واحد كبار فلاسفة العرب يجي^١ في طبقة ابن سينا وابن رشد وابن زهر
والفارابي ومثلهم الكندي فيلسوف العرب^(١) وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة
والهندسة والحساب والارثماتيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك وقد عدد اسماءها ابن
النديم في ست صفحات . ومثله ابو بكر بن زكريا الرازي صاحب المصنفات المتعة
في الطب والعلوم العقلية والادب وهو الذي استنار الغرييون لاول نهضتهم بمصنفاته
واول ما طبع عندهم من تأليف العرب كتبه ذكر اسماءها ابن ابي أصيبعة في نحو سبع
صفحات وابن النديم في ثلث . ومن المكثرين من التأليف في عهد الحضارة الاسلامية
حنين بن اسحق وثابت بن قرة ويعقوب بن اسحق الكندي وقد ساق ابن ابي أصيبعة
تأليف آخرهم في خمس صفحات وكلها كتايف حنين وثابت فلسفية علمية وهم ائمة
النقل من اليونانية الى العربية

ومن المكثرين من التأليف المجودين فيها حجة الاسلام الغزالي والماوردي
وعمر بن بحر الجاحظ وجار الله الزمخشري وهذان الاخيران من ائمة المعتزلة قيل في
الاول ان تأليفه تعلم العقل وفي الثاني ان تأليفه يكتفي بها في التفسير والحديث والنحو
واللغة وعلم البيان والادب . ومن المكثرين المجودين من ائمة المعتزلة القاضي عبد الجبار
قيل ان تأليفه التي وضعها في كل فن اربعائة الف ورقة ومن ائمة المعتزلة كثيرون
من جاوزت مؤلفاتهم المئة والחסين الف ورقة

ومن المؤلفين الاول المكثرين من التأليف هشام الكلبي العالم بالنسب واخبار العرب
وايامها ومثالبها ووقائعها المتوفى سنة ٢٠٦ ذكر كتبه ابن النديم في نحو ثلاث صفحات
وفي تزيد على مئة وخمسين ومنهم المدائني المتوفى سنة ٢١٥ في نحو اربع صفحات
ومنهم المرزباني من اهل القرن الرابع قال ان تأليفه بلغت الوقا من الاوراق ومن
الفقهاء والحفاظ المكثرين من التأليف محمد بن ادريس الشافعي وداد بن خلف
الاصفهاني وابو العباس بن سريج المعروف بالاز الانهب من ائمة الشافعية كانت فهرست
كتبه تشمل على اربعائة مصنف وقيل ان تصانيف الحفاظ ابي بكر ابن البيهقي تبلغ الف
جزء ولا يبي بكر ابن الخطيب صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ قريب من مئة مصنف
ولندسني من كتب الاصول والفقه والحديث والادب والتاريخ ما يقرب من مئة مصنف .
وكان ابن سبعين ممن صنف تصانيف كثيرة وللشعري خمسة وخمسون تصنيفاً .

وكان ابو حاتم البستي من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ قال ياقوت^(١) وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته وروى عن ابن ثابت ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها واصفها مصنفات ابي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر الشجري ووقفني على تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الي النظر فيها لانها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا وانا اذكر منها ما استحسنت سوى ما عدلت عنه واطرحته وهناك مفاجآت زهاء مائتين وخمسين جزءاً وبلغت مصنفات ابي بكر بن فورك المتكلم الاصولي الادب النحوي الواعظ قريباً من مائة مصنف . ولفظة المتكلم^(٢) تطلق على من يعرف علم الكلام وهو اصول الدين وانما قيل له علم الكلام لان اول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عز وجل مخلوق هو ام غير مخلوق فتكلم العباس فيه فسمي هذا النوع من العلم كلاماً اختص به وان كانت العلوم جميعها تشر بالكلام اه ولابي الحسين الراوندي صاحب المقالة المشهورة في علم الكلام وهو الذي ينسب اليه اليوم ظلاً كل كلام فيه سفسطة ومغالطة وكفر من التأليف نحو مائة واربعة عشر كتاباً مع انه لم يتجاوز الاربعين من عمره

ولرأس المتصوفة محيي الدين بن عربي تأليف كثيرة ومنها الممتع ذكر في اجازة كتبها للملك المعظم انه اجازه ان يروي عن مصنفاته ومن جملتها كذا وكذا حتى عدت نيفاً واربعائة مصنف والاف رسالة عدد فيها كتب كما جرت عادة بعض المؤلفين ان يترجموا انفسهم ويذكروا مؤلفاتهم في رسائل خاصة مخانة ان يدس عليهم بعضهم مالا يروقههم ويقول فيهم ما ليس فيهم .

وابن سعيد الاندلسي المؤرخ من المكثرين من التأليف منها المرقعات والمطربات والمنتطف من ازاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد والموضوعان الثريان المتعددا الاسفار وشما المغرب في حلي المغرب والمشرق في حلي المشرق وغير ذلك قال لسان الدين^(٣) حدثني الوزير ابو بكر بن الحكيم انه خلف كتاباً يسمى الرزمة يشتمل على وقرعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى

ومن المكثرين من التأليف لسان الدين بن الخطيب وابو العلاء المعري ولهذا كتاب^(٤) سماه الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المئة جزء في

(١) معجم البلدان (٢) ابن خلكان (٣) الاحاطة في اخبار غرناطة (٤) وفيات الاعيان

الادب قال ابن خلكان : وحكي لي من وقف على المجلد الاول بمد المائة من كتاب الحمزة والرديف وقال : لا يمكن يوزع هذا المجلد . ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان : احرق احد الفقهاء الثقات المطالعين على حقيقة امره ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ماتت عن مائة مجلد وكان الحاجب المنصور ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلم المدعو بالافطس ادبياً جليلاً ومن تألفه ^(١) الكتاب المطفري المسمى بالذكرة في خمسين مجلداً . وكتب عبد اللطيف البغدادي النيسابوري نحو مائة وخمسين كتاباً وذلك في سياحات له . اويلة دامت نحو اربعين سنة ساحها بين العراق والشام ومصر والروم .

ومن المكثرين من التأليف والنوسخين فيه احمد بن ابي بن السيد اللغوي الاندلسي يعرف بصاحب الترطه وهو مصنف كتاب العلم في ائمة نحو مائة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالائمة وختم بالذرة وله في العربية ثمانية كتب اخرى . ومثله ابن سيدة الضرير صاحب المخصص والمحكم وغيره وهو من المكثرين . التأليف والحفظ ومن المكثرين ابو اسحق ابراهيم بن الاعلم البغدادي له نحو خمسين تأليفاً . وبانت تأليف محمد ابي طالب القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧ - ٢٧٧ تأليفاً . والاب عيسى بن عمر النحوي نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو قال سيبويه جمعها بعض اهل اليسار وانت عنده عليها افة فذهبت ولم يبق في الوجود سوى كتابين ولواتن اهل العلم وغلاة الكتب يمثل هذه الكتب انما اورثها الابدي بالذبح . ولما فتدت .

ومن المكثرين من التأليف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة ٢٣٨ قال المقرئ ^(٢) رأيت في بعض النواريع ان تاليفه بانف القا ومن اشهرها كتاب الواصحة في مذهب مالك . ولابي عمرو البغدادي القرطبي من علماء القرآن مائة وعشرون مصنفاً وكان يقول ما رأيت شيئاً قط الا كتبته ولا كتبه الاحفظه ولا حفظه . فنسبته وآثر من له التأليف الكثيرة من ائمة الاندلس ابو الحسن القلصادي المتوفى سنة ٨٩١ واكثر تصانيفه في الحساب والفرائض .

ومن عرفوا بسعة التأليف احمد بن ابي عبد الله بن علي مذهب الامامية فان ما كتبه بلغ مائة تصنيف عددها ياقوت في معجم الادباء . ومن فقهاء الامامية ابو النصر الحياشي ذكر ابن النديم اسماء كتبه في نحو صفحة من .

(١) نظم الدول لسان الدين (٢) نفح الطيب

ويقال ان تواليف ابى جعفر بن النحاس تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب وذكروا^(١) ان محمد بن جماعة من اهل القرن الثامن كان عجيوبة زمانه في العلم وليس له في التأليف حظ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الالف فاله على كل كتاب اقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة واكثرها من شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواش ونكت الى غير ذلك وكان يعرف علوماً عديدة منها الفقه والتفسير والحديث والاصلاح والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والهيئة والحكمة والزيج والطب والفروسية والرمح والنشاب والدبوس والثقاف والرمل وصناعة النقط والكيمياء وفنون اخر وعنه انه قال : اعرف ثلاثين علماً لا يعرف اهل عصري اسماءها .

ومن الذين اكثروا من التأليف احمد بن مكنوم من اهل القرن الثامن وعبد الرحمن الانباري من اهل القرن السادس وعيسى اللخمي الاسكندراني من اهل القرن السادس وتقي الدين السبكي من اهل القرن الثامن وله مئة وخمسون تصنيفاً والجلال السيوطي من اهل القرن العاشر اطلعنا على فهرست كتبه في سبع ورقات وربما لا تقل عن اربعمائة مجلد وفيها الجيد

واعجوبة المؤلفين ابو موسى جابر بن حيان^(٢) قال : الفت ثلاثمائة كتاب في الفلسفة والفأ وثلاثمائة كتاب في الحيل على مثال كتاب تقاطر (?) والفأ وثلاثمائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب ثم الفت في الطب كتاباً عظيماً والفت كتباً صغاراً وكباراً والفت في الطب نحو خمسمائة كتاب الى ان قال : ثم الفت كتباً في الزهد والمواعظ والفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة والفت كتباً في التبريجيات والفت في الاشياء التي يعمل بخواصها كتباً كثيرة ثم الفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقداً على الفلاسفة ثم الفت كتاباً في الصنعة (الكيمياء) يعرف بكتب الملك وكتاباً يعرف بالرياض

وماذا عسانا ان ندون هنا ونقتبس من كلام المؤرخين في المكثرين من المؤلفين العارفين ولو اردنا ان نذكر فقط من لهم منهم الى عشرة كتب لاستغرق الكلام مجلد هذه السنة برأسه . وانا ليجزنا يوم نذكر ان كل واحد ممن ذكرنا خايب الامة خزانة كتب من مصنفاته ونلفت الآن عن ايماننا وعن شمائلنا فلا نرى المؤلفين في الاقطار العربية يعدون على الاصابع والمكثرون منهم من لا تتجاوز مصنفاته العشرة

(١١)

نشوء اللغات الاسلامية

ففي عَالِي اللغات في كل عصر ومصر ان تقتبس بعضها من بعض ما يعوزها من الالفاظ لتعبر بها عن الافكار الحديثة والعربية والفارسية والتركية لم تخلص من هذا القانون . فاقبست اولاً من اللغات السامية ومن اليونانية ثم من اهم لغات اوربا الحديثة ولا سيما من الفرنسية كما اقتبست كمية وافرة من الالفاظ للانصاح عن الافكار التي ليس في مجملها ما يدل عليها ثم هجمت تلك الالفاظ الاعجمية هجوماً كثيراً كادت تأتي معه عَالِي مفردات تلك اللغات نفسها فقامت تريد الرجوع الى اصولها وهب التوم يبدون من اللغات الاسلامية الثلاث تعابير رأوها وحشية ويستعيضون عنها بالفاظ يشتقونها من المادة الاصلية في العربية والفارسية والتركية او بالفاظ كانت موجودة ولكنها اطلقت عَالِي معاني جديدة

ومن الضروري ان لا يفوتنا النظر بان اصحاب هذه اللغات اليوم يريدون الرجوع بلغاتهم الى اصولها الصحيحة ويطرحون الالفاظ التي ليست لهم مدفوعين الى ذلك بتأثيرات الدعوة الى الوطنية في البلاد الاسلامية . وهذه الحركة في الرجوع بهذه اللغات الى اصولها لا ترمي الى نبذ الالفاظ الافرنجية فقط بل ان القوم في فارس يطحنون الى حذف التعابير العربية وفي البلاد العثمانية كما هو في سائر البلاد التركية يحاولون طرح الالفاظ العربية والفارسية . ويبحث الادباء من اهل هاتين اللغتين فيما لديهم من الالفاظ الايرانية والتتارية عن الالفاظ التي كان من تأثيرات الفاتحين او من رغبة المغلوبين في اظهار معرفتهم بلغة غالبهم ان زهد فيها واستعملت الفاظ اقل منها انطباقاً مع الروح التركية والفارسية وان كثر استعمالها وعدت او سكادت من مادة اللغة الاصلية .

جرت اللغات الاسلامية كاللغات الاجنبية في اقتباسها الالفاظ عَالِي طريقتين علمية وعامة فالعامة يقتبسون عَالِي ايسر وجه من الالفاظ ما يتكرر على مسامعهم دائماً او ما يفصح عن افكار لا تماثل لها في لغتهم الاصلية ولقد عرفت منذ القديم التوانين التي تجري عليها في الاقتباس فالاسماء تنتقل من لغة الى اخرى باعظم ما يكون من السرعة

١ للمسؤولين بوفاء احد علماء المشرقيات نشرها في مجلة العالم الاسلامي الباريزية وقد التزمنا في نقلها الترجمة الحرفية

واقل من ذلك انتقال الصفات وفي النادر اقتباس الظروف وبشد أو لا يكاد يكون اثر لاقتباس الافعال . ومن اللغات ما اذا نظر فيه الى المفردات يمكن وصفه باللغات المختلطة وهي تتألف في البلاد التي عرفت بتجارة القنطرة ولا سيما في الموانئ البحرية مثل لغة البيجين في الشرق الاقصى وهي مزيج من اللغة الانكليزية والصينية ولغة السابير مؤلفة من العربية والفرنسية والاسبانية والاطالية او اللغة الافرنجية وهي مجموعة من كلمات مختلفة من جميع لهجات البحر المتوسط من البلاد التي تمتد من سورية الى مراكش ولا بأس باعتبار اللغة الناطقة من هذا الضرب من اللغات وان اصبح لها صحافة وآداب منذ عهد ليس ببعيد ولكنها لم تعد تحسب لهجة عربية تكون صلة بين لغة مصر والمغرب جامعة الى نحوها الذي هو كغير اللغات السامية مفردات ايطالية وبعبارة اصح صقلية في الاكثر وكتابتها لاتينية "

وماعدا هذه اللغات المشتركة البحرية التجارية خصوصاً فقد تألفت في البلاد الاسلامية التي استولى عليها الاربيون لهجة عامية دلتها الفاظ من لغات الفاتحين واصطلاحات دواوين الحكومة وارباب الصنائع وهكذا تجد قرارات الحكومة الفرنسية في الجزائر كانت تكتب زمانا بلهجة مزوجة بكلمات فرنسية نقلها المرحومون بجبل منهم او كسل فيهم كقولنا ولم يغزوا بترجها ررى جند الرماة والمتاة هناك يستعملون لغة هي احدث بها ان تكون مما اتوا الى طليانهم وهي خليط من التعابير الفرنسية لعمرة كثيراً بحيث يصعب الاستدعاء الى معرفتها عالياً

ولكن هذا لا يصح ان الحرف الاول من الكلمة المحكية وكتابات من لم يعلموا اسما اللغة الادبية التي مست حاضرها ذلك الى ان اد تعابير جديدة قد قدمت الى طرق

١- ثم تجد امثلة اخرى للغات اسلامية بنكتهم بها الناس غير المسلمة من مثل اللغة الاسرائيلية الفارسية وهي لغة نارسية ممزوجة نايلا الفاظ عبرانية ومكتوبة بحروف عبرية وهي لهجة يهود فارس . ويسعمل اليهود التراءون في القديم هذه الحروف ايضاً في الكتابة التركية وهي اللغة الدارسة بينهم وفي الزاد الثمانية الناس من الارمن والروم يتكلمون بالتركية ولكنهم يكتبونها بحروفهم القديمة ولهم ادبيات ارامية تركية وادبيات يونانية تركية ذات صفات خاصة بها . وهناك اللغة الكرشنوية وهي تطبيق المسيحيين للحروف السريانية الى اللغة العربية والعبرانية العربية او العربية التي يكتبها اليهود بالحروف العبرانية .

عديدة في الاقتباس فبدأت بنقل الفاظ اوربية كما هي او بتعديلها قليلاً حتى توافق التلفظ المحلي وهذه هي الطريقة التي كانت تعتمد اليها اللغة العامية ومضى زمن كانت هي المعول عليها اما فكر الرجوع بتلك اللغات الى اصولها فلم ينشأ الا في السنين الاخيرة فاللغة العربية الغنية بمفرداتها ولها من الاشتقاق ووارد كثيرة قد عمدت الى ما في متنها من المفردات فاشتقت منها وكذلك كان من الفارسية وان كانت لا تستغني بعض الاحيان عن الالفاظ العربية . اما التركية التي انتشرت بتأثير اللغات الاجنبية فيها فقد اخذت بايديء بدءاً من العربية والفارسية وهي تحاول منذ مدة الاكتفاء بما عندها باستعمال التعابير القوية القديمة التي كادت تنلاني .

ماهي المؤثرات التي عرضت للغات الاسلامية من اللغات الاجنبية ؟ ان اقدم الاصول العربية التي انتهت اليها هي الاشعار التي قبل الاسلام والقرآن نفسه لا يخلو من بعض الفاظ اصلها فارسي وذلك لان الصلات بين الفرس والعرب كانت قديمة مستحكمة فاخذت العربية عن اللغة المجاورة لها بعض الالفاظ . فمن الفاظ القرآن الغير العربية في العربية اريق وسجيل . واقبست اللغة الآرامية اللغة العربية بعض الفاظها ايضاً فان اتحاد اصول هاتين اللغتين والمناسبة القوية في تركيبهما قد جعلت الاخذ منها سهلاً للغاية . وكذلك الحال في اللغة العبرية فقد اقتبست العربية بعض الالفاظ واكثرها ديني فيها « جهنم » و « ملك » واتست اللغة الرومية منذ عهد بعيد بعض الالفاظ للغتين العربية والفارسية مثل سجل وسندس وانتقلت هذه الى العربية ووردت في القرآن عن طريق الفارسية

ولقد نشأت في فارس لغة صناعية واعني بها البهلوية واستعملت الحط السامي واستعاضت عن المفردات الايرانية بما يقوم مقامها من المفردات الآرامية وتصريفها يجمع بين تصريف اللغتين ولكن اللهجة الشائعة من هذه اللغة بقيت غير متأثرة كثيراً بالنفوذ الغريب الى زمن الفتح العربي . ولا حاجة الى ذكر ما اصاب اللغة الايرانية من التبدل بالفتح فقد سرت الى انة الجمهور الفاظ كثيرة دينية وهاية . واشتمت فارس في كتابتها على الخط العربي .

اما الاثر كفاذا ما هم لم يبقوا الفاظاً كثيرة من جيرانهم قبل ان يدينوا بالاسلام هذا اذا استثنينا منهم المغول . وربما اخذوا قديماً بعض الالفاظ من الصين وفارس حتى اذا اتحلوا الاسلام كثرت في لغتهم الكلمات العربية والفارسية . ونرى العربية الى عهد

ظهور الاسلام قد تلبس من الفارسية والسامية والآرامية خصوصاً واليونانية ودام هذا الاقتباس وارتقى ارتقاءً ظاهرًا على عهد خلفاء الأمويين والعباسيين . وظلت اللغات الفارسية والسريانية والرومية بحسب الاقطار لغات الادارة في المملكة العربية ولا عجب من ثم ان ادخلت الى لغات الفاتحين عددًا كبيراً من الالفاظ العلمية . وكان من درس فلاسفة يونان ورياضيهم وكيمائيهم وطبيعيهم ان سرت الى العربية من اليونانية اصطلاحات علمية

وفي الحروب الصليبية دخلت الى اللغة العربية الفاظ مختلفة اقتبسها من لغات الشعوب التي اختلط بهم المسلمون ولكن ما اخذته هو من الافيض محدود محدود ولم تدخل على اللغة العربية الالفاظ الغربية الا في القرون الحديثة الموافقة لارتقاء العثمانيين في آسيا واوربا . اما تأثير اللغات الاوربية في العربية فلم يكديشعر به الى الدور الاخير وهو اقل من ذلك في الفارسية بالنظر لبعدها الجغرافي .

ومن اراد الآن ان يبحث في تأثير كل لغة اوروبية في اللغات الاسلامية منذ زمن النهضة فليقرر ما يأتي : ان اثر اللغة الافرنسية كبير جداً وقد ناق غيره في جميع العالم الاسلامي في البحر المتوسط وآسيا السالفة ولكن اثرها بالنسبة لغيره حديث العهد وكانت البواعث اليها ^١ الاصلاحات التي جرت في البلاد العثمانية على عهد السلطان محمود ^٢ تنظيم محمد علي لمصر على نحو ذلك العهد ايضاً و ما تركه الفرنسيين من الفاظهم فيها بعد حملتهم على مصر سنة ١٧٩٩ ^٣ فتح الجزائر ^٤ الصلات التي نشأت بين فرنسا وفارس وقد بدئ بها في اوائل القرن التاسع عشر الى ابدي بعثة جوبر وازامد غاردان ثم اعيدت بعيد حين ^٥ شدة ميل المسلمين في البلاد العثمانية ولا سيما في فارس لتعلم الآداب الفرنسية والانطباع بالافكار الفرنسية

وانت ترى بهذا ان نفوذ فرنسا في الشرق غير بعيد العهد لا يتجاوز القرن الواحد وهو قوي للغاية على الرغم من تقلص ظل سياستها من البلاد العثمانية مدة من الزمن وعلى تدخل انكلترا في مصر وقلة علاقتها مع فارس فتأييد نفوذنا ابدأ في تلك البلاد التي لم يبق فيها اولئك الشعوب الذين هم أكثر منا مضاء في الامور السياسية والاقتصادية شيئاً من لغاتهم الا القليل الذي لا يوبه له ولا ننسو ان تأثير اللغة الفرنسية قد استحكم في اللغات التركية في روسيا ولكن لا مباشرة بل دخلها الفاظ من الافرنسية بواسطة اللغة الروسية او اللغة التركية العثمانية

اما تأثير اللغة الانكليزية وضعيف وهو مقصور على الصحافة العربية في مصر والصحافة الفارسية في الهند (يقطع النظر عن اللغة الهندستانية وسائر لغات الهند الوطنية) التي تعتمد كل حين الى استعمال كمية من الالفاظ الفرنسية وليس للانكليزية في فارس غير اثر ضئيل جداً ولا اثر لها في التركية الا ما كان من بعض التعبيرات العلمية والبحرية واكثرها في السباق وانواع الارتياض .

وبعد ذلك فان تأثير اللغة الايطالية قديم ثابت باق فهو يرد الى ائمن الذي كانت فيه البندقية دولة بحرية قوية في البحر المتوسط وما زالت اللغة التركية العثمانية منذ ذلك العهد تأخذ عن اللغة الايطالية جملة من الالفاظ لا الملحي منها فقط (مثل الفاظ الملاحة والتجارة والصناعة وغيرها) بل الفاظاً شائعة في الاستعمال وكان للغة العثمانية ان تكتفي بما عندها من مقابل لها مثل لفظة « فامليا » التي تعجلى فيها الالهجة البندقية كل التعجلى وكذلك كان من اللغة الصقلية ان شغلت مكاناً معها على نحو ما رأيناها آنفاً في ان جزءاً من المفردات المألوية مأخوذ منها . ودخل على اللغة في تونس كثير من الالفاظ الايطالية وقد لاحظ احد العارفين ان هذه الالفاظ لا تستعمل الا في الكلام الدارج اما اللغة المكتوبة فتتقح للغة ولذا لا تستعملها . وفي مصر ترى بعض الالفاظ الايطالية والظاهر ان بعضها سرت اليها بواسطة اللغة التركية مثل كلمة سيفورتا (الضمان او التأمين)

واللغة اليونانية الحديثة ادخلت كالايطالية على اللغة التركية العثمانية الفاظاً كثيرة فان ما وصل اليها من النصوص القديمة يبين ان تاريخ الصلة بينها يرد الى ما قبل القرن الخامس عشر ولفظة « انندي » العربية التي ذكر المسيو جان بسشاري تاريخها وما تغلب عليها من التبدل الغريب في الصورة والمعنى هي من جملة تلك الالفاظ

وفي لغة عرب المغرب جملة من الالفاظ ومنها ما هو من اصل اسباني وهي مؤلفة الاستعمال في مراکش فقد كان للبرتغاليين اثر كبير في هذه البلاد فكيف يتأتى ان لا يتركوا فيها شيئاً من لغتهم واذ كانت المناسبة قوية بين الاسبانية والبرتغالية وكان سكان مراکش يحرفون ما يفتشونه عن الاوربيين من الالفاظ فمن الصعب ان يميز في هذه الاقتباسات ما سرى الى تلك اللغة من اللغة البرتغالية خاصة

ولقد كانت الالفاظ الالمانية التي سرت الى الشرق قليلة جداً وقال بعضهم ان لفظة غروش التركية مأخوذة من غروش الالمانية ولكن بعد البحث الدقيق في المعجم

العثماني تبين انه لم يسر الى التركية الا الفاظ جزئية من التعابير الجرمانية وهنا نتقل الى اللغات الصقلية (السلافية) فرى لغات البلقان قد نقلت الى التركية عدداً جزئياً من التعابير ومنها بعض الالفاظ العسكرية وهي من جملة الالفاظ القديمة في تنظيم الجيش العثماني . واللغة الروسية أكثر سرياناً ولكنها مقصورة على اللغات التتارية في القرم وقارن وقافقاسيا وآسيا الوسطى فهي لم تعد تلك تخوم الالفاظ الروسية في البلاد العثمانية الايرانية نادرة للغاية . ويجب ان لا يفوتنا ان ما اقتبسه المات التتارية او الروسية هي في الاغلب من اصل فرندي او الماني او ايطالي . وما ذكرناه فيما تقدم عن اللغات الصقلية البلقانية ينطبق ايضاً على اللغة الجرية ولكن اللغة الارناؤدية والارمنية وغيرهما من اللهجات التركية في البلاد التي يتكلم فيها بالتركية لم تؤثر الا قليلاً جداً بهذه اللغة .

وهنا تأتي على تأثير اللغة التركية في فارس حيث نحكم اليوم أسرة قاجار فنجد كثيراً من التعابير والمعاني المختلفة مأخوذة من التركية مثل الاعداد والقباب الشرف واسماء المناصب والمراتب . ومثل ذلك يقال عن اللغة العربية في مصر فلانها اخذت اسماء الرتب العسكرية التي دخلت الى البلاد التركية بعد الانكسارية ولم يدخل على اسماء الرتب من التعديل الا مالاغية عنه للتلفظ العربي . وترى في طرالمس الغرب الخاضعة للحكم العثماني جميع هذه الالفاظ سائرة بالاستعمال وتحدثنا عن اخرى تركية سائدة في تونس بل وفي الجزائر حيث ابقت الحكومة الفرنسية رسمياً على بعض الالاب التي اخترعها العثمانيون مثل اغا وباش عدل وخوجه وحوايش وغيرها وما عدا لغة البربر التي سرت بعض الفاظها الى اللغة المغربية .

اما اللغة الهندستانية فلم يدخل منها الا بعض الالفاظ الواردة الى الفارسية اما اللغات الشرقية الاخرى فلا تعثر عليها بين الالفاظ العربية والفارسية والتركية الا نادراً جداً .

وها نحن نبدأ الآن بالكلام على كل واحدة من اللغات الاسلامية الثلاث فنستفتح بالعربية . فقد رأينا هذه اللغة قبل ولا سيما بعد ظهور الاسلام قد اخذت عن اللغات السامية كالعبرانية ولا سيما الارامية والفارسية واليونانية . وحمل الصليبيون الى العربية بعض الالفاظ الجديدة خلافاً لما يعتقد بعضهم ويظفر بهذه الالفاظ في كلام المؤرخين ولكنها لم تسر الى اللغة المحكية ولا الى اللغة المكتوبة فمن الامثلة الغريبة

استعمال لفظة « ترم » بمعنى المدفوع وجمعهم له عَلَى تروم كما في تاريخ ابن شامة ولكنه من الصعب ان ترى هذه اللفظة في كلام آخر . واخذت العربية من الافرنج بعض الالقاب النصرانية ، مدينة كانت او دينية مثل قومس (كونت) وكاغيكوس او كاتونيكوس (بطريرك) وبعض التعابير الجربية واللغة المالطية التي هي اسان شعب خاضع للحكم المسيحي ومتدين بدينه قد اقتبست بالطبع من اللغات الغربية اموراً كثيرة

ولم يبدأ دخول الالفاظ الاجنبية ولا سيما الافرنسية عَلَى العربية الا في اوائل القرن التاسع عشر دخلت بكثرة حتى ان القائلين بتطهير اللغة من الدخيل قد دهشوا لها . ثم ان دخول تعابير افرنسية كثيرة الى اللغة الرسمية اي التركية في سورية ومصر قد نشأ منه اثر في اللغة الوطنية وازدياد صلوات الشرق مع امم الغرب ودخول الافكار الفرنسية وتأييد الحكم الفرنسي عَلَى الجزائر وتونس ولا سيما انشاء صحافة عربية حذا فيها اهلها حذو الصحافة الالوية كل ذلك مما دعا الى تحول اللغة

وذلك ان الصحافة هي التي احدثت اللغة العربية الحديثة في الجلة وهي تختلف عن لغة القرآن كما تختلف لغة الرومانيك عن اللغة الرومية القديمة هكذا قال السيوطي واشنطون سويس الملحق بفتاوات البليحيك في بيروت منذ ثلاث عشرة سنة في مقدمة كتاب مهم للغاية وضعه في وصف هذه اللغة الحديثة وعلى ما فيه من الاغلاط والنقص القليل فان هذا الكتاب الذي لم يؤلف عَلَى مثاله قد نفع وينفع كثيراً وهو عبارة عن مقدمة عرض فيها المؤلف هذه المسألة عَلَى وجه جلي مفصل مشفوعاً بقائمة للصحف التي كانت تنشر اذ ذاك مع تاريخ انائها وهي قائمة ثمانية وان كانت فهارس الرجوع اليها مختصرة وبعض الانموذجات من كلامها تأليفاً كانت او ترجمة فأني فيه اولاً عَلَى الجرائد ثم عَلَى المواد الرسمية ثم عَلَى معجم لغوي مفيد وهو وحده يفسر الكلمات المولدة

ومن رأي المؤلف ان اللغة الحديثة قد نمت في غضون خمسين سنة بسرعة هائلة وهذا النشوء يظهر خاصة من نشوء العربية المحكية او المكتوبة قبل ظهور الجرائد فقد كانوا يكتبون بان يأخذوا عن اللغات الاجنبية بعض المفردات الدخيلة اللازمة لهم من دون ان يعدلوا صورتها التمدل اللازم لها في الظاهر . (للبحث صلة)

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

ليعلم ان من المسائل الجديرة بالعناية وبذل الجهد للوقوف على ما قيل فيها وكتب عنها (مسألة الجن) فقد تنوعت في شأنها المشارب وتعددت في مباحثها المذاهب وكان الاعراب معها في الجاهلية مخاييل ولها في كل عصر نعمات جديدة وعجائب ولاغره. فعي من اقدم المسائل وارسخها في الاذهان اذ دار اسمها على كل لسان وورد ذكرها في جماع النحل والاديان

ان مسألة كسالة الجن ابست مما تدرك بالغة او يشار اليها بلحظة حتى لا يرفع لها الحشوي رأساً ولا يقيم لها الجامد وزناً فوضعت شواردها وقيدت اوابدها وانتظمت فرائدها لتدثر على الجم من اللطائف انفاثة والموادر الرائقة مما يملك السمع والبصر اعجاباً ويرتفع عن القلب للاصغاء حجاباً

كل مسألة لا يتناولها الفهم في بداية النظر ولا يصل اليها الا باستعانة من درس امرها وسبر ولا بد من بحث عنها وتنقيب واستقراء وتنقيب لاسيما ان تلك ذات شعوب واطراف وفروع واوصاف لاجزم ينبغي استقراؤها وتعرفها واستجلاؤها اكتشافاً لما خبأه كوز الحقيقة ووقوفاً على كل جليلة - دررها ودقيقة

أكثر من ألف في العلم الانهي اوما وراء المادة تكلم في (الجن) فموجز ومسهب ومقارب ومغرب والواقف على ما كتبه فلاسفة الاسلام يراه قريباً مما نجاه علماء اهل الكتاب في شأنها اللهم الا في خيالات شط بها البحث فبعدت عن التصد شأن كل شيء جاوز حده

من استقرأ ما كتب وبذل جهده في التنقيب يمر به من علوم الاوائل ما يفتني عن زهر الرياض حسنه وعن فتيق المسك نشره فن تأمله ازداد حرصاً على تأمله ونصفه مستعيذاً ما يستحليه من فوائده

الطريقة المثلى والخطوة الوسطى هي اخذ المهم وايقار الاجود من كل شيء وهذا ما توخيه في هذه المسألة مما طالعه والافقه علم السلف مما بدعش الخلف فليس لنا الا المختار من آرائهم والمنتقى من انبائهم والله ابن المقفع اذ يقول «فتنمى عالمنا علم سيف هذا الزمان — زمانه رحمه الله — ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم واحسن ما يصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم»

ان استقصاء ما للتقدماء في (مسألة الجن) واستقراءه كله يعوز الى عدة مجلدات وسعة اوقات والحاجيات كثيرة والمطالب وفيرة لذا آثرنا جمع شذرات تكشف عن وجهها نقابها وتجلي مدنف عيوبها لطلابها

ينحصر ما تأثره في هذه المسألة في مقدمة ومقصدتين وخاتمة
اما (المقدمة) فتعكفي فيها اماناله فلاسفة اللغة في شرح المراد من الجن واشتقاقه وعمومه وخصوصه وحقيقته وبجازه

واما (المقصد الاول) ففي مذاهب الاعراب ومزاعمهم في الجن وقد حوى احد وعشرين مجيئا (١) من ادعى من الاعراب والشعراء انهم يسمعون عزيف الجان وبيرون الفيضان وما يشبهونه بالجن والشياطين وباعضائهم واعمالهم

(ب) اضافتهم مبابي تدمر وامانالها الى الجن

(ج) تفرقتهم بين مواضع الجن

(د) تنزيلهم الجن في مراتب

(هـ) زعمهم ان الغول من انثى الجن وكذلك السملاة

(و) زعمهم انهم يظهرون لم وبكلوتهم ويتأخونهم

(ز) مزاعمهم في الهاتف والناقل والرئي

(ح) ماروى من هتوفهم بالبعثة المحمدية

(ط) مزاعمهم في اوصافهم ومن قتلوه

(ي) من استهوه ومنهم خرافة

(يا) توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان

(يب) مزاعمهم في ارض وبار وبلاد الحوش

(يج) مزاعمهم في الصرع

(يد) مزاعمهم في الطاعون

(يه) ما يزعمونه في قتلهم وتصورهم

(يو) رأيهم في قرناء الشعراء النحول

(يز) خيالهم في جن الشام والهند

(يج) نومهم ملايح الجن في الانس

(بط) قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان

(ك) ما يحكوه من نيران السعالى والجن

(كا) فلسفة ماتزعهم الاعراب من عنزف الجن وتقول الغيلان

(واما المقصد الثاني) ففي آراء فلاسفة الاسلام في الجن (ا) ابن سينا (ب) أبو

طالب المكي (ج) الغزالي (د) ابن حزم (هـ) الفخر الرازي (و) القاشاني (ز)

المالوردي (ح) القاضي أبو يعلى ابن الفراء (ط) ابن تيمية (ي) ابن القيم (يا) الاستاذ

الامام الشيخ محمد عبده انما تأثرت مذاهب الاعراب بما أثير عن الائمة في هذه المسألة

انتقالا الى الجد في مباحثها اذ المقصد الاول اشبه بالجمام والمشرع لما شاب جده من

مخاريق ومخايل وختمت البحث بمقترقات من شوارد هذه المسألة نتمها لقوائده وتأييداً

لمقاصده

ليس لنا من مزية فيما أثراه الا انتقاء المهم مما طالعناه وترتيبه على هذا الاسلوب .

نسأله تعالى ان يمن علينا بتنوير القلوب ويدخلنا في عبادته الذين يؤمنون بالغيوب

المقدمة

فيما قاله فلاسفة الائمة في الجن

قال الراغب الاصبهاني في مفرداته في مادة جن : اصل الجن ستر الشيء عن الحاسة

يقال عنه الليل واجنه والجنان القلب لكونه مستوراً عن الحاسة والجنة كل بشان يستر

بأشجاره الارض (ثم قال) : والجن يقال على الروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء

الانس وسيأتي تمة كلامه

وقال الزمخشري في اساس البلاغة : جنة ستره فاجتن واستجن بجنة استتر بها واجتن

الولد في البطن واجنته الحامل وواراه جنان الليل اي ظلمته وفلان ضعيف الجنان وهو

القلب وجنت الارض بالنبات ولاجن بكذا اي لاختفائه به قال سويد :

« ولاجن بالبغضاء والنظر الشرز »

ونقل الامام ابن جرير في سورة البقرة في تفسير آية « واذ قلنا للملائكة اسجدوا

لآدم فسجدوا الا ابليس » ان استثناءه من الملائكة يدل على انه منهم وعن ابن اسحق

ان العرب يقولون : ما الجن الا كل من اجتن فلم يروا ان آية « الا ابليس كان من الجن »

اي كان من الملائكة وذلك ان الملائكة اجتنوا فلم يروا وان آية « وجعلوا بينه وبين

الجنة نسباً » اشارة لقول قريش ان الملائكة بنات الله (قال) وقد قال الاعشي — اعشى

بني قيس بن ثعلبة البكري وهو يذكر سليمان بن داود وما اعطاه الله
ولو كان شيء خالداً ومهما
لكان سليمان البري من الدهر
براه الهي فاصطفاه عباده
وملكه ما بين ثريا الى مصر
وسحر من جن الملائكة تسعة
قياما لديه بعملون بلا اجر
(قال) فابت العرب في لغتها الا ان الجن كل ما اجتن يقول : ما سمي الله الجن الا
انهم اجتنوا فلم يروا وما سمي بني آدم انسا الا انهم ظهروا فلم يجتنوا فما ظهر فهو انس وا
اجتن فلم يرفو جن

ثم قال ابن جرير : وما اخبر الله عنه انه من الجن فغير مدفوع ان يسمى ما اجتن من
الاشياء عن الابصار كلها جنّا كما قد ذكرنا قبل في شعر الاعشى فيكون ابليس والملائكة
منهم لاجتنائهم عن ابصار بني آدم :

وقال الراغب الاصبهاني في مفرداته : الجن يقال على وجهين (احدهما) للروحانيين
المتترة عن الحواس كلها بازاء الانس فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل
ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعلى هذا قال ابو صالح : الملائكة كلها جن وقيل
بل الجن بعض الروحانيين وذلك ان الروحانيين ثلاثة (اخيار) وهم الملائكة (واشرار)
وهو الشياطين (واوساط) فيهم اخيار واشرار وهم الجن ويدل على ذلك قوله تعالى
« قل اوحى الي » الى قوله عز وجل « وانا من المسلمين ومنا القاسطون »

✽ من ادعى من الاعراب والشعراء انهم يرون الغيلان ^(١) ويسمعون

عزيز الجن وما يشبهونه بالجن والشياطين وباعضاءهم واعمالهم ✽
انشد أعرابي :

كأنه لما تدانى مقربه ^(٢) وانقطعت اودامه ^(٣) وكربه ^(٤)

وجأت الخيل جميعا تذنبه ^(٥) شيطان جن في هواء يرقبه

اذنب فانقض عليه كوكبه

« ١ » جمع غول وهو شيطان يأكل الناس — بزعمهم — اودابه رأيتها العرب
(قاموس) « ٢ » مصدر ميمي أي قربه « ٣ » جمع وذم كسبب واسباب وهو سير يشد
في الدنق « ٤ » بفتح ثين حبل يشد في الوسط « ٥ » ذنبه يذنبه ويذنبه تلاه فلم يفارق
اثره كاستذنبه

دوبة^(١) ودجى ليل سكانهما^(٢) ثم تراطن^(٣) في حافاته الروم وقال :

وكم عرست بعد السرى من معرس^(٤) بها من صداء الجن اصوات سامر وقال :

كم جبت دونك من بهماء مظلمة^(٥) تيه^(٦) اذا مامنى جبه سمرا وقال :

ورمل لعزف الجن في عقداته^(٧) هرير كضراب المغنين بالطلبل وقال :

وتيه خبطنا غولها وارتمى^(٨) بنا ابو البعد من ارجائه المتطاوح^(٩) فلاة لصوت الجن في منكراتها^(١٠) هرير وللابوام فيها نواجح واول اغتمامي في الدجى كمارعت^(١١) من الليل اصداء المثاني الصوايح ويقولون لمن به لقوة^(١٢) اشتر^(١٣) اذا شب^(١٤) بالطيم الشيطان ويقولون للرجل المفرط الطول ياغلل النمامة^(١٥) وللتكبر الضخم ياغلل الشيطان

وكان عمر بن عبد العزيز اول من نهى الناس عن حمل الصبيان على ظهور الخيل يوم الحلبة وقال : يحملون الصبيان على الجنان وانشد في تشبيه الانس بالجن لابي الجويرية العبدي :

انس اذا امنوا جن اذا نزعوا^(١٦) مرزؤن^(١٧) بهاليل اذا حشدوا وانشدوا :

وقات والله لترحلنا^(١٨) قلائصا تحسبن رجنا

وقال ابن الزوائد :

بحور خفض لمن الم بهم^(١٩) جن بارماحم اذا خطرنا

وانشدوا :

اني امرؤ تابعي شيطانيه^(٢٠) آخيته عمري وقد آخانيه

(١) الدوبة الغفلة (٢) اليم البحر (٣) تكلم بالاعجمية (٤) امرس القوم نزلوا آخر الليل للاستراحة كهرسوا والموضع معرس ومعرس والسرى كهدي سيرة عامة الليل (٥) ارض تيه مضلة (٦) ارتقى به الفاء (٧) تطاوت به النوى ترامت (٨) دالة في الوجه (٩) الشتر انقلاب الجفن من الى واسفل وانشقاقه (١٠) هذا كقول الآخر من المولدين في الترك قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وان قوتلوا كانوا غفار بيا

يشرب في قعبي^(١) وقد سقانيه فالحمد لله الذي اعطانيه
وقال عبيد بن اوس الطائي :

هل جاء اوساً ليأتي ونعيمها ومقام اوس في الخباء المشرح^(٢)
مازلت املوي الجن اسمع حسهم حتى دفعت الي راق المروج
وانشد آخر :

ذهبت وعدتم بالامير وقتلتم تركنا احاديثا ولما موضعا
فما زادني الا سناء ورفعة ولا زادكم في النوم الا تحشعا
فما نقرت جني ولا قل مبردي^(٣) وما أصبحت طيري من الخوف وقعا^(٤)
واشعارهم في هذا المعنى تقوت الحصر

✽ اضافتهم مباني تدمر وامثالها الى الجن ✽

قال النابغة الذبياني :

الآ سليمان اذ قال الآله له قم في البرية فاحددما^(٥) عن الفند^(٦)
وخيس الجن^(٧) اني قد اذنت لم يذنب تدمر بالصفا^(٨) والعمد
قال الجاحظ : واهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام بها كثير
مما بيننا اليوم وبين سليمان بن داود عليهما السلام « قالوا » ولكنكم اذا رأيتم بنيانا عجيبا
وجهلتم موضع الحيلة فيه اضغتموه الى الجن ولم تمانوه بالفكر . وقال العرجي :
سدت مسامعها اقترع مراحل من نسج جن مثله لا يسج
وقال الاصمعي الديوف الماثورة هي التي يقال انها من عمل الجن لسليمان بن داود
عليهما السلام فاما القوارير والحمامات فذلك مالا شك فيه . وقال البعيث :
بني زياد لذكر الله ممتعة من الحجارة لم تعمل من الطين
كانهم اغيران الانس ترفعها مما بنت لسليمان الشياطين
وقال الاعشى في بناء الشياطين لسليمان :

(١) اي قدحي (٢) اي المشدود بالشرح وهو العري (٣) الفل الثلم (٤) الطير اذا
كانت على شجر او ارض يقال لها وقوع ووقع (٥) اي امنعها (٦) اي الكذب (٧) اي
ذلها (٨) كرمان حجارة عراض رقائق والعمد جمع عماد

أرى عاديا لم يمنع الموت ربه ^(١) وورد بتياء اليهودي ابلق ^(٢)
بناء سليمان بن داود حقبة ^(٣) له جندل ^(٤) صم وطبي موثق ^(٥)

✽ تفرقتهم بين مواضع الجن ✽

قال الجاحظ : كما يقولون تنفذ بركة ^(٦) وضب بها ^(٧) وارنب الخلعة ^(٨) وذئب خمر ^(٩)
يفرقون بينها وبين ما ينسب لذلك اما في السمن واما في الخبث واما في القوة كذلك
ايضا يفرقون بين مواضع الجن فاذا نسبوا الشكل منها الى موضع معروف فقد خدوه من
الخبث والقوة والعرامة ^(١٠) بما ليس لجللتهم وجهورهم قال ليبد :

غلب ^(١١) تشذر ^(١٢) بالدحول كأنها جن البدي ^(١٣) رواسيا اقدمها
وقال النابغة :

سهيكن ^(١٤) من صد الحديده كأنهم تحت النور ^(١٥) جنة البقار ^(١٦)
وقال زهير :

عليهن فتيان كجنة عبقر ^(١٧) جديرون يوما ان ينيفوا فيشعلوا
وقال حاتم :

عليهن فتيان كجنة عبقر يهزون بالايدي الوشيح المقوما ^(١٨)

(١) الابلق الفرد حصن للسموأل بن عاديا بناه ابوه او سليمان بارض تيماء وقصدته
الزباء فعجزت عنه وعن مارذ فقالت : تمرذ مارذ وعز الابلق وتيماء قريبة معروفة على
نحو عشر ساعات من منزلة المعظم — احدى دنارل ومواقف السكة الحجازية — تابعة
لحكومة نجد (٢) الحقبة بالكسر مدة من الدهر لا وقت لها والسنة (٣) كجفر ما يقبله
الرجل من الحجارة (٤) اي محكم (٥) بضم فسكون احدى ديارات العرب (٦)
بفتح اوله مقصور الآخر منونا جمع سحاة وهي ناحية وشجرة شاككة (٧) الخلعة بالفتح
الثقبة الصغيرة والرملة المنفردة (٨) الخمر بفتح تين موارك من شجر وغيره وجبل بالذندس
كما في القاموس (٩) اي الشراسة والاذى «١٠» جمرا اب «١١» تشذر تهيكا للقتال
وتوعد وتهدد «١٢» بضم فكسر يقال قوم بدي وبدا بادون «١٣» السهك صمدا
الحديد «١٤» بفتح اوله وثانيه وتشديد ثالثه مفتوحا لبوس كالدرع «١٥» واد
وموضع برمل عاجل كثير الجن «قاموس» «١٦» موضع كثير الجن «قاموس» «١٧» اي
الريح واصل الوشيح شجر الريح

✽ تنزيلهم الجن في مراتب ✽

قال الجاحظ : ثم ينزلون الجن في مراتب فاذا ذكروا الجن سألنا قالوا جنى . فاذا ارادوا انه من سكن مع الناس قالوا عامر والجميع عمار . وان كان من يمرض للصبيان فهم ارواح فان خبت احدهم وتعرم فهو شيطان . فان زاد الى ذلك في القوة فهو عفريت والجمع عفاريت . وهم في الجملة جن ووافي قال الشاعر

ولا يحس سوى الخافي بها أثر

فاذا ظهر الجني ونطق رانقي وصار خيراً كله فهو ملك في قول من تأول قوله « كان من الجن ففسق عن امر ربه » على ان الجن في هذا الموضع الملائكة وقال آخرون : كان منهم على الاضافة الى الدار والديانة لآل على انه كان من جنسهم وانما ذلك بكى قولهم : سليمان بن يزيد العدوي وسليمان بن طوحان النيمي وابو علي العبدري وعمرو بن قائد الاسواري : اضافوهم الى المحال وتركوا أنسابهم في الحقيقة :

وقال آخرون : كل مستجن فهو جني وجان وجنين وكذلك الولد في البطن قيل له جنين لكونه في البطن واستجنانه وقيل لميت الذي في الذبر جنين وقال عمرو بن كلثوم ولا شمطاء ^(١) لم تدع النايها لها من تسعة الاجئينا

يخبر انه قد دفنتهم كلهم « قالوا » وكذلك الملائكة من الحفظلة والحملة والكر وبين ^(٢) فلا يد من طبقات ، وربما فرق بينهم بالاعمال واشتق لهم الاسماء من السبب كما قالوا لواحد من الانبياء خليل الله وقالوا لآخر كليم الله وقالوا لآخر روح الله . والعرب تنزل الشجعان في المراتب والاسم العام شجاع ثم بهمة ^(٣) اليس ها قول ابي عبيدة فاما قولهم : شيطان الحماة ^(٤) فانهم يذنون الحية وانشد الاصمعي

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعج شيطان بذوي خروع ^(٥) ففر

وقد يسمون الكبر والطغيان والخزوانية ^(٦) والغضب الشديد شيطاما على التشبيه . قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : والله لا تزعن نعرته ^(٧) ولا ضربته حتى انزع

« ١ » السمط بياض الرأس يحاط سواده « ٢ » بتخفيف الراء في القاموس هم سادة الملائكة « ٣ » بضم فسكون قال في القاموس هو الشجاع الذي لا يهتدى من اين يوثق « ٤ » بفتح الحاء ثبتر شبيهه بالذين احب شجر الى الحيات « ٥ » كدرهم نبت لا يرعى « ٦ » بضم الخاء هو الكبير « ٧ » بالهم اي خيشومه

شيطانه من نحرته ^(١) وقال حسان بن ثابت في معنى قوله والله لا ضربته حتى انزع من رأسه شيطانه فقتل

وداوية ^(٢) سبب سملق من اليد تعرف جناتها

قطعت بعيرانة ^(٣) كافنيق يرح في الآل شيطانها

وابين منه قول منظور بن رواحة

اتاني واهلي بالراح وغمرة مـب ^(٤) عربف اللوم حتى بني بدر

فلما اتاني ما تقول نقلت شياطين رأسي وانشين من الخمر

والاعراب تجعل الخوافي والمستجنات من قبل ان ترتب المراتب جنين تقول حن وجن بالجيم والحاء وانشدوا

ايث اهوى في شياطين ترن مختلف بخارها حن وجن

ويجملون الحن فوق الجن وقال اعشى سليم

فما انا من جن اذا كنت خافيا ولست من النسناس في عصر البشر

ذهب الى قول من قال البشر ناس ونسناس والخوافي حن وجن ويقول انا من اكرم الحيين حيث ما كانت

وضعة النساك واغبياء العباد يزعمون ان لهم خاصة شيطانا قد وكل بهم يقال له المذهب يسرج لهم النيران ويضيء لهم الظلمة ليفتنهم وايربهم العجب اذا ظنوا ان ذلك من قبل الله تعالى

(قال) واما الخابل والخبيل فاما ذلك اسم للجن الذين يخبلون ويتعرضون ممن ليس عنده الا العزيب والنوح وفصل ايضا بينهم فقال

اعاذل لو كان البداد ^(٥) لقوتلوا ولكن اتانا كل جن وخابل

﴿ زعمهم ان الغول من اثني الجن وكذلك السملاة ﴾

قال الجاحظ: «قالوا» اذا تعرضت الجنية وتلونت وعيثت فهي شيطانة ثم غول. وربما جعلوا الغول اسما لكل شيء من الجن يعرض للسفار ويثلون في ضروب الصور والثيراب

«١» اي اعلى صدره «٢» الداوية الفلاة والسبسب الارض البعيدة المستوية والسملق

القاع الصفصف «٣» العيرانة بانفتح من الابل الناجية في نشاط. والفنيق الفعل المكرم.

والآل السراب «٤» بكسر ففتح كثير السباب «٥» اي البراز اي لوبار زناهم رجل رجل لهابوا بفتح الباء

ذكر آكان او انثى الا ان الاكثر على انه انثى وقد قال ابر المضراب عبيد بن ايوب
المنبري

وحالفت الوحش وحالفتني بقرب عم ودهن وبالبعاد
وامسى الذئب يرصدني محشاً^(١) خلفه ذريتي ولضعف آدي
وغولاً بقره ذكر وانثى كأن عليها قطع الجراد

فجعل في الغيلان الذكر والانثى وقد قال الشاعر في تلونها

وما تزال على حال تكون بها كما تلون في اثوابها الغول

فالغول ما كان كذلك . (والسعلة) اسم لواحدة من نساء الجن تغول لتفتن السفار
« قالوا » وانما هذا ما على العيث او لها بان تفرع انسانا فيتغير عقله من اجله عند
ذلك لانهم لم يسلطوا على الصحيح العقل ولو كان ذلك لبدوا بعلي بن ابي طالب وحمزة
ابن عبد المطلب وابي بكر وعمر في زمانها وبغيلان والحسن في دهرهما وبراصل وعمر
في ايامها وقد فرق بن الغول والسعلة عبيد بن ايوب حيث يقول

وساخرة مني ولو ان عينها رأت ما لأقيه من الهول جنت

ازل وسعلة وغول بقره اذ الليل وارى الجن فيه ارن^(٢)

وهم اذا رأوا الفتاة حديدة الطرف والدمع سريعة الحركة مشوقة محضة
قالوا سعلة وقال الاعشى :

ورجال قتلى بجني اريك^(٣) ونساء كأنهن السعالى

ويقولون تزوج عمرو بن يربوع السعلة وقال الواحز :

ياقاتل الله بني السعلة

وفي تلون السعلة يقول عباس بن مراد السلي :

اصابت القوم غزل جل قومهم وسط البيوت ولون الغول الوان

وقال عبيد بن ايوب وكان جوالاً في مجهول الارض لما اشتد خوفه وطال تردده

وابعد في الحرب

لقد خفت حتى لو تمر حمامة لقات عدو او طابعة معشر

فان قيل امن قلت هذي خديمة وان قيل خوف ذات حتا فشمير

وخفت خليلي ذا الصفاء ورابي وقيل فلان او فلانة فاحذر

« ١ » يقال هو محش حرب بالكسر اي موقد لها « ٢ » اي صاحت « ٣ » كامير واد

فلاسه در الغول ايه رفينه
أرنت بالحن بد الحن واوقدت
لصاحب قفر خائف متفر
حوالي نيرانا تلوح وتزه
واصبحت كلو حشي يتبع ما خلا
ويطلب مأنوس البلاد المبعثر
ومما ذكر الغيلان قوله :

تقوا وقد امت بالانس لمة
اهذا خليل الغول ولذئب والذبي
عني الجذب بساماً كريم الشمال
واطعامهم في كل غبراء^(٢) شامل
وما قال في هذا المعنى :

علام ترى الى تعذب بالمني
وصار خليل الغول بعد مدارة
اخافرات كان بالذئب يأنس
صفا وربه القنار البسباس^(٣)
وقال في هذا المعنى :

فلولا رجال يانع رأيهم
اناكم مني نكال وغارة
لم خلى عند الجوار حميد
لها ذنب لم تدركوه بعيد
على من يثير الجن وهي هجود
اتلوا الاحسان حتى اغرتم
وتزعم الاعراب ان النول اذا ضربت ضربة ماتت الا ان يعيد عليه الضارب قبل
ان تقضي ضربة اخرى فانه ان نعل ذاك لم تمت وتداول شاعرهم :
فثيت والمقدار يحرس اهله
فليت يميني قبل ذلك شات
وانشدوا لابي البلاد الطهوي :

لها ن علي جهينة ما الاقي
لقت الغول تسري في ظلام
من الروعات يوم رحا بطان^(٤)
بسهم كالعباية صحصاح^(٥)
فقلت لها كلانا نضو^(٦) ارض
اخو سفر فصدي عن مكاني
فمعدت وانحيت لها بعضب
حسام غير مؤتب^(٧) يماي

(١) الادراس جمع در بس وهو الثوب الخلق (٢) الغبراء من السنين الجدة (٣) جمع بسبس كبسب او هو منلوبه وهو الزفر الخالي «٤» بكسر الواحدة موضع «٥» الارض المشوية الجرداء «٦» المنصر بالكسر حديدة الحجام الهزول من الابل «٧» بفتح الهمزة اي معاب

فقدت سراتها^(١) والبرد رها فخرت للدين وللجرات
فقلت زد فقلت رويد اني تملئ امثالها ثبت الجنان
شدت عقالها وحطت عنها لاظر غدوة ماذا دهاني
اذا عيان في وجه قبيح كوجه الهر مشقوق اللسان
ورجلا مخدج^(٢) ولسان كلب وجلد من قراب او شنان
قال الجاحظ : و ابو البلاد الطهوي هذا كان من شياطين الاعراب وهو كما ترى
يكذب وهو يعلم ويظلم الكذب ويميزه وقد قال كما ترى :
فقلت زد فقلت رويد اني تملئ امثالها ثبت الجنان
لانهم هكذا يقولون يزعمون ان الغول تستزيد بعد الضربة الاولى لانها تموت من
ضربة وتعيش من الثانية ضربة

﴿ زعمهم انهم يظهرون لهم ويكلمونهم وينا كحونهم ﴾
قال الجاحظ : ومن قول الاعراب انهم يظهرون لهم ويكلمونهم وينا كحونهم ولذلك
قال شمر بن الحارث الضبي :

ونار قد حضأت^(٣) بعيد^(٤) وهن بدار لأأريد بها مقاما
سوء تجليل راحة وعين اكالها مخافة ان تناما
أتوا نار ي فقلت منوت انتم فقالوا الجن قت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نخسد الانس الطعاما
وذكر ابو زيد عنهم ان رجلا منهم تزوج السعلاة وانما كانت عنده زمانا وولدت
منه حتى رأت ذات ليلة برقاً علي بلاد السعلاة فطارت اليهن فقال
رأى برقاً فأوضع^(٥) فوق بكر فلا ياً ما أسال وما اعاما
فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب « عندهم » بنو السعلاة من بني عمرو
ابن يربوع وبلقيس ملكة سبأ
وتأولوا قول الشاعر :

« ١ » بفتح السين اي ظهرها « ٢ » بفتح الدال هو ولد الائمة ناقص الخلق « ٣ » حضأ
النار اوقدها « ٤ » تصغير بد « ٥ » اي اسرع فوق نافذة . واللائى الشدة والاسالة الجري
والاعامة مسير الابل

لاهم ان جرهما عبادكا الناس طرف (١) وهم تلاكوا
 فزعموا ان اباجرهم من الملائكة الذين كانوا اذا عصوا في السماء أنزلوا الى الارض كما
 قيل في هاروت وماروت فجعلوا سهيلا عشارا مسخ نجما وجعلوا الزهرة امرأة بغيا مسخت
 نجما وكان اسمها اناهيد . وتقول الهند في الكوكب الذي يسمى عطارد شبيها بهذا
 ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون الى انه اذا غزم على الشياطين
 والارواح والعمار اجابوه واطاعوه . فمنهم عبد الله بن هلال الحنبري . الذي كان
 يقال له صديق ابليس . ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي . وقد كان عبيد يقول
 ان العامري حريص على اجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح ان يكون هيكل لم
 يستطع دخوله والحيلة في ذلك ان ينخر باللبان الذكر ويراعي سير المشتري ويغتسل بالماء
 القراح ويدع الجماع واكل الزهومات ويتوحش في القيا في ويكثر دخول الخرابات
 حتى يرق ويلطف ويصير فيه مشابهة من الجن فان غزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودن
 لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه هيكل لها ومتى عاد خطبه فرما جن وربما مات قال فلو
 كنت ممن يصلح ان يكون لم هيكل لكنت فوق عبد الله بن هلال
 « قالت الاعراب » وربما نزلنا لجمع كثير ورأينا خياما وقبابا وناسا ثم فقدناهم من ساعتنا
 والعوام تروي ان ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلا من الزط فقال : هؤلاء
 اشبه من رأيت من الجن ليلة الجن . وقد روي عنه خلاف ذلك
 وقال ابو النجم * بحيث تسنن مع الجن الغول * فاخرج الجن من الغول الذي باتت
 به الجن . وهذا من عاداتهم ان يخرجوا الشيء من الجملة بعد ان دخل ذلك الشيء في
 الجملة فيظهر الامر خاص
 وفي بعض الرواية انهم كانوا يسمعون في الجاهلية من اجواف الاوثان همهمة وان
 خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخذته حتى عودته النبي
 صلى الله عليه وسلم « قال الامام الجاحظ رحمه الله تعالى » وهذه فتنة لم يكن الله تعالى
 ليتمحن بها الاعراب من العوام « قال » وما اشك انه كان للسدنة حيل والطاف لمكان
 التكسب . ولو سمعت اورأيت بعض ما قد اعدت الهند من هذه المخاريق في بيوت
 عباداتهم لعلمت ان الله تعالى قد من على جملة الناس بالمتكلمين الذين قد نشوا فيهم :
 يعني علماء الكلام وفلاسفة الدين عليهم رضوان الله

يتبع

حكم افرنجية

من لم يكن بكرم الشيوخه كان كمن يهدم في الصباح البيت الذي يجب عليه ان ينام فيه في المساء (كار)

لا يجب المرأة ان يحبه الناس الا لانه يجب نفسه وربما ليجعل له سبباً الى ان يجب أكثر مما يجب (ديدرو)

كلما اراد احمق ان يكون شقياً يصادف شقياً يبحث عن احمق آخر «بومارشيه»
المرء في حاجة الى غيره سعيداً كان او شقياً فعمره قصير اذا لم يعش الا بنفسه «دليل»
التقدم هو النقطة الكبرى ولم يصل اليه احد منا فكلنا اناس سائرون في الطريق «كاسباران»

ليس من الامور العظيمة ان يكون عقل المرء حاداً اذا لم يكن مستقيماً فليس كمال الساعة الدناقة بسرعة سيرها بل بانتظام ادواتها

يدفع العمل عنا ثلاث مفاسد: الملل والرهبة والحاجة .
توشك السلطة في البلاد المصابة بالجور ان تاتل الى ابدي المهدارين السانطين من الناس

افضل السلطات ما لم يشهر المرء بنقل وطأته
ما من جندي مهما كان الى الضعف والضعف الا ويحسب ناداً في نظر آخرين
افضل الاطباء من ركض في البحر عند زوبه فلم يجدوه .
الدار تغلي الماء والماء يطفي النار فلا تدفي ناكراً الجميل فانه يطفي شعلك
ينشف ريش البط في القرى وريش المقتاضين في المدن
حاذر من اظهار مكانتك لئلا يكثر معادوك
اني لاء وثران اخضع علي ان اعيش ابدآ في حذر وهو ابن الجبن وابو الداجاة
«بوسويه»

لو كنت اعلم شيئاً فاعاً لوطني مضرراً للجنس الانساني لابقبت عليه كما ابقى علي جريمة ارتكبتها «مونتسكيو»

اخرى الناس بالاستماع من يستعمل الكلام للتعبير عن افكر واغكر ايمان الحقيقة والفضيلة «فيلون»

غرائب الغرب

الطباعة الباريزية

المعنا مرات في الفصول السالفة الى تفنن الباريزيين في الامور الذوقية والطباعة من جملة فنون الذوق وان كانت تتوقف على علم وفضل تجربة . واجور الطبع هنا غالية لغلاء الاسعار واجور الدور والمنازل فالعامل الجيد لا يرزق اقل من نصف ليرة واقل عامل لا يرزق اقل من اربعة فرنكات في يومه . ولذلك ترى بعض ارباب المجلات وغيرهم من المؤلفين والطابعين يطبعون مجلاتهم وكتبهم في مطابع الولايات لرخص اجورها وجودة طبعها الذي لا يختلف عن المطابع الباريزية في شيء

ومن جملة المطابع العظمى التي زرتها مطبعة الامة اى مطبعة الحكومة التي أسسها لويز الثالث عشر سنة ١٦٤٠ ثم نقلت الى قصر الكردينال روهان من اجل القصور الباريزية القديمة المعروف بيت اساقفة ستراسبورغ . وقد أنشئت لها بناية هائلة في شارع الكنفانسيون لضيق هذا المكان على سعته البالغ سطحها عشرة آلاف متر مربع

تدخل من الباب فترى في فناء الدار تمثال غوتنبيرغ مخترع الطباعة والمتفضل على الانسانية معمولاً من البرونز فلا تتمالك من الدعاء له وذكر بيض اياديه على العالم ثم يأخذك الدليل في الوقت الذي تعينه لك من قبل ادارة المطبعة ويطوف بك قاعات مسابك الحروف وفيها حروف في ثمانين لغة واللغة العربية في مقدمة لغات الشرق رأبناهم في بعض الغرف كتبوا بيتاً من الشعر العربي ليرن الاستاذ العملة على تعلم هذه اللغة فيحسنوا تنضيد حروفها بفهم

(١) من كتاب لنا قمت الطبع

ثم طاف بنا الدليل قاعات التنضيد والتجليد والطبع والتي فرأينا كل شيء قد جعل في مكانه اللائق به والعمله والعاملات يعملون في مكان واحد كتحف إلى كتف وقد يتولى الأعمال الشاقة الرجال من دون النساء . وعدد العاملين والعاملات في المطبعة يناهز الالف والخمسمائة وفيها مايربوعلى ستين آلة طابعة على آخر طرز منها خمس آلات من المعروف بالروتاتيف وعلى مثلها تطبع جميع الجرائد الكبرى في الرب اليوم . وتتفق الحكومة على هذه المطبعة نحو خمسة ملايين فرنك مساهمة وفيها تطبع الجريدة الرسمية ومطبوعات الحكومة والنشرات ومناشيرها وفهارسها واوامر . فلا استعداد فيها تام لكل ما تتطلب الحكومة طبعه وايسر في وقتها متسع لطبع مطبوعات الافراد وناهيك بمطبعة حوت من الادوات ما يلزمها من سبك الحروف حتى التجديد وناهيك بكثرة اشغال حكومة الجمهور به التي تقع ميزانيتها وحدها في ثلاثة آلاف صفحة كبيرة يطالب طبعه اي وقت قصير وهذا لا يتيسر الا بمطبعة متقنة جداً .

ولهذه المطبعة معامل للتصوير الشمسي وطبع الصور والطبع المحفور المجوف والحفر على الخشب والحفر على النقش والحفر الناقى على النحاس والزنك والطبع الملون وطبع الحجر والتسفيح والطبع المنحس وغير ذلك من التفنن في الطباعة . وتسمح المطبعة باعادة الطابعين بعض الحروف الغريبة من اللغات الاجنبية ولا تطبع من الكتب الا ما كان بلغة غريبة لا يوجد من حروفها في كل مطبعة وذلك لمحض خدمة المعارف والفنون .

هذه جملة ما يقال في مطبعة الامة ونوجعت مطابع مصر كلها مادانتها بالمكانة وكذلك لو جمعت مطابع الاستانة واضفت اليها مطابع الولايات

العثمانية برمتها والمطبعة التي تنفق عليها الحكومة نحو اربعمائة وخمسين الف ليرة في السنة يستحيل على حكومة كاللحكومة العثمانية والمصرية ان تقوم بمثلها وهي لاتنفق على المعارف كلها نحو هذا القدر من المال او اكثر منه بقليل فتأمل



مدرسة فرنسا

من المعاهد التي استغرقت شطراً كبيراً من وقتي في اريزدروس مدرسة فرنسا (كوليج دي فرانس) السهلة التلقي فيها في كل علم يخطر في البال ولأن هذه المدرسة ذكرتني بمارس الاسلام ايام حضارتنا وقد جعلوا العلم مباحاً لكل طالب يلقونه اياه بلا عوض

في شارع المدارس بالقرب من كلية السوربون قام بناء عظيم أسسه فرنسيس الاول ملك فرنسا حوالي سنة ١٥٣٠ وجعل فيه درسين الاول لتعلم اللغة الرومية والثاني للعبرانية وسمى المدرسة مدرسة الملك ورأت الكلية اذذاك ان قد استهين بها فاعزت الى مدرسة اللاهوت ان تتهم مدرسي مدرسة الملك بأنهما يدعوان الى الزندقة فقال الملك دون صدور الحكم عليهما واضاف الى المدرسة درساً في الفصاحة اللاتينية ليخلص وجماعته من تهمة الاتحاد ومازال عدد الدروس يزيد على عهد كل الملوك حتى اضاف اليها هنري الثالث درس العربية و نابوليون الاول درس التركية ولم يرح بناؤها ودروسها عرضة للقلب والابدال حتى على عهد الجمهورية الثالثة

ولقد اصبحت هذه السنة الدروس التي تلقي على الناس مجاناً ٤٩ درساً يصح ان يقال انها مجموع علوم البشر يتولى تدريسها اعظم اساتذة هذه البلاد

وعلمائها من اشتهروا بفن او علم اولفة وصرفوا في البحث فيه شطراً مهماً من حياتهم ولم اري في هذه المدرسة استاذاً ثقل سنه عن ستين الا بعض المعاونين ممن يتجاوزون الاربعين ويتخبهم المجمع العلمي او المجامع العلمية الخمسة واساتذة المدرسة ويقبض الاستاذ عشرة آلاف فرنك في السنة ولا تتجاوز مدة الدروس ستة اشهر يتلو في خلالها درسين في كل اسبوع فقط

اما العلوم التي تلقي على جمهور المستمعين فهي (١) علم الانتقال التحليلي والساوي (٢) العلوم الرياضية (٣) علم الطبيعة والرياضة (٤) الطبيعة العامة والتجريبية (٥) الكيمياء المعدنية (٦) الكيمياء العضوية (٧) الطب (٨) علم الحياة العامة (٩) تاريخ الاجسام الغير العضوية الطبيعي (١٠) علم تكوين الجنين (١١) التشريح العام (١٢) علم النفس التجريبي (١٣) تاريخ العلوم العام (١٤) تاريخ التشريع المقابل (١٥) الاقتصاد السياسي (١٦) الجغرافيا والتاريخ والاحصاء الاقتصادي (١٧) تاريخ العمل (١٨) جغرافية فرنسا التاريخية (١٩) تاريخ الاديان (٢٠) الفلسفة الاجتماعية (٢١) علم الاجتماع الاسلامي (٢٢) علم الجمال وتاريخ الفنون (٢٣) علم الكتابات والعاديات الرومانية (٢٤) الكتابات والعاديات اليونانية (٢٥) الكتابات والعاديات السامية (٢٦) الآثار المصرية واصول لغاتها (٢٧) الآثار الاشورية واصول لغاتها (٢٨) الآداب العبرانية والكلدانية والسريانية واصول لغاتها (٢٩) لآداب العربية واللغة العربية (٣) النقود القديمة ونقود القرون الوسطى (٣١) آداب اللغات الصينية والتترية والمنشوية ولغاتها (٣٢) آداب اللغة السنسكريتية (٣٣) آداب اللغة اليونانية (٣٤) فقه اللغة اليونانية (٣٥) تاريخ آداب اللاتينية (٣٦) التاريخ الوطني والعاديات الوطنية (٣٧) الفلسفة الحديثة

(٣٨) اللغة الفرنسية وآدابها في القرون الوسطى (٣٩) اللغة الفرنسية الحديثة وآدابها (٤٠) اصول اللغات الجرمانية وآدابها (٤١) لغات اوربا الجنوبية وآدابها (٤٢) اللغات والآداب السلتية (٤٣) اللغة السلافية وآدابها (٤٤) علم النحو المقابل (٤٥) العاديات الاميركية (٤٦) الرياضيات (٤٧) تاريخ فن الموسيقى (٤٨) التاريخ العام والطريقة التاريخية (٤٩) اصول اللغات الهندية والصينية وتاريخها هذه العلوم التي تدرس في مدرسة فرنسا ولا يستغرق الدرس منها ساعة يتلو في خلالها الاستاذ زبدة علمه وبجته ولا يكشر المستمعون الا في بعض الدروس التي رزق اساتذها فضل بيان وطلاقة لسان واكثر الحضور غرباء اي غير فرنسيين وفيهم كثير من الفتيات طالبات العلم ممن قصدن فرنسا من المانيا وانكلترا وروسيا والنمسا وايطاليا وبلغاريا ورومانيا والصرب والسويد واسبانيا واميركا ليغترفن من مدارس باريز ويمكن لفتها الجميلة . فكان اهل هذه العاصمة زهدن في حضور هذه الدروس المجانية وازهد الناس في الرجل اهله وجيرانه . وان دروساً يعد من جملة اساتذتها لفاسور وبول لوروا بوليو الاقتصاديين وماسبرو وغانو الاثريين وجونيان ومونو المؤرخين وبرجسون وريو الفيلسوفين وغيرهم من الائمة الاعلام لحرية بان يستفيد منها كل طالب ويغترف من درر بحورها عاشق العلم

وان هذا المعهد ليولي فرنسا شرفاً ليس وراءه غاية ويدل على تفانيها في نشر المعارف والاخذ بايدي القائمين عليها وينادي بلسان الحال والمقال على توالي العصور والاجيال ان فرنسا اذا هرمت في سياستها واخلاقها فهي على الدهر فتية في جمال علمها وجدة حكمتها

التجارة الباريزية

لم يكتف الفرنسيون بل الغربيون بما بلغوه من اسباب الراحة والرفاهية بل تراهم يعملون ليلهم ونهارهم لئلا يسبق بلداً آخر او مملكة مملكة أخرى كأن المنافسة التي هي من اعظم عوامل الارتقاء قد تجسست في صدر الكبير والصغير من الافرنج فكان من آثارها ما يبهشنا من تلك الحضارة الراقية والسعادة الشاملة

رأيت روح الاجتماع مستحكمة في اعمال الاوربيين فلا يكاد يأتي زمن قليل حتى تصبح جميع مشاريعهم واعمالهم شركات وجمعيات ليخفى عمل الفرد ويظهر عمل الجماعة ويتراجع ضف الواحد امام قوة المجموع فقد ظهرت لتلك الامم نتائج الاشتراك جماعة ظهوراً لا ينكره الا من يكابر حسه ويغش نفسه فانشأ من كانوا الى الانفراد في متاجرهم ينضمون بعضهم الى بعض ومن عاشوا بالوحدة يرجحون ويخبرون فلا يدري بهم احد عدلوا عن سالف طريقهم وامتدوا المتأخر بالمقدم او العناصر اللاتينية والسلافية بالعناصر الانكليزية السكسونية

مثال ذلك مدينة باريز مهد الحضارة اللاتينية فانك تجد معظم مشاريعها ومتاجرها ومصانعها الشركات ومشاريع الافراد ومتاجرهم ضعيفة ضئيلة لا تكاد تحيا حتى تموت وكلها آيلة طوعاً او كرهاً الى الاندماج في سلك الاشتراك مع الجماعة . دخلت كثيراً من مخازن باريز فكنت اشهد على قلة المايه بفن التجارة روح الجماعة مرفرفة عليها وتمدد القوى زائدة في غنائها وحسن الذوق وسلامة الابداع تغلغل ارجاءها وتزيد بهاءها .

باريز اعلم بلد تصرف فيه السوق المالية والتجارية والصناعية من فرنسا

ورؤوس اموالها مقدمة جميع متاجرها ولا تفوقها في ذلك الا لندرا . وقد بلغ عدد ماني باريز من البيوت المالية والمصارف وشركات الضمان فقط زهاء ألفي محل توشك ان تكون كلها للشركات واعظم متاجر باريز بل فرنسا تجارة الاطعمة المحضرة والامتعة والثياب والازياء وكلها مهمة جداً لأكثرة عددها بل بمكانتها وفخامتها وانتظام اعمالها .

زرت بعض هذه المخازن من مثل لابل جارندنيير والبرنتان واليون مارشه والوفور ولافايت ودوفايل وكل واحد منها يتناع بما حوى قطراً واسعاً من اقطار الشرق ويحتاج وصفه الى الكلام ساعات على شرط ان يكون المتكلم عارفاً بالتجارة وما يتصرف او يتوقف عليها وتتوقف عليه وكل مخزن يعد مستخدموه وموظفوه بالملئات ففي مخزن دوفايل وهرلفرش الدور والقصور وما يلزم لها من الاثاث والخرثي والرياش والاواني والسرر والصناديق والمقاعد والمتكآت والكراسي وادوات الطبخ وكل ما يتصرف تحت انواع الزينة والتبرج والبذخ والرفاهية ما يأخذ بمجامع القلب ويعد من اغرب غرائب الغرب . ولا يقدر المرء ان يطوف هذا المخزن في اقل من ثلاث ساعات اذا احب ان يلقي نظرة واحدة على ما فيه من التحف والامتعة الثمينة وهو قصر فخيم جداً لم ارجل من نقوشه البديعة وبنائه العظيم سوى متحف الوفور ومتحف فرسال ودار المجلس البلدي الباريزي . وفي مخزن دوفايل محل للتمثيل ومحل للموسيقى ومحل لالهاب السينما توغراف يختلف اليها الزائرون باجور معتدلة جداً والغرض منها ان يروا ببعض مغازن ذاك المحل الكبير فيكون مرورهم بها والقائ انظارهم عليها بمثابة اعلان عما فيها من الاعلاق النفيسة وببركة الاعلان يشتري من لم يكن يتحدث عنه نفسه بالشر .

ومن الغريب ان هذا المكان الذي لا يشبهه في الفخامة الا ارقى قصور الملوك والامم كما قلنا آخذ الآن في توسعة مخازنه لانها ضاقت به على سعتها وما ادري ما هو رأس ماله ولا مقدار ارباحه وعدد مستخدميه وغاية ما رأيت ان مصرفه اشبه بمصرف كبير بل هو في سعته وكثرة مستخدميه اشبه بمصرف الكريديس ليونيه في القاهرة لا في باريز فانه هناك العجب العجيب بعينه .

وقرأت في احصاء اخير ان مخزن لا فابيت احب ان يزيد رأس ماله فقرر مساهمته ان يزيدوه اثنين وعشرين مليوناً ونصف مليون من الفرنكات فاذا كان مخزن واحد زاد رأس ماله في جلسة نحو مليون ليرة عثمانية فكيف يكون اصل رأس المال .

ومما هو حري بالنظر في المسائل الاقتصادية ان اهل باريز على شدة كرههم للامان يتناعون في بلدهم البضائع الالمانية لرخس اسعارها والتفنن في ابداعها حتى كادت بضائع الامان تأتي على بضائع فرنسا مع جودة هذه ومتانتها واصبحت بذلك معظم البيوت التجارية لاناس او لشركات من الامان وغيرهم ومثل ذلك قل على ما قرأته في احدى المجلات عن تجارة اندرا او تجارة نيويورك فان القسم المهم منها بيد الامان يصرفون على الانكليز والاميركان سلمهم وحكومة انكلترا واميركا مع شدة حرصهما على مصلحة قومهما التجارية لم تستطعا بالتعاريف الجمركية ولا بغيرها ان يقيما سداً منيعاً دون تسرب البضائع الالمانية اليهم . ولكن المانيا او العنصر الجرمانى ومن لف لفه تحارب هذه الحرب التجارية بسيف العلم والمعارف وسدود الدول لا تقوى على صد هجماتها المعقولة

ذكر الاحصائيون ان مدارس المانيا تخرج كل سنة اربعين الف طالب ويبدؤهم الشهادات التجارية فاين يذهب هؤلاء الرجال بعد ؟ وهل لهم الا ان يصرفوا متاجرهم في مشرق الشمس ومطلعها بالطرق الاقتصادية المدهشة . فكم رجل تخرج من البلاد المصرية العثمانية ياترى حتى الآن في المعارف التجارية وكم طالب اتقن اللغة الالمانية مناسا حتى اصبح يكتب فيها . ويترجم منها واليها كما يكتب الفرنسية او الانكليزية ويترجم بها ومنها ؟ قال لي احد علماء الالمان اتدري باي شيء غلبنا الفرنسيين في حرب السبعين قلت لا اعلم قال غلبناهم لاننا كنا عارفين بما عندهم اما هم فلم يكونوا يعرفون ما عندنا وانا اقول ان اقتصارنا معاشر العثمانيين والمصريين والسوريين خاصة على تعلم اللغة الفرنسية في الاكثر هو من الاحتكار الضار فيجب ان نعرف او بعضنا لامة كبرى تريد ان تحارب العالم حرباً اقتصادية حتى لا يكون مثلنا مثل الفرنسيين مع جيرانهم الالمان قبل حرب السبعين جهلوا ما عندهم ففسدوا في مادياتهم ومعنوياتهم .

نعم نتوفر على الاخذ من اوربا كل ما تمتاز به مملكة من ممالكها فنحول وجهتنا بعد الآن الى جرمانيا لتتعلم علومها واقتصادها ومتاجرها وبريتها ونأخذ عن فرنسا الزراعة والحقوق وعن انكلترا السياسة والعلوم والبحرية وعن ايطاليا الصنائع النفيسة ونجعل للغة الالمانية والاطالية حظاً من عنايتنا حتى لانكون حكرة مضرة للحكومة خاصة من حكومات الغرب فنحن كما نريد في السياسة ان نعامل الدول كلهن بوثام يجب ان نأخذ عن كل دولة راقية احسن ما عندها حتى لانكون من الجالدين على امة بعيها والجالمدون في مسائل الدين كالجالدين في مسائل الدنيا لا يخلو حالهم من ضرر على المجتمع :

الاعلان اساس التجارة

تقدم في الفصل السالف ان البيوت التجارية في باريز تباع ماتبيع ببركة الاعلان عن نفسها وهنا مجال لان افصل ذاك الكلام الجميل فاقول: كل من زار مدينة اوربية او اميركية من ابناء هذا الشرق الاقرب يأخذه العجب من وفرة الاعلانات وتقننهم في نشرها والفرنسيس في الاعلانات مقلدون لا مجتهدون فلدوا الاميركان والانكليز وهو لا ينفقون عليها نفقات لا تكاد تصدق فقد ذكروا ان معمل الموازين (١) فيربانك وشركاؤه الذي كان ينفق على الاعلانات نحو ثلاثة آلاف فرنك مسانهة اخذ اليوم ينفق نحو ثلاثة ملايين ونصف فرنك وقد كان خصص احد معامل الصابون ثلاثين الف ريال الاعلان عن مصنوعاته وهو اليوم يصرف الف ريال في اليوم وتخصص المعامل الكبرى التي تباع بالمفرق في مدينة نيويورك وحدها زهاء اربعة ملايين ريال في السنة لنشر اعلاناتها في الصحف وفي مدينة شيكاغو يستخدمون البريد انقل قوائم باعلاناتهم وقد انفق احد اصحاب المخازن لارسال طبعة واحدة من الاعلانات بطريق البريد ٦٤٠ الف ريال وليس من محل في اميركا الا ويصرف خمسة في المئة من ارباحه على الاعلانات وقد انفق احد ثم ٧٥٠ الف ريال للاعلان عن موسى له فباع ستة ملايين موسى وكذلك فعل توما بيشام مجبوه فصرف للاعلان عنها مليوني جنيه فاشتهر اسم المعمل او صاحبه من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي وترداده في افواه ارقى الامم واوحشها موقوف على كثرة التفنن في الاعلان عنه والبذل في هذا السبيل عن سعة حتى قال كارنجي اعظم اغنياء الاميركان:

اذا اردت ان تباع قبعة بريال فانك تستطيع ان تباعها بريالين اذا وضعت اسمك عليها وذلك لانك تفهم الناس بان لاسمك بعض القيمة .

وذكروا (١) ان شركة ولن سي الاميركية وهي شركة معامل اصواف مؤلفة من ٢٧ معملاً رأس مالها ٦٩٠ مليون ريال وكانت مجموع ارباحها سنة ١٩٠٢ ١٨٧,٠٠٠,٠٠٠ على حين بلغ مجموع المنسرجات الصوفية المصنوعة في الولايات المتحدة كلها ملياراً و ٤٨٥ مليون ريال فيبيدها جزء من ثمانية اجزاء من عمل الصوف ذكروا انها توصلت بفضل التفنن في الاعلان عن نفسها الى ان كادت تلتهم جزءاً عظيماً آخر من ارباح الشركات الاخرى ان لم تكن التهمت حتى الآن

والطرق الى ذلك مختلفة فمن ضروب الاعلانات الاعلان في الجرائد والمجلات على اختلاف انواعها ووضع صفائح مخسة في الصفحة السابعة او الثامنة اي الاخيرة واعلانات في شبك ودس الاعلانات في اخبار الجرائد وبين اخبار الرياضات والسباق ودور التمثيل والازياء وادماجها في المقالات وتعليقها على حيطان الدور وفي شوارع المدن والقرى وعلى طول السكك الحديدية وفي اماكن انزهة والمناظر التي يسرح فيها النظر وفي عجالات الحوافل والترامواي والسكك الحديدية تحت الارض وفوق الارض وستور دور التمثيل والقصور وجميع الاماكن العمومية حتى المراحيض وترسم الاعلانات على القرطاس الذي يضعه الكاتب تحت يده وعلى المقطع والسكاكين وعلبة عيذان الكبريت والدواة والبارموترو كتب التقاويم وورق

(١) كتاب الاعلان الرابع المعقول لارين

النشأ وبطاقات البريد وتجعل من الورق الملون والقوى والزجاج والخزف والخشب والمعدن وغيرها . وتبدو في المساء بألوان مختلفة مقطعة بادية بالكهرباء وغيرها مما يؤول ذكره

ومن غريب تفننهم في الاعلانات ان مخزن ادوات نحاسية وحديدية في ليفربول اخذ يعلن في جرائدها بانه يقدم مفتاحاً بلاثن لكل من يضع مفتاح بابيه او خزانته فيهذه الوساطة كان يأتيه المضيع فينصح له المحل بان يتناع قفلاً ثاملاً وينير القفل القديم حتى لا يقع المفتاح في يد لص وربما هانت عليه السرقة فبعض الناس يتناعون وبعضهم يكتفون بأخذ مفتاح بلاثن ولكن النصح يفعل في اكثرهم . واخترع احد البدالين من بائعي الماكولات المحضرة في لندرا طريقة للاعلان عن محله بان اغتتم فرصة حضور جوق تمثيل فابتاع مئات من الكراسي لمستخدمي محله ادخلهم على نعتهم فتحدث القوم بذلك وذكرته الجرائد فحصل المقصود للمحل بالاعلان عن نفسه . ومن غريب تفننهم ان احد مخازن القبعات في بلتيور في اميركا اعلن في الجرائد انه يريد ان يعرف احد النساء المحكوم عليهن بالقتل فاهتدى اليها واعطاها مئة ريال على ان تقول قبل ضرب عنقها هذه الجملة : « كل ما استطيع ان افوله الآن هو ان محل المستر بلانك يعمل احسن القبعات بريالين » ثم قطع عنقها واغتني صاحب المعمل .

والامثلة على ذلك كثيرة ويكفي القاء النظر على اي حائط او مجلة او جريدة لتعرف مبلغ تفنن الغربيين في الاعلان والاساليب في الكتابة التي يختارونها والصور المتنوعة ومنها المضحك وغيرها الجدي وبعضها لطيف وآخر بشع ومنها السياسي والادبي والعلمي وقد جعل الانكليز السكسونيون

للإعلانات قواعد حتى صارت علماً من العلوم لا يبرز فيه إلا من حسن ذوقه وعرف النقش والرسم والتصوير والطباعة وكان ملماً بالاقتصاد السياسي وعلم النفس ومحيطاً بعالم المالية والصناعة والتجارة والجرائد والمجلات وكان ذا هبة بالفن والادب والخطابة حاسباً كاتباً مقنعاً يعرف الفن في المسائل الحاضرة أو يحسن علم الحال

ولا تعيش معظم الجرائد والمجلات الكبرى إلا باجور اعلاناتها حتى ان اجرة صفحة واحدة مرة واحدة في جريدة «لادي هوم جورنال» تؤجر بالف جنيه ٠ ويؤخذ من احصاء صدر سنة ١٩٠٠ ان في الولايات المتحدة ١٨٢٢٦ جريدة ومجلة تبلغ مجموع ما يطبع من اعدادها من كل نسخة ١٤١٢٩٩٠٣٣٤ ومجموع ما تطبعه في السنة ٨١٦٨١٤٨٠٧٤٩ وبلغ مجموع ايرادها تلك السنة ٨٧٨١٩٤٨٠٢٥٠ فرنكاً منها ٤٧٩١٣٠٥١٦٣٥ فرنكاً من اجور الاعلانات اي ٥٤١٥ في المئة من مجموع دخلها وتطبع بعض الجرائد نسخاً خاصة بنشر الاعلانات فقط وتوزعها على مشتركيها ومن الجرائد ما لا يطبع غير الاعلانات وتوزع مجاناً ٠ ويصرف احدى بيوت الثياب في فيلادلفيا نصف مليون فرنك في السنة اجرة صفحة واحدة من احدى الجرائد الكبرى في تلك المدينة اسمها لرو كورد ويصرف مخزن آخر يريد منافسته مليون فرنك على اربع جرائد ٠ ومن كتاب الاعلانات من يرزق الف ليرة في السنة

ومن الاعلان الغريب ان بعض التجار ليس لهم بيوت ولا مخازن بل هم يطبعون اعلانات وينشرونها في قوائم خاصة وعلى صفحات الصحف والكتب والرسائل فيرسل الطالون بالبريد يطلبون منهم ما يشاؤون من بضائع

وما كولات وهم يرسلونها اليهم بالبريد ايضاً وهذه الطريقة اخترعت في الولايات المتحدة لان ثلاثة ارباع سكانها يعيشون في القرى والمزارع بعيدين عن مراكز التجارة واشغالهم لا تسمح لهم بالاختلاف الى المدن لاتباع ما يشاؤون وبهذه الوساطة يوفر عليهم عناء التعب والمساومة ويصلهم ما يشتهون وهم في اعمالهم وناهيك بما في هذه الطريقة من تبادل الثقة بين التاجر والشاري وفي شيكاغو وحدها تباع مثل هذه المحال التجارية في السنة بما قيمته ملياران وخمسمائة مليون فرنك وان ثلاثة محال منها لتأخذ وحدها كل يوم خمسة وعشرين الف رسالة في طلب ما يلزم اصحابها . وقد حسبوا ان عشرة ملايين اي ثمن اهالي الولايات المتحدة يبتاعون حاجياتهم على هذه الكيفية .

وان لاحد هذه المحال التجارية في شيكاغو زبناً يبالغون مليوني نسمة يتناول منهم في السنة اربعة ملايين رسالة وهذه الرسائل لا تفتح واحدة واحدة بل تجعل كل ستين منها في آلة تفتح كلها بلحظة ثم ترسل الى مئات من البنات تجعل كل قسم مع قسمه وكل طلب مع ما يضارعه وتجعل في لوالب كهربائية لاتقل عن خمسة عشر الف لواب وترسل في اسرع ما يمكن الى البيوت التي تقدم للمحل طلباته وهي لاتقل عن ٧٧ الف نوع فتأتي كلها على جناح البرق بحيث يكون العمل ما يمكن مستغنياً عن الايدي الكثيرة على ان محلاً واحداً من هذه المحال التجارية التي تباع بالمراسلة عنده من المستخدمين ٦٢٠٠ مستخدم ولم يكن صاحبه قبل ربع قرن يملك ايرة واحدة وثروته تعد اليوم بملايين الليرات والناس يطالبون الى محله الى غيره من المحال التي على شاكلته كل ما يخطر ببالهم ومنهم من يطالبون او يطلبون الزواج بواسطته .

وعلى الجملة فانك لا ترى في ديار الغرب محلاً تجارياً او معملاً او مشغلاً بالفنون الجميلة بل ولا عالماً ولا كاتباً ولا صانعاً الا وينفق جزءاً من ماله على الاعلانات ليربح المئتين مئتين وللإعلان يد طولى في عامة الاعمال الصناعية والزراعية والعلمية ولولاها ما رأينا المخازن الكبرى والمعامل الكبرى والجرائد الكبرى فعسى ان يقتدي الشرق باخيه الغرب في هذا السبيل فيعلن خصوصاً عن اصقاعه الجميلة ليحذب السياح اليها ويربح منهم مئتين الانوف من الليرات كما فعلت سويسرا واغتنت بعد فقرها بكثرة تشويق العالم الى زيارة ربوعها وكما فعلت فرنسا وايطاليا والمانيا وغيرها من اصقاع اوربا واميركا مثل مدينة دالاس في ولاية تكساس في الولايات المتحدة فان اهلها كانوا سنة ١٨٨٠ عشرة آلاف نسمة فازرع بعضهم ان يؤسسوا نادياً سموه نادي المئتين والخمسين الفاً اي ان مدينتهم ستكون سنة ١٩١٠ مئة وخمسين الف نسمة وما برحوا يتذرعون الى ذلك بكل حيلة حتي بلغ عددهم سنة ١٩٠٤ ٨٣ الفاً وتوصلوا الى ان قال الرئيس روزفلت في خطاب له ان شمالي تكساس هو حديقة الرب ومدينة دالاس تطالب ويحق لها ذلك ان تكون نقطة دائرة هذه الحديقة

نعم ان الاعلان اساس من أسس الثروة اليوم بل هو سبب من الاسباب المعقولة المشروعة واثره في الاعلان عن الاشخاص ظاهر وكم من نابه اشتهر بتحدث الناس في أمره ومن آخر خمل ذكره لانه لم يعرف كيف يتوصل الى الشهرة فعاش ومات ولم يدربه احد فاللهم اجعل الشرقيين من النابهين بحق لا الخاملين المجهولين



دور التمثيل والانس والاجتماع في باريز

ان ماشهده من التمثيل العربي المنحط جداً في الديار المصرية والشامية زهدني في التمثيل على انواعه فصرت لا اختلف الى دار تمثيل الا متكارهاً وذلك في المدة الطويلة لقلة غنائم وانقطاع الرغبة فيه واعلل ذلك بان التمثيل لم يعهده العرب ايام حضارتهم بل لم يكن لهم ما يشبهه في قرطبة ولا في بغداد ولا في دمشق ولا في القاهرة ايام عزتها ولذلك قلما مال ابناء العرب اليه ميل الغربيين له وقدروا مزاياه حق قدرها .

ولما حللت باريز كان من اوائل المسائل التي توخيت دراستها حالة التمثيل في الغرب والسفر في توفر اهله عليه وخدمتهم له كما يخدم الشعر والموسيقى والخطابة بل جعلوا هذه الفنون خادمة للتمثيل واصبح عندهم من ضروريات الحياة كالطعام والشراب لا حياة بدونهما وكذلك التمثيل لا حياة روحية بدون الاختلاف الى دوره ولو مرة في الشهر ان لم يكن مرة او مرتين في الاسبوع .

والتمثيل في باريز من اعظم ملاهيها وقل ان تجتمع لباحمة ما اجتمع لها من ضربه به ولشدة عناية الحكومة به تنفل من مالها كل سنة اربعة دور تمثيل مبلغاً تسمعين به على تحسين حالها فتمنح الاوبرا ثمانمائة الف فرنك والتياترو الفرنسية ٢٤٠ الف فرنك مع الدار وتعطي الاوبرا كوميك ٣٠٠ الف وتعطي الاوديون ١٠٠ الف فرنك وفي باريز ٥٣ دار تمثيل كبرى ذهبت الى اشهرها مثل الاوبرا والتياترو الفرنسية والاوديون والشاتليه وساره برنارد والفودفيل وغيرها

فكنت كلما ألفت اصطلاحاتهم في احاديثهم وحرركاتهم وسكناتهم

ومظاهره ورقصهم وغنائم تبين لي سر تغالي النريين بالتمثيل وانه حقيقة مدرسة تهذيب وفضيلة عملية ودار سلمى وارتياح ارواح فلا عجب اذا عدوه من اكبر العوامل في نهوضهم وتنقيف مجتمعاتهم وشغفوا بفضوله ولا شغف الشرقي بفضوله وحرص الفرد منهم على ساعاته حرصه على عزيز اوقاته اما دور التمثيل فهي قصور نخمة هندسوها على ضخامتها بحيث لا يحرم الحضور على اختلاف درجاتهم من سماع ما يقال على مسارحها وروية ما يعرض فيها من المشاهد والمناظر . وكفى بان دار الاوبرا كلف بناؤها ثلاثين مليون فرنك وذرعا احد عشر الف متر . وافل دار تمثيل تساوي عشرات الالوف وبعضها مئات الالوف من الليرات وان مما يهيج جوق الموسيقى في الاوبرا وقد حزرته بمائتي شخص وجوق الممثلات والراقصات والممثلين على المسرح وما اظن جمهرته تقل عن خمسمائة .

واذا عرفت ان الاوبرا تدفع لاحد ممثلها ٢٢٠٠ فرنك كل ليلة اي ١٢٨ الفاً عن ٦٤ ليلة في السنة وتدفع لغيره من الممثلين رواتب تختلف بين ٨٥ الفاً الى ٣٠ الفاً . وعن كل ليلة يغني فيها كاروزو عشرة آلاف فرنك وتتناول بعض الممثلات اربعة آلاف فرنك في الشهر جاز لنا ان نستقل اعانة الحكومة للاوبرا ونحكم على كثرة دخلها وخرجها .

ولقد كنت اتمثل نفسي في حضرة اعظم فصحاء الارض وعلماء الاجتماع والنفس ساعة تنتهي الى مسمعي اصوات الممثلين والممثلات وتنفق السنهم بكلمات الحكمة والادب ويشخصون الفضيلة في ابهى مظاهرها كأنك تراها . فلا اتمالك من توقيف الممثلين والممثلات واكبار فائدة التمثيل . المدارس لتنشئة الصغار في وقت معين من السن ودور التمثيل مدارس دائمة للصغار

والكبار تأقنهم من ابسار السبل حكمة وآداباً وتلقنهم عبرة مفيدة وفكاهة رشيدة
حضرت رواية « مثل الاوراق » في الاوديون ورواية « الباريكاد » لبول
بررجه في الفودفيل ورواية « جان دارك » في تياترو ساره برنارد ورواية
الجندي الصغير في الشاتليه فكان يخيل لي وانا اسمع وارى ان الامر واقعي
وان هذه المشاهد حدثت الآن وقد اجتمع جمال الصوت الى جمال الوجوه
الى جمال الكلام الى جمال الهندام الى جمال المكان الى جمال النظار واقل
هذا مما يستهوي النفس فلا تدري اي شيء ترى ولا اي فائدة تعي

وما اظن اكبر متنطع لوحضر التمثيل في مثل هذه الدور العظمى يستطيع
ان يعيب شيئاً ما يشهد . واي عين لا تقع على ساره برنارد اشهر ممثلة فرسوية
وهي في الخامسة والستين من عمرها تمثل دور جان دارك وهي في التاسعة
عشرة فتظهر كأنها هي بصوتها وحركتها ونضرة وجهها ولا ترتاح وتعجب
واي اذن تسمع الحكمة في رواية الباريكاد يقولها لحد الممثلين بصوت رخيم
« ان الطبقات الاجتماعية كالام يضيع حقها في حفظ مالم تقو على الدفاع
عنه . » ولا يفكر طويلاً

ولقد رأيت في دور التمثيل حتى ما يوصم منها بان فيه شيئاً من الخلاعة
مثل « مولان روج » ان الادب ياللب على السامعين والناظرين . وان قاعات
الاستراحة بين الفصول يسير فيها الخرد العين ككسبات عاريات معطرات
متبرجات ولا ترى الا من يغض الطرف حياءً وادباً . والغالب ان النساء
يلبسن الليالي التنبيل اجمل ثيابهن وازياءهن كأنهن في بيوتهن وبين صويحباتهن
واصحابهن وقلما تراهن في الشوارع الا مكشيات من اللباس بما خف محمله
وقلّ ثمنه

أما سائر اماكن الطرب كحمال السماع والموسيقى والمراقص العامة فكثيرة جداً في باريز واحسنها ما كان على جوانب الجواد العظامى او بالقرب منها ويكون فيها المرء بحسب مبلعه من التهذيب . وموسيقى الافرنج وعزفهم وزفهم يستحسنها الشرقي مع طول الألفة لها والأنسة بها ومن لم يعرف عندهم ولو احد هذه الانواع الثلاثة استغربوا أمره وعدوه محروماً من لذائذ الدنيا ساقطاً من رسوم الهيئة الاجتماعية . ولكل قوم عاداته واخلاقه يحرص عليها كثيراً ولا يرى فيها حرجاً ولا نكيراً سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً



من باريز الى الاستانة

قضيت شهرين اثنين في هذه العاصمة طفت المعاهد ورأيت المشاهد وعرفت العامل الجاهد وتبينت العالم المجاهد وطعمت الجشب والشهي من الطعام ووصلت السير بانسرى وعمل الليل بعمل النهار ورأيت العملة في حاناتهم ومطاعمهم وراكلت الاغنياء في مقاصفهم وشاركتهم في نعيمهم واختلطت بطبقاتهم اسمع عباراتهم ولم استنكف من غشيان كل مكان ارجع منه بفائدة مستظلاً طلع خلق جارياً من الاختبار فيه على عرق فكانت عيني تمل النظر وأذني تسام السماع وذهني يتأفف من التفكير وقلبي يتخوف كثرة الوعي . ومع ماصرفته من الوقت والقوة خرجت من هذه المدينة وفي النفس منها اشيء لم اتمكن من درس معالمها ومجاهاها ولا سيما اماكن الرياضات البدنية والالعاب على اختلاف ضروبه وزيارة مجاريه العاصمة تحت الارض وسرايها والاعتبار بقبورها ومدافنها وهي مزينة

كقصور الاحياء ومقطعة الى طرق ومناطق

وفي يوم بدأ نهر السين بفيضانه المشؤم الذي طغى على السدود والسكرور فدكها وبثقها واودى بالاموال الجسيمة من ناطق وصامت ركبت القطار وقت الظهر الى الحدود الالمانية فكان نهر الموز والمارن هائجين حتى طنت مياههما على السهول والادوية ولم يصل القطار الى ناني على الحدود ويباغ ستراسبورغ في ارض الالمان وقاعدة الازراس الا وقد انقلبت تلك الامطار ثلوجاً وذلك الهدير سكوتاً ولون تلك المياه الكدرة بلون الثلج الابيض الناصع وبلغنا مونيخ عاصمة مملكة باويرا الالمانية صباح الغد فوقف القطار زهاء ساعتين فرأيت ان لا اضيع الفرصة فاخذت اطوف المدينة ولكن كانت الثلوج غمرت فلم ار منها الا واجهات الابنية وروءوسها وهناتنا لي النقص واحسست بالعجز وشمرت باغربة وانا التفت عن يميني وشمالى فلا اسمع الا الالمانية التي لا اعرف منها اكثر مما اعرف من الكردية وقد تركت بعض رفاق لي في القطار ومنهم بولونيون يتكلمون بالفرنسية تجلب نفسي بمحادثتهم ومفاكهتهم حتى اذا عدت آخذ مكاني من القطار اجتاز بنا بعد قليل في ارض النمسا وهكذا حتى وصلنا مساء اليوم الثاني الى فيينا عاصمة النمسا .

وعلى ذكر اللغة لا بأس بان اقول انني يوم دخلت فرنسا لم اشهد وحشة ولم اشعر بغربة لمعرفتي بلسان اهلها واطلاعي على تاريخهم وعاداتهم فكنت كأني داخل ولاية من الولايات العثمانية التركية او قطراً من الاقطار العربية في غربي آسيا او شمالي افريقية ولما انتقلت من ستراسبورغ شعرت بتغير العادات واللحجات وابتنت بان الغريب الذي يزور بلدأ لا يعرف لغة اهله كالاصم والاعمى وهذا ما عاني في الاكثر عن زيارة انكلترا والمانيا خلال

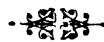
هذه الرحلة مع شغفي بحضور هاتين الامتين لانني استصعب ان ارى غيري
بعيون غير عيني وآذان غير اذني

قضيت في فينا يومين استرحت فيهما من وعثاء السفر واطلعت على بعض
معاهدها الا ان التلوج التي بلغت نحو ذراع عاقبتني عن اتمام الزيارة فركبت
ثالث يوم بعد الظهر القطار قاصداً بلاد المجر فأجتزنا عاصمتها بودابست في
الليل ووقف القطار فيها ساعة لم اتمكن في خلالها حتى ولا من رؤية المحطة
وعدنا الى قطارنا حتى تخطينا من الغد ارض الامبراطورية الى ارض البلقان
ولم يكد القطار يجتاز نهر الطونة حتى تمثل امام خيالي تاريخ هذه البلاد وبينما
كنت اذكر وقائع العثمانيين في سلسترا والبروج المعروفة ببرج العرب واذا كرتك
الدماء العزيزة التي اهرقت على ضفاف الطونة لفتح هذه البلاد ركبت معنا
من اول محطة في بلاد الصرب فتأتان صربيتان في الخامسة عشرة من عمرهما
عليهما سماء الحشمة والادب فسألت الرفيقة رفيقتها ان تغني شيئاً فالتفتت
اليها وكان معنا رفيق بلغاري يعرف التركية فاستأذن في ذلك فقلت له لا بأس
فاندفعت الفتاة تغني بنجمة على ايقاع غريب فاضت له نفسي بالدموع
خصوصاً وقد جاءها العناء وهي تفكر فيما اصابنا في هذه الديار من الشقاء .
فعجب رفيقي البلغاري وقال، لعلك فهمت هذا النشيد الوطني الصربي قلت
لم افهم وانما تأثرت من النعمة ومن امور أخرى فسألني ماهي فلم يسعني الا
ان بحت له بذات نفسي ولما ذكرت له كيف تقدموا هم وتأخرنا من بلاد
هواؤها عثماني وسياؤها عثماني واكثر عائلاتها عثمانية عذرتني على شعوري بما
فيه من فضل ادب .

ووقف القطار ساعتين في بلعراد عاصمة الصرب فاغتصمت الوقت لزيارتها

وهي نظيفة لطيفة صغيرة حرة بان تكون قاعدة لتلك المملكة التي يقطعها
القطار طولاً بأقل من عشر ساعات وزرت من الغد صوفيا عاصمة بلغاريا
وهي اجمل واضخم منتلحة على مثال المدن الاوربية ويغلب الادب اهلبا
وكثير منهم يعرفون التركية وقد وقفنا عليها نحو ست ساعات تمكنت
اثناءها من درس معالمها وحدثاتها ومنزهاها وبعض قصورها وهي اقرب
الى ان تكون مدينة شرقية منها الى ان تكون مدينة غربية ويقال انها ترقى
سنة عن سنة ارتقاء يحسدها عليه حتى الاوربيون الراقون وعجبت لما سمعت
بعض الالفاظ التركية يستعملونها مع اللغة البلغارية حتى الآن كأنهم تركوها
عضواً اثر ياذكرهم بايام حكم الاتراك عليهم .

وعند الظهر سار بنا القطار يقطع بلاد البلغار ووصلنا الى جسر مصطفى
باشا في ولاية ادرنه اول النجوم العثمانية عند العشاء وهناك جاءنا رجال
شرطتنا يدهم دموم ويرقون ويرعدون يحكمون على هذا بالجزء المقدسي
ويبنون عن ذاك ويطلبون من هذا جوازاً ومن الثاني ان ينبشوا صوانه
وهميانه ومن الثالث ان يفتشوا صندوقه ويراقبوا كتيبه والخلاصة تغيرت
معنا الحال من الاثلى الى الادنى حتى بلغنا بلادنا فرأينا الانحطاط بادياً عليها
في كل شيء وادارتها هي تلك الادارة الاستبدادية بعينها لم يعدل الدستور
من شدتها ومازلنا على ذلك حتى بلغنا صباح الغد الاستانة عاصمة سلطنتنا
العثمانية .



عاصمة السلطنة العثمانية

صقع جميل وسواحل بدبعة ومناظر رائعة وسما صافية ورفاهية مفرطة

وأنس دائم فمن المضيق الى الخليج الى جزر البحر الى متنزعات منقطعة القرين الى غابات ملتفة وجبال مكسوة وعيون خراة وكل ذلك بهجة النفس والخطر وهذه هي الاستانة واحياؤها وضاحتها .

اما عمرانها فمصورة مكبرة من عمران الولايات لا نظام ولا شوارع منظمة ولا طرق معبّدة ولا راحة للراكب والسائر ولا للقيم والنازل وغاية ما فيها من مصانع وآثار قصور السلاطين والجوامع الكبيرة الزاهية التي انشاؤها منذ عهد محمد الفاتح الى يومنا هذا وبعض تكن ومدارس عالية حديثة لا شأن لها من حيث فن البناء

والاستانة من حيث قوتها المادية ضعيفة ضئيلة نصف اهلها اترك يباغون نحو ستمائة الف والصف الآخر اروام وارمن واكراد وارناوود وعرب وغيرهم من العناصر العثمانية . ويغلب على الترك الاتكال لانهم مازالوا حتى بعد الحرية يعتقدون من انفسهم العناء والسوؤد اكثر من بقية العناصر ويتوهمون انهم العنصر الحاكم ولذلك قلما ترى بينهم تاجراً معتبراً او زارعاً كبيراً او مالياً دراية يعيشون كلهم الا المترفة والباعة عالة على الامة لا يرفون غير تقلد الوظائف الادارية والعلمية والقلبية والعسكرية .

فالاستانة من هذه الوجهة مدينة الاتكال المجسم يعيش اهلها كالحلمة الطفيلية على عنق الولايات ولكم خربت ولاية او لواء او قضاء ليحمر بها احدهم مصيفاً له على ضفاف الخليج او في جزيرة الامراء ويقنني من الجوّاري والسراري والعبيد بقدر ما تطيب له نفسه .

ولاهل الاستانة فضل ادب ولين جانب عرفوا به منذ القديم فتري الواحد منهم يعاملك باقصى اللطف والنظر حتى يرضيك وفي باطنه على

الاعظم بسر لك غير ذلك وهذا الخلق عام في عمال النظارات والادارات الكبرى ولولا ذلك ما انصرفت وجوه ارباب الاشغال من سكان الولايات الى الاستانة يقصدونها لكشف ظلامه ونيل رتبة ومرتبة وراتب .

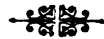
صرفت في هذه العاصمة عشرين يوماً قابات في خلالها كثيراً من اهل العلم والسياسة وكنت اتكاه في الاختلاف الى المعاهد والناس اذ سمعت نفسي كل ذلك بعد باريز التي رأيت فيها من كل شيء احسنه ومن العالم ارقاهم ولطالما اسردت عاصمة بلادي في عيني ووددت على الاقل لو كتب لي ان ازورها قبل الرحيل الى الغرب وامتناع النشار والحواس بحضارته البهجة حتى لا ارى الانحطاط بعد الرقي ولا الظلام بعد النور .

ومن جملة المعاهد التي هي جملة مقصدي وغاية مناي من زيارة الاستانة مجلسنا النيابي زرتة خمس مرات واعصاوه نحو مائتين وخمسين نائباً من جميع عناصر الدولة واصفعاها تجد فيهم ذا العمامة البيضاء او الخضراء كما تشهد فيهم لابس الكوفية والعقال وثلاثة ارباعهم من لابس الطرابيش ولقد سمعت من ارباب العمامة مناقشات راقية لم اكد اسمها الا من النواب الذين صرفوا شطراً من اعمارهم في اوربا يتعلمون ويتمنون ويدبر حركة المجلس من النواب اليوم نحو عشر اعضائه شأن مجالس العالم كلها فان ارباب العقول الراقية والمضاء الكبير فلائ في كل طائفة . خصوصاً ومجلسنا ما برح طفلاً ويرجى ان يكون في الانتخابات المقبلة ارقى مما هو الآن

رأيت النظام قليلاً في المجلس يبدأ قبل الظهر بالنظر في قانون كذا وبعد الظهر يتناقش في غيره قبل ان يكمله ومن الغد يتناقش في مسألة أخرى وينسي القانون او اللائحة الاولى وذلك لانهم وسدوا رئاسته لرئيس اشهر

بخدمته الحرية والشهرة قد تكذب . وكم وسدوا النظارات في هذا العهد
 البستوري الجديد الى اناس اشتهروا بعلمهم وعقلهم في الدور السالف حتي
 اذا جاء الآن دور العمل ابانوا عن ضعف في المدارك وخور في العزائم
 وبضاعة مزجاة من العلم والعمل ونفس شريرة تعد قتل عنصر من العناصر
 قتلاً معنوياً لغاية بعيدة الحصول اسهل من تناول الكاس والسلام على الناس
 وكل اولياء الامر اذا حدثتهم في نقصنا والسعي لاصلاحنا شاركوك في
 حديثك وربما تنزهوا باكثر من غيرتك وحملوا اشد من حمايتك فاذا اتت
 نوبتهم ليعملوا تراهم يقرون القديم على قدمه ان لم نقل يزيدون الحال اعضالاً
 واشكالا . فهم فلاسفة قول لاعملة عمل وجر بذتهم في اساليب لم يثقفونها
 لا في ظلامه يرفعونها وولاية يرقونها واءلاح يدخلونه .

ولا اغالي اذا قلت ان عمال الاستانة الآن صورة من صور العهد الحميدي
 الا انهم يدعون الحرية وهم مضطرون الى الاسراع بمصالح العباد باقل مراوغة
 ومطاوله مما كانوا عليه في العهد الماضي اما الاصلاح الحقيقي فاظن من
 سيقومون به لهذه البلاد النريزة لم يخلقوا بعد ونحن نكتفي من الحاليين
 ان يحفظوا فقط بالحالة الحاضرة ريثما يخرج جيل جديد يربي على ادب
 النفس وادب الدرس وينشأ بعيداً عن اخلاق الحكومة الاستبدادية المطلقة
 التي غرست مبادئها الساقطة في القلب واللحم والدم والعظم



المتحف السلطاني^(١)

دخلنا هذه الدائرة الفخمة . من بابها الغربي البكائن بجوار نظارة العدلية

(١) لم تيسر لنا زيارة هذا المتحف فمهدنا الى صديقنا شاكر افندي الحنبلي ان يزوره
 عنا ويكتب لنا مقالة في وصفه ففعل وانا اشكره لفضله وعنايته .

ومررنا امام دار الضرب العامرة وبمدها دخلنا من باب آخر ينتهي الى ساحة كبيرة بني على اطرافها رواق ذو قباب اشبه ببنيان التكايا ثم دخلنا من باب ثالث فاستقبلنا بهو كبير يسمونه غرفة العرض كان يجلس فيه الورراء والامراء للذاكرة والمشاورة وفي صدره مصطبة كبيرة يصعد اليها من درجة واحدة كان يجلس فيها السلطان متوارياً عن الاعين

ثم خرجنا من هذه الزفة وصعدنا الى قصر شاخ يصعد اليه بسلم من رخام جدرانه مزينة بالقيشاني بناه السلطان مراد الرابع بعد رجوعه من بغداد على طرز قصر هرون الرشيد وسماه (قصر بغداد) وهو قصر مبني على الطرز الشرقي بشكل مثنى متعظم تحيط به من الخارج ردهة ضيقة ذات منافذ تطل على الخائل والبحيرات وتشرف على بحر مرمرة وقسم من البوسفور واحياء القسطنطينية وضواحيها وبجانب هذا القصر دائرة (الحديقة الشريفة) وفيها الرءاء النبوي وبقية المخلفات والآثار النبوية

وخرجنا بعدئذ من هذا القصر ودخلنا قصر آخر فيه غرفة كبيرة طولها نحو عشرين ذراعاً وعرضها نحو ثلاثة عشر ذراعاً يقال انها من بناء السلطان مصطفى الرابع وفي الجهة القبلية من هذا القصر قصر آخر بناه السلطان عبد المجيد ويسمونه (سلطان مجيد كوشكي) مبني على الطرز الايطالي وهذا القصر اجمل قصر رأيناه هناك ومما يجدر بالذكر في هذا القصر صفاء بلور النوافذ حتي انك تثنى النافذة مفتوحة لابلور فيها بشدة صفائه وعلى جانب هذا القصر حجرة صغيرة بناها السلطان عبد المجيد لتبديل لباسه قبل دخوله دائرة الحديقة الشريفة

ثم انتهينا الى دائرة المتحف السلطاني وهي بيت القصيد في هذه الزيارة

وهنا لا يتمالك الانسان من الدهشة عند ما يشاهد تلك الآثار النفيسة والمصنوعات الثمينة البادرة التي لا تقدر لها قيمة لنفاستها التاريخية . دخانا هذه الدائرة وهي مؤلفة من ثلاث غرف تحتانية وثلاث أخرى فوقانية واول شيء وقع نظرنا عليه تخت كسرى الذي غنمه السلطان سليم الاول من الشاه اسماعيل الصفوي في حرب (جالديران) الشهيرة وقد نصب في وسط المتحف يوحى الى الرائي بعظمة الدولة العثمانية ومجدها السالف ويصور للناظر السلطان سليم الاول ممتطياً جواده سالماً سيفه يقو : جيشه الباسل الى بلاد الاكسرة ويشتبك مع صاحب العجم في حرب عوان فيهزم جيشه ويستولي على عرشه وخزائنه .

هذا التخت على هيئة مستديرة قائم على اربعة اعمدة يصعد اليه بدرجة واحدة وكله مرصع بالياقوت والزمردما يبهز الناظر . شاهدنا في هذا المتحف سيف قسطنطين بالثوغوس آخر قياصرة الروم وهو سيف مرصع بالماس اخذ من جملة غنائم يوم فتح القسطنطينية . شاهدنا عهد السلطان محمد الثاني وهو على شكل السرر التي تصنع في دمشق من الخشب مرصعة بالصدف وهذا مرصع بالاحجار الكريمة . وفي المتحف ثلاث قطع من الزمرد الاولى بقدر جوزة الهند ووزنها ثمانمائة درهم والثانية على شكل مستطيل ووزنها ستمائة درهم والثالثة بينهما في القطع والوزن وهناك اوان من النجف بعضها مرصع وبعضها بدون ترصيع وساعات واوان من العاج وبواطى من الصيني ودروع وطبرات ومغافر وبنادق قديمة مرصعة مما لا يكاد يحصى وخواتم من الماس بعضها فضة بقدر الجوزة . والى جانيها دوي قديمة ذهبية وقاقم ومحاريب وسبحات ومراوح . مرصعة وفي جملة هذه المراوح ثلاث تعد من نواذر المصنوعات الواحدة

قبضتها مرصعة بالماس والاخرى مرصعة بالياقوت والماس في وسطها ياقوتة
 بقدر الجوزة والثالثة مرصعة بالاحجار الكريمة وعليها رسم الكرة الارضية
 ومما امتعنا به النظر صورة شخص طوله عشرة سانتيمرات صدره وبطنه
 لؤلؤة واحدة ورجلاه فيروزتان وبالقرب منه صندوق وعليه فيل من الذهب
 مرصع بالاحجار الثمينة رأينا اغطية مناخد من الاطلس والدياج بعضها مرصع
 باللؤلؤ فقط والبعض الآخر مرصع باللؤلؤ والزمرد والياقوت بنقش بديع
 يأخذ بالعمول وهناك قلب من الماس حجرته الوسطى بقدر البضة ويقال ان
 هذه الحجرة هي رابع حجرة في الدنيا من حيث الحجم والوزن وقد امتعنا
 الطرف برسم السلطان عبد العزيز مجسماً ممولاً من الخناس الاصفر ممتطياً
 جواده بقطعة كبيرة طبيعية وآخرين صغيرين ورأينا رسم اسكندر الثاني
 قيصر الروس ورسم غليوم الاول عاهل الالمان

ومارأينا ثلاث آلات للمنظومة الشمسية مصنوعة من الخناس الاصفر
 تدور فيها الارض والسيارات حول الشمس بحركة دولاب يدار باليد كل
 ذلك بل اكثره موضوع في خزائن من البلور لانسسه الايدي رأينا مسميات
 لانعرف اسماءها مما يحار لها العقل ويدهش لها الفكر واني لنا بابين المعتر يقف
 في هذه الخزينة ويصف ما فيها من الحلي والحلل والجواهر الثمينة والمصنوعات
 الفاخرة النادرة بمنظومات تحكي ترصيع الجواهر المكنوزة في هذا الكنز الكبير
 ليس شيء اصعب على المكاتب من ان يرى اشياء لم يألف شاهدها
 ولا يعرف لها اسماً فهو اذا اراد وصفها عصته الالفاظ وضافت به التعابير
 رأينا في هذا المتحف شيئاً كثيراً كله من النادر الغريب الذي لا يوجد الا في
 خزائن الملوك ولو اردنا ان نصف كل مارأناه لعال بنا البحث واحتجنا الى

سفر كبير ولكن نكتفي بذكر الآثار التاريخية الثمينة بالنظر لما لها من المسكنة العامة والقيمة الادبية

فمن ذلك درع مرصعة بالماس والياقوت مع سيف مرصع ايضا مكتوب عليها هذه العبارة « هذه الدرع غنمها السلطان مراد الرابع لما فتح بغداد في اليوم الثامن عشر لسنة الف وثمانين واربعين هجرية » وتحت معمول من الباغا مرصع بالفيروز والزمرد وهو تحت السلطان احمد الثالث كان يجلس عليه يوم عرفة وفي وسطه فراش من الاطلس مرصع بالمالآلي بنقوش لطيفة يصعد اليه بثلاث درجات صغيرة وخزانة من الكهرباء الملون المعرق اهدتها فيكتوريا ملكة الانكليز للسلطان عبد العزيز ومكتب (قنصل) كبير مرصع بالماس والياقوت وسائر الاحجار الكريمة اهدتها كاترينة قيصرية الروس للوزير الاعظم محمد باشا الباطهجي يوم وقعة (بيروت) الشهيرة وهذا المكتب من اثن ماشاهدناه في هذه الخزينة لما فيه من الاحجار الكريمة وحلل ملوك بني عثمان وعمائمهم موضوعة كلها على قوالب مخصوصة على شكل انسان بالهيئة التي كانت عليها ومكتوب على كل منها اسم صاحبها وسيف السلطان الغوري عزيز مصر وخاتم السلطان عبد العزيز الذي نزع من اصبعه يوم استشهاده ووسامات مختلفة اهداها ملوك اوربا للسلطين العثمانيين وغير ذلك من الآثار البديعة التاريخية

وفي الجملة ان هذه الخزينة هي اعظم خزينة على وجه الارض لانها جمعت بين خزائن الاكسرة وخزائن القياصرة وملوك الاسلام وكانت في الدور القديم تجمع فيها الاموال الزائدة عن نفقات الدولة وتدخر لاوقات الحروب وتسمى (ايح خزينة) اي الخزينة الداخلية . يروي ان السلطان مصطفى

الثالث كان جمع فيها مبالغ طائلة صرفها كلها في الحرب الروسية ويقدر ما صرفه في ذلك الوقت باثني عشر مليون ايرة على حساب هذا الزمان اما بناء الدائرة فليس من الابنية الفخمة المزينة بل هو بسيط جداً على طرز التكيا وليس فيه ما يستحق الذكر سوى ما ذكرناه آنفاً من القصور الحديثة التي بناها ملوك بني عثمان بعد الفتح وانما هي تمتاز بجمال موقعها وحسن مناظرها ومكانتها التاريخية فالواقف في فنائها او في احد قصورها يتمتع طرفه بتلك المناظر البهيجة ويسرح فكره في غابرها وحاضرها ويهتز طرباً وتجلي له عظمة آل عثمان وساطانهم ويرى الفاتح يسوق اسطوله على اليابسة باعجوبة لم يسبق لها نظير ويفتح القسطنطينية ويملك قصر اقياصرة وخزائنهم كما افتتح اجداده بلاد الاكاسرة وقوضوا عروشهم ويكون نم الامير الذي امتدحه الرسول وجيشه نعم الجيش .

وفي الحقيقة ان هذا البناء اللطيف من اجل ما يتصوره الفكر والطف ما تشع به النفوس فهو يحتاج الى قريحة شاعر مطبوع او قلم كاتب مجيد يصف ما تشع به النفس من المعاني الشعرية في جانب هذه المناظر البهيجة والآثار التاريخية . هذا ولا يسعني هنا الا ان اثنى الثناء الطيب على ناظر المتحف حافظ محمد رفيق بك لما ابداه من المجاملة والملاطفة في زيارتنا هذه كما اني اشكر للاستاذ الزهراوي وعبد العزيز افندي قولجلي عنايتهما في هذه الزيارة التي هي من اثنى الزيارات التاريخية .

—————
المتحف العثماني^(١)

ليس بين معاهد الاستانة وقصورها معهد توفرت فيه شروط التجديد

(١) كتاب « موزه هابون عثماني » مخصوص رهنما اثر وحيد »

ودخلته الروح الغربية مثل المتحف العثماني فهو المعهد الوحيد الذي قلدنا فيه الاوربيين وأحسننا التقليد يستفيد به زائره تاريخ الصناعة ولا غرو فقد ضم عاديّات الامم القديمة كالرومانيين واليونانيين والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمصريين والهيثيين والبيزنطيين المأخّرين من نواويس وتمائيل واواني وآثار حجرية وخزفية وبلورية وكلها شاهدة على الدهر بما كانت عليه حضارات الشعوب التي انقرضت فأصبحت بلادها من جملة ولايات هذه السلطنة العثمانية أبد الله اركانها

ومن اجل ما يشاهد فيه مسلمان عثروا على الاولى في صامسون والاخرى في ازينق واسد وجد في هانيكارناس (قصبة بودروم) ويرد تاريخه الى اربعة قرون ق . م وبجانبه ناووس روماني استخرج من دراج في ولاية اشقودرة ومن الطف عاديّات هذه الدار النواويس التي عثر عليها في صيداء وهي عبارة عن ستة وعشرين ناووساً ادعي بعضهم ان احدها هو ناووس الاسكندر المقدوني لان الاسكندر توفي في العراق وجيء به الى سورية على ان روايات المؤرخين مختلفة في مدفنه . ومن النواويس ناووس دفن فيه تابيت ابن اشمونازار ملك صيداء وعليه كتابة بالخط الفينيقي . وناووس الاسكندر من اغرب ما نقش النقاشون تحسداً عليه وعلى كثير من الآثار الموضوعة في قاعات متحفنا اهل العاديّات والآثار ويذلون لنا لو اردنا في الحصول عليها مئات الالوف من الضار ونواويس المتحف البريطاني والوفيلست باعظم منها ومن عاديّات المتحف ناووس معروف باسم « صدراب » احدولاة فارس فيه رسوم الصنيد والقص والحرب واللعب والسباق ووضيعة جنازة ومنه يستدل على ما وصلت اليه هذه الصناعة من تلوين الرخام في ابونيا في الساحل

الغربي من بلاد الاناضول من الارتقاء في القرن الخامس ق . م وهناك تمثال ثنائي عشرة امرأة من اعجب ما نقش النقاشون جعلن على اشكال متنوعة بعضهن قائمات وبعضهن قاعدات وذن يذرفن دموع الحزن واللاهفة وبالقرب منهن ١٩ قطعة من نواويس رومانية عثر عليها في جبل لبنان وحمص وبيروت ومن النواويس البديعة ناووس اسمه ناووس ليكيا اي البلاد المعروفة اليوم بسواحل اضالية من اعمال قونية وهو رومي الصنعة محلي الاسلوب . وعلى مقربة منه تمثالان من الحزف المنقوش لابي الهول عثر عليهما في مدينة اورله او ميناء قلازومن من ازمير

قلنا ان الناووس المعروف بناووس الاسكندر هو من ابداع اصنعت الايدي ولذلك زاره الوف من علماء اوربا واميركا يعجبون بصنعه وفيه كثير من الرسوم والخطوط النفيسة الملونة ومن الصور المزبورة عليها وقائع الاسكندر المشهورة . ومن كتاباته ما كتب بالخط الهيروغليفي المصري ومنها بالخط الفينيقي

ومن الرسوم الموجودة في ناحية قريية ما يرجع انه رسم الحرب التي نشبت بين الاسكندر في ايسوس او اربيل وبين دارا ملك الفرس سنة ٣٣٣ ق . م

ومما يقع نظرك عليه في القاعة الرابعة بعض عاديات هيتية مثل اسود وجدت في زنجيرلي وقصورها وتمثال يمثل احد ملوك الهيتين وقاعدة تمثالين لابي الهول وتمثال من الحجر الاسود اسمه « اسد مرعش » كتبت عليه كتابات هيتية وهو اشهر اثر عثر عليه من آثار هذه الامة حتى الآن . والهيثيون امم مختلفة كانت في القرن الخامس عشر قبل المسيح تنزل في

جبال الاكراد في سورية وقبادوكيا وقسم عظيم من بلاد الاناضول حتى
 مجرى نهري الاحمر (قيزل ايرقى) وكديز واصولهم كثيرة متباينة بل ان
 البلاد التي كانوا يستولون عليها هي كما يقول المحققون في شمالي سورية اي
 في المنطقة الممتدة من فرع الفرات الاكبر الى جبال طوروس . وقد انشأوا
 على الفرات قلعة قارغاميش المعروفة الآن بجرابلس واخذوا يهددون مدينة
 نينوى القديمة (الموصل) الى اواخر القرن الثامن ق . م وبلغت وامتدحتى مجدهم
 بين القرن العاشر والثامن ق . م وقد استولى على هذه القلعة صاراغون ملك
 اشور سنة ٧١٢ وباستيلائه عليها محي اسم الهيتيين من عالم الوجود . على
 ان تاريخ هذه الامة مع ما بلغت من الحضارة بين الامم القديمة لم يؤثر عنها
 بالذات شيء يدل على عظمتها لان خطها لم ينحل حتى الآن ويرجى ان
 يكتشف كما اكتشف الخط المصري القديم بواسطة حجر وجد في رشيد
 كتب بالخط المصري مترجماً الى اليونانية

ومن العاديات المهمة في المتحف الاواني الزجاجية والخزفية واحسن الزجاج
 ما جاء من سورية وقد كتب على كل قطعة منها اسم البلد الذي عثر فيه
 عليها . ومعلوم ان تاريخ وجود الزجاج قديم يتعذر معرفته وهناك قطع من
 الفسيفساء عثروا عليها في استانكوي او جزيرة كوس من جزائر البحر الرومي
 ويرد تاريخها الى الدور اليوناني وآثار معبد اشمون في صيداء من آثار الفينيقيين
 الخزفية وآثار سوكة وآياثلوغ ونامورد من اعمال ازمير وغيرها من بلاد الاناضول
 واكثرها يوناني . وفي قاعة أخرى اوان وجدت بالقرب من صور ووبج في ولاية
 مناستر في بعض المدافن واوان في ليندوس (رودس) وغيرها يرد تاريخها الى
 ادوار مختلفة يونانية ورومانية ومنها ما عثر عليه في لابسكي من اعمال كليبولي

ومن الآثار المهمة في القاعة الحادية عشرة عاديّات ارض فلسطين ومنها ما عثروا عليه في جوار القدس ويرجع تاريخه الى القرن الثامن ق . م وما عثر عليه في بحيرة حمص في الجزيرة التي حفر فيها من القدور والأسرجة وقد اعتبروا القسم الاعظم منها من عهد الزمن النحاسي . وفيه قطعتان من المرمر وجدتا بالقرب من المسجد الأقصى وعليهما كتابات بالرومية تحظر على الغرباء ان يتخطوا معبد سليمان والا فيعاقبون بالموت . وهناك حجر كلسي عثروا عليه في القدس مكتوب عليه كتابة فينيقية وفيه ذكر جر الماء تحت الارض في قناة حفرت في الصخور من نبع جيمون الى سور القدس حتى تصل الى نبع عين سلوان وينسبونه الى الملك حزقيا احد من ورد ذكرهم في سفر الملوك من التوراة

وليس العاديّات المصرية كثيرة في المتحف ومنها صور ابي الهول وفي ثلاث قاعات الآثار الكلدانية والبابلية والاشورية واكثرها الواح واوان واكواب وعظام كتبت بالخط المسماري

ومنها ناووس من الخزف يرد الى عهد بابل اي الى نحو ٦٠٠ سنة ق . م ومنها مسلة من الحجر من مخلفات نابونيد ملك بابل كسرها سنخريب في وقائعهم مع السبتيين . ومن العاديّات ما وقع في خرابة نيفر في الشمال الشرقي من الديوانية من اعمال بنداود ومنها ما وجد في تللو من اعمال البصرة ومنها ما عثروا عليه في سيدبارا او ابي الحبة من اعمال الجزيرة

وقد خصصوا القاعة السابعة عشرة بالآثار التدمرية والحيرية ومن الآثار التدمرية ما يستدل منه على ان صنعها من بدائع صناعتهم وان كانت تشبه الصناعات اليونانية لان مملكة تدمر وان كانت يهودية لم يبق فيها اثر لهم لان

الاشوريين قرضوا عمرانها ثم ارتقت على عهد اورليانوس واول ظهور النصرانية ودخلت في حوزة المملكة اليونانية على عهد الاسكندر واستعملت اللغة الرومية ولا سيما في الرسميات وان كانت لغتها الآرامية او السريانية . اما الآثار الحميرية فهي آثار اهل سبأ ومعين في الجوف وعاصمة سبأ مأرب واهل معين كانوا نازلين في قصبة العلى في جوار مدائن صالح ومملكة حمير اليمنية انما نشأت بعد هلاك مدينة سبأ ومعين واستدلوا من ذلك على ان الخط الحميري يشبه الفينيقي ولكن دخله قلب وابدال كثير

ومن الماديات آثار قبرص منها تمثالان للمعبودين هر كول و آفروديت واوان خزفية وندور . ومنها حلي اشورية وفينيقية وحلي وجواهر واقراط واساور وقلائد وجدت في مدينة ترواده اي في محل اسمه الآن حصارلق من اعمال لواء بيغاشمالى جون ادرميد وكان اسمه في القديم ايدا وهو بين جبل قار وهلسبون اي بين جناق قلعة وبحر الارخبيل وكانت هذه عاصمة قديمة مشهورة . ومنها ما وجدوه في ترال من ازميزولبية من طرابلس الغرب وبرقة وغيرها في طرسوس وآخر في برغمة وفي نابلس

هذه جملة اشرنا بها الى ماحواه المتحف وله قسم آخر اسلامي جعلوه في قصر الصيني امام البناء الجديد كما قسمت مصر عادياتها الى متحفين متحف الآثار المصرية واليونانية القديمة والمتحف العربي . وقصر الصيني هذا مما أمر بانشائه السلطان محمد الفاتح ولكن لم يبق عليه من آثار ايامه الا اثر ضئيل جداً مثل الآثار التي يحويها وبعض عاديات واكثرها من قرون الانحطاط اي القرون الخمسة الاخيرة ومنها بعض الصيني الذي كان يعمل في دمشق ورودس وازنيق وكوتاهية وبعض الكاشاني المكتب بالكوفي ومنها ما عثر

عليه في مصر وقونية ودمشق وبورصة وكان يعمل فيها كما تعمل الطنافس
البدية في معامل دمشق وتوقاد واصفهان وغيرها

ومن عادات قصر الصيني درفتان من صنع قره مان وقونية ومنهارحالي
وقماق وطاقس ومصايح وخطوط صدرت عن بعض الملوك العثمانيين ومنبر
من صنع الرها (اورفة) واوان خزفية وجدت في الرقة من اعمال حلب وجلود
كتب من صنع مهرة المجلدين من العرب والفرس والنرك واصونة وخزائن
وبعض آثار حجرية يقال انها أموية عثر عليها في القدس وبعض نقوش
حيوانات رسمت على الزجاج من الادوار التركمانية والآرتقية وملوك بني آرتق
من مماليك الملك شاه بن الب ارسلار السلجوقي حكم واجهات ماردين وديار
بكر وحلب الى سنة ٨١١ هـ وانقرضت دولتهم بعد حكم ٣٣٤ سنة الى غير
ذلك من العاديات والآثار ومما عرضه عود طرب او طنبورة وهي من صنع
عصور الثامنة ايضاً . . .

وبالجملة فان العاديات القديمة التي جعلت في البناء الجديد كلها حسنة
ومقيمة ولم يكن الكسر والتخميم يغلب عليها لما قاسته من اهاويل الدهور
اما العاديات التركية والعربية الاخيرة فتأفة على الاكثر . وفي الاستانة محل
قرب جامع السلطان احمد عرضوا فيه صور الانكشارية مجسمة من الجبس
من صنع النمسا وهم يلبسون البستهم المعروفة وجالسون على مراتبهم وعاداتهم
لاباس بزيارتها لما فيها من الفائدة التاريخية

سير العلم والاجتماع

تربية صغار العملة

في السويد الآن ٧٢ معمل لصغار الاولاد منها ١٦ في استوكهولم والمختصة لهذه المدارس العقيلة كوستاف سيسنار رنرويس التي انشأت اول معمل من هذا النمط منذ عشرين سنة تذكراً لاهلها وهذه المعامل هي عبارة عن ملجأ لاولاد الشعب الذين لا تفتح لهم المدارس ابوابها الا صباحاً من الساعة الثامنة الى الواحدة او بعد الظهر من الساعة الثانية الى السادسة فيلم فيها الاولاد صنع الخشب وتطريق الحديد واصلاح الثياب وخباطتها وخصف النعال وصنع الاحذية . وقد تبين لهذه المعامل ان الاولاد يعنون كثيراً بالثياب التي يخطونها بانفسهم ولا يتصد من هذه المعامل اعداد عملة ماهرين خبيرين بل يكتفى بتمرين مخصص ، من الخدق والنظر والاجتهاد وتقوية ميلهم الحسن الى الاعتماد على العمل ولا يسمح لولد ان يتخلى عن صنعة قبل ان يعمل بنفسه شيئاً فيها يرضى عنه معلوم ومعلوم ان الخدق في العمل اليدوي يكون قبل الرابعة عشرة والخامسة عشرة هذا مع ما في عملهم من التأثير الادبي النافع ويزيد ذلك سهر الاساتذة على تلامذتهم ومعاملتهم لهم بالحب والحرية ولا تعطيهم هذه المعامل لقاء عملهم سوى طماهم وهم يهيشونه بانفسهم معظم الاحايين .

اترابنا العميان

تحت هذا العنوان كتبت معلنة انكازية من العميان في احدى المجلات العلمية ، الا اثبتت فيه ان العميان ليسوا كما يتوهم الناس عاجزين الا عن استعمال قسم قليل جداً من القوى التي يستخدمها المبصرون واوردت على ذلك امثلة من التعليم الخاص بالعمي في بيوتهم او في المدارس الابتدائية والعالية فقالت ان هذه المدارس التي يديرها العمي في الاكثر مثل مدرسة المعلمين العميان في انكلترا تعلم تلميذاً موافقاً لحاجات الطلبة ببحث بغادرها هؤلاء وهم يعرفون القراءة والكتابة والخيالة باليد او الآلة وطباعة التوتيت والكتابة على الآلة الكاتبة واللعب . وتعليمهم اللعب من اصعب الامور وهذا ما يحرص عليه اساتذة مدرسة المعلمين المذكورة حتى غدا تلاميذهم يعرفون اللعب بالشطرنج والداما ويركبون الدراجة ويحسنون التجهيف والعموم ولعبة الفوتبول .

تعلم اللغات الحية

نشر احد ضباط الانكليز في الجيش الهندي مقالة في المجلة المدرسية ذكر فيها ان حكومته ارسلته مع الحامية الى تخوم الشمال الشرقي من مستعمرة الهند بين قبائل متوحشة تتكلم بلهجة هندية صينية ليس لها قواعد ولا معجم مفردات مكتوبة فقاذه الاتفاق الى ان صارت له صلة مع احد شيوخ ذاك الصقع يستعمل السحر والكهانة فانشأ بادئ بدء يستمع لما يلقى، ذاك الساحر من القصص مشفوعاً باشارات ورموز واضحة تجلب النظر فلم يمض زمن طويل الا وقد توصل الى ادراك المعاني التي يريد بها الساحر وما هو الاقليل ايضاً حتى دهش من نفسه، وقد اخذ يألف الكلمات التي يدمدم بها الشيخ المتوحش واصبحت له من هذه اللغة البربرية . معرفة واحدة لم يتعب في تحصيلها كما انه تعلمها من كتاب . واستنتج بعد ذلك بان خير طريقة يجب اتباعها في تعليم الاحداث لغة لا يعرفونها ان يسير المعلمون لها على الطريقة التي تعلم بها صاحبنا الانكليزي لغة الهند الصينية .

الاخلاق بالطعام

يرى بعضهم انه يستدل على اخلاق المرء من خطوط يده او من تفلطح رأسه او من استعماله القهوة اوغير ذلك ولكن احد اطباء الانكليز قال : « قل لي ما تأكل لافول لك من انت » فاستدل بان الاغتذاء بالحكم البقر يورث نشاطاً وقوة . واستعمال لحم الخنزير يورث النفس اقباضاً ويسود المستقبل في النظر . ولحم الخروف يورث السويدة والاكثر من لحم العجل كثيراً مدة طويلة يضعف كل نشاط ومداومة . وتناول اللبن الحليب والبيض يولي قوة ذهن ولا سيما في النساء والزبد تكثير البلمم وانتفاح يوافق العاملين به تمولهم والخردل من باعثات الذهن ومنشطاته .

المباحث الليمولوجية

الليمولوجيا من العلوم الحديثة وهو يبحث عن الظواهر والتركيب التي تبدو في البحيرات وعلى سطوحها وفي داخلها وتدل هذه الظواهر على الخصب الذي لا يتناهى في جوف الارض ولهذا العلم شأن عظيم في اميركا . ففي نيكاراغا مثلاً بحيرة اسمها نجيا باهي في الحقيقة حوض ماء من الصابون تخنوي كميات وافرة من محلول ييكاربونات البوتاس والهودا وسلفات المغنيزيا اذا ثار الهواء تحدث منه امواج يتكون منها زبد يستعمله سكان ضفاف البحيرة في غسل رؤوسهم والتداوي من الاضرار

الجلدية . وفي وسط ولاية الاسكاجيا بحيرة اغرب من هذه يكون سطح . سائها حلواً
وسمكها ابيض اللون اما الماء في داخلها فاملح من ماء البحر وتوجد فيه الاسماك التي لاتنضد
الا من البحار . ومن البحيرات الصغرى في ولاية اوتاج ماتجد ماءه . مركباً من توابل
مملحة متبلورة يشي عليها الفارس ولا يسقط وفي ذاك الصقع ايضاً بحيرة لون مائها وردي
وتنبعث منها رائحة بنفسج ولونها ورانحتها صادران من وجود الخث « نبات الماء »
فيها وبالقرب من سانتافي في كولورادو بحيرة تحتوي كمية وافرة من الكبريت . ومثل ذلك
تجده في كثير من اقطار الارض وهو ناشئ من نوع الحيوانات والنباتات التي تعيش
في تلك البحيرات ومن طبيعة ارضها بركانية كانت او غيرها . قالت المجلة التي عربنا عنها
وربما علل بذلك ماوجد في بحيرة اكتشفت حديثاً في آسيا من الغليان الدائم في
مياهاها بحيث لاتنزل حرارتها عن ١٢٠ درجة بالميزان المثوي
التشيل في الخلاء

ضافت في الغرب بيوت التشيل فهرع الناس الى الخلاء بتخذون منه دوراً
للتشيل لانضيق بالمثلين ولا بالحضور . وقد مثلت مدرسة هارفرد الجامعة في اميركا
في المدة الاخيرة رواية جان دارك للفيلسوف الالماني شيلر فكان الممثلون التي شخص
والحضور خمسة عشر الفا وهو اعظم اجتماع على مثل هذه الحال .
الجيش العامل

على الرغم من احتجاج الملوك ومعارضة دعاة السلم ما برحت اوربا تزيد في جيوشها
العاملة حتى بلغ الجيش العامل اربعة ملايين وربعاً من اصل ٤٣٥ مليوناً من السكان
اي عاملاً واحداً يؤخذ من كل ثلاثين عاملاً في اوربا والمانيا وحدها ٦٣٤ الفاً
ولفرنسا زهاء ٦٠٠ الف وهكذا ازداد عدد هذه الجيوش زيادة كبرى فزادت اوربا
جيشها العامل منذ سنة ١٨٦٩ ضعفي ما كان وكذلك نفقاته . وفي الاحصاءات الاخيرة
ان اوربا تنفق على جيشها مساهمة ستة مليارات و٢٢٥ مليون فرنك في السنة

صفات السياسي

نشرت مجلة الاجتماع الدولية مقالة في الاخلاق التي يجب ان يكون عليها الساسة فما
قائمه ان الناس يزعمون بان احسن سياسي اكثرهم جرأة واحتبالاً وقد ابان ابستورنل
كونستان فساد هذا الرأي مؤكداً بان الثقة والسلطة والاعتبار حليفة اهل الخسمة
والوقار من الناس اما النجاح الموقت الذي يأتي به بعض الطرف فهو من شأن الخساسة

السلطحيين وولاية الشأن النحطين . فن يجيد السلام يسلم عليه ولكن لا يعد شيئاً عند التحقيق . ومن النقائص المضرة جداً في السياسي ان يكون واسع الفكر وردي النية فعليه اذا احب النجاح ان يتحاى ادهاش المجتمع بفضيلة . كما ان الواجب عليه ان لا يعيش عيش الفقراء بل ان يكون له مسكن في المدينة التي يقيم فيها وواحد في الضاحية وآخر في بلده الاصلي واحياناً مسكن في احدى الولايات والانفاق على اربعة بيوت يحتاج الى البذل كثيراً ولكن ذلك ضروري لمن يجب ان يقوم بوظيفته حق القيام على صورة محترمة . وختم الكاتب مقالته بان السياسة مثل سائر المسالك والاورواق آخذة بالشو، والابتعاد عن التقاليد القديمة من دس الدسائس واستعمال الشدة وغايتها الآن العمل لما فيه نشر السلام بين الانام

المعادن الشفافة

جربوا الذهب فظهر لهم انه من المعادن الشفافة ومن المحتمل ان يكون النحاس والفضة كذلك . واثبت ان هذه المعادن شفافة يحدث الواناً مذهشة وتغيراً في الصنعة

خفقان القلب

يختلف خفقان القلب في الحيوان باختلافه في الطول فكلما كان نوع الحيوان صغيراً زادت ضربات القلب فقلب الفيل يخفق ٣٠ مرة في الدقيقة والحصان ٤٠ والحصار ٥٠ والانسان ٧٠ والكلب ٩٠ والارنب من ١٥٠ الى ٢٠٠ والفأرة من ٥٠٠ الى ٦٠٠ . ولم تيسر حتى الآن بالآلات الموجودة معرفة خفقان قلوب الحيوانات الصغيرة وغاية ما عرف ان الفأرة نفسها كلما كانت فتية زاد خفقان قلبها

جمعية الموسيقيين

تألفت في فرنسا جمعية مهمة لتجمع جميع الجمعيات الموسيقية في فرنسا على اختلاف مقاصدها في نقابة واحدة . ففي فرنسا الآن ١٢ ألف جمعية موسيقية وموافقة من ٣٠٠ ألف انسان على الاقل فاذا دفع الواحد فرنكاً في السنة تيسر لهذه النقابة ان تعمل اعمالاً مهمة ومنها انشاء مكتبة موسيقية عامة

التمثيل في ايطاليا

الشعب الايطالي مولع من وراء الغاية بالتمثيل ولعه بالنصوير والنقش والموسيقى حتى بلغت دوره عندهم اكثر من جميع البلاد المتمدنة بالنسبة في ايطاليا ١٥١٢ مسرحاً اي مسرح واحد لكل ثلاثة وعشرين ألف شخص ولولاية بروز المقام الاول حتى ان بليدة

صغيرة اسمها كامبونا كورد في البندقية سكانها ٣٥٠ شخصاً لها معهد تمثيل . ومعظم دور تمثيلهم تسمى باسماء اعالم رجالهم .

حوادث السكك الحديدية

على كثرة عناية الاميركان لاتقاء ما يحدث عن السكك الحديدية من المكدرات نزداد حوادثها يوماً عن يوم وقد حسبوا انه هلك من وقائع السكك الحديدية منذ شهر حزيران ١٩٠٦ الى مثله من سنة ١٩٠٧ ١٢٢٨٨٥ اي اكثر مما هلك وجرح في معركة واترلو حيث بلغ مجموع من هلكوا ٥٣ ألفاً وفي معركة موكدن حيث لم يتجاوز الهاكون مئة الف . وقد اخترعوا في روسيا طريقة سموها طريقة التجسس وهو ان يداوم المفتش وقاد القاطرة والميكانيكي وغيرهما من عملة القطار اثناء السير فاذا صادف خلافاً او نقصاً يحكم على المتراسي في الحال . ويتنص على كل سائق ووقاد ان تفحص عيناه كل شهر فاذا شوهدها فيها ادنى ضعف يمنع من الخدمة وقد جربوا هذه الطريقة في روسيا واميركا فظهرت لهم فوائدها .

البريد الالماني

في احصاء رسمي لسنة ١٩٠٨ انه كان عدد الرسائل وغيرها التي مرّت بالبريد الالماني تلك السنة ١٤٠٥٧ مليوناً وكانت سنة ١٩٠٠ ٨٨٤٠ مليوناً وعدد مستخدمي البريد ١٩٤٢٥٦ سنة ١٩٠٠ فاصبحوا في سنة ١٩٠٨ ٢٨٨٧٢٥ وتجي بعد سويسرا المانيا بجمدة برديها في حين كانت انكلترا الثانية منذ ثلاث سنين . ولكل ٨٢٥ نفساً في سويسرا مكتب بريد ولكل ١٤٩٥ نفساً في المانيا مكتب وفي انكلترا لكل ١٨٧٣ وفي البلجيك لكل ٥١١٩ وفي ايطاليا لكل ٣٩٤٠ وفي النمسا ٢٩٦٥ وفي فرنسا ٣٠٠٨ وفي اسبانيا ٤١٤٣ وفي روسيا لكل ١٠٣٦٥ وفي الدولة العثمانية لكل ١٨٣١٥

مدرسة الخلية

الخلية او عش النحلة امم وضعه احد مفكري رجال التربية في فرنسا المسيو سباستيان فور لمدرسته اوجدها في مدينة رمبوليه من مقاطعة الواز في شمالي فرنسا التربية البنائي او الاغفال المهملين او وي الحاجة يختارون من ابناء الداسة ويعلمون الى الخامسة عشرة فيتلقي الطفل الى السنة الثانية عشرة التعليم الابتدائي وبعد ذلك يضاف اليه قسم في فيتعلم الطالب حرفة فاذا بلغ الخامسة عشرة يخير بالخروج من المدرسة او ان

يعمل فيها على ان يتسم ارباعه من صنائه، ثلاثة اقسام يتفق الاول لطعامه ومسكنه والثاني يضاف الى رأس مال الخلية والثالث يودع له في صندوق التوفير لحاجته، الذاتية والخلية الآن مكان لطيف فيه ٢٦ ذالبا وأسرة المؤسس ١٤ يعيش هو ولأهله الاربعون نسمة كأُسرة واحدة ورأس مال هذه الخلية من ثمره اعمال المؤسس وحسنات المحسنين وقد كانت نفقتها سنة ١٩٠٩ نحو عشرة آلاف ليرة ودخلها اقل من ذلك بقليل وقد استمرت منذ سنة ١٩٠٦ وهي الى الآن تحسرو وبد العجز منه ويربي الطلبة على البنية البدنية والتربية العقلية ولا يعلمهم الدين ولا التاريخ لينتاروا متى شبوا لانفسهم ديناً ومذهباً سياسياً لانه يقرر ان التاريخ كما هو الآن لا يخلو من زيادات كثيرة فمن نصفهم بانهم عظماء كانوا في الحقيقة مخربون اسراراً ولذلك يكثفون بتلقيتهم تاريخ الحضارة والمدنية اذ يلغتهم بذلك حقاً راحة لا يتطرق اليها الفساد.

اكتناء عرب الشام

كتب الامير شكيب ارسلان في الثبراس فصلاً قال فيه تحت العنوان السالف ما يأتي : انه معلوم ان لكل مبارز شعاراً ينادي به في ميدان الحرب ، وهذا هو المسمى عند الماضين بالاكتناء وعند المعاصرين « بالنخوة » ، وهي في اللغة المظحة والفخر : يقولون انتخى عليه افخر وعظم . وحيث كان المنتخى اكثر ما ينتخى على طريق الكنية كأن يقول : « انا ابو فلان او اخو فلانة » فجعل هذا المذهب من الفخر في ساحة القتال اكتناءً وسمي هذا الاكتناء انتقاء . ومنه قول الامام علي رضي الله عنه : « انا ابو حسن القرم » ومنه : « انا الغلام النفارسي » . وقد ورد في الحديث : « رأيت رجلاً - في النادرة - وقد تكنى وتحنى » والتكني هو هذا وتحنى هو الزمزمة على عادة الفرس . ولا ينحصر الاكتناء المتصوده بالذكر الاب والام بل هو تعريف الفارس بنفسه في ساحة الوغى بلقب من الالقاب او وصف من الاوصاف يصير عليه ذمماً . فالشعلان وهم شيوخ الزولا من عنزة من اعظم العشائر الضاربة في بادية الشام ينتخى واحدهم بقوله « انا راغي العليا » ومتى قيل « رعاة العليا » علم انهم الشعلان عند كل العرب . ولهم نخوة اخرى وهي « اخوصيته » ولا ادري ما اصل هذه التسمية ولكن الصيغة في اللغة هي بمعنى الصيت ومنه قول لبيد :

وكم مشتر من ماله حسن صيته لا بانه في كل مبدٍ ومحضر

ثم ان ابن سميير شيخ ولد علي فخذ آخر من عنزة يتكنى بقوله « اخو عذرا » وعذرا هذه

قريبة في مرج راهط شرقي دومة الشام كان لآباء سمير عليها اثاوة سنوية او علي رأيهم «خوة» فتكنوا بها فكأن قولهم «اخو عذرا» يشير الى ان قرية عذرا نوديه لهم «الخوة» .

ثم ان ابن الطيار شيخ الفرية الثانية من ولد علي بكثني «باخي ثنية» ولا اعلم . اذا كانوا يريدون بهذه التسمية المحل المسمى بشنة العتاب الواقع الى الشرق من عذرا والذي هو المطلع من المرج الى جبل القملون .

ثم السردية وهم من العرب العروفين في بلادنا بابل الشمال ولهم قدة في حوران وامارة في الايام السابقة ويزعم بعضهم انهم بطن من تنوخ فهو لا ينتخون بقولهم «اخوذبة» ثم بنو صخر النازلون شرقي الباء على طريق الحاج وهم فرقتان الطلوة والخرشان .

فالطوقة ثلاث فرق : الغبين وشيوخهم الفايز وهم شيوخ سائر بني صخر ايضا ومنهم المرحوم طلال باشا ابن فندي الفايز والحامد والزين . فالفايز كنيتهم في الحرب «اخوبلها» والحامد يقولون «اخو عشاء» والزين «اخو وضحا» . واما الخرشان احدى فرقتي بني صخر فيقولون «اخوفلوا» والبلاء في اللغة هي المرأة الكريمة الغيرة التي لاتعلم الشر ، وورد ايضا انها الناقة : قالوا ناقة لبلاء لاتفحاش من شي مكانة ورزاة كآنها حمة .

ولم اعلم سبب قولهم «اخربلها» . اما «العما» فهي مؤنث الاعمش من العمش وهو ضعف البصر مع سيلان الدمع . ولم ار في فصيح اللغة «الفلاء» وانما قيل ان الفلوا وهو المهر يقال له فلوا بالتشديد ثم يؤنث فيقال فلوة مثل عدوة فلوة فهل ذلك تحريف ام تخفيف ؟ لا اعلم . وجميع بني صخر يقال لهم البواسل وهو لقب يجمعهم فاذا قيل جاء البواسل فهم العرب من ذلك انهم بنو صخر ومعناه مفهوم . ولم لنب آخر وهو «رعاة العرفاء» والعرفاء مؤنث الاعرف وهو الطويل الذي له عرف : يقال ناقة عرفاء اي مشرفة السنام . ويقال ايضا ناقة عرفاء اي مذكرة تشبه الجمال ، ويقال ايضا عرفاء للضبع اطول عرفها وكثرة شعرها وقد وردت العرفاء في شعر الشنفرى قال :

ولي دونكم اهلون سيد عماس وارقط زهنول وعرفاء جبال

ثم ان العدوان وهم عشيرة ينزلون منذ نحو مائتي سنة بالبلاء يشتمون في الغور ويقيمون في حسان يكتمون «باخرة شيخه» . ومن التريب ان هذه الكنية في الحرب كنية المشايخ العوامرة من رؤساء الدروز في جبل حوران . علي ان للعدوان ايضا لقباً آخر وهو «رعاة الضبطاء» . اخبرني شيخهم وشيخ مشايخ البلقاء في هذا العهد وهو سلطان

ابن علي بن ذياب ان الضبطاء اسم ناقة تنموها في حربهم مع الامراء آل مهدي الذين كانوا في البلاء قديماً وكانوا امراء تلك الجهة وزحزحهم العدوان عنها بعد حرب عوان وان آل مهدي كانوا قد حملوا على تلك الناقة اوقار كنوزهم من الحلي والذهب والفضة فمزهمهم آل عدوان وغنموا الناقة بما عليها وتناشوا فيما بينهم تلك الاموال فكانت بدء سعادتهم وحق لهم ان ينتسبوا الى ناقة حملت سعادهم فوق متنها . واما الضبطاء في اللغة فهي مؤنث الاضبط والاضبط هو الذي يعمل بكنتا يديه : يقال اسد اضبط اي يعمل يساره كعمله بيمينه : وناقة ضبطاء ولبوة ضبطاء . قال الجرجي الاسدي :

اما اذا أحردت حردي فحجربة ضبطاء تسكن غيلاً غير مقروب

ثم عشيرة عباد من نزالة البلقاء ايضاً وهم يناظرون العدوان يقال لهم « الطرائفة » قسمهم في الهجاء يصيحبون (اين ذهب الطرائفة ؟ اين ذهب الطرائفة ؟) وهم فرق ست منهم المناصير « اخوة عوجاء » ومنهم الحلة كآل (بدون تشديد) ومنهم الفقه ومنهم الرماضة ومنهم غير ذلك . والطرائفة اسم جامع للكل

ثم الحويطات النازلون باطراف معان والعبدة على طريق الحاج هؤلاء يقال لهم « اخوة صالحة » ويتخون في الحرب بكلمة « خيالة الصفحة » . سمعت انهم ينعون بذلك محلاً صعباً وعراً كثير الحجارة في بلادهم وفي اللغة الصفائح هي بهذا المعنى ثم العجارمة وهم من عشائر البلقاء ايضاً ولهم قدمة في التاريخ رأيت السائح ابن بطوطة في رحلته يشير اليهم اذ مر من هناك فاصداً الى الحجاز هؤلاء كنيتهم « صبيان الصباح » ولا اعلم الاصل في ذلك . وعشيرة ابي الغنم جيرانهم يقال لهم « اخوة دلب » ولا اعلم وجه هذه التسمية ولم ار في الفصح « دلباً » فلعله مقلوب دلب اودبل فان الدلبة والدبل هما بمعنى الناقة .

وبنو حميدة من عرب الكرك « صبيان السياح » وبالحالية شيوخ عرب الكرك الذين منهم مبعوث ذلك اللواء في مجلس الامة هؤلاء كنيتهم « اخوة خضراء » والصايت من عرب الكرك ايضاً يقال لهم « رعاة الحيزا » ولا اعلم للحيزا معنى الا ان كان من الحيز وهو السير الرويد والسوق اللين : يقال حاز الناقة يحيزها اي سار بها برفق وللرفيحات من عرب عجلون كنية هي « اخوة شيرة » ولعل « شيرة » مخفف « شيرة » اي جميلة لانه يقال امرأة شيرة اي حسنة الشارة

والصقر من عرب غور يدسان يقال لهم « رعاة الجدعا » والجدعاء من الجدع وهو التقطع

وأكثر ما يستعمل في الأنف والشفة والاذن وقد رأيت في لسان العرب « بنو جدعاء »
بطن من العرب .

ثم المساعيد النازلون بغور الفارغة في عدوة الاردن الى الغرب على طريق نابلس اميرهم
ضامن المسعودي لهذا العهد يقال لهم « بنو عقبة » وبلغني انهم في الاصل اشراف واردون
من الحجاز

والسرхан من العرب التي يقال لها عرب الشمال اسمهم « رعاة البويضا » . والكعبير
اسمهم « رعاة الصغرا » والدعجة من عرب مادية يقال لهم « اخوة خشفة » . والمتاخمة من
عرب غور ابي عبيدة (رضي الله عنه) منهم الريح « اخوة عمشيا » والفعاور « اخوة صبحا »
والشرارات وهم من عرب البادية الضاربة الى الجوف يقال لهم الآن « بنو مكلب »
واظن انهم هم بنو كلب لان التاريخ ذكر نزول كلب باطراف البلقاء من الشام .

ومن جملة الكنى المشهورة في حوران « اخوة بلجاء » وهي كنية بني الاطرش اشهر
مشايخ الدروز بذلك الجبل . ولا ادعي اني اثبت كل جميع ما لعرب الشام من اصطلاحات
النخوة والكنية واللقب اذ بقي هناك قبائل وبعطون واخذوا لا يكاد يأخذها العدد ولكل
منها كنية ومعرفة تتعرف بها وانما تتبع القول السائر : « ما لا يدرك كله لا يترك كله » .

هلكى السل

ثبت ان الالكحول هي الباعث الاقوى للسل وانه حيثما كثرت الحانات زادت
الاصابات والوفيات بهذا الداء العيا . واذ كان في فرنسا مثلاً نحو نصف مليون حانة
يصيب كل ثمانين انساناً من اهلها حانة واحدة وفي بلاد الشمال يصيب كل ٥٣ شخصاً
حانة اصبح السل فيها اكثر انتشاراً من غيرها . وقد اكدوا ان بلاد نروج توصلت بالقواعد
الصحية ومراقبة التلاميذة والاساتذة في المدارس التي هي بؤرة العدوى الى ان قلَّ
فيها عند المصابين بالسل وفي احصاء ظهره منذ خمس سنين ان فرنسا يهلك فيها ٣١ نسمة
من كل عشرة آلاف بهذا الداء وايرلاندا ٢٦ وابكوسيا ٢٠ والمانيا ١٧ وايطاليا ١٦
وانكلترا ١٦

التنزيه في الفرصة

بدأت الشركات في سويسرا منذ عشرات من السنين بجلب الاولاد من بلادها
وغيرها وتنزيتهم مدة الفرصة فخرجت على اثرها شركات اخرى في اكثر ممالك اوربا
حتى بلغ عدد من تنزتهم الشركات من التلاميذة في المانيا ٣٥ الفاً في السنة وفي انكلترا

٣٠ ألفاً وفي فرنسا ٢٥ ألفاً ومن التلامذة من يرسلون تحت حماية معلمهم الى نزل للشركة ومنهم من تكتري لم دوراً خاصة وفريق منهم تبشاع اوتبني لم دوراً من ارض لها لينزلوها خلال فصل الصيف

الاستشفاء في الشمس

كتب الدكتور ترمولير في مجلة مطالعاتنا في البيوت امثاله معرباً : جاءت الشهور التي يستشفى بها بالشمس العجيبة فلنفتح لها ابوابنا ونوافذنا ولا يكفي تسخين المساكن باشعتها وانارة زواياها بحرارتها فان الشمس في تلك الحال لاتزيد الجراثيم التي تنمو في الرطوبة والظلمة الا نضوجاً ولا يفتقر الى الاستحمام بنورها المحرق اذهب خلال الارتياض والخروج للنزهة بل الواجب ادخال اشعتها الى جسمنا وهر عريان لتطهر اشعتها جثثنا وتحيي نسبةنا ونحول المادة الحية المكتتبة الى مواد حيوية طاهرة تحوي في مطاوعها النشاط والقوة .

فقد اوصى اسكولاب المشهور في الاساطير القديمة الذي احترم الاطباء في كل عصر اقواله -- كل من ذهفت وظائفهم ان يعيشوا عمراً في الشمس بكتابة رؤوسهم من ضربات الشمس . وكان الرومان يقطعون من مساكنهم او مدنهم اما كن يختصونها بحمامات الشمس والهواء الطافي بدعوتها سر لار يومو بذلك حسن نسل اليونان واللاتين . قصد الاسكندر الكبير ديوجنس الكلبي ذات يوم وهو خارج من برميله يستحم على مهل بنور الشمس فدأله الملك ابي غرض تربد ان اقضيه يا فيلسوف فاجابه هذا اريد ان تبعدن طريق شمسي

وقد اتفق الاطباء في عصرنا على هذه المسألة وجاءت من كل مكان اخبار فوائد اشعة الشمس . وحدث ان رجلاً كان مصاباً بخراجين نفازين من الخنازير فعرض احدهما للشمس فشفى والثاني فلما لم يحسن مداواته باشعة الشمس بقيت بجالها تنز . وهكذا الحال في كثير من الرضوض والقروح السلية والنواسير والبثور وجروح الجلد فانها كلها تتحول بتأثير المداواة بالشمس .

واشعة الشمس لا تؤثر فقط في ظاهر الجلد بل تخترق البشرة والادمة (الطابقة الغائرة من الجلد) وتسري الى الداخل وتعديل الحواس الداخلية فالحرارة المتبعثة منها تجلب التعريق فتلين الاعصاب وترخص المفاصل ويزول التوتر بالملل والنقل بتأثير الاشعة وما يتبعها من ارتفاع درجة الحرارة ويحسين الهضم شيئاً فشيئاً ويسكن القلق والاضطراب

الحادثات من اوجاع مجهولة . ويرتفع التأثير الشديد المناهض من وجع الكلى والرحم والمبيض والآلام العصبية ووجع الاضلاع او يقل تناوبه على المصاب به فتنبسط نفسه وترتاح روحه وتعدل حالة البول باذراره تارة وتجمعه اخرى وتحسن موازنة الوظائف المعقدة في تركيب الانسان واكمل الاحشاء التي تناوم كل تأثير تتهمي بها الحال الى الخروج عن ضعفها . ويقتف السمن عن النمر او يرجع القهقري وذلك بدون عقاقير ولا تعالجي ادوية ولا حاجة للرصول الى هذه الغاية الى اكثر من الشمس على طريقة منظمة بتوجيه الاشعة الى البطن السمين والعنق والخاصرة حتى تعود الى اعتدالها وحالتها الطبيعية وبعد المداواة بالشمس اشهرأ يعود الصدر الى سالف طبيعته .

وان الحركات الرياضية التفيسية اللازمة للبالغين ممن ضاقت صدورهم ولكل من لهم استعداد للس لتتضي بان يمرى المرء نصفه الفرقى ويعرضه للشمس وهذه المداواة تنفع جميع الضعفاء والهزالى والمتهوكين والمتعبين . واكثر المستنفين انتفاعاً باشعة الشمس من اسودت بشرتهم فاذا لم يكتب لهم ذلك فالواجب ان يمدوا الى طريق آخر فى الاستشفاء . ويجب ان يمرض الجزء اللازم شفاؤه للشمس بمأثرة بدون حاجز اللهم الا يحجب يقي الجسم من النظر وهب الهواء فلا يحجم المستحم على هذه الصورة ولذلك رأى بعضهم ان سير استشفاء ما يكون فى الشتاء ورأى آخرون ان الواجب الا يتباطى ووضع رفادات ندية او مناجاة على الرأس والرقرة والقلب ولذلك يجب مراجعة الطبيب .

السجناء

ما برح الناس فى الغرب يسعون الى تخفيف عذاب السجن والرفق بالسجناء حتى اصبح السجن بهيجاً كالمعمل او المكتبة بل ان بعض السجناء قال نفثش احد السجناء انهم لا يعطوننا خبزاً مثل خبز الجند كأنه كان نفسه ارقى منهم طبقة ويحى له ان يطالب باكثر مما نال فليس عجيباً من ثم ان يزيد الجرائم . واخلف الباحثون فى الجرائم والعقوبات فمنهم من رأى الاستعاضة عن الحبس بغرامة مالية ولكن ماكل الناس فى سعة يستطيعون معها بذل المال وقال آخر يجب تشهير الجاني باعلانات ورد عليه غيره بان ذلك مناط بعقل المجرم . وذهب آخرون الى وضع المجرمين فى بيوت اعلمها من اهل العرض والشرف ثم عاد عن هذا الفكر وارتضاه فقط لصغار الاولاد . واحسن السجناء من لوفن فى البلجيكي حيث يفصل المحكوم عليهم عن اخوانهم ويزورهم اناس من ارباب الشرف والحشمة يسلمونهم ويعطونهم عملاً ويستمعون لمطالبهم وينصحونهم سرّاً بانحصالها

وقد ارتأى احد العلماء ان المحكوم عليه يجب ان يفصل ما امكن عن اقاربه ويكون قريبا ما امكن من المجتمع

شركات المطاط

كان يستخرج المطاط الى العهد الاخير من اشجار بربية مرسية اسمها « ليات » ثم اصبحوا يفرسون شجره ويزرعونها فصارت غلاته على طريقة منظمة واجود واغزر من قبل وانتشرت هذه الزراعة في المستعمرات الانكليزية فأنشئت سنة ١٩٠٩ - ٨٩ شركة انكليزية برأس مال قدره عشرة ملايين جنيه كما أنشئ من اول كانون الثاني ١٩١٠ الى ١ آذاره ٤ شركة جديدة اخرى رأس مالها خمسة ملايين ونصف من الجنيهات وكل يوم تنشأ شركات جديدة وقد كانت رؤوس الاموال الموضوعة سنة ١٩٠٦ مليونين ونصفاً من الجنيهات فاصبحت اليوم ثلاثين مليوناً واعم تلك الشركات تلك ٢٤٧٠٠٠٠٠ شجرة يستخرج منها المطاط

مدرسة التربية

يذهب كثير من الباحثين الى ان المدرسة اذا علمت الاولاد قليلاً او كثيراً فهي لا تربيههم وقد كتب احد علماء الطليان بحثاً في هذا الشأن قال فيه ان المدارس تفرط في تدريس التعليم المسيحي على حين ليس هو نافعاً في تربية اخلاق الاولاد وذلك لانهم لا يفهمون منه شيئاً فالواجب ان يعتمد الى تربية الطفل على العمل حتى تصبح المدرسة مربية حقيقة فان ساعتيين تكفيانه في اليوم لتعليم اللغات والمعارف الابتدائية فينبغي تخصيص بقية الوقت اي ساعتين او ثلاثاً للاعمال اليدوية بحسب ميل الطفل وذوقه لان الاستعداد للعمل امن اساس في الاخلاق وبذلك لا تكون المدرسة سجن الطفل تبرم نفسه من الجلوس على دكات المدارس خمساً او ست ساعات في اليوم واضطربهم المدرسة الى حضور التعليم الديني بل افهمهم والفقارة تدعوهم الى الحياة العملية التي تهيم مستقبلهم في المجتمع .

سماد الفوسفات

انتشرت صناعة السماد الكيماوي ولا سيما الفوسفات فقد ظهر هذا السماد لأول مرة سنة ١٨٦٧ في كارولين ثم جاء سماد البلجيك والجزائر وتونس وجزائر المحيط وفلوريدا وغيرها وكان المستخرج منه سنة ١٨٨٦ ثمانمائة الف طن فاصبح هذه السنة خمسة ملايين طن والولايات المتحدة أكثر الممالك اخراجاً للفوسفات اي نصف ما يستخرج من آسيا

واوربا وافريقية وزاد المصروف من هذا السداد ٧٩ مرة خلال العشر السنين
الاخيرة .

القرى والمدن الانكلوسكسونية

قابل احدهم بين نمو المدن في انكلترا ونموها في المانيا فقال ان الالمان اشد ميلاً الى سكنى المدن من الانكليز في حين بدأ الانكليز بالتخضر في المدن قبل الالمان بكثير فقد كان ٥ في المئة من سكان المملكة الجرمانية سنة ١٨٧١ يعيشون في المدن التي تضم كل واحدة منها بين جوارحها مئة الف نسمة فبلغ عدد ساكني المدن ١٩ في المئة من مجموع السكان سنة ١٩٠٥ وكان عدد المدن التي تحوي كل منها مئة الف نسمة ١٤ مدينة في انكلترا سنة ١٨٧١ فيها ٦٤,٢٥٠,٤٠٠ ساكن او ٢٧ ونصف في المئة من مجموع السكان فاصبحت سنة ١٩٠١ ٣٣ مدينة كبرى تحتوي كل واحدة منها على مئة الف نسمة ومجموع سكانها ١١,٥٠٠,٤٠٠ فزاد سكان المدن ضعفين خلال هذه المدة في انكلترا وزادت في المانيا ثلاثة اضعاف . والسبب في نمو المدن الالمانية كثرة اراضي المانيا وكثرة الولادات بل هجرة الناس من القرى ومعظم سكان المدن الحديثة هم شبان تختلف سنهم بين ٢٠ الى ٤٥ سنة

عملة الطليان

يلغ عدد العاملين في ايطاليا ٧,٧٨٧,١٦٦ عاملاً منهم ثلاثة ملايين و ١٢٩,٥٠٠ يعملون في الصناعات و ٤٦٧,٦٦٦ في الزراعة وقد انشأ الرايون من العملة مؤتمراً للاتحاد بينهم منذ اربع سنين فبلغ عدد الداخلين فيه الى هذه السنة زهاء ثلثمائة الف وغايتهم ان تكون حركة طبقة المساكين تحت ادارتهم مباشرة وان يساءوا على تأسيس غرف للعمل والاتحاد الوطني وينشطوا على وضع القوانين الاجتماعية النافعة للعاملين فخطتهم اصلاحية سليمة

التعليم الحديث في الصين

اخذت الصين منذ سنة ١٩٠٠ تعنى كل العناية باصلاح التعليم في الصين فنظمت كلية بكين وقسمتها الى ثمانية اقسام ثم أسست مدرسة للغات الغربية وفي سنة ١٩٠٣ وضعت مشروع قانون لجعل التعليم عصرياً محضاً فاخذ الطالب بشرع في الدرس في السنة السادسة ولا يخرج من المدرسة الثانوية الا في سن العشرين وبعد ذلك يترن ثلاث سنين في المدرسة العليا في عواصم الولايات قبل ان يختص في مدرسة بكين في

علم واحد وهذه المدرسة تعد رجالاً أكفاء لسته واربعين مسلحة ، ويصرفون جزءاً مهماً من الوقت في المدرسة الابتدائية لتعلم اللغة الصينية وقراءة كتب الاقدمين من كتاب الصين اما في المدارس الاخرى فيدرسون العلم واللغات الحية خاصة وهذه اللغات تعلم على الترتيب الآتي : اللغة الانكليزية اللغة اليابانية اللغة الفرنسية اللغة الالمانية اللغة الروسية . والتلامذة انفسهم يلاحظون في كل مدرسة امر مدرستهم ولم حق الاشراف عليها . ولم تكذ تنشر النوائح الجديدة في التعليم حتى وضعت موضع العمل وقام الصينيون كلهم يطلبون انشاء مدارس لهم وقد فتحت في ولاية تشيلي وحدها ثلاثة آلاف مدرسة في آن واحد وحوات كثيراً من المعابد البوذية الى مدارس للتعليم على الاصول الحديثة وقد اعوزهم المعلمون اولاً حتى اصبحوا يقبلون للتعليم بعض من لا يحسنونه الا ان الصين لم تلبث ان بعثت الى يابان سنة ١٩٠٤ باثني طالب يتعلمون في مدارسها العالية وزاد عددهم حتى بلغوا سنة ١٩٠٦ عشرة آلاف طالب وكل من يعود منهم نوسد اليه الوظائف السامية في التدريس وغيره (عن مجلة العالمين الفرنسية)

التعليم في المانيا

لاشيء ادل على ارتقاء التعلم الابتدائي في المانيا من قلة عدد الاميين بين الجنود من ابناءها فقد كان عند المانيا سنة ١٨٨٧ — ١٨٢٥٠ جندياً امياً من الجنود الذين كانوا تحت السلاح فاصبحوا سنة ١٨٩٧ مائتين وقد بانا هذه السنة اثنتين في المئة من مجموع المجندين واكثر هؤلاء الجنود الاميين هم من البولونيين في بروسيا الشرقية اما عدد الاميين في فرنسا في السنة الماضية فتد بلغ ٩٨٢٥ من الجنود ومعظم الدول تعلم جندها الاميين القراءة والكتابة بحيث لا يقضي الجندي في الخدمة العسكرية الا وقد تعلم الكتابة كما تعلم الرماية

المطبوعات الاميركية

نشر احصاء بحركة العلم والمطبوعات في الولايات المتحدة خلال السنة الماضية فشاهد ان القوم اخذوا يزهدون في قراءة القصص ويرغبون في تناول كتب الجد واصبحت كتب الادب في الدرجة الاولى من العناية بعد ان كانت في الدرجة الخامسة . وقلت العناية بكتب الدين واللاهوت كما زادت في سائر فروع العلم مثل الفنون النافعة والجغرافيا وكتب الرحلات والسياسة والعلوم الاجتماعية والتربية . وقد طبع سنة ١٩٠٩ في هذه البلاد ٨٣٠٨ كتب لمؤلف اميركي وكان عددهم في السنة التي قبلها ٦٣٤٩

وطبع ٨٢٨ كتاباً لمؤلف انكليزي او اجنبي وكان عدد هذه الفئة سبعة في السنة التي قبلها ١١٤٥ .

اللغة الروسية

كانت اللغة الفرنسية في روسيا منذ مئة سنة لغة الطبقة العالية والمحتمات المتورة وما برح الروسيون يعملون على تحسين لغتهم ويجيبونها الى النفوس على كثرة شذوذها ويرفقونها على غلطيتها حتى نشروا اعلامها لا في بلادهم فقط بل في اوربا ووصلوا بها الى اميركا في نيويورك وحدها حتى الروس يبلغ المتكلمون بلغتهم ١٦٠ ألفاً هذا واللغة الروسية على ما فيها من الآداب منذ عهد بوشكين شاعر الروس الاول الى عهد تولستوي آخر ائمة النثر عندهم لم تبحر على جفائها الاول وان تسربت اليها الفاظ كثيرة من اللغات المجاورة ولا سيما من الالمانية .

اميركا الاسرائيلية .

في احدى المحلات الافرنجية ان اميركا هي بلاد الاسرائيليين لورجعنا الى مقاله بعض المؤرخين والاحصائيين . فقد دخل الاسرائيليون اميركا منذ اكتشافها وسهل علماء اسرائيل في البرتقال باعمالهم الرياضية والفلكية الطريق لسفر خريستوف كولبس الى اميركا بل ان مال اليهود هو الذي يسر له رحلته وكان معه في السفينة لويز دي نور الاسرائيلي وهو اول من داس الارض الاميركية واخذ المهاجرة من الاسرائيليين منذ افتتاح تلك البلاد بأنونها زمرراً زمرراً فاليهود هم الذين استعمروا سان تومه حيث أسسوا معامل السكر وبهم نجحت برازيل الى ان طردوا منها سنة ١٦٥٤ وجزائر بارباد وجامايك ارتقت بواسطة الامرائيليين وقد صرح احد حكام الانكليز ان الاسرائيليين هم احسن رعايا عظمة الملك . وما كانت الولايات المتحدة لتدخل في طور الفلاح لولا العنصر اليهودي فيها . وقد قال الرئيس روزفلت يوم عيد ٢٥٠ لهجرة الاسرائيليين ان هؤلاء القوم قد شاركوا في عمران هذه البلاد ونشأتها . وقال الرئيس كلفلند لم يوتر احد كاليهود في تأسيس عالم الحضارة الاميركية اليوم .

الرياضات اليابانية

يقول اليابانيون ان اجسام بنهم اخذت بالضعف منذ تخلى الناس في يابان عن الارتياض واللعب على طريقتهم القديمة على خلاف ما يظن الاوريون فان كثرة المواصلات بالترامواي والسكك الحديدية قللت السير على الاقدام والمشي من انفع

الرياضات كالسباحة وقد نصحوا بان الواجب على كل ياباني ان يحسن العوم ويتعلمه مكرهاً في المدارس وعلى الناس ان يرجعوا من تلقاء انفسهم الى تعاطي اللعب والرياضات والمشي فليس ادل على ضعف البنية اليابانية اكثر من ان حكومة الميكادو اخرت ١٧٨ الفا من الجند او اعفقتهم من الخدمة من اصل ٤١٤ الفا لضعف بنيتهم ولانهم لم يستوفوا الشروط المطلوبة للخدمة العسكرية .

خريطة العالم

دعا المؤتمر الجغرافي في جنيف سنة ١٩٠٨ مؤتمراً دولياً للتعاون على وضع خريطة للعالم من مقياس مليون فاجتمع المؤتمر في لندرا وقران ترسم انكلترا معالم افريقية ومجاهليها وترسم الولايات المتحدة معالم اميركا الشمالية والجنوبية والمانيا ترسم آسيا وستكون هذه الخريطة اصح مصوّر الاقاليم والبلدان تتفق عليه التفقات العظيمة .

محصول الحنطة

ذكر احد كبار الاحصائيين الاقتصاديين منذ عشرين سنة انه سيمضي وقت ليس بعيد يظهر عجز كبير في محصول القمح فلا يعود يكفي الناس لانهم في ازدياد كل يوم والمحصول لا يزيد على نسبتهم فقد ابان بعضهم بان محصول الحنطة في العالم سنة ١٩٠٥-١٩٠٦ كان ٢٣٧٥٨٦١٩٢ هكتولترا (الهكتولتر مئة ار) وما صرف م.ب.ا ٧٣٠٧٧٣١٧٣٠ فبلغت الزيادة ٦٢٤٦٢ و٧٨١٢٠٤ هكتولترا وبلغ المحصول في العالم سنة ١٩٠٧-١٩٠٨ ٢٦٠٠٩٠٧٣٦٤٣٠ والمصرف ٥٨٥٠٩٠٠ و٢٠٣٣ اي بعجز ٣٢٠٠٨٤٩٦٤٧٠ ولا يتأتى سد هذا العجز الا بخزن القمح وخزنه لا يتيسر على ما ينبغي والمستقبل لا يخلو من خطر على غذاء البشر . وقد عاد الاقتصاديون فبحشوا عن الاراضي التي تزرع قمحاً فاثبتوا بالارقام ان كثيراً من الاصقاع في اميركا وآسيا آخذة بالنمو العجيب في زراعة الحنطة . وانه يمضي الجيل اثر الجيل والقرن بعد القرن والحنطة تكفي البشر وانه اذا كانت بعض المطاحن والمخازن وقفت عن الطحن والعجن والخبز ولا سيما في العواصم الاميركية والانكليزية فذلك ناشئ من مضاربة تجار الحنطة لا من قلة المحصول .

الصحافة في سويسرا

ظهر تقويم الصحافة السويسرية لهذه السنة فتبين منه ان سويسرا على قلة سكانها اكثر البلاد الراقية بصحفتها ومجلاتها ففيها ٢٦٢ جريدة سياسية واخبارية تصدر باللغة

المانية و ١٠١ باللغة الفرنسية و ٢١ باللغة الايطالية و ٣ بلغة الرومانش (الرومانش من شعوب سويسرا الشرقية ينزلون اليوم في كرىزون ولغتهم مشتقة من اللغة اللاتينية)
وعندهم اربع مجلات فلسفية مهمة و ٤٠ مجلة فرنسية برتسكانية و ٣٧ المانية و ٢٧ جريدة كاثوليكية و ١٠ جرائد للمرسلين ومجلتان اسرائيليتان وثلاث مجلات لاتقول بدين هذا عدا الجرائد الرسمية التي تصدر في المقاطعات والمجلات الحقوقية والاقتصادية والاجتماعية والفقهية ومجلات الضمان والنساء والفلسفة والعلوم والصناعات الفيسية والرياضات والآداب فيكون مجموعها ٧٦٦ مجلة وجريدة لخيا الله بلاد العلم والعمل .

منع التثقيب

اشتدت ولاية ايووا في الولايات المتحدة اكثر من غيرها من اصقاع الارض في منع التثقيب وقد صنعت الوقاسن الشريط الالبيض والوردي كتبت عليه « لا تقبل » ووزعت مجاناً الى تلامذة المدارس واحذت ادارة الصحة بعث باغبائها الى البلاد يخطبون القوم في مضار التثقيب واساتذة المدارس يساعدونهم بما يشئونه من النصائح للتلامذة والطلبة
حماية الجمال الطبيعي

في المانيا عدة جمعيات اخذت على نهجها حماية الجمال الطبيعي في اصقاعها البهجة وهي تبذل كل مرتخص وغال لحماية المصانع القديمة من سوء ينزل بها و منذ عشر سنين ما برحت المؤتمرات لهذه الغاية تعقد وتترالى ومن هذه الجمعيات ما يبلغ ايراده مئة الف فرنك في السنة تصرفها في هذا السبيل
الحمة

هي تلك الاراضي الفسيحة الواقعة في وادي اليرموك الجليل على الخط الحجازي الآتي من طريق حيفا في الكيلومتر ٩٣ و ٩٥ الذي يشقه نهر الشريعة الشهير على جنوبي جبال مكيس ذات الآثار الجليلة المعروفة قديماً بمدينة (جدره) وفي الحمة ينبع ثلاثة ينابيع معدنية حارة تنبجس بغزارة وتجري حتى تنصب في نهر الشريعة على بعد قليل ويبعد النبع عن الآخر بضع دقائق يدعى احدها « المقلي » « او حمام سليم » ودرجة حرارته ١١٩ والاخران (حمام الحرب) وحرارته ١٠٨ او حمام « الريح » وحرارته ٨٢ بميزان فارنهيتم ويالحق بهذه الحمامات ثمانمائة دونم كلها صالحة للزراعة ذات خصب و ثراء وقد عرف الاقدمون مكانة هذه الينابيع فعمروها على احسن طرز من البناء الروماني

الضخم الجميل يدلنا على ذلك ماخفوه لنا من الآثار الجلييلة والابنية الدائرة الفضة التي تحاطبنا بانصح لسان بما كانت عليه من الجلال والمنعة ابان مجد الرومانيين الدابر منها آثار تياترو من الحجر الصلد الاسود على غاية الرونق والاتقان

وقد جرى تحليل هذه المياه في ادوار مختلفة لمعرفة خصائصها ومنافعها في الاستشفاء والمعالجة فانصحت التجارب عن حقائق ذات شأن كبير منها شفاء اوجاع المفاصل المعروفة بالروماتيزم على انواعها عضلية او مفصلية وامراض الجلد والقروح حادة او مزمنة والرمل الكلوي وامراض المعدة والكبد والامراض الزهرية والامراض المانعة للحبل والثوليد وغير ذلك وفيها ايضا نبع غزير بارد له خاصية شفاء الاسهال اذا شرب منه المصاب ولهذه الحمامات شأن في كثير من جهات البلاد المجاورة لذلك يقصدها الكثيرون يستشفون بها ويمتعون البصر بما تظهرها الطبيعة الجميلة بين ماء وكلاء وجبال شماء واودية غناء ولا بالغ اذا قلت ان معدل قاصديها في شهر نيسان لا يقل عن عشرين الفا يقيمون اياماً تحت حر الشمس وهبوب الريح لا يت يوءو بهم ولا نزل يكتنهم فان كان قاصدوها يبلغون هذا العدد وهي قفراء خربة في شهر واحد فكيف يكون عددهم لو تهيأت لهم حمامات منتظمة وابنية وفنادق ومابه يستتب لهم الراحة فيه البالغ اذا قلت انهم يزيدون عن المائتي الف؟

وقولي هذا بقوله الوف غيري ويضيق بي المقام لو قصدت الاستفاضة في وصف ما تحتنيه شركة مساهمة من الارباح وما يحوزه الوطن من الفوائد المادية والمعنوية والشركة تحتاج الى خمسين الف ليرة منها خمسة واربعون الف ليرة للابنية من حمامات ونزل ومستشفيات وخمسة آلاف ليرة لاصلاح الاراضي المجاورة ونصب اشجار مثمرة من ليون وبرتقال وغيره وحدث عن خصب هذه الاراضي ولا حرج فن شجرة الباميا بلغت مترين فكيف تكون غلة الاشجار المثمرة وكيف يكون نموها عجيبة وكيف من الارباح والفوائد التي تستغلها الشركة وتتمتع بها دون اعنات وعناء؟

عجلون : نجيب فركوح



مطبوعات ومخطوطات

العبرانيون والفينيقيون

نشر المسيو سلوش من علماء المشرقيات كتاباً بالافرنسية ذكر فيه ان الاسرائيليين والفينيقيين من عنصر واحد وليس اصل سكان فينيقية بعيداً عن وقت دخول الهكوس اي العرب الى مصر . ومعنى فينيقي ساكن الكشبان والرمال الحمراء وكان العبرانيون والفينيقيون على عهد القضاة شعباً واحداً قال وقد دخل التمدن الى بلاد اليونان من مصر وان كان موسى اخو ابي الهول قد خرج من صحراء ليبيا ليحمل الحضارة الى يونان والكاداموسيون اخوان الفينيقيين البكر اما اجداد الساميين المذكورين باسم بني قدم في الثوارة فان اصل مقامهم كان في الهندكوش وخليج فارس ومعنى اسمهم الساميون الشرقيون ومنهم خرج العبرانيون سكان ماوراء بحر الفرات والآراميون سكان بلاد الشمال الجبلية والعرب سكان الغرب . وقال انه كان سنة ٤٧١ ق م اناس من المستعمرين اليهود في أسوان وجزيرة الفيلة من صعيد مصر وانتشر اليهود في القرن الثاني ب م في افريقية ولما دمرت القدس سنة ٧٠ كان اليهود ومن تبع عاداتهم هم السواد الاعظم من سكان صحراء ليبيا . وبعد الحروب التي نشبت بين يهود اليونان ويهود الرومان خربت بلاد برقة وصحراء ليبيا الشرقية واضمحلت سكانها وسقطت اليهودية اليونانية منذ ذلك الحين في افريقية ولما قامت مدينة قرطاجنة الرومانية علي انقاض قرطاجنة الفينيقية اصبحت مدينة تقاليد اليهود التلويديين وامثدت المستعمرات اليهودية من قرطاجنة الى بلاد مراکش وكثر عددهم في مراکش الرومانية وافريقية القانداية في القرن الثالث للمسيح . وتكلم على اليهود الحميريين واليهود البربر وعلق شأنًا عظيمًا على قول ابن خلدون في البربر النازلين في افريقية منذ عهد مشطاول والبربر الذين اتوا من حمير وهم عرب اختلطوا فيها فبقية بالسكان الاصليين وتبرروا مثلهم وقد انصرفت هذه الشعوب الحميرية بصيغة اليهود وقال ان اليهودية انتشرت في جنوبي بلاد العرب منذ سنة ١١٥ ق م

ديوان سلامة بن جندل

نشر المسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات من الفرنسيين ديوان سلامة بن جندل من شعراء الجاهلية نقلًا عن نسخة مخطوطة من مكتبة ايا صوفيا في الاسكندرية وقد ترجمه كله الى الافرنسية ونشره في المجلة الآسيوية فمساء يجرده على حدة

فقه العلم

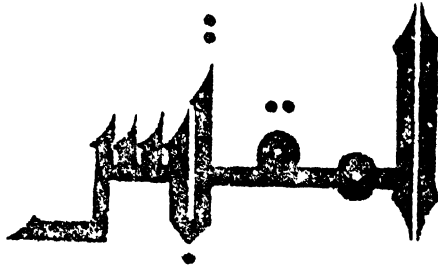
هو كتاب قدمه اصدقاء الماركيز ملكيورددي فوكو، به الاستشرق الفرنسي بمناسبة ذكرى ثمانين سنة من ولادته وبعض تلامذته وورصفائه والمعجبين به من علماء المشرقيات فكُتب كل واحدة مقالة او بحثاً في الموضوع الذي يغلب عليه فكان عدد مقالاته ٥٨ مقالة وقد جرت العادة ان يقدم للعلماء مثل هذه الهدايا كما قدم لتولدك احد كبار علماء المشرقيات من الالمان مثله ومن مقالات هذا الدفر النفيس مقالة للمستشرق «مانس فان برشم» للكتابات الماثورة عن دولة الانابكية في دمشق وحل ماعرف من الكتابات الخمس عن امراء البوريين منها ثلاث من الانابك طغتكين وواحدة من ابنه بوري واخرى من محمود بن بوري . ومنها بحث للمسيو برونوف في حصون تخوم بلاد العرب من العقبة الى حوران و اشار الى المبدع الذي أنشئ في اوائل التاريخ المسيحي في مي من بلاد حوران اكراماً لو ساراه وفيه المصورات والرسوم اللازمة . وبحث المسيو جويدي في المعلومات التي تؤثر عن علماء العرب في الجغرافيا من قبل الادريسي مثل ابن خرداذبة واليعقوبي وابن الفقيه والاصطخري والمقدسي في وصف اوربا الغربية فقال ان هذه المعلومات ضعيفة لان العرب الذين جاؤا اسبانيا قد ساروا على شواطئ ايربقة ولم يتيسر لهم ان يزوروا البلاد الغربية على ان هؤلاء الجغرافيين وصفوا رومية وصفاً مستوفى في الجملة اخذوه عن مصادر مسيحية ولكنها شرقية . وجميع هذه الملاحظات متعلقة بآثار الشرق وتاريخه وآدابه وشعره وفي جملة الكتابين اناس من كبار المستشرقين مثل سنار ونولدكه ومولر وماسبرو ومرجوليوث ودوسو وغانو

مجلتان جديدتان

العلم — هي اول مجلة عربية نشرت في العراق لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني في النجف وتطبع في بغداد وهي تسرية دينية فلسفية سياسية علمية صناعية ومؤلفة مشهور من التديم بكتابات ورسائله وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشاً في محلها وريال ونصف في سائر الاقطار

النجف — هي اول مجلة فارسية ظهرت في العراق لمنشئها اغا محمد المحلاتي تصدر في النجف مرة في الشهر في ٦٤ صفحة وثمنها ثمانية ريال والك وهي تبحث في موضوعات دينية ومدنية





مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

تتمه ماورد في الجزء الماضي

﴿مزاعمهم في الهاتف والناقل والرئي﴾^(١)

قال الجاحظ : والاعراب واشباه الاعراب لا يتحاشون من الايمان بالهاتف بل ينهجون
من رد ذلك فمن ذلك حديث الاعشى ابن ماس بن زرارة الاسدي انه سمع هاتفا يقول :
لقد هلك الفياض غيث بني فهر وذو الباع والمجد الرفع وذو القدر
قال فقلت مجيباً له :

الايمها الناعي اخا الجود والندی من المرء تنعاه لنا من بني فهر
فقال :

نعت ابن جدعان بن عمرو اخا الندي وذا الحسب القدموس والمنصب القصر
وهذا الباب كثير

« قالوا » ولنقل الجن الاخبار علم الناس وفاة الملوك والامور المهمة كما تسامعوا
بموت المنصور في اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة . وهذا الباب ايضاً كثير
« وكانوا » يقولون اذا الف الجن انسانا وتعطف عليه وخبره ببعض الاخبار وجد
حسه ورأى خياله ، واذا كان عندهم كذلك قالوا مع فلان رأي من الجن . ومن يقولون

« ١ » الرئي كغني ويكسر جني يرى فيجب او المكسور للمحبوب منهم « قاموس »

ذلك فيه عمرو بن لء ابن قعة — والمأمون الحارثي — وعثبة بن الحارث بن شهاب في ناس معروفين من ذوي الاقدار من بين فارس رئيس وسيد مطاع فاما الكهان^(١) فمثل حارثة بن جبهنة وكاهنة باهلة وعز سمة ومثل شق وسطيح واشباههم واما العراف وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسيدي والالجح الزهري وعروة بن زيد الاسدي وعراف اليمامة رباح بن كحلة وهو صاحب المستنير البائعي وقد قال الشاعر:

فقلت لعراف اليمامة داوئي فانك ان ابرأتني لطيب
وقال جبهاء الاشجعي:

اقام هوى صفة في فؤادي وقد سيرت كل هوى حبيب
لك الخبرات كيف منحت ودي وما انا من هواك بذي نصيب
اقول وعروة الاسدي يرفي اناك برقية الملقى الكذوب
لعمرك ما الثاؤب يا بن زيد بشاف من رقاك ولا محجب
لسير الناعجات اظن اشفي لما بي من طيب بني الدهوب

وليس الباب الذي يدعيه هؤلاء من جنس العيافة^(٢) والجزر والخطوط والنظر في اسرار الكف وفي مواضع قرض الفار وفي الخيلان في الجسد وفي النظر في الاكتاف والقضاء بانجوم والعلاج بالفكر

وقد كان مسيلمة يدعي ان معه رؤيا في اول زمانه، ولذلك قال الشاعر حين وصف محاربته وخدعه:

(١) قال ابن الاثير في النهاية: الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم ان له تابعا من الجن ورثيا يلقي اليه الاخبار ومنهم من كان يزعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب يستدل بها على مواضعها من كلام من يسأله او فعله او حاله وهذا يخصه، باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما وقال ايضا: العراف المنجم او الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به. (٢) العيافة زجر الطير والفاويز باسمائها واصواتها وممرها وكان ذلك من عادة العرب كثيرا وهو كثير في اشعارهم يقال عاف يعيف اذا زجر وحدهس وظن . افاده ابن الاثير . وقال ايضا الزجر للطير هو الثنين والتشؤم بها والتفؤل بطيرانها كالسناخ والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة

بيضة فارور وراية شادن وخلة جني وتوصيل طائر
الاتراه ذكر خلة الجني

✽ ماروي من هتوفهم بالبعثة المحمدية ✽

حكى الامام الماوردي في اعلام النبوة مارواه اهل السير من هتوف الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وانه كان من آيات نبوته الصادرة عن الهام فمن ذلك مارواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالسا اذ مرَّ به رجل فقيل له : اتعرف هذا المار يا امير المؤمنين قال : ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب قال نعم يا امير المؤمنين فقال انت الذي اتاك ربيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم يا امير المؤمنين بيننا انا ذات ليلة بين التائم واليقظان اذ اتاني ربي من الجن فصر بني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعوا الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتطلباها وشدها العيس باقتباها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ماصادق الجن ككذباها
فارحل الى الصفوة من هائم فليس قدماها كاذباها

فقلت له : دعني فاني امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأساً فلما كانت الليلة الثانية اتاني فصر بني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعوا الى الله والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتجارها وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ماؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هائم بين روايبها واحجارها

فقلت : دعني فقد امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأساً فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فصر بني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعوا الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتجاسها وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ماخير الجن كالنجاسها

فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى رأسها
 قال : فاصبحت وقد امتحن الله قلبي الاسلام فرحت ناقتي واتيت المدينة فاذا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله قال : هات فانشأت
 اتاني نجي بن هدد ورقدة ولم اك فيما قد نجوت بكاذب
 ثلاث ليال قوله كل ليلة
 فشمرت من ذبل الازار ووسطت
 في الذعلب الوجناء بين السبابس
 فاشهد ان الله لاشيء غيره
 وانك ادنى المرسلين وسيلة
 الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
 وفرنا بما يأتيك ياخير من مشى
 وان كان فيما جاء شيب الذوائب
 وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة
 سواك بمن عن سواد بن قارب
 قال ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا ووثب اليه عمر
 فالتزمه وقال : قد كنت احب ان اسمع منك هذا الحديث فهل يأتيك رثيك اليوم
 فقال : مذقرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن
 وروى ابراهيم بن سلامة بسنده الى رجل من خثعم قال : كانت خثعم لاثحل
 حللا ولا تحرم حراما وكانت تعبد اصناما (قال) فبينما نحن عند صنمها ذات ليلة
 تنقاضي اليه في امر قد شجر بيننا اذ صاح صائح من جوفه
 يا ايها الركب ذوو الاحكام ما انتم وطائش الاحلام
 ومسندو الحكم الى الاصنام
 هذا نبي سيد الانام يصدع بالحق وبالاسلام
 اعدل ذي حكم من الاحكام
 ويتبع النور على الاظلام سيعلمن في البلد الحرام
 قد طهر الناس من الآثام
 قال الخثعمي : ففزعنا منه وخرجت الى مكة واسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم
 وروى ابراهيم بن سلامة بسنده عن رجل حدث عمر بن الخطاب قال له : خرجت
 واصحاب لي في تجارة لنا نريد الشام فحبنا رجل من يهود فلما كنا ببعض اودية الشام
 هتف هائف
 اياك لاتعجل وخذها موبته فان شرس السير سير الحق حقه

قد لاح نجم فاستوى في شرقه يكشف عن ظلمة بوس موته
يدعو الى ظل جنان موته

فقال اليهودي : تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا : ما يقول قال : يخبران نبياً قد
ظهر خلا فكم بمكة فقد منا فوجدنا نبي صلى الله عليه وسلم بمكة
ومن بشائر هتوفهم ما حكاه ابو عيسى قال : سمعت قريش في الليل هاتفا على ابي
قبيس (جبل) يقول :

فان يسلم السعدان يسبح محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف
فلما اصبحوا قال ابو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تميم فلما كان في الليلة الثانية
سمعه يقول

يا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبنا الى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس مية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف
قال الماوردي : ولئن كانت هذه الهتوف اخبار آحاد عن لا يرى شخصه ولا يجمع
قوله فخروجه عن العادة نذير وتأثيره في النفوس بشير وقد قبلها السامعون وقبول
الاخبار يؤكده صحتها ويؤيد حجتها (فان قيل) ان كانت هتوف الجن من دلائل
النبوة جاز ان تكون دليلا على صحة الكهانة فبمنه جوابان (احدهما) ان دلائل النبوة
غيرها وانما هي من البشائر وفرق بين الدلالة والبشارة اخبارا والثاني ان الكهانة عن
مغيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم والغائب موهوم اه كلام الماوردي

﴿ مزاعمهم في توصافهم ومن قتلوه ﴾

يقولون من الجن جنس صورة الواحد منهم على نصف صورة الانسان واسمه « شق »
وايه كثيرا ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده فرما اهلكه فزعا وربما اهلكه خسرا
وقتلا (قالوا) فمن ذلك حديث علقمة ابن صقوان بن أمية بن حرب الكوفي جدمروان
ابن الحكم في الجاهلية خرج وهو يريد مالا له بمكة وهو على حمار وعليه ازار ورداء
ومعه مفرقة في ليلة اضمحالية حتى انتهى الى موضع يقال له حائط جرمان فاذا هو بشق له
يد ورجل وعين معه سيف وهو يقول

علمني بقتول وان لمجي ماكول

اضرهم بالذهلول^(١) ضرب غلام شمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

ياشقى هامالي ولك ، اعمد عني منصلك
نقتل من لا يمتلك

قال شق

عنيت لك عنيت لك ، كيا ابج مقتلك
فاصبر لما قد حم لك^(٢)

فضرب كل واحد منها صاحبه فخرا . فممن قتلت الجن -لقمة ابن صفوان
هذا وحرب بن امية قالوا وقالت الجن

وقبر حرب بمكان كفر ، وليس قرب قبر حرب تبر

(قالوا) ومن الدليل ان هذين البيتين من اشعار الجن ان احدا لا يستطيع ان
ينشد هما ثلاث مرات متصلة لا يتنعغ فيها وهو يستطيع ان ينشد اثقل شعر في الارض
واشقه عشر مرات ولا يتنعغ

(قالوا) وقتلت مرداس بن ابي عامر ابا عباس بن مرداس — وقتلت الفريض
خنقا بعد ان غنى بالغناء الذي كانوا نهوه عنه — وقتلت الجن سعد بن عبادة بن ديلم
وسمعوها الهاتف يقول

نحن قتلنا سيد الخز رج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده
* من استهوه * ومنهم خرافة^(٣)

(قالوا) استهوهوا سنان بن ابي حارثة ليستفحله فمات فيهم واستهوهوا طالب بن ابي
طالب فلم يوجد له اثر الى يومنا هذا — واستهوهوا عمرو بن عدي اللخمي الملك الذي يقال
فيه شب عمرو عن الطوق ثم ردوه على جذيمة الابرش بعد سنين — واستهوهوا عمارة
ابن المغيرة ونفخوا في احليله فصار مع الوحش

(١) الذهل بالضم الفرس الجواد ولعل المراد به هنا السيف (٢) اي قضى (٣) في

القاموس : استهوته الشياطين ذهبت بهواه وعقله او استهاته وحيرته او زينته لهواه

ويروون عن عبد الله بن قتادة يرفعه قال : خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين ورووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم قال : الروث : قال فما كان شرابهم قال البول

✽ توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان ✽

العاملة تزعم ان التول يتصور في احسن الصورة الا انه لابد ان تكون رجلها رجل حمار ، وخبروا عن الخليل بن احمد ان اعرابيا انشده

وحافر البئر في ساق خدلجة ^(١) ، وجفن عين خلاف الانس في الطول

وذكروا ان العامة تزعم ان شق عين الشيطان بالطول : قال الجاحظ : وما اظنهم اخذوا هذين المعنيين الا عن الأعراب

✽ مزاعمهم في ارض وبار وبلاد الحوش ^(٢) ✽

تزعم الاعراب ان الله تعالى حين اهلك الامة التي كانت تسمى وبار كما اهلك طمسا وجديسا وعملاقا وثودا وعادا ان الجن سكنت في منازلهم وحمثها من كل من ارادها وانها اخصب بلاد الله واكثرها شجرا واطيبها ثمرا واكثرها حبا وغنبا واكثرها نخلا وموزا فان دنا انسان من تلك البلاد متمدا او غالطا حثوا في وجهه التراب فان ابي الرجوع خبلوه وربما قتلوه

(قال الجاحظ) والموضع نفسه باطل فان قيل لم دلونا على جهة ووقفونا على حده وخلاكم ذم زعموا ان من اراده ان يلقى قلبه الصرفة حتى كانهم اصحاب موسى في التيه وقال الشاعر

وداع دعا والليل مرخ سدوله زجاء القرى بامسلم بن حمار

دعا جملا لا يهتدي لمقبله من اللوم حتى يهتدي لوبار

فهذا الشاعر الاعرابي جعل ارض وبار مثلا في الضلال ، والاعراب يتحدثون عنها كما يتحدثون عما يجدونه بالدو ^(٣) والصمان ^(٤) والدهناء ^(٥) ورمل يبرين ^(٦) وما

(١) خدلجة اي ممتلئة (٢) بضم الحاء المهملة في القاموس : الحوش بلاد الجن او فحول الجن (٣) الدو — والدوية — والدابة ويخفف الفلاة ودوى تدوية اخذني الدو (٤) الصمان كل ارض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل وموضع بعالج (٥) الدهناء الفلاة وموضع لتيم بنجد (٦) ويقال ابرين قال في القاموس : رمل لا تدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر البامة .

أكثر ما يذكر في ارض وبار في الشعر على معنى هذا الشاعر (قلوا) فليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل الحوشية والحوش من الابل عديم هي التي قد ضربت فيها فحول ابل الجن فالحوشية من نسل ابل الجن والعبدية والمهرية والهجدية والعمانية قد ضربت فيها الحوش وقال رؤبة

حوت رجالاً من بلاد الحوش

وقال ابن هريرة

كأنني على حوشية او نعامه لها نسب في الطير وهو ظليم

وانما سما صاحب يزيد بن الطثيرة حوشية على هذا المعنى ، وقال بعض اصحاب التفسير في قوله تعالى « وانه كان رجالاً من الانس يعوزون رجال من الجن فزادهم رهقاً » ان جماعة من العرب كانوا اذا داروا في تيه من الارض وتوسطوا بلاد الحوش خافوا عبث الجنان والاعالي والذيلان والشياطين فيقوم احدهم فيرفع صوته انا عائدون بسيد هذا الوادي فلا يؤذهم أحد وتصير لهم بذلك - فارة

✽ مزاعمهم في الصرع ✽

يزعمون ان الجنين اذا صرعه الجنية وان الجنونة اذا صرعه الجنى ان ذلك انما هو على طريق العشق والهوى وشهوة النكاح ، وان الشيطان بعشق المرأة بنا — وان نظره اليها من طريق العجب بها اشد تأنيها من حمى ايام — وان عين الجن اشد من عين الانسان

✽ مزاعمهم في الطاعون ✽^(١)

قال الجاحظ : العرب تزعم ان الطاعون طعن من الشيطان ، وتسمي الطاعون رماح الجن ، قال الاسدي للحارث النسائي ملك غسان

لعمرك ما خشيت على ابنة رماح بني متيدة الحمار

ولكني خشيت على ابنة رماح الجن او اياك حار

يقول لم اكن اخاف على ابنة مع نفعته وصراجه ان تقتله الانذال ومن يرتبط العير دون الفرس ولكني انا كنت اخافك عليه فتكون انت الذي تظلمه او يطاعنه طاعون الشام وقال العماني يذكر دولة بني المباس

(١) اصل الطاعون الطمن والقنن بالرمح ثم اطلق على المرض العام والوباء الذي

قد دفع الله رماح الجن واذهب العذاب والتجني
وقال زيد بن جندب الايادي :

ولولا رماح الجن ما كان هزمهم رماح الاعادي من فصيح وأعجم
ذهب الى قول ابي دؤاد :

سلط الموت والمنون عليهم فلم في صدا المقابر هام ^(١)

يعني الطاعون الذي اصاب ابادا ، وروي ان عمرو بن العادي قام في الناس في
طاعون عمواس فقال : ان هذا الطاعون قد ظهر وانما هو وخز من الشيطان فقروا منه
في هذه الشعاب : وبلغ ذلك ابن جبل فانكر عليه

﴿ ما يزعونه في تمثيلهم وتصورهم ﴾

قال الجاحظ : تزعم العامة « ان الله تعالى قد ملك الجن والشياطين والعمار والغيلان
ان يتحولوا في اي صورة شاءوا الا الغول فانها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها الا
رجليها فلا بد ان يكونا رجلي حمار »

وانما قاسوا تصور الجن على تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية ابن خليفة
الكلبي — وعلى تصور الملائكة الذين اتوا مریم وابراهيم ولوطا ودادود في صورة
المؤمنين — وعلى ما جاء في الاثر من تصور ابليس في صورة سراقفة بن مالك — وعلى
تصوره في صورة الشيخ التجدي

(قالوا) فاذا استقام ان تختلف صورهم واخلاق ابدانهم وتتفق عقولهم ونياتهم
واستطاعتهم جاز ايضا ان يكون ابليس لهمة الله عليه والشيطان والغول ان يتبدلوا في
الصور من غير ان يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة اه

ونقل الحافظ احمد ابن حجر في فتح الباري عن البيهقي في مناقب الشافعي باسناده عن
الربيع قال سمعت الشافعي يقول : من زعم انه يرى الجن ابطالنا شهادته الا ان يكون نبيا اه

(١) الهامة اسم طائر كانوا يتشاءمون به او هي من طير الليل وقد قيل انها البومة وكانت
الاعراب تزعم ان روح القتيل الذي لا يدرك بشاره نصير هامة فتقول اسقوني فاذا ادرك
بشاره طارت وقيل كانوا يزعمون ان عظام الميت او روحه نصير هامة فتطير ويسمونه
الصدى فنفاه الاسلام ونهاهم عنه (اه نهاية)

(قال ابن حجر) وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها واما من ادعى انه يرى شيئاً منهم بعد ان بتطور على صور شتى من الحيوان فلا يقدر فيه وقد تواردت الاخبار بتطورهم في الصور ، (قال) واختلف اهل الكلام في ذلك ف قيل هو تخييل فقط ولا ينتقل احد عن صورته الاصلية وقيل بل ينتقلون لكن لا باقذارهم على ذلك بل بضرب من الفعل اذا فعله انتقل كالسحر (اي الشعبة) (قال) وهذا قد يرجع الى الاول اه وسياً في تحقيق تمثلهم في اول مباحث الخاتمة

﴿ رأيتهم في قرناء الشعراء الفحول ﴾

قال الجاحظ : يزعمون ان مع كل فحل من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفعل على لسانه الشعر ويقولون اسم شيطان الخبل ^(١) عمرو واسم شيطان الاعشى مسجل ^(٢) وكذلك ايضاً اسم شيطان الفرزدق عمرو وقد ذكر الاعشى مسجلاً حين هجاه جهنم فقال :

دعوت خليلي مسجلاً ودعوا له بجهنم يدعى للجهنم المذم
وذكره الاعشى فقال :

حباني اخي الجنى نفسي فداؤه باقبح جياش العشيات مرحم
وقال اعشى سليم :

وما كان جنى الفرزدق اسوة وما كان فيهم مثل فحل الخبل
وما في الخواني مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مسجل
وقال الفرزدق في مدح اسد بن عبدالله :

لشبلغن ابا الاشبال مدحتنا من كان بالغور او طودي خراسانا
كانها الذهب العقيار حبرها لسان اشعر خلق الله شيطانا

وقال

فلو كنت عندي يوم قرء عذرتني يوم دهنتي جنه وخبائله
فن اجل هذا البيت ومن اجل قول الآخر

اذا مازع جارية ^(٣) فلاقي خبال الله من انس وجن
زعموا ان الخبال الناس . وما قال بشار بن برد

(١) بزنة اسم مفعول (٢) كنب (٣) اي اجتمعا

دعاني شقنّان الى خلف بكرة فقلت اتركني فاتفرد احمد

اي احمد لي في الشعر من ان يكون لي عليه من معين فقال اعشى سليم يرد عليه

اذا الف الجني قرداً مشفقاً فقولوا لخنزير الجزيرة ابشر

فجزع بشار عند ذلك جزعاً شديداً لانه كان يعلم مع تغزله ان وجهه وجه قرد وكان

اول ما عرف من جزعه من ذكر القرد الذي رأوا منه حتى الشد قول حماد عجرد

ويا اقمج من قرد اذا ما عمي القرد

وفي ان مع كل شاعر شيطاناً يقال معه قول ابي النجم

اني وكل شاعر من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر

وقال آخر

اني وان كنت صغير السن وكان في العين نبوء عني

فان شيطاني كبير الجن

واما قول عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الجن منا وشذبنا قتادة من يلينا

فانهم يزعمون ان كلاب الجن هم الشعراء . وما دل على انهم يقولون ان مع كل

شاعر شيطاناً قول شاعرهم

اذا ماتر عرع فينا الغلا م فليس يقال له من هوه

اذا لم يسد قبل شد الازا ر فذلك فينا الذي لاهوه

ولي صاحب من بني الشيصبا ن فطوراً اتول وطوراً هوه

وشيصبان وشقنّان رئيسان ومن آباء القبائل في زعمهم وقد ذكرهما ابو النجم

لاني شقنّان وشيصبان

﴿ خيالهم في جن الشام والهند ﴾

قال الجاحظ : واصحاب الرقي والاخت والعزائم والسحر والشعوذة يزعمون ان العدد

والقوة في الجن والشياطين لنزلة الشام والهند وان عظيم شياطين الهند يقال له (سكويرك)

وعظيم شياطين الشام يقال له « دركاراب » وقد ذكرهما ابو اسحق في هجائه محمد

ابن بشير حين ادعى هذه الصناعة فقال

قد لعمري جمعت من اصبيا ب ثم من شعر آدم والخراب
وتفردت بالطواقى والبيكل والدهمات من كل باب
وعلمت الاسماء كي ماتلاقي زحلا والمريخ فوق السحاب
واستثرت الارواح بالبحر بأئين اصرح العجيج بعد المصاب
جامعا من لطائف الدهمسيا ت كنوسا نعتها في كتاب
ثم احكمت منة الكرويا ت وفعل الناريس والنجاب
ثم لم تفتك السماية والحد مة والاحففاء بالطلاب
بالخواتيم والمناديل والسعي بسكويرك ودركاراب

❖ توهمهم ملامح الجن في الانس ❖

قال القعقاع بن معبد بن زرارة في ابنه عوف بن القعقاع : والله لما ارى في عوف
من شمائل الجن اكثر مما ارى فيه من شمائل الانس : وقال يمجيز بن ايوب :
اخو فقرات خالف الجن واتفى من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الانسي يعرف نجله وللجن منه خلقه وشمائله
وقال الآخر :

وصار خليل الغول بعد عداوة صفيا وربته القفار البساس
فليس بجني فيعرف نجله ولا هو انس تحتويه المجالس
يظل ولا يبدي لشيء نهاره واكنه بنتاع^(١) والليل دامس

❖ قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان ❖

انشد اعرابي :

فما يعجب الجنان منك عدمتهم وفي الاسد افراس لم ونجائب
انسرج يربوعا وتلجم قنفذا لقد اعوزتهم ما علمت المراكب
فان كانت الجنان جنت فبالحرى ولا ذنب الاقدار والله غالب
وما الناس الا خادع ومخدع وصاحب اسهاب وآخر كاذب

وقال دعلج بن الحكم

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب وشيطانه عند الاهلة يصرع
وانشد عبد الرحمن بن منصور الاسدي
جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوي من جنون جنون
وانشد

أتوني بمجنون يسيل لعابه وما صاحي الا اء جميع المسلم
وقال ابن ميادة

فلما اتاني ما تقول محارب تغت شياطين وجن جنونها
وحكت لها عما اقول قصائدا ترامت بها صهب المهادي وجونها
وقال في التمثيل

ان شرخ الشباب^(١) والشعر الاسر د مالم يعاض كانت جنونا
وقال الآخر

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ان الشباب جنون بروء الكبر
وما احسن ما قال الشاعر

جادت بها عند الغداة يمينه كلتا يدي عمرو الغداة يمين
ما ان يوجد بمثلها في مثله الا كريم الخيم^(٢) او مجنون

وقال الجمعجي

ولو انني لم ائل منكم معاينة الا السنان بذات الموت مطعون
اولا خطبت فاني قد هممت به بالسيف ان خطيب السيف مجنون
وانشد

هم احموا حمي الرقي بضرب بؤلف بين اشتات المنون
فككب عنهم درء الاعادي وداوا بالجنون من الجنون

❖ ما يحكونه من نيران السعالي والجن ❖

انشد ابو زيد لسهم بن الحارث

ونار قد حضأت بعيد هدء بدار لا اريد بها مقاما

سوى تحليل راحلة وعين كالئها مخافة ان تناما
اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما
قال الجاحظ : وهذا غلط وليس من هذا الباب بل الذي يقع هنا قول ابي المطراب
عبيد بن ايوب

فلا در الغول اي رفيقة لصاحب قفر خائف مشفر
ارنت^(١) باحن بعدلحن واوددت حوالتي نيران تبوخ^(٢) وتزهر

✽ فلسفة ما تزعمه الاعراب من عزيف الجنان وتقول الغيلان ✽

قال الجاحظ رحمه الله : كان ابو اسحاق يقول في الذي تذكر الاعراب من عزيف الجنان وتقول الغيلان اصل هذا الامر وابندائه ان القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ، ومن انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد من الانس اسنوحش ولا سيما مع قلة الاشتغال وانذاكرين والوحدة ، لا تقطع اباهم الا بالمنى او بالتفكير ، والفكر ربما كان من اسباب الوسوسة وقد اثبتى بذلك غير حاسب كابي ياسر ومثنى ولد الفنافر (قال) وخبرني الاعمش انه فكر في مسألة فانكر اهله عقله حتى حموه وداووه ، وقد عرض ذلك لكثير من الهند واذا اسنوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقيق انه عظيم جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تناشده واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايمانا ونشأ عليه الناسي وربى به الطفل فصار احدهم حين يتوسط الفياني وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس ، فعند اول وحشة او فزعة وعند صياح بوم ومجاوبة صدا وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس واصل الطبيعة نقا كدبا وصاحب نشيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول قتلته ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول تزوجتها قال عبيد بن ايوب

فله در الغول ايـ رقيقة لصاحب قفر خائف متنفر

وقال

اهدافريق الغول والذئب والذي يهيم بربات الحجال الهواكل

وقال آخر

اخو قفرات حالف الجن وانتفى من الانس حتى قد تقضت وسائله

له نسب الانسي يعرف بنجـ وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب واغرامهم به ومدتهم فيه انهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الا اعرابيا مثلهم والا غيبيا لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق او الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط — واما ان يلقوا رواية شعر او صاحب خبر فالرواية عندهم كلما كان الاعرابي اكذب في شعره كان اطرف عندهم وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثه اكثر فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول او قتلها او مرافقتها او تزويجها ، وآخر يزعم انه رافق في مغارة فمرا فكان يطاعمه ويؤاكله فمن هؤلاء خاض القتال الكلابي فانه الذي يقول

ايرسل مروان الامير رسالة لآتيه اني اذا لمضلل

ومابي عصيان ولا بعد منهل ولكني من خوف مروان او جل

وفي ساحة العتقاء او في عماية او الاولاد^(١) مامن رهبة الموت موئل

ولي صاحب في الغار هدك صاحباً هو الجون^(٢) الا انه لا يعلل

اذا ما التقينا كان جل حديثنا صماتا وطرف كالعابل^(٣) التحل

تضنت الأروى^(٤) لنا بطعامنا كلانا له منها نصيب ومأكل

فاغلبه في صنعة الزاد انني اميط الاذى عنه ولا بتأمل

وكانت لنا طب^(٥) بارض مضلة شريعتنا لاي من جاء اول

كلانا عدو لو ير في عدوه محزا وكل في العداوة محل

وأشدد الاصمعي

(١) الاولاد بالضم موضع بالبادية (٢) اي الاسود (٣) جمع معبلة بكسر فسكون وهو النصل العريض الطويل (٤) بضم الهمزة انثى الوعول (٥) بالكسر اي عادة وشان

ظللنا معا جارين نخترس الثأري^(١) يشاربني من فضلي واشاربه
ذكر سبعا ورجلا قد توافقا فصار كل واحد منهما يدع فضلا من سوءه ليشرب
صاحبه ، والثأري الفساد ، وخبر ان كل واحد منهما يحترس من صاحبه
فلما من جميع ما ذكرناه عنهم فغما يخبرون عنه من جهة العائنة والتحقيق وانما المثل في
هذا مثل قوله

قد كان شيطانك من خطاياها وكان شيطاني من خطاياها
حينما فلما اعتراكا أوى بها
والانسان يمجوع فيسمع في اذنه كالديوي وقال الشاعر
دويي الفيا في رابه فكأنه اميم^(٢) وساري الليل للضوء يعود
يعود اي يضجر ، وربما قال الغلام لمولاه دعوتني فيقول لا وانما اعتري مسامعه ذلك
لعرض لانه سمع صوتا

ومن هذا الباب قول تأبط شرا او قول القائل في كلمة له
يظل بمومة ويمسي بفقرة جحيشا^(٣) وهروري ظهور الممالك
ويسبق وفد الريح من حيث يلتقي بمنفرد من شدة المتدارك
اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كاني من قلب شبحان فأتك
ويجعل عينيه ربيثة قلبه الى سلة من حد اخضر باتك
اذا هزه في عظم قرن تذلت نواجذ افواه المناسيا الضواحك
يرى الانس وحشي الفلاة ويهندي بحيث اهتدت ام النجوم الشوابك
(قال الجاحظ) : ويدل على ما قال ابواسحق من نزولهم في بلاد الوحش وبين الحشرات
والسباع مارواه لذا ابومسهر عن اعرابي من بني تميم نزل ناحية الشام فكان لا يعدمه في كل ليلة
ان يعضه او يعض ولده او بعض حاشيته سبع من السباع اودابة من دواب الارض فقال
تعاورني دين وذل وغربة ومزق جلدي ناب سبع ومخلب
وفي الارض احناش وسبع وحارب ونحن اسارے وسطها نلقب
ثم عد في قصيدته ما ينيف عن الثلاثين صنفا ما بين حيوان وحشرات
« يتبع » جمال الدين القاسمي

(١) كالثرى الافساد وسيدكره (٢) الاميمة كجينة الحجارة تشدخ بها الرؤوس

(٣) الجحيش كالمير الشق والناحية

نشوء اللغات الاسلامية

تتمه ماورد في الجزء الماضي

دعت ضرورة ايجاد الفاظ جديدة للتعبير عن افكار حديثة ان تأخذ اللغة العربية من اللغات الاجنبية او ان تعتمد الى معجمها بان تصيغ الفاظاً جديدة او بان تضع معاني جديدة للالفاظ التي تجدها في متن اللغة . ولم يكن في العربية سهولة اللغات الرومانية بان تعتمد الى اللاتينية او اليونانية لتصيغ منها التعبيرات الجديدة وبهذا تأتت حزاب حزب يقول باخذ الالفاظ الافرنجية والآخر لا يرضى الا بالرجوع الى الاشتقاق من متن اللغة . والظاهر ان الحزب الاول قد كتبت له الملة اولاً ولا سيما في بلاد الجزائر وذلك لجهل المترجمين اولعابة الكسل عليهم فبدلاً من ان يبحثوا في ايجاد لفظ يقابل اللفظ الفرنسي اكتفوا بنقله على ما هو بدون ان يحدثوا فيه تغييراً ثم ان عدم وجود صحافة وطنية مما ساعد على ذلك ايضاً فان جريدة المبعثر الرسمية ما برحت الى عهد قريب هي الجريدة الوحيدة في الجزائر اما جرائد البلاد الخارجية فلم يكن دخولها اليها الا من المتعذرات . وقد ذكر المسيو واشنتون سويرس من جملة الالفاظ الاعجمية التي دخلت على اللغة الجزائرية لفظة شامبيت ويجمعونها على شامبيت اي حارس الحقل بدلاً من عسس الفحص وفي الاوراق الرسمية « السيد الكوفرنور جنرال » اي سيدي الحاكم العام في حين كان من السهل جداً ان يقال سعادة والي مملكة الجزائر وقد انجى برسنيه في كتابه الملح العربية على هذا النقل الرديء وحق له ان ينجي عليه قال لانه لا يفهم له معنى حتى عند الفرنسيين انفسهم .

وبالبيان يرى ماسرى الى لسان العامة من الجزائريين وفي مكاتباتهم من الالفاظ الفرنسية المحرفة تحريفاً تعذر احياناً معرفته . وقد جاء في كتاب الرسائل العربية المخطوطة الذي نشره المسيو هوداس والمسيو دلفين لفظة « لانتور اليزه فرانس » بمعنى المتجنس بالجنسية الفرنسية ولفظة « كاتارفاوت » بدلاً من لفظة ثمانية وثمانين . ونحن لانورد الفاظاً كثيرة من هذا النبل من الالفاظ الافرنجية التي يقل فيها التحريف ولا تأذى منها النفس في العبارة العربية مثل لفظة « كونسبيون دو » امتياز ماء التي وردت في رسالة لاحد من نقلها كما هي .

ولقد وقع رجوع الى الاصل في مكاتبة الالفاظ الاعجمية التي اوشكت ان تغير

أصرة اللغة . فكل الميسر بارية دي مينار سنة ١٨٩٦ مع السرور ان الصحافة العربية في مصر وسورية اخذت تستعير عن الالفاظ الاجنبية التي كثرت فيها بالفاظ عربية صرفة وذلك ان اللغة يمكنها بما لها الاستغناء عن الالفاظ الاعجمية وكان منها ان عربت سنة ١٨٩٧ لفظة « كونغره » بلفظة مؤتمر للدلالة عن مؤتمر المستشرقين الذي عقد تلك السنة في مدينة باريز ووضعت كلمة مستشرق للفظ « اوريانثالست » الفرنسية وهي اسم فاعل من شرق والمصدر استشرق اي طلب الشرق او انحاء نحو الشرق وهي تنطبق على الاصل الافرنجي كل الانطباق . واخذ اللسان العثماني هذه الالفاظ الثلاث عن العربية وانشأ يستعملها وكان من قبل يذمل اللفظ الفرنسي برمته واحتذاء اللغة العربية مطالب الحياة الحديثة هو من العادات المتبعة في الصحافة التونسية ويرجى ان تجري سائر الجرائد العربية في البلاد الاخرى والجرائد السورية والمصرية وهي نموذجها ومصدرها الوحيد على مثال الجرائد التونسية في تعريب الالفاظ

والبك الآن عدة امثلة في استعمال المولد من الالفاظ العربية الصرفة اثبتسناها من كتاب الميسر واشطون سويس ومن هذه الالفاظ لفظة منطاد للبالون ودراجة للديكليت ومطفأة لمضخة الحريق ومستوصف . ومن جملة الالفاظ التي كانت موجودة في اللغة واستعملت لمعنى جديد لفظة امتياز وانهاء ودشن « افتح » وتحتيق ومذهب (سيامي) وصيغة (سياسية) . واثت ترى ان لفظة صيغة بالمعنى الخاص منامدا اللون والصباغ اما الذين يصوغون الكلمات المولدة عندما يعتمدون الى الفاظ موجودة في من اللغة فانهم يستندون على المعنى الاصلي للفظ الذي يريدون ان يعر به . ومن هذه الالفاظ التي كان على الميسر واشطون سويس ان يضيفها الى قائمة الالفاظ المعربة لفظة « كاية » فقد كان المترجمون يستطيعون ان يطلقوا عليها لفظة دار العلوم او دار الفنون ولكن كثيراً من الكتاب لاحظوا ان لفظة « اونيفرسيتيه » تعطي معنى الاجتماع والجموع فصاغوا من كل كلية وهي ترجمة حرفية للفظ الفرنسية . ولفظ كلية شائع اليوم في مصر كثيراً .

وبعد فانا اذا بحثنا عن الالفاظ في كل قطر عربي وعن علاقة الفاظه بالالفاظ الفرنسية نستنتج ما يأتي : ففي سورية ومصر وتونس كمية كبيرة من الالفاظ الفرنسية مختلفة الاساليب وفيها ايضاً كثير من الالفاظ التركية او الفارسية التي انتقلت الى العربية بواسطة التركية وهي في الاكثر تماير عسكرية وادارية او الفاظ تشريف مثل باشا

وبك وافندي وخاتم . والفاظ علمانية مثل سيفورطه (ضمان من الحريق اوضمان الحياة) المستعملة في التركية . وندر استعمال هذه الالفاظ في البلاد الاخرى وهي شائعة بالاستعمال على الاسن في طرابلس الغرب كما تجد بعض الالفاظ الرومية وهناك الفاظ اعجمية اخرى ولكنها قليلة وهي مستعملة في مصر خاصة مثل لفظة « جنيه » الانكليزية لليرة المصرية . وهذا جماع الالفاظ الاعجمية وقد سبق لنا الكلام على المالطية وهي بين اللغة التونسية والمصرية وفيها اثر كبير من الايطالية

ثم ان في تونس لغة مكتوبة منقحة للكتابة ليس فيها شيء من الالفاظ الاجنبية ولغة محكية دخلت اليها الالفاظ الافرنسية والايطالية بكثرة . اما لهجة الجزائر فنكثر فيها الالفاظ الفرنسية وفيها كما في لهجة تونس بعض الالفاظ التركية وقليل من الاسبانية والايطالية . اما لغة مراكش فوجد فيها تعابير فرنسية وايطالية واقتبس قليلاً من لغة البربر وكثيراً من اللغة الاسبانية وربما بعض الالفاظ البرتغالية . وقد اكد المسيو مرسيه في بحثه عن هذه الالفاظ المشتركة ان الالفاظ البربرية (التي قد تكون احياناً الفاظاً من اصل عربي مثبريرة ثم اعيدت الى اللغة العربية) فلما توجد الا في البلاد الكبرى التي تكثر فيها اللغة البربرية ثم ان تأثير اللغة الاسبانية في المدن الساحلية محسوس جداً فترام يستعملون في الكلام لفظة « كوشطا » للساحل مأخوذة من « كوستا » الاسبانية و « فالسو » اي ردي الصفة و « فافور » نعمة و « خيلنالد » محمّدة من جنرال و « موندا » من « موني » اي المعاملة . ولم يثبت بان الادوات او الحروف دي ودبا الكثرة الاستعمال قد اتت من دي ودل ولكن اللغة العربية المراكشية اخذت عن الاسبانية حرف ب . وقد لاحظ المسيو مرسيه وحقت له هذه الملاحظة بان قلة التشابه في هذه اللغة وتأثيرها باللغة البربرية والاسبانية ناشئة من اسباب كثيرة والحقيقة ان اللغة البربرية ليست لغة مكتوبة هو من اهم الاسباب على ان العربية كانت في كل زمن نحو اللغة البربرية وعاملة على تمدينها وتحضيرها

من الصعب تعيين الالفاظ الدخيلة على لغات فارس الوطنية قبل الفتح العربي فلانة البهلوية كتابة آرامية واكثر الفاظها آرامية ولكن اي تأثير كان في اللغة من هذه الالفاظ السامية المشتركة ؟ والواقع ان هذه الالفاظ الدخيلة لم تكن اسما مجردة بل اسما كثيرة الاستعمال وضعت لما يقابلها من الالفاظ الايرانية التي كانت ولا تزال موجودة وهذا يقرب من الحقيقة رأي من يدعون ان البهلوية لا تختلف الا في الخط

وقد تبدل كل شيء في الفتح الاسلامي فدخلت على اللغة الفارسية الفاظ سامية جديدة ومنها العربي التي هي تمايز دينية والفاظ مجردة واخذوا يكتبونها بالف باء العرب وهذا هو اصل الفارسي الحديث . ولكن هذا التحول طال امره حتى ان الفردوسي كتب في القرن العاشر كتابه الشاهنامه وهي قصة ابطال فارس بدون ان يستعمل الالفاظ العربية وهذا مما يدل على مقدرة يصعب تقليدها اليوم وان كان بعض العلماء يقدرون على كتابة مكاتب مطولة ومقالات جرائد . فتصرين فقط على الالفاظ الابرانية ولكن من ادغام اللغة الفارسية بالالفاظ العربية نشأت اللهجة الفارسية الحالية .

ولقد كانت للفارس والترك او التتار في القرون الوسطى كثير من العلاقات التي ابقّت اثرًا منها في اللغة ومرت بعض الالفاظ التركية الى الفارسية منذ قرون ومن جعلتها مذكوره ارنينوس فبرى من الالفاظ المستعملة في الفارسية وهي من اصل تركي مثل « سالار » قائد و « خواجه » معلم او اساذ . ومرى اليها بعض الالقاب واسماء الوظائف مثل آغا وبك وخان وباشي (زعيم) التي كثيراً ما نراها متصلة بالفاظ فارسية مثل « متولي باشي » وهو اسم لقب ديني و « ده باشي » زعيم عشرة (اون باشي) اما سائر المصطلحات المحكية في فارس كالآرامية ولغات الشعوب القافقاسية الخاضعة للحكم الفارسي فلم تتأثر حتى اوائل القرن التاسع عشر بالموثرات الفارسية وهكذا في اللغة الهندستانية على كثرة الصلات الوجودية بين فارس والهند فالواجب مع هذا ان لا ننفل عن لفظة « لك » مئة الف و « كورور » خمسمائة الف و « تشاب » طبع او مطبوعات وتنبو هذه عن لفظة « طبع » العربية وهي لفظة حديثة العهد

هذا ما يقال في الدور الذي سبق الدور الذي صار لفارس صلات مع اوربا في اوائل القرن الماضي . وببذ ذاك الدور دأمت الالفاظ الاجنبية اللنة ولم تكن هذه الالفاظ مأخوذة من اقرب الامم من فارس كما كان المنظر ولا من اكثرهن نفوذاً فيها من حيث السياسة والاقتصاد بل ان اللغة الفرنسية هي التي دخلت على اهل الجيل الحاضر بافكارها ومصطلحاتها اللازمة للتعبير عن الالفاظ الحديثة في الشرق

بحث في هذا الموضوع احد كبار رجل فارس المرزا علي خان ذكاء الملك مدير مدرسة السياسة في طهران في محاضرة له القاها في مدرسة الاتحاد الاسرائيلي في عاصمة ايران يوم ١٣ نيسان ١٩٠٧ ونشرت محاضراته في المجلة الزرقاء تكلم فيها بمد ان اورد بعض الملاحظات على الالفاظ العربية والتركية والمهندبة التي اخذتها الفارسية على نشوء

لغته الحديث فقال ان اللغة الروسية واللغة الانكليزية لم يسر منهما الى الفارسية الا
الفاظ قليلة جداً

وربما وجد الناظر في لغة اهل طوريس ورشت بعض الفاظ روسية في اللغة الدارجة
ولكنها قليلة للغاية وهذا مما يدل على ان الروس قد اخذوا الفاظاً كثيرة من لغتهم عن
الاجانب مثل الفرنسيين والالمان والانكليز والاطليان فلم تستعير الفارسية من الروسية
الالفاظ «ساور» و«استكان» طاس و«دروخكا» عربية و«كالبسكه» كاليلش (وهي
عربة ذات اربعة دواليب) و«تارانتاس وباراخود» للسفينة البخارية و«اسكات»
معاملة الورق وهي من اصل فرنسوي اسنيا

والالفاظ الانكليزية عبارة عن عشر وهي «فاغون» و«ترامواي» و«نوت» من
بانكنوت و«شيك» وجيلاس (قدح للشرب) وجلاس وسارلاسهم الشركات الخ.
اما الالفاظ الفرنسية في الفارسية فكثيرة جداً وهي تنقسم على الوجه الآتي : الالفاظ
العلمية واسماء العتاقير واسماء الاطعمة مثل «سوب» حذاء و«جيكو» نخد و«كوتات»
ضلع واسماء الالبسة مثل «كلوش» حذاء الرجل و«بوز» مثلح و«بالو» معطف
و«باردسر» شعار واسماء للتعبير عن المحترعات الحديثة : مثل «تلغراف» و«تلفون»
و«اتوموبيل» و«بالون» و«غاز» للاستنصباح والفاظ المجدية مثل «اسكادرون»
كتيبة و«باتري» (بطارية) عدة مدافع و«مارش» سير «هالت» وقوف و«دفيه»
مضيق و«موسيك» موسيقى وان وجود معلمين من الفرنسيين في الجيش الفارسي في
ازمان مختلفة قد انتهى باستعمال الالفاظ الافرنجية واسماء الالات مثل «بيانو» و«لاترن»
مصباح واسماء مدرسية مثل «كلاس» صف و«بروغرام» خطة و«ديكته» املاء
و«نمرة» واستعمال لفظي «بارلمان» و«كونستيتوشيون» اللتين نقلوهما باللفظ شوراي
ملي ومشروطيت واسماء سياسية فيقولون عنها سياست وتعاير دولية مثل «فصل»
و«تمبر» طابع و«بردجه» ميزانية و«هنور» شرف التي تقابل لفظة هنر الموجودة
في الاصل الفارسي وقد استخرجها مونتسكيو وقبلت ابن الفارسيين كما قبلت لفظتا
«مرسي» الشكر و«باردون» الغفر

واستنتج ذكاء الملك بانه لافائدة من اختراع الفاظ جديدة متى اريد التعبير عن
افكار حديثة فان اللفظ الجديد على ما يرى هو غريب كاللفظة الاجنبية التي يراد اتقاؤها.
ومن رأيه ان لا يترخذ من اللغات الاجنبية لفظ مادام في اصل اللغة الفارسية ما يقوم

ولاسيما في اللغة العثمانية الادبية فانك لاتكاد تجد لفظة تركية مقابل ثلاثة الفاظ عربية او فارسية الاصل في آذربيجان والقافقاس تجد تأثيرات اللغة الفارسية ظاهرة في لهجة القوم كل الظهور وفي آسيا الصغرى ترى اللغة العربية مؤثرة في لغة السكان ولاسيما في اللفظ .

ولبست هذه الالفاظ المشتركة الاسلامية هي الوحيدة في بابها فانك تجد في لغة سكان التركستان الصينية الفاظاً سرت اليها من اللغة الصينية ولكن ما أخذ من اللغات الاوربية كثير للغاية

في اي عصر دخلت الى التركية الالفاظ الاولى التي هي من اصل غربي ؟ انه من الصعب ان يحكم بذلك حكماً صريحاً على ان الاخذ عن الرومية نشأه قد حدث في التركية منذ القرن الثالث عشر . وفي المعجم الاخوي الذي نشره المسيو هوتسما وكتاب نحو التركية لابي حيان بعض الفاظ من هذا القبيل مثل لفظة (اوغور) سادة (ارغات) صانع وهذه الالفاظ على ندرتها في اللهجات الشرقية تكثر بسرعة عجيبة في اللغة التركية الدثمانية بعد فتح الاسطانة حتى ان لفظة (افندي) الذي كتب المسيو بسيشاري تاريخها الغريب والتي تنقلت بها الحالات صورة ومعنى كانت مستعملة منذ القرن الخامس عشر . واذ كانت الايطالية هي اللغة البحرية والتجارية في البحر المتوسط فقد اقتبست في كل زمان كمية عظيمة من الالفاظ للغة العثمانية فاننا نجد فيها تعابير بحرية وتجارية وهي من لهجة البندقية خاصة .

وقد اقتبس اللسان العثماني اليوم عدة تعابير بحرية ورياضية من اللغة الانكليزية كما اقتبس قديماً من اللغة المجرية واللغات السلافية في الالفاظ عدة الفاظ عسكرية اما سائر اللغات المحكية في المملكة العثمانية فاللغة التركية العثمانية تكاد لم تأخذ عنها شيئاً وقد سرت اليها بعض الالفاظ الالمانية وبعض الالفاظ من اللغات الاخرى ولكن الالفاظ الافرنسية كانت ولا تزال اكثر وجوداً في اللسان العثماني من جميع اللغات الاجنبية . بدأ دخولها على عهد السلطان محمود . بيد جيش الانكشارية ويجب اعتبار هذا التأثير في الاصل على الاقل نتيجة لازمة للاصلاحات التي جعلت الدولة العثمانية مملكة تشابه اليوم . هذا اليوم سائر ممالك اوربا بحكومتها وعاداتها وقوانينها فقصت الحال للتعبير عن افكار جديدة لايجاد الفاظ جديدة وكان معجم اللغة التركية الفارسية العربية يكتفي في احوال كثيرة لسد هذه الثغمة ولكن الاتراك رأوا من الانسب قبول

مقامه . ولذا عبروا عن السكة الحديدية بالفظ « راه آهن » ومثولي الاشغال بالفظ « مهتكدار » ولفظ « مرسل فوق العادة » بلفظ مأمور فوق العادة و « غرة التجارة » بلفظ « انجمن تجارتي » ومهندس بلفظ « فني مأمور »

ويغلب على الظن ان عدد الالفاظ الاجنبية سيقبل بعد حين فانا نرى الجدال قائماً منذ بضع سنين في الصحافة لاعادة اللغة الفارسية الي نضرتها الاولى والقوم يريدون الرجوع بلغتهم الى لغة الفردوسي بحذف الالفاظ العربية التي كثرت سرايتها الى الفارسية وألفنا استعمالها على ماتراه من الامثلة التي اوردها . ويدعي القائلون بهذا الرأي ان حذف الالفاظ العربية لا يفهم منه مخالفة للدين فما من شيء في القرآن يقضي علينا بان تستعمل في لغتنا الفاظ عربية . وان تناغي الفرس بوطنيتهم وما فطر عليه القائلون بهذا الرأي من الغيرة والاعتدال ومن جملتهم اللغوي العالم مؤلف الدولة ليدعو الى عقد الرجاء بنجاح هذا المشروع

كان الاتراك قبل ان يدينوا بالاسلام يستعملون الف باء من اصل سامي اما الالف باء اليونانية او الرومانية القديمة والويفور فالظاهر انها لم تكن تقتبس شيئاً من اللغات السامية . واقتبسوا عدداً قليلاً من الالفاظ الفارسية والصينية وعدداً غير قليل من الالفاظ المغولية التي كان الاشتراك في الاصول بينها وبين التركية يسهل احتذاء مثالها بالنظر لكثرة الصلات بين الشعبين . وهذه جملة ما اخذه الاتراك قبل الاسلام من جيرانهم حتى اذا اتخلوا الدين الاسلامي تغير كل ذلك . فكانت العربية وهي لغة الدين والعلم مصدراً للاتراك يتناولون منهما الالفاظ الدينية والعلمية التي تمس حاجتهم اليها وكانت اللغة الفارسية على اتم شونها ولها آداب رائقة هي لغة الاتراك الادبية في عامة الاقطار وما الشعر التركي الا على مثال الشعر الفارسي وانتشر التهذيب الفارسي من آسيا الوسطى الى البحر الرومي وكانت له المكانة العليا في كل مكان يتكلم به باللغة التركية التي كانت مفرداتها كثيرة في القديم بفضل طرق الاشتقاق الكثيرة الهينة ولكنها لم تلبث ان افتقرت بما دهمها من الالفاظ العربية الفارسية

وانك لترى في النصوص القديمة من لغة الويفور الفاظاً مثل كوتادغو بيليك وهي من القرن الحادي عشر وهي تكثر في لغة الجغتاي نحو القرن السادس عشر وقد تركت لغة الويفور بالمرّة واستقام امر التركية بانها لغة اسلامية . اما اللهجات الشرقية التي هي اكثر غرابة في نواحيها القديمة فقد احتفظت ببراثنها الوطني من المفردات اما في اللغة العثمانية

التعابير الاجنبية ولا سيما الافرنسية منها على ما هي عليه . واذا غيروها احياناً فلما يغيرونها لتكون موافقة للفظ التركي . وزاد في هذا الاقتباس من الانرسية انشاء صحافة تركية وطنية نسجوا فيها على مثال الصحافة الاوربية وكثر شغب ادباء العثمانيين بثلاوة مصنفات الفرنسيين حتى حلت محل مصنفات الفرس بنحو ١٨٥٠ م . فاصبحت المثال الذي يحتذيه كتاب الاتراك ولا سيما ترجمة القصص الفرنسية التي هي في الاكثر من اسلوب الانشاء الطبيعي

ثم عاد القوم منذ خمس عشرة سنة يريدون وضع حاجز دون هجوم الدخيل على لغتهم وطرح مادها من . وارادوا ان يعبروا عما يريدون بالالفاظ التركية واذا لم يكن فيها ما يقابل اللفظ الافرنجي يعمدون الى الفارسية او العربية . وكاد هذا الاصلاح يأتي بالنتائج المنتطرة منه خصوصاً وان له علاقة بالحركة لتوحيد اللغة العثمانية وهي الحركة التي اشير اليها وسنعود الى الكلام عليها . وعلى اي حال فانا نرى الآن في الصحافة التركية الفاظاً مولدة مثل « تحت البحر سفينة سي » اي غواصة و « آثار عتيقة » اي العاديات او الآثار العتيقة و « يطر فلك » الحياض « بين الملل » دولي وغيرها . وقد نقلوا الى التركية كما نقل كتاب العربية الفاظاً افرنجية ونحوها لمسميات فترجوا وادارعة بلفظ « زرخلي » ولكن الطراد ابتغوه على اصله الفرنسي فقالوا (كروازور) وقالوا عن النسافة (تور ييدو) وهي من الايطالية وبالافرنسية (تور بل) و (غانبوط) اي سفينة مدفعية وهي من الانكليزية (كونوت)

اما المصطلحات العلمية فتكاد تكون تفریباً باجمعها تركية او فارسية او عربية ويعمد الى الفرنسية واللاتينية في النادر ولا تستعمل الانكليزية ولا الالمانية اما سائر اللهجات الشرقية التي تأثرت من اللغة العثمانية باللغات الاوربية فان اللغة الروسية تكاد تكون وحدها منفردة بهذا الامتياز ولا يشاهد ذلك الا في اللغة التتارية خاصة والظاهر ان ذلك بدأ في النصف الاول من القرن التاسع عشر فانك تجد في القصص الهزلية التي ألفها الميرزا فتح علي آخوان زاده التي كتبت بين سنتي ١٨٥٠ و ١٨٦٠ بعض الالفاظ ان لم تكن روسية فتكون قد سرت الى التتارية من اللغة الروسية مثل (زاكون) فنون (يات) من (يله) الفرنسية اي تذكرة و (باشبور) من (باشور) اي جواز و (مدال) من ميدال اي نوط ولا تكاد الآن تفتح جريدة مثل ترجمان التي تصدر في بغية سراي وترقي التي تصدر في باكو وجريدة فزان مخبرية

الا وتدهش مما نراه من كثرة الالفاظ الروسية او المصبوغة بالصيغة الروسية لان كثيراً منها من اصل فرنسي او المألي او ايطالي

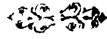
اذا عرفت هذا فما هو مستقبل اللغة التركية ؟ انا تشهد الآن لجنة المعارف العدمية في مجلس النواب الروسي تعني بالكتب المؤلفة باللغة المحلية للمدارس وقد رفضت الاستعاضة عن اللفظ التركي باللفظ التركي وذلك ليعولوا دون « الجامعة التركية » . ولكن من اين نشأت هذه المخاوف ؟

نشأت من كون جميع العناصر التركية مها كانت لهجتهم من الاستانة حتى سمرقند يريدون ان يتعارفوا ويتفاهموا وانا لنجد الصحف العثمانية تقرأ في روسيا كثيراً والصحافة التركية تتخذها نموذجاً تحتذبه حتى ولو كان ما يتبسونه منها من الولد مأخوذاً من اصل اوروبي ولا يجب ان يفوتنا ان كثيراً من الالفاظ الفرنسية قد سرت الى اللغة التركية بواسطة اللغة الروسية ولكن ما جاء منها من طريق اللغة العثمانية اوفر عدداً

ولقد اصبح من الظرف في البلاد العثمانية منذ بضع سنين ان تحتقر اللهجات الشرقية وينظر اليها كما ينظر الى ما يسمونه « قبا ترك » اي التركي الغليظ وشفف القوم بالرجوع الى لغة اليقافاوسلطان بابر القديمة الغنية التي افترقت وتبدلت اوضاعها بما دهمها من الالفاظ العربية والفارسية اولا والالفاظ الافرنجية ثانياً فانهم فيها يبحثون في حذف جميع هذه الالفاظ ليستعضوا عنها بما يقابلها من الالفاظ التركية التي نسبت منذ عهد بعيد وهي اكثر الثمناً مع روح اللغة . واصبح لهذه الحركة شأن عظيم بما توفر عليه القائمون بطرح الالفاظ الدخيلة على التركية من الابحاث اللغوية المهم اكثرها كابحاث العلماء امثال القائم مقام نجيب عاصم بك والمقالات الكثيرة التي نشرت في الجرائد وتأسيس الجمعيات لهذا الغرض مثل جمعية (ترك درني) اي المنتدى التركي وغرضه درس اصول اللغة التركية واحياء ما عاث فيه الي من الالفاظ ويقول المسيو هازمان احد علماء المشرقيات انه يرجى ان تكون لهذه الحركة نتائج حسنة

وهكذا يرجع العثمانيون الان ترك الى التركية القديمة والتتر الروسيون يحاولون الجري على مثال اللغة التركية الشائعة في الاستانة ويطعمون في كل مكان ولا سيما في روسيا ان يوحدها اللغة . وهذا العمل يلاقي صعوبات مهمة ولا سيما فيما يتعلق منه باللغة العامية . فاللغة المحكية في القريم هي اللغة العثمانية الا قليلا ولا فرق بين هذه اللغة واللغة القافقاس الا ببعض التعابير المتعلقة باللهجة وبعض الالفاظ الروسية التي يريد القوم طرحها وبعض

الصيغ النخوة عَلَى ان هذا الفرق لايجول دون العثماني وفهم لجة ازري من ايسر وجه، ومن المتعذر ارجاع لجات بلاد قازان وآسيا الوسطى الى هذا الاسلوب . ومهما تم في هذا الامر فالانظار متجهة لما يحدث من هذا التبدل في البلاد التركية اتجاهها لما يحدث في سائر العالم الاسلامي مما فيه تأييد روح الوطنية باللغة الوطنية



المالية العثمانية

لا شيء يشغل بال العارفين من العثمانيين مثل اصلاح ميزانية الدولة ويدا النفوس متطلعة الى مايجري في مجلسنا اليايبي بشأنها وردت محلة العالمين الباريزية وفيها مقالة بقلم حد الاخصائيين في هذا المعنى قال فيها ان واردات السلطان سليم الاول كانت تقدر سنة ١٥٠٨ ب ٣,١٣٠,٠٠٠ دوكا^١ وبلغت سنة ١٥٥٣ ١٥ مليون دوكا وبعد ذلك عاد ارتقاؤها انحطاطاً وقوتها ضعفاً مشهوداً لما وقعت فيه الدولة العثمانية من الغوائل السياسية والفن العسكرية . فظهرت عندئذ نقود الورق واخذت الدولة بالاقتراض فاصبحت المملكة في قبضة ارباب المصارف والمالين ولا تزال حتى يوم الناس هذا . فليت شعري هل ينهض احرار الامة العثمانية المحجودون لانهاض ماليتهم من كبوتها ؟ فالجواب عَلَى ذلك انفسدوا على وجه حسن تحسن ماليتهم لان هذه لا تستمد الا من الاقتصاد عَلَى ان الحالة الزراعية والصناعية والتجارية في السلطنة العثمانية ليست عَلَى مايرام بالنظر لمثل هذه المملكة الواسعة الرباع والاصقاع . فقد اخرجت المملكة العثمانية سنة ١٩٠٥ ١٨ مليون فنطار من الخنطة و ٣٤ مليون فنطار من الشعير والجاودار (الخنطة السوداء) والقرطان والذرة . ويستخرج من اليمن قهوة حسنة معروفة منازلها . وتبلغ مساحة الثابات

(١) الدوكا معاملة ضربها دوق اودوج في البندقية تكون من الذهب او من الفضة وهي من سكة القرن الثالث عشر اما سعرها بغير هذه الايام فقد كان يختلف باختلاف البلاد فالدوكا الذهبي كان سعره نحو نصف ليرة عثمانية في المانيا والنمسا وسويسرا وهانوفر وهولاندة وبولونيا وبروسيا وروسيا والسويد وفي امارتي باد وبال وغيرهما من ١٠ فرنكات و ٦٩ سنتيماً الى ١٠ و ٧٥ سنتيماً وفي الدانمرك وهولستانين ٩ فرنكات و ٣٠ سنتيماً وفي البندقية ٧ و ٤٨ س وكان في البندقية ايضاً دوكا بسعر ٣ فرنكات و ربع

التي خربتها المواشي عشرة ملايين هكتار . ويصدر من ولاية برصة ولواء ازميد بنحو الف طن من الفيلج (الشرائق) وكثير من الموارد الطبيعية على ظامر الارض وبالغنها لم تستثمر الى الآن لقلة رؤوس الاموال والمهندسين . وتقدر صادرات المملكة ووارداتها بنحو ١١٥٠ مليون فرنك تكاد تنقسم نصفين وطول سككها الحديدية ٦٦٠٠ كيلومتر . هذا ما قاله صاحب هذا البحث وقال ان اصلاح المالية العثمانية ليس بالامر المتعذر فانها اذا لم تحدث للدولة مشاكل خارجية تستطيع ان تلم شعنها بعد بضع سنين اذا احسن الاحرار السياسة والادار . وهو قول يشبه ما يردده الخرمالي يتناخى انه مثل بعض الممالين لا يرى على الدولة حرجا في الاقتراض لسد العجز من ميزانيتها لان الدولة تقترض من جهة وتوفي ديونها من جهة اخرى .

ولما كانت الدولة العثمانية دولة حرية منذ قامت في الوجود الى اليوم والى مابعد اليوم تحتم عليها ان تنفق على جيشها شطراً عظيماً من دخلها وبذلك كانت العسكرية اول ادارة دخلها الاصلاح في الدولة بعد اعلان الحرية وهذا الاصلاح يستدعي نفقات طائلة فقد جعل ما يطلب للحرية في ميزانية سنة ١٣٢٦ ١٠٤٥٢ ٨٦٢٨٠ ليرة عثمانية وبنحو ٤٠ في المئة من الواردات والدولة تحاول ان تجعل لها بحرية تضاهي قوتها البرية وهيئات ان يتم لها ذلك وقد جعلت المخصص لهذه الغاية زهاء مليون ليرة واخذت تجمع اعانة لانشاء اسطول من رواتب الموظفين على اختلاف درجاتهم وتهز اكف المحسنين من الاهلين لجمع حتى الآن اثنان واربعون مليون قرش اوصت باكثرها على مدمرات ونسافات . وتدفع الدولة زهاء ثمانية ملايين وربع للديون العمومية العثمانية مما يبلغ مع اللازم للجيش البري والبحري زهاء ثلثي الدخل والباقي يصرف رواتب لرجال الادارة والدرك والمعارف والنافعة

اما اصلاح المالية فموقوف كما يقول العارفون على اصلاح طرق الجباية وتعديل قيم الاملاك وتضمين الاعشار بحيث يشع اول ما يجبي منها من الفلاحين ومن كبار الاغنياء المالكين وان تطبق من خطط الاصلاح ما لا يكلفها النفقات الطائلة ويكون مأموث المغبة مثل اصلاح ري العراق واستثمار الاقرب فالاقرب من مناجمها وانشاء الاهم فالاهم من خطوطها الحديدية ومرافئها البحرية . والاضطلاع بجباية رسوم الاغنام وفرض ضريبة التمتع على التجار الوطنيين والاجانب على صورة عادلة واذا قبلت الدول بزيادة الرسوم الجمركية اربعة في المئة تيج ١٥ في المئة فتبلغ الزيادة فيها ٣٤ في المئة واذا اضعفنا

اليها اصلاح ادارة الجمارك بشكثير رواتب الموظفين والانتصار على المقتدرين منهم تزيد الواردات نحو ٢٥ في المئة

وبيت قصيد كل هذا الانتصار في النفقات فقد رأينا الحكومة اقتصدت في الظاهر من امور طغيفة واسرفت في امور كبيرة وما ندرى على اي قاعدة من قواعد الاقتصاد طبقت قانون التقاعد في موظفيها فيعد ان كان العامل من الموظفين يقبض الف قرش مثلاً اجرت تقاعده واخذت تدفع له ألفاً ومئة قرش اي انها زادت في رزقه وبذلك خسرت من وجهين الاول انه دخل في زمرة المتقاعدين اناس كان يرجى ان ينفقوها بمعارفهم وتجاربهم لو داموا على عملهم مع مراقبتهم واستعاذت عنهم باغمار لا يحسنون كيف يسبرون الا قليلا وتكبدت الخزنة من الوجه الثاني زيادة رواتب المتقاعدين

ولو كانت الحكومة تفتقر المال اللازم لها لسد عجز ميزانيتها والقيام بالاصلاحات النافعة من البيوت المالية العاصرة باموال رعاياها لمان الامر وقتلنا لها لابس من اقدامها الآن على تحيين ماتريد تحيينه والتوسعة في النفقة ولكنها تنفق بالاستدانة من مصارف اوربا وعليها الآن نحو ١٣٠ مليون ليرة عثمانية دين للمصارف وقد استلفت في العام الفائت لسد عجز الميزانية اربعة ملايين وهي تحتاج هذه السنة لعشرة ملايين ليرة اخرى ويقول الميولوران المستشار المالي ومع انه لا يعرف مقدار الديون العثمانية معرفة صحيحة فالمنظنون انه لا يقل عن ٢٩٥٠ مليون فرنك فاذا نم هذا المبلغ الى القروض التي عقدت منذ سنة ١٨٨٢ اي منذ انشاء ادارة الدين العمومية وهي ١٠٣٩٥٠٠٠٠٠٠٠ فرنك منها ١٦١٧٥٠٠٠٠٠٠ للديون العمومية ١٥٥٠٠٠٠٠٠٠ مليون سلفة و ٦٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ للمصرف الزراعي واخذنا التمدل المتوسط لانجد الهجز بقل عن اربعة وستين مليون فرنك سانهة وقد تراكت عليها هذه الديون لانها سعت في استهلاك الديون المنظمة

وكيف يتأتى للدولة ان تكثر وارداتها فصبح كما قال ناظر المالية ثلاثين مليوناً بعد ثلاث سنين ونحن نراها لم تضع في ميزانية الزراعة والمعادن سوى جزء من مئة جزء وانل من ثلثائة جزء في المئة للتجارة والنافعة ومعظم هذا القدر يصرف رواتب لموظفي هاتين الادارتين فاين اترك لينفق على اصلاح ري المراق وفتح المناجم وانشاء الخطوط الحديدية والطرق والمرافق ولم يزد المخصص للمعارف سوى ٣٥٠ الف ليرة وهو قدر زهيد بالنسبة لاتساع المملكة واكثرها مما يصرف على تنريك العناصر العثمانية لا على تعليمها علماً بضع

الامة والوطن

ومن الغريب انه ورد على الخزينة في السنة الماضية خمسة وعشرون مليون ليرة من الضرائب المنوعة ومليونان ونصف عن ولايتي البوسنة والهرسك واربعة ملايين بدلت التخلي عن بلغاريا ونحو خمسة ملايين صودرت من اموال المخلوع عبد الحميد واموال اعوانه ونحو مليون من واردات الاراضي السنية ماعدا القرض الذي عقدناه وهو زهاء اربعة ملايين وانفق كل هذا في سنة واحدة ولعل هذه السنة لا تكون اقل من طريبتها لان الدولة لا تأمن كل ساعة ان يفتح عليها باب فتنة داخلية او خارجية تضطر الى الاتفاق فيها مالم تدخلة في ميزانيتها.

اهم الواردات المخمئة في الميزانية ١٨٢٣٣٠٢٥٩ ليرة من الاعشار و٣٩٨٠١٣٩٥ من الجمارك و ١٤٢٢٢٠٦٠ ليرة خراج الاراضي ١٣٧٧٠٣٦٠ خراج العقارات و ١٧٩٠١٧٢٠٠ رسوم الاغنام و ١٥٢٨٩٠٦١٢ البدلات النقدية الى غير ذلك من رسوم التمتع والمرتب على الغابات والمناجم مما لا يتجاوز السنة والعشرين مليوناً . وقد الغي منذ ابتداء سنة ١٣٢٦ من البلاد التي لم تحرر نفوسها واملاكها جميع الرسوم التي كانت تؤخذ باسم الدكاكين والخم وما شاكل ذلك عدا عن رسم الاحتساب او الدخولة (OCTROI) الذي كان وضعه من اهم عوامل فتنة الارناؤد الاخيرة كما ألغيت الرسوم التي تؤخذ من الصيارف واصحاب المعامل المنشأة حديثاً وجميع القوانين المتعلقة بالعملة المكافئة وتذاكر الميوزاي الجوازات وتحصيل بدلات الطرق نقداً لا بدناً وتلغى الرسوم التي احدثت في الكمارك بدون استناد على قانون او نظام والغيت الرسوم التي كانت تستوفيها الحكومة تحت اسماء الدلاية والزورق والرحى والحطب والفحم والباج والصياغ وعمل القرميد والقصب والمضيق ومرور الحيوانات وميزان الفضة وتمغة وغيرهما كما الغيت رسوم الجسور والمعابر وفي ولايات بغداد والبصرة والموصل والقدس وبعض جهات ادرنة فانها تركت للبلدية -

وقد كتب شفيق بك المؤيد نائب دمشق في مجلس الامة العثمانية وهو ثقة في الشؤون المالية مجيئاً قال فيه : ان ديون الدولة يوم تألفت ادارة الديون العمومية محررة بالضبط في قانون تأليف هذه الادارة وكانت يومئذ عبارة عن ١١٦٨١٥١٧٢ ليرة عثمانية غير انا اذا دققنا نجد ان قيمة هذه الديون الحقيقية لا تتجاوز ثلاثين مليون ليرة لان القيمة المحررة في القانون هي قيمة اعتبارية لاحقيقية وقد قسمت الديون المذكورة

وقتشذ الى اربعة اقسام اعظمها وكان يتناول اكثر من ثلاثة ارباعها ما كان معروفاً عند اصحاب الدين باسم (ترتيب د)

وهكذا كانت المئة منه تختلف ابدأ بين ٢٠ او ٢١ كما ان مجلس الديون العمومية لم يدفع قط في مشتره لاستهلاك الدين قيمة فوق ذلك. واني لآت ببرهان جلي على ان قيمة الديون الحقيقية اعني قيمتها في البورص لم تتجاوز قط ثلاثين مليوناً. وذلك ان مجلس الديون العمومية كان ولم يزل ينشر كل سنة خلاصة اعماله في رسالة مخصوصة يطبعها ويوزعها على اصحاب الدين. وتذكرت في الآن اتفاقاً على رسالته عن عام ٣١٤ فوجدت ان الفائدة التي اداها المجلس تلك السنة عن الاقسام الاربعة المذكورة بلغت ١٠١٤٠٤٨٣ ليرة عثمانية فاذا اضفنا الى هذا المبلغ ما يعود من صافي الواردات لاسهم السكة الحديدية الروملية وهو ١٥٦٣٣٥ ليرة بلغ المجموع ١٠١٧٨٠٠٨٠ ليرة واذا اخذنا رأس مائة هذا المبلغ بحساب قيمة الديون الموحدة وجدنا ذلك لا يبلغ ثمانية وعشرين مليوناً غير انه يجب لاجل تعيين مقدار الديون الخارجية وقتشذ ان نضيف الى هذا المبلغ قيمة الديون المضمونة بخراج مصر والدين الذي كان معروفاً بالتحويلات الممتازة فبلغ مجموع ذلك زهاء خمسين مليون ليرة وهذا يكاد لا يتجاوز مقدار الدين الموحد الان فاين هذا من ١٥٠ مليوناً.

اما ديوننا الخارجية الآن فهي كما يأتي وهي ارقام حقيقية راهنة لاعتبارية

الدين المضمونة بخراج مصر	١٨٦٠٦٠٦٩٨
الدين الموحدة	٥٢١٣٩٤٠٦٥٩
ديون اخرى مودعة لمجلس الدين	٣١١٣٣٢١٥٥٤
ديون بعض البيوت المالية	٢٠٣٩٩٦٠٦
ديون منوط امر تأديتها ابتغاءة المالية (منها القرضان الاخيران)	١٥٦٢٦٢١٧٦٤
المجموع	١١٩٩٩٦٢٨١

فاذا اضفنا الى هذا المبلغ قيمة القرض الذي تنوي الحكومة عقده واضفنا عشرين مليوناً رأس مال مائده، كل سنة ضماناً لشركات السكك الحديدية نجد ان مجموع ديون الامة ستجاوز في منتهى هذه السنة المالية مائة وخمسين مليوناً فتزيد عنها يوم تأسست الديون العمومية ما يقرب من مائة مليون

قال على اني لست من الذين يستعظمون هذا المبلغ ويرون ان احالنا المالية وخيمة العاقبة لمجرد تراكم هذه الديون علينا . كلا وانما الخطر كله في سياسة الحكومة المالية وانحرافها عن طريق الاقتصاد متبعة خطة التبذير والاسراف في جميع شؤونها وامورها مما لا يقف بنا عند هذا الحد بل يجرنا الى عقد القروض الجديدة فنحمل عاتق اخلافنا ما لا يقدرون على القيام باعبائه ونبيع آجل الامة بما جل انمة نحن في غنى عنها .
وان في ميزانية السنة الحالية اجلى برهان واعظم دليل على ما قدمت

تقررت ميزانية الدولة العثمانية عن سنة ٣٢٦ بعجز يتجاوز عشرة ملايين ونصفاً من الليرات العثمانية ومهما قال التائلون فهد العجز لا ينقص عندي عن ثمانية ملايين فتحتاج الحكومة لسده ان تعقد قرضاً يقرب من عشرة ملايين بزيادة نحو ثلاثة ملايين عن العام الماضي .

ولا يخفى ان ديوننا الخارجية وضمانات السكك الحديدية مع الواردات المخصصة لها مفوضة ادارتها جميعها الى دائرة اجنبية لا تأثير للحكومة في اعمالها وهذه الواردات مع النفقات وفائدة الديون المخصصة لها يجب في الحقيقة تنزيلها من الميزانية ايراداً ومصرفاً فاذا فعلنا ذلك رأينا ان صافي الواردات التي للحكومة حق التصرف بها يبقى عبارة عن ثمانية عشر مليوناً فاذا استقرضت الحكومة عشرة ملايين اسد عجز الميزانية تكون قد استقرضت ما يقرب من ستين في المائة من مجموع وارداتها فما ظن القراء بتاجر لا يكتفي ان يصرف سنوياً على خاصته وأسرته جميع كسبه وايراده بل يقترض فوق ذلك ستين في المئة من مجموع هذا الكسب والايراد .



حكم افرنجية

التألم على ما يرغب فيه اكثر من الاستمتاع بما تملكه اليد هذا ليس من السعادة في شيء بل هو من شان الطامع
ان ما تشتمز منه نفوس ارباب الافكار الصالحة من المناقشات هو انها تنتهي بالخصام

كثيراً ما يكون الاستهزاء افلاساً في الفكر
ما من شيء ادل على الخدق اكثر من حسن السلوك

الجهل على ثلاثة ضروب : جهل بكل شيء ، ومعرفة ناقصة فيما تعلمه ، ومعرفة غير ما يجب عليك معرفته

يؤثم الاولاد والمجانين ان عشرين فرنكا وعشرين سنة لا يأتاني ان تنتهي
شارك الناس في افراحك تعظم وشارك الناس في اتراحهم فان الترحة المجرأة
بقل تأثيرها

يسأل الحكميم نفسه عن سبب اغلاطه والاحق يسأل عنها غيره
مران بضمه ان احترام الشيخوخة وصفاء الحياة : حب العمل والشعور بالواجب
النظام يسعف الذاكرة ويوفر الوقت ويحفظ الاشياء .
يقرأ الانسان ليمر فلو كان الناس يقرأون ليكونوا احسن حالاً يصبحون عما قريب
امهر واحذق

نشكو قليلا في الاحيان من احبابنا لئبر سلفاً خفياً (لاروشفو كولد)
ان تعلم النظر هو اطول الفنون واصعبها (كونكور)
اننا نحب من يعجبون بنا ولكننا لانحب ابدأ من نحب بهم (لاروشفو كولد)
يجد المرء في السياحة رأس مال للبطالة لا يخلو منه زاوية من زوايا قلب كل منا
(بانفيل)

علينا وحدنا ان نحرس افكارنا في البيوت نسهر على اخلاقنا وفي المجتمعات نحرس
السنن (العقيلة دي ستايل)

لا يحدث في الحياة امر لا كما يخشى منه ولا كما يؤمل فيه
اشبه بمن يقول الكذب من يورد قولاً في معرض الحق وهو لم يفكر فيه
في القراءة اجمل سلوى عن الحياة وعن النفس
استمع مئة مرة ولا تتكلم الا مرة واحدة
من العار الحذر من الاصحاب اكثر من الانخداع بهم
احق انواع الاسراف بالوم الاسراف في الوقت
الاغتياب نذالة ولا قوة له الا على المتغيب
الفو طيب الفضيلة

ان لك من الحاضر دواء وما دمت تهذب منه فاعقد الرجاء بالخلاص

(١) التربية الاوربية

سادتي الاخوان الاعزة :

او عز اليّ بعض اعضاء هذا المنتدى الكريم ان احدثكم بما رأيتم في رحلتي
الاخيرة الى اوربا فلم تسمني مخالفتهم لان الطلاب اعزة وتبادل الافكار
معهم من اشرف المطالب ولكن الموضوع كبير لا يتسع وقتي الآن للاحاطة
باطرافه كله ولا اوقات الحضور الكرام الى وعيه وسامعه ولذلك اقتصر منه
في هذه الليلة على الاشارة الى طرف مما تأثرت به نفسي في درس معالم
الحضارة الاوربية في اماكنها واستطلاع طلعمها بالعمل بعد الاستعمال بدراستها
بالنظر مدة . ولذا استميج عفوكم اذا لحظتم في اقوالي شيئا مما لم يعتد بـ بعضكم
سماعه فاننا أئص عليكم شعوري ولا حرج على الشاعرين كما لا حرج
على الشعراء .

اول ما يقع عليه نظر الداخل الى ارض اوربية ذاك الانتظام الزريب
في مرافق الحياة ومظاهر القوة فيسقط لاول وهلة على نموذج صالح من استبحار
العمران هناك بل يتجسم في عينه وذمه ماسعت اليه ولا تزال تسعى تلك
الامم الراقية من الاخذ بأسباب الراحة والبسطة من طريق التكمّل العلمي
والنشوء الاجتماعي والعملية .

ولا يزال هذا النموذج من العمران يعظم في نظر السائح كلما طاف
المعاهد وزار مشاهد وجل في القرى والساكر والحواضر والقواعد . وكل

(١) خطاب القاها في المنتدى الادبي في الاستانة وهو مجمع الناشئة العربية من طلاب

المدارس العالية

فرع من فروع هذا الارتقاء العجيب يحتاج الناظر في وصفه الى مجلد برأسه حتى يتجلى للسامع بعض التجلي وما راء كمن سمعا .

ماذا اذكر لكم ايها الاخوان من حال اوربا ومدينة الغرب الراقية التي بلغها بقوة العقل وتطبيق العلم على العمل ؟ أأحدثكم بصناعاتها التي تنهر النفس ؟ او باتساع متاجرها التي لا يحصيها العد ؟ او بارتقاء زراعتها التي تنادي بلسان حالها ومقالها بانه لم يبق بعد ما بلغته غاية ؟ ام اذكر لكم حال الجامعات العلمية والسياسية والجمعيات الاجتماعية وال نقابات التجارية والصناعية ام المدارس الجامعة والكلية والثانوية والابتدائية ام المتاحف والمعارض والمكاتب والمجالس والمصارف ودور التمثيل ومحال الطرب والانس ؟

كل هذه المشاهد كنت اختلف اليها في اوقاتها واجتمع برجال العلم والادب والسياسة منذ الصباح الى ما بعد منتصف الليل ونفسي تتأثر بتغير المشاهد بحيث تملك عليّ مشاعري فلا استطيع التفريق في الحسنات كأني ابتليت بداء الاستحسان لاتقع عيني على شيء ولا نسمع اذني بشيء ولا يتصور ذهني اقل شيء الا واخذ به جملة وتغرق النفس في استحسانه وتحار في وصفه ولقد كنت عزمت ان ادون في مفكرتي ما يعرض لي من المظاهر والمناظر ويتردد في صدري من الافكار والخواطر واحضره من المحاضرات والخطب والدروس النواذر ولما كثرت عليّ الموضوعات كلّ القلم من التقييد وقلت انك يا هذا تكثني متى عدت لتحدث قومك بما رأيت من تسجيل ما يعلق في ذهنك وبمضه مما فيه الغناء والكفاية .

نعم تركت التقييد على خلاف عادتي فصديق قول الشاعر
تكاثر الطلاب على خراش فما يدري خراش ما يصيد

لولا ان اليأس من اعظم الامراض في الافراد والجماعات لطاومت النفس وقنطت من نهضة هذا الشرق لمجاعة الغرب ولولا انني اعتقد بان النجاح مقدور لكل مخلوق يعمل وان الأجسام تتكون من الذرات وان من الجزئيات تنشأ الكليات لسمجت بان قيام الشرق العثماني وهو على نهضته المتناقلة البطيئة التي نشهدها امر متعذر الا بعد قرون ان كتبت له الحياة . ولكن امامي مثال الدولة اليابانية مملكة الشمس المشرقة رأيتها جارت اكبر الدول الاوربية في ثلاثين سنة وفاقت من كانت تعمل منذ ثمانية سنة من الدول الغربية فباغت درجة عالية من الحضارة

نعم ان اليأس يجب ان لا يتطرق الينا وان كنا وباللاسف تحت وصاية الغرب اليوم في كل شأن من شؤون حياتنا السياسية والاجتماعية والعلمية والتجارية يصرفون علينا كل ما يريدون من ضروب المعارف ويريجون بعقولهم منا انواع الارباح والمكاسب ويستثمرون شرقنا بكل مالهيم من ذرائع العلوم والفنون ونحن منهم باهتون شاخصون شأن عبد مع سيده او جاهل مع عالم

حضرت دروساً كثيرة في الكوليج دي فرانس وهي المدرسة العظمى التي تضم في صدرها زهاء اربعين عالماً من كبار علماء فرنسا يقرأ كل واحد منهم درسين اثنين في كل اسبوع في العلم الذي اخصى فيه وتفرد به طول عمره وتكون دروسهم عامة يحضرها كل من اراد فتدل على كرم الفرنسيين في العلم

وحضرت دروساً في مدارس أخرى ووقفت الى سماع خطب ومحاضرات كثيرة فلم ار في اكثرها الا تعصباً على الشرق وغمطاً لحقوقه

اذكر لكم على سبيل المثال محاضرتين دعيت اليهما لتعلموا منهما مقدار ما يعده الغرب للشرق ومبلغ حكم ابيائه علينا وانكم بعد ما ان تقيسوا حاضرهم بحاضرنا وغابرهم بنا برنا وتضحكون بنداها او تبكون .

فالمحاضرة الاولى كانت في قاعة السوربون الكبرى اي كلية باريز وهي المكان الذي جرت العادة ان يكون معهد الداملين للعلم من الفرنسيين فاقامت جمعية آسيا الفرنسية والجمعية الجغرافية حملة للاحتفاء باعضاء بعثة بليو الى التركستان الصينية وكنشو بحضور جماعة من اعضاء المجمع الفرنسي ولم يكن الحضور اقل من الف وخمسمائة مستمع ومستمعة والمسيو بليو هو في الثامنة والعشرين من عمره طاق اللسان آية في البيان وهو استاذ اللغة الصينية في المدرسة الفرنسية في الشرق الاقصى . شرح في محاضراته ما لاقاه في رحلته التي بدأت في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٦ وانتهت في الصيف الماضي واتى على ما وفق اليه من الاكتشافات الاثرية والكتابية وغيرها في آسيا الوسطى مما حفظ لفرنسا شهرتها القديمة في البحث عن الآثار وقال ان التعصب انتشر هناك بانتشار الاسلام في القرن الحادي عشر للمسيح فكان من ذلك التعصب ان اتى على الآثار بحملتها . وقد قرع الشرقيين عامة والمسلمين منهم خاصة انواع التقريع . اما رحلته فهي كسائر الرحلات العلمية التي يرحلها الغربيون الى آسيا وافريقية فيكونون مقدمة للفتح والاستعمار وقديماً كان الشاعر يقول « السيف اصدق انباء من الكتب » فاذا ارادت امة ان تفتح بلداً اخرى ترسل اليها السيوف والبنادق ثم تمهد البلاد بالمعارف اما اليوم فيرسل الغرب رجال العلم يرتادون البلاد اولاً ثم يرسلون مدافعهم وبنادقهم وآلات تدميرهم والامثلة على ذلك كثيرة

وقد ادعى بليو صاحب البعثة والغالب انه على حق فيما ادعاه ان ماوفق الى جلبه من الآثار قد اغنى مكتبة الامة في باريز بالوف من المخطوطات الصينية ومنها شيء في تاريخ الصين كما اغنى متحف الموفر الشير بتماثيل ورسوم ونقوش فاصبحت باريز بذلك عاصمة الدروس الصينية في اوربا ويحق لها ان تفاخر بان مجموعة ما عندها الآن من الآثار الصينية ليس لها مثيل في الغرب حتى ولا في الصين نفسها قال وغاية البعثة في التركستان الصينية ولا سيما في مقاطعات قاشار وارومشي البحث عن بقايا التمدن البوذي الذي سبق التمدن الاسلامي الى هناك وانه رأى جميع اهل التركستان من اهل الاسلام واذ كان دينهم يحرم التماثيل والصور لم يظفر بكثير منها في الاماكن المطروقة اذ كانت تعبت بها ايدي المتعصبين منهم

وقل انه رأى لسرء الخط ان قد سبقه الى ارتياد تلك الاصقاع اناس من الالمان والانكليز واليابان والروس للامابة نفسها ولكنه وفق الى ان اكتشف بين قاشار وكوتشار في نصف الطريق في طومشونك تمثالاً بوذياً صغيراً بين الصناعة اليونانية والبودية حريٌّ بان يكون صلة بين الصناعة الشرقية القديمة والغربية وظفر في قاشار تحت انقاض احد المعابد في طبقة كثيفة بمخاطوطات هندية فاحرز ثلثها بواسطة راهب انقطع في تلك المناور ووصف تلك البقاع بانه لاشجر فيها ولاعشب مع تلك تمشي فيها الوفان الكيلومترات الالام الا في بعض الواحات . واكثر تلك الاصقاع جبال شامخة ومنحدرات كثيرة ورمال محرقة فكانت الحرارة في الصيف تصل الى الاربعين درجة وفي الشتاء الى الخمس والثلاثين تحت الصفر حتى كان الجهر يجمد في ايدي اغضاء البعثة متي ارادوا ان يقيدوا آثار بعثتهم وقد اخذ احد اغضاء البعثة صورة

طوبوغرافية من خط هذه الرحلة وفوائد فلكية في عدة نقاط وآب بمجموعة من الحشرات والحيوانات تغني المتحف الطبيعي وبصور كثيرة عرضت بالفانوس السحري على الحضور تلك الليلة حتى لكأنهم ذهبوا بانفسهم الى تلك الاصقاع النائية .

هذه المحاضرة الاولى التي تكهرّب بها جسمي وتأثرت عواطفني وسمعت بها مهانة أمتي بأذني . والمحاضرة الثانية القاها المسيو تارديو من كبار السياسيين الفرنسيين وصاحب المقالات الافتتاحية في جريدة الطان في الدولة العثمانية فهو اول اخصائي في سياسة الشرق ولاسيما دولتنا ايقلب القلم بين اصبه كما تشاء حكومته . حضرت خطبة له في مدرسة اللغات الشرقية الحية القاها على طلبة تلك المدرسة العالية من يخرجون الآن ليدهبوا الى الشرق فيما بعد لخدمة حكومتهم ويكون منهم التراجمة والقناصل والسفراء ببيان لم اسمع من العرب ولا من العجم ابلغ منه لم يتمم ولم يعطس ولم يكرر وقلما رأيت انسانا درس موضوعه واعد له المواد التاريخية والمستندات اكثر من ذلك ولكن سياسة المنافع والمصالح كانت تلوح صراحة من خلال كلام الخطيب فكان عجبني بعامله على هذه الدولة اكثر من عجبني بذلاقة لسانه فقد تكلم على علاقة فرنسا بالشرق ولاسيما بالدولة العلية منذ القديم فقال ان فرنسا صاحبة الفكر الاول في الحروب الصليبية قد اتى عليها رمن حالفت فيه الدولة العلية ايام قوتها لتستخدمها لاغراضها وقد جنى الفرنسيين ثمار هذا الوفاق ثم لما مضت سنون والدولة لم تر خيراً لها من تلك المهالفة نزعت يدها من يد حليفها ثم عادت فرنسا فبهشت بانبائها الى القريم ليحاربوا مع الانكليز والعثمانيين جيوش الروس لان مصلحتها اقتضت ذلك اذ ذاك وافاض في نشأة الامتيازات

الاجنبية في البلاد المصرية والعثمانية وقال ان فرنسا في كل دور من ادوارها استخدمت الدولة العلية لمقاصدها وان لها اليد الطولى في المسألة الشرقية اي استقلال بلاد البلقان واليونان وانها لا تقصر كل حين في بتر عضو من اعضاء هذه الدولة حتى تموت وتنفى

فيا اخواني ويا ساداتي ايسمع عثمانى هذا الكلام ولا تجهش نفسه بالبكاء ولا تذوب كمدأ وحسرة وتسود الدنيا في عينيه ؟

هذا بعض ما يعهده الغرب للشرق فما ذا يعد الشرق للغرب ؟

نحن يا قوم لانحفظ كيانتنا ولا نحفظ بلغتنا وديننا وآدابنا الا اذا قاتلنا من يريدون قتالنا بالسيف الذي يقاتلوننا به . واعني به سيف العلم . نحن يقضى علينا ان نأخذ من تلك المدينة الغربية التي تدهشنا كل ما ينفعنا لقيام مجتمعنا نأخذ عن رجال العلم منهم ونحتك بهم زمناً لاستفيد ونعرف الطرق التي يجب علينا سلوكها

رأيت الدولة بعد انقلابنا الاخير بعثت بزمرة من الطلبة العثمانيين ليدرسوا في مدارس اوربا ولا سيما في مدارس باريز فقدرت عددهم قليلاً جداً بالنسبة لمجموع هذه الامة . واني لاسجل ان اقول لكم ان عدد الطلبة البلغاريين في روسيا والمانيا والنمسا وفرنسا والبلجيك وانكلترا اكثر من عدد الطلبة العثمانيين واياكم ان نظنوا ان جميع طلبة الاجانب تبث بهم حكوماتهم ليدرسوا على نفقتها بل ان لهم الافراد شأناً عظيماً في هذا الباب وكثيراً ما ينفق الطالب من مال ابيه عن سعة حتى لا يتم دروسه الا وقد اتى على آخر فلس مما عنده وهو مغتبط بما صنع لانه احرز رأس مال كبير لا يقدر بالملايين والكرات وعاد وهو يعرف كيف يخدم امته وبلادهم

نحن مقصرون كل القصور في ارسال ابنائنا الى ديار الغرب يلتقطون
 درر العلوم من بحار كلياتها ومدارسها والعرب في هذا المعنى اكثر العثمانيين
 قصوراً . ولقد احصيت جميع من يدرسون من ابناء سورية في اوربا على
 نفقة الحكومة او على نفقاتهم فلم اقدر ان اوصلهم الى ثلاثين طالباً اكثرهم
 يدرسون على نفقاتهم فليت شعري أليس هذا العدد بقليل على قطر يناهز
 سكانه الثلاثة ملايين . هذا من سورية ارقى البلاد العربية وما اظن احداً
 من ابناء العراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرابلس وبرقة وغيرها من الاقاليم
 العربية يدرس في مدارس اوربا فيكون هؤلاء الثلاثون طالباً لخمس عشرة
 مليوناً من العرب العثمانيين يصيب كل مليون نسمة طالبان وما اعظم ذلك
 من قصور وتقصير

نعم هو قصور ليس وراءه وراء وخمود هم كاد يصدق به علينا حكم
 الغريب . واني لارجو ان لا تكون اقمنا اكثر من افعالنا فان الكلام لا
 اثر له بقدر الفعل . نريد معاشر العرب ان نجاري الامم الراقية بل سائر
 العناصر من اخواننا العثمانيين ولا نجاريهم على الاقل في ضمائر التعلم ؟

نتناغي بالوطنية ونندب حظ اللغة العربية ونحن ابناؤها الذين نعقها
 ولا تعلمها . اليس مما يزعج ان يخاطب الرببي اياه واهه واخاه وصديقه
 بنير لفته الاصيلة ؟ يعمل ذلك لا يثمرن على تلقف غير لفته بل لانه لا يعرف
 ان يتكلم ويكتب بلسان ابيه واهه وقد يكون في الاكثر ممن يفرض عليهم
 فرض عين تعلمها ايفهم بها كتابه وشرعيته

انا ان كنت عربياً واحب العرب واريد نهوضهم ايتيسر لي كل ما اريد
 اذا لم اخاطبهم واخطبهم واكتب لهم بلغتهم التي يفهمونها . انا ان كنت

اريد الاطلاع على مجد آبائي واجدادى أأتمكن من ذلك بدون دراسة ماخلفوه من آثارهم وهل يتيسر لي هذا الا باللغة التي كتبوا بها ؟ اقول هذا وانا آسف كل الاسف على قصور العرب عن تعلم لغتهم قصوراً لا ابالي اذا قلت ان فيه العار والشنار .

ايزهد سلاله العرب الاكارم في لغتهم ويتعلمها المستشرقون اكثر من علماء العرب انفسهم ؟ ايزهد العربي ابن العشرين في العربية ويتعلمها رجل اعجمي في الستين من عمره . واعني به الكنت دي سارديج الفرنسوي . هذا الرجل من اهل الطبقة العالية في غناه كان والده سفيراً في طهران عن الملك لويز فيليب ملك فرنسا وقد كان هو موظفاً في السفارات واخر وظيفة له رئاسة ترجمة سفارة فرنسا في مدريد ثم استقال وهو يسكن في الصيف في قصر له في لوزان في سويسرا وفي الشتاء في باريز وقد قام في ذهنه منذ اشهر ان يدرس اللغة العربية للاطلاع على حضارة العرب ومدنيتهم الباهرة فاتخذ له استاذاً صديقنا ووطنينا ميشل افندي بيطار وانشأ بتخرج به فقطع شوطاً في التعلم واذ كانت الدواعي تضطره الى المقام في قصره في سويسرا اكثر من باريز وكان استاذ له لا يستطيع ان يلحق به الى سويسرا كتب اليه بلمس منه التماس التلميذ من استاذ له ان يعث اليه بدروس عشرين يوماً حتى لا يضيع وقته مدة مقامه في سويسرا ويجرم من الاستفادة والتحصيل فاذا آب الى العاصمة يعاود مابداً به .

هذا الرجل على ابواب الشيوخوخة وهو في هذه السن يحاول ان يتعلم لغة شرقية لاعهد له بمعرفتها . او ان يتعلم لغة القرآن ليدرس بها مدينة اهله وشبان العرب انفسهم يترفعون عن ان يقضوا ولو بعض اوقات فراغهم في

إحكام لغتهم . هذا هو مثال صغير من امثلة الهمم في الشرق وامثلتها في الغرب فهل فيكم يا شباب المستقبل ورقة عيون العثمانية العربية من يمشي على اقدام هذا الشيخ الفرنسي حتى لا يحيى علينا وقت نضطر فيه ان نأخذ لعتنا بل ديننا عن اوربا ونكون تحت وصايتها حتى في امس الامور بنا واعلقها بقلوبنا ؟

كل مانراه من همم الغربيين ومثالتهم ثم محصول الكتاب والمدرسة فانتم وامثالكم شباب هذه الامة في ايدي اقتداركم ان تجدوا لها شبابها اذا وضع كل منكم نصب عينه الذهاب الى الغرب وقضاء سنين في الدرس والبحث ليرى بعينه ويحكم بنفسه على قصورنا عن الغربيين ونقرنا وغنائم وشقائقنا وسعادتهم ليعلم اني لا اغالي فيما اوردته لكم بل انني عاجز عن الوصف والتعريف . ولا يقمن في اذهانكم ان الذهاب الى اوربا بعيد المنال وان لا يتيسر الا اكابر الاغنياء فالعيش في معظم البلاد الاوربية ارخص من الاسنانة ومصر ودمشق وبغروت والمدارس رخيصة اجورنا ولا يكاد يكون لها اجور ومنها ما اجرة الطالب فيه مع الأكل والنوم والدرس ستون فرنكا في الشهر ومثل هذا القدر من المال لا يصعب على احد فيما احسب ان يمدده او يستلفه على المستقبل مهما بلغ من ضيق ذات يده

يا ابناء قومي ويا زهراء أمتي ! أليس من العار ان تكون بلادنا التي لا تعيش الا بالزراعة ولا تحيا الا بالزراعة خالية من عارفين بها على الاصول الحديثة فلا يكون الذين يتعلمون منا هذا الفن في اوربا سوى طالبين اثنين احدهما في المدرسة الزراعية في لوفان من اعمال البلجيك وهو رفيق بك يرضون من بغروت والاخر في كرنبون من اعمال باريز في مدرسة كرنبون الزراعية

واسمه مصطفى افندي الكيلاني من حماة . كلاهما من ابناء الاعيان ولهما اراض ومزارع فنعما عملا بالاختصاص بهذا الفن الشريف المفيد ولكن أليس في ابناء سورية بل البلاد العربية احد من ابناء الاعيان يملك اراضي وقرى غير هذين الشابين ؟ بلى ان المالكين كثار ولكن محبي الدرس قلائل ! هذا في فن الزراعة فمتى يقوم منا الناس لتعلم الكهرباء ومد الخطوط الحديدية والهندسة المعايمة والصناعات الحديدية ، اليدوية والتجارة وغير ذلك مما نحن فيه عيال على الاوربيين

زرت مدرسة كرنبون الزراعية وهي على مسافة ساعة من باريز فرأيت شعارها مكتوباً بقلم غليظ في مكتبتها بما معناه : « الارض هي الوطن ومن توفر على تحسينها يخدم وطنه » ولكن قومي غفر الله لي ولهم يحتقرون هذا الفن فيما ارى . فان كما يختلف في البديهيات فمتى تنفق في غيرها ؟

زرت كرنبون ورأيت بها ان عبد القادر الكيلاني يابس مشاح الزراع ويدرس كما يدرس ابناء الاعيان في فرنسا ويجاريهم في ذكائه واطلعتني على ما في مدرسته من متاحف ومعارض واصطبلات وحظائر لتربية الماشية وحدائق لغرس السبات والبقول وغابات للنزهة والانتفاع وادوات للعمل وحرث الارض وكرثها

رأيت كل هذا واكبرته وقلت في نفسي لو هذا السوريون في الزراعة وتربية الماشية حذو الفرنسيين فيها وتربتهم تلائم تربتنا واقاليمهم اشبه باقاليمنا لاغتنينا غنى يغنيننا عن الهجرة وتطلب الوظائف الانكالية فقد ذكروا لي ان خروفا علفته ادارة المدرسة سنتين على الطريقة العلمية فبيع في احد المعارض بسبعين ليرة . فابن خرفاننا التي يباع الواحد منها بسبع ليرات . مهما علفناها

يجهلنا وبساطتنا واطماننا السحيم المقشر او الشيخ والقيصوم والعرار
والعرعر

ولكن الآمال معقودة بان نعلم خرفاننا على طريقتهم ونستثمر تربتنا
على اصولهم ونربي عقولنا على مناحيهم ونطبع دوايننا وماشيتنا بحسب سنتهم
فيكون اذ ذاك ابناء عبد القادر في التوفر على زكاء التربة في نفعهم لهذه
الامة على مستوى جدهم الذي زكى النفوس في عصره . وتزكية التربة لا تقل
عن تزكية التربية والمآل واحد .

مدرسة كرنيون الزراعية هي التي اوصي ابناء الاعيان وغيرهم الى التخرج
فيها لتخصب بهم تربتنا بعد اجداها وتملأ جيوبنا بعد فراغها والمال مبدأ
كل عمل وفتاحة كل ارتقاء مادي وادي .

نحن لانرقى الرقي المطلوب الا اذا تعلمنا العلم العملي وزهدنا قليلاً في
شقيقة الألسن والنذريات المجردة . ومن جملة المدارس التي زرتها في
فرنسا وتأثرت ايضاً بنظامها مدرسة جزيرة فرنسا في مقاطعة الواز . زرتها
بدعوة من صديقي مرسي افندي محمود احد كتاب مصر فكانت زيارتها
وزيارة مدرسة كرنيون من اسعد الايام التي قضيتها في ارض الفرنسيين
واني احب ان اقص عليكم قصة هذه المدرسة لتعرفوا الغرض منها فاقول :
قام منذ عشر سنين في فرنسا رجل - رجال الصحافة اسمه اديمون ديمولانس
درس طرق الحضارة والتعليم والتربية عند الالمان والانكليز والاميركان
وقابل بين طرائقهم واخلاقهم وعاداتهم وبين ما عند الفرنسيين منها ووضع
لذلك الكتب وكتب المقالات وانشأ مجلة العلم الاجتماعي التي تدور على
هذا الغرض ومن جملة كتبه سر تقدم الانكليز السكسونيين الذي نقل الى

العربية فعمت فائدتها العرب كما عمت الافرنج

وقد وفق ديمولانس صاحب تلك الدعوة بان النف حوله اناس من ارباب الغيرة على ارتقاء بلادهم والاهتمام بمستقبلها فكانوا يعطونه بالمئات لقيام الغرض الذي حاول بلوغه وتربية ابناء الفرنسيين على الطريقة الانكلوسكسونية العملية فأسست لذلك ثلاث مدارس كبرى عقيب دعوته الاولى مدرسة بروش أسست سنة ١٨٩٩ باسم جماعة من المساهمين وأخرى في اقليم نورمانديا لجماعة من كبار الصناع منها وأخرى في ليانكور أسست سنة ١٩٠١ وهي التي اريد ان احدثكم عنها

ليانكور قرية سكانها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وهي على نحو ساعة من باريز الى الشمال في مقاطعة الوازوفيا مافي سائر بلاد فرنسا من انواع المرافق والرفاهية والمعامل الكبرى الصناعية والزراعة الراقية الغنية بل فيها من دور التمثيل فقط ثلاث دور وفي قصر الدوك دي لاروشفو كول الواعظ المشهور صاحب الكلمات الماثورة الذي أسس بنك التوفير في فرنسا في اواسط القرن التاسع عشر قامت هذه المدرسة العمالية . وقصره هذا في ارض مساحتها مائتا هكتار اي نحو ثلثمائة فدان لم يبق منها الا دائرة حشمه اما دائرة قصره فقد اتى عليها رجال الثورة الاخيرة فدكوها وجعلوا عاليها سافلها وقد جلت المدرسة في تلك الدائرة فوسعت كل صفوفها ومرافقها ومعاملها .

في هذه البقعة الجميلة الواسعة بل الابعدية الكبيرة والحائوت الفخم التي حوت الغابات والمروج والحدائق والغدران والآكام والسهول يتربى رجال المستقبل على الطريقة الانكليزية وفيهم الفرنسيون واكثرهم من ابناء الباريزيين وعدد قليل من الاميركان والانكليز والبرتغاليين والاميركيين

والمصريين . يعيشون في هذا البيت كأنهم في أسرة لا في مدرسة وقد رفعت عنهم أكثر القيود التي تقيد طلبة المدارس الداخلية واختصر منها على ما يحفظ به النظام والآداب من مثل الخنزير على احدنهم ان يركض ويرفع صوته في المدرسة او في حجر الدروس وان يلعب في الاماكن التي هي ممر لآخوانه وان لا يخرج من المدرسة ولا يركب في قارب في الغدير بدون رخصة اولاً وان لا يتنازع اي شيء كان من المدينة بدون استئذان وان لا يدخل جرائد ولا كتباً الا اذا وقع عليها المدير ولا يدخل في ثياب اللعب عند ما يخرج من غرفة المائدة وقت الظهر ولا يركب دراجته الا يومي الخميس والاحد وان لا يبحث بما حوت حديقة المدرسة ومكتبتها وان لا يتكلم بعد ان يطفأ النور في غرف النوم مساء ولا قبل ان يستيقظ رفاقه صباحاً وماعدا ذلك فهو حر ان يلعب اللعب الذي يختاره في الاوقات التي خصصت لذلك منذ الظهر الى حوالي الساعة الرابعة بعده .

وكل هذه القيود لا تكبر على التلميذ لانه يعرف انه لابد منها لكل عائلة كبرى وما هذه لمدرسة الا كذلك . والمدرسة تقسم الى ثمانية صفوف أسسها الاستاذان الانكليزيان هوكنسن وسكوت ومديرها اليوم المسيو ابلا وهو فرنسوي لان قانون فرنسا يجتاز على الاجانب انشاء مدارس باسمائهم في البلاد . وفي المدرسة نحو عشرين معلماً ومعلمة وناظرة . ورئيسة المدرسة الآنسة باري من اقرباء اديمون ديمولانس صاحب الدعوة الى الاخذ بطريقة الانكليز السكسونيين في التربية ومن اولئك المعلمين معلمان انكليزيان واثنان المانيان

ويقسم تلامذتها بحسب اسنانهم واستعدادهم ولا يختلط الكبار بالصغار

الا في بعض ساعات النهار وهذه المدرسة تمد التلامذة لنيل شهادة البكالوريا او العالمية ولكن على غير الطريقة التي يحشى بهارأس التلميذ بالمواد النظرية وهي عن العلم العملي بمعدل . فالمدرسة تربي الارادة والعين والذوق واليد والجسم اكثر مما تربي الذهن والذاكرة

واسماء الصفوف كصفوف سائر المدارس ويشترك جميع المعلمين في التعليم ويلاحظون الدروس ايضاً ولا يراجعون التلامذة في ماتعلموه خارج الصفوف النظامية لان النهار يكفي لذلك ويتولى الاولاد بانفسهم امور انفسهم وحفظ النظام العام وسائر شؤون الحياة وربما لا تروق اكثر الاولاد هذه الطريقة خصوصاً واكثر من فيها من ابناء الاغنياء والامراء اعتادوا ان يخلقوا وحواليهم الخدم والحشم يتولون من امورهم ما يتقاعسون هم عن عمله ويصعرون خدودهم كبراً من القيام به

ويقسم التلامذة بعد الصفوف والفرق الى بيوت مختلفة وكل بيت يديره اساتذ ويهد الى النساء بالادارة البيتية والعناية بالمرضى وتعليم الموسيقى وتعليم الاحداث من الطلبة وهن يعشن في المدرسة نفسها وعلى الطلبة ان يجلسوا ثلاث جلسات في الاسبوع لتعلم لعب الكوكي والكريكة بنظارة اساتذة في هذه الالعب . وفي المدرسة دار لتمثيل كما فيها ميدان للعب الديف ومحل لتعلم الرقص والموسيقى ومحل دروسهم اشبه بمكتب رجل منه بقطر تلميذ لكل واحد منضدة عليها نراة وورق نشاف يتصرف فيها كما يشاء ويرى فيها الدروس التي يدرسها بطريقة عملية اكثر منها نظرية فيتعلم مع العلم صناعة من الصناعات التي هي احب الى قلبه كالزراعة والنجارة والحدادة والتصوير والتجليد وصنع المقوى والفخار والجلد وغيرها

وذلك بنظارة اساتذة هذا الشأن يدلونه على الطرق التي يسلكها ولا يعملون معه بل يدلونه على عيوب عمله ويده وعينه هما اللتان تعملان ليمتد بذلك على نفسه فاذا عاد الى عمله يستطيع ان يصنع بذاته عملاً من مثل ذلك فلا يكون فرق بين ما عمله في المدرسة ويعمله بعد الخروج منها ويتولى اكثر شؤونه كما قلنا بنفسه حتى يسهل عليه كل جهاد في حياته فان الرياضات التي يقومون بها في البستان والحقول والرحلات في الخلاء سواء كانوا مشاة ام ركباناً على الدراجات تزيد في قواهم وقابليتهم للرياضات البدنية ولا يقل النوم عندهم عن عشر ساعات للصغار الى تسع للكبار ليستريحوا من اتعب النهار

وتمتاز هذه المدرسة بان يرحل تلامذتها بمراقبة اساتذتهم او بعضهم الى البلاد المجاورة كالبلجيك وهولاندة او غيرها من مقاطعات فرنسا البعيدة ليعتادوا الاستغناء عن الرفاهية ويحسنوا التخلص عند الحاجة من مشاكل الاحوال التي كثيراً ما تصادف الانسان في حياته وذلك ايضاً ليحتملوا بصبر وحسن خلق مما كسات الوقت ونكد الايام وتوثق عرى المحبة بينهم ففي عيد الفصح تقسم المدرسة الى ثلاث فرق بحسب سن التلامذة المؤلفة منهم فتذهب كل واحدة في وجهة خمسة ايام وكل من حسنت اخلاقه ودروسه يرحل به ايضاً كل ثلاثة اشهر مرة او مرتين يوماً او بعض يوم الى مكان بعيد وللمدرسة في الصيف شهر ان ايضاً عطلة فتكون عطلتها السنوية من حيث المجموع ثمانين يوماً وتستوفي المدرسة اجرة من كل طالب الى سن الحادية عشرة ٢٥٠٠ فرنك فاذا تجاوز هذه السن تأخذ منه ثلاثة آلاف يدخل في ذلك اكثر حاجاته ما عدا بعض الدروس كالتنزه والموسيقى والرسم فانه يدفع اجرتها على حدة ٠ وهو مبلغ كثير بالنسبة لاهل بلادنا ولكنه لا يستكثر

في مدرسة مثل هذه تنفق النفقات الطائلة على الاساتذة والعيشة والرحلات ويطبق فيها العلم على العمل وتربى الحواس بالعمل اكثر من تربية الذاكرة حدثني احد اساتذة المدرسة قال كان فكر مؤسسها ديمولانس ان تكون على الطريقة الانكليزية المحضة ولكن لم تمض مدة حتى انقلبت اوضاع الدروس والرياضات الى ما يشبه الاوضاع الفرنسية لان ماتوهمه ديمولانس من انه يمكن تطبيقه في بلاده قد غالى فيه كثيراً ولو كان حياً - مات منذ نحو سنتين - لرجع عن كثير مما نعاه على قومه وعد عدمه نقصاً في تربيتها وسبباً في ضعفها . وهو قول حق شديد لان ما يوافق امة لا يطبق بالحرف على اخرى وللعادة والمحيط والتقاليد دخل كبير في اوضاع الامة على ان هذه الغمة قد افادت فرنسا وغير هابلان شك واطلعت الشرق على ان التربية الفرنسية مع ما هي عليه من الحسن هي في رقيها دون التربية الانكليزية السكسونية من وجوه وان كانت هذه دونها من وجوه ولعل بلادنا تستفيد من كل ذلك عبرة

تقدم ان تلامذة مدرسة ليانكور هم من الفرنسيين وخليط من البرتغاليين والاميركان والانكليز والمصريين وهكذا شأن معظم المدارس في فرنسا ولا سيما كلياتها الجامعة فلا يتعلم فيها الطلبة من الذكور فقط بل يتعلم فيها الطالبات من الاناث واني لا اذكر انني حضرت خطبة اودرساً او مجلساً علمياً ولا زرت متحفاً ولا مطبعة ولا ادارة جريدة الاورأيت الفتيات سبعة نني الى تلك الامكنة ومعظمهن روسيات وانكليزيات والمانيات وبلقانيات وبولونيات . والبولونيات ^(١) اكثر الفتيات الاجنبيات في فرنسا واكثرهن عناية بتعلم

(١) شارك النساء الرجال في اوربا في كل عمل من اعمال الحياة وفي فرنسا شارك الرجال في الامور الدهنية ايضاً وثلاث ما ينشر في فرنسا من الكتب هو من اقلام الكتاتبات

اللغات الاجنبية حتى ان الواحدة منهم لتكلمك فلا تحسبها الا فرنسوية لكثرة
اقتانها للغة الفرنسية واجادتها النطق بهما مما لا يكاد يتيسر مثله لغربية ولا لغريب
عن اللغة وهن مع هذا اكثر النساء الاوريات تفانياً في احكام ملكة لغتهن
وحرصاً على آدابها وتلقينها

ولقد كانت المرأة البولونية تعلم اولادها لغتهم في الغابات والحقول عندما
كانت الحكومة الروسية تحظر عليهم الى قبل بضع سنين تعلم لغتهم لتجملهم
روساً مع الزن فلما دالت دولة الجهل ونال البولونيون كسائر العناصر السلافية
بعض حريتهم عقيب انشاء الدوما الاولى كان من البولنيين ان فتحوا في شهر
واحد في البلاد التي وقعت منذ قرن ونصف تحت سلطنة الروس زهاء اربعة
آلاف مدرسة يعلمون فيها العلوم العالية والدروس المتنوعة بلغتهم ولم ينقصهم
اساتذة ولا اعوزهم بالطبع التلامذة

فالمرأة البولونية وان عنيت بتعليم اللغات الاجنبية عنها تحتفظ باقتها

والشاعرات وكثيرات منهن يكتبن ويجدن كالرجال مثل مارسل تيناير مؤلفة كتاب
دار الخطيئة والكونتس دي نوايل والعقيلة دي رنيه امرأة الشاعر المشهور وهي شاعرة
مثله ومريم هاري صاحبة كتاب فتح البيت المقدس وشرات امثالهن من المشهورات .
والمنافسة الادبية بين الجنسين النشط واللطيف على اتماها في فرنسا حتى قال لي احد
كتابهم انه سيجي^١ يوم على فرنسا لايبق لكثابها وجه للعاش الا ان بطيروا في مناطيد
الهواء فقط وما عدا ذلك فالنساء بتولينه بدلنا . ولعل من يسبح في اوربا بمد عشرين
سنة يشاهد ما لم يشهده الآن من الارتقاء المادي والادبي فقد ساح الشيخ رفاعة الطهطاوي
في منتصف القرن الماضي ولم يكن من مرسيليا الى باريز سكة حديدية بل كانت فيها
خافلة بالدواب فاغتنب بما رأى وساح احمد زكي بك في اوائل هذا القرن فركب القطارات
في اوربا جمعا . وسنحنا نحن اليوم فرأينا ما لم يكن بهمد من السيارات الارضية والطيارات
الهوائية والمؤلفات في العلوم والصناعات الادبية . فماذا يشهد اولادنا واحفادنا بعدنا ياترى ؟

ووطنيتها احتفاظاً اسأل الله ان يرزقنا نحن بعضه حتى انها اذا تزوجت من اجنبي لا تلبث ان تصبغ اولادها بصبغتها بحيث اضطر بسمر ك ان يس في عهده قانوناً يحظر فيه على الضباط الالمان ان يتزوجوا من البولونيات اذ ثبت له ان الوطنية الالمانية كادت تضعف ويعروها الانحلال في القسم الذي اصاب مملكة بروسيا من ارث صاحب بولونيا

فياليت شعري متى يكون نساؤنا بل رجالنا في هذه المنزلة من صحة الوطنية مع الحرص على الجامعة العثمانية التي هي عدتنا في شدتنا وبدون هذه الجامعة السياسية لا يرجى لنا بقاء بعد الذي رأيناه من تكالب الغرب على الشرق ف نحن ان انصفنا لانزع يدنا من الجماعة لان يد الله مع الجماعة ومن رأى كيف كانت حالة سويسرا والمانيا والولايات المتحدة قبل الوحدة السويسرية والالمانية والاميركية يدرك سر الاجتماع والنعاضد ويعرف ان المركب الكبير يستحيل ان تأتي عليه الانواء بقدر ما تضر بالصغير فقد يفرق هذا او يستغرق في غيره ولا من يسمع به

تعلمنا اوربا واميركا كل يوم معنى من معاني الوطنية والجامعات الجنسية فان كان بعض الاجتماعيين يدعون اليوم الى انشاء جامعة اوربية واحدة وبعضهم الى انشاء جامعة اميركية واحدة وبعضهم الى انشاء جامعة صفراء من اليابان والصين واحدة افلسنا نحن يا ابناء العثمانية احرياء بان نزيد في تكاتفنا وتكافلنا ونرفع من بيننا سوء التفهم بسعي العقلاء منا

طال المقال وبت اخشى عليكم اللال فهل تأذنون بان اختمه بجملة واحدة للمقارنة بين اخلاقنا واخلاق الغربيين وهي الاخلاق التي كانت من اعظم الوسائل في ارتقاؤهم كما كان نقيضها واسطة في انحطاطنا وذلك انني

تبينت بالاختبار ان الافرنج اكثر تفكراً منا في مصادر الاحوال ومواردها فهم لا يقدمون مثلنا على امر قبل ان يوقنوا من انفسهم الغناء فيه فالصانع في الغالب لا يتطال الى ان يكون سياسياً والمحامي لا يعمل في الزراعة وهكذا اختص اهل كل طبقة بطبقتهم ونفرد كل عالم بما يعلم ولم يتعدده فالاختصاص او الاختصاص هو الذي كان واسطة نجاح الغرب ودعوى معرفة كل شيء هي التي كانت واسطة انحطاط الشرق

الغربي يفتخر بانه لا يعرف غير ما تعلمه في مدرسته وحصله من حرفته ولكنه تعلمه فبرز فيه واحاط باطرافه وصبر حتى نضج فتناول ثماره جنية . اما نحن فنسارع في الهبوب كما نسارع الى الرقود فنهب دفعة واحدة كما نخذ كذلك الغربي يهجمه نجاح العمل من حيث هو عمل نافع لامته ولنفسه ولذلك جاءت مصانعهم ومعاهدهم بل وجميع شؤنهم حضارتهم فخمة خالدة وكانت مصانعنا ومعاهدنا وسائر اعمالنا مختلفة معتلة لا تدوم الا بدوام من عمل لها اول مرة فاذا ما ذهب تذهب بذهابه

الغربي استفاد ويستفيد بتجارب غيره لان من عادته ان يحسن الانتفاع بكل شيء ونحن من عادتنا ان نهزأ في الاكثر بكل شيء

الغربي يدخل الاصلاح الى داره وبيته وامته بالتدريج بحسب سنة النشوء في عالم الكون والفساد ونحن نجب ان نطفر طفرة في اصلاحنا والطفرة محال لان سنن الفطرة لا تغالب ولا تعاند . الغربي يحب النظام حتى صار ذلك طبيعة ثانية له ونحن لا يهمننا النظام ولا التنظيم . الغربي معتدل على الاكثر في عامة احواله ونحن اميل الى الافراط او التفريط . الغربي عبد الواجب ونحن قلما نقوم بفرض او واجب فالغربي كما احسن تقسيم الاعمال والاختصاص فيها

احسن استخدام الوقت احسانه لاستخدام عناصر الطبيعة فجده جدد ولكن
في اوقات الجد وهزله هزل ولكن في اوقات الهزل ونزته نزهة ولكن في اوقات
النزهة وعمله عمل محض ولكن في زمن العمل والشرقي وبالاسف ليس
كذلك .

احسن الطبائع في الغربي خلق الاعتماد على النفس وانكار النفس فهو يعتمد
على كفاءته اولاً ثم على محيطه وامته وقد يهتم في الاكثر بمصلحة امته اهتمامه
اوعظم بمصلحة نفسه ولذلك جاء كل غربي راقية برأسه وامة تألف من
افراد هذا حال سوادهم الاعظم ينسبط ظل عمرانها ويمتد على الارض
سلطانها . فالله اسأل ان يهب هذا الشرق المحبوب نفثة من تلك الروح
العالية وهذا لايرجى لنا الا بتكثير سواد امثالكم يا طلاب المدارس العالية
فطلاب المدارس العالية هم ولاجرم اهل المطالب العالية فاعرفوا مقدار انفسكم
ومقدار الآمال التي تعلقها عليكم امتكم نضر الله وجوهكم ويبيض بكم وجوهنا



سير العلم والاجتماع

الدرس في النزهة

اعثادت بعض المدارس في الغرب ان تخرج بتلامذتها في ايام معينة من الاسبوع
الى الضواحي تدرسهم في كتاب الطبيعة بعيدين عن الدفاتر والكتب وجدران صفوفهم
مايحرق حواسهم من رقهاو ينزه عقولهم من اتعابها ويعلمهم معالم بلادهم ومجاهلها وهذا ما ساء
احد علماء التربية بمدارس النزهة وليست هذه المدارس عبارة عن نزهة بسيطة يهيم فيها
التلامذة والاساتذة على وجوههم كما في نزهات المدارس بل انها نزهات هي الى الجد
اكثر منها الى الهزل وخطتها واسعة لانها تجمع بين الولد والارض والحياة وتعلمه النظر
والتبصر والتفكير والشعور بالحقيقة وجمال الموجودات حيوانات كانت او جمادات وتوقفة

على مناظر الطبيعة واعمال ابناءها فيجمع فيها الولد شعوراً ومشاهدات وملاحظات واحكاماً وتذكارات وصوراً على اختلاف ضرورها يستمد منها معرفة وحكمة

ويخرجون الى هذه المدارس في مساء يوم الاربعاء الاول والاربعاء الثالث من شهر نيسان وابار وحزيران وتموز وآب وتشرين الاول اي في شهور الربيع والخريف اما في الصيف فيخرجون اليها صباحاً خوف الحرارة وفي الشتاء يخرجون في اوقات الصحو والفرق بين هذه النزعات وغيرها ان الاساتذة يكونون عارفين بالخطا التي يعمرون عليها وما فيها من مظاهر الكون المفيدة وظواهر الاشياء ليلفتوا اليها انظار تلاميذهم واذا كان في الطريق شيء يغيب عن اذهان المعلمين فيتخلصون من مأزقه في الحال

فباستعداد المعلمين لمثل هذه النزعات ينجز التليذ من هوى النظام المدرسي وخلل العادات وبتعود التنظيم الممدق بما يسبق نزعاته من تدقيق المعلم بما يلزم لكلال هذه النزعات من الفوائد التي تناسب مدرسته ومحيطه فيذهب التلاميذ مجتمعين حول معلمهم اكثر مما هم في صفوف المدرسة يسايرونه في البراري وينظرون ويتأملون ويستمعون ويسألون ثم يعودون الى المدرسة بذرة من التذكارات فيكتبون مشاهداتهم ويجمعونها في جريدة مذكراتهم وربما اضافوا صور المناظر والاشياء التي وقعت عليها انظارهم .

والسبب في هذه المدارس البرية هو ان بعضهم قالوا ان المدرسة لاتعطي سوى جزءاً معين من المعارف وهذه المعارف متخلفة بحيث لاتضمن للولد كل المعرفة العملية التي يحتاج اليها في الحياة بل انها تؤثر في قواه وتخلق له فكراً وتثيره وتوسعه وفيها التربية الحقيقية فالواجب ان يحمل الطفل من ابناء الشعب عن معلمي مدرسته الابتدائية عادات خسنة من التفكير وذكاةً نبهياً مفتحةً وافكاراً رائقة وصحة حكم وبعد نظر ونظاماً واستقامة في الفكر واللسان . وليس في هذه الطريقة من التعليم طرائق ميكانيكية تبلى الذهن ولادروس عالية تحوي في مطاويها معلومات تافهة باردة بل فيها كل ضرور التعاون في الافكار المختلفة المرنة ولا سبيل الى ابلاغ العلم الى العقول اذا كان المعلم يلقيه على صورة مجردة ويعلمه كالمسلط فعلى المعلم ان لا يلقن الا ما يقرب من اذهان الطلبة وعليه في كل تعليم ان يستخدم اموراً محسوسة ويرى الاشياء بحيث تمسها اليد ويقف بالطلبة امام حقائق ناصعة ويمرهم بالتمرير على استخراج المجردات فهو يربي صحة الحكم في تليذه بما يقوده اليه من النظر ويربي فكر البحث بكثرة النظر والعقل بمعاونته على التعقل بذاته من دون قواعد منطقية .

التلميذ لا يتعلم دروس الاشياء في كتاب مالم تضع امام عينيه صورة الشيء اوعينه والا فيكون كاللبغاء يسمع المدرس فيثائب والاولى ان ينظر الى الشيء بذاته فان صورته واسطة وخير للنظر ان ينظر مباشرة فينطبع بطابع ما يرى واشكاله ويسمع صده وينشق رياه وبغني باسماء الاعيان والاجناس التي تفهمه الاشياء وتمثلها لعينه بما فيها من زخرف ثم يحسن ان تذكر في كتاب مع صورتها . ولئن افادت المعارض الطبيعية والمتاحف في المدارس فان الافيد منها والا قرب الى حصول المقصود ان تعرض الاشياء على انظار الطفل في اماكنها فالواجب ان يرى الحجر في الجبل والحصاد في الحقل المتوج باشعة الشمس والنبات والزهر في النور المرتج قبل ان يفهم بل لاجل ان يفهم مجموعة المعرض من اعشاب وزهور واحجار . يجب ان يذهب الى الطبيعة ليلاحظ الاشياء والمحفوظات في مساكنها واماكنها واكتشاف الصلات بين الارض والبشر .

فيخرج الطفل من المدرسة وهو اقرب الى العمل والحقائق مسلحاً بسلاح ماض من التعليم لطن عوائق الحياة وليس معنى هذه التربية اخصاء التلميذ في العلم بل تلقينه مبادئ عامة واستعداداً موسعاً فيه يحب انيه البلاد التي خلق ليعيش فيها وتلقى في نفسه ذوقاً للبقاء فيها ليعمل لها ويضرب فيها اوتاد مقامه ولذا اقتضى ان ينظر في مظاهرها الطبيعية ويرى صناعاتها وفنونها كيف رقيت وبقراً تاريخ اجداده ويشعر بالصلوات والاتحاد المعقودة بين الارض واجيال الناس الذين رافهم النزول فيها وحولوها منذ قرون الى الحالة التي وقع استحسانهم عليها .

وبهذه التربية تربي الحواس في التلميذ على حين تصاب بين جدر المدرسة باغفاء . والتربية الطبيعية نشدأزر التربية العقلية وهناك القوة والنفاذ فيتمسك للتلاميذ ان يقدروا الابعاد الشاسعة بسيرهم على الاقدام ثم بالعين من بعيد ولا يرحون بتصويره حتى يرسخ في ذاكرتهم فينتظرون الى قامة انسان وعلو بيت وطول شجرة على اختلافها في البعد والطول ويميزون بين جمال الاصقاع وما يتخللها من المظاهر والالوان اما صغار الاطفال فلا يستطيعون ان يسايروا اتراهم الاكثر منهم سناً فيجلسون الى ناحية يقطفون زهوراً واوراقاً ويعودونها وبذلك يكون لهم درس في الحساب ثم يجمعونها بحسب اشكالها وحجمها وبذلك تتمرن السنتهم على الكلام واذهانهم على النظام . فحاسة الذوق والشم تتمرنان باستنشاق الزهور وجنيها ورائحة الارض والمرج وغابة الصنوبر والسمع يتعود الانصات الى خرير المياه وتقدير المساوف التي تبلغ بها الاذان وتتمرن الايدي كما تتمرن العيون

عَلَى المساحة وتكعيب الخشب فتقرب التلميذ من الارض ومن اعمال البيوت
نعم بهذه الوساطة يتمرن الطفل عَلَى الحساب والمساحة والعلوم الطبيعية بما يعده ويحسبه
ويحوله ويجمعه من النبات والحيوان والمعادن والاحجار والمسافات وهكذا ينتقل نظر
التلميذ في الخلاء من حقل يعمل فيه صاحبه بيده وكرم بعزقه مالكه ومهمل يشغل فيه
الفتيان والفتيات وترتفع الكلفة بين المعلم وتلاميذه فيسيرون معه او يسير معهم كما يسير
اب مع بنيهِ ويدرك التلامذة باحتكاكهم بارباب الصناعات وعملة الحقول ان العمل
شريف في ذاته وانه خير ما يعده له نفسه

العالم في الصور

كتبت الآتية برس في مجلة التربية مقالة قالت فيها : ان اول من رأى تسهيل
الدرس عَلَى الاطفال بوضع صور في الكتب المدرسية هو احد قدماء العلماء آموس
كومنيوس (١٥٩٢-١٦٧١) وما برحت طريقته تنتشر ولكن عَلَى ضعف حتى العهد
الاخير وقد غدت الكتب المدرسية وغيرها مصورة كلها بل افراطوا في تصويرها حتى
قال بعضهم ان كثرة الصور توشك ان تأتي عَلَى كل اجهاد للفهم وتفكر الانسان بنفسه
في موضوع مجرد وصفه وصفاً بسيطاً . ولكن الذاهبين الى ان الصور تضعف قوة التصور
هم عَلَى خطأ في دعواهم فان الصورة تقوي الجهاد للفهم وذلك بان تجعل الحواس والذهن
تحرك بنفسها منذ الصغر ويتسع امام الطفل عالم العلم المنوع ونعاني بواسطته مبادئ من
العلم غير قليلة وبذلك يكون الفكر في سعة من الوقت والقوة اللازمة للبحث في امور
أخرى لا يتأتى التمكن منها بالنظر . نعم ان الصور توضح كل شيء بحيث تكتفي ارباب
ارباب العقول العادية بما فيها وهي مفيدة ايضاً لتفتح لارباب الافكار العالية اموراً جديدة
أخرى . ولعمري اليس التصوير من حيث الجملة هو سبب ونتيجة لانساع الانتباه العقلي
في السنين الاخيرة .

فالواجب ان تري الجغرافيا عيوننا صوراً من بلاد العالم لم نراها ولن نراها . وان يكون
التاريخ معرض صور لكل عصر او لكل القصص التي نعظم قيمتها لقلة صحتها لانها تعبر
عن حالة الافكار العامة لزمان او لشعب اهم من فكر الابطال الذين تنسب اليهم . وان
يكون التاريخ الطبيعي عبارة عن نزهة حية في حدائق حيوانات او حيوانات تمثل حية
ونباتات تبدو بجمالها وقوة اصولها وصخور تبدو عَلَى اجمل مظهر لتنبه النظر الى التأمل
نعم فلنكن عجائب المعامل والادوات وما وصلت اليه بعض الصناعات والاعمال

الاجتماعية من الارتقاء من مألوف عقل الولد بواسطة التصوير وبذلك يربح الطفل لنفسه والمستقبل لان ما يمثل لعينه يقيمه وسط تمدن النصري محفوفاً باكتشافات العلم وتبدل الاخلاق السريعة في تحولها اليوم وكمن عادة كانت بالامس غريبة فاصبحت اليوم من المألوفات وقد كان اجدادنا يضحكون من الكهر بائية وتأثيراتها وما قد بلغت منزلة المألوف وكذلك سيكون الحال غداً في الطيران في الهواء فلنكي يستعد الطفل لثلاثي ما يحدث غداً من الارتقاء يجب عليه بعد الآن ان ينظر بلا انتطاع بكل ما فيه من قوة نظر الى ارتقاء اليوم .

والصور مفيدة في تعليم الحساب وتصور الحياة العملية وفي دراسة النحو والصرف فان كتاب علم مصوراً تصويراً جيداً هو درس في الذوق ولطف في الصناعة والواجب ان ينه الملم تليذه الى ماحوت الصورة التي تمر في الدرس من المعاني وان كان من الصور ما ينطق بنفسه فالاولى ان ينطقه . فالطفل لاول حركته يعطى لعباً وصوراً منقوشة بحسنة فاذا تقدم في السن تعرض عليه صور على الورق ليتعلم منها ما يحدث في الحياة البيتية فيشرح المعلم تليذه كل الادوات والآنية والخرثي والماعون والثياب لينه ذهنه الى كيفية استعمالها واذا شرحت الصور للولد شرحاً كافياً لا يلبث متى ادرك ان يقلدها بيده ويتعلم ما هو بعيد عنه كأن يدرس ابن المدينة ما يجري في القرية وابن القرية ما يمت في المدينة فبالصوير يدخل الطفل في عالم جديد والتصوير يمثل لعينه العالم في مظاهر لم يكن يتوقعها فيرى حوالية الاشياء والمناظر التي رآها في كتابه وربما كان يمر بها وهو ساه لاه عنها وبذلك يعلم جمال الحقيقة فالاكثر من مجاميع الصور في المدارس والبيوت من اقوى اسباب التعليم .

صحة العين

نشر الدكتور دوفور في مجلة التربية مقالة في صحة العين في البيوت والمدارس قال فيها : ان الواجب تنظيف عيون الاولاد والعمل لما فيه وقايتها لا ان يمدوا ايديهم اليها وهي وسخة فلا تستعمل لها اسفنجة ولا خرة استعملت في سائر اجزاء الجسد ولا ان تغسل عيون الاولاد بماء استعملوا به . لان الاسفنجة حتى ما يستعمل منها لفرك الوجه لا تخلو من وسخ ولكي يثق المرء بنظائنها يجب ان تجعل في ماء غال كل مرة يراد استعمالها وكثيراً ما تكون القوط قاصية القماش فالحس استعمال شيء من القطن للعيون ثم ترمى بعد الاستعمال واحسن سائل لفصل العين الماء الطاهر واذا أريد مزيد العناية فالواجب استعمال ماء

أعلى. ثم فتر وتجعل فيه قطعة من القطن المعروف ثم تمسح بها العين ولا سيما وراء الجفون والحدقتين من جهة الانف والواجب تشييف العيون بعد غسلها حتى لا يبقى فيها اثر للنداة . وان يفهم الطفل متى وعى على نفسه ان لا يقرب يديه وهما موسختان من عينيه كما لا يترب منها شيئاً يؤذيها من مثل قلم او مقص او شئ من اموسى فاذا كبر وتعاطى بعض الصناعات تجعل على عينه نظارات تفيد النرات الضارة

ويقضى ان تكون غرفة المدرسة منورة بالنور الابيض وينور النهار ما امكن وما دام النور الطبيعي كافياً يجب تفضيله على النور الصناعي . وما يضر العين بل مجموع حالة الانسان ان يبقى المرء في غرفة منورة بنور احمر مثل غرف التصوير الشمسي فان للالوان الملونة تأثيراً في النظر . يجب ان يكون النور غريباً فان مضرة النور القليل تضطر التلميذ الى الاقتراب من دفتره او كتابه فيشغل قواه النظرية بافراط فاذا عني بصحة عينيه منذ صغره يحد نظره في كبره ولندارك ذلك يجب ان يكون النور كافياً بحيث يستطيع التلميذ ان يقرأ عن بعد ثلاثين سنتيمتراً على الاقل براحة . ويقضى ان تكون غرفة المدرس بحيث يرى منها التلميذ شعاعاً من نور الشمس او من ضوء النهار واسوأ المدارس ما جعل خالياً من النور في الطبقة السفلى من البناء لا ترى منها الا الفناء او شوارع ضيقة والاصح ان يدخل النور عن شمال الولد فانه اذا قابله يهرن نظره فيضره واذا استدبره يظل جسم الطفل مائتحت يده من الورق والكتاب واذا جاءه عن يمينه يغطي السطر الذي يخطه . ويمكن تزوير الغرف العالية من سقوفها واذا اريد التوفي من نور الشمس في غرف المدرس فالاحسن اختيار ستور رمادية فاتحة كما تجعل الجدر كذلك حتى لا تنهر عيونهم ويجب ان يكون النور الصناعي شديداً . الممكن فالغاز دون الكهرباء ضوءاً وخيره ما جعلت له زجاجة وذلك تفضل مصابيح البترول والغاز والكهرباء على الشموع وغيرها مما لا زجاجة مع الهواء عن العبث بنوره . ويقضى للغرف المنورة بمصابيح البترول والغاز ان تهوى لانه يذهب من تلك المصابيح بخار وحمض كربونيك تسدعي الهواء اكثر من الغرف المنورة بالكهرباء .

اما كيفية الجلوس فيبغي ان لا تكون على كراسي لاتليق الا للجلوس عليها بضع دقائق في احدى الفهوات بل تكون بحيث لا يقترب التلميذ مما بين يديه من الكتاب وغيره اقل من ٣٢ الى ٣٣ سنتيمتراً ويكون جسمه وذراعه ورأسه على وضع يستريح به فاذا جلس بعيداً عن الكتاب او الدفتر لا يصير احسر قصير النظر او انه اذا كان مصاباً بالحسر

لا يزيد اعضاءه . فاذا احب الكتابة . عند مقدم ذراعه على المتسدة ويبقى مرفقه مطلقاً في الهواء وان تكون المقاعد عالية في الجملة وعلمو محل كل تليذ ٦٥ سنتيمتراً على الاقل ويجب ان يعود الطفل على الكتابة المستوية لا السطور المائلة لان المائلة تسبب الحسر وان يعلم العمل بالادوات الكتابة التي شاعت بالاستعمال في اميركا . ويختار من الكتب ما تقرأ حروفه مطبوعة على ورق غليظ في الجملة بحيث لا تبدو الحروف الناتئة من اسفله ويكون الورق ابيض خيراً من الرمادي او الاصفر الذي يمتدحه بعض اطباء العيون فالحروف الجيدة ما لا تلتبس فيه الحروف المتشابهة بالرسم حتى عن بعد . ويجب ان لا يتجاوز طول السطر ثمانية سنتيمترات وبين كل سطر مسافة ثلاثة مليمترات وان لا تطول الصفحات ويكون لها هواش بيضاء

لا يدخل الطفل المدرسة قبل السادسة من عمره ولا يبدأ بتعليم الكتابة الا بعد سنة من بدائه بالقراءة ويعلم الكتابة بالورق والقلم لا على الواح من الحجر ولا يعلم في النهار اكثر من اربع ساعات وهو جالس بحيث لا يتجاوز كل مدرسة اكثر من ساعة يفصل بين كل واحدة منها ربع ساعة على الاقل يصرفها التلميذ في اللعب في الهواء الطلق او تحت رواق بحسب الفصل ولا يقرأ التلامذة ولا يكتبون خلال التزهة وان تقال ساعات درسه في بيته ما لم يكن لان شروط الصحة تكون في البيوت غير مستوفاة في الجملة وكذلك ينقطع الولد عن الدرس ايام العطلة وكل اسبوع كما تصرف العطلات المدرسية في الهواء الطلق لافي العمل . والاحسن ان لا يعلمي الاستاذ على تلامذته ما يقضي عليهم ان ينسخوه بل ان يكتبوه ويوزنه عليهم ويلاحظ الاطفال المولعون بالمطالعة فلا يسمح لهم ان يطالعوا في الفراش لان جلستهم تكون غالباً مختلة ونور الغرفة ضئيل ويجب تعويد الاطفال رؤية الاشياء البعيدة حتى تتمرن عيونهم على النظر

والحسر هو من الاسباب الرئيسة ان لم يكن في العمى التام فلنصف عمى يجعل الانسان عاجزاً ويحول دينه وبين تعاطي اكثر الصناعات وقد فحص كوهن في المانيا سنة ١٨٦٥ زهاء عشرة آلاف طفل فقرر بان الحسر في مدارس القرى يكاد لا يوجد لهم اثر ويزيد عددهم بزيادة المدرس ويزيدون الدرجة الكبرى من قصر البصر في المدارس العالية والجامعات وان الحسر في التلامذة يزيد من الطبقة الواطئة الى الطبقة العالية وان كان اكثر في العلماء لكثرة تحديقهم الساعات الطويلة وان الحسر يزيد في صاحبه كلما تقدم في درسه . وقد اكد كثيرون في بلدان مختلفة هذا الاحصاء فابان البحث بان الافراط

في تقريب العين من المراثيات يورث الحسر وهذا ناشئ من سوء جلسة التليذ الذي يجني المكي جسمه الى الامام مستنداً على مقدم ذراعيه، صعداً رأسه والسبب في الحسر واختلال وجهة العمود الفقري رداءة وضع التليذ

ولقد كان ولا يزال لمسألة الحسر في المدارس شأن عظيم ولطالما ارسلت الحكومات الى مدارسها بالتعاليم الواجب على المعلمين تطبيقها على التلامذة لوقاية اعينهم من الضعف والقصر ومن احسن الخطط التي اخنطوها (١) ان يتسم التعليم على وجه لا يضطر فيه التليذ الى صرف اكثر من ساعة متتابعة (٢) ان تمرن العيون على النظر الى مسافات متراخية (٣) الرياضة المتوالية في الهواء الطلق والرياضات البدنية (٤) الامتناع من القراءة في العتمة او في الشفق اوضوء مظلم (٥) حسن العناية بوضع التليذ خلال القراءة والكتابة (٦) الحظر على التلامذة ان يضعوا نظارات على عيونهم بدون استشارة طبيب العيون (٧) يجعل التلامذة الذين ضعف عيونهم في مكان يعينه الطبيب (٨) يجب ان ينبعث النور للقاريء والكتاب والمصور من شماله او من اعلى رأسه (٩) يجتنب النور الصناعي واذا كان لامناص منه فالاقبال ما يمكن من القراءة والكتابة على ضوءه ويتعد عن التصوير فيه (١٠) يعلم الاولاد بحروف غليظة (١١) يحظر استعمال الورق ligné (١٢) يباعد بين العنق والعمل القريب

تربية البيوت في الضاحية

اشتهر الدكتور ليز في المانيا بانشاء مدارس سماها بهذا الاسم وشاعت طريقتهما في اوربا وامبركا على نحو ما كانت شاعت منذ بضع سنين كتب اديمون ديمولانس في فرنسا القائل بانحاذ التربية السكسونية . وقد كتب في مجلة التربية الفرنسية يصف طريقة مدارس قال : انا انشأنا خلال العشر السنين الاخيرة من بيوت التربية ثلاثة وهي في الضواحي بعيدة عن المدن يترجى فيها التلميذ ممنماً بكل قواه الطبيعية والبدنية والادبية فيعيش في محيط ملائم لتربية شخصيته على القوة والنشاط على صورة تعرف بها قيمة الحياة وافراحها وتكون جدية بان تساعد على سمادة الخلق فيقوم المثلون في هذه المدارس بوظيفة المرابي الحقيقي يعيشون مع الفتيان الذين عهدت اليهم تربيتهم كما يعيش الاسحاب ويعينونهم ما يمكن على اتمام تربيتهم الشخصية فيلاعبون ويعملون معهم ويقاسمونهم اللذائذ والاعمال الجدية ويؤثرون فيهم بالمثال والقدوة وبما يشونه في قلوبهم من حب الميل الى كل الصور الشريفة والزائفة في العمل . وللتربية العملية المقام الاول في هذه

التربية فيمكنون الطفل ان يعيش في الهواء الطلق وما يتحتم عليه القيام به من انواع الرياضات البدنية يكون مناسباً مع نموه ويعمل به بدون افراط فيوصونه بالمشي والعدو واعمال الرياضة وركوب الدراجة وهذه الرياضة الاخيرة تكون في السنة الحادية عشرة ومن جملة الاعمال التي تقوي جسمه زراعة البقول والزرع والفجارة وهي من الصناعات التي كتبت لها المدرسة فضل التقدم واذ كان الدكتور ايز يعلق شأنًا عظيمًا على تأثير جمال الاقليم في التليذ أسس مدارس الثلاث في ثلاثة اقاليم بهجة من بلاد المانيا اما الاشغال العقلية فيجب ان يعطى الطفل على صورة مقبولة وبتعليمها بفرح فيده مافيه من الميل الفطري وهباته في النظر وقوته في التفكير كما تربي فيه العواطف الدينية والادبية والوطنية وتنى بما يحفظ نظام الحياة وسداجتها وخالصها المطلق نحو الواجب و بدرس ارقى صور الصناعة ينمي في الطفل معنى الصناعات وفكرها والشعور بها .

قال لقد انشأنا في ثلاثة اقاليم بهجة من بلاد المانيا (سيفه هارز تورنغ ورون) ثلاثة دور للتربية للاطفال والمتوسطين والكبار وذلك ليكون ابناء كل سن مع ابناء سنهم ويخلصوا من حبسهم في مدارس داخلية اشبه بالشكن منها بالمدارس فيعمل اهل كل سن ما يشاؤون لتنمية شخصياتهم ولهم من تدرع الاقاليم التي يتقلون من مدارسها ما يوسع امامهم أفق العمل في الحياة وليس في كل مدرسة اكثر من ٥٠ الى ٧٠ تليذاً يقسم كل ١٠ الى ١٢ منهم فرقة واحدة يتولى امرها معلم يعيش معهم كما يعيش الاب مع اولاده وهكذا تتسع دائرة اختبار الطفل وافكاره بتقله من فرقة الى اخرى ومن مدرسة في هذا القطر الى اخرى في قطر آخر تخالفها بعض الشيء في النظام

والعيش في هذه المدارس منوع الاساليب حسن النظام بحيث يلائم تنمية القوى العقلية والطبيعية فيستيقظ الاولاد فيها بين الساعة السادسة الى السابعة صباحاً ليغموا نشاط البكور فبعد ان يستحموا ويغاروا يبدؤون بالدروس وهي خمسة طول كل منها ٤٥ دقيقة وذلك للتوسطين والكبار اما الصغار فدروسهم اربعة ودروس الصباح لاتكون الا في فرعين او ثلاثة ويفصل بين كل درس فرصة للتنزه وفرصتان تدوم كل منهما ثلاثين دقيقة تخصص احدهما للركض في الغابة اذا كان الوقت صاحياً وفي الشتاء للترحاق على الثلج واللوج luge والتنزه الثانية لتناول الطعام الثاني ويتغدون الساعة الواحدة بعد الظهر والتعليم ينتهي الظهر والتليذ ساعة قبل الطعام بها على فيها اعماله الخاصة اما الاكل فلانا نتبع فيه طريقة الدكتور لاهمان وذلك باننا نكثر من البقول

والثمار ونقل من تناول اللحم وتحمى الاطعمة ذات التوابل والمشروبات الروحية والجزء الاول من وقت بعد الظهر ايام من الساعة الثانية الى الرابعة نستعمله في الاعمال العملية مثل البستنة والتجارة او في الفنون اللطيفة كالرسم والموسيقى الآلية وبعد الساعة الرابعة يبدأ العمل العقلي على انه تقال فيه ما يمكن التمارين المكتوبة والنصوص المستظهرة . والعمل الجوهري في المدرسة يتم في الصباح وتدوم مدة الدرس في المساء ساعة في المدرسة الصغرى وساعة ونصف في المدرسة الوسطى وساعتين ونصف في المدرسة الكبرى وبعد رياضة طبيعية قصيرة او درس في الفضاء يذهبون الى المائدة الساعة السابعة وبعد ذلك يستريح الطفل قليلاً على نحو ما يشاء ثم ينتقلون الى قاعة الاسرة فيبدأ استاذ الموسيقى وجوقة التلامذة في اول الاجتماع وآخره بتأخير قطعة من الشعر ثم يتلو المدير قطعة ادبية تنشر بها روح الطفل وتكون الادبيات متناسبة مع اقتدار القوى العقلية في الطفل فالصغار يرتاحون الى تلاوة الاقاصيص والحكايات والقطع الشعرية اما الكبار فيحبون انواع الآداب العالية ويتم الصغار في الساعة الثامنة ويتم الكبار في الساعة التاسعة

وفي كل اسبوع تقضي كل فرقة او أسرة السهرة في رفقة اب الأسرة ويخصصون سهرة اخرى لسماع الموسيقى وكثيراً ماتتلى عليهم محاضرات يقوم بها اصدقاء المدرسة او الاساتذة انفسهم وهكذا ينتهي اليوم بما يعلي نفس التلميذ ويمجدوها الى المطالب العالية . واذ كان التلميذ في حاجة الى الحرية لترتقي مداركه فالمدرسة تطلق سراحه بعد ظهر الاربعاء والسبت ولا يخشى ان يسيء استعمال هذه الحرية لان افراد المدرسة في الخلاء والعبسة الاشتراكية بين الاساتذة والتلامذة وكثرة الاعمال الطاهرة والجازبة تستدعي نشاطه وتقود ارادته

وطريقة المدرسة في التعليم طريقة الوصف والاستدلال التي تساعد الطفل ابدأ على موازنة المعلم في عمله . ولا تطبق هذه الطريقة الا على شرط ان تنظم المواد المدروسة في هذا العمل الابتدائي المشترك وان تعرض من جديد على الطفل في صورة علمية . واذ كانت الفروع التي تدرس كل صباح قليلة سهل البحث في المائل التاريخية والعلمية واللغوية وذلك بدرس تجارب الغير والمستندات الموجودة وتلى هذا يتأتى التوسع في درس تاريخ الادب بدون ان يجزأ وللطفل من وقته متسع ليعرض افكاره ويقدم اعتراضاته ويهيئ اجوبته .

ان احترام التلميذ لشخصية المربي وطاعته له هي من الشروط الجوهرية في نجاح التربية وهذه المدارس لا تنطلب ذلك من تلامذتها بالخوف ولا بالقصاص . فان التأثير الروحي الناشئ من الشخص المربي الحري بكل تجلّة والانقياد للطبيعة او للعقل وتأثير نوع الحياة والعمل المطلوب هي وحدها حرية بتربية اخلاق حرة .

وعلى ذلك يسمح للتلميذ ان يجري مع ميوله ويقوم بما يزيد في نشاطه على عمله ولا تطلبه المدرسة الا بما لاغنية عنه في تربيته الطبيعية والعقلية فتعلمه بالقنود وبما يسود فيها من الافكار العامة الى ان يدرك ماهية الواجب بحيث يتضح له بان نجاحه هو نتيجة لازمة لنظام منطبق على العقل .

اما العقوبات فيستغنى عنها في هذه المدرسة لان المربي ينزل الى تقريب منهاجه من عقل التلميذ ويعامله على نساب العدل واذا اختلفت هذه الشروط تصبح الحاجة ماسة الى العقوبات وعلى التلميذ من ثم ان يتعاظم عمله بابتهاج وهذه هي الطبقة من التلامذة التي تنوخي المدرسة تنشئتها والقيام عليها ولا تطلب منهم الكمال بل تريد من على ان يرتقوا ارتقاءً تدريجياً مناسباً مع قوام واستعدادهم . واذا لم يكف ذكاء التلميذ وارادته للتوقي من الاغلاط او لسد مواضع الخلل من تربيته فان المدرسة تنشطه وتصبر عليه في جهاده على انهما لا تكلفه مالا طاقة له به .

ويعامل كل تلميذ بالاحترام اللائق بشخصه فان المربي الحقيقي هو الذي يكشف في كل تلميذ حتى في المقصرين منهم في المدارك ما هو جدير بالاحترام وقابل للتكامل فاذا تم ذلك فالحياة المدرسية تنقضي في دعة نافعة ونفع شامل .

واذا مست الحاجة الى ازالة القصاص بالتلميذ فلا يكون الا على اقل درجاته فمن اساء استعمال حريته تجز عليه ومن تراخي في درسه يغيرون له الاسلوب في الالتقاء والمراقبة وطريقة تنشيطه وهكذا تجتهد المدرسة ان تحمل الولد على الاعتراف بخطائه وتأخذ بيده كل الاخذ لتوقد في نفسه جذوة العمل الصالح . ويحرمون العقوبات البدنية والقصاص الخارجي التي ليس لها علاقة داخلية مع الخطأ الذي ارتكبه كما لا يعمدون الى مكافأة المحسن من التلامذة بمكافآت مادية . لاجرم ان اعظم الصعوبات التي تشاهد في تربية مدارس المدن ناشئة من الخروج عن سنة الفطرة وهذا ساقط من ذاته في مدرستنا بالظن لموقعها من الخلاء ولطرز معيشتنا .

ولقد اقتنعنا بان كل شخص لم يطرأ على قلبه وذكائه ما يشوههما كل التشويه هو

قابل للتغير حري بالعمالة لاصلاح حاله . فالثقة والحب والاخلاص والمعاملة بحسب قانون العقل كلها من العلامات في زمان النجاح للمرء حتى ان النجاح وان كان لا يرجي في الحال بهذه الطريقة فاننا على ثقة بان البذرة الملائمة لابد عاجلاً او آجلاً ان تأتي اكلها .

نحن نحاول ان نحب تلاميذنا بدون ضعف لئلا يسم معنى الواجب ونحبه الى نفوسهم ونشطهم على الرغبة فيه ابدآ . هذه هي النواعد التي جرينا عليها منذ عشر سنين وظهرت بعض نتائجها وحذت حذونا بعض المدارس التي انشئت في البلاد الخارجية فابانت عن نجاح وستعظم فائدته في المستقبل اكثر .

معنى التاريخ

كتب الدكتور ماكس نوردوكتةً بالافرنسية تحت هذا الاسم جاءت فيه بعض الفقرات الآتية :

ان ما كان يراه الجيل الماضي في التاريخ لا يراه الحاضر وما يناسب هذا لا يناسب المستقبل وما يناسب الهنود واليابانيين لا يناسب الاوربيين والاميركيين فالاريخ يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والاشخاص فاننا به اليوم الى مصلحة عامة لا يكون لهغداً تأثير في العالم . فالاريخ يسير في ظلمات الماضي كالانسان الذي يحمل مصباحاً وشمصية المؤرخ تظهر وان قال ذلك المؤرخ ان الواجب اخفاؤها لا يراد الحقائق مجردة . وقد قال هيرودتس ابو التاريخ ليس التاريخ سوى لعب ممن يرويه ولا يخاف عن التصائد التي تنظم في تجريد الابطال الابكوة نثراً وهذه شعر . ودوا الى اليوم لم يرح على ما يدعيه بعضهم من انه اصبح علماً عبارة عن قصة ولا يختلف المؤرخ عن القصصي الا بان حريته محدودة بحدوث حدث وعرفت في الجملة وذلك لانه لا يستطيع ان يتناقض ماوقع التسليم به عند السواد الاعظم . ليس التاريخ علماً لان العلم ليس الا معرفة الصلات بين النتائج والمقدمات التي تربط الظواهر بعضها ببعض ومعرفة النواميس العامة في الطبيعة التي هي معرفة علمها . وقد ردد المؤرء هيررت سدنسر قول من يطلق لفظ علم على هذا النوع من التقييد والتنسيق في الحوادث . وعبثاً حاولت فلسفة التاريخ ان تحدد الصلة الاصلية في الحوادث وان تضع القوايز التي تتسلسل بها الوقائع التاريخية وربما جاء زمن انتدر الناس فيه على تدوين تاريخهم خالين من التناقض اذ ارتقى الفونوغراف والتصوير الشمسي اكثر من الآن . ولكن لا يتأتى ان يدون بهذه الوسطة الاجزاء صغير من الحوادث وماوراءها وهو الامم ككحوا يضم في روح البشر ويبقى مخفياً عنا

فلا سبيل الى نقشه ونقله . والحقيقة ان لكل مؤرخ رأياً خاصاً في الصور الكبرى من الماضي والحاضر وقلاً تتفق صورته على صور رصفائه .

التاريخ هو غير تدوين الوقائع بل هو خارج عنه وارق منه وما التاريخ الا مجموع حوادث اعترضت الجهاد الانساني في سبيل الحياة فهو تابع الاعمال والحن والميول والاحتائق التي يحاول الانسان بها ان يوفق بينه وبين الشروط الطبيعية والصناعية الكائنة في المحيط الذي ولد فيه ويجب عليه ان يعيش وسطه فلا ترى بين رجل عادي ورجل فاتح، فرقاً في الطبيعة وكلاهما خاضعان للقوانين النظرية فالاول لالعلاقة له بغيره قد يعيش ويموت فلا يدري به احد اما الثاني فيؤثر بأفكاره واعماله في الوف وملايين من ابناء جنسه فالفرق بينهما في الكمية لابل كيفية وكم من اناس كبر مقامهم من دونوا اخبارهم حتى ان كثيرين ليعجبون من ارباب الرحلات السخفاء عجبهم من كبار الفاتحين المصلحين وكم من اناس هم عظماء في نظرية ولا يذكرن عند اخرى وكم من زلازل وحرائق اثرت في الانقلاب البشري اكثر من الحروب والغارات وما سبب ذلك الا المؤرخون فانهم غالوا في هذه ومردوا اخبار تلك على وجه عادي .

قال ومن المحقق ان معرفة الحوادث التاريخية ليس فيها ضرورة حيوية كما هو الحال في الظواهر الطبيعية ونواميسها بل انها تسد في المرء حاجة نفسية بل حاجة اجتماعية . ومملكة النقد على الجملة غير مرتبة في السواد الاعظم من الخلق فلم يرزقوا استعداداً للتمييز بين الحق والباطل وقلاً يهتمون بذلك فكل قول يؤكده قائله صحته يقبلونه مصدقين بدون ان يطلبوا الدليل عليه وان يبحثوا عن درجته من الصحة والثبت . فكما ان اللاهوت يوقف الناس على الاسباب الاخيرة في نظام هذا العالم او المعجزات تكشف خفايا المستقبل هكذا تدوين الحوادث التاريخية كان يوقفهم على معميات الماضي . ولو اهتم البشر بالاطلاع على الاسباب الاخيرة على نسبة اهتمامهم بالاطلاع على الاسباب القريبة لقضي على عالم اللاهوت منذ عهد طويل على نحو ماجروا في التاريخ الطبيعي الذي خلفه بلينيوس وعلم الحياة تأليف ارسطو وكتاب الطبيعة لبطليموس ولو اهتموا بمعرفة الماضي اهتمهم بالمستقبل لادركوا منذ عهد بعيد ان تدوين وقائع التاريخ لا يوصل الى معرفة المستقبل الا كما يدل علم النجوم والقيافة والعرافة .

الصحة المدرسية

اجتمعت جمعية الصحة الالمانية في ديسو من بلاد المانيا وبحثت في امور كثيرة . في

حفظ صحة التلامذة ولا سيما في مسألة العيون فقر الرأي على ان خير وفاقية للعين من الامراض عناية الاهمات بنظافة عيون ابنائهم و بناتهم ثم عناية المدارس بذلك والتوفر على تقليل النقائص الارثية وملاحظة وضع النور في المدارس بحيث لا يقترب الاولاد مما ينظرون فيه وان تجعل الدروس في الصباح اما وقت العصر فيصرف في الالعاب والرياضات حتى يتيسر للنظر ان يترن على النظر الى المساف البعيدة . ولا بأس حين الحاجة من انشاء مدارس خاصة بضعاف الابصار من التلامذة وهذا خير طريق للعناية بنظر حماة الوطن وابناء المستقبل على ان يعنى ارباب البيوت بصحة عيون ابنائهم عناية المدارس بها بعد

كلية ليبسيك

احتفلت كلية ليبسيك الالمانية بمرور خمسمائة سنة على تأسيسها فقد اُنشئت سنة ١٤٠٩ على يد اساتذة وتلامذة من الالمان هاجروا من براغ للخلاص من النفوذ السلافي فد فريدريك المحارب ظل حمايته عليها وكذلك صاحب مسينا فخازت شهرة وقوة لم تنزل محفظة بهما حتى اليوم . وفيها الآن خمسة آلاف تلميذ من اقطار اوربا واندبت كليات المانيا وغيرها من كليات الغرب مندوبين عنها حتى اضطرت عمدة الاحتفال ان تحدد عدد الخطباء وناب كثير من ملوك الامارات الالمانية فيها وقد احتفلوا باقامة موكب تاريخي اشترك فيه الفارجل يمثل الادوار المختلفة في الحياة المدرسية في ليبسيك منذ سنة ١٤١٩ الى ١٨٣٠ ومما مثله فيها مناقشة لوثيروس صاحب الدعوة البرستانتية مع خصمه ايلك وحرب الثلاثين سنة والدور الذي رفض فيه الفيلسوف لينز من نيل شهادة الحقوق ودور ليسنج وكيي واربية من قدماء تلامذة ليبسيك .

بلجيكا الحديثة

نشر فرنسوي اقام في بلاد البلجيك زمنا ككتابا في وصفها جاء فيه ان ليس في بلجيكا روح بلجيكية كما ليس في المانيا روح المانية ولا في فرنسا روح فرنسوية ولا في انكلترا روح انكليزية لانه مامن شئ في الارض يملك روحا خاسمة به بل هو مزيج ارواح مختلفة ففي البلجيك شعبان القالون والفلامند وقد انتبه الشعب الفلامندي في السنين الاخيرة فطلب ان تعامل اللغة الافرنسية واللغة الفلامندية بالمساواة . وفي البلجيك ٢٦٨٢٢٦٠٠٠ نسمة لا يتكلمون بغير الفلامندية و ٢٠٥٧٤٠٠٠ نسمة لا يتكلم بغير الافرنسية و ٨٠١٦٠٠ يتكلمون بالافرنسية والفلامندية و ٢٨٣٠٠ لا يعرفون ان يتكلموا بغير الالمانية

و ٧٢٠٠ يتكلمون الفلامندية والالمانية و ٤٢٩٠٠ يتكلمون باللغات الثلاث الشائعة في البلاد ٠ والبالجيك متأخرة من حيث التعليم فتجد فيها ١٠١ أمي في كل ١٠٠٠ جندي اي أكثر من عشر ابنائها في حين ليس في هولاندة سوى ٢٣ أمياً في الالف وفي فرنسا ٤٧ وبحث المؤلف في احزاب البالجيك فردها الى ثلاثة احزاب حزب الاحرار وحزب الدين وحزب الاشتراكيين وقال ان الحرب الاول ضعيف بالنسبة للثاني الذي استولى على الامر فالاحوار يكتفون بان يخاطبوا الارواح والافكار اما سائر الاحزاب فتدعو الى مذهبا بما تقوم به من الاعمال النافعة العملية فهي تسطو على الفلاح والعامل والطفل ايضاً تتناولهم من المهد ولا تتركهم الى اللحد

محصول الذهب

قالت مجلة الاقتصاديين : ما برح محصول الذهب في العالم يزيد سنة عن سنة وليس هو الذي زاد غلاء المعيشة بل ان الغلاء ناشى بطبيعة الحال من التدابير السياسية والقوانين الاجتماعية وهالك جدولاً بمحصوله سنة ١٩٠٩ ومنه تفهم ان الاولوية قد فازت بها الترنسفال في هذا الباب

فرزك

الترنسفال	٧٧٠١٠٠٠٠٠٠
الولايات المتحدة	٤٩٢١٥٠٠٠٠٠
اوستراليا	٣٦٧١٠١٠٩٧٨
روسيا	١٧٤٢١٦٠٠٠٠
المكسيك	١٣٢٠٦٠٠٠٠٠٠
رودوسيا	٦٤٠٢٨٥٠٥٠٠
الصين واليابان وكوريا	٥٦١٠٠٠٠٠٠٠
كندا	٥٤٠٨٢٥٠٠٠٠
الهند الانكليزية	٥٣٠٨٨٦٠٦٠٠
افريقية الغربية	٢٣٠٥٨٧٠٥٠٠
مدغسكر	١٢٠٦٤٨٠٠٠٠
الاقطار الاخرى	١٢٧٠٥٠٠٠٠٠٠
المجموع	٢٦٣٢٩٠٠٠٠٠٠٠٠

مخطوطات طاهر الجزائري

أهيات مخطوطات

ندر جداً بين غلاة الكتب العارفين في البلاد العربية مثل الشيخ طاهر الجزائري في دمشق ومحمود شكري أفندي في بغداد واحمد بك زكي في القاهرة فهم يتوسلون الى نشر كتب السلف بكل مالههم من ذرائع لينبروا بها افاق البلاد ويحيوا موات المجموع والافراد . وطريقة العالم المصري في الدعوة غريبة لانه متنبئ باللغة او باللغات الافرنجية فقد نشر بالامس تقريراً طبعه بالعربية والتركية لتنظيم خزائن الكتب العامة في الاستانة واقرب الطرق الى الانتفاع بها واليوم نشر كراسة بالفرنسية فقط ذكر فيها الاسباب التي يجب الاعتماد عليها في مصر لاهياء الآداب العربية فيها فقال ان القاهرة منذ أسسها الفاطميون استأثرت بالارث العلمي الذي كان لبغداد وقرطبة فازهرت فيها الحضارة الاسلامية واثارت الافق آثارها فنجحت مساعي العلماء المصريين الى آخر عهد سلاطين المماليك واثمرت اعمالهم ثمرات جنية وكان لهم من تنشيط الملوك والافراد الذي شغفوا بالآداب والعلوم مادعاهم الى تأليف مجاميع من المخطوطات النادرة والآثار الثمينة وكان للجوامع الاقلية مدارس وخزائن كتب دع عنك المكاتب التي جعلت خاصة لحفظ المخطوطات

وان الاعمال الباهرة التي قامت على ذلك العهد لتدل عليها كتب النويري وابن فضل الله العمري وابي شامة والمقرئزي والقلقشندي والسيوطي ثم ابن اباس والجبرتي من المتأخرين وان المناصب السياسية التي تولى معظم هؤلاء امرها قد كان لهم منها اعظم مساعد على اقتباس المواد النافعة لهم من سجلات الدولة وآجرهم علي باشا مبارك صاحب الخطط الجديدة التوفيقية ولكن ما جمع في مصر من مصنفات السلف في خمسة اوسنة قرون قد تمزق شذر ومذر وانتقل الى مكاتب مختلفة ولا سيما الى الاستانة عقيب ان فتح السلطان سليم العثماني مصر وحمل التسم الآخر الى مكتبة باريز ولا سيما منذ عهد حملة بوناپرت على مصر ومكاتب برلين ولبدن واكسفورد ورومية وفيينا وغيرها فجمعتها تلك الحكومات المنهبة الثغورية على الآداب واخذ علماءها يعيشون اليانا منها الحين بعد الآخر ما يطبهونه اجود طبع ويبعدون اليانا ما تصاع منا بالانقلابات السياسية وبجهل بعض الاجيال الماضية ولقد جمعت بفضل الخديوي اسماعيل واسارة علي مبارك باشا بقايا

تلك الكنوز وأسست لها المكتبة الخديوية بها قد جاء دور يحقق فيه للصربين ان يستعيدوا سالف مكانتهم العلمية في العالم الاسلامي وبعد ان تكلم على ما ابرزته المطبعة الاميرية من مصنفات علماء العرب مثل كتاب الاغانى والعقد الفريد وتاريخ ابن خلدون وصحاح الجوهري وقاموس الفيروز آبادي وغيرها من المصنفات التي لها شأن حتى عند علماء الشرقيات من الافرنج لفت انظار الحكومة المصرية في عهد الخديوي عباس الثاني الى احياء ما خلفه لنا السلف الصالح واورد ما وفق الى جمعه من مكاتب متنوعة بواسطة التصوير الشمسي من الكتب الممتعة او ما استنسخه او عرف مكانه ككتاب « نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الكريم النويري » (ونويرة قرية بالقرب من بني سويف في صعيد مصر) وهو كتاب دائرة معارف في العلوم البشرية التي عرفت في عصره قسمه الى خمسة اقسام وهي السماء والارض وما فيها والانسان وعالم الحيوان وعالم النبات (وفيه نبذة في الطب) والتاريخ وهو في ٣١ مجلداً انتهى قبيل سنة وفاة المؤلف سنة ٧٣٣ هجرية

وتكلم ماشاء بيانه على هذا السفر الممتع والفيه من الغناء في جمع اجزائه المتفرقة ثم ذكر دائرة معارف اخرى لمؤلفها شهاب الدين ابي العباس احمد ابن فضل الله العمري واسم كتابه « مسالك الابصار في مالک الامصار » وهو في ٣٢ مجلداً قسمه الى قسمين الارض والانسان وهو دائرة معارف طبيعية جغرافية مع المصورات وتاريخية وادبية وسياسية وهذا المؤلف دمشقي وكان معاصراً للنويري

والكتاب الثالث الذي لفت اليه الانظار « جوامع العلوم لفرع بن تليد ابي زيد البالخي » من اهل القرن الثالث وهو مثل دائرة معارف ايضاً . والكتاب الرابع والخامس « درر التيجان لابي بكر بن عبد الله بن ابيك الداوداري » و « كنز الدرر وجامع العبر » للمؤلف نفسه وهو تاريخ مهم فيه امور لم تنتشر بالطبع عن دولة الفاطميين والايوبيين والمماليك وحياة المصريين وغارات التتار واخلاقهم وتقاليدهم واساطيرهم وسبب زوال الخلافة العباسية وفيه ترجمة مطولة للسلطان الناصر قلاوون صاحب المعاهد الخيرية في مصر والشام واحسن سلاطين المماليك وحامي الآداب والمعارف في عصره

والكتاب السادس سيرة السلطان جقمق لابن عربشاه والكتاب السابع كتاب « تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه » وهو من مؤرخي الاسلام الذي تفلسفوا في التاريخ . تطبعه على نفقتها اليوم أسرة جيب الانكليزية بعرفة

الامير كاتيفي الايطالي في رومية والكتاب الثامن « ذيل تجارب الامم للوزير ابي شجاع » و « لطائف المعارف للنيسابوري » وهو في الادب والتاريخ والسياسة والجغرافية والاحصاء و « شجرة النسب الشريف النبوي للملك الاشرف السلطان ابي النصر قانصوه الغوري » وكتاب « صور الاقاليم الاسلامية لابن زيد احمد بن سهل البلخي » وهو في الجغرافيا وفيه ٢٢ مصوراً . والبلخي اول جغرافي في الاسلام استعمل رسم الارض وكتاب « تاريخ الامير يشبك الظاهري » وهو رحلة فيها وصف سورية وارمنية وفارس في القرن التاسع للهجرة . ومن الكتب التي لفت اليها الانظار كتاب « الادب الصغير والادب الكبير لابن المقفع » وقد كتب لنا يقول فيها ان النسختين اللتين ظفر بهما من كتابي الادب الكبير والادب الصغير لابن المقفع هما اجمل واصح بكثير من اللتين اعتمدنا نحن واعتمد عليهما الامير شيكيب ارسلان في الطبع وان الذي سميناه بالدرة البتمة انما هي الادب الكبير بعينه ونسخة زكي بك هي بالشكل الكامل ومنها كتاب « ترجمة البقية من كتاب عسطوس » احد فلاسفة يونان الماروف عند الافرنج بجام بليك وهو الذي قاوم النصرانية في القرن الثالث للميلاد واراد ان تبقى يونان على وثنيتهما والكتاب الخامس عشر رسالة في تاريخ الفناء وعدم حرمة اخبار المنين في بلاد العرب وموافقه من اهل القرن الثاني والكتاب السادس عشر كتاب « العز والمنافع للمجاهدين بالآلات الحرب والمدافع » وهو كتاب معرب عن اللغة الاسبانية الاسلامية (الحميادو) بقلم قاضي فاس سنة ١٠٥٠ هـ قال فيه ان البارود اخترعه راهب الماني

هذه هي الكتب التي لفت اليها صاحب اللآلحة انظار العالم العربي والغربي معاً وهو يرى ان يبدأ بطبع دائرتي معارف النويري المصري والعمرى الدمشقي ليكون لمصر مجد خالد كالاهرام على الدوام وفقه الله وسائر العاملين لخدمة العلم
فلسفة الاسلام

نشر الماجور ليونارد الانكليزي كتاباً في الاسلام وسيرة صاحب الشريعة (عليه الصلاة والسلام) على وجه يرفع الغشاء عنها ويزيل الشبه الشائعة في الغرب اليوم عن حقيقة هذا الدين وقد قدم له السيد امير علي العالم الهندي المشهور مقدمة بالانكليزية واثني على علمه وحبه للحق والكتاب يطلب من مكتبة لوزان في لندرا .

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية

كتاب في ٢٢٤ صفحة في افعال معاوية بن ابي سفيان رأس خلفاء بني امية وما

عامل به آل البيت وكيف قام على الامام الحق وشيء من تاريخ ذلك الدور تأليف السيد محمد بن عقيل العلوي الحسيني من تلاميذ الكاتبيين والعالمين مبادي الفلسفة القديمة

هي مجموعة فيها كتاب ما ينبغي ان يقدم قبل تعلم فلسفة ارسطو لابني نصر الفارابي وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادي الفلسفة له ايضاً عزيز بتصحيحهما ونشرهما المكتبة السلفية بمصر لمؤسسيها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القشلاق. وقد جعلت له مقدمة في ترجمة الفارابي مطولة وعلقت عليه حواشي مفيدة

سمير الليالي

طبعت المكتبة الرفاعية في طرابلس الشام الجزء الاول من هذا الكتاب تأليف محمد امين افندي صوفي السكري وهو في جغرافية المملكة العثمانية وشيء من تاريخها وهو في ١٩٨ صفحة وعسى ان يزيد المؤلف كتابه تدقيقاً في الطبعة القادمة لان فيه بعض نواقص لا يصح ان تبقى فيه

الفن الرطب في فن الخطيب

هو مختصر في تعليم الخطابة للشيخ سعيد الشرتوني من فصحاء لبنان واذويه وفيه كثير من القواعد وبعض امثلة

مطالع الاضواء في مناهج الكتاب والشعراء

هو موجز ايضاً للشيخ سعيد الشرتوني انتقى فيه زبدة علوم المعاني والبيانات والبديع والعروض بعبارات وجيزة قال احد الناظرين فيه « تبين لنا اثناء مرور النظر على مباحث هذا الكتاب ان المؤلف اذا استشهد ببيت شعر يعزوه لقائله او فقرة من المزامير بين عدد الصحيفة التي وردت بها الا الايات القرآنية الشريفة فانه اذا استشهد بها لا يعزوها بل يتخذها كالمثال المتكرر عنده او كالكلام المعتاد فياحبذا لو ارجع الايات كما يرجع غيرها »

الارض في السماء

هي قصائد ادبية اخلاقية تاريخية واساطير حكيمية تأليف امين افندي ظاهر خير الله من الشعراء والكتاب جمع فيها الحقائق العلمية والنتائج العقلية والقوائد الزراعية على نمط جديد ولم ياتزم فيها الروي في كل شطر وساء الارض في السماء اي ينال به الانسان رغد العيش وحلاوة الامن وهو مشكول بالشكل الكامل ليسهل على كل متناول

وعدد صفحات هذا الجزء ١٤٢ ص طبع بالمطبعة الادبية في بيروت ويطلب من مؤلفه في دمشق .

دروس الحياة الانسانية في مدرسة الله النباتية

هو كتاب في ١٥٢ ص تأليف امين افندي ظاهر خير الله المشار اليه جعل شعاره ان المبروات المحدودة تنطق بلسان صمتها عن تمام حكمة الباريء الغير المحدود وفيه مباحث ادبية واجتماعية جعل الدين ولا سيما آيات الكتاب المقدس دعائمها الكبرى وذلك لينتفع به طلاب المدارس المسيحية وهو مشكول ايضاً سهل العبارة حسن الاسلوب والنسج .

تاريخ ابي المحاسن

بدأت جامعة كليفورنيا في اميركا بنشر كتب في اللغات السامية فأتت ان تستفتح عملها بنشر الجزء الثاني من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن ابن تغري بردي وهو في ست مجلدات كان نشر الجزء الاول منه في لندن . وهذا التاريخ يبدأ من الفتح الاسلامي وينتهي سنة ٨٧٢ للهجرة . وفي هذا الجزء كلام على خليفين من خلفاء الفاطميين العزيز الناصر والحكم .

حضارة بابل

نشر المسيو مارتين ٢٤٨ رسالة باللغة البابلية وجدت في ابي - حبة على خمسين كيلومتراً من مدينة بابل وفيها اشارات الى ثروة تلك البلاد واشخاصها ومجتمعها المدني والديني واشتغالها التجارية والحقوقية وذلك مدة خمسين سنة من سقوط بابل الى اوائل قيام دارا ملك الفرس .

ابن الطفيل

نشر المسيو ليون غوتيه بالفرنسية كتاباً على ابي بكر ابن الطفيل احد فلاسفة الاندلس فيه ذكر حياته واعماله و اشار الى رسالته حي بن يقظان في الحكمة المشرقية .

ابن رشد

نشر المستشرق الموما اليه كتاباً في ابن رشد الفيلسوف الاسلامي جعله نعمة لما كتبه الفيلسوف رنان عنه وافاض في الكلام على كتاب فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال .



المقصد

جرائد الولايات العربية

كل شيء أخذ بالنشوء والنمو في هذه الديار الاجرائد الولايات العربية الرسمية فانها كلما طال عليها الزمن تخط مكانتها لانها كانت ولا تزال تقدر اعمال الولاة وتزكيتهم الا قلة لا وجرائد هذا حالها كيف يرضيك خبرها ومخبرها .

للحكومة العثمانية اليوم اثنتا عشرة ولاية (اولاء) عربية تصدر فيها ١١ جريدة رسمية أسوة سائر الولايات في آسيا الصغرى والروم ايلي وهي طرابلس الغرب ، بيروت جبل لبنان ، القدس ، سورية ، حلب ، الموصل ، بغداد ، البصرة ، الحجاز ، اليمن تصدر مرة في الاسبوع لتقريظ اعمال الولاة والمصرفين ونشر بعض اوامر الحكومة باللغتين العربية والتركية لان الاولى لغة البلاد والثانية لغة الحكومة والعربية منقولة عن التركية بالحرف ولكنه نقل لا تقدر ان تقول عنه عربياً ولا مولداً واحر به ان يكون لغة خاصة يكاد لا يفهمها الا قلائل ممن ألفوها او ممن يعرفون التركية فاذا عسر عليهم فهم عبارة قلبوا الوجه التركي من الجريدة فقرأوا الاصل لينحل معهم الاشكال .

الى هذه الدرحة من الانحطاط بلغت لغة تلك الجرائد بفسادها ولو كانت منتشرة بين طبقات القوم انتشار سائر الجرائد العربية لافسدت من ملكة الادب العربي فساداً لا يشبهه فساد ولكن من حسن الطالع ان قراءها محصورون او يكادون يعدون على الاصابع واقدمها اثني عشر منذ خمس واربعين سنة واحدها منذ سنتين وثنتان منها وهي الزوراء جريدة بغداد والموصل تصدران بالتركية الصرفة كأَنَّ الحكومة اعتبرت الجزيرة والعراق من الاقاليم التركية وانها ارادت ان توفر على اللغة العربية بعض الالفاظ والتراكيب الرديئة تصدر عن اعظم العواصم العربية القديمة وانها لم تجد في دار

السلام والموصل الحدياء من يعرب لها جريدتها الرسمية . وجريدة لبنان تصدر بالعربية فقط وهي احسن الجرائد الرسمية عبارة . ولذا فان كلامنا اليوم مقصور على تسع جرائد لتسع ولايات كبرى كل منها حرية بان تدعى مملكة لا ولاية لاتساع بقاعها وكثرة نفوسها وقديم مجدها ونكثي بايراد حمل من جرائدها الرسمية نذملها نموذجاً على انحطاط اسلوبها وتراكي بالالتقطها من صفحة واحدة من كل صحيفة ولانشير الى الجريدة حرصاً على كرامة القارئ بها وان كان معظمهم لا يعرفون من العربية جملة ولا من قواعد قاعدته وهم عامة يكتبون وينشرون بدون مبالاة بما يفسدون به لغة العامة والخاصة وان كانت تتفاوت تلك الجرائد في عباراتها . فما ورد في احداها قولها : «صورة التحيات الواردة بالشرف» وهي تعريب عن الاصل التركي بالحرف ولفظ التحيات لم يسبق في الفصح استعماله كما لم يسبق للعرب استعمال خطاب بمعنى كتاب المستعملة بين المصريين ويجمعونها على خطابات قال في التاج « وتحرير الكتاب وغيره تقويمه وتحليصه باقامة حروفه وتحسينه ، باصلاح سقطه وتحرير الحساب اثباته مستوياً لاغث فيه ولاسقط ولا محو » فالتحري يجمع على تحارير وليس هو مقابل لفظ رسالة أو الوكة أو كتاب . اما تركيب « الواردة بالشرف » فمن اسبح التركيب

وقالت : « ان التثنت والافتراق هما يسببان ويحدثان الغوائل والمشكلات الداخلية ويؤديان الى انقراض الهيئة العظمى العثمانية وانحلالها كما تهدد بها امثالها التاريخية ولا يحصل لها السلامة والعادة والترقي والتعالي الا باتحاد قلوبهم واتجاههم جميعاً نحو غاية واحدة فنظراً لهذه الحقائق رئت نواب الملة تشكيل الجمعيات المدنية على اساس القومية والجنسية والمعنونة بها محملة بالوحدة العثمانية » في هذه الجملة من الركائز والالفاظ المبذولة الزائدة الدخيلة مازاه . فاي داع اولاً لتكرار لفظي التثنت والافتراق والغوائل والمشكلات ونعني يسببان ويحدثان وانقراض وانحلال وكلها بمعنى واحد يستغنى باحداها عن الاخرى ثم الى اين يرجع ضمير امثالها وكذلك كيف يرجع ضمير اتجهامهم جميعاً . وتركيب يحصل لها السلامة والسعادة والترقي والتعالي من التراكيب السقيمة ولا معنى للتعالي هنا ولو قال لنتم لم السلامة الخ لكان اسلم ومن القبيح استعمال « فنظراً لهذه » واقبح منه . « رئت نواب الملة تشكيل » فان في هذا التركيب ثلاث غلطيات فقط الاولى في الرسم فكان الوجه ان يقال « رأى » ولفظ الملة لا تستعمل بمعنى الامة في العربية وهو من استعمال الترك فالملة الشريعة او الدين كلمة الاسلام والنصرانية

واليهودية قال في التاج : وقيل هي معظم الدين وجملة مايجي في الرسل وقال الراغب :
 الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى جواره وقال ابو
 اسحق : الملة في اللغة السنة والطريقة . وكذلك يقال في « تشكيل » فليس في العربية
 التشكيل بمعنى التأسيس والانشاء فتشكل في الامر عندهم تصور وشكله تشكيلاصوره .
 وما اشبع تركيب « الجمعيات المبنية على اساس القومية والجنسية والمعنونة بها » فتجد
 الالفاظ عربية في الظاهر ولكنها مبدوءة في تركيبها

وقالت : « فيجب ان تبلغون الذين يقتضي لهم التبليغ بالصور الحسنة والمناسبة وتبينون
 لهم ان ليس في هذه المادة غرض سوى المحافظة على الوحدة العثمانية المتكفلة بالسلامة
 والسعادة العمومية وان تجري التدريبات الابتدائية بالاسن القومية وتساعد على
 الجمعيات الخيرية والعلمية وان لا يثقل احد الممنوعة المذكورة في شكل التعرض الى
 الاقوام » فالفاظ النحوي في هذه الجملة وهو ما نسمح به لانه بسيط لا يفسد اللغة بقدر
 ما نفسدها تلك الالفاظ المعسطة والتراكيب الشائنة المغلطة مثل « تبلغون الذين يقتضي
 لهم التبليغ بالصور الحسنة والمناسبة » ولو قال : تبلغون من يجب على مايجب . لكان اخصر
 واسلم . ولو قال الكفيلة بالسلامة العامة والسعادة الثاملة لاجاد ولفظ التدريس لا يجمع
 على تدريسات ومن الالفاظ ما يستحب مفردة اكثر من جمعه ومنها ما يعذب جمعه اكثر
 من مفردة ولعل جمع تدريسات جمعت على مثال تحريات وكما دخلت التركيبة على العربية
 من هذه الجمل والفاظ التي تجدها عربية الاصل ولكن اتى عليها شيء من العجمة
 ومنها ما نقل به اللفظ عن اصله مثل التشكيل .

ومن سخيظ اللفظ « الممنوعة » فان المنع عربي في الاصل ولكن هذه الصيغة لم
 تعهد للعرب ولا لمن بعدهم وانما جاءت في القرون المتأخرة ومثلها الممنوعة ولا يقال انا
 ممنون منك فالممنون المتطوع بل ممن لك كما لا يقال المحظوظية والمسروية والامنية
 بمعنى الامن والمقطوعة والمعلومية والمأذونية والمفهومية والانتقالية والفراغية وكل هذه
 الصيغ لا تجوز في لغة العرب دخلت عليها من التركية فالحن كما قال عبداللطيف
 البغدادي يتولد في الامم والنواحي بحسب العادات والسير

وما دام في اللغة متسع عن هذه الالفاظ فالاحسن نبذها وكذلك يقال في التنسيقات
 والمأمورات فقد خطأوا من قال من المتكلمين هذه المحسوسات وقالوا صوابها المحسات
 لانه يقال احسست الشيء بمعنى ادركته فاما المحسوس فهو المقتول من حسه اذا قتله .

ولوراجع من يسكون القلم العربي ليكتبوا به الجرائد في معاجم اللغة مثل هذه الالفاظ ونظروا في اصولها لردوا اكثرها الى الصحة من ثلثاء انفسهم
وتقول « ينبغي اجراء التعقيبات المتبادلة والشديدة بواسطة مأورين البلدية تحت نظارة الاطباء في المواقع المحررة آنفاً وتحمري الفيران الميتة والقائهن في الماء المغلي وامسأكن بمللقاط الحديد الطويل وتبليهن بدهن الكاز واحرقهن بالنار . . . يجب اجراء الوصايا والتوضيحات الكافية للاهالي لاتلاف الفيران اللواتي لم تصبن المرض بعد لالا يمرضن ويكن واسطة لانتشار المرض ويجب ايضاً على الدوائر البلدية اعطاء اجورات مناسبة لكل فارة التي يصطادونها الاهالي بالغنخ قصداً لتقليلهن في البلد »

هذه الجملة وحدها كانت تكفي للدلالة على ما في هذه الجريدة من مناقبات البيان والقواعد المألوفة لصغار الطلبة دع عنك كبارهم . فمن الاغلاط اللغوية التي فيها « التعقيبات » و « التوضيحات » و « الاجورات » و « وقوعات » ومن الاغلاط النحوية « مأورين البلدية » والصواب مأموري البلدية و « لكل فارة يصطادونها الاهالي بالغنخ » وهذه اللغة يسمونها لغة البراغيث من قولهم اكلتني البراغيث واولى ان تسمى لغة الفيران للتناسب ومثله تنزيل الفيران منزلة العاقل فقال (القائهن) والصواب القاوها (وتبليهن بدهن الكاز واحرقهن الفيران اللواتي لم تصبن المرض بعد لالا يمرضن ويكن . . . قصداً لتقليلهن) والاولى ان يقال دهنها بالكاز واحرقها . . . الفيران التي لم يصبها المرض بعد لثلاث مرض فكون . . . قصد لتقليلها و (لالا) هذه من اغلاط الرسم وصوابها لثلاث كما يفهم من سياق العبارة ومن مراجعة الاصل العربي وكذلك (مللقاط) والاحسن ملقط ولم تكثف هذه الجريدة باستعمال الالفاظ التركية المهزعة بل هي تدخل الى العربية الفاظاً افرنجية لها في اللغة ما يقابلها مثل لفظة (كادرو) التي شاعت في العهد الاخير في هذه البلاد يراد بها الموظفون الغنير العاملين فيقولون اخرج فيها خارج الكادرو او القادرو وهي لفظة فرنسية والاولى ان يقال اخرج من الخدمة او اسقط او ما امثال ذلك . و (محلول السوبايحه) ولو قال محلول السلياني لافهم وما اعجم و (الباراقات) ولو استعاض عنها بالاكواخ لاصاب شاكلة الصواب ولفظ (سوبايحة) و (باراك) من الالفاظ الفرنسية ايضاً وعندنا ما يقابلها من اللسان العربي

وجاء في جريدة اخرى لقطر آخر . . . المتعين للمصرفية . . . والصواب المعين . . . و

ندعوا لمعالیه بالموفية وهي جملة لم تشتم رائحة العربية ولو قالها عربي لا وردها هكذا (ندعو له بالتوفيق) فالموفية من الالفاظ العربية المتتركة والاولى حذف الالف من ندعوا كما تحذف في موزعوا الجرائد ومأموروا الادارة . وقالت : (بحمد الله تعالى وعنايته التي لانهاية لها من منذ يومين ثلاث قد تنزلت الامطار النافعة في . . وجوارها واخذت الزراع صيب المواضع . وفي اثنا نزول المطر في يوم الاحد قد اصاب الصاعقة المطبوع الواقع في الجهة الشمالية من خسته خانة المركز العسكري وبحمد الله لم يكن تلفات في النفوس ولا ضايعات سوى احتراق يسير في ارجل محمد علي من الخدمة بدون تأثير) هذه القطعة التي افنتجها الكتاب وختمها بحمد الله نقول فيها الف سبحان الله لما فيها من الركاكة والافساد للغة قريش . وما اظن رجلا من عرض الناس يكون له بعض مطالعة قليلة يكتب عبارة احط من هذه ودليلا . (من منذ يومين ثلاث) و (لم تكن تلفات في النفوس ولا ضايعات سوى احتراق في ارجل محمد علي من الخدمة بدون تأثير » وغير ذلك من الغلط الفظ الفظيع . اما « تلفات وضايعات » فتتصرف على وزن (موفقيات) و (تنسيقات) (وتعقيبات) الفاظ اصلها عربي ولكن تركيبها اعجمي . ولم نفهم (اخذت الزراع صيب المواضع) الا عندما قلنا الوجه التركي فرأينا فيه ماتعريبه : (فاخذ الزراع يحرقون حقولهم ويسرعون الى بارها) كما انا لم نفهم نسبة الارجل الى محمد علي وهل هذا الخادم له اكثر من رجلين كما نرى الآدميين ام له عدة ارجل ولعل هذا يقاس على ما مر بك آنفا من تنزيل غير العاقل منزلة العاقل في جملة الفيران . ومن اشبع التعابير تعبير (بدون تأثير) في آخر العبارة اما لفظ (خسته) فانه في العربية ما يقابلها مثل دار المردى او مستشفى وكذلك جميع الالفاظ التي تحتم بخانه فالواجب على العربي ان لا يخون لفته بل يردها الى اصلها فلا يقول دفتر خانه ولا تيمار خانه ولا طوبخانه ولا موزخانه ولا بارودخانه ولا قره قوخانه بل يقول دار السجلات ودار المعنوين ودار المدافع والمتحف اودار التحف ودار البارود ودار الخفر او المخفرة الخ

ومن ركازات هذه الصحيفة (لاجل تقوية الانضباط بداخل المملكة روي لزوم انشاء واحد قره غول في مواقع مخصوص لاقامة قوميسر البوليس . وقد تبرع . . . بخدمة مفتخرة باعطاء عرصة منهما يكون انشاء القره غول . . المصارف الانشائية المقتضية للقره غول المذكور تعهد بتأديتها اعانة من طرف . . مأمور الثوتون الرزي . . فابراز الحمية من المولى اليهم بهذه الصورة اوجبت التقدير والممنونة .)

وكان الاجدر ان يقال لتوطيد امور الضبط في البلاد دعت الحاجة الى اقامة مخفزة . .
 ليقم فيها مفوض الشرطة خاصة فتبرع فلان باعطاء عرصه تبني فيها المخفزة واخذ على
 نفسه اداء النفقات لبنائها . . . فلان وفلان مأمور حصر الدخان . . . وحماية المومسا
 اليهم حرية بالشكر موجبة للاجر وهنا ننبه الى رسم (المومى اليهم) الواردة في العبارة
 فالاولى رسمها بالالف لانها من اوماً والاتراك يرسمونها بالياء وكثير من كتاب الصحف
 يتابعونهم على رسمها غلطاً . وجاء في هذا العدد (التسيط المعطام من طرف . . .)
 وكان الاولى ان تجعل الف المعطى بدل ياء (المومى اليهم)

وجاء فيها : (تفضل بالاشعار من جانب قوماندان القواي العمومية ان مجموع الاعانة
 للبوابير العثمانية في المعسكر الهايوني بلغت كما هو محرز اعلاه تسعة وخمسين الف وسبعائة
 وثمانية وثلاثين قرش وعشر بارات وقد ارسلت رأساً الى دار السعادة فابراز حمية
 المذبرعين الجديدة جديرة بالمحمدة والشكران) في هذه الجملة اربع الفاظ اعجمية كانت
 يتأتى الاستعاضة عنها بالفاظ عربية مثل (قوماندان) قائد (وقواي) القوة و (البوابير)
 السفن و (الهايوني) السلطاني . ولو قال كتب قائد القوة العامة ان قد بلغت الاعانة
 للسفن العثمانية في المعسكر السلطاني . . . لاحسن ولفظ (قرش) تنصب على التمييز ولم
 نفهم معنى حمية المذبرعين الجديدة ولا الشكران

وفي هذه الصفحة من الصحيفة اغلاط شائعة اخرى اكثرها ما يعرفه احدث المدارس
 مثل : (ان طالبين المأهولة تؤخذ منهم ورقة ترجمة الحال ابتداءً ليعلم منشاهم وهو يتهم
 والغير تابعين لهذا الاصول لا يكون اسعافهم لمسئولهم) وتعريب هذه الجملة هكذا :
 تؤخذ من طالبي التوظيف تراجمهم بادئ بدء ليعرف منشأهم واحوالهم ولا يجاب سؤال
 من لا يجرون على هذه الاصول) ولفظ « هوبة » تكثر في الكلام المولد مثل كمية وكيفية .
 وجاء ايضاً مانعه وفصه : « فالمأمور الذي يمتنع ويصر على عدم اعطاء ترجمة الحال
 بلا مانع فيلاحظ انه لمقصد ستر واخفا بعض خصوصيات عائدة لسيئات سوابق احواله
 فالمأمورين المختارين السكوت في مقابل اغماض العين بهذا الباب يرى انهم غير موافقين
 للمصلحة » وتعريب هذه الجملة كما يأتي : « علم ان لمن يمتنع من الموظفين عن اعطاء
 ترجمته بلا موجب مقصداً يريد ستره لسوء حاله والسكوت عن اهل هذه الطبقة يمد
 من الاهمال ولا يوافق المصلحة بحال »

ومثله « في هذا الحال واختياره لا يكون تجويز هذا المقصد والطالبين المأمورين

بدايةً اذا ما اعطوا ورقة ترجمة الحال لا يكون قبولهم في خدمة الدولة قياساً للاصول» و «لاجله لزم التبليغ تعميماً ٠٠٠ لايحوز قطعياً للمأمورين الحكومة ٠٠٠ وعلى فرض يحصل خلاف هذا الاساس من المستخدمين في خدمة الحكومة فطبيعياً تجري بحقهم المعاملة اللازمة وبناءً عليه يقتضي ايفاء التنبهات « جمل كلها من السخافات والركاكات بمكان لا يصل اليه كاتب الابخذلان من الله ٠

وجاء في جريدة لقطر آخر: «بناءً على شدة احتياج اهالي الولاية وضرورتهم كما علم من قرار تصفية البقايا وكان تدقيق ذلك وتطبيق تعليمات مضبطة البقايا الى نهاية سنة ١٣٢٠ في درجة الوجوب فقد تقرر استحصا الامر بالتلغراف واجراؤه» وتعريب هذه الجملة كما يأتي: علم من قرار تصفية بقايا الاموال ان اهالي الولاية في حاجة ماسة الى ان تطبق عليهم لائحة البقايا الى نهاية سنة ١٣٢٠ ولذا تقرر استصدار الامر بلسان البرق وجرى العمل به ٠

وفي هذه الصفحة من الصحيفة الفاظ اعجمية عمت بها البلوى في اللغة القرشية مثل: «ارسلت الولاية بمحررة» اي في كتاب او رسالة ٠ و«استحصل امر وتسريع اجرائه لاهميته» والاولى استصدار الامر والعمل به في الحال لخطورته او خطره او شأنه اومكانته ولفظة اهمية مثل موفقية ومعمرية اصلها عربي وتركيبها اعجمي وكذلك «لتأمين وادامة نعمة الامنية والراحة الى منتهى حدودها» اي لتوطيد دعائم الامن والراحة للغاية ٠ ومثله نسب قوميسيون التنسيق اعطاء معاش المعزولية الى ٠٠٠ اي رأت لجنة الاصلاح منح راتب عزل الى ٠٠ ولفظ معاش غير وارد في هذا المعنى والاولى ان يقال راتب اومشاهرة وكذلك نسب رأساً مناسباً و«قوميسيون» لجنة و«المعزولية» مثل الممنونية والامنية والاهمية تقاس عليها ولكن لا تقس عليها بالله عليك ومثلها تبليغات و لمبات وايضاحات ٠ وفي هذه الجمل تراكيب رديئة مثل: «باش كاتب الاعشار وبلغت لهم الكيفية بتذاكر مخصوصة ٠٠٠ المخبر عنه يكون مظنوناً باسهار السلاح ٠٠٠ ان ينظموا محاسباتهم العائدة لزمان ادارتهم مجرد ما ينفكون عن مركز وظائفهم ٠٠٠ وبذلك ظهرت انه نزلت علامة الخصب والبركة في السنة الآتية ٠٠٠ يقرر في حق المفتين بعض احوال مخصوصة مستثناة ٠٠٠» والخطب يسير في ارجاع هذه الجمل الى العربية فيقال: رئيس كتاب الاعشار وبلغوا ذلك في رسائل خاصة ٠٠٠ المتهم بانه شهر السلاح ٠٠٠ يضعون محاسباتهم ايام ادارتهم عندما يغادرون وظائفهم ٠٠٠ الخ

وتقرأ صورة من صور الركافة في صفحة واحدة أيضاً من تلك الجرائد التي تصدر في قطر آخر أيضاً فمنها: « يلزم ابقاء التعقيبات القانونية بحق من ... لكل الملاحظات والمراجع الايجابية ... اسماء الذوات الذينهم عيوا ... حيث كانت ارض النموذج الزراعة بعيدة عن البلد وواقعة في محل لاير فيه احد ولم يستناد من هذا النموذج شيء حال كون نفق عليه الاموال الكثيرة وبذلت باصلاحه المساعي الوفيرة فاستئذن كل من مجلس الولاية العام ومجلس الادارة من نظارة الاحراش والمعادن والزراعة بان يجعل الميادين والبستان الذي في جواره جفتلك النموذج ... وعرف عن اهمية المسئلة ايضاً وحين اقتران ذلك بالتصديق العالي يجري الايجاب اللازم » . وصوابه : اسماء الاعيان الذين عيوا ... لعامة العائلات والمراجع ... لما كانت ارض الحقل النموذجي ... لم ننتفع به في حين انفتت عليه الاموال الطائلة استأذن مجلس الولاية العام ومجلس الادارة نظارة الحراج بان يجعل مزرعة نموذجية ... عرف بمكانة المسئلة حتى اذا صدق عليه يعمل بموجبه .

وفي هذه الصحيفة من الالفاظ الاعجمية كل ما تنقبض منه النفس العربية مثل « المشروطة » و « الشائعة » و « المضبطة الاسترحامية » و « حيثية ملة النجبية العثمانية » و « استرحامات » و « تفوهات لسانية » الخ ويمكن ان يقال عنها الحكومة اليابانية او الدستورية والاشاعة ومضبطة الاسترحام وشرف الامة العثمانية الكريمة . واسترحام ونفوه . ونرى هذه الجريدة كلما ارادت ان تنفصح تسقط مثل قولها : « ماقرر وما افكر بتاتا تبديل والينا المحترم واعهد بان هكذا اشعارات لا تنقص بهزم وحزم حضرة المشار اليه الذي يتعلق باصلاح المملكة ... المرتبة العليا والمكان المسمى ... تترنم بالانغام المحزنة التي تفعل بالارواح ما لانفعله السراح » تريد ان تقول لم بتقرر ولم يفكر بتاتا في ابدال والينا المحترم وعهدي بان مثل هذه النبات لا تضعف عزمه ولا حزمه وهو العامل على اصلاح البلاد ... المرتبة العليا والمكان السامي او الاسمي . ولم افهم ما يراد بالسراح هنا . وكذلك « نحن متحمسين بحياة حب الوطن » اي شعورنا وطني او ما شاكل ذلك ولفظ حسيات يرسمونها بالثناء المفتوحة مثل ثقات لاثقة ولكن ليست من العربي في شيء .

واليك افودجات اخرى من جريدة قطر عظيم آخر : « غير خاف علي ان جميع المأمورين والمستخدمين هم مكلفون باعطاء اوراق تراجم احوالهم وكان الذين لم يقدموا

اوراق لا يتعينون في المأموريات ابتداء وذلك من الاصول المتخذة فمن الضروري ان الذين يتعينون في خدمة يجب ان يعطوا ورقة ترجمة حاتم في اقل مدة وان لا يتسببوا الي الاحتياج بتبليغهم فيكون معلوماً لدى العموم انه اذا وقع خلاف ذلك لا تجري معاملتهم وتكون الاشارة على اسمائهم في دفاتر القيود طبقاً للاشعار الواقع من نظارة الداخلية هذه المرة فلتجري التبليغات اللازمة الى مأموري ومستعدي النافعة بالمتابعة على مقتضاء »

وجاء فيها : لحيت انه من اللزوم ان اوراق الاخبارات . . . مستندة الى قناعة كاملة من اصحابها وان يصرح في الامضات . . . اخبرنا بذلك العموم فيقتضي اعلانه بطرفكم . . . رياسة شواء الدولة وتعليمات البول . . . المعاينة الاولى . . . باطن مظروفات مبطنة تعمل له خاصة لاجل ارساله بتمام المحافظة عن الضياع . . . حاصلات البول تقيد في خاناتها المخصوصة بالدفاتر المحلية . . . صندوق تسهيلات . . . من عموم مأموري البلدية . . . تلقى المسؤولية على الامر والصارف . . . يقيد مصرفاً بانواعه ومقاديره بمجهة المدفوعات في دفتر عينيات البول الخ

وهنا ترك تصحيح هذه العبارات مكتفين بايرادها بنصوصها لا بطول البحث . وعندنا ان هذه الجرائد اذا دامت على هذا المنوال توجد في اللغة العربية لهجة جديدة لا ينهما الا طبقة مخصوصة ويكون الاختلاف بينها وبين الفصحى اكثر مما بين الاسانيوية والبرتغالية وهناك بعض صحف رسمية هي اقرب الى الصواب في منشوراتها وان كانت لاتسلم مما تقع فيه الجرائد الركيكة العبارة مثل قول احداها : « باشمديرية الرسومات » « وصل الى ميا ، ثغرنا » « طريق شوسة » « للتخري على المزيفين » « استلفت الانظار » « القشة الهايونية » « دفتر الاغراب » « مستملاك الروس » « رفع راية العصيان ضد » « طمعا بنوال مقاصدم » « الامر الهام » « يحكم وهلة » « الرفاه والراحة » « بناء عليه وتوفيقاً لاحكام » والاحرى ان يقال : رئاسة مديرية الجرك . بلغ ثغرنا . . . طريق مركبات اومعبدة . للبحث عن المزيفين . لفت الانظار اوجه الانظار . الشكة السلطانية . سجل الغرباء . مستعمرات الروس . رفع راية العصيان على . طمعا بنيل مقاصدم . الامر المهم والاجلل . يحكم لاول مرة . الرفاهية او الرفاهة والراحة . عملاً باحكام . اما تركيب « بناء عليه » « وعليه » « وحيث ان » فهي مولدة لا يعرفها العرب والاولى ان يستعاض عنها بتراكيب اخرى عربية



تعليم النساء

وترجمة عليّة بنت المهدي العباسي

تمهيد

كان الخلفاء والامراء وخاصة الناس في صدر الاسلام حتى القرن الخامس للهجرة من احرص الناس على تهذيب بناتهم وجواربهم وامهات اولادهم بنفقون الاموال ويمجدون النفوس السنين الطوال في تثقيف عقولهم وتقويم فطرتهم بالترويض والتخريج والتدريس والتحصيل على ايدي ثقات اهل العلم وائمة النخبة والرواة واشهر الحفظة والمجودين فما منهم بعد ان يتمرسن على العفاف وحب الفضيلة من لا تحفظ القرآن العزيز وطرفاً من احكام الفقه والحديث وتنقمن علمي الانساب والتاريخ فضلاً عن آداب اللغة واخبار السلف من شعراء ومحدثين وغزاة وخطباء وكتبة وامراء فكان صدر كل فتاة من فتياتهم كنزاً من اسمى الكنوز يصيب منه سميها ماشاء من ادب وحكمة ونكتة وفكاهة فينجذب لها فؤاده وتنزع اليها عواطفه وتحل من نفسه محل الحرمة والتجلة والاعظام بمقدار ما يتوسمه فيها من مخايل الدراية والتعمق وآثار النجابة والاختبار

وما في ذلك من عجب بل العجب من النقيض وهيئات ان يخفى على امثال المنصور والمهدي والرئيد والمأمون ان الحسن المادي مهما كان بارعاً راعماً باهراً فناناً اذا لم يقترب بالحسن المعنوي ويشفع بالظرف الادبي كانت صاحبه كالتمثال المنجوت والصورة المنقوشة بل اقل قيمة وابعد جاذبية منهما لان التمثال والصورة معدودان من الجمادات فلا يتوقع منهما الانسان رشاقة الحركة ولطف الاشارة وخفة الروح وحلاوة المعنى وسعة الدراية وحسن الرواية ولذلك يستحسنان ويروقان باعين الناظرين بمقدار ما أودع فيهما من دقة الصنعة وتناسب الرسم وحين التكوين وتشاكل الالوان بمعزل عن تلك المزاي

اما الفتاة ذات الجسم المتحرك والنفس الحية واللسان الناطق والخلق السوي العقيدة ان تكون زوجاً مؤانسة وأماً مربية فتأبها النفس ويعافها الذوق وينصرف عنها القلب وان كانت جميلة وسيمية مادامت جامدة كالصنم بكاء كالعجماء لاتنفع من احوال

الدنيا واسرار الحيوة وحقائق الكون وماهية ما يراد منها ومفروض عليها من سنن وواجب
الا ما كان مداره المظلم والمشرّب وقوامه الملبس والمركب ومرجعه اللهو والقصف
ونتيجه الحب والبعال فاذا عرض لها امر يستوجب الانباء — وهو مما يحدث كل
يوم — قصرت في الاداء وتلكأت في الكلام وسعلت وتنهجت ونساجت ماثآت
ولم تقو على الافهام وان سئلت عن شيء اجابت بلا ادري او هذرت بجواب لم يكن من
لحمة السؤال ولا من سداه . فمن كانت على هذا الطرز — وما عدد امثالها عندنا
بقليل — احريها ان تكون عند اذكاء الرجال وارباب الذوق والفضل ساقطة المنزلة
سافلة القدر رخيصة القيمة تفضلها الشخصوس وتمتاز عنها الصور لان هذه تتمتع الاعين
بجمالها ولا تضر النفوس اما تلك فانها تورث الكراهة وتمني بالضرر وتبلي المنازل خاصة
والجتماع القومي عامة بادواء من الهموم والموبقات تذهب بالامم الى اقصى الدرجات
اجل وليس من ينكر انك لتبراها باديء الامر فتستحسنها للنقاء بشرتها وسواد حدقتها
واعتدال قوامها وغضاضة جسدها وبضاضة وجدله والنفاذه ثم تسمع كلامها الدال على
جهلها وغاوتها المؤذن بقصر ادراكها وسذاجة قلبها وظلام ذاكرتها فتزدرىها وتستعجنها
وينبذها قلبك نبذ النواة ويطرحها ذكرك طرح القذاة لانها لا تصلح للمواءمة
وتروج الهموم ولا ترجى للاستشارة وتسدّد الرأي ولا تنفع للامومة باتم معانيها
وللتربية وتدير المنازل بكل ما يراد من هذين الواجبين بحكم العقل والصواب ومن كان
هذا شأنها كانت سخطاً على النوع الانساني ونيراً ثقيلاً على عاتق الوجود وكل امة
تقلص ظل مجدها ونضب معين رخائها ونزفت مواد قوامها وتقطع اسباب منعها وعزتها
وهنائها انما نساؤها على تلك الشاكلة ولقد صدق من قال « ان التي تهز السرير يمينها
تهز العالم يسراها »

فيا حبذا لو اقتدى كبارؤنا واعاظمنا بمن درجوا قبلهم من اساطين الامة وسراة اعلامها
وصرفوا العناية الى تعليم اولئك اللواتي لا يسمين بحى وانس الا اذا كن بالفعل نزهة
المجالس ولا يقال لهن عقائل مالم يكن بالحققة ارباب علم وادب وتهذيب وفضائل فان
الناس على دين ملوكهم والعامّة تقتدي بهن باعياها فان احسن هؤلاء الابتداء احسن
القوم الاقتداء والعكس بالعكس سنة الله في الخلق منذ حلت الحضارة محل البداءة وقام
التهذيب مقام الفطرة واصبح البشر درجات ومراتب وطبقات
نقول هذا توطئة وتمهيداً لما نذكره الان من ترجمة ابنة خليفة واخت ثلاثة خلفاء وعمّة

ثلاثة وهي (عليه بنت المهدي) ^(١) التي عني قومها بتعلمها وتأديبها وتنوير عقلها ونوسيع دائرة اختبارها حتى صارت آية الفضل ونابغة الادب ومثال العفاف وعنوان الرقة والبلاغة في قرض الشعر الصحيح الاجزاء المثني التراكيب الرشيق المعاني تنغن في اساليبه وتأخذ باطرافه اخذاً يبهز العقول ويفتن الالباب على كونها نشأة زهو وترف وغرسة صفو ونعيم . ومعلوم ان الملكة الشعرية لا تستحكم في فتاة الى هذا الحد الا بعد الامعان والجد واحياء الليالي الطوال تبحراً في علوم العرب واتقاناً لفنون الادب وتعمقاً في دراسة اشعار النابغين المجيدين من فحول الجاهلية والحضرمين والمولدين والآن لما تنهيا لها ان تحذو حذوهم وتنسج على منوالهم وما تلك بالوحيدة بين اترابها في ذلك العصر الزاهر وما بعده بل يوجد كثيرات مثلها حتى بين الجوارية القيان فضلاً عن حرائر الآفات الحسان

* * *

ولدت عليه حفيدة المنصور — ثاني خلفاء العباسيين — وبنت المهدي واخت موسى الهادي وابراهيم بن المهدي والرشيد هارون والعباسة واسماء وعممة الامين والمأمون والمعتمد وصالح من سريّة ام ولد تدعى مكنونة جارية المروانية ^(٢) وذلك في سنة «١٦٠» للهجرة وادركتها الوفاة نحو سنة «٢١٠» وقد ناهزت الخمسين على اثر حى اصابها وقد قال بعض المؤرخين في سبب وفاتها ان ابن اخيها المأمون ضمها اليه طويلاً وجعل يقبل رأسها والقباب مسدول على وجهها فغصت بريقها لشدة ما نالها من حبس انفسها ثم شرقت وصعلت فكان في ذلك حتفها

قال ابو اسحق القيرواني في كتابه «زهر الآداب» كانت عليه لطيفة المعنى رقيقة الشعر حسنة مجاري الكلام رخيصة الصوت ولها الحان حسان احصاها ابو الفرج الاصبهاني في كتابه فاذا هي ثلاثة وسبعون وكلها حسن مختار

(١) هي ابنة المهدي واخت موسى الهادي وهرون الرشيد وابراهيم وعممة الامين والمأمون والمعتمد وكل هؤلاء كانوا خلفاء

(٢) كانت مكنونة هذه احسن جارية بالمدينة وجهاً فاشترى للمهدي في حياة ابيه بمئة الف درهم فاسترلت على قلبه وغلبت على امره حتى كانت زوجته الخيزران تقول «ماملك المهدي امرأة اغلظ عليّ منها» وما زال خبر شرائها محجوباً عن ابيه المنصور حتى مات فولدت له عليه هذه وعاشت الى ما بعد وفاة الرشيد

وقال التوفلي عنها انها من اوضي النساء وجهاً واعدهن قواماً واظرفهن كلاماً تقول الشعر المثين الجيد وتصوغ الالخان الحسنة وكان في جبينها اثر من شجة اوفضل سعة ينقص من محاسنها فاتخذت العصائب المسكلة بالجواهر تستر ذلك العيب فكان ماحدثته خير ماابتدعته النساء وقد وهم من قال ان اخنها العباسة المبدعة لثلثك العصائب فان ذلك لم يقله احد من ثقات المؤرخين

وقال ابراهيم بن اسماعيل الكاتب كانت عليمة حسنة الدين لاتغني ولا تشرب الا اذا كانت معتزلة الصلوة فاذا طهرت اقبلت على الصلوة وتلاوة الاوراد ومطالعة الكتب — الا ان يدعوها الخليفة الى شيء فلا تقدر على خلافه — واطرب شيء لديها قول الشعر وكان احد احفاد الفضل بن الربيع وزير الرشيد يقول مااجتمع في الاسلام اخ واخت احسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخته عليه وكانت اخته تقدم عليه حدث يوماً ابو احمد بن الرشيد فقال : دخل في بعض الايام المأمون الى دار الحرم ودخلت معه فسمعت غناء اذهل عقلي فلم اقدر ان اتقدم ولا اتأخر وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال : هذه عمثك عليّة تطارح عمك ابراهيم

مالي ارى الابصار بي جافيه لم تلتفت مني الى ناحيه
لاتنظر الناس الى المبثلي وانما الناس مع العافيه
وقد جفاني ظالماً سيديه فأدعني منهلة واهيه

والشعر والغناء لها ومن شعرها في اخيها الرشيد وقد دعت الى وليمة فلي دعوتها
تفديك اختك قد حبوت بنعمة اسنانعد لها الزمان عدبلا
الا خلود وذاك قربك سيدي لازال قربك والبقاء طويلا
وحمدت ربي في إجابة دعوتي فرأيت حمدي عند ذاك قليلا

قال الراوي مامعناه : لمازارها الرشيد قال لها « غنيني بالخي » فقالت « وحياتك لاعملن فيك شعراً ولاصوغن فيه لحناً ولاسمعنك به غناء يطرب الثكل ويرقص المقعد ويشجي المدنف » ثم نظمت من وقتها الثلاثة ابيات التي ذكرناها وغنت بها في لحن جديد من خفيف الرمل فاطرب الرشيد كثيراً واستعادها اياه مرات . ولها فيه ايضاً وقد دعا اخنها العباسة الى زيارته ولم بدعها

مالي نسبت وقد نودي باصحابي وكنت والذكر عندي رائح غادر
انا التي لااطيق الدهر فرفقمك فرق لي بالخي من طول إبعادي

ولها في ابن اخيها الامين وكانت لمامات الرشيد جزعت عليه جزءاً شديداً وترك
اللهو والغناء فلم يزل بها الامين حتى عاودتها وهي كارهة فقالت

اطلعت عاذلتني لومي وتفنيدي وانت جاهلة شوقي وتسبيدي
لا تشرب الراح بين المسمعات وزر ظبياً غرياً نقي الخلد والجيد
قد رنحته شمول فهو منجدل يحكي بوجنته ماء العنايد
قام الامين فاغني الناس كلهم فدا فقير على حال بوجود
ولها في «لبانة» ابنة اخيها علي بن المهدي وكانت من حسان زمانها الفاتنات
وحدثني عن مجلس كنت زينه رسول امين والنساء شهود
فقلت له كره الحديث الذي مضى وذكرك من بين الحديث اريد
وليس شعرها هذا بشيء في جانب غزلياتها فان لها من المقاطيع في «طل» و«رشا»
وهما من ممالك الرشيد ما يكاد يسيل حلاوةً ويقطر ظرفاً ويشرب سلاسةً
ومنها قولها في «رشا» وقد كذبت عنه بزيب

وجد الفؤاد بزيباً وجداً شديداً متعباً
اصبحت من كلي بها صباً كئيباً منصبا
ولقد كبت عن اسمها عمداً لكي لا تغضبها
وجعلت زيب سترةً وكنت امرأً مهجراً
قالت وقد عز الوصا ل ولم اجد لي مذهباً
والله لانت الموداة او تنال الكوكبا

فلما اشتهر انها تكفي عن «رشا» بزيب قالت وقد صحفت زيب بلفظة «ريب»

القلب مشتاق الى ريب ياربما هذا من العيب
قد نمت قلبي فلم استطع الا البكا باعالم الغيب
خبأت في شعري اسم الذي ارته كالحب في الحبيب

وكان لزبيدة زوجة الرشيد جارية اسمها «طفيان» وشت بهامرة الى الرشيد
فقالت عليه تهجوها وفيه مع ادب الكتابة اشد انواع الدم وهو من مبتكراتها المأثورة

«طفيان» خف مذ ثلاثين حجة جديد فلا يبلى ولا يمزق
وكيف بلى خف هو الدهر كله على قدميها في الهواء معلق
فما خرفت خفاً ولم تبل جورباً واما (ثياب فوقه) فتمزق

ولما مات «رشا» أوقلت شبيب في «طل» فقالت وقد صحت اسمه في البيت
الاول نليحاً

ايا سرور البستان طال تشوقي * فهل لي الى «طل» لديك سبيل
متى يلتقي من لبس يهوى خروجه وليس لمن يهوى اليه دخول
عسى الله ان نرتاح من كربة لنا فيلقى اغتباطاً خلة وخليلاً

ولها فيه ايضاً وقد جعلت التصحيف في البيت الثالث

سلم علي ذاك الغزال الاغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له ياغل الباب الرجال
خليت جسدي ضاحياً وسكنت في «طل» الجمال
وبلغت مني غاية لم ادر فيها ما احتيال

ثم صرحت به في ايات أخر تستعطفه بها وتتهمه بالصدود والاعراض وهي قولها
وهو من ارق التشبيب

يارب اني قد عرضت بهجرها فاليك اشكو ذاك يارباه
مولاة سوء تستهين بعبدها نعم الغلام وبشت المولاه
طل ولكنني حرمت نعيمه ووصاله مالم يغثني الله
يارب ان كانت حياتي هكذا ضرراً علي فما اريد حياه

والذي ادبها وخرجها وعلما فنون الشعر انما هو عمرو ابو حفص الشطرنجي وقد
نشأ هذا في دار ابيها المهدي مع اولاد مواليه ثم انقطع بعد موت المهدي الى عالية هذه
ولما زوجت بموسي بن عيسى العباسي خرج معها الى دار زوجها ولما عادت الى القصر بموت
زوجها عاد معها وسمي شاعرهما وهو القائل عن لسانها لما غضب عليها الرشيد

لو كان يمنع حسن العقل صاحبه من ان يكون له ذنب الى احد
كانت عليه اربى الناس كلهم من ان تكافا بسوء آخر الابد
ما عجب الشيء نرجوه ونحرمه ندكت احسب اني قد ملأت يدي

فكانت اياته هذه سبب رضى الرشيد عنها وإقباله عليها ومن احسن الغزل وارفه

قولها

يا عاذلي قد كنت قبلك عاذلاً حتى ابتليت فصرت صبا ذاهلاً
الحب اول ما يكون مجاناً فاذا تمكن صار شغلاً شاغلاً

ارضى فيغضب قاتلي فتمجبوا يرضى القليل وليس يرضى القاتلا
 وكان الرشيد قد استخلفها ان لانكلم « طالا » ولا تشب به في شعرها ولا تسميه
 فخلعت له ثم هم يوماً بالدخول اليها واذا بها تقرأ في سريرة البقرة وقد بلغت الآية « فان
 لم يصبها وابل فطل » وارادت ان تقول « فطل » فقالت « فالذي نهى عنه امير
 المؤمنين » فضحك وقال لها « ولا كل هذا »

هكذا روى القيرواني واما الاصبهاني فقال انه عند ما سمع الرشيد منها ذلك وهما
 الغلام بعد ان قبل رأسها وقال لها « لست امنعك بعد اليوم من شيء تريدته » وعندنا
 ان الرواية الاولى ادنى الى الصحة على ما عهد من غيره الرشيد وانفقه كيف لا
 وهو الهاشمي الابي العزوف النفس ولقد روي عن لسان عليا انها قالت « لا غفر
 الله لي فاحشة ارتكبتها قط ولا اقول في شعري الا عبثاً » وهي التي تقول « ما حرم الله
 شيئاً الا وقد جعل فيها حلال منه عوضاً فباي شيء يحتج عاصيه » وبالجملة لو لم يكن حبها
 للجمال مقصوراً على القليل والقال لما اكثرت من شعرها من ذكرى الهجر والوحشة والشوق
 فما نظمت بيتاً في التشبيب والغزل الا كاد ينطق بعفتها وادبها بغير لسان ويعرب عن
 نزاهتها وتصونها كافصح ترجمان لان النار لانبعثت عن فؤاد اخمدته الشهوات
 واطفأت جذوة الذات وما احلى قولها تشكروا وتألّم وهو من مهلهل الشعر

نام عذالي ولم اتم واشتفى الواشون من سقمي

واذا ما قلت بي الم شك من اهواه في المي

ولو شئنا ان نأتي على جميع اخبارها ومنظوماتها وما ذكر الرواة من بدائعها ونكاتها
 لضاق بنا المقام وادرك القاري الملل فلم نبدأ من الاقتصار على ما اوردنا تبصرة
 للرجال وتذكراً لمن اغفان العلم ولم يعتنن بالفضل من ربات الحجال خاتمين
 هذا الفصل ببيتين « اعلمية » لا يخلون من الحكمة والعبرة لمن يكثر الزيارة والليب تغنيه
 الاشارة

اني كثرت عليه في زيارته فمل والشئ ملول اذا كثرا

وراني منه اني لا ازال ارى في طرفه قصراً عني اذا نظرا

سليم عنخوري

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

نقمة ماورد في الجزء الماضي

✽ اقوال متقدمي فلاسفة الاسلام في الجن ✽

« ابن سينا والفارابي »

قال ابن سينا رحمه الله في كتاب الحدود : الجن حيوان هوائي ناطق مشف الجرم من شأنه ان يتشكل بأشكال مختلفة (قال) وليس هذا رسمه بل هو معنى اسمه اه قال ابو البقاء في كلياته : اي هذا بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدوماً في الخارج او موجوداً ولم يعلم وجوده فيه فان التعريف الاسمي لا يكون الا كذلك بخلاف التعريف الحقيقي فانه عبارة عن تصور ماله حقيقة خارجية في الذهن (ثم قال ابو البقاء) وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قد اعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضاً .

وفي رسالة للمعلم الثاني ابي نصر محمد الفارابي في جواب مسائل سئل عنها مأمثاله : (سئل) فيما رآه بعض العوام في معنى الجن وسأله عن ماهيته (فقال) : الجن حي غير ناطق غير مائت وذلك على ما توجه القسمه التي يتبين منها حد الانسان المعروف عند الناس اعني الحي الناطق المائت ، وذلك ان الحي منه ناطق مائت وهو الانسان ومنه ناطق غير مائت وهو الملك ، ومنه غير ناطق مائت وهو البهائم ، ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن : فقال السائل : الذي في القرآن مناقض لهذا وهو قوله « استمع نفر من الجن فقالوا انا سماء قرأنا عجبا » والذي هو غير ناطق كيف يسمع وكيف يقول : فقال : ليس ذلك بمناقض وذلك ان السمع والقول يمكن ان يوجد للحي من حيث هو حي لان القول والتلفظ غير التمييز الذي هو النطق ، وترى كثيراً من البهائم لا قول لها وهي حية ، وصوت الانسان مع هذه المقاطع هوله طبيعي من حيث هو حي بهذا النوع كما ان صوت كل نوع من انواع الحي لا يشبه صوت غيره من الانواع كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع التي الانسان مخالف لاصوات غيره من انواع الحيوان ، واماقولنا : غير مائت فالقرآن يدل بذلك في قوله تعالى « رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين » اه

« ابو طالب المكي »

قال في قوت القلوب في الفصل الثلاثين في تفصيل خواطر القلوب ما مثاله بعد سرد آيات وقال تعالى « يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك » وقال تعالى « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقال « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » فمن السواء والتعديل والازدواج والتقويم ادوات الظاهر واعراض الباطن وهي حواس الجسم والقلب . فادوات الجسم هي الصفات الطاهرة . واعراض القلب هي المعاني الباطنة قد عدلها الله تعالى بحكمته وسواها على مشيئته وقومها اتقاناً بصنعة، واحكاماً بصنعه (اولها) النفس والروح وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للنجور والتقوى (ومنها) غرضان متمكنان في مكانين وهما العقل والهمى عن حكمين في مشيئة حاكم وهما التوفيق والاغواء (ومنها) نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والايمان فهذه ادوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب في وسط هذه الادوات كالملك وهذه جنوده تؤدى اليه او كالمراة المحلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيهاها ويقدح فيه فيجدها

(ثم قال) فاذا اراد الله تعالى اظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نوراً في القلب فانثرت فينظر الملك الى القلب فيرى ما حدث الله تعالى فيه فيظهر مكاناً فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس ، والملك محبوب على حب الهداية مطبوع على حب الطاعة كما ان العدو محبوب على الغواية مطبوع على حب المعصية فياتي الملك الالهام وهو خطوره على القلب بقدح خراطره بأمر بتقيد ذلك ويحسنه له ويحسبه عليه وهذا هو الهام التنوي والرشد

(ثم قال) ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل اسمائها، فاما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو (الهام)

وما وقع من عمل الشر فهو (وسواس)

وما وقع في القلب من المخاوف فهو (الحساس)

وما كان من تقدير الخير وتأمله فهو (نية)

وما كان من تدبير الامور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو (امنية وامل)

وما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد فهو « تذكر وتفكير »

وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو « مشاهدة »

وما كان من تحدث النفس بمعاشها وتصريف احوالها فهو « هم »

وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو « لم »

ويسمى جميع ذلك « خواطر » لانه خطور همه نفس او خطور عدو بحسد او خطرة ملك بهمس اه ملخصا

« الغزالي »

قال في المضمون الكبير: الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق اختلافًا يكون بين الانواع مثال ذلك القدرة فانها مخالفة للعلم والعلم مخالفاً للقدرة وهما مخالفا للون واللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان والجن اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك فلا بدري اهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والانسان او الاختلاف في الاعراض كالاختلاف بين الانسان الناقص والكمال وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان وهوان يكون النوع واحدًا والاختلاف واقفًا في العوارض كالاختلاف بين الخير والشرير والاختلاف بين النبي والولي ، والظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى ، وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم اعني ان محل العلم بالله تعالى واحد لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل الا في محل واحد وحقيقة الانسان كذلك فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحلين غير متضادين واما ان هذا الجوهر غير منقسم وهل هو متخير ام لا فهذا الكلام عائد الى معرفة الجزء الذي يتجزأ فان استحال الجزء الذي لا يتجزأ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متخير وان لم يستحل الجزء الذي لا يتجزأ فيمكن ان يكون هذا الجوهر متخيرًا — وقد قال قوم لا يجوز ان يكون غير منقسم ولا متخير فان الله تعالى غير منقسم ولا متخير فما الذي يفصل هذا من ذلك وهذا غير مبرهن عليه لانه ربما تبانينا في حقيقة الذات وان سلب عنهما الانقسام والتخير والامور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لان ما سلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل واحد فان ايجاب احتياجهما الى الحل وكونهما في الحل لا يفيد تماثلها فكذلك سلب الاحتياج الى الحل والممكن لا يفيد اشتراك الشئيين ويمكن ان تشاهد هذه الجواهر اعني جواهر الملائكة وان كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة على ضربين اما على سبيل التمثيل كقوله تعالى « فتمثل لها بشرًا سرابًا وكما كان

التي عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي^(١) والقسم الثاني ان يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما ان نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها فكذلك بعض الملائكة وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفاً على اشراق نور النبوة كما ان محسوسات عالمنا هذا موقوف عند الادراك على اشراق نور الشمس وكذا في الجن والشياطين اه

وقال الغزالي في الاحياء في بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس بعد تمهيد مقدمة ما مثاله : فبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يفسر في العاقبة الى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاماً والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواساً ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب ، فهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى (ملكاً) وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى (شيطانا)^(٢) والطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى (توفيقاً) والذي يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى (اغواء وخذلانا) فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة . و (الملك) عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك . (والشيطان) عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهام بالخير بالفقر . فالوسوسة في مقابلة

(١) وقال الغزالي قبل ذلك في محب الرواية : وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى انه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول مثالا مؤديا عن جبريل ما اوحى اليه وكذلك قوله تعالى « فتمثل لها بشرًا سويًا » اه

(٢) يؤيده آية من شر الوسواس (والوسواس) حقيقة في المصدر الذي هو الوسوسة . ويشبهه للغزالي هنا قول من قال ان الشيطان قوة من جملة القوى الانسانية وهكذا قال الراغب : كل قوة ذميمة للانسان فهو شيطان .

الالهام . والشيطان في مقابلة الملك . والتوفيق في مقابلة الخلدان . واليه الاشارة بقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين)

« ابن حزم »

قال رحمه الله في كتابه الفصل في الكلام على الجن ووسوسة الشيطان ونعله في المصروع :
لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم ايضاً بضرورة
العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل
يخلق ما يشاء ، ولا فرق بين ان يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء —
وبين ان يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك
سواء ويمكن في قدرته لكن لما اخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى علي
ابديهم من المعجزات المحيية للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة
العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبانهم امة عاقلة متميزة ممتدة موعودة
متوعدة متاسلة يموتون واجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون
واكثر اليهود ، وهم يروننا ولا نراهم قال انه تعالى « انه يراكم هو وقيله من حيث لا ترونهم »
فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل « الا ابليس كان من الجن » ، واذا خبرنا
الله عز وجل اننا لانراهم فن ادعى انه يراهم اورايم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء
عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفلت عليه
الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة اخي سليمان ولولا ذلك لاصبح
موثقاً يراه اهل المدينة او كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن ابي هريرة الذي
رأى انما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل الى وجود خبر يصح برواية
جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات او عمن لا خير فيه

وهم اجسام رفاق صافية هوائية لا الوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب
وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » والنار
والهواء عنصران لا الوان لها وانما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتنازجها برطوبات
ما تشعل فيه من الحطب والكثبان والادھ ان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم
بحاسة البصر ولولم يكونوا اجساماً صافية رفاقاً هوائية لادر كاهم بحاسة اللمس

وصح النص بانهم يوسوسون في صدور الناس وان الشيطان يجري من ابن آدم
محروسه الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا ان الله عز وجل جعل لهم قوة

يتوصلون بها الى قذف ما يوسوسون به في النفوس ، برهان ذلك قول الله تعالى « من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتبدل اعزازه وصورته واخلاقه وتثور نار ربه ، ويرى من يحب فيثور له حال اخرى ويتهيج وينبسط ، ويرى من يخاف فتحدث له حال اخرى من صفة ورعثة وضعف نفس ، ويشير الى انسان آخر باشارات يحيل بها طبائعه فيغضبه مرة ويحججه اخرى ويقرعه ثالثة ويرضيه رابعة ، وكذلك يحيلها ايضا بالكلام الى جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل الجن قوى يتوصلون بها الى تغيير النفوس والتذف فيها بما يستندعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجرى الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجري في حشاها مرة كجري معين الماء في قصب الآس

(واما الصرع) فان الله عز وجل قال « كالذي يقبضه الشيطان من المس » فذكر عز وجل تأثير الشيطان في الصرع انما هو بالماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال ما لا علم به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل « ولا تقف ما ليس لك به علم » وهذه الامور لا يمكن ان تعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق فصح ان الشيطان يمس الانسان الذي يسلطه الله عليه مساً كما جاء في القرآن يثير به من طبائعه السوداء والابخرة المتصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل معرّوع بالاخلاق منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما ناهمه وهذا هو نص القرآن وما توجب المشاهدة وما زاد على هذا غفراوات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى تأييد اه كلام ابن حزم

« الفخر الرازي »

قال في مباحث الاستعاذة من اوائل تفسيره : اطبق الكل على انه ليس الجن والشياطين عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجب وتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان (الاول) انها اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة ولها عقول وافهام وقدرة على اعمال صعبة شاقة (والقول الثاني) ان كثيرا من الناس اثبتوا انها موجودات غير متحيزة ولا حالة في التحيز وزعموا انها موجودات مجردة عن الجسمية (قالوا) وهذه الارواح قد تكون مشرقة الية خيرة سعيدة وهي المسماة بالصالحين من الجن . وقد تكون كدرة سفلية شريرة وهي المسماة بالشياطين (ثم قال)

واعلم ان قوما من الفلاسفة طعنوا في هذا المذهب وزعموا ان المجرد يمتنع عليه ادراك الجزئيات والمجردات يمتنع كونها فاعلة للافعال الجزئية : وهذا باطل لوجهين (الاول) انه يمكن ان نحكم على هذا الشخص المعين بانه انسان وليس بفرس والقاضي على الشئتين لا بد وان يحضره المقضي عليهما فهنا شئ واحد هو مدرك للكل وهو النفس فيلزم ان يكون المدرك للجزئي هو النفس (الثاني) هب ان النفس المجردة لا تقوى على ادراك الجزئيات ابتداء لكن لا نزاع انه يمكنها ان تدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانية فلم لا يجوز ان يقال ان تلك الجواهر المجردة المسماة بالجن والشياطين لها آلات جسمانية من كوة الاثير او من كوة الزهرير ثم انها بواسطة تلك الآلات الجسمانية تقوى على ادراك الجزئيات وعلى التصرف في هذه الابدان

واما الذين زعموا ان الجن اجسام هوائية او نارية فقالوا الاجسام متساوية في الحجمية والمقدار وهذان المعنيان اعراض فالاجسام متساوية في قبول هذه الاعراض ، والاشياء المختلفة بالماهية لا يمنع اشتراكها في بعض اللوازم فلم لا يجوز ان يقال الاجسام مختلفة بحسب ذواتها المخصوصة وما هيئاتها المعينة وان كانت مشتركة في قبول الحجمية والمقدار واذا ثبت هذا فنقول لم لا يجوز ان يقال احد انواع الاجسام اجسام لطيفة نفاذة حية لذواتها عاقلة لذواتها قادرة على الاعمال الشاقة لذواتها وهي غير قابلة للتمزق والتمزق واذا كان الامر كذلك فتلك الاجسام تكون قادرة على تشكيل انفسها باشكل مختلفة ثم ان الرياح العاصفة لا تمزقها والاجسام الكثيفة لا تفرقها ، اليس ان الفلاسفة قالوا ان النار التي تنفصل عن الصواعق تنفذ في اللحظة اللطيفة في بواطن الاجمار والحديد وتخرج من الجاذب الآخر فلم لا يفعل مثله في هذه الصورة ، وعلى هذا التقدير فان الجن تكون قادرة على النفوذ في بواطن الناس وعلى التصرف فيها وانها تبقى حية فعالة مصونة عن الفساد الى الاجل المعين والوقت المعين ، فكل هذه الاحوال احتمالات ظاهرة والدليل لم يبق على ابطالها فلم يميز المصير الى القول بابطالها

(ثم قال الرازي) اعلم ان الانسان اذا جلس في الخلوة وتواترت الخواطر في قلبه فرجا صار بحيث كأنه يسمع في داخل قلبه ودماعه اصواتا خفية وحرورا خفية فكأن متكلم يتكلم معه ومخاطبا يخاطبه فهذا امر وجداني يجده كل احد من نفسه . ثم اختلف الناس في تلك الخواطر فقالت الفلاسفة ان تلك الاشياء ليست حروفا ولا اصواتا وانما هي تخيلات الحروف والاصوات وتخييل الشئ عبارة عن حضور اسمه ومثاله في الخيال

وهذا كما انا اذا تخيلنا صور الجبال والبحار والاشخاص فاعيان تلك الاشياء غير موجودة في العقل والقلب بل الموجود في العقل والقلب صورها وامثلتها ورسومها وهي على سبيل التمثيل جارية مجرى الصورة المرتسمة في المرآة فانا اذا احسنا في المرآة صورة الفلك والشمس والقمر فليس ذلك لاجل انه حضرت ذوات هذه الاشياء في المرآة فان ذلك محال وانما الحاصل في المرآة رسوم هذه الاشياء وامثلتها وصورها ، واذا عرفت هذا في تخيل المبصرات فاعلم ان الحال في تخيل الحروف والكلمات المسموعة كذلك فهذا قول جمهور الفلاسفة ،

ولقائل ان يقول هذا الذي سميت به تخيل الحروف والكلمات هل هو مساو للحرف والكلمة في الماهية اولاً فان حصلت المساواة فقد عاد الكلام الى ان الحاصل في الخيال حقائق الحروف والاصوات والى ان الحاصل في الخيال عند تخيل البحر والسماء حقيقة البحر والسماء — وان كان الحق هو الثاني وهو ان الحاصل في الخيال شيء آخر يخالف للمبصرات والمسموعات فحينئذ يعود السؤال وهو ان كيف نجد من انفسنا صور هذه المراتب وكيف نجد في انفسنا هذه الكلمة والعبارة وجداناً لانك انها حروف متوالية على العقل والفاظ متعاقبة على الذهن فهذا ينتهي الكلام في كلام الفلاسفة اما الجمهور الاعظم من اهل العلم فانهم سلموا ان هذه الخواطر المتوالية المتعاقبة حروف واصوات حقيقية

واعلم ان القائلين بهذا القول قالوا فاعل هذه الحروف والاصوات اما ذلك الانسان او انسان آخر واما شيء آخر روحاني مبين يمكنه لقاء هذه الحروف والاصوات الى هذا الانسان سواء قيل ان ذلك المتكلم هو الجن والشياطين او الملك واما ان يقال خالق تلك الحروف والاصوات هو الله تعالى (اما القسم الاول) وهو ان فاعل هذه الحروف والاصوات هو ذلك الانسان فهذا قول باطل لان الذي يحصل باختيار الانسان قادراً على تركه فلو كان حصول هذه الخواطر بفعل الانسان لكان الانسان اذا اراد دفعها وتركها لقدر عليه ومعلوم انه لا يقدر على دفعها فانه سواء حاول فعلها او حاول تركها تلك الخواطر تتوارد على طبعه وتلقب على ذهنه بغير اختياره

(واما القسم الثاني) وهو انها حصلت بفعل انسان آخر فهو ظاهر الفساد . وباطل هذان القسمان بقي (الثالث) وهي انها من فعل الجن او الملك او من فعل الله تعالى (اما للذين قالوا) ان الله تعالى لا يجوز ان يفعل القبائح فاللائق بمذهبهم ان يقولوا ان هذه

الخواطر الخبيثة ليست من فعل الله تعالى فبقي انها من احاديث الجن والشياطين ، واما الذين قالوا انه لا يقبح من الله شيء فليس في مذاهبهم مانع يمنعهم من اسناد هذه الخواطر الى الله تعالى (اهـ)

« الماوردي »

قال في كتابه اعلام النبوة : الجن من العالم الناطق المميز يتناسلون ويموتون ، واشخاصهم محجوبة عن الابصار ، وان تميزوا بافعال وآثار ، الا ان يخص الله برويتهم من يشاء ، وانما عرفهم الانس من الكتب الالهية ، وما تخيلوه من آثارهم الخفية ، (ثم قال) : واختلفوا في الشياطين فزعم قوم انهم كفار الجن يتناسلون ويموتون وزعم آخرون انهم غير الجن وانهم من ولد ابليس واختلف من قال بهذا في تناسلهم وموتهم فذهب فريق منهم الى انهم يتناسلون ويموتون وذهب آخرون الى انهم كابلوس لا يموتون الا معه وان تناسلهم انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون ، فان انكر قوم خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية قهرتهم براهين العقول وحجج القياس (ثم اصعب في ذلك رحمه الله)

« القاشاني »

قال في تفسير آية « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن » في سورة الاحقاف ماثله : الجن نفوس ارضية تجسدت في ابدان لطيفة مركبة من لطائف العناصر سماها حكماء الفرس (الصور المائلة) ولكونها ارضية متجسدة في ابدان عنصرية ومشاركتها الانس في ذلك سيما ثقيلين وكما امكن الناس التهدي بالقرآن امكنهم وحكاياتهم من المحققين وغيرهم اكثر من ان يمكن رد الجميع ووضح من ان يقبل التأويل :

وقال في تفسير سورة الجن : قد مر ان في الوجود نفوسا ارضية قوية لاني غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا علي حيات النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية — ولا في صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتصل بالعالم العلوي وتجرد او تتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية والنارية والدخانية علي اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء (الصور المعلقة) ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ، والاكات قريبة بالطبع الى الملكوت السماوي امكها ان تتلق من علمها بعض الغيب فلا تستبعد ان ترتقي الى اقنى السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اي

النفوس المجردة — ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ، ولا تنكر ان تشتعل اجرامها بالدخانية باشعة الكواكب فتحترق وتهلك او تنزجر من الارتقاء الى الافق السماوي فتتسفل فانها امور ليست بخارجة عن الامكان اه
« القاضي ابو يعلى بن الفراء »

نقل عنه السفاريني انه قال : الجن اجسام مؤلفة واشخاص ممثلة ويجوز ان تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافاً للمعتزلة في قولهم انهم اجسام رقيقة ولرقمتها لانراها (قال) : ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله ضرباً من ضروب الافعال اذا فعله نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على امر اذا فعله نقله الله عن صورة الى صورة اخرى لجري العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء ، واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها (قال) والتقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك (وسيأتي في اول الخاتمة بحث تمثل الروحاني مفصلاً)

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

نقل عنه السفاريني انه قال : لم يخالف احد من طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور الأكتمار لان وجودهم تواترت به اخبار الانبياء تواترا معلوماً بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة (قال) ولم ينكر الجن الاثرزمة قليلة من جهال الفلاسفة وضوم ، (وقال) ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلا يكون ما امروا به وما نهوا عنه مساوياً لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركون في جنس التكليف بالامر والنهي والتحليل والتحریم ، لا نزاع اعلمه ابن العلماء : (وقال في تفسير سورة الاخلاص) ان الفلاسفة كلامهم في الالهيات والكليات العقلية كلام فاسر جداول في تخليط كثير وانما يتكلمون جيداً في الامور الحسية الطبيعية وفي كتاباتها فكلامهم فيها في الغالب جيد ، واما الغيب الذي يتخبر به الانبياء والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها وتقسم الموجودات فسمه صحيحة فلا يعرفونها البتة فان هذا لا يكون الا من احاط بانواع الموجودات وهم لا يعرفون الا قليلاً من الموجودات وما لا يشهد الآديون من الموجودات اعظم قدراً وصفة مما يشهدونه بكثير ، ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة اذا سمعوا

اخبار الانبياء بالملائكة والعرش والكروبي والجنة والنار وهم يظنون ان لا موجود الا ما علموه هم والفلاسفة يهيمون حائرين مأولين الكلام الانبياء على ما عرفوه وان كان هذا لادليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم فان عدم العلم ليس علماً بالعدم لكن نفهم هذا كفي الطبيب للجن لانه ليس في صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن والا فليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن وهكذا تجد من عرف نوعاً من العلم واماز به على العامة الذي لا يعرفونه فيبقى بجهله نافياً لما لا يعلمه ، وبنو آدم ضالهم فيما جحدوه ونفدوه بغير علم اكثر من ضالهم فيما اثبتوه وصدقوا به قال تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا به وما يأتيهم تأويله » اه وقد اسهب رحمه الله في كتابه الفرقان - المطبوع - فيما يتعلق بالجن والشياطين فليراجع

« ابن القيم »

قال رحمه الله في زاد المعاد في علاج الصرع ما مثاله : الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية - وصرع من الاخلاط الردية . والثاني هو الذي ينكلم فيه الادباء في سببه وعلاجه . واما صرع الارواح فائمتهم وعقلاتهم يعترفون بان علاجه بمقابلة الارواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الارواح الشريرة الخبيثة فتدفع آثارها وتعارض افعالها وتبطلها . وقد نص على ذلك بقراط في بعض كتبه فذكر بعض علاج الصرع وقال : هذا انما ينفع من الصرع الذي سببه الاخلاط والمادة واما الصرع الذي يكون من الارواح فلا ينفع فيه هذا العلاج : واما جهلة اطباء فينكرون صرع الارواح ولا يقرون بانها تؤثر في بدن المصروع وليس معهم الا الجهل والا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك والحس والوجود شاهد به ، واحالتهم ذلك على غلبة بعض الاخلاط هو صادق في بعض اقسامه لافي كلها ، وقدماء اطباء يسمون هذا الصرع المرض الالهي وقالوا : انه من الارواح ، واما جالينوس وغيره فتأولوا عليهم هذه التسمية وقالوا : انما سموها بالمرض الالهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس فتضر بالجزء الالهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ : وهذا الأثر يل نشأ لهم من جهلهم بهذه الارواح واحكامها وتأثيراتها وجاءت زنادقة الاطباء فلم يثبتوا الا صرع الاخلاط وحده ، ومن له عقل ومعرفة بهذه الارواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء الاطباء وضعف عقولهم

(ثم قال ابن القيم) هذا ولو كشف الغطاء لرأيت اكثر النفوس البشرية صرعى

مع هذه الارواح الخبيثة وهي في اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الا تمتاع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الاعظم الذي لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والمعاينة فذاك يتحقق انه كان هو المصروع حقيقة

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح الى الايمان بما جاء به الرسل عليهم السلام « الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده »

قال في تفسير قوله تعالى « الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » الموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا يعرفهم وانما نجد في انفسنا اثرا بنسب اليهم ، ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر يحدث منها في نفسه خواطر السوء :

وقال في موضع آخر : ^(١) ان الهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم وقد اسندنا الى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى الهاما وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محلله الروح فالملائكة والشياطين اذن ارواح تتصل بارواح الناس . فلا يصح ان تمثل الملائكة بالتأثيل الجثمانية المعروفة لنا لان هذه لو اتصلت بارواحنا فلما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لانحس بشيء يتصل بابداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الابدان قطعاً

(ثم قال) يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهيم بامر فيه وجه للحق او للخير ، ووجه للباطل او للشر ، بان في نفسه تنازعا كان الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يوزد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينصرف احد الطرفين ، ويترجح احد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي اودع في انفسنا ونسميه قوة وفكراً — وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقة — لا يبعد ان يسميه الله تعالى ملكاً ويسمي اسبابه ملائكة او مآشاء من الاسماء فان التسمية لا تجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع اه وسبق في كلام الغزالي نحوه وسأاتي في الخاتمة عن الراغب الاصفهاني ما يؤيده

﴿ خاتمة ﴾

« في فوائد متفرقات من شوارد هذه المسألة »

(أ) للباحثين في تمثّل الارواح آراء عديدة وانظار متنوعة نذكر منها طرفا قال في الخلاصة : اعتقاد قدماء اليهود بمهية الارواح المغيبة انها اما هواء خالص او لهيب نار (ثم قال) فعلى هذا فالملائكة اجسام هوائية لطيفة لا ترى مالم تمثل كالهواء الذي تنفسه فانه جسم لكنه غير مبصر انا (ثم قال) واقرب شاهد للتمثّل هو الهواء فانه وان لم يقبل في حال تخاخله شكلا ولا لونا الا انه متى تكاثف امكن تشكّله وتلونه كما يتفخ في السحاب وعلى هذا النمط يجوز ان تتكثف اجسام الملائكة بالقدرة الربانية على قدر ما يلزم لتكوين الجسم المراد اتخاذه ويقدر ان يتجسد ان يفعلوا افاعيل حيوية اه

وقد منا عن القاضي ابي يعلى انه قال : لا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله ضربا من ضروب الافعال اذا فعله نقله الله من صورة الى صورة الخ : ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن امام الحرمين ان تمثّل جبريل معناه ان الله افنى الزائد من خلقه او ازاله عنه ثم يعيده اليه بعد . وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون الفناء وقرر ذلك بانه لا يلزم ان يكون انتقالها موجبا لموته بل يجوز ان يبقى الجسد حيا لان موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بعض خلقه ونظيره انتقال ارواح الشهداء الى اجواف طير خضر تسرح في الجنة ، وقال شيخنا شيخ الاسلام — زكريا الانصاري — ما ذكره امام الحرمين لا ينحصر الحال فيه بل يجوز ان يكون الآتي هو جبريل بشكّله الاصلي الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل واذ ترك ذلك عاد الى هيئته ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد ان كان متنفشا فانه بالنفث يحصل له صورة كبيرة وذاته لم تتغير وهذا على سبيل التقريب والحق ان تمثّل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ايضا ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الراي فقط والله اعلم اه كلام الحافظ كله مبني على حمل الاطلاق في موارد على الحقيقة فليتأمل وقال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في رسالة التوحيد : اما وجود بعض الارواح العالية — وهم الملائكة المكرمون — وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية (الانبياء عليهم السلام) فما للاستحالة

فيه بعد ما عرفنا من انفسنا وارشدنا اليه العلم قديم ووحيد، من اشتمال الوجود على ما هو
الطف من المادة وان غيب عنا فاي مانع من ان يكون بعض هذا الوجود اللطيف
مشرفا لشيء من العلم الالهي وان يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه فاذا جاء به الخبر
الصادق حملنا على الاذعان بسحته ، اما تمثل الصوت واشباح تلك الارواح في حس
من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند اعداء الانبياء المايعة عنه في بعض الصابين
بامراض خاصة على ذمهم فقد سلموا ان بعض عقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل الى
درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله ان يرى ويسمع بل يجالده ويصارع ولا شيء
من ذلك في الحقيقة بواقع فان جاز التمثيل في الصور المعقولة ولا منشأ لها الا في النفس
وان ذلك يكون عند عروض عارض على الخ فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفس
العالية وان يكون ذلك لها عند ما تنزع عن عالم الحس ، وتتصل بمحطائر القدس ، وتكون
تلك الحال من لواحق صحة العقل في اهل تلك الدرجة لا تنصاص مزاجهم بما لا يوجد
في مزاج غيرهم ؟ وغاية ما يلزم عنه ان يكون لعلاقة ارواحهم بابدانهم شأن غير معروف
في تلك العلاقة من سوام وهو ما يسهل قبوله بل يتحتم لان شأنهم في الناس ايضا غير
الشؤون المألوفة وهذه المغايرة من اهم ما امتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم ، والدليل
على سلامة شهودهم وصحة ما يحدثون عنه ان امراض البلب تد في بدوائهم وان ضعف
العزائم والاعتول بتبدل بالقوة في امهم التي تأخذ بمقابلهم ، ومن المنكر في البدئية ان يصدر
الصحيح من معتل ، ويستقيم النظام بمختل اه وقد مناعن الغزالي كلمة في تمثيل الملك فتذكره
(ب) شاع وصف الجن « بالارواح » في المأثور وفي كلام الحكماء قال ابن
الاثير في حديث : اني اناج من هذه الارواح : الارواح هي اكتابة عن الجن سموا
ارواحا لكونهم لا يرون فهم بمنزلة الارواح : الا انه غلب لفظ « روح » مفردا . في
التنزيل الكريم على الملك قال في الخلاصة : ان كلمة « روح » التي بوصف بها الملائكة
تتضمن معنى يداد على ما هيتهم وهو انهم مجردون عن كثافة الاجسام فليسوا مثلنا
(قال) لان اصل معنى الروح في العبراني واليوناني كما في الربيع اي هراء متحرك
وكأن لغة البشر تقصر عن التعبير بتمام الكنه والحقيقة فاكتفى بلفظ يوضح الحقيقة وان
لم يحلها تمام الجلاء اه وتال ابن الاثير في حديث (الملائكة الروحانيون) يروى بضم
الراء وفتحها كأن : نسبة الى الروح او الروح وهو نسم الريح والالف والنون من زيادات
النسب ويريد به انهم اجسام لطيفة لا يدركها البصر اه

وفي كليات ابي البقاء : الروح بالضم هو الريح المتبردد في مخارق الانسان ومنافذه واسم للنفس الخ وفي التاج عن الفراء قال : سمعت ابا اليعيث يقول : الروح انما هو النفس الذي يتنفسه الانسان وهو جار في جميع الجسد فاذا خرج لم يتنفس بعد خروجه : وفي نقد المحصل للطوسي : الفلاسفة يفرقون بين النفوس والارواح فان النفوس عندهم جواهر بسيطة مجردة متعلقة بالابدان ، والارواح اجسام مركبة من الابخرة والادخنة المرتفعة من الدم المحتبس في العروق : وروى ابن جرير عن قتادة في تفسير آية « ويسئلونك عن الروح » قال الروح هو جبريل قال قتادة : وكان ابن عباس يكتبه ثم اسند الى ابن عباس ان الروح ملك وكذا عن علي رضي الله عنه انه قال : هو ملك من الملائكة : (ج) جاء في معجم لاروس : ان سقراط كان يزعم ان له شيطاناً خاصاً يوحى اليه مقاصده وجميع مبادئ فلسفته وحكمته . فادعى بعضهم ان ذلك كان روحاً او عاملاً فوق قوة البشر واطلق آخرون هذا الاسم على معنى ادبي لطيف وحاسة طبيعية رائعة سريعة الادراك انتهت تجارب طويلة وهم على ما يرون ان شيطان سقراط لم يكن غير الهامات باطمة تعرض لقلبه وعقله موقنة عند تصور اعلی مطالب الفلسفة فمعنى استشارة سقراط لشيطانها الخاص هو انه يستشير الهامه الداخلي وعقله وحكمته التي لا يراها نفحة ونعمة بل هي منبعثة عن الالهية وهي جزء منها . ورأى آخرون ان هذا الزعم كان من سقراط حيلة يريد ان يتوصل بها الى تحقيق اصلاح سياسي كبير . والظاهر ان سقراط اقتنع بصحة ما وقع في نفسه فلم يخافه ولا تلامذه ادنى شك في مدعاه وكان ذلك من أكد الاسباب في الحكم عليه بالموت .

وجاء فيه ايضاً في مادة جنى : ان الجن في الاساطير الرومانية اشارة الى الشيطان عند اليونان وهي عبارة عن الروح او المبدأ الحيوي فكانوا يذهبون الى ان كل عمل يعمله الانسان يملئه عليه شيطانه الخاص . فالظاهر انه كان من تأثيرات الزندقة الطبيعية ان توهم عامة اللاتين بان للمرء شيطانين وذلك ليحلوا كما يشاؤون مسألة الخير والشر فشيطان الخير يوحى الافكار الصالحة النافعة وشيطان الشر يلهم الاعمال الشريرة والحوادث المكدره وهكذا رأى القائدان بروتوس وكاسيوس عند ما كتبت الهزيمة على اعلامهما شيطانيهما الشريرين

وكان القوم في رومية يعبدون الشياطين الخاصة والشياطين المحلية فاذا ولد لم ولد يقومون باحتفال اكراما لشيطانهم وكثيراً ما تقدم فاكهة وثمار لشياطين المكاتب وعلى

عهد الامبراطورية كان شيطان الامبراطور يعبد عبادة خاصة اكراما واحتراما اه
(د) جاء في دائرة المعارف البريطانية ما تعريه :

ان كلمة الشيطان هي اسم وضع في الانجيل والمذهب النصراني على شرير كبير يظن انه يرأس مملكة من الارواح الخبيثة وهو الملك فيها وانه عدو لله دائما واللفظة العبرية وهي الشيطان الدالة على معنى المعاكسة ايضا تستعمل لهذا الشرير الكبير او ملك مملكة الشر ومما لاشك فيه ان روحا خبيثة كهذه كثيرا ما استعملت في العهد الجديد وقد سمي باسماء متعددة غير ما ذكر مثل كلمة المحتقن ، بعل زوب ، ملك الشياطين ، القوى ، الشرير الخاطي ، العدو الاله ، وهذه الاسماء استعملت مترادفة في الانجيل وحيثما استعملت تدل على نفس القوة المتحركة الشريرة الخارجة عن الانسان والمؤثرة فيه او التي لها سلطة عليه ومن المسائل ما هو مبالغ اعتقاد المسيح نفسه في وجود مثل هذه القوة الخبيثة الالهة مما لاشك فيه ان قوة كهذه كان معترف بها في معتقدات اليهود في ايامه ومن المحتق ايضا ان هذا الاعتقاد بين اليهود لم يتم دفعة واحدة بل نشأ على مهل ولا يتأثره المطالع في العهد القديم بوضوح كما نجد واضحا في العهد الجديد وفي الحقيقة ان كلمة الشيطان لا توجد في التوراة الا في خمس مواضع وفي آثار الانبياء العبريين الاولى لا يوجد اعتراف بروح شريرة تقاوم ارادة الله والصورة التي صورت بها هذه الروح الشريرة في آثار متأخريهم تختلف كثيرا عن الصورة التي صورها متأخرو علماء اللاهوت . اذا ما هو اصل الاعتقاد بالشيطان من حيث انه روح خبيثة مطرودة « فالجواب » الذي يذكره المنقحون من المعاصرين ان هذا الاعتقاد نشأ من اختلاط اليهود بالفرس لما كانوا منفين في بلاد فارس فالاعتقاد الفارسي يقسم الدنيا بين الهين موجودين مختلفين الواحد خير والآخر شر الا ان كليهما له حصّة في الخلق والانسان . فاهرمزده كان مقدسا صادقا تجب له العبادة والاحترام واما اهرمن روح الظلام ذو العقل الشرير فلم يكن اقل قدرة وكان يدعي الحق بمساواة اهرمزده من حيث اطاعة الانسان له « وفي القرون الوسطى » كان الاعتقاد بالشيطان عظيما فالقدسيون كانوا يحسبون انفسهم وغيرهم بخضام دائم معه ومن الصعب علينا الآن ان نتصور مقدار التأثير لهذا الاعتقاد في معيشة الناس حينئذ فانه كان الفكر الثابت في رأس كل انسان خصوصا من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وهي مدة يمكننا ان نعد هذه الخرافة بلغت فيها منتهاها ومن المحتق ان هذه العقيدة لم تنقص الا قليلا في

القرن الخامس عشر بل حتى في القرن السادس عشر او السابع عشر ، ولوثيروس كان يشعر دائما بتماس الروح الشريرة ومعاكستها في مكتبته وفي فراشه وحجراته كان الشيطان يتداخل في اشغاله او راحته ولما كان يباشر درسه سمع صوتا عرفه حالا انه صادر من عدوه « الشيطان » « قال » فلما وجدت انه يريد ان يعود مرة ثانية الى عمله جمعت كتيبي وذهبت الى فراشي وسمعته مرة ثانية في الليل ماشيا في الرواق لكنني لما كنت اعلم انه الشيطان لم اهتم به بل غرقت في نومي وكذلك يقول لوثيروس ولما افقت في هذا الصباح باكرا جاءني الشرير وابتدأ يجادلني فقال لي انت مذنب عظيم فاجبه الا يمكنك ان تأتيني نبأ جديديا شيطان . ولما تقدم المعقول في القرن الثامن عشر تناقص هذا الاعتقاد بانتشار التأثيرات الشيطانية والشعور بما فوق الطبيعة تضاعف من جميع جهاته ولا سيما الاعتقاد القديم بسلطة الشيطان المطلقة على مصير الانسان ومع ان الشعور الديني ازداد كثيرا منذ ذلك الحين فلا يمكن ان يقال بان الاعتقاد القديم بالشيطان واعماله تجدد ومن الممكن ان يكون اعتقاد النصرانية اليوم ان هنالك قوة شريرة في العالم اما كس ارادة الله ولكن هل هذه القوة هي شخص وما هو فعلها في ارادة الانسان وايضا هل هنالك مملكة ارضية للشياطين يرأسها ملك وما هي علاقة هذه المملكة الشيطانية بمصير الانسان ؟ كل ذلك مسائل لم نقرر بعد او مشكوك بها في اي مذهب من مذاهب الكنيسة . ووظيفة هذا التغير في اعتقاد النصراني من غير ان نبين منافعه او غير ذلك ومن المحقق ان الاعتقاد بالشيطان لا يشغل مكانا عظيما في تصورات النصراني اليوم كما كان من ذي قبل وانه ليس لسلطته الآن الاثر الذي كان له في الانسان واختباره اه كلام دائرة المعارف البريطانية ولم نورد مع كلام المعجم قبلها الا ليمت للواقف على هذه المسألة الاطلاع على آراء بقية المفكرين من الملل الاخرى فيها

(هـ) تزعم الفرس ان الجن يسكنون في بلاد حتى جنتان ويسميهن اشعراوهم ارض الغفاريات والحيات ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افريقية ومنهم من يقول ان قمرهم في جزيرة الحيات في بحر الهند ويصورونهم هيئة مخيفة بقرون طويلة واذناب وعيون مشقوقة طولا وشعر واقف كذا في دائرة المعارف

(و) قال ولي الدين : يدعي بعض شيوخ الضلالة ورسد البهتان ان لهم تعازيم يستخفرون بها الجن ويجعلونهم تحت تصرفهم ولا يزال لهذه الاضاليل اثر يذكر يتناقله الناس ويعتقدون بصحته اه

(ز) قال الرازي في مقدمة تفسيره في بحث الاستعاذة : هؤلاء الذين يمارسون صنعة التعزيم اذا تابوا من الاكاذيب بعترفون بانهم قط ما شاهدوا اثرا من هذا الجن « قال الرازي » وذلك مما يغلب على الظن عدم هذه الاشياء « قال » وسبعت واحداً من تاب عن تلك الصنعة قال : اني واظبت على العزيمة الفلانية كذا من الايام وما تركت دقيقة من الدقائق الا اتيت بها ثم اني ما شاهدت من تلك الاحوال المذكورة اثرا ولا خبرا اه

(ح) ذكر بعض المحققين ان ابليس علم جنس للشيطان معرب ذيا فابوليس باليونانية ومعناه موقع الخلاف او مطغي او مبعدا الانسان عن سبيله ، ويتضمن اسمه معنى آخر في كتب الوحي وهو رئيس الارواح الشريرة « قال » وكان شعرا ، الفرس الذين ينظمون في الخرافات يصفونه بلون اسود وعينين نقد فان نارا ورائحة كبريتيه وقرون وذنب واظافر معوجة وحافرين مشقوقين اه

(ط) لفظ شيطان عبراني بمعنى محاصم او مضاد ثم اطلق على روح شريرة غير مرئية تدعو الى المعاصي والآثام « كذا في المرشد » قال الراغب عن ابي عبيدة : الشيطان اسم لكل عارم من الجن والانس والحيوانات « قال » وقد يسمى كل خلق ذميم للانسان شيطانا اه ونقله السيد الزبيدي عنه في تاج العروس شرح القاموس

(ي) قال بعض الافاضل : من الاعتقادات الشائعة ان الجن تسكن بعض الاماكن ولا سيما الخربات والقبور والعيون والآبار والبيوت المهجورة حتى العامرة ايضا فيحتاج اهلها الى الخروج منها وكانوا في الجاهلية اذا ارادوا سكنى دار ذبحوا للجن ذبيحة حتى لا تضرم وهذا الاعتقاد انتقام العهد لم يزل باقيا الى الآن في اماكن كثيرة ورمباروى بعض العامة رأيي واساطير من هذا القبيل ، وما ذلك الا اوهام وتصورات تنتج من الخيلة المنطبعة فيها من جري اكثر الاخبار ، آثار لا تمحي الا بمرور الايام ، وانتشار الوبة العلم في كل الاقطار بحيث تنزق حجب الاوهام ، وتأخذ الحقائق مكانها في افكار الانام ، سهل الله سلوك سبيل العلم والعرفان انه الكريم العلام

جمال الدين القاسمي

الاتكال الشرقي

نصيحة غربي

قليل في القارئین من لم یسمعوا باسم المستر روزفلت ^(١) رئیس جمہوریۃ الولايات المتحدة السابق الذي خدم بلاده اجل خدمة فعد العالم الاجتماعي الاقتصادي والقائد العظيم والسياسي الانساني واعظم ملوك عصره ورؤساء الجمهوريات بلا نزاع

اصل هذا الرجل هولاندي نزل اجداده الولايات المتحدة منذ مائتي سنة وتخرج هو في كلية هارفرد الجامعة وكان قبيل الحرب الاميركية الاسبانية مساعد امين سر وزارة البحرية فلما نشبت الحرب استقال وتطوع في الجيش حتى اذا عاد ظافراً عينته الحكومة والياً على نيو يورك ثم معاوناً للرئيس ماكلي فلما قتل هذا انتخبه الامة رئيساً عليها على الرغم مما كان يكيد له بعض منافسيه في السياسة ثم اعيد انتخابه بعد اربع سنين وهي المدة النظامية لكل رئيس جمهورية • ضرب روزفلت على ايدي رجال الاحتكار في الغرب وطأطأت لاقواله رؤوس ملوك الفولاذ والبترول وغيرهم من الاميركان ونصر المستضعفين والفقراء وهاله اجتماع الثروة في ايدي افراد وحرمان سائر الامة منها فقام يضرب على المحتكرين الرسوم الفاحشة ويداوي الاجسام والجيوب بانفعاله كما يداوي الارواح والعقول باقواله وله عدة تآليف اجتماعية سياسية ومقالات كثيرة في المجالات والجرائد وهو الذي الف بين جمهوريات الجنوب وجمهوريات الشمال وجعل لبلاده مقاماً سامياً في السياسة الخارجية وحل المعضلة التي كانت استحكمت بين روسيا واليابان فاستحق على عمله جائزة السلام انوبل وعينه مجمع العلوم السياسية والاخلاقية في باريز عضواً مراسلاً له دلالة على اعتبار اوروبا لاعماله

ولما لم يرض المستر روزفلت ان يعاد انتخابه لرئاسة الجمهورية للمرة الثالثة عملاً بالتقليد المأثور عن الرئيس واشنطن وجفرسون رأى ان يهجر البلاد مدة ليخلو الجو للرئيس تافت الجديد فرحل الى افر بقية الشرقية ليكمل نفسه في العلم والتجارب ويفيد امته من رحلته حتى اذا عاد الى نيو يورك يوسد اليه تحرير مجلة الاونلوك الاسبوعية

وهكذا يرجع الرئيس من زعامة خمسة وثمانين مليوناً من البشر الراقى الى رئاسة تحرير مجلة • وناهيك بمنصب العلم من منصب

خطب المستر روزفلت في الخرطوم قاعدة الودان جماعة من طلبة المصريين والسوريين في دار احد مرسلي الاميركان في شهر ربيع الاول ١٣٢٨ — آذار ١٩١٠ وانتقد مايرمي اليه كثير من الشبان في اوربا واميركا وافريقية من الرغبة في التوظيف وخدمة الحكومة فارادهم على ترك الانكال والعمل في انعمال المعاش على طريق الاستقلال قال : « فنتي قلت لكم انه يجب عليكم ان تؤيدوا الحكومة لاريد ان يخطر لكم انني اريد من قولي هذا انكم مضطرون الى السعي وراء احراز الوظائف فيها (ذحك) بل ان الامر على عكس ذلك • وارجو يا حضرة الدكتور جفن (رئيس الارسالية الاميركية في السودان) ان الاعمال التي قمت بها هنا والتي تقوم بها سائر المعاهد العلمية التي لكم صلة بها ستري الى تلك الغاية • فتذكرون دائماً ان اعظم الناس خدمة ونفعاً للحكومة هو الرجل الذي يأبى في كل حال ان يشغل وظائفها

أما أنا فلا أريد أن أرى كلية من كليات الارسالية موجهة سعيها الاول وجاعلة غايتها الرئيسة من التعليم مجرد تخريج طلبة لاحراز الوظائف في مناصب الحكومة • بل أريد أن أرى المتخرج مستعداً للعمل باستقلال وبدون اقل اهتمام بأية مساعدة ينالها من راتب يتقاضاه من الحكومة • فان افضل المواطنين شأنًا هو من برع في الهندسة والصناعة والزراعة ومن سوء الحظان يقع في الازدهان سواء في اميركا واوربا وافريقية ان الرجل المتعلم يجب ان يجعل غايته الوحيدة اتخاذ وظيفة في خدمة الحكومة • انني ارجو ان يتخرج من هذا المعهد العلمي وامثاله عدد من افضل الموظفين لخدمة الحكومة في اعمالها العسكرية والمالية ولكن اذا وافقت الاحوال فان موظفي الحكومة بين ملكيين وعسكريين يكونون دائماً العدد الاقل من المتخرجين • لان الغاية العظمى التي يجب ان ترمي اليها المعاهد العلمية هي تخريج رجال يستطيعون العمل بدون مساعدة ويستطيعون ايضا مساعدة انفسهم وغيرهم على استقلال تام بدون ان تكون لهم علاقة بالحكومة • وهذه مسألة اهتم بها كثيراً هنا اهتمامي بها في اميركا بالذات

وفي الختام اقول لانتقوا في الخطأ الذي يقع فيه الشبان منكم فتظنوا ان علمكم قد انتهى بخروجكم من المدرسة او الكلية • بل اعملوا انكم انما انجزتم نصف العلم فأننا الآن

في الخمسين من عمري ولو اني توقفت عن تحسين حالي وزيادة معارفي لشعرت ان قد اوشك ان ينتهي نفعي للجمهور

فعلى كل واحد منكم مني خرج من مدرسته ان لا يقول «الآن قد انتهى تعلمي فني وسعي ان اكسل» بل اريد ان تقولوا «قد سهلوا لي وضع اساس قوي للتعليم الناضج وفيما انا اقوم باعمالى ساء واصل تمرين نفسي وتعليمها فبدلاً من ان تمرى الاتوام وانا واقف في مكاني اراني انقدم واصير اكثر كفاءة للعمل واوفر مقدرة على انجاز الاعمال الحسنة»

هذا ما قاله في هذه الخطبة وهو كما نراه يدعو الى الاستقلال في التربية وقال في خطبة له في القاهرة القاها في الجامعة المصرية ابتدأها بالاسف لانه ليس من اهل العلم ليتكلم بالعربية ولو كان منهم لما تكلم الالبها :

«اجتنبوا الباطل والادعاء الفارغ كما تجتنبون النعصب الديني والجنسي والسياسي . ان في كليات اوربا وكليات بلادنا اموراً كثيرة نستفيدون منها ولكن فيها ايضاً اموراً كثيرة يجب اجتنابها . فاقبضوا عنها ما كان حسناً ولكن انتقدوه قبل اقتباسه حتى تفقوا بأنكم انما تقتبسون ما هو الافضل والاصح لكم .

واهم من اجتناب التقصيرات التعليمية اجتناب التقصيرات الادبية . فانكم ترسلون الطلبة الى اوربا لكي يدرسوا فيها ويستعدوا لان يصيروا اساتذة . وهذا الاستعداد لازم اذ من الامور الجوهرية ان تكون الجامعة مطاعة على احسن ما يجري في معاهد اوربا واميركا العلمية ولكن ليعتن الشبان الذين يرسلون باقتباس كل ما هو حسن وحيد وواجب لارقي انواع التقدم الحديث . وليجتنبوا كل ما كان غير ضروري في تمدن هذا العصر ولا سيما رذائل الامم المتدنة الحديثة ولكن اذهانهم مفتوحة اذ من الخطأ العظيم ان تأبوا اقتباس ما رقي به الغرب في مراقبة القوة والعدل والعيشة الطاهرة وان تنصروا به حاجاتكم ولكن من الخطأ العظيم ايضاً ان تقتبسوا ما كان رخيصة او مبتذلاً او ردياً . ليعلم الذين يرسلون الى اوربا ان فيها اشياء كثيرة يجب ان يتعلموها وأخرى يجب ان يمتنعوها ويرفضوها فليأخذوا الحسن ولينبذوا القبيح .

واعلموا ايها الخلان انه ان كان عندي شيء اقول لكم فذلك الشيء هو ان الاخلاق اهم من العقول بكثير وانه يجب على كل جامعة عظيمة بالفعل ان تسعى في تربية الصفات التي تكون منها الاخلاق اكثر من تربية الصفات التي تقوم بها العقول المثقفة . نعم انه

ما من رجل يبلغ الطبقة العليا بين الرجال اذا لم يكن عاقلاً ذكياً بنفسه ولم يكن مثقفاً بعقل وذكاً اذ الثقيف لازم كالذكاء . ولكن الذكاء وحده لا يجدي مالم يسترشد بقلب مستقيم ومالم تكن وراءه قوة وشجاعة . فالآداب والحشمة والعيشة الطاهرة والشجاعة والمروءة واحترام الانسان لنفسه كلها صفات اهم في تربية الامم من ذكاء العقول فاجعلوا هذه الجامعة بحيث تساعد امتكم على ارتقاء دواماً .

واحدروا خصوصاً من نقص واحد في التربية الغربية فقد كثر الميل في مدارس الغرب العالية الى تعليم الشبان حتى يكونوا رجال علم وادب ورجال صناعات وموظفين في وظائف رسمية كان لاترية حقيقية غير التربية العلمية ولذلك سررت غاية السرور بانكم شرعتم في انشاء المدارس الصناعية والزراعية في مصر اذ التربية العلمية نوع واحد من انواع التربية المختلفة وليس من الحكمة ان يقتصر عليها وحدها سوى جزء قليل من اهل كل البلاد . اما بنية الامة فيجب ان تستبدل ما بنيتها وتتمرن على اعمال أخرى . ان سمو الخديوي في اعماله الكثيرة التي تشاغل جميع وجوه العيشة المصرية اظهر حكمة عالية وبعد نظر وادرك حاجات بلاده بما يظهره من الاهتمام بترقية زراعتها وتحسين الزرع والضرع .

فهذه البلاد كسائر البلدان تحتاج الى عدد معين من الرجال تؤهلهم تربيتهم الانقطاع الى العلم او التعليم في المدارس او تقلد مناصب الحكومة . ولكن ليس من مصلحة بلاد ما ان يصرف الى هذه الامور سوى جزء صغير من ذوي العقول الكبيرة فيها .

ويجب ايضاً ترقية الميل الى الصنائع وتكوين الاهالي حتى يحسنوا الزراعة وينبغي فيها كما ينبغي امرهم الحامين والموظفين وحتى يخرج منهم المهندسون والتجار واصحاب الاعمال الاخرى التي لا غنى عنها في بلاد عظيمة متمدة .

ان وجود سياسي شجاع مستقيم بعيد النظر مفيد في كل بلاد ولكن فائدة تنوقف خصوصاً على اساطعته التعبير عن مشيئة الامة والسياسي النصيب الاوفر في قيامها وللتاجر والزارع والمهندس واهل الفنون الاخرى النصيب الاوفر . كل الامة لا يكون لها من القادة الا الكتبة والساسة والحامون لم تدرك شأواً يستحق الذكر . فأساس الحياة الصحيحة في كل بلاد واجتماع انما هو الرجال الذين يعملون الاعمال المختلفة من حراثة وصناعة وتجارة ولا فرق بين ان يشتغلوا بايديهم او بعقولهم . وخير للانسان

ان يغفل برأسه ويديه معاً فهو لاء هم الذين يعملون الاعمال الكبرى في حياة الجموع وما المشتغلون بالعلوم والمعارف والسياسة والقانون وموظفو الحكومة سوى مكملين لهم .
علّي ان الامر المهم ان يقوم العمل على الامانة والكفاءة مهما يكن مركز العامل من اكبر كبير الى احقر حقير . وما اقولها : اعلّي ضفاف النيل هو نفس ماقلته علّي ضفاف
انهر الهدسون والمسيبي والكولمبيا .

واذكروا دائماً انه لا الفرد ولا الشعب يتربيان التربية الجوهرية بمجرد فعل يفعلانه وانما يتربيان بطريقة تتعاقب فيها الافعال كطريقة النمو فانك لا تجعل الانسان تريبياً ومتعلماً تعلقاً حقيقياً بمجرد اعطائه دروساً معينة وكذلك لا تجعل امة صالحة لان تحكم نفسها بنفسها بمجرد اعطائها دستوراً علّي الورق . بل تربية الفرد وتعليمه حتى يصير صالحاً للعمل في العالم تستغرقان اعواماً طويلة وهكذا تربية الامة واعداها حتى تنجح في قضاء واجبات الحكومة الذاتية لا يتمان في عشر سنوات او عشرين بل يلزمها اجيال متعاقبة »
وخطب ايضاً تليذات كليات البنات الاميركية في القاهرة فقال :

« لانقوم امة في العالم ابداً اذا لم تكن فيها المرأة قادرة على القيام بعملها بمجداة واهلية مثل الرجل وانه من العدل ان تفهم وهي في حداثة السن في مدرستها وتعلم كيف يجب ان تنشأ وترتقي كما يرتقي الرجل ومن الواجب ان لا نتعلم العلوم فقط بل ان تعرف كل ابنة كيف تؤدي اعمالها واشغالها

اني افخر بكل مدرسة لا تقتصر على تلقين العلوم بل تعلم العمل ولا أشك في ان تليذات هذه المدرسة متى صرن صاحبات بيوت يبرهن علّي اقتدارهن علّي ان يقمن في بيوتهن كما تقوم نساء الارسالية في بيوت رجالهن

يسرني جداً في هذه المدرسة انها تعمل علّي قاعدة التسامح الديني . يسرني جداً ماعلته من ان ثلث تليذات هذه المدرسة مسلمات والثلثين مسيحيات واسرائليات ومن طوائف اخرى

اود الان ان اتكلم عن المدارس عامة لما جئت الى مصر من زمن بعيد لم تكن الحالة كما هي الان انني لا افدر ان اصفها تماماً ولكن اتذكر منها مايجعلني مع المقابلة ارى الان النجاح والتقدم العظيم . انني شاهدت الان بيوتاً وترتيباً ومعيشة لم اشاهدها حينئذ . رأيت في بيوت عديدة مادلي على ان الزوجات والامهات اللواتي فيها قد كن تليذات في مثل هذه المدرسة او انهن عاشرن معلماتها والمتعلمات فيها

انني في كلامي عن المدارس لا أخصص جنساً منها بل امة مدح كل المدارس على اختلاف نزعاتها وصفاتها والقائمين بالعمل فيها ولا اقول انه توجد مناظرة بين هذه المدارس او انني اكره المناظرة في هذا السبيل بل اقول انني ارجو الخير لجميعها اذا كانت تعمل وهي ولا شك تعمل لخير المصريين »

هذا ما قاله العلامة المشار اليه وهو كما تراه يرمي الى الاستقلال وينفر الناس عن الاتكال اذ قد عز عليه ان يرى شبان الشرق يقلدون بعض شبان الغرب في مكاسيهم ومعاشيهم فيصبحون عالة على الحكومات يرزقون من خزائنها مختارين في عملهم الراحة على السعي والكسل على المضاء والتضييق على الانطلاق والاتكال على الاستقلال فتغرب البلاد باعمال ابنائها لها ويفتحون بابديهم ابواب بيوتهم للدخلاء والغرباء وتترك خيرات الارض لمن يقوم على تعهدها واستثمارها واستئثارها

من طبيعة المرء ان يحب العيش المضمون المريح وليس احسن من الوظائف في هذا الباب تضمن عيش الانسان في حياته وبعد مماته فيتدرج في سلسلة المراتب ولا سيما اذا كان على شيء من المعرفة المكتسبة والخبرة والدهاء ومعرفة المدخل والمخرج في نيل رضى رؤسائه بحيث يكون كالألة في ايدي محركيها ولا يطلب من الألة الانتظام سيرها فان نطقت هي وسألت عن السبب كان للموظف ولا سيما اذا كان صغيراً ان يسأل عنه . يكفي في مضار التوظيف في الحكومات انها تسلب الارادة ومن سلبت ارادته فبليت نفسه ومن فليت نفسه كان كالميت لا يتحرك الا اذا حركه . وان امة يرضى نوابغ ارباب الذكاء فيها لانفسهم ان يكونوا بلا ارادة ولا شخصية ولا استقلال جديدة بالضة والملق والفقر والحمول واذا حاز النباه هذه الصفات السيئة فاولى ان يكون حظ الخاملين انفس . ولا رجاء لعامة ضعف خاصتها عن تعهد امرها .

من اكبر الدواعي في تراجع عمران البلاد العثمانية والمصرية انه وقر في النفوس مع الزمن ان من لم يخدم الحكومة لا يعد من الاشرف ولا من ارباب المكانة والرأي والوجهة . وان كل مروءة وحكمة وعقل وعلم ورفعة وقف على الموظفين ومن لم يحثك بالحكومة كان ضيعاً مهما رفعه مقامه وشرف آبائه وجدوده وجدده ومضاوئه وخنكته ودربته ومعرفته وثروته

هذا الخلق من طبيعة الحكم الاستبدادي وكم رأينا بيوتاً خربت لان اربابها عن عليهم الا ان يجاروا بيوتاً اخرى كانت منافسة لهم في التسابق الى دواوين الحكومة

ففعلوا عن تجارتهم وزراعتهم المشروعة المعقولة وتعلقوا بالثافيات من خدمة ارباب الحكم فما استفادوا بقديمهم ولا احسنوا تلقف حديثهم . واكثر ما يكون هذا الخلق ظهوراً الآن في سكان العواصم مثل الاستانة والقاهرة ودمشق وحلب فترى كثيرين من اهلها كالحلمة الطفيلية ينظرون نقل احدهم او استقالته او موته حتى يخلفوه في مكانه ان اقوال المستر روزفلت حرية بأن يجعلها اهل هذه البلاد رائداً بين ايدي اعمالهم ومهمازاً لهم في اقوالهم وافعالهم . ان انصراف وجوه الناس كلهم نحو التوظيف قد عطل في بلادنا القوى المعنوية والمادية وغادر القوم كالعجائز نخل خاوية تركوا موارد الثروة الحقيقية وراحوا زرافات يطرقون ابواب الحكومة وما هي بمغنية رعاياها كلهم وهم هم مادة حياتها وبقناتهم تغنى وبشقايتهم تشقى .

لا يتعلم المتعلم منا من اهل الطبقة العالية والوسطى والدنيا الا ليكون ضابطاً او قائماً مقاماً او موظفاً في الاقلام او من رجال القضاء وقليل جداً من يريدون ان يتعلموا ليستعدوا لانجاح تجارتهم وزراعتهم وصناعاتهم ولا سيما من اهل الاسلام الذين حصروا آمالهم في الحكومة في كل دور من ادوارهم ولذا قلنا رأينا ابن تاجر منا علمه ابوه على الاسلوب الجديد حتى يكون كتجار الافرنج بتعليمه وتجاربه ويعود عليه القرش قرشين بدل ان يعود قرشه بيارة .

طف مخازن القاهرة والاستانة وازمير وسلاطيك والاسكندرية وبيروت واسأل عن تراجم اربابها واجناسهم فهل ترى فيهم الا افرنجياً او غير مسلمين من اهل البلاد . واذا وقع لك ان صادفت تاجراً مسلماً فيكون في الاكثر غريباً عن تلك المدينة او انه احوج الى التعلم في عمله من اصغر تاجر من اولئك التجار ارباب الاموال الطائلة والمعرفة الواسعة .

تجول في القرى والحفص المزارع هل تجد لمسلم وطني مزرعة نجحت بسعيه كما نجحت مستعمرات الالمان في فلسطين والفرنسيين في البقاع ومستعمرات الطليان والروم والارمن في مصر واذا رأيت مسلماً اخضبت تربة على سبيل الاتفاق فابحث عن السبب تراه اهتدى الى استخدام اناس ممن تربوا على غير طريقته وعرفوا في الامور الدينية من اين تؤكل الكتف .

وابحث عن صناعات البلاد هل تراها كل يوم الا ترجع القهقري لان اربابها جدوا على ما تعلموه من آباءهم ولم يجدتهم انفسهم في تقليد الراقين من صناعات الابدي ولانك

لا تجب في الاف منهم واحداً يعرف ما يقتضي لنجاحه من الاسباب واي الطرق سلكتها الغربيون حتى يزوا بمصنوعاتهم مصنوعاتنا ويوتكون ان يقضوا عليها قضاءً ابدياً .
كل هذا نتيجة الكسل والاعتماد على الحكومة في الرزق والبلاد لا ترتقي الا بالمسلمين في المملكة العثمانية لانهم الجمهور الاعظم من السكان ومنهم جل رجال القضاء والادارة وارباب الاملاك والاراضي ولا سبيل الى ارتقاءها الا اذا ارتقوا هم انفسهم ان لم يكن اكثر من مواطنيهم فلا اقل من ان يكونوا على مستواهم . ونظن هذا التصريح جارحاً ولكنها هي الحقيقة لا تدليس فيها ولا دهان .

ان كل ما كان الموظفون يجمعونه من دماء الامة لم يثمر لهم الثمرة الجنية لانه مال حرام اتاهم من غير طريقه المشروعة من كد واقتصاد فلم نثر ثروة تسلسلت في اعتاب الموظفين الى جيلين الا نادراً وكثيراً ما كان يفتقر الموظفون في حياتهم ولولا رواتب التقاعد لرأت اعظم الموظفين في السنة التي يضطرون فيها الى ترك وظائفهم فارغة ايديهم من مال يعتاشون به ولو كانت مشاهرتهم تعد بعشرات الليرات .

هذا من حيث المال اما عن سلب حرية الموظفين فحدث ماشئت ان تحدث ولولا ان العادة تسهل الاشياء لقضي على اكثر الموظفين في سن الكهولة لكثرة ما يلقون من عنت رؤسائهم وتضييق وجداناتهم وكمن ذكاء ذهب سدى لان صاحبه لم يستعمله بل حصره في دائرة ضيقة من عمل اصبح له شيئاً معروفاً في بضعة اشهر وقضى عمره وهو ببيض ويسود او يحاسب في موضوع لا يكاد يتعداه .

ان التوظف عمل من اعمال الناس لا يصح ان يترك والا فمن يدير شؤون البلاد ولكن لا يجب التهاك فيه كما نراه يتزايد اليوم بعهد اليوم فالام التي كانت تفرح ابنها فيما غير وتقول له ان شاء الله اراك باشا ينبغي لها ان تربيته مع ابيه على ان يكون بعد اليوم ممتازاً في حرفة من الحرف او صناعة من الصناعات فقد جربت الامة ورأت من افلاسها مالا ينكره عاقل لانه لم يتعلم منها احد الا ليكون من المستخدمين . كأن خيرات الارض والسماء لا تنفذ الا على من ينصب نفسه وجسمه للجري على ارادة غيره لينال بزعمه رزقه هيناً لئلاً .

انا والله مع احترامنا لكل موظف امين يخدم الامة بصديق ويقبض راتبه بعرق جبينه لنفضل عليه من يتجر بالسادلة عمر به الارض ومن يخرج الحجارة من المقالع ويعتمد على خالفه وعمله في معاشه على فرد بنسى كل شيء ويتجرد عن كل شيء ليقال عنه انه موظف .

نزل مصر بعض المتعلمين من السورين منذ عهد الخديوي اسمعيل وقبله واخذوا بما فيهم من النشاط والقوة والمعرفة يتولون الوظائف وينافسون فيها المصريين في بلدهم فبقيت ارزاقهم محدودة ولم يخرجوا عن كونهم مستخدمين يصرفون في آخر شهرهم كل ما قبضوه في اوله . ولما صعبت الحكومة المصرية وصول غير المصري الى تولي الوظائف بالقانون الذي سنته على عهد الوزارة الرياضية حول السورين وجلهم مسيحيون وجهتهم الى التجارة والزراعة فماذا كان من اثر ذلك عليهم ؟

كان منه ان اصبحوا يتكلمون على عملهم وكدم ويتعاونون الاطيان البائرة في القطر المصري فبعمرونها بنشاط ومعرفة ويتجرون بمصنوعات البلاد ومصنوعات اوربا ويتوفرون على تنمية اموالهم بطرق اقتصادية حتى لم يمض عقد او عقدان من السنين الا وقد اصبح ابناء سورية النازلون في مصر اغنياء بعد الحاجة موسعاً عليهم غب الضيق يملكون القصور الباذخة ويمتعون بالعيش الخفضال حتى قدر احد العارفين ثروة السورين في مصر بخمسين مليون جنيه اي بعشر مجموع ثروة مصر . ولو ظلوا راضين كلهم بالدون من المعاش لما جمعوا واحداً من ثمة من هذه الثروة الطائلة ولا يكون ما يجمعونه الا من التقدير والشح وكذلك فعل المسيحيون في البلاد العثمانية لما قطعوا آمالهم من الحكومة فباتت اعمال المعاش المهمة كما تقدم بايدهم ودرت عليهم اخلاف السعادة ولو قد هم سائر العثمانيين في هذه الخطة الشريفة خلصنا من الاشكال الذي لم نبلغ امة من الام في سالف القرون والاجيال

قال الجاحظ في رسالته مدح التجار وذم عمل السلطان : وهذا الكلام لا ينبج من حشوة انباع السلطان فاما عليتهم ومصاصهم وذو البصائر والتمييز منهم ومن فيقته الفطنة وارهقه التأديب وارهقه طول التفكير وجرى فيه الحياء واحكمته التجارب فعرف العواقب واحكم التفصيل وينطق (?) غوامض التحصيل فانهم بعترفون بفضيلة التجار ويثمنون حاطم ويحكمون لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة ويعلمون انهم اورع الناس ابداً واهناهم عيشاً وآمنهم سرباً لانهم في افيتهم كالملوك الى اسرتهم يرغب اليهم اهل الحاجات وبنزع اليهم متلوس البياعات لاتلحقهم الدلة في مكاسيهم ولا تسعبدنهم الضرع لمعاملاتهم وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمة فان اولئك لاسهم الدلة وشعارهم الملقى وقولهم بمن هم لم خول مملوءة قد لبسها الرعب والفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتغصيص خوفاً من سطوة الرئيس وتككيل الصاحب وتغيير الدول

واعترض حلول المحن فان هي حلت بهم وكثيراً ماتحل فناهيك بهم مرحومين يرق لهم الاعداء فضلاً عن الاولياء فكيف لا يميز بين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله وبين من قد نال الوفاء عنه والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الاثراء وقضاء اللذات من غير منة لاحد ولا منة يعتد بها وكم بين من هو من نعم المفضلين خلي وبين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه ثقل الصنعة وطوق عنقه الامتنان واسترهن بتحمل الشكر الخ

ملك الانكليز وامبراطور الهند (١)

اذا كان فراق هذه الدنيا تزداد صعوبة بزيادة اقبال الحظ وسعادة الطالع بلي المرء فالملك ادوارد السابع اولي الخلق بكراهة الموت وحب البقاء . وان كان بلوغ الاماني وحصول الرغائب وازعاً للمرء عن التشبث بحبال الحياة ومفضياً به الى القناعة من الدنيا والاكتفاء من لذائذها وحب الرحيل عنها فهذا المعامل الكبير اجدر الناس علي الاطلاق بالملل من العمر والازدراء باطياب الحياة .

وذلك لانه عاش عمراً مفعماً بالحوادث العظيمة ومملوءاً بكل ما اشتبهته نفسه وطاب به قلبه وتمتع بجميع ما تتطلبه الاميال البشرية وتمناً به النفوس . فقد كان قبل ان ارتقى الى الرش البريطاني في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠١ منصرفاً الى ما يلذه من السياحات والمذاكرات والمشاغل الخاصة غير متحمل عناء السياسة ولا متعرض الى ما لا يعني من شؤنها فكان بكثرة من مخالطة العلماء وفاوضتهم في الفنون التي اوع بها ويحضر الحفلات العلمية ويسمع الخطب ويتمرأ المقالات في العلوم الطبيعية ويطالع الجرائد السياسية ويقف على آراء الزعماء ومطالب الاحزاب واغراضهم ويعي ذلك في صدره لينتفع به عند الحاجة ويتلأى بالخروج الى الصيد في اوقات الفراغ والسياحة في اوربا وقد كان مولعاً بمدينة باريس جعلها موضع طربه ومقر صفائه واكثر من اتيانها والا هو فيها حتى اتهمه الناس بالجون والطيش وحسبوا انبعاثاً في اللذات وقيامه على صفاء العيش وخلو ذهنه من المشاغل يجعله ضعيفاً في ادارة الشؤون السياسية قاصراً عن النهوض باعباء الملك عند انتدابه اليه .

درس العلوم العالية في جامعة كمبريدج وجامعة اكسفورد ونال منهما رتبة دكتور في

الشرائع ووجهت اليه درجات علمية سامية من المدارس الكبرى في بريطانيا ومستعمراتها وعين قائداً في الجيش البري واميرالاً في البحرية الانكليزية وانتخبه الماسون رئيساً اعظم للمحفل الانكليزي وكان غيوراً على هذه الجمعية مؤيداً لمبادئها حافظاً لقوانينها حتى صار له في العالم الماسوني مقام جليل ومنزلة سامية . وقد زار سورية سنة ١٨٦٢ وجال في مدائنها وتفقد آثارها كما ساح في غيرها من بلاد الشرق والغرب مثل الهند ومصر وكندا والولايات المتحدة وغيرها وتعرف باكثر ملوك الدنيا قبل وصوله الى العرش واضطلع بالسياسة الخارجية ودرس طبائع الاقاليم والشعوب وكان يتوب عن والدته الملكة تكتوريا في اكثر الاحتفالات الدولية والجمعيات العلمية والخيرية .

افضى اليه صولجان الملك بعد وفاة والدته فطرح اللهو جانباً وانثقل من دور التأهب الى دور العمل وقد كان عندئذ الاضطراب سائداً والتبليك مستولياً في دوائر انكلترا السياسية بسبب الحرب الناشبة في جنوبي افريقية مع الترانسفال وان كان النصر قد انبلج للانكليز وتوثقوا من استعساق الامر لهم في تلك الناحية فعمد الى سياسة اللين والرفق وغير خطة العنف التي كانت تنويها حكومته مع ذلك الشعب فاباح لهم الامن والاستقرار في منازلهم ووزع عليهم الارزاق والحقوق حتى اخلدوا الى السكينة والهدوء وربت الشؤءون في بلاد الراس على اسلوب مهد لانكلترا ثبت القدم على نصف قارة افريقية من جهة الجنوب واقامة دولة انكليزية في تلك الاقاليم تضارع دولتها في الهند ثم فكر بوسيلة للاطمئنان من جهة هذه الدولة الضخمة وايصالها من منابع النيل الى مصبه ومازال يدبر ويمهد حتى وفق الى عقد الاتفاق الودادي مع فرنسا واطلق يد انكلترا في وادي النيل فاصبح البأس الانكليزي مشتملاً على القسم الاعظم من قارة افريقية من الاسكندرية الى رأس الرجاء الصالح . وهذا الاتفاق الذي الف به ادوارد السابع بين الانكليز والفرنسيين هو اعظم عمل قام به في حياته واحسن ما استفادت به انكلترا في القرن الماضي خصوصاً وقد كان عقده في اثناء الحرب اليابانية في الشرق الاقصى عند ما كان يخشى من ان تسعى فرنسا بتأليف حزب كبير سيفي اوربا المناصرة روسيا واضاعة انتصارات اليابان

في ايامه شذبت اليابان قيادة الروس في الشرق الاقصى وكف فكفوا غائلهم الى الوراء في منشوريا وبلغت السياسة الانكليزية في ذلك اوجها الاعلى بانكسار شوكة روسيا والطمأنينة من تعاضلها وتعاليلها في الشرق فامت على الهند منها وتحققت ان هذا القلق

قد خدمت جمرته وبردت ثأثرته فلا يتحرك قبل واسط القرن العشرين .

ونوز السياسة الانكليزية في الشرق الافعى اقنع اوربا فاطبة ان انكلترا هي صاحبة الكعب الاعلى والمقام الاول وهي الخصم الذي لا يتزع والقرن الذي لا يدافع فتزلفوا اليها بالموده وتلطفوا بخطبة مودتها والتقرب م باحتى ان روسيا نفسها التي تحملت الضربة الكبرى اغتمرت لها الذنب وتناست مالا لانكليز من اليد في تعز يز شأ اليابان ومعاذتهم في تلك الحرب ومالت الى مصانعتهم واسترضائهم والفضل الاكبر في هذا النفوذ كان للملك ادوارد الذي ادار دفة السياسة بيده واهتم بتدبير الامور على هذا المنوال .

ومن غرائب الاتفاق ان السنوات التسع التي كانت فيها هذا العاهل على العرش البريطاني لم يظهر في اثنائها رجال بين ساسة الانكليز مثل الذين ظهروا على عهد والدته بالافتقار والحنكة والدرية فلم يكن لديه مثل غلادستون وساليسوري وبيت وبكنسفيلد وبلمرستون وغيرهم فكان الحمل عليه ثقيلاً والثبة عظيمة واخذ على عاتقه استنباط الاساليب واختراع المذاهب السياسية ومال الى سياسة السلم والرفق فزار اكثر ملوك اوربا ورؤساء حكوماتها والف بين القلوب واصفى الود لاعدائه وعقد معهم عهود المودة والاخلاص وصارت انكلترا التي كانت بالتقاليد الادورية القديمة متبعة بالاعتزال والانفراد والكبرياء ومكرهه من الشعوب اقرب الاقوام مودة واعلقهم بقلوب الامم . فهو اول ملك انكليزي زار قياصرة الروس في عاصمتهم واول من انتزع سخائم البغض والعداوة الراسخة بين الانكليز والفرنسيين . وقد تعاضى عليه استجلاب ابن اخته امبراطور المانيا باللين والصداقة فأب عليه جيرانه وكاد يخرج ايطاليا من المحافة الثلاثية وبفرد الدولة الالمانية وحدها بين الممالك الاوربية

اما علاقة الملك ادوارد بدولتنا وسلطاننا فقد كانت في دور الاستبداد اقرب الى العداء منها الى الصداقة وقد صرح مراراً في مفاوضاته السياسية انه يتنى الخير للدولة العلية خير انه يأس من اصلاحها ويحبسها عضواً فاسداً في العالم المتقدم ولذلك لم يكن نصيراً للدولة الحميدية في نكباتها ولا اعانها في ويلاتها الكثيرة بل ربما شذ في بعض مآزقها ومهد السبيل الى ندور بعض الولايات عنها فكانت له اليد الطولى في استقلال كريت ورغب في اخراج مكدونيا من الوحدة العثمانية متبهاً بذلك سياسة غلادستون الذي كان يرعى الحزم بتقسيم الدولة العثمانية الى ممالك صغيرة حرصاً على السلم العام وصفاء بال العناصر من المشاكل الحميدية

ثم لما تبين الرشد من الغي وانتصر الحق على الباطل بظهور الاحرار على الاشرار واعلان الدستور في البلاد العثمانية كان الملك ادوارد اشدّ الاجانب فرحاً بهذا الانقلاب واكثرهم مظاهرة لحكومتنا الجديدة الحرة فوقف في وجه المانيا وعرق دسائسها في البلقان وصرف نفوذه وقوة دولته العظيمة في استمالة الرأي العام في اوروبا لجهتنا وتسكين القلاقل في الروم ايلي وحال دون امنية الاعداء الذين حاولوا الخاق جزيرة كريت بحكومة اليونان وقد أثر عنه كلام كثير في مواقف متعددة نشط فيه حركتنا الدستورية وتمنى لنا الخير والاقبال وتوسم فينا التقدم والفلاح وكان اول من اقرّ بين الملوك على خلع عبد الحميد بما هنا به السلطان محمد رشاد من عبارات الود والاخلاص وقد اشادت عزائم احرارنا بمظاهرة لم وتصريحه بالسور والاستبشار بما قاموا به من النجدة والحماية واهتم ايضاً بحل مشاكل بيننا وبين ايران وحمل روسيا على ممالأته لتوطيد العدل واعلان الدستور في بلاد فارس

هذه اهم الاعمال السياسية التي قام بها الملك ادوارد السابع مدة ملكه القصيرة وجميعها عائدة على امته بالخير والنجاح وعلى العالم بالفضل والاصلاح حتى لقبه الاوربيون بصانع السلام واعترفوا انه رئيس السلم والداعي الى الوئام والوفق وحامي الحرية والعدل ينضوي تحت رابته نحو مئة مليون من المسلمين في الهند وجزائرها وجنوبي افريقية والسودان والصومال وغيرها وقد كان يجب هؤلاء المسلمين من رعاياه ويعدم اخلص الشعوب لعرشه واعاقهم به حباً وقد اسفوا على موته وحفظوا له ذكراً حميداً لا يجادل احد في ان الملك ادوارد كان ارحب الملوك صدرأً واوسعهم فضلاً ومن اكثرهم علماً واعرضهم جاهاً واسلمهم قلباً واصفاً وداً . وقد اشدّ جزن شعبه عليه ولم يجد سبيلاً للعزاء سوى مايو ملونه من ان ابنه وولي عهده ينسج على منواله ويجذو حذوه في السياسة بهذه الايام التي يشكو فيها الانكليز من قحط الرجال في عواصمهم . ولد ابنه الملك جورج في ٣ حزيران سنة ١٨٦٥ فهو اليوم في الخامسة والاربعين من عمره وتبوأ التخت الانكليزي منذ اسبوع وليس له من الشهرة وسعة الاطلاع ما كان لوالده قبل بلوغ الملك فهو اقرب الى العلم منه الى العروش واشدّ ولعاً بالمطالعة والدرس منه بالتمرسات السياسية وقد صرف معظم حياته الماضية بين الكتب وفي الاندية العلمية وملاحظة المعاهد الخيرية . على ان القوم يتوقعون منه اعمالاً عظيمة ويحسبون ان عقله الكبير الذي اجاد في مجال العلم والتفكير لا يقتصر في ميدان السياسة والتدبير فارس الخوري

مصطلحات آلات الطرب واغاني العرب

كل من طالع كتاب الاغاني وبعض كتب الادب القديمة التي تذكر الغناء وانواعه وآلات الطرب وملاهيهم يقع على الفاظ غريبة اصطلاحية اذا نقر عنها في دواوين اللغة ومعاجمها المطولة لا يرجع عنها الا بما يرجع به حينئذ . ولقد حاول المستشرقون غير مرة البحث عنها في الكتب الادبية التي ألفت في الصدر الاول من عصر زهو اللغة فلم يعثروا على ضالتهم كما لم يعثر عليها ادباء الشرق وعلماءه . وقد وفق العاجز في هذه الآونة الى وجود الصالة نهجاً في كتاب مخطوط كنت قد وصفته في المقتبس ٢: ٢٨٢-٣٨٦ وعنوان البحث في كتابنا المذكور هو : « العود ومصطلحاته » وما نحن اولاء ننقل الى الادباء قراء المقتبس الاغراء ما جاء من البحث نعيماً للفائدة وتنتاً لشوكة الجلب الناشئة في اذهاننا من هذا التبيل . قال صاحب الكتاب : « العود ومصطلحاته » في الصفحة ٢٢١ من المخطوط وما يليها

كثيراً ما كنت اطالع في كتاب الاغاني الفاظاً في مصطلح الغناء وما كنت اتوصل الى فهمها حتى ظفرت اخيراً برسالة لعبد القادر بن غيبي الخابط المراغي المشهور بعلم الالحن فاخذت عنه ما يتعلق بفتح مغلق الكلام اخص بهذا العلم فانقول :

اعلم ان الالفاظ الواردة في كتاب الاغاني تتعلق كلها بالعود العربي فاذا علمت تركيب هذه الآلة هان عليك فهم ما شكل عليك من مصطلحاتها فهذه الآلة طولها مثل عرضها مرة ونصفاً وغورها كنصف عرضها وعنقها كربع طولها في الراحة وتثن الورقة من خشب خفيف ووجها اصلب وتعد عليه اربعة اوتار اغظها البم بحيث يكون غلظه مثل المثلث الذي يليه مرة وثلاثاً . والمثلث الى المثني كذلك . والمثلث مثل الزير كذلك وقد ضبطوها بطاقات الحرير فقالوا :

يجب ان يكون البم اربعاً وستين ذاقاً . والمثلث ثمانياً واربعين والمثني ستاً وثلاثين . والزير سبعمائة وعشرين . ويجعل رؤوسها من جهة العنق في ملاو والاخرى كمشط فتساوى اطوالها . ثم ينقسم الوتر اربعة اقسام طولاً ويشد على ثلاثة ارباعه مما يلي العنق وهذا دستان الخنصر . ثم ينقسم الآخر تسعة ويشد على تسعة مما يلي العنق وهذا دستان السبابة . ثم ينقسم ماتحت دستان السبابة الى المشط أساعاً متساوية ويشد على التسع مما يلي المشط ويسمى دستان البصر فيقع فوق دستان الخنصر مما يلي دستان

السبابة • ثم يقسم الوتر من دستان الخنصر مما يلي المشط ثمانية اقسام وضعف اليها جزءاً مثل احدها مما بقي من الوتر وشده فهو دستان الوسطى ويكون وقوعه بين السبابة والبنصر .
فهذه الاصطلاحات هي المصححة للنسب فاذا جذب وتر منها الى غايه معلومه سمي الزير فيجذب المثنى على نسبة تليه . في الانحطاط وهذا مع الجنس بالخنصر والضرب حتى يقع التساوي .

فالزير كخنصر النار في الطبع والتأثير • والمثنى كالهواء والمثلث كالماء والهم كالتراب .
فانطبق على الاخلاط والامزجة افراداً وتركيباً • ويقوى ما يكون على الاخلاط من سجايا وامراض وامكة وازمنة حتى قيل ان لطف النار مثل لطف الهواء مرة وثلاثاً .
وهكذا الهواء بالنسبة الى الماء والماء الى التراب كما مر في الاوتار واما وضعهم هذه الاوتار حتى جعلوها ثمانية فلما مر بك من انها اول مكعب مجذور لان الارض كذلك فشاكلوا بذلك مزاجها • وقد قيل ان هذه النسبة مستمرة الى الفلك • فان قطر الارض ثمانية والهواء تسعة والقمر اثنا عشر وعطارد ثلاثة عشر والزهرة ستة عشر والشمس ثمانية عشر والمريخ احد وعشرون ونصف والمشتري اربعة وعشرون وزحل سبعة وعشرون واربعة اسابيع والثوابت ثلاثون ولان التمين داخل في اشياء كثيرة منها تضاعف المزاج والطابع وبالجملة قد اختلف ميل طوائف العالم الى مراتب الاعداد كما عشقت الصوفية الواحد فطوت الاشياء فيه والمجوس الاثني عشر والنصارى الثلاثة واهل الطبائع الاربعة واهل الاوفان الخمسة والهندسة الستة والحكماء الفلكيون السبعة فالذهن من حيث هو يستحسن النسب حتى اذا برزت الى الخارج زادت النفس بسطاً فان الكتابة تحسن بمتناسبة حروفها استقامة وتدويراً وغلظاً ورقة واستدارة ولو بمجرد الانحاء فقد قيل ان الحروف كلها وان اختلفت بحسب الام لا تخرج عن خط مستقيم ومقوس ومركب منهما •
ثم قوانين الغناء لا تخرج عن ثمانية • (ثقيل اول) ورسمه :

تن تن تن • تن تن تن

وهو مركب من تسع نقرات هي ثلاث متواليات وواحدة كالسكون فخمس مطوية الاول • (وثقيل ثان) وهذا رسمه :

تن تن تن • تن تن تن

وهو مركب من احدى عشرة وهي ثلاث متواليات فواجدة ساكنة فتثيلة فاربع مطوية الاول (وخفيف الثقيل الثاني) ويسمى

الماخوري وهذا رسمه : تنّ تنّ تنّ تنّ تنّ
وهو مركب من ست ثلاث متواليات فسكون ثم ثلاث (ورملة) ويسمى ثقيل الرمل وهذا رسمه :

تنّ تنّ تنّ . تنّ تنّ تنّ
وهو مركب من سبع وهي : ثقيلة اولى فتواليان فسكون وهكذا الى آخره (وخفيفة) وهذا رسمه :

تنّ تنّ . تنّ تنّ . تنّ تنّ . تنّ تنّ .
وهو مركب من ثلاث فقرات متوالية متحركة (وخفيف الخفيف) ورسمه :

تنّ تنّ تنّ . تنّ تنّ تنّ .
وهو مركب من فقرتين بينهما سكون قدر واحدة (وهزج) ورسمه :

تنّ تنّ تنّ تنّ . تنّ تنّ تنّ تنّ
وهو مركب من نقرة كالسكون ثم سكون قدر نقرة ثم بين كل اثنتين سكون فهذه اصول التراكيب وانما تكرر بحسب استيفاء الادوار .

(فالملسي) بالتشديد نسبة الى المسلة من آلات الخياطة وتسمى هذه وما بعدها (الاجناس المركبة) وهي كثيرة لكن تعود الى اصول منها على التاسع ثمانية : احدها وهو الملسي سمي بذلك لرقه مدخله وغلظ وسطه وبدل على اجتماع الاخلاط في الصدر والشراسيف والقلب وكال الربو والديالات وامتلاء المعدة ويعرف به تحرير الخلط من باقي البسائط وهو سهل .

وثانيها المائل وهو عكسه هيئة ودلالة

وثالثها الموجي وهو المختلاف الاجزاء تدريجاً بحيث يكون الاعظم المختصر ويظهر اختلافه عرضاً فيشبه الامواج ومنه اسمه وهو يدل على فرط الرطوبة والاستقاء الزقي واللحمي وذات الرئة وغلبة الامراض البلغمية .

ورابعها النملّي سمي بذلك لدقته وضعف حركته وبقع في رابع الحارة فيدل على الموت في الخامس وبعد الموضع من وجود الحمي فيدل على الموت في الحادي عشر ويكون عن الدودي ايضاً فيرد عليه اذا انتعشت القوى بشرب ما يقوي القوى كدواء المسك والبادزهر وانكر قوم انقلابه والصحيح ما قلناه وكل ما دل عليه الدودي دل عليه النملّي لكنه اشد رداءة وضعفاً في القوى

وخامسها الدودي وهو موجي ضعفت حركته بإسهال ان طال . والا فالخفيف من داخل كاخذ نحو الانيون وما يكثف المزاج الى فساد الرطوبات وقد يقع في البحارين لنقص الرطوبات ويكون ابتدؤه عن الموجي كما في النبضة .

وسادسها المنشاري وهو ما اختلفت اجزائه توازياً وسرعة وصلابته وعكسها وكان قرعه للاصابع متفاوت التساوي كاسنان المنشار ويدل على فرط اليبس ويختص بذات الجنب، والديلات والاورام .

وسابعها المرتعش ويدل على الرعشة ونحوها من امراض العصب بحسب مواقع اجزائه كما مر .

وثامناً المشنج ودلالته كالمنشاري مطلقاً في غير ما يختص اي ذات الجنب به هذا واعلم ان اللحن يسمى مطلقاً اذا لم يكن مقيداً بلفظة تدل على وصفه كالثقليل والخفيف وخفيف الخفيف . ويذكر بعد اللحن موقع الاصبع الذي يبتدأ به ليمتدي الى قراره فيقال مثلاً ثاني ثقيل مطلق او ثاني ثقيل بالوسطى او بالخنصر في مجرى البنصر او خفيف رمل بالبنصر او خفيف ثقيل اول بالبنصر الى غير ذلك وهو المعروف عند اصحاب هذا الفن بمواقع الاصابع من الدساتين . والله الموفق . اه نقله بحرفه بغداد : سانسنا

مخطوطات ومطبوعات

الذخيرة لابن بسام

في مكتبة الامة بباريز الجزء الاول من كتاب الذخيرة لان بسام وهو بخط منزلي ناقص ورقة من اوله وآخر هذا الجزء ترجمة الوزيري ابي عامر بن مسلمة وهو في ٢٦٣ ورقة من القطع الكبير حديث الخط فيما يظهر . وفيها السفر الثاني من كتاب الذخيرة منسوخ عن نسخة مكتبة اكسفورد وقد ذكر فيها ان الخط المنقولة عنه ردي جداً ولذلك جاءت فيها اغلاط قد لا يمتدى اليها واوله فصل في ذكر الاعيان المشاهير ارباب صناعة المنظوم والمنثور بحضرة اشبيلية ونواحيها وما يصادفها ويدانيها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي وهو الجانب الغربي من جزيرة الاندلس وابرار ما بلغني من غرر اشعارهم ومستظرف اخبارهم مع ما يملق بها ويذكر بسببها .

قال ابن بسام : وحضرة اشبيلية على قدم الدهر كانت قاعدة هذا الجانب الغربي من الجزيرة وقرارة الريامة (؟) ومركز الدول المتداولة ومنها شهدت البلاد وابنت الجهاد عليها الفرسان كأنها العقبان وبهذا الافق نزل جند حمصر من المشرق وسميت حمص ولما كانت دار الاعزة والاكابر نابت فيها الخواطر وصارت مجمعا لصبوب العقول ودرب العلوم وميداني فرسان المنثور والمنظوم لاسيا من اول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه وغلب كل رأس على ما في يديه بعد الدولة الحامدية فاضحت اقطاب الجزيرة يومئذ كبني الاعيان واهلها كما قال اخو بني عدوان

عذيري الحبي من عدوا ن كانوا حية الارض

بكي بعضهم بعضاً فلم تبق على البعض

فاشتمل هذا القطر الغربي لاول تلك المدة على بيتي حسب وجهور في ادب مملكتان من ظلم وتجب حصرتا بلاده واكثر تارواده فاتاه العلم من كل فج عميق وتبادره العلماء من بين سابق ومسبوق وكل ما نشأ من هذين البيتين امير وان الى العلم اطلب وفي اهله ارغب والسلطان سوق يجاب اليه ما ينفق لديه حتى اجتمع في الجانب الغربي على ضيق اكنافه وتحيف الحذر قصه الله لا طرافه ما باعى الاقاليم العراقية وانسى بلغاء الدولة الديلمية فقل ما رأيت فيه شايرا غير ماهر ولا شاعرا غير قاهر دعوا حر الكلام فلبى وارادوه فما تأبى وطريقتهم في الشعر الطريقة المثلى التي هي على طريقة البحري في السلاسة والمثانة والعذوبة والرصانة وانا اورد في هذا القسم بعض ما انتهى الي من خير كلامهم في نثرهم ونظامهم موباً ذلك كله بفنون فوائد ومعارف من اخبار يحسن الوقوف عليها على ان الذي بلغني من شعر قطر ثمد من بحر ونقطة من قطر ولقد فاني كثير من الكتاب من اعيان الشعراء ممن كان في ذلك التاريخ م م م لم اسمع بذكره ومنهم من لم تسمح نفسي باثبات ما بلغني من شعره وربما اجريت ذكر احدهم غير مبوب عليه ولا مشيراً اليه اما الشيء اجاد فيه واما ان يتعلق ذكره بذكر من أجريه وقد ابدى بذكر الرجل لمكانه من الاحسان لانتقدمه من الزمان او لبعض ما يدعوا اليه القول من نسق خبر او موجب نظر باول ما ابتدأت به من اهل حمص آل عباد لثباته ذكرهم مع جودة شعرهم اه

وهما اورد ابن بسام ترجمة القاضي ابي القاسم محمد بن عباد ثم اورد ترجمة المعتض بالله عباد بن ذي الوزارتين القاضي ابي القاسم محمد بن عباد قال فيه :

ثم افضى الامر الى عباد ابنه سنة ٣٣ وتسمى اولاً بفخر الدولة ثم بالمعتضد قطب
رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا سلم عليه قريب
ولا بعيد جبار ابرم الامور وهو متناقض واسد فرس الطلق وهو رابض متهور
تحماته الدهات وجهان (?) لا تأمنه الحكمة متأسف اهتدى ومنبت قطع فما ابقى ثار والناس
حرب وكل شيء عليه الب فكنى اقرانه وهم غير واحد وضبط شأنه بين قائم وقاعد حتى
طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده افتتح امره بقتل وزير ابيه حبيب المذكور
طعنه في ثغرة الايام ملك بها كفه وجباراً من جابرة الانام شرد به من خلفه
فاستمر يفري ويخلف واخذ يجمع ويفرق له في كل ناحية ميدان وعلى كل رابية خوان
ضربه سم لا يطي ومهم لا يخطي وسله شر غير مأمون ومتاع الى ادنى حين ٠٠٠٠
وقد اطال في ترجمته وما وقع له من المحنة وما قاله وقيل فيه من الاشعار ثم اورد
باباً يشتمل على طائفة من الوزراء والاعيان ممن كان في دولة المعتضد من ارباب هذا
الشأن واجتلاب ملح وطرف لشعراء كانوا بذلك الاوان مع مابتعلق بها وبذ كرسبها
قترجم ابا حفص عمر بن الحسن الهوزني . و ابا الوليد الباجي و ابا عامر بن مسلمة و ابا
الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب و ابا الحسن علي بن حصن الاشبيلي و ابا عمرو
ابن الباجي و اتي على جملة من شعر ابي الاصبع بن عبد العزيز وترجم الوزير ابا العلاء
زهر بن عبد الملك بن زهر اليايدي . والوزير ابا عبيدة البكري و ذا الوزارتين
الفقيه الكاتب ابا بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة وقال فيه : وهو في وثنا
جمهور البراعة وبقية ائمة الصناعة وعذبة اللسان العربي وسويداء قلب هذا الاقليم
الغربي بحر علم لا يدرج وجبل حلم لا يزحزح من بعض كور اشبيلية نشأ في دولة المعتضد
شهر بالعنف فلزمه ويسر للعلم فعلمه وعلمه وكانت له نفس تآبى الا مزاحمة الاعلام
والخروج على الايام وهو دائماً يفض عنانها فتجمع ويعطن من غوائها فتتطاول وتطمع بمنعاً
من خدعة السلطان قاعداً بنفسه عن مرتبة نظرائه من الاعيان بين عفة تزده
وهيبة من المعتضد تقمده حتى فطن له ذو الوزارتين بن زبدون فلم يزل يصرح قذى
العطالة عن مائه ويعلي رماد تلك الهيبة عن نار ذكائه الى ان نبه عليه المعتضد آخر
دولته فتصرف فيها قايلاً على تقية من تلك البقية . وتكشف من ذلك التعفف الى
ان افضى الامر الى المعتمد واخيه وقد كان في ابام ابيه من بعض من بداخله ويصافيه
خياه من علاه بصيب وسقاء من نداء يبحر لا بد نوب وانرضه الى مثنى الوزارة واكثر

ما عول عليه في السفارة فسفر غير مامرة بينه وبين خلفاء، من ملوك الطوائف بافقى(?) حتى انصرفت وجوه آمالهم الى امير المسلمين وناصر الدين ابي يعقوب يوسف بن تاشفين رحمه الله فسفر ذو الوزارتين بينهما مراراً فكثرت صوابه واشتهر في ذات الله بحبيته وذهابه واضطر المعتمد اليه قريباً من آخر دولة فعظمت حاله واتسع مجاله واشتهر على الدولة استيلاء لاقصر عنه اشكاله الى ان كان من خلفه ما كان فكان ذو الوزارتين احد من حرب وفي جملة من نكب واقام على تلك الحال نحواً من ثلاثة احوال حتى تذكره امير المسلمين بما كان عهد من حسن خليفته وسراء طريقته وقد حدثت ان سبب ذلك الذكر كتاب كان ورد من صاحب مصر لم يكن به من الجواب عليه والانصاف منه وتفقد يومئذ اعلام المشاهير فكان ذو الوزارتين اقرب مذكور فاستدعاه لحينه وولاه كسبة دواوينه حتى انساه زمانه اهـ .

ثم ترجم الوزير الفقيه الكاتب ابا القاسم محمد بن عبد الله بن الجدد والوزير الكاتب ابا محمد عبد الغفور وذو الوزارتين ابا بكر محمد بن عمار والوزير الكاتب ابا الوليد بن المصيصي والوزير الاديب ابا القاسم بن مرزقان والوزير الكاتب ابا الحسين بن محمد ابن الجدد والاديب ابا الحسن البكري والكاتب ابا الحسن صالح بن صالح الشنترقي والوزير ابا الحاكم عمرو بن مدحج و ابا الوليد بن عمه ابني حزم والاديب ابا بكر بن يحيى بن بقی

ثم اورد فصلاً يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء والاعيان الادباء الشعراء ممن نشأ في الدولة المورخة بحضرة بطلوس وسائر بلاد البحر المحيط الرومي والاندرلس وذكر منهم المظفر ابا بكر محمد بن عبد الله بن سلمة المعروف بابن الافطس والوزير الكاتب ابا عبد الله محمد بن امين والوزير الكاتب ابا محمد عبد المجيد بن عبدون والاديب ابا جعفر احمد عبد الله بن هريرة القيسي الاعمى القسطلبي والوزير الكاتب ابا بكر عبد العزيز بن سعيد البطلوسي والوزير الكاتب ابا بكر بن قومان والاديب ابا زيد عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني والشيخ ابا الحسن علي بن اسماعيل القوشي الاشبولي والاديب ابا عبد الله محمد بن الفيق وذو الوزارتين ابا محمد بن هود والشيخ الاديب ابن عمر بن فتح بن زلوحنة والاديب ابا عمر يوسف بن كوثر الشتريني والاديب ابا الوليد المعروف بالفلي والوزير الكاتب ابا بكر محمد بن سوار الاشبوني والاديب ابا محمد عبد الله بن صارة الشنتريني

وهذا الجزء في ٢٦٥ ورقة والجزء الثالث من هذا السفر منقول عن نسخة مغربية محفوظة في مكتبة غوتا وأوله في ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الاندلس وتسميته من نجم في أفقه من رجال النظم والنثر والرياسة بدأه بترجمة أبي عمر القسطلي ثم ذكر ذا الوزارتين أبي عبد الله الطاهر وذا الوزارتين أبي عامر بن الفرج وذا الوزارتين القائد أبي عيسى ابن ليون وذا الرياسة بن ابامروان عبد الملك بن رزين والوزير الكاتب ابامحمد عبد الله بن الفقيه أبي عمر بن عبد البر النمري والوزير الكاتب ابا غامر بن التاكرتي والوزير الكاتب ابا المظفر عبد الرحمن بن ساحر المعروف بابي الدباج والاديب ابا الربيع سليمان بن مهران السرقسطي والاديب الاستاذ النحوي ابا عبد الله بن خلصة الضرير والاديب ابا مروان بن غصن الحجاري والاديب ابا علي ادريس بن اليمني والوزير الكاتب ابا الاصبع بن ارقم والكاتب ابا المظفر بن مثنى وهو عبد الرحمن بن احمد ابن صيعون والوزير الكاتب ابا عمر بن القلاس والوزير الكاتب اباجعفر بن جرح والوزير الكاتب ابا الفضل بن حداي الاسلامي والاديب الكاتب ابا الربيع سليمان بن احمد القضاعي والاديب ابا عامر البهاري والاديب ابا اسحاق بن خفاجة والاديب ابا حاتم الحجاري والاديب ابا بكر محمد بن عيسى الداني والاديب اباجعفر احمد بن الدودين البلسني والكاتب اباجعفر بن احمد مردانية والوزير الكاتب ابا الخطاب عمر بن احمد بن عبد الله بن غيطون التجيبي الطليطلي وذا الوزارتين الكاتب ابا عبد الله ابن ابي الخصال قال فيه : حامل لواء النباهة بالروية والبداهة مع منظر ووقار وشيم كصفو العقار ومقول امضى من ذي الفقار وله ادب بحره يزخر ومذهب يباهي ويفخر وهو وان كان خامل المنشأ نازله لم تنزله منازل ولا فرع للعلاء هضابا ولا ارتشف للسناء رضابا فقد تميز بنفسه وتخير من جنسه والذي الحق به بالجد واوقعه بالمكان النجد ذكاء طمع عليه طبعه ونجم في سرية النباهة

ثم ذكر الكاتب ابا عبد الله محمد بن ابي الخصال والوزير ابا محمد بن القاسم والاديب ابا تمام غالب الملقب بالحجام وهنا انتهت الجزء الثالث وهو في ٢٣٣ ورقة وجاء في آخره انه بتلوه في اول السفر الذي يليه في ذكر الحديث ابر عامر بن الاصيل . وفي هذه الاجزاء من الشعر الغريب والنثر المطرب ماهو ديوان الادب وناهيك بسجعات ابن بسام التي هي ابيه من سجع الحمام بل وناهيك بما يقع عليه اختياره من نظم الكلام ونثاره ومن هذه الاجزاء يؤخذ ديوان انشاء في السلطانيات والاخوانيات والتهنئات والتعزيات

والشفاعات والوسائل والجهاد وفي مقاصد شتى

فيأخذوا لو تصدى لطبعه احداً من علماء المشرقيات في الغرب ليخدم بذلك التاريخ والادب العربي . وفي مكتبة هذه المجلة النصف الاول من هذا الكتاب وهو بخط مغربي ينفع في المعارضة اذا كتب الطبع للكتاب ونحن نقدمه لمن تصدى لطبعه مع الشكر وقد اقتبسنا منه عدة تراجم في مجلدات المقتبس الماضية مع بعض الصعوبة انلبة التحريف عليه

ديوان احمد نسيم

اهدانا هذا الشاعر المصري الجزئين الاولين من ديوانه وفيهما قصائد في اغراض شتى وبعضها اجتماعي وهاك نموذجاً من شعره قال في الشرق ومصر :

نداعت رواسي الشرق فانها لجانبه	وما هم حتى اقمده نوائبه
تجاربه الاعداء من كل جانب	ولم يكفهم ان الزمان يحاربه
تحدد على هاماته شفراته	وترهف فوق الناصيات قواضيه
وحسبك ان الشرق في كل امة	ماثره مشهورة ومنافيه
تخرج منه الفلتاحون لارضه	فماجت به البطحاه وسباسيه
وكان عريناً لا تضام ليوثه	وكان كناساً لانهان رباربه
وكان قديماً مهيظاً للمجد والعلی	ومصعد غطريف ترجى مواهبه
وكان طليقاً ازهر اللون وجهه	وللغرب وجه اصفر اللون شاحبه
له النصر والتأييد في كل غارة	اذا زحفت يوم الصدام كتابه
وكم بات محتالاً بكل مملك	تسير على هام العباد مواكبه
وكم صال والهيجاء فان نجيعها	بكل صقيل لا تنفل مضاربته
اذا ما جرى وثباً الى مطلع النسي	فلا من يحاربه ولا من يوائبه
فيأشرق نساء اذا ناخ كل كل	من الغرب اذ مدت اليك مخالبه
تقدمك الغرب المجد فلم يدع	مكائناً تدانيه العلى وتقاربه
هرمت فلم تقدر على الدأب فانتى	بشاطرك الدنيا وما طر شاربه
ومن عجب طفل على الثدي مرضع	يطاول شيخاً حنكته تجاربه
جنبت الى حب الخمول ولم تسر	على سنن يرجو الهداية جائبه

صدقك ما في الشرق الاثر اذم تخور خوار الثور آذاه ضاربه
وما فيهم الا مضل مموه علي القوم حتى اخطأ الرأي صائبه
وفي كل يوم يبلي بهاض تغير علي عرش الملوك عصائبه

اعتب قومي والعقاب تودد اذا لم اجد بين الوري من اعابه
الي م ضياع العمر في غير عائد يجدوى ولم يرجع من العمر ذاهبه
يصاب الفتي بالحادثات تحيطه واول من بسعي اليها اقاربه
مائب لا تخصي اذا ما عدتها ورحم الفتي ان لاتعد معائبه
خمول ولهو وانحطاط وذلة وعذر ووعد لا يوثب كاذبه
وكم ما كر ينساب ارقم مكره وآخر مشاء تدب عقاربه
ميمك فانظر نظرة المرء خلسة تجد بانساً ملق على الضيم غاربه
ارى ناظر الشرقي يرنو من الاسى رنوا امريء ضاقت عليه مذاهبه
ومما يزيد النفس بوساً وحسرة تربصها خطباً تبت تراقبه
وما الشرق الا موطن عبث به علي غرة ابناؤه واجانبه
اضاعوا حى يجرى النصار بارضه وتهمي عليه بالبحين محائبه
كذا الشرق في اطواره طول عمره غرائب ما تنقضي وعجائبه

رثيتك بالارض الفراعنة الالهى رثيتك بالارض الفراعنة الالهى
ورثت بفضل العلم عزاً متمعاً ورثت بفضل العلم عزاً متمعاً
ولا خير في عرش من الغرب ربه ولا خير في مال من الغرب كاسبه
أفيتي فما في الجهل الا مذلة ولا العلم الا سوؤدد عز صاحبه
أنيرى ظلام الشرق بعد انسداله فعند طلوع الشمس تجلى غياهبه
ولا تقنطي من رحمة الله مرة اذا شيم من برق النخذالك خالبه
امتلئ ترين الغرب بقظان شاخصاً الى الشرق يرجو ان تسوء عواقبه
وددت بلادي ان تسود بنفسها لا كتب فيها خير ما انا كاتبه
وقال من قصيدة :

بعض الشيوخ ولا اقول جميعهم نخذوا البعنت والغداد لزاما

رثت عواطفهم وبات ضميرهم
 الفوا الجمود وكل شيخ همهم
 يمشون فوق الارض اعرض اهلها
 فروا من العلم الحديث وحسبهم
 حب الجبان النفس خلفه لقي
 وهم الذين اذا تضافر جمعهم
 والله لو شهبوا سلاح علومهم
 ولربما غلب الضعيف بعلمه
 قد حرموا علم الحساب وساء هم
 قنعوا بتجويد القراءة واكتفوا
 سلمهم عن الاهرام تسمع قولهم
 سلمهم عن اليايات تعرف انها
 سلمهم عن الميكاد تعرف انه
 سلمهم عن الامزون تعرف انه
 الى ان قال :

يانصف أميين كيف قرأتم
 هل في اللغات نقيصة ان شئتم
 وهم الذين كما نراهم اتقنوا
 مستشرق حفظ الكتاب وآخر
 بكفي رجال الغرب كل عجيبة
 بلغوا المطار وسوف تسمع انهم
 عابوا جمود المسلمين وصرحوا
 عشقوا الحياة وما عشقنا بعدهم
 نمنا وباتوا ساهدين وفاتنا
 متعنتين على الدخيل فان يضي
 حتى يظن الدين دين تعنت

ونسيتم ان تعملوا الافلاما
 ان تفحموا اربابها الاعجاما
 لغة النبي كتابة وكلاما
 اخذ الشرائع عنه والاحكاما
 تعيي الظنون وتعجز الاوهاما
 جازوا الهواء وخطبوا الاجراما
 ان لانعد مع الانام انا
 الا جموداً يشبه الاعداما
 حب الجمود على الضلال نياما
 نخرج اليه من الضياء ظلاما
 او دين قوم اشبهوا الانعاما

تقرير الجمعية العلمي السميثوني عن سنة ١٩٠٧

**ANNUAL REPORT OF THE SMITHSONIAN
INSTITUTION 1907**

من اهم الجمعيات العلمية في اميركا الشمالية هذه الجمعية التي جعلت مقرها في واشنطن . امامنا الآن تقريرها السنوي عن سنة ١٩٠٧ وقد وقع في ٧٢٦ صفحة وفيه عدة مقالات وابحاث مفيدة بالانكليزية في الفلك وطبقات الارض والظواهر الجوية والطبيعية والكيمياء والمعادن والاعادن والنبات والحيوان وعلم البشر حوت ٢٧ بحثا في الاغراض المشار اليها مع بعض الصور والرسوم الانيقة فقالة في آلة التور بين البخارية على اليابسة والماء ومقالة في ارتفاع التركيب الميكانيكي في الطباعة وفي بعض حقائق عن الكهرباء وابحاث جديدة في التلغراف اللاسلكي وخاصيات الانوار الكهربائية المنوعة وتقدم صناعة التعدين الكهربائية وتقدم جديد في التصوير الشمسي الملون والبربر في افريقية الجنوبية قبل زول الاوربيين فيها وآلة رخيصة اثنى لتحصيل علم الفلك وعلم طبقات داخل الارض وبحر سلطون والطرق المائية في البلاد وارتفاع علم الظواهر الجوية مثال لارتفاع العلم العام ومنزلة علم النبات القديم في وقتنا الحاضر وحدائق الحيوانات في بريطانيا والبلجيكا وهولاندة وعلم الحيوان الاصلي تقدمه وغايته والتاريخ العام لدنات الثدي البحرية وشعوب اقليم البحر المتوسط واليابان قبل التاريخ واصل الحضارة المصرية والمضخة التاربية واصل البجدية الكنعانيين ومسألة تعمية الالوان ومقالة في الدرن واخرى في ترجمة مارسنن بيريثلون وغير ذلك . والتقارير كالتقارير السابقة في الغاية من حيث الطبع والوضع فتى يكون للشرق العربي مثل هذه الجمعية التي تحيي العلوم المادية وتخلص من دور الادبيات والخيالات

تقرير الجمعية العلمي السميثوني عن سنة ١٩٠٨

**ANNUAL REPORT OF THE SMITHSONIAN
INSTITUTION 1908**

هذا التقرير اكبر من التقرير السالف حجماً واغزر مادة يبدو عليه النمو الغريب وتبين منه ارتفاع هذه الجمعية الراقية ومباحثه تدور كطريدة على العلوم المادية والطبيعية في مقالاته الموقعة بتوقيع اهل هذا الشأن مقالة في المناطيد الحربية واخرى في التلغراف اللاسلكي وفي التصوير الشمسي والحاكي (الفونوغراف) والمادة والاثير وارتفاع الكيمياء الامة والطبيعة في الاربعين سنة الاخيرة وارتفاع القذائف في عشرين سنة ومباحث

حديثة في تكوين الكون وتغيرات المناخ واسبابها واورنوس علم طبقات الارض وفي معارفنا الحاضرة عن الارض ورحلات الى القطب الجنوبي من سنة ١٨٨٩ وبعض مناظر جيولوجية من النيل وفي الوراثة وفصائل النبات وصبار المكسيك وسمك انكلر وانواعه وطيور الهند ونشوء الفيل والحمة الدورية في اليونان وكارل فون لينني احد علماء الجيولوجيا وترجمة اللورد كلفن واعمال هنري ركويرل . وجميع هذه المقالات في الغاية من التحقيق ويدخل هذا المجلد في ٨٠٠ صفحة جمعت فاوتت وفيه كمجلدات السنين السابقة قائمة اعمال الجمعية والغرض منها ودخلها وحرجها لازال التوفيق حليف المجامع العلمية على اختلاف لغاتها واغراضها

الريحانيات

طبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٨)

قليل في كتابنا من خلصوا من ربة التقليد وقليل فيهم من يكتب ليفيد . وامين افندي ريحاني صاحب كتاب الريحانيات هو من امثل كتابنا وشعرائنا نجما من التقليد ووقف نفسه على نشر ما يفيد واشتهر بانه العربي الذي فاق الانكليزي في البيان الانكليزي فيكتب وينظم كافضل ادبائهم ومصنفه رباعيات ابني العلاء الذي ترجمه شعراً الى الانكليزية ومقالاته في المجلات الايركية والانكليزية ادل دليل على تميزه ولكنه على هذه المزية الممدوحة في منافسة افاضل الانكليز لم تفته منافسة كتاب العربية فكتب ونشر عدة مقالات وابحاث في الجرائد العربية في اميركا ومصر والشام كما طبع من قلمه كتابين احدهما المحالفة الثلاثية والآخر المكاري والكاهن وجميع ما كتبه كتبه لاليقال انه كتب بل لنفع قراء العربية وقد طبع هذه الآونة الجزء الاول من مقالاته التي نشرها في الجرائد من قلمه

صدء كتابه بشذرة من خطه جاء فيها وهو ما ينم على الغرض من نشر الكتاب « جرد نفسك ولو بضع ساعات من اطمار الاجيال وتعال فحج معاً . ومتى وصلت الى كعبة الحقيقة وانت في مئزر الحج تجد هناك اثوابك الموروثة واثواباً اخرى جديدة الى جانبها فاما انك تعرد الى ما كنت عليه فتلبس ما الفتته وتسير في سبيلك واما انك تعاضء بثوب ليس بفخيم ولكن من الرقع والفنوق سليم . وفي كل حال لا انسى انك اكلت من جفنتي وشربت من ابريقي ونمت في خيمتي »

في الكتاب عدة مقالات اكثرها مما كتبه تحت سماء اميركا فرشحت الكتابة من

افكار محيطها وصدرت كأنها غريبة لا شرقية وأكثرها من نمط الشعر المنشور كمقالة وادي
 الفريكة التي وصف فيها الكاتب قريته وما فيها من مظاهر الطبيعة البهيجة فاجاد من
 وراء الغاية ومقالات « الكتاب » « انوار الافكار » « مناهج الحياة » « الصلوة »
 « جهل الانسان لحكمة الخالق » « عظة رأس السنة » « من على جسر بروكلن » « فوق
 سطوح نويرك » « الفقر وبنوه » « التمدن الحديث » « الضجيج والضوضاء » « روح
 هذا الزمان » « شهداء العلم » « الحرب التي تهمني » « الخيانة والخناس » « خطاب
 المسيح » « بين اللاهوتين والعلماء » « ما هي السعادة » « بيتان للثاني » « مكروب
 السعادة » « المصيبة في التعزية والتعزية في المصيبة » « الرداء الاسود » « فلتز
 « جان جاك روسو » « ولیم غارسون » « تولستوي » « ابن سهل الاندلسي » « الثورة
 الافرنسية » « بذور للزارعين » وغيرها

والكتاب تتدفق حرية الفكر من اطرافه ورقة الاحساس من سطوره وبعد النظر
 من مراميه ومعانيه وكله معان فلسفية في قوالب عصرية وروح شفافة في شعور جديد
 ولقد قرأنا مرات بعض المقالات ونحن الآن نحس ان نعيد تلاوتها اذ في ارباب
 الاقلام مثل هذا النفس في اصلاح الافكار والتلطف في ابلاغ العقول الجامدة
 محاسن الحضارة المدهشة والتجديد المفيد

وما احلى قول الكاتب من مقالة في جسر بروكلن وهو جسر نويرك يخاطب تمثال
 الحرية قائلاً : « متى باترى تصير الحرية مثل هذا القمر فتوقد مصباحها لا في الغرب
 فقط بل في الشرق وفي الجنوب وفي الشمال — في العالم بأسره . متى تتحولين وجهك
 نحو الشرق ابتها الحرية ؟ متى يمتزج نورك بنور هذا البدر الباهر فيدور معه حول الارض
 ويضيئ ظلمات كل شعب مظلوم ؟ ابناً قى ان يرى المستقبل تمثالاً للحرية بجانب الاهرام ؟
 ايمكن ان نرى لك في بحر الروم مثيلاً ؟ اممكن ان يولد لك اخوات في الدردنيل وفي
 بحر الهند وفي خليج الصين ؟ ابتها الحرية متى تدورين مع البدر حول الارض اتنبيري
 ظلمات الشعوب المقيدة والام المستعبدة

« وانت ابتها البواخر المقلدة الى اوربا ومصر وعدن والهند منسوجات « نواكلند »
 وقطن « فرجينيا » وحديد « باسلفاينا » وقمح « تكساس » وخشب « فرمنت » خذي
 معك الى بحر الروم وبحر الهند والبحر الاحمر والبحر المتوسط بعض موجات من هذه
 الامواج التي تغسل ابدان تمثال الحرية . خذي معك ولو زجاجة صغيرة من الماء المقدس .

ورشي منها سواحل مصر وسورية وفلسطين وارمينيا والافاضول وكل جزيرة تميز بها
 وكل بلاد تقصدينها وكل شعب تحيي سواريك قباب كنانته وماذن جواده .
 « احملني سلام هذه الآلهة التي تنير الآن طريقك في الخروج من العالم الجديد
 وتوكل بها ماله في السماء من سقيقات باهرات . احملني الى الشرق شيئاً من نشاط الغرب
 وعودي الى الغرب بشيء من تقاعد الشرق . احملني الى الهند بالة من حكمة الاميركان
 العملية وعودي الى نيويورك بفضة اكياس من بذور الفلسفة الهندية اقذفني على مصر
 وسورية بفيض من ثمار العلوم الهندسية واقفلي الى هذه البلاد بفيض من المكرم العربية .
 ابتها البواخر الآية حيي عن جسر بروكلن تدمر وقلة بعلبك وأقراي اهرام
 مصر سلام هذه المعالم الشاهقة المشعشة بالكهرباء . سيدي ابتها السفن بسلام وارجعي
 بسلام

وقد شاهدت الآن ثلاثة مناظر عظيمة لا اقدر ان انساها حياتي . لا اتناساها
 لانها عندي اشبه برموز جميلة لدعائم الحياة الروحية الثلاث هي مراحل في رحلتي
 الفكرية التي باشرت منذ خمس سنين — او من حين ولدت . نعم اني طفل في العالم
 الروحي اني سأل في مروج النفس واوديتها امامي مسافة طويلة يجب ان اجتازها وتحتي
 هوة هائلة يجب ان اسبر غورها وفوقي فضاء غير متناه فينبغي لي ان اتمتع بجماله وحوالي
 من المروج والجبال والانهر والبحار ما يشغل اعظم وقتي لو عشت الف عام .

اما المناظر الثلاثة التي تتمع بها طرفي حتى الان فقد تركت اثرًا عظيمًا في نفسي فهي
 لبنان وسواحله من ذروة جبل صنين وباريز من على برج ابفل ونويورك من الليل في
 منتصف جسر بركلن فالاول انما هو رمز الطبيعة والثاني رمز النون الجميلة والثالث
 رمز الكد والاجتهاد وهذي هي دعائم الحياة الروحية الثلاث فالمنظر الاول صنعة الله
 والمنظران الآخران صنعة الانسان المنظر الاول او الطبيعة هو منبع النعمات الالهية
 والالهامات الروحية والمنظر الثاني او باريز هو منبع التفنن في الصناعة على الاطلاق والمنظر
 الثالث المنبسط امامي الآن انما هو عنوان الجهاد والجد والثبات والنجاح

فاذا كنت ايها القاري شاعرًا او مصورًا او كاتبًا بل لو كنت صانعًا او دنانًا او اسكافًا
 وجه نظرك الى الطبيعة أولا تستمد منها الالهام الالهي وعنها تقتبس الالوان البديعة
 والمناظر الجميلة والاشكال الانيقة والنفحات السماوية وعرج على باريز ثانيًا لتعلم فيها
 دقة الصناعة ولطافة الاسلوب وجمال الفنون وغرابة الابداع وسر الابتكار وانزل على

نويرك ثالثاً تأخذ منها الاجتهاد والجلادة وتعلم من اهلها الاستقلال في العمل والثبات بعد الفشل . الطبيعة — التفنن — الاجتهاد — هذي هي اساس الاعمال الفكرية هذي هي دعائم الحياة الروحية . لبنان — باريز — نويرك — في الاولى روحي وفي الثانية قلبي وفي الثالثة الآن جسدي »

والكتاب ليس من الملاحظة كما يتهمه اعداؤه بل هو ملحد بأكثر ما يخبرص به المخبرصون من الشروح على المتون ومن قرأ مقالته في « فلتز » الفيلسوف الفرنسي يتجلى له من اي نحلة كان ان الحرية ان لا تراعي اخاك ولا اباك فيما تعتقد صحة . قال : الاحاد مضر بالصحة فهو لاشك ينفخ الصدر ولكنه يضعف القلب ويصغر الرئتين . اقول هذا عن اختبار ولا اقول اكثر من ذلك ليعلم القاري ، فكره . اذا الاحاد مضر بالصحة ومهما قلتم لا اوضح . اختبروا لانفسكم ان شئتم ولكن اياكم والتطوح واذا كنتم لاتعرفون الحدود فالاجدر بكم ان لا تجربوا لئلا تتملك فيكم جرائم المرض واذا كانت معدتكم ضعيفة فاياكم وفلتز .

وبعد ان افاض في مزايا هذا الفيلسوف ومآتيه ومنازعه آخذه على روايته التعصب التي طعن فيها على الاسلام واهداها الى البابا فقبلها هذا بكل سرور وبث الى فلتز كتاباً لطيفاً اثني فيه على غيرته (بنج بنج) وانتقد بعض آيات في الرواية الشعرية فاجابه فلتز متجامل على عادته في مثل هذه الامور انك لاشك معصوم عن الغلط في المسائل الادبية ايضاً (زه ثم زه) هكذا تبادل الاثنان عواطف الولاء الكاذب وانتصر فلتز على اعدائه اليسوعيين وانصارهم ولا يخفى على القاري اللبيب ما في هذا العمل من السياسة والحيلة والمكر ناهيك بان الكاتب اخطأ في انتقاده الدين الاسلامي وفي تحامله المنكر على مؤسسه العظيم . . . »

وهذه النمودجات كافية في بيان فضل هذا التأليف النفيس ومنزلة ابي عذره من سلامة الفطرة و بعد الغور والنظر فله منا الشكر على ما تحف به عالم الآداب من هذا السفر الجديد في وضعه وطبعه

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب

المعروف بمعجم الادباء اوطبقات الادباء لياقوت الرومي

نشر الاستاذ مرجيولث استاذ اللغة العربية في كلية اكسفورد القسم الاول من الجزء الثالث من هذا السفر النفيس الذي يطبع على نفقة أسرة جيب الانكليزية وفي هذا

الجزء ٤٤ ترجمة من حرف الحاء وفيه من الاعلام ترجمة السيراسيف وابن رشيق وابي هلال العسكري والاسكافي وابن مقلة وغيرهم وطرف من اخبارهم ومنشورهم ومنظومهم واكثره مما لم ينتشر بالطبع حتى الآن فسد بذلك فراغاً مهماً في آداب العربية . وانا لنكرر شكرنا للاستاذ مرحليوث لغيرته على آدابنا اكثر من غيرتنا انفسنا ونرجوا ان يوفق الى اتمائه على ما يحب ويحب عشاق العلم المولعون باحياء آثار السلف

كتب متفرقة

مبادئ العلوم السياسية والتاريخ الدستوري — الفه مصطفى افندي صبري فيه كلام مفيد في المجالس النيابية ونظام الحكومات ولاسيما العثمانية والمصرية والانقلابات السياسية والاقطاعات يطلب من مؤلفه في مصر

غرائب الاعتبار ونزهة الالباب — هو رحلة للسيد محمود الآلوسي صاحب التأليف المهمة وفيه وصف رحلته من بغداد الى الاستانة ومن لقيهم في عهده من المشاهير والبلاد التي حلها طبع في بغداد في مطبعة الشايندر

الخلاصة العراقية في تاريخ ادب اللغة العربية — هو كتاب في تاريخ العربية وتراجم الكتاب والشعراء الاقدمين من اهلها تأليف احمد افندي حسن الزيات في القاهرة . فهرس مقتنيات الآثار العربية — تأليف مكس هراتس بك رئيس مهندسي دار الآثار العربية بمصر وتعريب علي بك بهجت وكيملها وفيه تاريخ هذه الدار والغاية من انشائها

المجموعة العلمية — مجموعة رسائل في الرياضيات والطبيعات وضعها عبد الواحد افندي حمدي في مصر

فلسفة النشوء والارتقاء — او مجموعة الدكتور شبلي شميل وفيها كثير من كتابات هذا المفكر الكبير في مجلدين ظهرا منها حتى الآن وتطلب من القاهرة

مشاهد الممالك — فيه وصف مسهب لبلاد اوربا واميركا وكثير من افريقية وآسيا وكلها مما ساح فيه المؤلف ادوار بك الياس في القاهرة

نصائح للامهات — عرب الدكتور فريد عبدالله في مصر وهو نصائح لربات البيوت للعناية باطفالهن عند غيبة الطبيب

المقدمة

درس على كتاب الدارس في المادارس (١)

أيها السادة :

ان تاريخ كل أمة سواء كان مجيداً او غير مجيد قد لا يخلو مستقبله من ارتباط بماضيه
لا من حيث التشابه بين طرفيه بل من حيث النتائج التي تترتب عليها نهضة الامم احياناً
وتغير مجرى الحياة الاجتماعية بان تسرع بخطا الشعوب الى مراقبي الصعود
ومعناه انه اذا كان ماضي الامة عظيماً محترماً في التاريخ تحرص لي ان يكون اعظم احتراماً
في حاضرها او علي ان تسترد ذلك الاحترام اذا فقدت شيئاً منه . واذا كان ماضيها
سيئاً غير محترم في التاريخ تدأب على التخلص منه وتطاب لنفسها حاضراً أسعد منه .
فان نتيجة واحدة في الحالين ولكن لمن ؟ ومن يحصل على مثل هذه النتيجة من الامم ؟
تحصل عليه أمة تعلم ان لها تاريخاً فندرسه وماضيها فتبحث فيه وترجع اليه لاسيما اذا
كان تاريخاً مجيداً له آثار معروفة في الوجود واثراً محقق في الاجتماع . والامة كالفردي
نفخورة بالماضي الجميل اذا تمثل لها نفخ فيها من روحه فملاًها نشاطاً ودفعها الى الامام
اشواطاً

وان امة لا تعرف تاريخها أحربها ان يتنكر لها الزمان وتزدري بها الشعوب لجهلها
بماضي التاريخ وتنكرها الانسانية وتنكرها السماء والارض
ان المدنية الاسلامية التي رفع منارها اسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الارض

(١) محاضرة القاها رفيق بك العظم في منتدى القوتلي في دمشق يوم ٤ اشعبان

سنة ١٣٢٨

ومجرى الاجتماع كان لمدينتكم هذه حظ وفير منها لاسيما في التوفر على انشاء معاهد العلم ودور التربية والتبذيب

هذا ايها السادة ماعاني لان اقف بينكم خطيباً افنح صحيفة من ماضي التاريخ فيما يتعلق باسلافكم الغابرين ومدنيتكم الفخياء وفيها ذكرى للذاكرين « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

ان هذه الذكرى ما ترونه في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الـ ٣٠٠ وثلاثمائة وستين صفحة وهو كتاب (الدارس في المدارس) تأليف العلامة المؤرخ محمد بن محي الدين النعماني وهو خاص بما أنشئ من معاهد العلم والمساجد ودور العجزة (النكاي) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مائتين وبضعا وثمانين لو وزعت المدارس منها على السنين منذ انشاء اول مدرسة في القرن الخامس الى سنة احدى وتسعين واربعمائة الى عهد المؤلف في اواخر القرن التاسع لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة تنشأ او دار للعبادة والمرضى تشاد هذا فضلا عما انشئ من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب تتلو عليكم بعضا من اسماء المدارس التي جاءت فيه ولا اطيل خوفا من ضيق الوقت

اما ترايخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاقواف التي حبست على الطلبة فيها والعلماء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لادواته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها او نبغوا فيها من علماء الشريعة تمتل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ابن تيمية صاحب التاليف الكثيرة وقاضي القضاة صدر الدين الازرعي صاحب الجامع الصغير والعماد بن كثير والزووي وابن الصلاح والحافظ جمال الدين المزي واشباههم من العلماء الكبار ومن علماء الطب مثل الرؤساء ابن ابي أصيدعة صاحب تاريخ الاطباء ومهذب الدين بن الحاجب ونجم الدين اللبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخواز وعماد الدين النيسري واشرايهم

ومن علماء العقلية والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن ابي الحكم الباهلي وعن الدين السويدي وابي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيارستان النوري القائم الى اليوم من عمل يده واشرايهم

وها انا اقرأ لكم مثالا واحداً من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ المدارس هذا في ترجمة افضل الدين ابن ابي الحكم نقلاً عن الصفدي
(محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي) هو افضل الدين ابو المجد بن ابي الحكم من الحكماء المشهورين كان طبيباً ساذقاً وله يد طويلة في الهندسة والنجوم (اي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل اورغناً وبالغ في اتقائه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نورالدين بن الشهيد ولما عمر البيارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل امر الطب فيه الى آخر ما قال

هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفضل الكبير منهم وعدد كثير مثلهم من اهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس او تخرجوا الى رؤسائها ومتابعتها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمولفات النافعة في كل فن ومن راجع منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحبلي في اكثر من مائة مجلد وتاريخ الحافظ ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلداً وهما موجودان اليوم في المكتبة العمومية في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليها ما ألفه علماء تلك القرون الافاضل وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك والطب والرياضيات كالفن الهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم علم مقدار مالهذه المدارس ومؤسسيها من الفضل على الالة وما للنابعين فيها من الاثر العظيم في الوجود بما سهره من الليالي الطوال في التحرير والتبوير وما عاونه من النصب في وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب وشروا العلم : وما قولكم في ان عالماً واحداً من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع وثمانين وخمسائة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكمة كما ذكر ذلك ابن ابي أصبغة في ترجمة المولوا اليه

ولا يظن بعضهم ان هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وان اكثر علمائها وطالباتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها كلا فان فيها مدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلاً ومن هذه المدارس المدرسة الدخوازية والدينيسرية والبوذية كما سترون ذلك فيما يأتي من الكلام ان شاء الله

ولقد اخبرنا التاريخ ان مجاهد العلم كانت مشاعة بين طلابه من كل فن وان الطبيب او الفلكي مثلاً كان يلقي دروسه في اي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة

(المدرسة النيسرية) غربي البجارسن النوري والصلاحية بأخر الطريق من
قبلة قال الذهبي في العبر في اخبار سنة ست وثمانين وسبعمائة

« عماد الدين ابو عبدالله محمد بن عباس الربيعي » الرئيس الطبيب ولد بدنيسر
سنة ست وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وتفقه للشافعي وصحب البهاء الزهير وتأدب
به وصنف الى ان قال نقلا عن الاسدي : العاد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب
صاحب المدرسة للاطباء بالقرب من بيارستان نور الدين الشهيد الخ .

(المدرسة البودية) اللبودية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك
المشيري اشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة اربع وستين وسبعمائة : الى
ان قال نقلا عن ابن ابي أصيبعة . كان علامة وقته وافضل اهل زمانه في العلوم
الحكمية الخ

هذه امثلة من عمل العلماء : واسمعوا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم
والمنفعة العامة لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان

(المدرسة المزلقية) بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية اذ تأها تاجر الخالص
الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق ميلاده
سنة اربع وخمسين وسبعمائة وكان ابوه لباثا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند جامع
يلبغا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها كسب فيها
مائة الف دينار وتمائة الف درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر املاكا كثيرة وانشأ على
درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار
اتفق على عمارها ما يزيد على مائة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في
غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة
بدرج الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة الحسنة وعين
للحجرة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة واتم السلام الشمع والزيت في كل عام
الى آخر ما قال

وهذا مثال لتاجر غيره ايضا : (المدرسة الرواحية) شرقي مسجد ابن عمرو بالجامع
الاموي ولصيقه شمالي جيرون وغربي الدو بلعة وقبلي السيفية الحبلية : قال ابن شداد
بانها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في

من مات سنة اثنتين وعشرين وستائة والزمكي بن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري
التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية بدمشق واخرى مجلب الخ

ومن امثلة عمل النساء : (المدرسة العالمية) العالمية شرقي الرباط الناصري غربي
منع فاسيون تحت جامع الافرم واقفتها الشينئة الصالحة العالمة اللطيفة بنت الشيخ الناصح
الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة التي قبل هذه (وهي المدرسة الشينئة بانها الشيخ ابو
عمر الكبير) وكانت فاضلة لها تصانيف وهي التي ارشدت ربعة خاتون بنت نجم الدين
ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة الصاحبية بتاسيون على
الحفالة الخ

ومن امثلة عمل العبدان والطواشية (المدرسة الصارمية) الصارمية داخل بابي النصر
والجالية قبلي العذراوية بشرق قال القاضي عز الدين بانها صارم الدين ازبك مملوك
فايماز النجيبى ورأيت مرسومها بعتبتها ما صورته

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحر
عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحما الله تعالى الخ
ارأيت ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبمن وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا
يعملون ما لا يعملهم الجماعات منكم اليوم

ان الافراد هم الذين ينهضون بالامم وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة
من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعائمها وتشييد بنيانها
تعملون ايها السادة ما كان لترجمة كتب اهل التمدن القديم كاليونان والفرس الى
العربية من الاثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء
العباسيين وقد يتوهم بعضهم ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم
واخصهم امير المؤمنين المأمون والحال ان لكثير من الافراد ورجال الفضل والنبل
من الامة يدا لاتنكر في هذا السبيل .

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لا يقل تأثيراً في الهيئة الاجتماعية عن
عملهم مجتمعين

ولذا فلا ابالغ اذا قلت ان نوايع الامة الذين خدموا بدكايمهم وعلمهم المدنية وشيدوا

اركانها الرفيعة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل اهل السخاء والوجود من محبي العلم والترقي وانصار النجاح الذين كانوا يفتقون من مالهم على المترجمين للكتب العلمية الى اللغة العربية

ومن هؤلاء الافاضل الاجواد الذين رصدوا جزءاً كبيراً من اموالهم على المترجمين لكتب العلم في تلك العصور : علي بن عيسى العباسي : ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير : وعلي بن يحيى الكاتب : وابن المدر الكاتب : وثاوري الاسقف : ومحمد بن عبد الملك الزيات الوزير : وبختيشوع الطيب : ويوحنا بن ماسويه الطيب : والعدد الكثير من امثالهم المولعين بالترقي والعلم الذين كان ينفق كل واحد منهم اموالاً طائلة على نقله العلوم الى اللغة العربية حتى اقدم نقل ابن ابي أصيبعة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد على المترجمين الف دينار . قال هذا فضلاً عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا القصد

انا والله نتمنى ان تجمع هذه الالف دينار في كل شهر من الف غني من اغنيائنا اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وتربية الناشئة من ابناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم لعوضوا ابناءؤهم اضعافاً مضاعفة في الغد . بل لو فعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشر سنين جنة قطوفها العلم وسياجها القوة وحياة . ولتعد الى ما كنا بصده فنفق :

بمثل هذا البذل على نقل كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها ظهر اركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التمدن الاسلامي وذلك مثل بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختيشوع وبني سهل وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قره وبني زهرون وابي عثمان الدمشقي وابن كرنيب ويحيى بن عدي المنطقي وابي الفرج الطيب وابي الريحان البيروني والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي وابن الشاطر واضرابهم من العلماء الذين ظهروا في الشرق في غصور متفاوتة ابان الحضارة الاسلامية

ومثل بني زهر ويحيى بن السمينة وابي القاسم المرحيطي امام الرياضيين والفلكيين في عصره وابن السمع الغرناطي الهندس وسيد بن عبد ربه وابي جعفر الترحلي وابي الوليد ابن رشد وابنيه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب

ومثل ابن الهيثم البصري صاحب التآليف الغزيرة في الرياضيات والفلك والمبشر ابن فائلك وعلي بن رضوان وتليذه افرائيم بن الزفان والتشيخ السدبد رئيس الاطباء وشمس الرياسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين ابي حليقة واثالم من ظهورا في مصر كل هو، لاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المائة من ظهورا في عصرهم وبعده في الشام وبغداد ومصر وفارس والمغرب والروم اي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار ونهضوا بالامة واعلوا ذكر المدينة الاسلامية في الشرق والغرب وانما وضع لهم الاساس افراد من الامة قدروا قدر العلم فتيدهوا معاهد وترجموا كتبه واكرموا اهله بتكوتن من عمل اولئك وهو، لاء وتعاونهم جيلا بعد جيل ببناء تلك المدينة العظيمة التي فقدناها وبدؤنا نستطيع اللحاق بابناء التمدن الحديث لاعراضنا عن العلم وغفلنا عن تحدي الامم الراقية وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وانشاء دورها مع انا قد يطلب منا الآن ونحن جماعات فلا نجيب ما كانت يعملها الافراد من اسلافنا من تلقاء انفسهم وبمحض رغبتهم بالعلم والمعارف وحبهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم .

وبالجمله ايها السادة انا امة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا اسلافنا درساً لا يمحوه الزمان ونقش في كل زاوية من المشرق ومكان فلن يبلغ بنا ضعف النظر اوضعف القلوب والههم اوفساد الاخلاق واستحالة الدم الى ان تناساه ولا نقرأ صحفه الزاهية التي يدعوننا كل سطر منها الى التذكر والتفكر والسعي الحثيث الى الترقى الذي مناطه العلم والعلم يحتاج الى المال . فالمال المال الكرم الكرم الانتباه الانتباه والا قضي علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا اسلافنا الطاهرون ولا يكون ذلك ان شاء الله مادام فينا الكرام الغيورون والرجال المفكرون والسلام عليكم



اغنيأونا

قال لنا منذ مدة احد اعيان دمشق اني اضطرت لضائقة اصابتني ان ابيع عقارين من عقاراتي افتدري من كان يزيد فيها ؟ قلنا لا ندري . قال كان يزيد فيهما اناس لا يتصور العقل ان عندهم قوت شهر واحد اناس بلبسون خلق الثياب ولا تعدم من كبار السوق بل من صغار المرتزقة اما من كانت يظن انهم سينلقفون ذبتك العقارين فلم

يساومونا عليها بفلس واحد لانهم لا نقد نددهم وربما كان نقد ير الناس لاموالهم هو دون الحقيقة بمراحل .

واجتمعنا من المساء بمجلس عاص بالمفكرين وارباب التجارب فقص علينا احدهم ان المزرعة الفلائية التي يراد بيعها في الغوطة قد انتهت نهال الى عشرين الف ليرة علي رجل لم يكن يظن انه يملك عتس معتارها من الثروة حتى قال انه يدفع قيمتها حواله علي المصرف دفعة واحدة ثم اجمعت آراء الحضور ان ثروة دمشق قد زادت في العشر سنين الاخيرة زيادة محدودة بداعي الاموال الطائلة التي بذرتها فيها ادارة السكة الحجازية وهي لاتقل عن مليوني ليرة وادارة الاموي الكهربائي الذي انفق نحو مائتي الف ليرة وما عقب قرب المواصلات من ورود السائحين الحاجين الى دمشق ذاهبين منها وجائين وماتقلته السكك الحديدية من غلات البلاد القاصية فتقدر ماحماته سكة حوران وحدها من الغلات في العام الفات بثمان الف طن والطن اربعة قناطير ومثمية وتمتها يناهن المليون ليرة وما نقلته سكة حديد حاة بمخمسة واربعين الف طن هذا عدا ما نقلته الخطوط الاخرى وحمل آمتون الدواب والجبال من الغلات والثمار حتى عمرت بذلك قرى حوران وكانت خرابا يابا منذ بضع سنين وغدا الحور في اليوم يلعب بالليارات كالياب جاره الفلاح المنصري الجنهات هذا في اقليم واحد من اقاليم بلاد الشام وفي فلسطين وولاية بيروت ولب دسورية مقالعات لاتقل في خصها وامراعها عن حوران ولكنها لم تشتهر شهرتها واصبح اهلها بفضل المواصلات والحركة التجارية الجديدة في سعة من العيش تزيد كلما زاد منهم الحكومة امنا ووفرت لهم مرافق الحياة .

قالوا وعنده النهضة الاقتصادية -يف دمشق خاصة لانها قاعدة هذه البلاد والنقطة الوسطى ما بواب الكعبة ومقر الفيلى ومركز الولاية قد استمتع بخيراتهما المقاولون والتجارون والحداون والبنائون والحجارون والجمالون والعمله والتجار وارباب الفادق والمطاعم والعربات فتسربت الدراهم والدنانير الى جيوب ارباب الطبقة الوسطى فمن دونها واغتنى كثيرون وارتاسوا حتى ان كثيرين من بائعي الفول المدمس لا يرضون من الربح في يومهم باقل من ليرة

كل هذا قالوه وهو صحيح ولكن الواجب علينا ان لا يمر بنادون ان نندبرسه لاقتصادى والاجتماعي فالسرفيه ان كثيرين من الاعيان اكتفوا بما حازوه من الثروة ارتاء عن آباءهم او بفضل سعيهم ولا نقول كيف حازوها والطرق التي سلكوها فمنهم من كانت

ثروته ثمرة الكدح المستروع من تجارة وزراعة وهم قلائل يعدون بكي الاصابع . ومنهم من اغتموا بالاتفاق فابتاعوا مثلاً أرضاً او عقاراً قضت الاحوال بارتفاع اسعاره فاصبح ما يبيع بالف يساوي عشرة آلاف وعدد ثم محدود ايضاً ومنهم اثروا بما كانت لهم اولادهم من النفوذ في الدولة الاستبدادية فكان الفلاحون يأتونهم باكين شاكين طالبين اليهم ان يرفعوا عنهم ظلم الحكومة او الملتزمين او عرب البادية يأخذوا قريتهم حاللاً زلالاً وهم يكتفون بهم بالحماية ويدفعون لهم الخمس كل سنة من مجموع ما تنبت الارض . ومنهم من تبسروا ان يحرزوا وقفاً عظيمًا مدرسة او لمدارس فعمروا ارضه ورباعه فاخصب وعلائنه مع الزمن فاغتمواهم واولادهم ومنهم من وسدت اليهم الوظائف فباعوا ذمهم وفتحوا بطونهم لاكل الرشي واضاعوا حقوق العباد والدولة حتى جمعوا لهم مقداراً من المال انتبوا به الحوائت وعمروا الدور واستثمروا المزارع والساكن . ومنهم من جروا الى استحلال الربا ايام كان ابن حوران مثلاً لفقره يضطر في اكثر سنيه ان يقترض الترش بقرتين وكانت للرايين والصارف حقه وعرامة فجمعوا من رأس مال صغير كوزاً كبيرة في برهة وجيزة ومنهم من لم يستكفوا من ظلم الفلاح فاكلوا لحمه وعرقوا عظمه حتى تم لهم والناس في غفلة والحكومة في اغفاءة الدن من اغفائة الصبح نائمة عن رعاياها ان جمعوا ما جمعوا سحتاً بحتاً وحراماً لا يجوز عقل من عقول البشر ولا سرعة من الشرائع السابوة والارضية .

هكذا قام اكثر ما شاهده من الثروات وكى هذه الاسس قامت ابنية الامجاد والنقير رائد اصحابها والامساك طريقهم الى الجمع . ومن اتاه قرش فصرف بعضه واحسن استخدام ما جمعه لانه ان يأتي عليه يوم يجوز الغنى وكيف لا تنسب بعض الاغنياء الى كرازة الايدي ونحن نراهم لا يدعحون حتى بتعليم اولادهم مع ان تعليمهم باتفاق آراء العقلاء يعادل اطعامهم لقوام اجساءهم وتغذية الارواح مفضلة عند الكثيرين على تغذية الاشباح

لو تعلم اولاد الاغنياء التعليم العصري المطلوب ورؤوا ان الاخلاق الفاضلة اخلاق العمل والحساب لما خيف على ثروات آبائهم من التبدد واثروا بالنسب كما يتوارث النشب كبراً عن كابر فتتسلل الوجاهة في بيوتهم ابيل بعد الجيل والعصر بعد العصر فلا يخافون عيلة ولا يشكون سقوط منزلة . واصدق مثال يصح الاستشهاد به كل حين ما يراه كل انسان من الفروق في حالة المسيحيين والمسلمين وهم ابناء ولمان واحد لا يختلفون

في طبائهم ولا في عاداتهم وهم قد فاقوا المسلمين بمبادي يتعلمونها من اللغات والعلوم وطاب عيش الفقير منهم أكثر من عيش الغني في المسلمين وذلك بفضل ما تعلموه من حسن الترية والحساب للمستقبل وعدم الانتكال على الحكومة واعمالها بل على الكفاءة واستخراج الثروة من المذاهب الطبيعية في المعاش .

وعقد ابن خلدون فصلاً في ان نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء فقال « ان باقي المجد عالم في بناءه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقاءه وابنه من بعده مباشر لايه قد سمع منه ذلك واخذه عنه الا انه مقصر في ذلك نقصير السامع بالشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان حفظه الافتناء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني نقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقته جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحترقها وتوهم ان ذلك البنين لم يكن بمعانة ولا تكلف وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجارة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدودها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فيربأ بنفسه من اهل عصبته ويرى الفضل له عليهم وثوقاً بما ربي فيه من استتباعهم وجهلاً بما اوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بجماع قلوبهم فيحترقهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويدبلون منه سواء من اهل ذلك الثبت ومن فروعه في غير ذلك العقب الاذعان بعصبيتهم بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتفترق فروع هذا وتذوي فروع الاول ويدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

« واشترط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والا فتد يثر البيت من دون الاربعة ويتلاشى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في الخطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بانه مباشر له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما لكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم اشارة الى انه بلغ الاية من المجد وفي التوراة ما معناه ان الله ربك طائفي غيور مطالب بذنوب الآباء للبنين على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب اه

وبعد فان من سنن الكون ان لا يظل الغني غنياً ولا الفقير فقيراً وان من رأيتهم اغتنوا في العهد الاخير بالنسبة لمجموع ثروة الامة هم الذين سعوا الى الرزق من ابراهه ومعظمهم يوثرون حتى بعد ان اغتنوا ان يعيشوا عيش البساطة فدخل احدكم فائض كثيراً عن خرجة ولا يبعد ان يجيئ يوم يتولى اولئك الذين لانعرفهم الآن او لانريد ان نعرفهم ازمة الامور ويصبحون هم اعيان البلاد خصوصاً اذا داوا ارواحهم وارواح ذرارهم بترياق التعليم وبلسم التربية الحديثة وطبعوا أسراتهم بطابع الاستقلال لا بطابع الاتكال في الاعمال . ربهم ليكونوا اعضاء عاملة في المجتمع البشري لا ليكونوا فقط آمريين ومأمورين . ربهم ليعرفوا قدر المال وطرق كسبه من الوجوه المشروعة المعقولة لا بالاحتيال والنصب وخبث الطعمة وسوء القالة . ربهم كما يربي الانكليزي ولده فيعلمه حتى اذا بلغ اشده يلقيه برضاه في معترك الحياة مانعاً عنه كل معونة مالية لا كما يربي الفرنسي ولده فيعلمه ما اراد فاذا شب لا ينفك عنه فيزوجه ويعطيه وربما حرم بناءه حتى يخلف قدراً اكثر لبنيه



التعليم الوطني

من اهم المسائل الاجتماعية في العالم مسألة التعليم فهو الذي تحرص عليه الامم حرصها على حياتها . والتعليم الوطني هو ارق انواع التعليم به تحفظ الجنسيات واللغات ويبقى على العادات والقوميات ولذلك تجد العراك في هذا الشأن على اشد ما يكون بين الامم الغالبة والامم المغلوبة فالبولونيون لا يشتمزون من الالمان والنمسيين والروسين الا لان كلاً من المانيا والنمسا وروسيا تحاول ان تصنع البولونيين بصبغتها . والجزائريون لا يتأففون من فرنسا الا لانها تنوي القضاء على جنسيتهم ولغتهم ودينهم بتلقيهم المبادئ الفرنسية واللغة الفرنسية . والكوريون لا يفضون على اليابانيين الا لان هو لاء يحبون ان يصبغوا اهل كوريا بصبغتهم ويطبعونهم على مناحيهم . واهل الالزاس واللورين لا يكونون من الالمان الا لانهم يرمون الى تربيتهم على الاسلوب الالمانى وتلقيهم اللسان الالمانى لينسوا مع الزمن لسانهم وقوميتهم كما نسي اهل شلزيك هولشتاين الدانيركيون لغتهم بانضمامهم الى بروسيا . والجاويون لا يثأهون من هولاندة الاسعيا في تشتمهم على مناحيها .

والهنديون اعظم ما يقيمونه على الانكليز تلقينهم الناس حب انكسار وعظمتها ولغتها
وان كان الانكليز اكثر الامم مراعاة لعواطف المغلوبين على امرهم

وهكذا لو استقر بنا تاريخ الانسان الى اليوم والى ابعد اليوم نجد هذه عبارة عن سلسلة
ظلمات منشأوها سوء التفاهم بين الناس يريد القوي ان يسخر الضعيف ويطبعه على
منازعه لاعتقاده بانه اعلى منه كعباً واكثر علماً وادباً وارجح عقلاً وانجح معيلاً شأن
العالم مع الجاهل يريد ان لا تمر به ساعة الا ويعلمه شيئاً ليقر به منه ويحسن الانتفاع به
ولكن ما كل قوي يكون اعلم من ضعيف ولا غالب اسقل من مغلوب وندر في الناس
والامم من يقر بارجحية غيره عليه ولو كان الحق في ذلك اوضح من فلق الصبح .

نقول هذا ونحن نرى التعليم الوطني في مصر والشام وهما عرق البلاد العربية
في الحضارة والتعلم على اضعف ما يكون وان كانت مصر سيدة البقاع في هذا لاف
انتباه الناس منذ سنين لجعل طبقات التعليم بالعربية بعد ان كان يدبج كله بالانكليزية
لا بد ان يحفظ على المصريين لغتهم واخلاقهم ونقايلهم اكثر مما يحفظها على السوريين
مثلاً . فقد عبثت بالوربين دواي التفرق في الوطنية وذهبت ملكتهم فيهم بقوة المدارس
الغير الوطنية في ديارهم . فان كانت هذه المدارس قد نفعت سورية بما ادخلته اليها
من النور القليل فقد اسرتها بالانحلال عقدة الوطنية فمدارس الاميركان والروس واليونان
والفرنسيس والانكليز والالمان قد اصلحت وفسدت . اصلحت بثلقين من تخرجوا
فيها شيئاً من معارف الغرب واطففت في نفوسهم حب الوطن بتجديدها اليهم اوطاناً غير
اوطانهم وتعريفهم الى رجال غير رجالهم ومساواتها في اعينهم الامم . والعقل من حرص
على نفع امته قبل كل نفع وانتفع بما عنده قيل ان يتطال الى ما عنده غيره

رأينا افاضل الطبقة التي نشأت من مدارس الفرنسيين والاميركان والروس في
ادوار مختلفة فلم تشهد فيهم الا التنادر من يغار على وطنه كما يغار على حرمه فكذلك اذا حدثناهم
بما تصير اليه حالة لغتهم ووطنيتهم بتخليهم عنهما قالوا واي نفع يرتجى لمن يتعلم اللغة
العربية وهل هي الا لغة قوم بادوا وانقضت ايام سعدهم ومن يضمن لنا ان نعيش اذا
تعلمنا اللغة العربية ولذلك كانت اقل لغة من لغات العالم المتمدن اكثر فائدة . اما حالتهم
في انحلال عقدة الوطنية فادى وامرهم . ومن زهد في لغة آبائه وجدوده كان حرياً
بالزهد في وطنه ووطنيته . واللغة والوطن يصح ان يكونا اسمين لمسمى واحد .

شهدنا اناساً قليل عنهم انهم حاملون للشهادات العالية من مدارس الاجانب فكنا

نسألهم بعض الاسئلة البسيطة في تاريخ امتهم وبلادهم فما كانت اجوبتهم الا استهزاء بما يترتب على معرفتهم ذلك من الفوائد وكان ايسر ما ينجنا به احدهم انه يعرف تاريخ روسيا او اميركا او انكثرا او نرسا معرفة جيدة ويوردون لنا ايام تلك الام واسماء رجال الحرب والسياسة والعلم فيهم ويعجزون عن ذكر شي من تاريخ بلادهم الا القليل الذي تلقفوه بالسماع من العامة . هذا في ناشئة المدارس الاجنبية الذين هان عليهم ان يغادروا بلادهم واكثرهم نزحوا الى مصر واميركا وغيرها واختاروها موطناً لهم وربما حدثتهم انفسهم ان يتجنسوا بالجنسية الاجنبية لانه لا ترجى لهم عودة الى بلادهم وقد ملئت نفوسهم يجب من تخرجوا بهم .

وهناك طبقة ومعظمها من المسلمين تخرجت في مدارس الحكومة فخرجت اقرب الى المعجمة منها الى العربية لان المدارس الاميرية ما برحت الى اليوم وقبل اليوم تعلم اللغة العربية تعليماً صورياً وتوفر عنايتها بالتركية لغة البلاد الرسمية وانا لنخجل ان نقول ان سورية قد نشأ منها زهاء خمسمائة ضابط ونحوهم او اكثر من الموظفين لا يعرفون من اللغة العربية الا ان يتكلموا الكلام العادي البسيط واكثرهم يمزجونه بالفاظ تركية لا يفهمها ابن العرب ويعتدرون عن قصورهم بانهم لم يتعلموا في المدارس لغة آبائهم واجدادهم ومن يتدرون منهم على الكتابة الصحيحة بلغتهم فافراد يعدون على الاصابع تعلموها في الغالب بعد ان انجزوا دروسهم . والمتخرجون في مدارس الحكومة لا يحسنون في الاكثر تاريخ الدولة العثمانية فضلاً عن تاريخ العرب واجداد اسلافهم .

جنت مدارس الاجانب والحكومة على هذه البلاد اعظم جناية لان المتخرجين فيها ومعظمهم من الذكاء على جانب عظيم لم ينفعوا الدولة حق النفع ولم ينفعوا البلاد التي ولدوا فيها فترام ضعافاً في حبيهم ووطنهم فاما ان يتنقلوا في الوظائف واما ان يتنقلوا من البلاد جملة فحرم منهم الامة التي اولدتهم والسماء التي اظلمتهم والارض التي اقلتهم والبلاد لا تعمر الا بايدي ابنائها بعد ان قيل في الامثال « قتل ارضاً عالماً » وهل اعلم بها من ابنها .

ابحث عن تخرجوا في هاتيك المدارس منذ ثلاثين سنة تجدهم الا قليلاً جداً وقفوا انفسهم على نفع غيرهم واحترقوا جنسياتهم ولغتهم وربما كان عدد المحقرين لهما في ناشئة المدارس الاميرية اكثر من متخرجي المدارس الاجنبية لان هؤلاء يرون باحتكاكهم بالاجانب مبلغ تفاني هؤلاء في انهاض امهم وحبيهم لغتها وثقاليدها ومدارسهم عناية

بالعربية أكثر من المدارس الاميرية فاذا كان الطالب حصيف الرأس لا ينطلي عليه محال من علمونه ولكن من اين له وطنية كوطنيتهم وغيره كعزيتهم وهو لا يعرف من اسباب وطنيته حتى ولا لغتها ولا من مجد اجداده الا قسوراً ولا من حاجات بلاده وقانونها الا تافهاً . وهل غير القوي بدافع عن حوزة وغير العاقل يحفظ بعاداته ولغته والتوة لانتشاً الا بالعلم والتربية الوطنية

ان المدارس الغير العربية في سورية اشبه بالسارق الذي يسرق الاعلاق ونفائس المتاع . استغفر الله بل ان من يسرق فلذات الاكباد ليخرجها على ما اراد اشق على النفس وطأة واعظم في المغبة اثرأ وهل بتاس سارق الاموال بسارق الاطفال والرجال اوليست الارواح امن من كل بضاعة وهل اعز من الولد على قلب ابويه

وليس معنى هذا الدعوة الى مقاطعة المدارس الغير العربية فان اهل هذه البلاد لاغنى لافراد منهم عن تعلم اللغة التركية لغة السياسة الجامعة ولا عن تلقف بعض اللغات الاوربية الراقية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية ولكن الواجب ان يتعلموا ماشاءوا من اللغات والعلوم بعد ان يحكموا لغتهم كتابة وخطابة حتى لا يسرق ابناء سورية بتساهل آبائهم ويبيعوهم من اقوام اخر بالحان على امل التوظيف في وظائف الحكومة او الاحتمكك بالاجانب احثاً كما يؤدي في الاكثر الى ارتحال المخرج بهم عن بلده وزهده في وطنه زهداً ابدياً .

ان المدارس التي تعلم على غير الاسلوب الوطني هي التي تسلب من سورية اليوم بعد اليوم روحها وناهب الروح ماذا يدعى في الشرع والعقل ان لاهل كل قطر منازع خاصة بهم وعادات واخلاقاً ومميزات اذا فتدوها هلكوا وانحل امرهم وآضاعبثاً ثقيلآ على البلاد لا ينفعون بها ولا هي تنفع منهم . فالواجب اذاً انشاء مدارس لاهياء التعليم الوطني لتحيا بحياته البلاد لان مئة رجل يعرفون الزراعة باللغة الفرنسية اقل نفعاً من واحد يشرحها للعرب بالعربية وقد يكون تعلمها بالعمل لا بالنظر . وهكذا الحال في مئة كاتب متعلم قرأ العلوم والآداب بغير لغة لا يستفيد منه قومه عشر معشار كاتب واحد يعرف كيف يعلم عامة قومه قبل حاصتهم وجاهلهم قبل عالمهم اصول المعاش والمعاد بلغة ابيه وامه .

ان مما عاق الاتراك عن فهم اسرار الشريعة قلة عنايتهم بالعربية التي يجب على كل مسلم ان يتعلمها والذي عاق العرب عن فهم قوانين البلاد جهلهم بالتركية لغة الجامعة

العثمانية التي توجب السياسة تعلمها فطلت أكثر قوانيننا مكتوبة باللغة التركية ولم يستفد منها الا قلائل من الاتراك وبعض من تعلموا ليتوظفوا من العرب والروم والارمن والارناؤد والاكرد واللاز والفاخين والبوشاقيين والبلغاريين . ولو تخرج في مدارس الحكومة اناس من العرب يحسنون الكتابة والخطابة بلغتهم كما يحسنونها باللغة الطارئة عليهم لتكثروا على الاقل من نقل هذه القوانين الى العربية وعرف العثمانيون ما لهم وما عليهم وافادوا بلادهم وقوميتهم فائدة كبرى .

ان مما يكي ان يسن ابن الاسنانة قانوناً يحاول تطبيقه على ابن حوران وهلا كان الاختلاف في الحاجيات طبيعياً بين تركي وعربي واوربي وآسيوي . ولذلك جاءت قوائم الدروس الجديدة في المدارس الابتدائية والثانوية في الولايات العربية مثل دروس الولايات التركية لا اثر فيها تعلم العربية الا ان يكون قراءة القرآن في الصفوف الابتدائية يتلى فيها بلا فهم ولا علم

واكبر دليل على ان نظارة المعارف العثمانية جاهلة بطبائع البلاد انها اسست مدرسة لتخريج المعلمين في دمشق ولم تذكر اسماً فيه للعلوم العربية لغة الدين والبلاد وجعلت الجهد كله مصروفاً الى تلقين التركية حتى لا يعلم الاساندة الجدد الا ما تعلموه وبكثرت عدد العارفين بالتركية والمخلين من لغتهم فلا يأتى زمن خصوصاً متى اصبح التعليم الابتدائي اجبارياً الا وقد اهمل العرب لغتهم نتائجاً

صرحنا بهذا وان كان فيه غضاضة كبرى على العرب الذين لم يستفيدوا من حرية الدستور حتى الآن وينشئوا على الاقل كتاتيب منظمة لتلقين لغتهم من ايسر الطرق حتى ينفعوا بعد الآن باولادهم حتى انفع ولا يفقدوا عدداً كبيراً ممن يدخلون مدارس الاجانب فتتحل وطنيتهم وتضعف لغتهم . اما مؤسسو تلك المدارس اجنبية كانت او اميرية فانهم يعذرون للسبب الذي اوردناه آنفاً وهو ان القوي يريد ان يستغرق الضعيف سنة من سنن الكون . ولم يبلغ البشر درجة راقية من التمدن حتى تتساوى في عيونهم اللغات والعناصر كلها وتجرد امة فتفنى لحياء غيرها وتقلل جنسها لتزيد سواد آخر ولا تهمها دارها وتريد هدمها لتعمر بانقاضها دار جاورها والسلام .



جبل الدروز وفتنتهم

الى الجنوب من دمشق على نحو عشرين ميلا منها كورة واسعة مخصصة الرباع اسمها حوران فيها نحو ستمائة قرية وفي شرقي تلك الكورة اقليم ممرع فيه السهل والجبل الا انه اطلق عليه اسم جبل حوران كما يقال له جبل الدروز الان لان معظم سكانه منهم وهو يمتد من شمالي حوران الى جنوبيه ويحده من الشمال اللجاة وهي ارض بركانية ذات حرار وعرة للغاية ومن الشرق البادية ومن الجنوب فقر متزاي الاطراف يتصل بوادي الحجاز ومن الغرب الجنوبي البقرة والثقرة سهل جيد التربة في وسط حوران

وطول هذا الجبل نحو ١٥ ساعة على راكب المطايا وعرضه ٨ ساعات وهو من الجهة الجنوبية والجهة الغربية اي نحو ثلاثة ارباعه سهل خصيب تضاهي ثريته تربة السهل من بلاد حوران وغوطة دمشق والبقاع العزيز وربما كانت احسن منها وفيه ١٠٨ قرى ويقدر نفوسها على التخمين بخمسين الف نسمة وربما استطاع حمل السلاح منهم نحو ثمانية آلاف ومنهم الذين يشنون الغارات ويقتلون الابرياء ويسلبون المارة واقليمهم هو الاقليم الوحيد في سورية باسرها الذي ازمنت فيه الفوضى واحب اهله على قريهم من الحواضر ووفرة غناهم بزراعتهم ان يعيشوا عيش السلب والنهب والقتل يؤذون من خالفهم من مجاورهم ويطيلون ايدي اعتمادهم على ابناء السبيل وينادون بالحكومة ويعصون قوانينها فلا يؤذون الضرائب الاميرية والخراج ولا يتحدون الجندية واذا لم يجدوا من يقتلونه ويمتلون به يقتتلون بينهم كأنهم بتعبدون باهلاك العباد والبيث بالفساد في البلاد .

وآخر عمل فظيع قاموا به انهم غزوا جيرانهم اهل قريتي معربة وغصم وسكانهما مسلمون ومسيحيون فقتلوا ٥٩ رجلا وامرأة وجرحوا ثلاثة وبين القتل اربع نساء بينهن والدة شيخ معربة وزوجته واخته ونهبوا القسم الاعظم من السهوة وجيزة وسماقية وطيسة من بلاد السهل فطفح كأس الصبر منهم ولم تر الدولة بدا من ارسال حملة عليهم تؤدب عصائهم وتضرب على ايدي الفوضويين والعمديين منهم وتؤانف شاردهم وتؤمن خائفهم وتخضعهم للقوانين كسائر الافراد العثمانيين

ولعل كثيرين يتساءلون عن تاريخ عمران هذا الجبل ونزول الدروز فيه فالمعروف من حاله انه كان في الدول القديمة تابعا لحوران تشهد لذلك الآثار القليلة الباقية الى

اليوم في بعض امهات قراه مثل السويداء ^(١) قاعدته القديمة وصرند وقنوات فان الكتابات اليونانية واللاتينية والنبطية والعربية المكتوبة بخط سبائك تدل على انه كان عامراً للغاية

وفي السويداء بل في اكثر قرى الجبل على انسابها من الحرب والتدمير بعض الآثار اليونانية والرومانية ^(٢) مثل القنطرة والمعبد والمسلة التي بطن انها من القرن الرابع والخامس للميلاد والجامع الحرب المزبور عليه بعض كتابات يونانية والخزان الكبير لجمع الماء الذي انشيء على اكمة اشرف على السويداء وعلى طريق قرية القنوات جسر مهم للابنية جعل على عمد هائلة بطن انه من القرن الاول وانه كان ناووساً

والظاهر من عايدات قنوات انها كانت اهم من بصرى قاعدة بلاد حوران كلها وكان فيها ابرشية للروم ولا تزال بعض الطرق هناك مبلطة ببلاط كبير سلم من عوادي الايام ومعظم الدور محفوظة كما كانت بنوافذها وابوابها الحجرية

ومن الآثار التي تجلب الانظار ذاك المسرح « الثياترو » الجميل الذي قام على يمين الوادي واكثره منحوت في الصخر وقطره نحو ١٩ متراً وفيه تسعة صفوف اسفله على متر ونصف تحت الملعب وفي وسطه حوض ماء وهو مطلل على الوادي ومصانع المدينة وجبل حرمون (الشيخ) وفي مكان شائع آثار معبد ذي ادراج في الصخر تؤدي الى برج اصم ربما كان جزءاً من حصن مشرف على المضيق ويسندل من الابنية السفلى ان تاريخها يرد الى ما قبل عهد الرومان وعلى ميلة قليلة نحو الشرق برج عظيم مدور دائرته ٢٥ متراً وربما كان برجاً لدفن الموتى وهناك بعض خرائب كنائس وجادات واروقة وارتجة وبعض قطع من هياكل وتمائيل وملاعب

^(١) قال ياقوت في المشتبه السويداء بضم السين وفتح الواو تصغير سودا اربعة مواضع السويداء من قرى حوران من اعمال دمشق ينسب اليها ابو محمد عامر بن دغش بن خضر بن دغش الحوراني السويدي كان شيخاً خيراً فقهه بغداد على ابي حامد الغزالي وسمع الحديث من ابي الحسن ابن الطيوري سمع منه الحافظ ابو القاسم الدمشقي واثنى عليه خيراً ومات في حدود سنة ثلاثين وخمسمائة والسويداء موضع على ليلتين من المدينة من جهة الشام والسويداء مدينة مشهورة بين آمد وحوران من نواحي ديار مضر بالضاد المجمة واهلها ارمن نصارى والسويداء قرية من قرى حماة بينها وبين حمص ^(٢) دليل سورية وفلسطين لبيديكر

وعلى ثلاثة ارباع الساعة من قنوات في الجنوب الشرقي قرية ساله وفيها معبد من اهم معابد حوران تشبه هندسته معبد هيرود في القدس وفيه من رسوم الاسود والغزلان والخيول المسرجة وغيرها ما يأخذ بمجامع القلب . وهناك ايضاً مذبج في سفح درجات المعبد وكان هذا المعبد خاصاً بعبادة العالماء ومن الآثار المهمة آثار شهباء وطرقها معبدة واسعة تكاد تكون اوسع طرق حوران وقد يبلغ عرض الشارع فيها سبعة امتار وستين سنتياً .

وليس في الايدي ما يستدل منه على منزلة تلك البلاد من العمران على عهد العرب وكانت قبيل الاسلام منازل قبائل بني غسان كما كانت البلاد المجاورة لها فقد بنى النعمان ابن المنذر الغساني من ملوك القرن الرابع للميلاد قصرأ في السويداء بقي منه بعض جهاته ووجدت في صرخد^(١) صخرة اللات التي عبدها الانباط والعرب كما ذكر هيرودوتس وعليها كتابة تدل على انها نصبت لذي الشرى وهو معبود نبطي له آثار في بصرى وبثره (وادي موسى)

والغالب ان صرخد حازت في الاسلام مكانة اعظم من مكانة السويداء فبالغ الملوك بتحسين قلعتها ليدفعوا عوادي البدو عن القرى العامرة وقد كثر ذكرها في كتب التاريخ على عهد الدولة الصلاحية ومن بعدها من دول الجراكسة خصوصاً بعد ان استولى على الكرك والشوبك وغيرها من الحصون المجاورة الملك الناصر السلطان صلاح الدين بن ايوب وولى اخاه الملك العادل ابا بكر بن ايوب عليها واصبح لتينك المدينتين شأن عظيم حتى عدت الكرك من الممالك مثل مملكة بعلبك ومملكة حماة ومملكة شيزر وغيرها ومعظم هذه الممالك اصبحت بعد قرى حقيرة في القرون الاخيرة لغلبة الجبل على الحكومات التي تعاورتهما وقللة الامن وانتياب النارات والزلازل والابوثة التي اجتاحت سكانها .

ويؤخذ مما رواه ابو الفداء صاحب حماة ان بلاد صرخد وما والاها وببارة اخرى جبل الدروز كانت تدعى في عهده اي في القرن الثامن بمجبل بني هلال قال :

صرخد بلدة ذات تلة مرتفعة وليس لها ماء سوى ماء المطر في الصهاريج والبرك وهي قاعدة جبل بني هلال وليس وراء عملها من جهة الجنوب والشرق الا البرية ومن

شرقها تسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق وعلى هذا الطريق بين صرخند وبنداد عشرة ايام

وقلعة صرخند شاهدة ابد الدهر بعظمة تلك البلاد وهي كما قال الثقات اضمخ وام من قلعة حلب اه

وقد جدد الملك الظاهر بيبرس^(١) فيما جدد من المصانع في بلاده ما تهدم من قلعة صرخند وجامعها ومساجدها وكذلك فعل ببصري وعجلون والصلات وكانت قلعتا كوكب وعجلون^(٢) اعز الدين بن أسامة وكان هذا ملك صرخند سنة ثمان وستائة للهجرة وقال ابن خلدون: انه ملك صرخند سنة احدى عشرة وستائة قال لان استاذة الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب حج في السنة المذكورة واخذ صرخند من صاحبها ابن قرهجه واعطاها مملوكه ايبك والظاهر ان الاول اصح واستمرت في يد ايبك الى سنة اربع واربعين وستائة فاخذها الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل من ايبك المذكور . ومن تملك صرخند اقوش الافرم احد امراء بني ايوب .

ومن الادلة على استيلاء العمران في الجبل انه نشأ من بعض امهات مدنه اعلام مشاهير ومنهم عز الدين السويدي^(٣) من اهل القرن السابع كان عالما عاملا ويونس بن ابراهيم ابن سليمان الصرخدي النحوي اللغوي ٦٩٨ وابراهيم بن سليمان التميمي الصرخدي الفقيه خطيب صرخند مات فيها سنة ٦١٢ وبدر الدين السلخني قاضي غزة نسبة الى صرخند ايضا وبعضهم يقول صلخد وسلخة والاصح صرخند فيما نرى والروايات الثانية تحريف طرأ مثله على بلدان كثيرة في سورية مثل عربيل وجماعيل فيقولون عربين وجماعين لاستسهاهم بالنطق بالنون اكثر من اللام

قال ابن ابي أصيبعة: « حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمراوي وشرف الدين المثاني وقرا ومثان هما قريتان من قرى صرخند قال كانا اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكومية وتميزا واشتهر فضلهما وكانا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ولما جآ الى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين بن يونس (الفيلسوف العلامة) وهو في المدرسة يلقي الدرس فسما وقعدا مع الفقهاء ولما جرت مسائل فقهية تكلمنا في ذلك وبحثا في الاصول وبان فضلهما على اكثر الجماعات فآكرمها الشيخ واداناهما ولما كان آخر النهار سألاه ان يريهما كتابا له كان قد ألفه في الحكمة

(١) فوات الوفيات^(٢) تاريخ ابي الفداء^(٣) تاريخ الاطباء لابن ابي أصيبعة

وفيه لغز فامتنع وقال : هذا كتاب لم اجد احداً يقدر على حله وانا ضنين به فقالوا له : نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظارك والوقوف على هذا الكتاب ونحن باثثون عندك في المدرسة وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة وبالغداء يأخذه مولانا ولطفاله حتى انعم لها واخرج الكتاب فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم ينما اصلاً في تلك الليلة بل كان كل واحد . . . يميل على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقبلاه ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لهما حله الى آخر وقت وقد طلع النهار فظهر لهما حل شيء منه من آخره وانضح اولاً فاولاً حتى انخل لهما اللغز وعرفاه فحملا الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس فجلسا وقالوا : يا مولانا ما ظلمنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يسر حله واما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم وان شئت اوردناه فقال قولاً حتى اسمع فتقدم النجم القمر اوي وتبعه الآخر واوردنا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره وذكرنا حل اللغز بعبارة حسنة فصيحة فعجب منهما وقال : من اين تكونان قالوا : من الشام قال : من اي موضع منه قالوا : من حوران فقال : لا اشك ان احداً كما النجم القمر اوي والآخر الشرف المتاني قالوا : نعم فقام لهما الشيخ واضافهما عندهوا كرمهما غاية الاكرام واشتغلا عليه مدة ثم سافرا . . . وهذه الرواية تدل كل الدلالة على انتشار العلم في هذه المزارع في القرون الوسطى وامتان بلد شرف الدين المتاني قرية موجودة الى اليوم اما قمر اوي فهي قرية حربية واقعة الى الجنوب من صرخد على مسافة ساعتين ومنها ^(١) الفقيه موسى القمراوي اديب مناظر حاذق توفي سنة ٦٢٥ ومن شعره

لما تبدى بالسواد حسبه بدرأ بدا في ليلة ظمأ
لولا خلافة على اهل الهوى لم يشتهر بمالبس الخلفاء
ومن قرى صرخد العرمان بتشدب الرء وفتحها والعامه اليوم تحفها قال ياقوت :
انشدني ابو الفضل محمد بن ميباس العرمانى من ناحية صرخد من عمل حوران من
اعمال دمشق لنفسه

يعادي فلان الدين (?) قوم لو انهم لاختصه ترب لكان لهم فخر
ولكنهم لم يذكروا فتمدوا عداوته حتى يكون لهم ذكر
وانشدني ايضاً لنفسه

^(١) ياقوت في المعجم

ولما اكتسى بالشعر توريد خده وما حاله الا نزول الى حال
وقفت عليه ثم قلت مسلماً الا انعم صباحاً ايها الطفل البالي
وانشدني ايضاً لنفسه يمدح صديقه موسى القمراوي وقرى قرية من قرى حوران
ايضاً قرية من العرمان

اصبحت علامة الدنيا باجمعها تشدُّ نَحْوك من اقطارها النجب
بأنَّ عَلى كبد الجوزاء منزلة تحفها من جلال حولها الشهب
مانال ما نلت من فضل ومن شرف سراة قوم وان جدوا وان طلبوا

وفي الجبل الى اليوم قرىتان باسم نجران قال باقوت ان نجران موضع بحوران من
نواحي دمشق وهي بيعة عظيمة عامرة حسنة مبنية على العمد الرخام منقطة بالفسيفساء
وهو موضع مبارك يذره المسلمون والنصارى ولندور هذا الموضع قوم يرون في البلدان
ينادون من نذر نذر نجران المبارك وهم ركاب الخيل والسلطان عليهم قطعة وافرة يودونها
اليه في كل عام . وقال مثل ذلك في دير نجران ايضاً وما ندرى ان كانت نجران هذه
هي نجران جبل حوران ام هي واقعة في السهل من قرى بصر الحر بري

وتبين مما تقدم ان العمران قديم في هذا الجبل وليس في الايدي نصوص يركن اليها
الهم الا اذا كان شيء في بطون التاريخ والجغرافيا جاء بالعرض ولم نهتد الى معرفته وقد
كان سكانا على ما مر بك آنفاً مسلمين ومسيحيين ولم ينزله الدروز الا في القرون المتأخرة
ويقول احدهم انهم رحلوا الى جبل حوران منذ نحو مائتين وعشرين سنة ايام ابتداء قوم
من دروز لبنان يهاجرون واولهم أسرة بني حمدان التي بطش بها الننوخيون امراء لبنان
ومنذ ذاك الحين اصبح كل من يغلب في الحروب القيسية واليمينية في لبنان ومن عضه
الدهر بنابه او غضب عليه الحاكم يرحل الى ذاك الجبل ثم انضم اليهم اناس من دروز
وادي التيم وصفد وجبل الاعلى والفتيةطرة وجوار دمشق

نزل الدروز هنا وهم مستضعفون فقراء وما زالوا يطردون المخافين لهم من سكان البلاد
الاصليين بالقوة ويستصفون املاكهم ومنها ما هو الى اليوم لبعض ارباب البيوتات في
دمشق وبايديهم صكوك بملكيتهم لها حتى كاد الجبل الا قليلاً جداً يكون لطائفة الدروز
وزعمائهم بنو الاطرش وبنو الحلبي والمغوش وعامر وناصر والعزام توزعوا على القرى
ومن اكبر زعمائهم بنو الاطرش وبينهم وبين بني مقداد المسلمين سكان بصري وما جاورها
طوائف قديمة تترصد كل منهم بجاره الدوائر منذ نحو قرن ويعتقد الطرشان ان بني

مقداد هم الحائل دون تعددهم حدود جبلهم ولولاهم لامتد سلطانهم على سهول حوران فاستأثروا بها كما استأثروا بهذا الجبل

و اول الوقائع التي قام بها الدروز في الجبل و قمت بها لهم الغلبة وقعة جرت بينهم وبين ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٠ م في جنوبي البحجة كتبت فيها الهزيمة على المصريين وقتل منهم الفريق محمد باشا وغيرهم من قوادهم وفي سنة ١٨٣٨ انفذ ابراهيم باشا احد رجاله شريف باشا في اربعمائة فارس الى قرية ام الزيتون في محل يعرف بوادي اللواء على نحو خمس ساعات عن السويداء لتجديد الدروز فقتلهم الشيخ حمدان الدرزي عن آخرهم ولم يبق الا على مقدمهم . وكذلك جرى لمحمد باشا القبرصي فلم يظفر بهم

ومنذ ذاك العهد اعتصموا بجبلهم ونشأ لهم شيء من الاستقلال عن الحكومة وابتعدوا بانها تجتأف بأسمهم وتحسب لهم الف حساب وزاد سوادهم وقوتهم في حادثة الستين وقد هاجر اليهم من لبنان كثير من ابناء مذهبهم فاعتزوا بهم خصوصاً بعد ان ثبت ان الدروز هم الذين اوقدوا نار فتنة النصارى منذ خمسين سنة وانتهت بقتل وصاب مئات من اهل دمشق المسلمين ولم يكدر للدروز حاطر ولم يسألوا عما ارتكبوا في تلك الفتنة الاهلية من الفظائع

وما برحوا يفتشون القتل والسلب والتخريب منذ ثمانية وستين سنة لان الحكومة استعملتهم اذ ذاك او استعملوا لها بواسطة بعض الدول آلة لمقصد تربيده على ما يروى كد العارفون . ولقد قتلوا من جنود الدولة والاهالي المساكين ما لو احصى لبلغ مقداره نحو نصف سكان الجبل اليوم . ووقائعهم في قرية ام ولد وقرية الكرك وقرية كحيل والحراك وبصرى الحاريري وبصرى اسكي شام وجوارها وقرية المليحات ومع عرب المعجل وعرب السرحان وعرب الخريشة وعرب ولد علي وغيرهم مشهورة الى الآن على الاسناد دع عنك نحو عشرين قرية اغتصبها الدروز من الحوارنة في قضاء عاهرة وقضاء السويداء وقضاء صرخد وهي اقضية الجبل اليوم التابعة لمركز اللواء الذي كان اول امس شيخ سعد فاصبح امس شيخ مسكين واليوم غدا درعا

نعم لم يكن سكان جبل الدروز كما قال عارف باحوالهم منذ اربعين سنة الا اقل القليل من سكانه فالجهة الجنوبية اي قرى صرخد وجوارها كانت بايدي المسلمين والمسيحيين من اهالي حوران والقرى الغربية كانت بيد حمولة الزعبيية من حوران الى ان اعتاد اشقياء دروز جبل لبنان وحاصبيا وراشيا اي وادي التيم وعكا وصفد والقرى المجاورة لدمشق

والقنيطرة ومن اعتادوا القتل والنهب وقطع الطريق وتعذرت عليهم الاقامة في بلادهم ان يعتمسوا في هذا الجبل فضاقت عليهم اراهم الاصلية فجلاوا الحوارة عن بلادهم واصبح جبلهم ملجأ الاشقياء

اما وقائعهم المشهورة فالها كان سنة ١٢٩٥ شرقية بينهم وبين اهالي بصر الحريري فساقت الدولة عليهم قوة الى موقع القراصة ولما لم تحسن الادارة زاد الدورز جرأة الى ان كانت سنة ١٢٩٧ شرقية وقد هجموا على قربني الكرك وام ولد وذبحوا سكانها من بكرة ابيهم حتى الاطفال الرضع فكانوا يفسخونهم قطعتين ثم سيقت عليهم قوة بقيادة المشير حسين فوزي باشا اسفرت عن ربط دية شرعية مقسطة على الدورز وتأسيس قائم مقامية جبل الدورز وجعلها ثماني نواح وتعيين قائم مقام ومديرين للنواحي منهم

وما برحوا يشغلون الحكومة فترسل اليهم الحملات كل مدة ويراوغون ثم يستعطفون رجالها بالكذب والرتى وتارة يتحد اشقياء القرن القيلي مع عرب السردية فيغزون قبائل بني صخر والحويطات والسرخان وقرى حوران الجنوبية وبنضم اشقياء القرن الشرقي الى عرب الصفا يغزون تجار بغداد والزور واشقياء القرن الشمالي يتحدون مع عرب الحسن ويغزون قرى جبل قلمون والنبك وحمص ويتحد بعضهم مع عرب اللجاة يسلبون قرى سفوح جبل حوران وتارة يقتلون الموظفين ويمثلون بالعسكر ولا يدفعون الاموال وينهبون التجار حتى ارسلت عليهم الحكومة حملة مهمة سنة ١٣١١ رومية فضربتهم ضربة لو وضعت بعدها الاصلاحات الادارية المعتبرة ولم تعف بعد قليل عن زعمائهم لاستقام الامر ولم يعودوا الى سالف احوالهم حتى صيف هذه السنة

احل^(١) اشقياء الدورز في حوران قتل من خالفهم والاعتداء على مجاورهم وعلى القوافل الآتية من العراق ونجد حتى كادت التجارة تنقطع بين افطار العراق ونجد والشام بسبب غاراتهم على الاقاليم المجاورة وخرى واجانباً عظيماً من القرى والمزارع واخذوا المواشي وسفكوا الدماء حتى التجأ اليهم كل من عصا الدولة من العسكر الفار من الجندية ومن الاشقياء وخرت باعمالهم كثير من القرى والمزارع واصبحوا بفعلاهم يحولون دون امتداد العمران في اطراف هذه الولاية ولولاهم لاستفاد عمرانها ولاسيما من جهة الشرق والجنوب عمراناً تزيد مساحته على ولاية عظمى من الارض المنتبة وكثفت لابين من المهاجرين واهل البادية

(١) خليل رفعت افندي الحوراني في جريدة المتنبس

اما الفوائد التي ستخرج من ادخالهم حظيرة الطاعة فامتداد العمران الى الجنوب مراحل كثيرة حتى يبلغ من الازرق الى بلاد الكرك بل قرى الملح الى الجوف فينتفع بمافيه من المياه المعطلة ويمتد من جهة الشرق الى تدمر مسافة عشرة ايام . وتدمر هي المعروفة بثارينها النجيد . ويتصل من جهة الشمال ببلاد حماة وحلب . ولعل هذا المبحث لا يصدر الا وقد اخلد اولئك العصاة الى السكون بهمة قائد الحملة العام ساي باشا الفاروقي فيضع لهم اساساً راسخاً في الاصلاح لا يتمكن احد من نقض عروته ويعاملون في عهد الدستور بما لم تكن الدولة تعاملهم به ايام الاستبداد ويشترط هذا الجرح النغار بل الآكلة المزمنة في جسم سورية بمشراط الجراح الماهر الذي احسنت الحكومة ظنهابه في هذه المهمة فيصبح جبلهم منثاب المصطافين كما اصبح جبل لبنان . من قبل فجيل حوران ليس دون جبل الشيخ وجبل قلمون وجبل اللكام وغيره من جبال سورية بهوائه ومائه ويزيد عليه خصب تربته وبعده عن الرطوبة هذا وبقل الماء الجاري في جبل حوران واكثره يتابع قليلة تكاد تكفي لشرب الشفة فقط اما الزروع فلا تنمو بالسقيا بل تروى بماء الساء كسائر بلاد حوران وحدث ماشئت ان تحدث عن خصب التربة فان الجيوب تجود فيه كل الجودة وتقل الاتجار في الهمر الا الكرم والتين وبعض السنديان والزنان واكثر الغابات التي لم يبق منها الا جذوع اشجارها تجدها بالقرب من السويدياء وسهوة الحضرة وسهوة بلاطة ومياماس وابي زريق وساله وقنوات وعتيل في ذروة الجبل اي في اطراف قليب حوران ولم يبق الا اشجار معدودات بين قنوات والجبل والله اعلم



اصل الدروز^(١)

ينسب الدروز الى رجل يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي كان احد اصحاب دعوة الحاكم بامر الله العبيدي ويسمى في كتب هذه الطائفة نشكبين الدرزيين والدرزي بالفتح معناه الخياط فارسي معرب والعاملة تضم الدال ويقولون في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة . اما الحاكم هذا فانه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية ويقال لم

(١) ملخص من كتاب « حل الرموز في عقائد الدروز » لاستاذنا سليم افندي البخاري

من علماء دمشق وهو لا يزال مخطوطاً لم ينشر بالطبع

الفاطميون ولقبه الخاكم بامر الله وكنيته ابو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بامر الله محمد بن عبيد الله المهدي .
واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلاً بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيد الله المهدي الى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكشوم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق . وطعن اكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلاً بالحسين بن محمد بن احمد القداح وكان مجوسياً وقيل يهودياً فقالوا ان امهم فاطمة بنت عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيد الله وزوج امه الحسين ابن محمد بن احمد بن عبيد الله القداح بن ميمون بن ديسان وقيل هو سعيد بن احمد بن عبد الله القداح بن ميمون وميمون هذا هو صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة كان يظهر التشيع لآل البيت وثنأ لميمون عبد الله وكان يعالج العيوت التي نزل اليها الماء بالقدح (هو اخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبد الله من ابيه ميمون الحيل واطلعه ابوه على اسرار الدعوة لآل البيت ثم سار القداح من نواحي كرج واصفهان الى الاهواز والبصرة ثم الى سلية من اعمال سوربة يدعو الى آل البيت

ثم توفي القداح وقام ابنه احمد مقامه وتوفي احمد وقام مقامه ابنه محمد ثم قام بعده ابنه الحسين وكان ببغداد فسار الى سلية حيث كان له بها ودائع واموال من ودائع جده عبد الله القداح وكان يدعي انه الوصي وصاحب الامر والدعاة باليمن والمغرب يكتبونه ويراسلونهم واتفق انه جرى بحضرته حديث النساء بسلية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن والجمال فتزوجها الحسين المذكور ولها ولد من اليهودي يماثلها في الجمال فاحبها واحب ولدها وادبه وعلم العلم فتعلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله المهدي وعرفه اسرار الدعوة من قول وفعل واعطاء الاموال والعلامات فدعا له الدعاة .

قال ابن خلدون : ولا يلتفت لانكار هذا النسب لان اغراء المعتضد لابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسلب جماسة بالقبض على عبيد الله لما سار الى المغرب وشعر الشريف الرضي في قوله :

مامقامي على الهوان وعدي مقل صارم وانف حمي
ألبس النبل في بلاد الاعادي وبمصر الخليفة العلوي

من ابوه ابي ومولاه مولا ي اذا ضامني البعيد القصي
الف عرقي بعرقه سيدك اس جميعاً محمد وعلي
ان ذلي بذلك الجسد عز وأوامي بذلك الربيع رب

شاهد بصحة نسبهم واما المحضر الذي ثبت ببغداد ايام القادر بالقدح في نسبهم
وشهد فيه اعلام الائمة فهي شهادة على السماع .

وبدأت دولة الفاطميين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين الى سنة سبع
وستين وخمسة وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس على الناس
واقعدى بهم غيرهم وافسدت عائد طوائف من اهل الجبال الساكنين بشغور الشام
كالنصيرية والدرزية . والحشيشية نوع منهم

وكانت احوال الحاكم بامر الله متناقضة فعنده شجاعة وجبن ومحبة للعلماء وانتقام منهم
وميل الى اهل الصلاح وقتلهم وسخاء ويغل بالقليل . لقب نفسه الحاكم بامر الله ولما
زاد ظله عن له ان يدعي الالهية اقتداءً بفرعون فاخذ يهدد لذلك المقدمات فلقب نفسه
الحاكم بامر الله بامر الخطباء بان يقرؤا بدل البسملة (باسم الله الحاكم المحيي المميت)
وصار يدعي علم المغيبات باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وعنده
من دعائه رجلان عجميان من دعاة الباطنية احدهما يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي
وثانيهما يقال له حمزة بن علي بن احمد اما الاول فانه قدم الى مصر في اواخر سنة سبع
واربعائة ودخل في خدمة الحاكم ووافقه على اثبات دعوته بالالهية وصنف له كتاباً
كتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي بن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متقصصة
من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في الجامع الازهر بالقاهرة
فهجم الناس على مؤلفه ليقتلوه ففر منهم وحدث شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت
الدرزي وقتلوا كثيرين من اصحابه فارسله الحاكم سرّاً الى بر الشام فقتل بوادي النجم
بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادى بالوهية الحاكم وكان الامراء التتوخيون الذين
قدموا من العراق الى الشام من الباطنية ولذلك كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي
فانقادوا اليها ومن ذلك تسميتهم بالدرور . وقتل الدرزي المذكور في وقعة مع التتر سنة
احدى عشرة واربعائة .

وثانيهما حمزة بن علي بن احمد وكان وقع الخلاف بينه وبين الدرزي وبعده تقدم
مكانه ودعا بالوهية الحاكم فاجابه البعض واتخذوا عبداً سرّياً لعبادة الحاكم وجعل نفسه

ثانياً له فهو مقدس محترم عند القائلين بالوهية الحاكم يلقب عندهم بهادي المستقيين وحجة القائم وغير ذلك . وهم بكرهون محمد الدرزي ويشتمونه وبكرهون التسمية باسمه لما انه اراد ان يعتصب منصب حمزة و يتقدم عليه بما فعله كما يعلم من رسالة الغاية والنصيحة من كتبهم . ولما قتل الحاكم قرب حلوان مصر زعم الدروز انه خرج في ليلة منفرداً الى البركة الزرقاء ومن هناك عرج الى السماء مخفياً عن اعين الناس، وكتب حمزة بعد وفاة الحاكم الرسالة المسماة بالسجل المعلق وعلقها على ابواب الجامع وفيها يقول ان الحاكم اختفى امتحاناً لايان المؤمنين وشرع حمزة يزرع في القلوب بذر الاعتقاد بالوهية الحاكم وتوحيده وعبادته ويجتمع هو واتباعه في المعبد السري يعبدون الحاكم حتى ثارت عليهم المسلمون وظفروا بهم وطردهم ففروا من مصر ونزل بعضهم في الجبل الاعلى من الديار الحلبية وبعضهم في جهة حوران ثم تفرقوا من هناك فذهب بعضهم الى جبل الشوف والاخر الى وادي النيم ولم يزلوا في نمو وازدياد الى هذا العصر

للدروز عادات قديمة توارثوها منها ان لهم قضاة منهم يحكمون في المعاملات المدنية الجارية بينهم على مقتضى الشريعة غير انهم يخالفونها في بعض المعاملات بحكم العادة الموروثة فلا يسوغ لاحد منهم مثلاً ان يوصي بجميع ماله لاحد اولاده ويحرم الباقي من ميراثه ان كان هذا المال الموصى به من كسب بده واما اذا كان منتقلاً اليه بطريق الارث عن آبائه واجداده فلا يسوغ له ذلك لانه حينئذ يكون من حقوق الأسرة والاصول والفروع متساويان فيه فللورثة استحقاق في تقسيم هذا المال .

ومنها ان المرأة لا ترث شيئاً من دار ابوها حتى ان هذه العادة سرت الى مجاورهم في الجبل من بقية الطوائف . وكذا يخالفون في النكاح والطلاق اذ لهم في ذلك اصول خاصة ولا يجوز عندهم الجمع بين امرأتين فان لم يطلق التي عنده لا يمكنه التزوج بغيرها وتطلق المرأة بادنى سبب ولا يجوز عندهم رد المطلقة ولو كان بعد زوج آخر

ويخالفون في عقائدهم عقائد الفرق من ارباب الديانات لكنهم يستترون بين المسلمين بالاسلام ويتزويون بزي اهلهم والاخرى ان تقول انهم يتظاهرون بالتبعية لمن يكونون تبعاً له واما في الباطن فانهم يتكرون الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجبل وانهم كانوا يشيرون الى توحيد عدم وماعرفوا المولى ويشعرون بالطمع على جميع ارباب الديانات من المسلمين والنصارى واليهود والديانة الحققة عندهم هي عبارة عن توحيد الحاكم

وفترض عندهم صدق اللسان بدل الصوم وحفظ الاخوان بدل الصلاة ولكن لا يجوزون مراعاة ذلك لغير افراد ماتهم

ويقراءون القرآن ويؤولونه بأويلات تناقض الشرع ويذهبون الى قدم العالم تبعاً لبعض الفلاسفة ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتقمص فالجسد يسمى قميصاً عندهم وان الميت حين موته تنتقل روحه الى من يولد وقتئذ فالارواح الانسانية لا تنتقل عندهم الا الى قوالب انسانية ويقولون ان الهوية الالهية تنتقل من قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر فتتجلى في كل زمن بصورة وتجلت اخيراً في الحاكم وان حمزة ايضاً ظهر في كل عصر بقالب ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم وفي زمان كان شعبياً وفي زمان كان سليمان بن داود وفي زمان كان المسيح الحق فهو النبي الكريم عندهم وحمزة العصر المحمدي هو سلمان الفارسي

ويزعمون ان القرآن قد أوحى حقيقة الى سلمان الفارسي وانه كلامه ومحمد (عليه الصلاة والسلام) اخذه وتلقاه عنه حتى زعموا بان خطاب لقمان الذي خطب به ولده في معرض الوصية بقوله : « يا بني اقم الصلاة وأمر بالعرف وانه عن المنكر » هو خطاب سليمان لمحمد والتعبير بالنبوة انما هو من خطاب المعلم للمتعلم .

ويقسمون الى قسمين العقال والجهال ويقال لهم ايضاً العوام ونسائهم ايضاً ينقسمون قسمين عاقلات وجاهلات فيقال للعاقلة جويودة وللجاهلة غير جويودة والعقال طبقتان طبقة الخاصة هي التي يعتمد عليها ويوثق بها حقاً اذ انها حصلت الى تمام المعرفة باسرار الديانة وطبقة العامة وهي التي يحسن الظن بها واما الجهال فلا حظ لهم من الديانة سوى الدخول تحت اسم الدرزية وابنا وجد هؤلاء العقال تتخذ هناك معابد للعبادة يسمونها بالخلوة وهي حجرة ضمن حجرة وفي كل ليلة جمعة يلتئم اهل كل طبقة في الخلوة الخاصة بهم ويستمعون جميعاً في الخلوة الخارجية فيقرأون شيئاً من المواعظ ومن هؤلاء العقال طبقة انقياء يقال لهم المتزهون وهم مشابرون على العبادة والورع ومنهم من لم يتزوج ومنهم من لم يأكل لحماً مدة حياته ومنهم من هو صائم كل يوم ولم زيادة احتياط في التورع حتى انهم لا يذوقون شيئاً من بيت احد من غير العقال والعقال جميعهم يعتقدون ان اموال الحكام والامراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدامهم حتى ولا من طعام حمل كلب دابة مشتراة من مال حاكم لكنهم يستحلون اموال التجار من اي جهة كانت فان حصل في ايديهم شيء من مال اعتقدوا حرمة يذهبون به الى احد التجار

فيستبدلونه منه وبزهون السنتهم عن الفاظ الفحش والبذاء ويبتجنبون الاسراف لانه يورث نقصاً في اخلاق الموحدين عندهم

ويحرص الدروز جداً على كتمان عقائدهم ولذلك يعبرون عن مرامهم في كتبهم ورسائلهم بطريق الرمز والكناية وبذكرون مباحث من علم الكلام وبعض مقالات غلاة المتصوفة وتأويلات الرافضة والملاحدة وخصوصاً الاسماعيلية من غلاة الشيعة ثم انهم لاعتقادهم التناسخ وهو التقمص يزعمون ان اذامات احد من كبار العقال الذين يعتقدون بولايتهم تذهب روحه الى جهة الصين وتحل في قالب ولهذا يزعمون ان لهم وراء جبل الصين كثيراً من الاولياء ويعتقدون انه كان قبل عالم الانس عالم الجن والخن والرم وعوالم اخر ويقولون انه كان قبل دور الحاكم سبعون دوراً وكل دور اربعة آلاف سنة « اربعة ملايين » وتسعمائة الف سنة فيكون قد مضى من مبداء الخليقة الى دور الحاكم ثلاثمائة الف سنة وثلاثة واربعون الف سنة « ثلاثمائة وثلاثة واربعون مليون سنة » واول الادوار دور العلي وآخرها دور الحاكم وهو دور القيامة ويثبتون لكل دور من السبعين دوراً سبعة اوصياء وسبعة ائمة فيكون مجموع النطقاء لجميع الادوار اربعمائة وتسعين ناطقاً والوصياء كذلك والائمة كذلك والناطق هو الرسول والوصي هو الاساس ويقولون ان اصحاب التكليف في كل عصر ستة كما كانوا في هذا العصر ومدة دعوة الناطق السابع مضممة في مدة دعوة الناطق السادس واول العزم خمسة في كل دور كما انهم خمسة في هذا الدور الاخير قالوا وانما كانوا خمسة لاغير لان النهاية في القوة عند الخامس من كل شيء في المقامات الربانية كانت عند الخامس وهو الحاكم وفي النطقاء انتهى العزم عند الخامس (يعنون به محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي الاوصياء عند الخامس (يعنون به علياً كرم الله وجهه) وفي الائمة عند الخامس (يعنون به محمد بن عبد الله القداح) وينتظرون ظهور يأجوج ومأجوج من داخل الصين ويحترمونهم ويقولون يأتي هؤلاء القوم الكرام بالنبي الف وخمسمائة الف من العساكر الى مكة وفي صباح اليوم الثاني يتجلى لهم الحاكم بامر من ركن البيت اليماني ويهدد الناس بسيف مذهب في يده ثم يعطيه حمزة وهو ايضاً يقتل الكلب والخنزير ثم يهدم انكبة ويعطي الدروز حكومة الارض جميعها ويستخدم بقية الناس في حكم الرعية .

وبعد فان لهم مواجب دينية وفرائض توحيدية اوجبوا على جميع اهل ملتهم حفظها ومعرفتها والعمل بها وسترها عن غير اهلها وهي اربع وخمسون فرضة منها عشر مقامات

ربانية وهم النبي والبار وابوزكريا وعلي والعل والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم وكلمه اله واحد . ومنها اربع تظاهر البارى بها وهي الهيئة والاسم والنطق والفعل فالهيئة هي الصورة التي ظهر بها والاسم هو اسم الحاكم الذي تسمى به والنطق هو المجالس والسجلات التي يتكلم بها وتصدر عنه والفعل هو المعجزات التي كانت تصدر منه كقهر الملوك وقتل الجبابرة وظهوره بين الاعداء وحده وخروجه ايضاً وحده في انصاف الليالي وظهوره في الحر الشديد وقت الهاجرة مع عدم تأثير الشمس في وجهه وعدم رؤية ظل له في ضوء الشمس والتعمر وغير ذلك من الامور التي ذكرها معجزات له في كتبهم كالسيرة المستقيمة ومجرى الزمان وغيرهما .

ومنها عشر فرائض توحيدية الاولى معرفة البارى وتوحيده عن جميع الخلوقات الثانية معرفة الامام قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانيين الثالثة معرفة الحدود الروحانيين باسمائهم ومراتبهم والقابهم وان قائم الزمان اولهم وهو الذي نصبهم وهم مطيعون لامره ونبيه الرابع صون اللسان الخامسة حفظ الاخوان السادسة ترك عبادة العدم السابعة الثبوت من الالباسة الثامنة التوحيد للمولى في كل عصر وزمان التاسعة الرضى بفعل العائنة التسليم لامره وهي مذكورة في رساله ميثاق النساء ورسالة البلاغ والاباية

ومنها عشرة مواجب دينية وهي كن لهم في نفاسهم واعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسمت لهم فهذه ثلاثة الرابعة اجبوا دعوتهم الخامسة اقضوا حاجاتهم السادسة اقبلوا معذرتهم السابعة عادوا من ضلالتهم الثامنة عودوا مرضاتهم التاسعة بروا ضعفاءهم العاشرة انصروهم ولا تتخذوهم وهي في رسالة التحذير والتنبية .

ومنها عشرون امامية وهي اربعة انواع النوع الاول اسامي وهي خمسة الاول علة العلل الثاني السابق الحقيقي الثالث الامر الرابع ذومعة الخامس الارادة النوع الثاني طبائع جوهرية وهي خمس الاولى حرارة العقل الثانية قوة النور الثالثة سكون التواضع الرابعة برودة الحكم الخامسة ليونة الهيولى فهذه الخمسة هي العقل وطبائعه الاربعة وهي في رسالة كشف الحقائق

النوع الثالث خصائص نورانية وهي خمس الاولى الحمد لمن ابدعني من نوره الثانية وايدني بروح قدسه الثالثة وخصني بعلمه الرابعة وفوض اليّ امره الخامسة واطلعتني على مكنون سره فهذه من كلام حمزة وهي في اوائل رسالة التحذير والتنبية

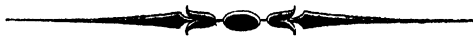
النوع الرابع منازل كلية وهي خمس الاولى حد الجسمانيين الثانية حد الجرمانيين الثالثة حد الروحانيين الرابعة حد النفسانيين الخامسة حد التورانيين فهذه المنازل الخمسة هي مجتمعة في الامام وهي مذكورة في السيرة المستقيمة

واما تلقي الديانة واخذها فله عندهم كيفية مخصوصة وهي انه اذا اراد احد من الجبال ان يأخذ الديانة ويدخل في سلك الموحدين ينبغي له ان يستجلب رضى الموحدين بتقديم الوسائل التعطفية مدة لا تقل عن سنتين يلتمس منهم قبوله وادخاله في جماعتهم واعطاءه الديانة فاذا قبلوه ادخلوه تلى الامام فيوصيه بحفظ السر وعدم اشهاره ويأمره بتحرير العهد الواجب تحريره اذ لا يكون موحداً خالصاً بدوئى تحرير العهد على نفسه فاذا حرره وسلمه الى الامام صار واحداً منهم والعهد الذي يجب تحريره هو المسطور تحت

العهود الآتي :

ميثاق ولي الزمان

توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد اقر فلان بن فلان اقراراً اوجبه على نفسه واشهد به على روحه في صحة من عقده وبدنه وجواز امره طائعاً غير مكروه ولا مجبر انه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها تلى اصناف اختلافاتها وانه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة وانه لا يشرك في عبادته احداً مضي او حضر او ينظر وانه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع احكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من افعاله سواء ذلك ام سره ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه واشهد به على روحه او اشار به الى غيره او خالف شيئاً من اوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرماً الافادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من البار العلي جل ذكره ومن اقر ان ليس له في السماء اله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين وكتب في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من سني عبد مولانا حل ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المتشركين والمرشدين بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحده اه



السجل المعلق

من المخطوطات المضمنة بها عند الدروز السجل الذي كتبه حمزة بن علي هادي المستجيبين وكان سبباً لتورة الأفكار في مصر حتى هرب منها ونزل سوربة ونشر بها العقيدة الدرزية وهو أكبر القائلين بالوهمية الحاكم وهاء بعض فصول منه تفيد مطالعتها في تمثيل حالة هذا القوم ونشرها بجرها . وهذا السجل هو مقالات مزوعة في اغراض شتى فمن مقالاته مقالة : « خبر اليهود والنصارى وسؤالهم لمولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين صلوات الله عليه عن شيء من امر دينهم باغراض اعترضوه فيه وانكار انكروه عليه والجواب الى ذلك بما اختصهم من القول واسكتهم وانصرفوا متهورين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم حدثت - نتق به ونسكن الى قوله مع اشهار الحديث في ذلك الوقت انه حضر في موتف من مراكب الدهر وصاحب العصر مولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين سائرهم عليه اذ وقف بين يديه بالقرافة في مقابر تعرف بقباب الطبر نرفسوا عليه فوقف عليهم حسب ما كان يقف علي من سائرهم فذكروا انهم من اهل الذمة وان لم حاجة وانهم يهود ونصارى فقال عليه السلام قولوا حاجتكم فقال نسأل حاجتنا اذا امتننا الى نفوسنا فقال ان طلبه الحوائج لا تحتاج الى امان فقالوا هي حاجة صعبة وسؤال عظيم فقال - عليه السلام اسألوا فيما عسى ان تسألوا ولو كان في الملك .

قالوا : يا امير المؤمنين ما رشي يتعلق بامر الدنيا واما هو بي يتعلق بامر الدين وخطر عظيم فان امتنا على افساد ذكرنا . واما لك عنه وان لم تأمننا سألتك العفو وانصرفنا آمنين فذلك وادلك قدمه لا الغرب والشرق وعطاؤك وجودك قد غمرا جميع الخلق . قال عليه السلام : اسألوا سما اردتم وانتم آمنون بامان الله تعالى وامان جدنا محمد واماننا لا منكوث عليكم في ذلك ولا متأول . قالوا : يا امير المؤمنين ان الذي نسألك عنه خطر عظيم وامر جسيم وانت صاحب السيف والملك ولا نسك في امانك ولكننا نخشى من سفهاء الامة . قال عليه السلام : قولوا وانتم آمنون من جميع الناس والامة . قالوا : يا امير المؤمنين انت تعلم ان صاحب الشريعة الذي هو تقديس عبد الله الرسول المبعوث الى العرب الذي لهجرته كذا وكذا سنة وذكروا عدد السنين التي لهجرته الى تلك السنة التي خاطبوه فيها انه حين بعث الى العرب وجاهد سائر الامم لم يسمنا الدخول في شريعته

الا ان اخترنا ذلك بلا اكراه او اداء الجزية ولم يكافأ الا هذا وكذلك كل واحد من ائمة دينه وخلفاء مذهبه ومتفقي شريعتهم لم يسموا ماسمة. انت اياه من هدم بيتنا وادياننا ونمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا فيها حكمة بالخلال والحرام والتقصاص حتى انك اجحت التوراة والانجيل يشهد فيها الفلوك والصابون وتباع في الاسواق بسعر القراطيس الفارغة .

وقد اخبر صاحب الملة والشرعية عن ربه فيما نزل عليه ان التوراة فيها حكم الله ثم انه ذكر في غير موضع في الكتاب المنزل عليه تفخيم امر رسلنا والافاضل من تباعهم مثلما هو موجود في كتبنا واكثر القرآن انزل عليه فيه ذكر موسى وعيسى و يوشع واسماعيل واسحق ويعقوب ويسف وزكريا ويحيى وهؤلاء كلهم انبياءنا وائمة شرائعنا ومثلما ذكروا الفضلاء منا مثل بتايا موسى وحواري عيسى وما حكماء ايضا في الكتاب المنزل عليه من تفضيل قسيسنا ورهباننا بقوله ان فيهم قسيسا ورهبانا واذا سمعنا ما انزل الى الرسول تفيض اعينهم بالدمع مما عرفوا من الحق ولو استقصينا كل ماجاء في الكتاب المنزل عليه من تفضيل رسلنا وتفخيم كتبنا لكان اكثر ما نزل عليه في هذا المعنى ثم قد كان من حلفاء الملة وائمة الشريعة من المحمودين آتائك والمذمومين اعدائهم واعداك مثل بني أمية وبني العباس ممن عتا في الارض وملكها طولا وعرض (؟) مع اتساع ملكهم وعظم سلطانهم وكان يخطب لهم في كل بقعة بلغت اليها دعوة رسولهم وصاحب شريعتهم ولم يحدث علينا رسما ولا تقضوا لنا شرطا اقتداء منهم بصاحب ملتنا وشريعتنا المذكورة لكي لسان نبينهم . فمن اين جاز لك انت يا امير المؤمنين ان تتعدي حكم صاحب الملة والشرعية زحل الخلفاء والائمة الذين ملكوا قبلك البلاد والامم وليس انت صاحب الشريعة بل انت احد ائمة صاحب الشريعة واحد خلفائه والقائم في شريعته لتتمها وتشد اركانها وبنينها وبذلك نطقت في كلامك في غير موضع من موافقك التي خاطبت بها واشهر ذلك عنك اقرب الناس اليك من اوليائك وانت تفعل معنا ما لم يفعله الناطق معنا ولا احد من ائمة وخلفائه كما ذكرناه وهذه حاجتنا التي اناها وامرنا الذي قصدناه وطلبنا الامان عليه ونريد الجواب عنه فان يكن حقا وعدلا آمانه وصدقنا وان يكن متعلقا بالملك والدولة والسلطان بقينا على ادياننا غير شاكين في مذاهبنا وازلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من اهل ملتنا واجئناك الاستغفار من غير شاكين في عدلك ورحمتك وانصافك ولكي هذا اخذنا امانك وقد قلنا الذي عندنا واخرجناه من اعناقنا

كما تقتضي ادياننا والامر اليك فان نقل لنا سمعنا واطعنا واجبنا وان اذنت لنا ولم نقل انصرفنا ونحن آمنون بامانتك الذي امتنا فقتال عليه السلام : اما الامان فبإق هو عليكم واماسواكم فما سألتكم الا عما يجب لملتكم ان يسأل عن مثله واما نحن فنجيبكم ان شاء الله ولكن امضوا وعودوا اليها ليلة غد . وليأت كل واحد منكم يعني من اليهود والنصارى بافقه من يقدر عليه من اهل ملته في هذا البلد ليكون الجواب لهم والكلام معهم

ولما كان في ليلة غد حضر القوم في المكان بعينه ووقفوا وسلموا وقالوا قد اتينا بمن طلبه امير المؤمنين منا وقدموا احد عشر رجلاً ومن قبل سبعة فقال لهم امير المؤمنين صلوات الله عليه : لهؤلاء اخترتم ولهم قدمتم قالوا باجمعهم : نعم يا امير المؤمنين قال للنفر : وانتم رضيتم ان تكونوا متكلمين عن اهل ملتكم نأبين عنهم قالوا : نعم قال : فهل تعلمون في هذه البلدة من اهل ملتكم من هو افقه منكم قالوا : لا قال عليه السلام : وانتم تحفظون التوراة والانجيل واخبار الانبياء قالوا : نعم قال عليه السلام : (انتم) عارفون بمبعث صاحب الشريعة الذي انا قائم بمائه وذاب عن شريعته وسيرته واخباره وما جرى بينه وبين رؤساء ملتكم ومتقدميكم من اليهود والنصارى من الجدل والمسائل والاحتجاجات ومن سلم لامره منهم ومن لم يسلم من مبعثه الى حين وفاته . قالوا : لم نخط بذلك كله بل احببنا باكثره مما يلزمنا حفظه وعلما بما جرى بينه وبين علمائنا تصحيحاً لمذهبننا وشريعتنا وذلك عندنا محفوظ مدون مكتوب تتوارثه احبارنا واحبار عن الاولين من قبلنا حتى وصل ذلك الينا ويتصل بغيرنا كما وصل الينا الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

قال عليه السلام : ان اصحابكم سألوني البارحة عن سؤال بعد ان اخذوا امانني على نفوسهم ووعدتهم ان اجيبهم عن سؤالهم اذا احضروا علماءهم وقد حضرتم واعترفوا لكم بالعلم والفضل وصدقتموه انتم الى ذلك واعترفتم عندي به لما قلت لكم اتعرفون في هذه البلدة من هو اعلم منكم من اهل ملتكم باخبار صاحب تريعة الاسلام ونسبه وشيعته وعلمه وشريعته قلتم : لا . وانا اسألكم وفي آخر السؤال اجيبكم واخبركم بما سألوني عنه اصحابكم واماني باق عليكم وعليهم على شرط وهو اني كلما سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبكم وشريعتم ومذهب صاحب ملة الاسلام وشريعته فنجيبوني عنه بما هو مأثور في كتبكم المأزلة على انبيائكم ومدون في كتب رؤسائكم وعلمائكم واحباركم وما لم يكن عندكم ولا تعرفونه

ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولا قول حكيم مرسل فردوه علي وادفعوه بحججكم التي عسى ان تدفعوا بها سواي وما عرفتوه وفهمتموه فلا تنكروني اياه لقيام الحجة عليكم به وفيه قالوا : نعم قال لهم ان صدقتم فاماني بعهكم وان كذبتهم انفسخ اماني عنكم وعاقبتكم وكانت عقوبتكم جزاء الكذبكم ارضيتم ؟ قالوا : نعم قال : اباغكم انه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرسول صاحب شريعة الاسلام اتاه رؤساء شريعتكم وعلماكم من الملتين اليهود والنصارى وهم فلان وفلان وفلان وسمى لهم رجلاً من احبارهم ورهبانهم وامسك . قالوا : نعم يا امير المؤمنين وفلان وفلان وفلان وسموا له بتيبة اسماء الرجال حتى اتوا على آخرهم . قال عليه السلام . قد صح عندي انكم صدقتم لما تمتمت اسماء الرجال الباقين الذين بدأت انا بذكرهم في ذلك عندكم شك تشكون فيه او ريبة ترتبون بها قالوا : لا قال لهم : لما استحضرم ما قال لهم : قالوا : يقول امير المؤمنين فنه القبول ونحن سامعون فما عرفناه اقرنا به وسلمنا فيه . وما لم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرنا لامير المؤمنين . قال عليه السلام : قال لهم صاحب الملة والشريعة : لم تكونوا منتظرين لزماني بشوقين لشخصي وترجون الفرج مع ظهوري فلما ان ظهرت فيكم واعلنت دعوتي وشهرت امر ربّي كذبتموني وجحدتموني وناقتم علي فطائفة منكم قاتلوني وطائفة رحلوا من جوارى حسداً لي وبغضة حسباً تفعله الامم الباغية في الازمان المتقدمة اذا ظهر مثلي سنة سنتها الظالمون اولهم ابليس الاعمى مع آدم الكريم فهل كان ذلك منه اليهم قالوا : نعم قال : ناذا علمتم ان ذلك قد كان منه فما كان جوابهم له عن ذلك بعد استماعهم كلامه قالوا : قد قلنا اولي لامير المؤمنين ان يقول ولنا ان نسمع ونحن محمولين على الشرط الاول الذي شرطه امير المؤمنين علينا اما ما عرفناه اقرنا به وما لم نعرفه انكرناه فخرج في ذلك سلامة ادياننا بالتصديق بالحق وسلامة انفسنا من القتل بالتزام الشرط

قال لهم امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابهم انهم قالوا : ما انت الذي كنا منتظرين لزمانه متوقعين لشخصه ولا الذي نرجو الفرج مع ظهوره قال لهم : ما دليكم على صحة ذلك اني ما انا هو قالوا : ما هو مأثور عندنا وموجود في كتبنا وبشّرت به انبيائنا لاعمهم قال لهم : ما هو بينوه قالوا : ثلث خصال احدها ليس اسمك اسمك وقد نطق بذلك لسانك في نبوتك وجهرت به لاصحابك وجعلت ذلك فضيلة لك فمنه آخذناك لما قلت ما حكيتك عن المسيح ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ويضع عنكم ضرركم والاغلال التي كانت عليكم فهو كما قلنا ما انت المسمى اذ

اسمك محمد والذي بشرت به باتفاق منا ومنك اسمه احمد والثانية مدته قد بقي لها اربعمائة سنة من يوم مبعثك الى حين ظهور هذا المنتظر فتد حالفته ايضا في الاسم والمدة والثالثة المنتظر انما يدعو الى توحيد ربه بالاعتقيل ولا تشبيه ولا كلفة لتحقق نفوسنا حسبها ذكرته في تنزيلك من تحليل الطيبات وتحريم الحباث ووضع عناصرتنا والاغلال التي كانت علينا فاي حجة بقيت لك علينا وليس اسمك اسم من ينتظر بقولك ولا فعلك فعله ولا المدة مدته فقد حالفته كما قلنا في الاسم والمدة والفعل واذا كنت انما تدعون الى شريعته فبقاؤنا في شريعتنا اثر وخير لنا

وصفة المنتظر عندنا رفع التكلفيات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك وان لا يتجاوز في عصره كافر ولا منافق وانت اكثر اصحابك يظهرون النفاق عليك وانما بغلبة سيفك عليهم سلوا لامرك واذا كان ذلك كذلك فلم تلومنا على قتالنا وتناقلنا على طاعتك والدخول في شريعتك . ثم قال لم امير المؤمنين عليه السلام : اكذا كان قالوا : نعم كذلك كان وكل قولك حتى وصدق . قال : فما كان جوابه لم عن هذا الكلام قالوا : يقول امير المؤمنين حسبما جرت به العادة ونسمع ونسترف بالجواب اذا سئلناه ونكره اذا جهلناه قال لم عليه السلام : اما اذا عرفتم ذلك وعلمتموه فلا شك انكم تعرفون صفة الحال كما جرت ان شاء الله . ثم قال امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابه لم لاقاتلكم على الدخول في ملتي ولتكذبي الصدوف عن امري لانكم اصحاب شرايع وكتب و متمسكون بآمرها ناطقون وليس اقاتل من هذه صفة ولا انا رافع الشرايع ولا ذلك كله الي بل كلما ملكت بلداً بسيفي ممن فيه عبدة الاوثان والتناذر فلي ان الزمهم الدخول في ملتي او اقتلهم ومن كان في البلدة منكم عرضت عليه اما الدخول في ملتي واتباع امري وشريعتي او اداء الجزية فاذا كره الوطن الذي ملكته وبسيفي فتحته فمن وزن الجزية منهم اقررت في مكانه ومن انتقل عني تركته ومن قاتلني منكم على مثل ذلك قاتله وانتظرت فيكم حكم ربي قالوا : لك ذلك فما قلت الا حقاً ولا نرى منك الا صدقاً قال لهم : اذا استقر ذلك بيني وبينكم وقد تأولتم علي ورفعتم منزلي وفضلي الذي قد اتاني من عند ربي وزعمتم ان الذي تنتظرونه له اسم تعرفونه . وفعل تعلمونه ومدة تنتظرونها وهي من مبعثي الى حين ظهور هذا المنتظر بقي له اربعمائة سنة فاكتبوا بيني وبينكم مواضعة تتضمن كل ذلك وذكره وعلى انكم تدفعون الى الجزية طول تلك المدة التي ذكرت ان المبعوث اليكم فيها يأتي غيري فان كنت من جملة المحرصين الكذابين فانتهم تكفون مؤثني ويرجع اليكم

الملك اذا ظهر من تنتظرونه وان لم يظهر ومدتي قائمة وشريعتي ماضية وحكمي لازماً ولم
 بأنكم في هذه المدة من تنتظرونه فلصاحب ملتي والقائم بدعوتي والامام الذي يكون
 في ذلك العصر ان يدعوكم الى مادعوتكم اليه اليوم فان اجتمعوه وسلمتم وان ابيتكم عليه كما
 ابيتكم عليّ وصددتم عنه واستكبرتم فله ان يأخذكم بالشرط الذي شرطتموه على انفسكم
 ويقابلكم فان تاملتموه قتلكم ولا يقبل لكم عذراً ويستبيع ملتكم ويهدم شريعتكم بهدمه
 لبيعتكم ويعطل كتبكم ويكون ما بقي لكم عذر تخرجون به ولا محال تركنون اليه ولا ابليس
 تعولون عليه وهو المنصور عليكم يقطع شأفتكم وشأفة كل الظالمين فهذا نص المواضعة
 اهكذا هو قالوا : نعم قال امير المؤمنين عليه السلام : والمواضعة لم تزل تنقل من بعد
 صاحب الشريعة والملة من وهي صادق الى امام فاضل حتى وصلت اليّ فهي عندي
 فلم يكن عليه السلام ان ينقض شرطاً أسسه وحكماً بيّنه وهو معروف وقت ان نشأ في
 الجاهلية محمد الامين فكيف ينقض ما انعم به عليكم ولم يجز لاحد من ائمة دينه وخلفاء
 شريعته ان ينقض ما امر به من قبل انقضاء المدة اتباعاً وتسليماً لحكمه فلما وصل الامر اليّ
 وانقضت تلك السنون المذكورة في المواضعة في عصري وعند تمامها امرني اخذت منكم
 بحقه ودعوتكم الى شرطكم وشرطه حسب مقتضىه الامانة وحكم المعاهدة اذ ذلك بلغكم
 انه صفة الحال قالوا : نعم كذلك كان قال : فاي حجة بقيت لكم عليه وعليّ بعدما اوضحناه
 واري امر تعديت فيه بزيعتكم عليكم اذا كنت بشرطكم اخذتكم وما كنتم تنتظرونه اقمته
 عليكم وقد اوسعتمكم حلماً وعدلاً اذ اقيمت نفوسكم على اجسامكم ونعمتكم عليها امها(?) لا لتنتهبوا
 بعد الغفلة وتسلموا بعد المعاهدة فاي حجة لكم بعدما اوضحناه واري حق معكم بعد ما قلناه
 واري عذر يقوم لكم بعد ما شرحناه قولوا واسألو اتجاؤوا وتنصفوا ولا يكون لكم قولاً ولا حجة
 فانصرفوا محجوجين كاذبين ناديين شاكين خائبين فقال : ماذا تقولون قالوا باجمعهم
 هذا والله كله حق وصدق لانشك فيه ولا نرتاب به قد سمعنا لو فهمنا والله الحجة البالغة
 رب العالمين وصلى الله على نبيه وآله الطاهرين . تم الكلام في هذا الفصل وحسبنا الله
 ونعم الوكيل والحمد لله وحده وبه نستعين . اه

وسننشر في الجزء التالي نتفاس هذا المخطوط ايضاً جلاء الحقيقة الغامضة



اللاما وعابدوه

عرف المطالعون من مواطنينا كثيراً عن غرائب ديانات البشر وعقائدهم ومعبوداتهم القديمة والحديثة ولكن نظن انه لم يخطر لعافل منهم ببال انه يوجد حتى اليوم امم عريقة في التمدن وهي تعد بالملايين تعبد انساناً حياً مثلهم وتقدم له من انواع التكرمة والتجليل والاعظام ما لا ينبغي تقديمه الا للاله الحي الازلي القويم فان اللاما وما ادراك ما اللامات هو الا بشر كسائر الناس يأكل ويشرب ويضحك ويبكي ويخطئ^١ ويصيب ومع ذلك فالملايين من الصينيين والهنود والمغول يؤهلون^٢ تأليهاً يبذلون له من ضروب العبادات ما يقضي بالحيرة والاستغراب والدهول هذا ولما كان الموضوع غريباً عجيباً وقد لا يخلو من الفائدة لمن تتبع تاريخ واحوال وشؤون الامم وما انطوت عليه من الشذوذ والمدهشات رأينا ان نطرفهم بهذه المقالة آخذة بناصيتي الايجاز والوضوح فنقول:

ان الدين اللاماي قديم جداً مرّ عليه زهاء ثلاثة آلاف سنة وهو زاه سائد منتشر في مساحة من المعمور تقرب من سبعمائة الف ميل ممتدة من ينبوع نهر «الاندوس» الى حدود الصين ومن تحوم الهند الى قفر «كوبي» وتسمى هذه المملكة «ثيبة» او «تيت» وعدد سكانها يتجاوز الستة ملايين وهي مجاورة لبلاد حملايا وترتفع عن سطح البحر نحو عشرة آلاف قدم بيد ان هذا الدين لم ينفصر في تلك المملكة فقط بل تسربت تعاليمه ايضاً منذ عصور متطاولة الى قبائل وفصائل كثيرة من امة التتر المتجولة بين ضفاف نهر «الولكا» و«كوريا» بجوار بحر اليابان وإلى كثير من جزائر الهند ومقاطعات الصين حتى يقول الباحثون ان الذين يدينون بهذا الدين لا ينقصون عن مئة مليون أكثرهم من لهم اقدم راسخة في المدينة الشرقية وعراق تامة في الحضارة بين اصحاب اللون الاصفر والقوقاسيين من شعوب آسيا الكبرى ومقر عرش هذا المعبود «استغفر الله» انما هو قصر يسمى «باتولي» مبني في ذروة جبل علي مقربة من شاطيء «بارامبوتر» بينه وبين «لاسا» عاصمة البلاد سبعة اميال وفي حضيض ذلك الجبل يتم نحو عشرين الفاً من الكهنة تتفاوت رتبهم الدينية بحسب بعد منارلم وقربها من عرش «اللاما» معبودهم الاكبر وهم يعتقدون انه ازلي لا يموت محيط بكل الامور جامع لانواع الفضائل ويسمونه

«اب السماوات» وهو لا يرى الا في مكان سري في قصره يجلس فيه الاربعاء بين مئات من المصاييح الذهبية وعليه من الخلي وانواع الجواهر النفيسة ما يصر عنه الوصف فيتقاطرون الى زيارته من كل صوب واوب وحذب في موسم معلوم وقليل منهم من يفوز بالدنو منه على قيد اذرع وتلي الذين ينالون شرف الدخول الى مقدسه ان يطرحوا انفسهم الى الارض ركعاً سجدوا وهم بعيدون عنه مرمى النظر اجلالاً له وتكريماً ولا ينحصر بهذه المنحة السامية الا الملوك وعظماء الامراء وزعماء القبائل فيؤنه عن بعد من طرف خفي دون ان يخاطبوه او يبس لهم بئنت شفة

وهذه الزيارة تكفي عندهم لمغفرة كل ما جترحوه ويحترحونه من الآثام والكبائر مدى الحياة ومن العجب انهم يأخذون من رجيعة ما يذخرونه في اوعية صغيرة ذهبية ثم يعلنونه كالنائم والتعاويد في اعتناقهم واعضادهم يستشفون بها من الامراض ويدفعون كيد الالباسة وزغات الشياطين وهم يستنون تلك الذخائر الرجسة بالوف مؤلفة من المال ومن حصل عظمى مثقال منها فقد نال بزعمهم سعادة الدارين وجمع بين الحسينين وقد يدخلون الى مطاعمهم ولو بعض نقاط من مفرزه المائي ولكن هيهات ان ينال ذلك منهم الاكل رفيع التدر نافع الكلمة واسع العطاء فمن خدمه الحظ وخازمه التوفيق بحيث يتبها له ان يجمع بين «المفرزين» معاً فهو بين الاقطاب الاعلام اجد من الاسكندر في عصره او فرعون في مصره فيالله مما تنخط اليه مدارك البشر

وللاما سلطان سياسي فضلاً عن سلطانه الديني ومع ان بلاده تحسب منذ القدم تابعة للامبراطورية الصينية وتوذيها بعض الجزية فهو يدير حكومة بلاده مستقلاً بواسطة عمال يسمونهم «خانات» ومان من مدافع وله في «باكين» وغيره من العواصم في الشرق الاقصى سفراء وامبراطور الصين ذاته يؤدي له الطاعة والاحترام كعبود ولاعوانه الكثيرين الذين يسمونهم «اللامو بين الصغار» انفذ سلطته واسمى مكانة بين عامة الناس وخاصتهم وهم يجيئون الهدايا ويجمعون التذور من جميع بلاد المغول وثيبة والهند الغربية وغيرها وغيرها باسم «اللاما العظيم» ومع كونهم فاسدي الاخلاق قبيحي السيرة منغمسين في الملاذ البهيمية يحترمونهم الناس اعظم احترام ولم جميعاً من الثروات الطائلة ما صارهم في المقام الاول بين متمولي تللكم الاصقاع وموسريها

وعندهم ان «اللاما» متى ادركه الهرم او مات بسبب آخر من اسباب الموت تفارق روحه ذلك المنزل المتهدم القديم لتحل في مسكن اقوى وامتن فتنتقل تلك الروح الى جسد

طفل له عندهم علامات وفروق خاصة كالعجل «آيس» عند قدماء المصريين فيبحثون عنها بواسطة اللامو بين الصغار حتى اذا تحققت وجودها في اي طفل كان قالوا — هذا هو اللاما — فالتخذه خافاً لسلف قبله واقاموا عنه نواباً منهم حتى يبلغ اشده وعلى هذا لا يكون ذلك في زعمهم موتاً طبيعياً بل هو من قبيل الانتقال العادي من موئل الى آخر

وهم يؤمنون بالله واحد يثلثون اقايمه كما يثلث الهنود «برهما» ويزعمون انه ظهر اول مرة (سنة ١٠٢٦ قبل الميلاد) وكان يملك في بلاد الهند وهو متجسد يموت في الظاهر ولكنه في الحقيقة يتنقل كما ذكرنا من مسكن الى آخر مع انه زليحي سرمدى لا يموت ويريدون به نفس اللاما العظيم الذي يسميه الصينيون «شوفو» اي الاله الحي ثم هم يؤمنون بخلود النفس والثواب والعقاب ولهم صلوات واصوام وذبائح وقرايين وكهانة ذات فروض ونذور ومناسك وصوامع واديار وعدد كهنتهم يتجاوز الثلاثين الفاً وكلهم يلبس البسة خاصة ذات مناطق صفراء وقبعات تختلف اشكالها وازواجاها باختلاف رتبهم الدينية ولهؤلاء الكهنة مدارس تلقى بهم فروض الدين ونواميسه وتعاليمه وشيئاً من الطب وعلم الهيئة ودرجاً من السحر والتدجيل يخرقون بها على العامة المخذوعة باسمالهم السحرية غير ان دهاء الانكليزان الذين يستسهل امرهم بعض متهموسي الكشبة ذوي الاماني والاسلام لم يدع هذه لزمرة المضلة وآبها الدحل لتتعود بما توارثوه عن آباءهم منذ آلاف اعوام من الجحد السامي والمكانة العليا بل ما برحوا منذ بعض قرن فأتياً يبتشون دعائهم ورسلمهم وينصبون شبابهم واحاييلهم بين اللامويين متذرعين بكل وسيلة من رسائلهم الفعالة لاسط نفوذهم وتمتين دعائهم في تلك الاقطار حتى الجأوا اللاما واثياعه بعد جملة سالت فيها الدماء سيل الماء الى موالاتهم والدخول في حمايتهم وتحت سيطرتهم الى غير ذلك مما كشف القناع عن بصائر الصينيين وامات ثتهم وصدق يتبينه بذلك المعبود الكاذب فتمضوا عليه نهضة رجل واحد واجلوه عن مقدسه فضى حارباً صاغراً مدحوراً لا يلوي على شيء يلمس من مواليه الانكليز حماية روحه وماله الى غير ما هنالك مما فاضت بيضاء صحيف الاخبار وجاء منطبقاً على ما يريد الانكليز خلافا لما يتوهمه البعض من ينظرون الى المراي السياسية بعين الاحول فسبحان مصرف الامور بحكمته ومقلب الاحوال بقدرته ان له لايات تترى تبدو من خلال نقاب الليل والنهار

ومن غرائب هذه البلاد ان الهواء فيها مع ارتفاعها المنهامي عن سطح البحر ومحاورتها
لاعظم جبال آسيا اثما هو باردٌ جافٌ لا مطر فيه حملا حتى ان الثلج قلما يروى في تلك
الاصقاع والحشب هنالك لا يلى بل يصير صلباً حتى يضاع الزوان ويبقى مع الذهب
كذلك اللحم اذا عرضته للهواء يجف حتى يمكن سحقه بسهولة فيصير ناعماً كالكلحل
وهكذا يفعلون

ومع انه لا ينبت فيها شجر برتي قط تجدد في اوديتها الخجوبة عن الزعازع والاعاصير
اشجاراً مثمرة كثيرة كالنخاع والتين والكرم والزبان والبرز وهناك يزرع الارز والخنطة
والشعير وما يماثله من انواع الجبوب فتكون غلاته جيدة بخلاف نجاها المرتفعة المعرضة
لرياح فانها لاتصلح للزراعة الا شذوذاً

وهي غنية بمعادنها الثمينة فان الذهب والفضة والحجارة الكريمة كالزبرجد والماس
توجد هنالك بكثرة كما يوجد ايضاً الرصاص والزنبق والحديد والبورق والملح
واهلها تلى غرابة دينهم وخنوتة هائره لينو العريكة دمشق الخلق خفيو الروح اولو
شجاعة وكرم وامانة ومروءة بنزعون الى الحرية والاستقامة والصدق في معامراتهم ومعاملاتهم
ولهم كاهالي فينيقية الاقدمين اشد الولوع بالتجارة تلى اختلاف مناحيها واكثرهم زاهد
في الزراعة لعقم اراضيهم وقحها ولكهم يشتغلون باستخراج المناجم والتعدين ولهم حلق
عجيب بتثقيف الحجارة الكريمة واصلاحها وظهار رونقها ولعانها

ولغتهم وان كانت من ذوات المقطع الواحد الا انها واسعة يعبر بها عن المعاني الفلسفية
والدينية منها كانت دقيقة غامضة بسهولة وبلاء وهم يكتبون بها من الشمال الى اليمين
كما يكتب اليهود باللغة السانسكريتية ومكتبتهم غنية في آدابها واكثرها اناشيد وتراجم
وشروح مستمدة من كتب البوذيين المقدسة

ويذهب اكثر علماء (البيولوجيا) ان اصل هذه الامة مغولي ويقيم بين ظهرانيها
قليل من المسلمين ومعظمهم من اهالي كشمير ويوجد هنالك ايضاً بضعة آلاف من
الكاثوليك

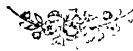
ويكثر عند اللامويين تزويج جملة رجال باسرة واحدة كاهالي جزيرة سيلان .
وهي عادة مستفيضة في كل امة او بلاد تفلئساؤها ويكثر رجالها
ولقد اختلف الكتبة والمؤرخون كثيراً في اسم هذه المملكة فمنهم من بدعواها
(ثيبة) ومنهم من يسميها (تيبث) وبعضهم من قال انها (تبت) ولقد ضبطها ياقوت

الجنوي بالباء المشددة اما الاوريون فيسمونها هكذا (Shibeto) واول سرائح استقرت تلك البلاد هو (توماس ماتني) وذلك سنة ١٨١٢ للميلاد ثم وليه القس (هوك) سنة ١٨٤٥ و١٨٤٦ وانما استقراؤها اباهما لم يتجاوز القسم الغربي منها ولكن دعاة اليسوعيين قد عرفوا قبلها العاصمة (لاسا) وما حولها منذ القرن السابع عشر اما سائر اقسام المملكة ولا سيما الشرقية والشمالية فهي ما برحت حتى اليوم مستعمدة احوالها في سبب كثيف وتعد عند الجغرافيين من مجاهل الارض

هذا مجمل ما امكن الوقوف عليه بعد التدقيق والتنقيب عن احوال تلك المملكة الغربية في ديانتها وعبادتها في اقليمها وبيئاتها في طبائع اهلها وعاداتهم اخذناه محصلاً عن عدة مصادر هي محل الثقة ثم اطرفنا به المقتبس تفككة لقارئه وتبصرة وذكرى

سليم فخوري

دمشق



قانون تكليف العقارات

الفصل الأول

في العقارات التي عليها تكليف

المادة الأولى — يفرض على العقارات في كل قضاء تكليف واحد بنسبة دخلها ويكون هذا بدل التكاليف الحاضرة وهي الخراج «ويركو» وحصة المعارف والتجهيزات وذلك اعتباراً من السنة المالية التي تلي تحرير هذه العقارات وتحمين ايرادها وفقاً لاحكام هذا القانون ويجوز ضم ذي على اصل هذا التكليف للمعارف والامور النافعة لاهل ذلك القضاء بشرط ان يعين الحد الاعظم لهذه الضائم في قانون الميزانية كل سنة . تعتبر كل دائرة بلدية في الاسنانه والبلاد الثلاثة «بك اوغلي ، اسكدار ، ايوب» قضاء عند تطبيق هذا القانون

المادة الثانية — العرصات المستعملة مخازن ومعامل للتجارة والصناعة تعد من نوع العقارات وان لم يكن فيها بناء وسقف

المادة الثالثة — تعتبر افنية العقارات وحدائقها من ممتلكات الابنية ويفرض عليها مع الابنية تكليف على نسبة سعتها وتعين هذه النسبة بنظمات خاصة . اما الزائد من

الافية والحدائق عن النسبة المذكورة اذا لم يستعمل للتجارة والصناعة كما هو محرز في المادة الثانية فيتبع قانون تكاليف الاراضي والعرضات . والعرضات المتصلة بالطواحين والمعامل لوضع لوازمها ومصنوعاتها تعد من مشتعلاتها وتعتبر مثلها من حيث التكاليف المادة الرابعة — الاستثناء يكون اماً دائماً او مؤقتاً . اما المستثنيات دائمة هي :

١ — عقارات الدولة

٢ — عقارات الحضرة السلطانية سوى ما هو للاستغلال منها

٣ — عقارات البيت السلطاني المحررة اسمائهم في الميزانية العامة في فصل رواتب البيت السلطاني على شرط ان يسكنوها .

٤ — عقارات البلديات والقصبات والقرى التي يستعملها الناس ولا يراد لها .

٥ — الثكيا والزوايا المصدق عليها في الدوائر الرسمية وبيوت العبادة والادبار ومتماتها التي في حريمها (يشترط في هذه ان لا تكون مستأجرة)

٦ — العقارات المخصصة لاقامة الخدمة والمناجخ والمتولين المصرح بها في الوقفيات اذا لم تؤجر او تستأجر

٧ — العقارات الخاصة بالمدارس والمعارف ودور الخير اذا لم تؤجر او تستأجر

٨ — الدور التي يسكنها الفلاح والمزارع اللذان يحرثان ويزرعان بنفسهما والدور التي يسكنها حراس المزارع والاراضي والحراج والحلات المعدة لايواء الحيوانات وحفظ الحاصلات والآلات والادوات الزراعية (ان جميع العقارات المدرجة في هذه الفقرة الثامنة مشروط بها ان تكون خاصة باستثمار اراضي القرية او المزرعة وان لا تكون مفرزة من الاراضي المعدة للزراعة ومؤجرة)

٩ — الحظائر والزرائب والحال الخاصة بتربية الحيوانات ودود الحرير .

المادة الخامسة — تبقى العقارات المعفاة من التكاليف بموجب معاهدات وقرامين او وثائق اشترطتها الحكومة على نفسها مستثناة من التكاليف كما كانت وبعد الآن لا يقبل استثناء سوى المواد التي ذكرت في المادة الرابعة الا بقانون مخصوص

المادة السادسة — تعين الادارة المركزية نوع العقارات المذكورة في المادة الخامسة والفقرات الاولى والثانية والثالثة والخامسة والسادسة والسابعة الواردة في المادة الرابعة

المادة السابعة — المستثنيات مؤقتة هي :

١ — الطواحين والمعامل في خلال خمس سنوات مالية تلي السنة التي تم فيها الانشاء
٢ — المساكن التي أنشئت لاسكان العشار السيار والمهاجرين الاولى لعشر سنوات
مالية والثانية لخمس سنوات مالية تمر بعد السنة التي تم فيها الانشاء سواء أنشئت هذه
المساكن من قبل الحكومة او من قبل العشار او المهاجرين انفسهم .

٣ — الابنية الجديدة الحجرية والخشبية الاولى لمدة سنتين والثانية لمدة سنة واحدة
تلي السنة التي تم فيها البناء الحجري او الخشبي . يجب على اصحاب البناء ان يعطوا في
خلال شهرين من مباشرتهم البناء مأموري المالية في ذلك القضاء بياناً يتضمن موقع الابنية
ونوعها وجهة استعمالها . فاذا لم يعط هذا البيان في مدته المعينة يطرح عليه تكليف
العقار اعتباراً من السنة المالية التي تلي ختام الانشاء . متى اجر البناء كله او جزء منه
اوصار في حالة يمكن معها استعماله والانتفاع منه بعد انشاؤه تاماً

المادة الثامنة — الابنية الآتي بيانها تعد من الابنية الجديدة

- ١ — العلاوات التي تضم على الابنية الموجودة
- ٢ — العرصات التي تعد للاستعمال بالصورة المحررة في المادة الثانية من هذا القانون .
- ٣ — ما جعل من العقارات الموجودة طواحين ومعامل

المادة التاسعة — العقارات التي عليها تكليف اذا دخلت في عداد المستثنيات يجري
عليها حكم هذا الاستثناء من اول السنة المالية التي تلي السنة المستدعى بها من قبل المكلف
المادة العاشرة — العقارات التي احتقت وخرت اوصارت من الخراب الى حال
لا يمكن الانتفاع به واخبر صاحبها . ووظفي المالية عنها على الاصول وثبت ذلك لديهم
بالتحقيق يرفع عنها التكليف اعتباراً من التقسيط الذي يلي التقسيط المصادف تاريخ
مراجعة صاحبها واخباره اما عرصتها فيجري عليها قانون تكليف الاراضي

المادة الحادية عشرة — المطاحن والمعامل ودور الصناعات اذا لم تستغل مدة سنة
كاملة الى الاقل بدون فاصلة يكون لاصحابها الحق بالعفو الموقت عن ثلاثة ارباع
التكليف في المدة التي لم تستغل بها . وعلى اصحاب هذه العقارات ان يرفعوا الى الحكومة
بيانين احدهما في اول مدة توقفها عن العمل والثاني في آخر تلك السنة . ويكون حكم
العفو الموقت اعتباراً من التقسيط المصادف نهاية السنة . واذا لم يخبر اصحاب العقارات
في مدة شهر واحد باستئنافها العمل ببيان يقدموه الى الحكومة يحرمون من التمتع بالعفو

في غضون تلك السنة . اذا استمرت العطلة مدة سنتين فيجب تجديد البيان في كل سنة على الصورة المذكورة

❖ الفصل الثاني ❖

في نسبة التكليف

المادة الثانية عشرة — ان نسبة التكليف هي اثنا عشر في المئة عن الواردات غير الصافية وانما يزداد على هذه النسبة في ميزانية المعارف ما يعادل النصف في المئة للمعارف المحلية في كل سنة

يطرح التكليف على الطواحين والمعامل ودور الصناعات والدور الخشبية المعدة للسكنى بعد تنزيل ربع وارداتها غير الصافية . العقارات المحتوية على الآلات والادوات المخصوصة والمعدة لاجراء صناعة تعد معملاً او دار صناعة . الابنية المنشأة بمجدران من الخشب او الواح خشبية او ما يسمونه بغدادي تعتبر خشبية (ولو كان اساسها قائماً على الحجر الى ارتفاع مترين من وجه الارض) الابنية المنشأة من اللبن هي من قبيل الابنية الخشبية .

المادة الثالثة عشرة — تعفى الدور التي وارداتها غير الصافية مائتان وخمسون قرشا فاقل والمعدة لسكنى صاحبها من التكليف جملة . والدور التي ايرادها اكثر من مئتين وخمسين قرشا واقل من الف يصرف النظر عن مائتين وخمسين قرشا من ايرادها

المادة الرابعة عشرة — تحور وتخمين العقارات بحسب الايجارات غير الصافية المتعارفة في محلها عامة وبحسب ايراد الابنية التي من نوع واحد وبحسب موقع البناء ومساحته وعدد ادواره وعدد غرف كل طابق منه ونوع المواد التي انشئ منها وبحسب حاله الحاضرة من حيث حسن محافظته وبحسب صورة الانتفاع منه . وعند تخمين الايراد غير الصافي للطواحين والمعامل ودور الصناعات ينظر الى ما فيها من الوسائط الصناعية الثابتة

المادة الخامسة عشرة — اذا لم يوجد وسائط كافية لتخمين واردات البناء الغير صافية تعين قيمة البناء الحقيقية ويعتبر ثمانية في المئة من قيمته ايراداً غير صاف اذا كان طاحونا او معملاً او دار صناعة او داراً خشبية لسكنى صاحبها و ستة في المئة اذا كان من العقارات الاخرى

❖ الفصل الثالث ❖

في تحرير العقارات وتقدير دخلها

المادة السادسة عشرة — تكتب جميع العقارات وتقدر قيمتها لتنفيذ حكم هذا القانون .
يعين مبدأ التحرير والتقدير ببيان من الوالي في الاسنانة والولايات ومن المتصرفين في
الولاية المستقلة

المادة السابعة عشرة — تكون كتابة العقارات من قبل لجنة مؤلفة من ثلاثة اشخاص
تعينهم الحكومة ويكون التقدير والتخمين من قبل لجان يلحق بها وكلاء المكلفين برئاسة
احد المأمورين الثلاثة المار ذكرهم

يكون عدد الوكلاء ثلاثة تنتخبهم مجالس البلدية في القصبات التي فيها دوائر بلدية
ومجالس الادارة في القصبات التي ليس فيها دوائر بلدية من اماس لم املاك داخل البلدة
وفي القرى تنتخبهم مجالس القرى . اصحاب العقارات مكلفون براءتها لهذه اللجان
واعطائهم المعلومات الكافية عن احوالها العامة وعن جهة اسما مالها ومقدار اجرتها ويؤخذ
من يمتنع عن ذلك او يخبر بخلاف الحقيقة عن عمد عشرون قرشاً الى مئة قرش جزاء
نقدياً بحكم المحكمة .

المادة الثامنة عشرة — اذا كان العقار منقسماً ومفرزاً بين اصحابه بصورة رسمية
يضمن ايراد كل قسم على حدة واذا لم يكن مفرزاً بل كان مشاعاً بينهم يضمن ايراده كله
من حيث المجموع

المادة التاسعة عشرة — عند ختام تخمين القرية او الحلي في المدن من قبل اللجنة
التي ذكرت آنفاً يعان اكمال الجدول الذي يتضمن قيد العقارات وتخمين ايرادها ليطالعه
المكلفون ويمعنوا فيه نظراً مدة شهر واحد ثم يبلغ كل مكلف على الانفراد ورقة اخبارية
تضمن مقدار الايراد الذي ضمن عقاره ولكل مكلف الحق بالاعتراض في مدة شهرين
من تاريخ تبليغ الاخبارية للمأمور مال القضاء لينظر به في لجنة التخمين

وللمأموري المال ايضاً الحق بالاعتراض على تقدير اللجنة وتخمينها في مدة شهرين
من بعد ارسال الجدول المذكور اليهم وحينئذ يكونون مكلفين بتبليغ اعتراضهم هذا
مع اسبابه الموجبة بصورة مختصرة للمكلف صاحب العقار لتقدير الذي لا يعترض
عليه قبل انتهاء المهلة المذكورة يكون قطعياً

المادة العشرون — على اللجنة ان تنظر في الاعتراضات المذكورة وتسمع اعتراض

المعترضين شفاهاً اذا طلبوا او وجد لزوم لذلك وان تشاهد العقارت مرة ثانية وتحقق احوالها عند الايجاب تعطي قراراً مدة شهرين على الكثير ويبلغ هذا القرار الى المكلفين بواسطة مأموري مال القضاء

المادة الحادية والعشرون — للمكلفين ان يستأنفوا قرار لجنة التخمين في خلال شهر واحد من تاريخ تبليغه لدى لجنة تواف في كل لواء باعتراض يقدمونه للمأموري المال حاوٍ للدلائل الكافية

تؤلف هذه اللجنة برئاسة الوالي او المتصرف هكذا: الدفتردار او المحاسب ومأمور تنتخبه الحكومة وثلاثة اعضاء يتبرع عليهم بواسطة المجالس العمومية في الولايات والجمعية العمومية البلدية في الاستانة اذا لم يكن المجلس العمومي فيها ملثماً من بين ستة من اصحاب الاملاك يبعث بهم اللواء

وللمأموري المال ايضاً ان يراجعوا لجنة الاستئناف في المدة نفسها على شرط ان تبلغ مراجعتهم هذه للمكلف ٠ وعلى لجنة الاستئناف ان تعطي قرارها في خلال شهرين المادة الثانية والعشرون — اذا ادعي بان قرار لجنة الاستئناف مخالف للقانون والنظام فالمكلفين ومأموري المال ان يراجعوا في خلال شهر واحد من بعد تبليغ القرار على الطريقة المار ذكرها اللجنة المركزية التي تواف في نظارة المالية بانتخاب الناظر من رئيس وستة اعضاء ٠ وهذه اللجنة لا تبحث في المعاملات المتعلقة بتقدير الاراد

المادة الثالثة والعشرون — للمكلفين ان يعترضوا في خلال شهرين من بعد اعلان جدول التكليف الذي يكتب بنهاية التحرير العمومي على التكليف المطروح عليهم في الاحوال الآتية وفقاً للطريقة المدرجة في المادة التاسعة عشرة وما يليها من المواد ١ — اذا وجد سهو وامتنعت الحكومة عن تصحيحه ٠

٢ — اذا لم يجر التبليغ المحرر في المواد ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ او جرى بصورة مخالفة للقانون

تكون هذه المدة عبارة عن شهر واحد من ابتداء اعلان جداول التحرير الخاص الذي يجري في خلال التحرير العام وجداول التكليف التي تجر لأول مرة في ختام التعديلات ٠

المادة الرابعة والعشرون — الاعتراضات الواجبة على مقدار التكليف المدخل في جدول التكاليف لا تؤخر تحصيله ولكن اذا تقرر ان الاعتراض محق يرد المقدار الزائد الى المكلف حالا .

المادة الخامسة والعشرون — مقررات اللجان المبينة في المواد السابقة تعطى بالاكثرية على شرط ان لا يكون عدد الاعضاء اقل من النصف فاذا تساوت الآراء يرجع الطرف الذي فيه الرئيس

❖ الفصل الرابع ❖

في دفتر امهات التكليف ومعاملاته التعديلية

المادة السادسة والعشرون — الجداول التي تحرر بمعرفة اللجان المار ذكرها حاوية تحرير العقارات وتقدير ايرادها والتعديلات المتوالية التي تجري بموجب هذا القانون يتألف منها دفتر الامهات .

ذفر الامهات يكون مأخذاً لجداول التكاليف السنوية المحررة في المادة الثالثة من قانون تحصيل الاموال المؤرخ في ٥ شعبان سنة ١٣٢٧ و ١٨ اغسطس سنة ١٣٢٥ المادة السابعة والعشرون — في كل عشر سنوات تجري تعديلات عمومية لتقدير ايراد العقارات وفقاً لاحكام هذا القانون .

المادة الثامنة والعشرون — اذا نقص ايراد العقار او زاد مقدار الثلث لبعض الاسباب الدائمة يعدل تعديلاً خاصاً بطلب من صاحب العقار او مأمور المال عدا عن التعديلات العمومية التي تجري في كل عشر سنوات . تطلب التعديلات وفقاً للفقرة السابقة في الستة اشهر الاولى من السنة المالية وتعتبر التعديلات من السنة الآتية .

المادة التاسعة والعشرون — يتفنى تلي اصحاب الاملاك بيان الخصوصات الآتية الى قلم المال كتابة من ابتداء تطبيق هذا التكليف في كل قضاء وبطي لهم علم وخبر بمقابلة ذلك .

١ — العلاوات التي تضم على الابنية الجديدة الموجودة .

٢ — العرصات التي خصصت من جديد للجهات المصرح بها في المادة الثامنة من هذا القانون .

التبديلات التي تحصل في جهة استعمال الابنية بصورة تدعو الى انقطاع الاستثناء

المستطور بهذا القانون والتحولات التي تغير نسبة التكليف المعينة في المادة الثانية عشرة .

تعطى البيانات المذكورة في خلال شهرين اعتباراً من استعمال الاملاك على الوجه المذكور او من حدوث التحولات فيها واذا لم تعط البيانات في المدة المذكورة يضم على التكليف المقتضي اخذه على حسب التبدلات التي لم يخبر عنها عشرة في المئة مرة واحدة

المادة الثلاثون — اصحاب الاملاك التي نسبت في التقرير العام ولم تكتب يقضي عليهم انتهاء امرها قبل انقضاء السنة الثانية التي تلي ختام اعمال التحرير واذا لم يخبروا بدون عذر مقبول يضم على اصل تكليف ذلك العقار عشرون في المئة من ابتداء تطبيق هذا القانون في ذلك المحل الى آخر السنة التي يطلع بها على النسيان .

المادة الحادية والثلاثون — تجري المعاملات المتعلقة بتعديلات دفتر الامهات وفقاً للقواعد الموضوعة للتحرير العمومي وانما تؤلف اللجنة التي تنظر في هذه المعاملات من اربعة اعضاء اثنان منهم ينتخبان من اعضاء مجلس الادارة واثنان من اعضاء المجلس البلدي برئاسة مأمور المال . ينظر في الاعتراضات التي يقدمها المكلفون او مأمورو المال المحليون على قرار هذه اللجان في المدة المحررة في المواد السابقة في مجالس الادارة المحلية . يكون قرار مجالس الادارة قطعياً على شرط ان يبقى حتى المراجعة للجنة المركزية في المدة المعينة محفوفاً في الاحوال المحررة في المادة الثانية والعشرين .

❖ الفصل الخامس ❖

في المكلفين الملزمين بأداء التكليف

المادة الثانية والثلاثون — اصحاب العقارات وذوو اليد على العقارات مكلفون بدفع التكليف المرتب عليها واذا لم يوجد هؤلاء فالساكنون فيها .

المادة الثالثة والثلاثون — المتصرفون في العقار مشاعاً يكلفون بنسبة حصصهم الشائعة . العقار المقيّد على شخص متوفى يعتبر غير مقسوم وتجري بحقه المعاملة وفقاً للفقرة الأولى هذا اذا لم يقسم ويقيد في ادارة الطابو او اذا لم يسقط الورثة حقوقهم الارثية كلها او بعضها .

❖ احكام عمومية ❖

المادة الرابعة والثلاثون — يحور ناظر المالية نظاماً يتضمن كيفية تنفيذ هذا القانون

وبعد تدقيقه في مجلس شورى الدولة ينفذ بإرادة سلطانية .

المادة الخامسة والثلاثون — تعتبر الاحكام التي كانت مرعية قبلا في تكليف العقارات لاغية من ابتداء تنفيذ هذا القانون في كل قضاء واكمل التحرير العام والمباشرة في تحصيل للتكليف .

المادة السادسة والثلاثون — عقارات الحرمين الشريفين مستثناة من احكام هذا القانون .

المادة السابعة والثلاثون — ناظر المالية مأمور بتنفيذ هذا القانون .

مخطوطات ومطبوعات

حالة المسلمين الاقصادية

تأليف السيواساتليه

La position économique de l'Islam, par M. A. Le chatelier

اعتاد صديقنا صاحب هذه الرسالة ان يرينا كل يوم اثرا من آثار علمه واطلاعه ودليلا من ادلة مضائه واضطلاعه فهو اليوم المرجع الاكبر في احوال الاسلام والمسلمين ومن اعظم ائمة الزيبين الواقفين على منزلة الشريين ورسالته هذه كسائر ما خطه براعته او صدر تحت رعايته مملوءة بحسن الظن بمستقبل المسلمين افنتحها بقوله ان العالم الانكليزي السكسوني الذي ذهب بفضل التقدم في اعماله الاقتصادية ليس هو من حيث العدد الانصف العالم الاسلامي فهو عبارة عن ١٢٥ مليون ساكن في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وكندا واستراليا وافر بقية الجنوبية والهند وسائر المستعمرات الساحلية التي ينزلها العصر الانكليزي اما الاسلام فتجمع كلته من ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليون من البشر ويمتد سلطانه من الصحاري النجمدة في ايرتيش واوهيو الى مدن افريقية الجنوبية من الارخبيل الهندي الى شواطئ الاذلاتيك مع فروع في اوربا تصل الى ليتوانيا وبولونيا كي ينتشر من وراء البحر المحيط الى اميركا واستراليا . والمسلمون كالكسوينين تجدهم تارة مجتمعين في بلاد اسلامية خاصة بهم واخرى متفرقين بين من لا يدينون بدينهم فمركزهم الجغرافي ذو شأن في العالم

والسواد الاعظم من المسلمين في آسيا فهو عبارة عن ١٢٠ مليون مسلم اي مثل مجموع سكان اميركا الشمالية والجنوبية واسبانيا والبرتغال ٠ ففي الهند الانكليزية ٢٨٤ مليوناً من السكان منهم ٦٢ مليون مسلم وفي الهند الهولندية ٣٠ مليوناً وليس معدل السكان واحداً في كل بلد بل ان نسبة المسلمين في الهند الصينية الى سائر السكان نسبة ٥٠ — ١٠٠ من مجموع السكان ومعدلهم في الصين من ٥ الى ٦ في المئة وفي الافغان ٥٠ — ٩٩ في المئة وفي بخارى ٩٦ في المئة وبلوچستان ٩٤ في المئة و٩٣ في فارس وينزل معدلهم كلما تقدمت نحو الغرب فبينما تجددهم ٩٨ في المئة ببلاد العرب ينزل معدلهم الى ٨٦ في المئة بين النهرين والى ٧٨ في المئة في آسيا الصغرى والمعدل العام للمسلمين في آسيا هو ٢٠ في المئة ويبلغ في افريقية ٣٦ ففيها ٦٠ مليون مسلم مقابل ١٦٥ مليون افريقي وينزل معدل نفوسهم من الشمال الى الجنوب ويكون سوادهم الاعظم في الشمال اي في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر واصل سكان افريقية الشرقية من جالية العرب والهنود ينزلون في رودوسيا والترنسفال والناثال والراس ومدغسقر وجزائر كومور وموريس ولا يقل عددهم عن مائتي الف ولا يكثر عدد المسلمين في اوربا الا في بلاد روسيا ففيها نحو ثلاثة ملايين من التاتار وكذلك ترى في شبه جزيرة البلقان اجناساً من الاتراك والارناؤد وغيرهم لا يقل عددهم عن ثلاثة ملايين ايضاً اما سائر بلاد اوربا فليس فيها الا عدد قليل لا يتجاوز الالوف من المسلمين المختلفين في اجناسهم وليس هو ثابتاً ٠ واذا اضفنا الى اوستراليا وتوابعها نحو ٤٠ الى ٥٠ الف افغاني وهندي وماليزي ومثل هذا القدر في اميركا باسرها من الاتراك والعرب والصينيين والزنج جاء معنا لائحة صحيحة في الجملة من العالم الاسلامي

وبعد ان افاض قليلاً في وصف معتقدات المسلمين وعاداتهم قال ان لسان القرآن الالهي يحدث صلة اخرى بين اعضاء الاسرة الاسلامية الكبرى فاذا كانت اللغة العربية لا يتكلم بها سوى خمسين مليوناً من الآسيويين والافريقيين من نهر الفرات الى النيجر فهي يترنم بها في المدارس الاسلامية من بلاد الصين الى افريقية الجنوبية من جزائر الفيلبين الى مراکش ونستعمل لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيها المسلمون ليتلوا القرآن العظيم ٠ وان الشعوب الاسلامية التي لم تقبل اللغة العربية قد دخل الى لغاتها منها الشيء الكثير فالفارسية والتركية والملازمة تكتب بحروف عربية ولغة

الاوردو الهندية قد دخلها كثير من التعابير العربية وكذلك اللغة السواحلية ولغة البول والبربر في افريقية

وذكر المؤلف تاريخ الصحافة الاسلامية بإيجاز فقال مع ان تاريخها يرد الى سنة ١٨٢٨ ايام انشاء محمد علي الوقائع المصرية اصبحت الآن منتشرة ولاسيما في مصر على عهدنا الاخير والبلاد العثمانية بعد الخبرة وتندر الصحف الاسلامية في الارض باربعائة منها ١٥٠ باللغة العربية اكثرها في مصر والشام وتونس . وافاض في المشاريع الصناعية والتجارية التي اخذ المسلمون في آسيا خصوصاً يدخلون فيها ويبرزون كغيرهم من الشعوب الراقية واحسن ظنه بهضة المرأة التركية وكيف يحاول المجددون في الاسلام اليوم ان يدخلوا العلوم والفنون حتى في الجوامع كما فعل التونسيين في جامع الزيتونة والمصريون في الازهر وذكر مثالا من السكك الحديدية واعمال الكهرباء والبخار ولاسيما في البلاد العربية فقال ان المدينة المنورة مع انها في قفر بين البدو تثار بالكهربائية كما ان ينبع تشرب من ماء مقطر بالبخار والامام يحيى في اليمن يطلب تمديد سكة حديدية من الحديد الى صنعاء

ثم قال ان المفكرين من السياسيين الغربيين لينظرون وحق لهم ان ينظروا الى هذه النهضة الحديثة في الاسلام لا من حيث الدعوة الى الجامعة الاسلامية ولا من حيث الجامعة الوطنية بل الواجب ان ينظروا الى مايتوقع امره في القريب العاجل من قيام مدنية اسلامية متماسكة تقصد الى توطيد اسباب التكافل الاقتصادي بين اجزائها وقال ان السياسة الحميدة اخفقت في دعوتها للجامعة الاسلامية فانفضت عرى تلك الدعوة يوم ظفر احرار سلانيك باعادة الحرية الى المملكة العثمانية وقال ان السياسة العثمانية الاسلامية الالمانية تهيئ السلطنة للتقسيم (كذا) والعقول لا تتصور كيف نتخلص من الانقسامات الجنسية لايجاد فكرة الوطنية

فالفكرة الاقتصادية هي التي تهتم العالم الاسلامي اكثر وهي بها اليوم يطالب المتعلمون كما تطالب مصر انكثرتا بتولها منافع مبرر يجب ان تكون لمصر وكذلك فعل الجزائريون بعد سبعين سنة من استيلاء فرنسا عليهم فقاموا وهم لا يخافون بأس القوة يطالبون باراضيهم التي استنصفت فعلى اوربا ان تشارك في قيام المسلمين بالجامعة الاقتصادية مما هو مائل للعيان من حال ايران فان اهملها يريدون ان يهاجموا كل من هو غير ايراني وان يطبقوا القواعد المدنية والاقتصادية على الاسلام لتكون بلادهم لم في اقتصادياتها ومشاريعها النافعة وهنا

قال المؤلف بان على اوربا ان تنتظر المسلمين وجرائدكم التي تنفخ فيهم روح النهوض لترى كيف تحقق سياستها الاقتصادية فينادي لسان حاكم جميعاً بلاد الاسلام للمسلمين ونحن نقول اذا صححت هذه الاحلام والاولهام آمين
منطق المشرقيين

والقصيدة المزوجة في المنطق للرئيس ابي علي بن سينا
« عنت بتصحيجه المكتبة السلفية بالقاهرة ص ٨٣ »

احسنت هذه المكتبة بنشر هذا السفر النفيس على اسلوب راق شأنها في كل ما نشرته حتى الآن وقد صدرت الكتاب بترجمة الرئيس عن اصح المصادر فجاءت الترجمة في ٣٨ صفحة وهي من احفل تراجم الرئيس . اما الكتاب والقصيدة فهما في الغاية من السلاسة والوضوح بحيث يسهل على من لم يدرس هذا الفن على اصوله ان يتلغفه بنفسه من هاتين الرسالتين ولا عجب فكلام الرئيس رئيس الكلام . وهالك مقالته المؤلف « في ذكر العلوم » نقله نموذجاً لم يسعده الحظ بقراءة شيء كثير من قلم الرئيس وعنواناً على كيفية نفسيتهم العلوم في عهده قال : « ان العلوم كثيرة والشبهوات لها مختلفة ولكنها تنقسم اول ما تنقسم قسمين : علوم لا يصلح ان تجري احكامها الدهر كله بل في طائفة من الزمان ثم تسقط بعدها او تكون مغفولاً عن الحاجة اليها باغياها برهة من الدهر ثم يدل عليها من بعد . وعلوم متساوية النسب الى جميع اجزاء الدهر وهذه العلوم اولى العلوم بان تسمى « حكمة »

وهذه منها (اصول) ومنها (توابع وفروع) وغرضنا هاهنا هو في الاصول وهذه التي سميناها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة وعلوم جزئية تنسب الى التنجيم وصنائع اخرى لا حاجة بنا الى ذكرها

وتنقسم العلوم الاصلية الى قسمين ايضاً : فان العلم لا يخلو اما ان ينتفع به في امور العالم الموجودة وما هو قبل العالم ولا يكون قصارى طالبه ان يتعلمه حتى يصير آلة لعقله يتوصل بها الى علوم هي (علوم امور العالم وما قبله) . واما ان ينتفع به من حيث يصير آلة لطالبه فيما يروم تحصيله من العلم بالامور الموجودة في العالم ونبله

والعلم الذي يطلب ليكون آلة — قد جرت العادة في هذا الزمان وفي هذه البلدان ان يسمى (علم المنطق) ولعل له عند قوم آخرين اسماً آخر لكننا نؤثر ان نسميه الآن بهذا الاسم المشهور

وانما يكون هذا العلم آلة في سائر العلوم — لانه يكون علماً مبنياً على الاصول التي يحتاج اليها كل من يقتنص المجهول من المعلوم باستعماله للمعلوم على نحو وجهة يكون ذلك النحو وتلك الجهة مؤدياً بالباحث الى الاحاطة بالمجهول فيكون هذا العلم مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم الى المجهول . وكذلك يكون مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تصل الذهن وتوهمه استقامة مأخذ نحو المطلوب من المجهول ولا يكون كذلك . فهذا هو احد قسمي العلوم

واما القسم الآخر — فهو ينقسم ايضاً اول ما ينقسم قسمين : لانه اما ان تكون الغاية في العلم تزكية النفس مما يحصل لها من صورة المعلوم فقط واما ان تكون الغاية ليس ذلك فقط بل وان يعمل الشيء الذي انتقشت صورته في النفس

فيكون الاول تعاطي : الموجودات لا من حيث هي افعالنا واحوالنا لتعرف اصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا والثاني يانفت فيه لفت موجودات هي افعالنا واحوالنا لتعرف اصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا
والمشهود من اهل الزمان انهم يسمون الاول (علماً نظرياً) لان غايته التصوي نظر و يسمون الثاني منها (عملياً) لان غايته عمل .

واقسام (العلم النظري) اربعة : وذلك لان الامور اما مخالطة للمادة المعينة حد أو تواماً فلا يصلح وجودها في الطبع في كل مادة ولا يعتل الا في مادة معينة مثل الانسانية والعظمية وان كانت بحيث لا يمتنع الذهن في اول نظره عن ان يحلها كل مادة — فيكون على سبيل من غلط الذهن بل يحتاج الذهن ضرورة في الصواب ان ينصرف عن هذا التجويز ويعلم ان ذلك المعنى لا يحل مادة الا اذا حصل معنى زائد يهيئها له وهذا كالسواد والبياض فهذا من قبيل الموجودات والامور .

واما امور مخالطة ايضاً كذلك والذهن وان كان يجوز في صحة تصور كثير منها الى الصاة . بما هو مادة اوجار مجرى المادة — فليس يمتنع عنده وعند الوجود ان لا يتعين له مادة وكل مادة تصلح لان تحالط مالم يمنع مانع وليس يحتاج في الصلوح له الى ممدد يخصه به مثل الثلاثية والثنائية من حيث هي متكونة وتعرض الجمع والتفريق ومثل التدوير والترجيع وجميع ما لا يفقر وجوده ولا تصوره الى تغير مادة له وهذا قبيل ثان من الامور والموجودات

واما امور مبينة للمادة والحركة اصلاً فلا تصلح لان تخلط بالمادة ولا في التصور العقلي الحق مثل الخالق الاول تعالى ومثل خروب من الملائكة وهذا قبيل ثالث من الموجودات

واما امور ومعان قد تخلط المادة وقد لا تخلطها فتكون في جملة ما يخالط وفي جملة ما لا يخالط مثل الوحدة والكثرة والكلّي والجزئي والعلة والمعلول .

كذلك اقسام العلوم النظرية اربعة لكل قبيل علم .

وقد جرت المادة بان يسمى العلم بالتقسم الاول (علماً طبيعياً) وبالتقسم الثاني (رياضياً) وبالتقسم الثالث (آلياً) وبالتقسم الرابع (كلياً) وان لم يكن هذا التفصيل متعارفاً فهذا هو العلم النظري

واما (العلم العملي) فمنه ما يعلم كيفية ما يجب ان يكون عليه الانسان في نفسه واحواله التي تخصه حتى يكون سعيداً في دنياه هذه وفي آخرته وقوم يخصون هذا باسم علم الاخلاق

ومنه ما يعلم كيف يجب ان يجري عليه امر المشاركات الانسانية بغيره حتى يكون على نظام فاضل — اما في المشاركة الجزئية واما في المشاركة الكلية والمشاركة الجزئية هي التي تكون في منزل واحد والمشاركة الكلية هي التي تكون في المدينة

وكل مشاركة فلما تم بقانون مشروع وبمثول لذلك القانون المشروع يراعيه ويعمل عليه ويحفظه ولا يجوز ان يكون المتولي لحفظ المقتن في الامرين جميعاً انسان واحد فانه لا يجوز ان يتولى تدبير المنزل من يتولى المدينة بل يكون للمدينة مدير ولكل منزل مدير آخر . ولذلك يحسن ان يفرد (تدبير المنزل) بحسب المتولي باباً مفرداً و (تدبير المدينة) بحسب المتولي باباً مفرداً ولا يحسن ان يفرد التقنين للمنزل والتقنين للمدينة كل على حدة بل الاحسن ان يكون المقتن لما يجب ان يراعى في خاصة كل شخص وفي المشاركة الصغرى وفي المشاركة الكبرى شخص واحد بضاعته واحدة وهو (النبي)

واما المتولي للتدبير وكيف يجب ان يتولى فالاحسن ان لا تدخل بنفسه في بعض وان جعلت كل تقنين ايضاً باباً آخر فعلت ولا بأس بذلك لكنك تجد الاحسن ان يفرد العلم بالاخلاق والعلم بتدبير المنزل والعلم بتدبير المدينة كل على حدة وان تجعل الصناعة الشارعة ما ينبغي ان تكون عليه امراً مفرداً

وليس قولنا « وما ينبغي ان تكون عليه » مشيراً الى انها صناعة مافقة مخترعة ليست

من عند الله ولكل انسان ذي عقل ان يتولاها كلا بل هي من عند الله وليس لكل انسان
 ذي عقل ان يتولاها ولا حرج علينا اذا نظرنا في اشياء كثيرة مما يكون من عند الله انها
 كيف ينبغي ان تكون
 فلتكن هذه العلوم الاربعة اقسام العلم العملي كما كانت تلك الاربعة اقسام
 العلم النظري اه»

الهيئة والاسلام

لمؤلفه السيد هبة الدين الشهرستاني طبع ببغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٨
 ص ٣١٤

ذكر المؤلف ان الاسلام يوافق آراء الفلاسفة الحديثة اكثر مما يوافق القديمة
 خصوصاً في الفلكيات وقد فسر كثيراً من الآيات المشككة والروايات المضلة قال : « في
 الناس اناس يزعمون سلوك التارخ في ابواب الفلكيات مسلك الحكماء وان الهيئة القديمة
 هي الموافقة للشريعة القديمة فلاجل ذلك تراهم عند اعتقادهم بطلان الفلسفة الغابرة
 تزل اقدامهم ويضعف التزامهم بنواميس الشريعة الطاهرة فتصدت من تصنيف هذا
 الكتاب بيان مخالفة الاسلام لمعظم مباني الهيئة البطليموسية وموافقته للآراء المكتشفة
 في الهيئة الجديدة فينبغي ان يكون تصديقهم للعلوم العصرية سبباً لرسوخ العقائد
 الدينية ومزيد اليقين بصدق باقي مقالات النبي الامي والائمة من اهل بيته » والمؤلف
 مشهور بسعة الاطلاع فشكره على تحفته

غرائب الغرب

لصاحب المقتبس طبع بمطبعته ص ٢٠٤

هي بعض مشاهد وعرف صاحب هذه المجلة عن ديار الغرب نشر اولاً في بعض اجزاء
 هذه السنة والسنة الماضية وجردناه على عدة وهذه مقدمته وهي تنم عن الغرض من نشره :
 « هذه فصول ومقالات بل آهات وتأوهات كتبها في : صف معالم الغرب ومآلاته
 فيه وثقفته عنه وانا على مثل اليقين بانها لا تحمل في مطالوبها من تلك المدنية الساحرة الا
 بقدر ما تصل اليه يد غابر سبيل وينفطن له فكر النزيل والخييل راجياً من كرمه تعالى
 ان ينفع بها قراء العربية ومنه استمد العيون والتيسر نعم المولى ونعم النصير »

رسائل البائية

نشر البارون روزن الرومسي المتوفى ٦٣ رسالة بالفارسية والعربية كتبها بهاء الله

المصلح الثاني في المذهب البابي . والعربية منها كما قال احد الناظرين في هذه الرسائل وان كانت تبدو في صورة وحى قرآني لا تخرج عن كونها كتبت لتقوية البايين على تحمل المصائب في سبيل ايمانهم والعمل بما توحى به الحقيقة الكلية والرسالة العنبرون منها المسماة « سورة الملوك » عبارة عن شكوى صاحب المذهب واتباعه من بعض ما ينالهم من الموظفين الذين اضطهدوا من اتخلوا مذهب الباب . ولئن كان الهاء ينحو فيها منحنى القرآن في الانشاء فيعتر بها بعضهم لاول وهلة الا ان من يحسن كتابة لغته لا يلبث ان يرى اغلاطاً عربية واكثرها في التركيب

معيار الفتاوي

نشر المسيو اميل امار من علماء المشرقيات في فرنسا ملخص فتاوي فقيه المغرب ابي العباس احمد بن يحيى الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤ هـ في مجلدين وترجمها الى الفرنسية مع تعليق الشروح اللازمة لها . وهذا الكتاب هو فتاوى صدرت عن مفتاى افريقية اي تونس وولايتهما قسنطينة والجزائر وعلماء الاندلس والمغرب الاقصى وهو عبارة عن ولاية وهران وبلاد مراكش وكانت طبع هذا الكتاب برمته على الحجر في فاس في ١١ مجلداً تدخل في ٤١٢٢ صفحة فنسق الناشر هذه الفتاوي حتى جاءت مثل كتاب دالوز في القانون مرجعاً يسهل الرجوع اليه

ثلاث مجلات جديدة

الحقائق — مجلة دينية علمية اخلاقية اجتماعية عمرانية لصاحبها الشيخ عبد القادر الاسكندراني يحررها نخبة من اهل الفضل بدل اشتراكها في دمشق ربال واحد وفي البلاد العثمانية ربال وربع وفي الاقطار الاجنبية ٧ فرنكات وتصدر مرة في الشهر القديم — مجلة كاثوليكية سياسية اخبارية تاريخية ادبية علمية لمنشئها شاكرا افندي عون ويعاونه بانثائها بعض اصحاب الاقلام قيمة اشتراكها في بيروت ربالان وفي البلاد الخارجية عشرة فرنكات وهي تصدر مرتين في الشهر

تنوير الافكار — مجلة دينية ادبية سياسية تصدر كل شهر مرة في بغداد لصاحبها عبد الهادي افندي الاعظمي ومديرها نعمان افندي الاعظمي قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية مجيدي وربع وعشرة فرنكات في الخارج

كتب متفرقة

معنى الحياة — عربي عن الانكليزية وديع افندي البستاني وهو تأليف اللورد افندي

المشهور وفيه نصائح للنشئة في قوة الارادة وصدق العزيمة والثبات والشجاعة والاقتصاد
يطلب من مكتبة المعارف في مصر

تقرير السرالدين غورست سنة ١٩٠٩ — هو التقرير الذي يصدره كل سنة معتمد
انكلترا في مصر عن الحركة الادارية والسياسية والعلمية فيها صدر بالعربية والانكليزية
والفرنسية وفيه كلام طويل على المعارف المصرية ونمو الحركة للتعليم وازدياد عدد
الشبان والكتاتيب والعناية بتعلم العلوم باللسان العربي المبين ويطلب من مطبعة
المقطم بالقاهرة

القطار السريع في علم البديع — مختصر في علم البديع لمفني بك ناصف من شيوخ
الادب في مصر وهو شرح ببديعة نقي الدين

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الشعري الهلانية Siziuss

قرأت في المنتخب رسالة من بغداد تبحث في الشعري العبور فشكرت عناية الكاتب
بهذا البحث النافع وارجو مواصلة القراء بشذور هذا العلم الساطع بيد اني وجدت فيها
هفوة لعلها من النقل او التيسر وهو قوله : « ان العلامة شارل نوردمان يقول بان الشعري
تبعد عنا نحواً من خمسمائة مرة بعد اتمس عنا » والصحيح انها تبعد عنا زهاء خمسمائة
الف وثلثة وعشرين الف مرة بعد الشمس عنا وتأتي معرفة ذلك من رصد اختلافها
السنوي وهو الزاوية الحاصلة عندها التي ينابلها قطر فلك الارض وهي اصغر من ان
نقاس الابدق الآلات لان فلك الارض من ذلك المكان السحيق يرى كنقطة متحدة
بنور الشمس المشع لكافي غاية الضعف وقد عرف لها اختلاف سنوي جزئي وهو
بحسب قائمة اورمان ١٠٣٩ من الثانية فيقضي لوصول نورها الينا ثلثي سنين وثلث سنة
تقريباً وبالتدقيق ٨١٣ ثم بحسب مادتها وهي ثلاث مرات وربع مثل مادة الشمس
فتكون قوة الجذب فيها اشد من قوة الجذب في الشمس وتوابعها معاً (السيارات واقمارها)
فلو وجدت على بعد خمسمائة مرة مثل بعد الشمس عنا لدنت الشمس اليها ثم اسرعت
نحوها مضطرة لشدة التجاذب (لان الجاذبية تتغير بالقلب كربع البعد) اما للدوران

حولها اوللاندماج فيها والواقع ان الشعري اليانية من النجوم المتباعدة عنا وان شمسها (ونظامها) سائرة نحو نقطة بالنزب من الجاثي واستتج بعض الراصدین ان قرب «الكيوني» انور كواكب الثريا قطب دوران حقيقي للكواكب (الشمس) التي تتألف من باعقود البروج كافة وهذا الرأي الاخير لم يجزم بصحته حتى الآن والشعري اليانية محسوبة من النجوم المزدوجة وقيل بانها تدور حول جرم مظلم اعظم منها قليلاً ومدة دورانها حوله ٥٢ سنة تقريباً

ثم ذكر ان « الشعري اليانية هي اليان اقرب هذه الكواكب المنتشرة كى بساط الحجر » والمعلوم عنها حتى الآن انها الزابعة في البعد عنا بن الثوابت لانه عرف لثلاثة كواكب اختلاف سنوي اكثر واقربهم اليان « *Al. centauri* » قنطوروس » اختلافه السنوي ١٠٧٥ اي ثلاثة ارباع الثانية فيكون بعده عنا قرابة ٢٥٢ الف مرة بعد الشمس عنا ويقضي لوصول نوره اليان اربع سنين ويظن بعض علماء الهيئة ان بين النجوم الضئيلة التي تعد بالملايين عدد قليل منها اقرب اليان من قنطوروس

لفرض للاستماناة على تصور قدر الشمس الهائل وبعدها عنا ولاجل مقابلة المسافات الشاسعة المذكورة ان كرة قطرها قدما تمثل الشمس فتكون الارض كحبة حمص صغيرة على بعد ٢٢٠ قدماً عنها تكون اقرب الثوابت اليان على بعد تقديره بالتقريب ٨٠٠٠ ميل عن مثال الشمس والمسافة الحقيقية التي يبتنا وبين الشمس ٩٢ مليون ميل بالتقريب يصل نورها الى الارض في ٨ دقائق و ١٩ ثانية

ويلى الشعري اليانية في البعد سدد لا يحصى من النجوم بضعة وعشرون منها يعرف لها اختلاف سنوي والملايين الكثيرة الباقية لا يعرف لها اختلاف سنوي لانتهايتها في البعد اولتوغلها في قلب الجرة واقاصيها وتراها باشعاع نورها وليس بذات جرمها لان زاوية البصر تتلاشى قبل الوصول الى اقرب الثوابت بمسافات بعيدة واغوى النظارات في وقتنا الحاضر لاترينا قرصاً للثوابت واذ قيل بأن النور يجتاز عرض الجرة بمدة عشرين الف او ثلاثين الف سنة فبعض السدام على رأي بعض الفلكيين يقتضي لوصول نوره اليان سبعمائة الف سنة واغوى النظارات لم تتحله الى نجوم مفردة او عناقيد ومن المحتمل ان يكون مجرة بعيدة كالجرة التي نظامنا الشمسي وعامة الكواكب وانظمتها منها وفيها على ان الرأي القائل بان وراء هذه الجرة المحيطة بنا مجرات عديدة مؤلفة من عوالم وانظمة

الى ما لانهاية لما يتأكد والآلات الحاضرة لا تمكنا من كشف شيء من هذا السر العظيم وقد وجدت خطوط في طيوف بعض السدام انور من خطوط الهيدروجين لا تدل على عنصر معروف في الارض او في الشمس حتى الآن فمن المحتمل ان يكون ذلك دليلاً على وجود عنصر ايسط او او طاً رتبة من الهيدروجين

هذا ماجال في الخاطر حداني اليه كوكب نظرائه كاتب تلك الرسالة لاقتفاء اثره واقتباس منار علمه في هذا المسلك الذي قد لا انجو بسلوكم من العثور فالرجوع الى ما يدونه علماء العصر احق والبحث في انواع العلوم الطبيعية انور للبصيرة فتكسب المرء قدرة التصرف بالاعمال العظيمة المفيدة فان اكثر الناس تجهل حقيقة هذا العلم وتخيّل في السماء اموراً سخيفة اشركتها في م تقددها وتسكعت في باطلها وظلت عليها القرون والاحقاب حتى رسخت تلك الاوهام الفاسدة في العقول وانطبعت مزاعم زعمائهم الباطلة في القلوب فتأصل فيهم الميل للشعوذات والايان بالخرافات وحقت عليهم كلمة الشر والجهالة فصارت ذريعة الى المجادلات حتى الحروب والغارات وفاتهم ان الارض دار قراع وتنازع في البقاء وان عصرنا هذا عصر جد واجتهاد وانهم على سطح جرم حقير (الارض) اعتبراره كذرة من جميع المادة نسبته اليها كنسبة حبة رمل الى طود عظيم خليط من التراب والرمل والحجارة تناثرت اجزائه في هذا الفضاء وعلم الهيئة الحقيقي وهو علم اثبتته الفحص وقام عليه البرهان يعرفنا بحقيقة هذا الوجود ويزيل او يقلل من تفاخر الانسان الكاذب وغلوائه وعند التعمق باصوله وتعميم انتشاره في مستأنف الزمان يدركنا التغيير الكلي في جميع امورنا واحوالنا ونخرج من مأزق التعصب ومضيق الافكار فتبدو علامات اليمن وامارات الخير ويكون لهذا العلم المزية الكبرى على سائر العلوم فهو رائد الاصلاح الاكبر دمشق : احد القراء

وقف للعلم

وقف احمد بك زكي من علماء مصر خزانة كتبه وفيها مئات من الامهات المهمة المخطوطة والمطبوعة واكثر مطبوعات اوربا العربية وكثير من نفائس الكتب الانجليزية على المطالعة لاهل القاهرة وذلك على شرط ان تجعل في مكان خاص بها من دار الكتب المصرية وهي غيرة على العلم لا تستكثر من خدمه طول حياته

مسألة قلة النفوس

وضعت مجلة الاقتصاد بين مقالة قالت فيها انه يكاد لا يعرف كبير امر عن مسألة النفوس

لان الامم القديمة قد دثرت كلها تقريباً ونوشك ان لانعرف الا اموراً طفيفة عن حالة الاشوريين كما نحن كذلك في تصور اليونان والرومان فان الرجال الممتازين قواداً كانوا او فلاسفة ممن اشتهروا قديماً لم يتركوا عقباً فلا يمكن ان يقال انهم هلكوا في حروب اهلية او خارجية وان قد خلفتهم شعوب اخرى مثل البورغونيين والفانداليين والغوتيين الذين نشأوا من جرمانيا والهونسيين والمجريين الذين جاؤا من آسيا فلماضي يمثل لاعيننا تعاقب الامم التي تناقلت حسنات المدنية خلفاً عن سلف .

ومسألة قلة النفوس اليوم: ينظر فيها في كل مكان ولاسيما في فرنسا فالشعب الفرنسي اليوم ٣٩ مليوناً ويجب ان يزيد كل سنة مليون نسمة ولذلك رأى احدهم ان يعطى كل اب اوام فرنسويتين ماشاء من الوظائف لان لهم ميلاً خاصاً اليها على شرط ان يكون لها ثلاثة اولاد احياء او اكثر بدون نظر الى كفايتهما وان تخصص الحكومة مكافأة مالية قدرها خمسمائة فرنك تدفع دفعتين اذا ولد للابوين الولد الثالث وهو حي وبذلك تنفق الحكومة في السنة من ١٥٠ الى ١٧٥ مليون فرنك

فردت المجلة على هذا الفكر وقالت ان الاولاد والعجزة الذين يولدون على تلك الصفة مدة عشرين سنة يزيد عددهم ملايين وهم لا يعملون عملاً ويفتقر السكان من جباية هذه الضريبة منهم اي مبلغ ١٧٥ مليوناً كل سنة الذي يقضى عليه ادائه وما قط كانت زيادة الضرائب مغنبة لامة ومن ذلك ينشأ فقر متتابع لان مائتي مليون فرنك لا تكفي للقيام بتعليم العلم العالي الذي يستلزمه اعداد رجال للصناعات الحرة مثل الطب والمحاماة والهندسة وغيرها وسلك الوظائف ايضاً وربما كان في المستقبل معوض عن هذا العمل ولكن الحال في فرنسا ليست كما ميركا وروسيا لان باطن ارضها قليل الخصب ولا يربح رواج التجارة اكثر من الآن فالنفوس فيها محدودة وكل دواء يقترح للشفاء من قلتها لا يزيد الحال الا اعضالاً

فهذه الضريبة لا تأثير لها في الاغنياء والحكومة الآن هي السبب في تقليل السكان فغير لها فيما نرى ان سهل التعليم العالي فلا تحتم على طلب الطب والمحاماة تعلم اللاتينية بل واليونانية ومجموعة العلوم في حين يكفيها معرفة علومها معرفة عميقة ويحذف حجباً بالاقتصاد من خطة الدروس درس بقية العلوم لامثال هؤلاء وبذلك يتوفر مبالغ من المال تصرف على تعليمهم اياها . قالت وانجع الاسباب في ذلك تقليل الضرائب على وجه عام فتقليلها تزيد النفوس الى الحد المطلوب الذي نسمح به حالة البلاد ونشاط اهله

دار الترجمة

صدر الامر الخديوي باعادة ديوان الترجمة في مصر كما كان في ايام الخديويين السالفين وسيعرب هذا الديوان كل محتاج اليه اللغة العربية من انواع العلوم والفنون المستحدثة

التربية اليابانية

تقضي الحكومة اليابانية على الوالدين ان يرسلوا ابناءهم الى المدرسة ست سنوات يخصص منها ساعتان في اليوم لدرس الآداب . واناظر المعارف ان ينتخب الكتب المدرسية . واهم الموضوعات في مدارسهم راجب الحب والوالدي واحرام الملف والاخلاص للامبراطور والامبراطورة والصفح والاحتشام وعرفان الجليل والاقتصاد والرقعة نحو الشيوخ والخدم والحاملة والواجبات نحو الجار والجار العام واحترام الآلهة والوطنية واستعمال الوقت والشجاعة . وقد اضافوا في السنين الاخيرة دروساً عديدة في واجبات الوطني الاجتماعية وواجبات الجندي وانتخاب النواب للبرلمان والبلدية واحترام الشرائع وافضالية الرجل وواجبات الرجل والمرأة وهلم جرا .

اكتشاف نانغ

اكتشف الدكتور امريخ الروسي تركيباً كيمياً من الزرنيخ فندات التجارب الى نجاح هذا الدواء في معالجة الحمى المalarية والحمى المقطعة ومرض النواء . ويعتقد بعض الاطباء انه بات في حيز الامكان الآن التغلب على مرض النواء المتفشي في بلاد الكونزو وغيرها من البلاد الاميركية . وفي رواية اخرى ان هذا التركيب يشفي من المرض الزهري

ميكروب الخصب

اعلن الدكتور رسل والدكتور هتسنسن في المجمع الطبي البريطاني اكتشاف ميكروب يقتل البكتريا اللازمة لخصب الارض وهو اعظم اكتشاف زراعي منذ ٥٠ سنة وكان قد اكتشفه لاجاب الحرارة امضات الفساد يقتل جراثيم كثيرة من التي تأكل البكتريا المفيدة للارض فتزيد بذلك خصب التربة وقد كان في اثناء بحثهم ما في هذا الموضوع ان اكتشف الميكروب المتقدم ذكره



المقبر

صناعة النظم والانشاء

كان الوليد ابو عبادة البحتري ^(١) معاصراً لحبيب بن اوس المعروف بابي تمام ^(٢) وهما من اعيان امراء الكلام وكلاهما طائيٌّ غير ان البحتري ولد بعد ذلك باربعة عشر عاماً فما ترعرع وبدت فيه علامات النبوغ حتى كان ابو تمام في اوج مجده وبجوحة اشتهاره فلصق به وتخرج عليه حتى اذا نبل شعره وسار ذكره قال ابو تمام « ان شعر هذا الغلام قد نعى اليّ نفسي فما اجتمع في طي شاعران مشهوران الامات اكبرهما » وقد صدقت نبوءته هذه فان ابا تمام لم يعيش بعد قوله هذا اكثر من عام واحد ولقد مات عبطة وهو دون الاربعين ولو عمر حتى اكتهل كالمثنبي او حتى شاخ كالبحتري لاقى بالآيات المعجزات ولا طبقى الناس على كونه امير الشعر قديماً وحديثاً

^(١) ولد بمنج سنة ٢٠٤ للهجرة وتوفي بها سنة ٢٨٤ وهو الذي سئل عنه ابو تمام فقال « جیده خير من جيدي وردني خير من رديته » وسئل ابو العلاء المعري من اشعر الثلاثة ابو تمام ام البحتري ام المثنبي فقال « المثنبي وابو تمام حكيان وانما الشاعر البحتري »

^(٢) ولد في قرية جاسم من ناحية الجيدور في حوران سنة ١٩٠ للهجرة وتوفي في الموصل سنة ٢٢٨ على اصح الاقوال وهو احد الثلاثة المتفق على تقديمهم من الشعراء المحدثين والاثنان الاخران المثنبي والبحتري وقيل سئل ابن الزيات وزير المعتصم من اشعر الناس ؟ قال ابو تمام حيث يقول

وما ابالي وخير القول اصدقه
حقنت لي ماء وجهي او حقنت دمي

وكان المجتري قد سأل يوماً اباً تمام ان يبين له الوجهة التي يفتحها في نظمه والوتيرة التي يجري عليها توصلاً الى الاجادة والابداع فقال له
 « يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان السادة جرت في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه وقت السحر اذ تكون النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . وان اردت التشيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوقع الكتابة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا اخذت في مديح سيد ذي اياد فاشهر مناقبه واطهر مناسبه وابن معاملة وشرف مقامه ونصد المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الرديئة . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد . واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين وجملة الحال ان تقيس شعرك وتعتبره بما سلف من شعر الماضين فما استحسن الملاء فاقصده وما نبذوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله »
 قال المجتري « فأعملت نفسي فيما قال فجاد شعري وطار ذكري ووفقت الى ما اروم »

اما الحاتمي ^(١) فقد اختار الليل للنظم وحوك الكلام ذاهباً مذهب (جورج ساند) الكاتبة الفرنسية التي كانت تبدأ بكتابتها عند منتصف الليل وتنتهي منها الساعة السادسة ثم تنام الى الحادية عشرة على ما وصفه المترجمون لها . وحجة الحاتمي في ذلك ان في الليل تجم الاذهان وتنقطع الاشغال ويصح النظر وتوَلَّف الحكمة ويتسع مجال الفكر وتنبعث الخواطر . وعندنا انه مصيب واكثر رجال السياسة والتدبير واهل العلم والخيال وارباب الاختراع والابداع يفضلون الليل على النهار ويخصونه للهم من اعمالهم والصعب

^(١) هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي كان معاصراً للثاني وقد اجتمع به في بغداد فساءد اراءه فيه من صلف وترفع واعجاب فباده بكلام الخمه به واخزاه حتى نهض الثاني من مجلسه متغيظاً مجبواً ثم اسرع الرحلة من العراق خجلاً وقد آلى على نفسه ان لا يعود اليها فانشأ الحاتمي الرسالة الحاتمية المشهورة شارحاً فيها ما جرى بينه وبين الثاني من اظهار سرفاته وابانة عيوب شعره فدلّت على غرارة مادته وتوفر اطلاعه وله غيرها كتاب اسمه حلية الادب في مجلدين : توفي سنة ٣٨٨ هـ وقد اناف على السبعين

من شؤنهم والتفكير فيما يصلح من أمورهم وبنه من اقدارهم وفيه غالباً انشاء المؤلفون الكتب وجهروا الرسائل وولدوا المعاني الحسان واودعوا اسلاك كلامهم تباهي النجوم ضياءً والدر نظاماً والروض زخرفاً وجمالاً — وان كان ذلك مدعاة لاضناء اجسامهم واخترام اعمارهم فان السهر ولا جرم مدعاة للسقم ومدرجة الالم وقد طالما عبث بالعقول قبل الاجساد فاوصل اليها الفساد — فالشاعر الماهر والكااتب المتأنق من اذا خلا الى حجرته وقد سدل الليل ستاره وسكنت ضوضاء الناس واستولت سنة النوم على اجفانهم نشط الى ما هو ميسر له من الامر وياشر عمله بعد امعان الفكرة واطالة الروية واستيحاء السابقة فيستمد من القرينة عفوها وفيضها غير مستند الى معنى لغيره يتلاعب به او قول لبعض السلب ينتحله موقناً ان الناس كافة قيمون له منتقدون لاقواله متفرغون لتزييف كلامه وتنفيد نظامه ووزن ما فيه والفاظه بميزان المتعنت عليه المنبرم به الطالب حجة يتذرع بها الى اتقيصه وتسويته والخط من فضله ثم يكتب وهذا التحوط نصب عينيه ماثل لديه فلا يجوز الا من مائه ولا يسبك الا من معدنه بلا اغتصاب ولا استكراه حتى اذا فرغ مما خبر تربص الى ان تهدياً سورة اعجابه فيما راق له من مبتكرات معانيه ومسجوكات قوافيه — وقد يحمل ان يكون تربصه هذا يوماً او اياماً — ثم يعود بعد ذلك — وقد سكنت القرينة وخلا الذهن وصح التأمل — فيراجع ما كتب مراجعة منتقد ذاته قيم على نفسه رقيب على عمله فان وجد محلاً للاصلاح اتاه او وجهاً للتهديب والتشقيح مارسه وعانه مخبراً اشرف الالفاظ واخفها واكثرها قرباً الى الفهم وتداولاً على الالسنه يدجها في تضاعيف سطوره على منوال خاص واسلوب غريب يعرف به وتظهر ملكة في انفاس كلامه بحيث ينسبه القاري العارف به الى مجرد تلاوته ولو لم يكن مؤلفاً باسمه ثم عرض على من يثق به من جهابذة الاقلام لعله يرى فيه عورة فيسترها او ثلماً فيسده فمن سلك هذا المسلك الجدد من مجيدي الشعراء والكتاب امن في خالاب منشأته العثار وحق له الاتشهار

تلك نصيحة لنا نوصي بها ونحرض على الجري بمقتضاها وان كنا خالفة لها في كل منظوماتنا حتى اليوم على ما يعلمه المقتطف ونبه اليه فانتا كننا ننظم في ليلتنا القصائد المطولات ثم نبعث بها في الصبح الى عالم النشر دون معاودة نظر او تثبت وما ذلك الا اثر من آثار ضيق اللعطن المنبعث عن هزال الجسم وسوء الهضم اعاذ الله منها كل ناظم وناثر فانها آفة الانفاق ومجلة التمس والمرارة والشقاء لبني الانعام وما مصدرهما فحين قد ندر له ان

يعيش بعقله وعمله الا الامعان في السهر وعدم الاعتدال في الدراسة منذ الصغر فليتنق الله الكتابون في اجسامهم ان لهم فيمانا انهم به عظة وعبرة ان كانوا ممن يتدبرون وهنا — والشئ بالشئ يذكر — تأتي على كلام لابي عثمان الجاحظ ^(١) : بالايخرج عما نحن في شأنه وتثور فيه الفائدة لمن رزقوا حظ الكتابة ولم يهتدوا الى قانون يقوي فيهم ملكة الانشاء ويعينهم على الاجادة في الصناعة فان ذلك اهم ما يحتاجه المنشؤون هذه الايام بعد ان قوضت فوضى الافلام اركان البلاغة وشوهت دياجعة البيان واضاعت سر التأنيق في الرسل حتى زالت عنه مسحة الجمال الا في عدد نزر ممن اوتوا نصيبهم من سلامة الذوق والعلم وأهدوا الهداية في صناعتهم هذه الشريفة الى محجة الكمال فرمخت في اذهانهم قواعد التحرير والتجوير واستحكمت في صدورهم اساليب التفنن بصوغ المعنى الصحيح في قالب اللفظ الفصيح حتى استنمات لهجتهم ووضع منهاجهم وعذب بيانهم ففسجوا على منوال خاص بهم تشربه القلوب وتستحسنه الاذواق وتمسقه النفوس على ما فيه من السهولة والاسجاء ومثانة التراكيب : قال الجاحظ

« يقول جهاذة اللفظ ونقاد المعاني واساطين البيان . المعاني القائمة في صدور الناس المنصورة في اذهانهم المختلجة في نفوسهم المتصلة بخواطرم والحادثة عن افكارهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة اخيه . خليطه ولا معنى شريكه والمعاون على امره وعلى مالايلة . من حاجات نفسه الا بغيره وانما يحكي تلك المعاني ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالها اياها . وهذه الحصال هي التي تدنيها الى الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والنائب شاهداً والبعيد قريباً . وهي التي تخلص المتببس وتجل المتعقد وتجعل المهمل مفيداً والمتقيد مطلقاً والوحشي مألوفاً وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ورقة المدخل يكون ظهور المعنى . وكلما كانت الدلالة اوضح

(١) هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكندي البصري الكاتب العالم المشهور صاحب التصانيف العديدة في الادب . لقب بالجاحظ لانه كان جاحظ العينين اسبه بارزهما . وهو مع ذلك مشوه الخلقة فيبع المنظر حتى قال فيه الشاعر

لو يمسح الخنزير مستحماً نتيماً ما كان الادون فيج الجاحظ

مات مفوجاً ببغداد سنة ٢٥٥ للهجرة وقد تجاوز التسعين . ومن افضل مؤلفاته كتاب الحيمان وكتاب البيان والتبيين وله شعر قليل مقبول

وافصح وكانت الاشارة ابين وانور كانت انفع وانجع في البيان والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه بكتابه ويدعوا اليه ويحث عليه : بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت اصناف العجم فالبيان اسم كل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتك لك حجب الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصولة كائناً ما كان ومن اي جنس كان . والالفاظ هي التي تكشف لك عن اعيان المعاني في الجملة وعن حقائقها في التفسير وعمما يكون منها لغواً بهرجاً وسافطاً مطرحاً فان صح التناسب وتم التألف بين تلك المعاني وما تستخدمه لابرازها من الالفاظ سهل إشرابها للعقول وتجليها على الخيلات ودخولها الى صميم القلب والعكس بالعكس . فمن شاء ان يكون حديثاً تقرر الآذان نبراته او منشئاً تسحر الابواب نفثاته فليلبس المعنى الدقيق اللفظ الرشيق الذي لا يقص عن معناه ولا يزيد ولين ال اصول ويحذف الفصول ويحجب الحشو ويطلب حيث يستحب الاطناب ويوجز حيث لا يستكره الايجاز : كل ذلك يفقر الى رأي حصيف وفكر نقاد وخطر جريء وذهن ذكي وذوق يحسن الاختيار وبديهة لاتعرف التلكؤ وحافضة تكتز من المواد مايستعان به على ركوب هذا المركب الوعر تقرر الى ضلالة في العلوم وتجر في الادب ومطالعة في آثر ائمة اهل البيان ممن نبغوا فدرجوا من قبل واشتمل عليهم الزمان ولقد قال ابوداود ^(١) «رأس الانشاء الطبع وعموده الدربة وجناحاه رواية الكلام وحليه الاعراب وبهاؤه تخير اللفظ» وقال ابن المعتز ^(٢) «العاقل يكسو المعاني وشي الكلام في قلبه ثم يبدئها بالفاظ كواس في احسن زينة والجاهل يستعجل باظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها»

ولما سئل جعفر البرمكي وزير الرشيد المشهور عن البيان قال « هو ان يحيط كلامك بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجه عن الشركة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليماً من التكليف بعيداً من الضعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل مع نزاهته عن الركة وترفعه عن اللغو وابلغ الكلام ما يطبخه مراحل العلم وصفاه راووق الفهم وضمته دنان الحكمة فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رفته وفي العقول حدته وما احسن

- (١) هو العالم المحدث المعروف بالسجستاني ولد سنة ٢٠٢ للهجرة ومات في البصرة سنة ٢٨٥ (٢) هو عبدالله ابن المعتز احد الخلفاء العباسيين المشهود له بمجودة النظم والنثر وسعة العلم والادب ولد سنة ٢٤٩ وقيل سنة ٢٩٦ بعد ان تولى الخلافة يوماً واحداً

ما قال حائك^١ اديب « الكلام ما اتصلت لحمة الفاظه بسدى معانيه فخرج مفوقاً منيراً وموشى محبباً وان من البيان لسحراً »

ولقد قال غيره « البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ويخيط الالفاظ على قدرود المعاني » ومن اجل ما وصفت به البلاغة قول احد العلويين « البلاغة ايصال المعنى الى القلب بحسن صورة من اللفظ » وهو يضارع قول بعض الاعراب « البلاغة ايجاز في غير عجز واطناب في غير سفسفة »

هذه هي الصناعة التي يحسبها الناس اليوم لعقة من عصيد او لقمة من ثريد فلا يكاد الصبي منهم يقرأ الاجرومية او شيئاً من شرح ابن عتيل على الفية ابن مالك ويتلف بعض ما وجدته الخليل بن احمد في دائرة البحور من الاعاريض وقيد اسماعيل الجوهري على بعض صفحات الصحاح من حوشي الالفاظ حتى يتربع في دست التصنيف والتأليف او يتلف على منبر الامام الخطيب او يسمي نفسه بالشاعر الساهر فيملاً الدنيا صناناً وهو يظنه عطراً وملاهاً وورنداً واخواناً والله الامر من قبل ومن بعد وما هو بغافل عما يهذرون « سليم عنخوري »

هل اللغة العربية حية (١)

وضع المسيو اسحاق قطان احد اعضاء المجمع العلمي القرطاجني في تونس محاضرة رد فيها على من قال ان اللغة العربية ليست من اللغات الحية وانها كانت كذلك وقد اصبحت اليوم من اللغات الميتة فحدث كلام من اصدر هذا الحكم تأثيراً في نفوس المسلمين لان له علاقة باغراض الاوضاع عندهم واندسها في نظرهم وتعني بها اللغة وقد ردت بعض الصحف الاسلامية على من رموا العربية بالعمى رداً لم تورد فيه برهاناً بل جعلته خيالاً وتجاوزت فيه حد المناقشة العلمية ورمت القائل وهو اوري بالطبع بانه لا يعرف ما في العربية من الميراث والخصائص وقالت اني يتأقني لغريب عنها ان يفهمها حق ففهمها بيد ان صاحب هذه المحاضرة دافع عن العربية دفاعاً علمياً وزد مزاعم من يرمونها

(١) عربنا هذه الرسالة في الشهر الذي صدرت فيه من العام الماضي ففقدت اصولها

من المطبعة في جملة المقالات التي ضاعت عندما اُقتلت مطبعة الملتبس وعطلت هذه المجلة والجريدة وهانحن نعرضها ثانية معرضاً على قارئها فهذه عذرنا لصاحبها

بالموت بالبرهان السديد واثبت لها الحياة مع من يثبتها لها من ابنائها الذين يكتبون بها ويتكلمون فقال :

ان دعوى المسيو نويل بان اللغة العربية لغة مقدسة جامدة لا تتحرك وان ادنى تغيير يدخل عليها بعد خرقاً لحدودها وعبثاً بقانونها هو من الدعاوي التي يخالفها الواقع ولا ينهض عليها دليل . واني أرى علماء المشرقيات الذين يتعلمون العربية والكتاب المسيحيين في سورية ومصر ممن عنوانها وبرزوا في آدابها منذ سنين بل والمستشرقين من المسلمين انفسهم يوافقوني على قولي ان اللغة العربية لغة سامية انتشرت اولاً في شبه جزيرة العرب ووصلت الى درجة التهذيب قبل الاسلام ببضعة قرون وملت على يد النبي واصحابه وانه مضت عليها قرون طويلة وهي زاهرة بين شعوب انتشرت بينهم الحضارة الاسلامية فنشأ لهم في العربية كتاب كثير من التصارص واليهود والمسلمين وانها اليوم شائعة بين الشرقيين من اهل الاسلام وغيرهم ويتفهم بها بضع مئات الالوف من البشر بينهم كثير ممن لم يدينوا بالاسلام ينزلون شمالي افريقية واواسطها وجزءاً من قارة آسيا .

نعم لا أوأخذ اذا قلت اذا كانت العربية عند معظم المسلمين لغة مقدسة لانها لغة الدين والعبادة وهي لم تبح لارباب العقول السامية الذين ازدان بهم الاسلام والمسيحيين والاسرائيليين الذين عنوانها حق العناية منذ عهد الخلفاء الى هذا اليوم اداة بدیعة للافصاح عن الفكر والعواطف العالمية في مظاهرها المختلفة وهي من اجمل لغات البشر .

ارى انه متى أريد البحث في لغة بحثاً علمياً ان لا توصف بما يصفها به ارباب التقاليد من النخاة ولا المتعصبة من المتفجرة بانها لغة مقدسة غير قابلة للزيادة والنقص بل الواجب النظر الى تاريخ هذه اللغة والبحث فيما اذا كانت بقيت جامدة على صورتها الاولى حقيقة وانها نشأت ونمت كما ينمو كل تركيب نام حي .

لاجرم ان كل امریء يدرك ان اللغات لاتحيا على يد اساتذة الكليات ولا بتتارير النخاة ولا باحكام الحاكم واوامر الحكومات فاللغة الافرنسية لم تنم منذ عهد كولبر الى زمن بريان بهذه الطريقة بل ان العربية على ما فيها من الكتب في الشعر والعروض التي شرحها معلو الجوامع لاتعد لغة ادب فكما ان الافرنسية تحيا بكتباها المبدعين المجددين اكثر من حياتها برجائها اللبويين والباحثين في اصولها هكذا اللغة العربية عاشت طول عمرها

خارج الكليات الاسلامية بل بفضل اعمال المجددين والمترجمين والعلماء والفلاسفة والشعراء الذين كانوا في عصور مختلفة مع تمسكهم بقواعد النحو العربي الذي كانت الكليات مهيمنة عليها فهم يتقنون ما امكن موقف التوفيق بين ما يكتبون وبين اللغة التي يعجبون بها وحتى لم العجب من كمالها وغناها وجمالها . ومع هذا لم يقفوا ساعة عن نقوبتها بما يحملونه اليها من الافكار الطارئة ولغات الشعوب الاخرى

واذا ابى المسيو نويل الخروج من هذا القياس وادعى بان اللغة المصرية اليوم هي لغة حديثة نشأت من قطع مافقة من التقارير وليست من التقديس في شيء اي ليست اللغة العربية في معناها الحقيقي بل هي لغة صناعية وان اللغة المقدسة هي التي استعملها القرآن فقط وفيها الغريب — اذا قال بهذا فهو يحذف بقياسه من الآداب العربية كتب المؤرخين والعلماء والفلاسفة وغزاة الشعراء لانها مملوءة بالمولد او انه يعتبرها من الكلام الوحشي الغير المأنوس و يقتصر بان لا يعد من الآداب العربية الا القرآن وتفسيره ووربما كانت هذه التفسيرات بحسب زعم المسيو نويل من غريب الكلام ايضا

اما انا فلا افرط في التدقيق اكثر من عالم من علماء المسلمين بعد ان رأيت في دور المكتبة اناساً من صلحاتهم ينظرون في كتب القرآن والفقه وبجانبها تأليف كتبت بالعربية الحديثة بل مترجمات لفلاسفة يونان . ولذلك اسمي باللغة والآداب العربية تلك اللغة وتلك الآداب التي اتفق جمهور المسلمين وامثال سلفستردى ساسي ودرامبورغ وغولدسير وغيرهم من العلماء على تسميته بهذا الاسم .

قال المسيو نويل ان اللغة الحية هي التي تخضع لنواميس الحياة اي انها تدخل فيها الجديد وتنبذ ما لاتراه نافعا لها وهو يتجدد بديعه من شروط الحياة كالتنذية اكل تركيب نام نباتيا كان او حيوانيا

واذا كانت اللغة العربية مقدسة ولها قواعد ثابتة لا يدخلها التعديل بدون خرق حرمتها فهي لاتقبل القلب والابدال ولذلك امست من اللغات الميتة

واني لاكنني بدحض هذه الحجة بان اورد تاريخ العربية ولكم ان تحكموا بانفسكم بان هذه اللغة لم تبرح خاضعة قبل الاسلام وبعده لنواميس الحياة . اما تاريخ اللغة العربية فيقسم الى ادوار اربعة : دور التكوين ودور المدنية الاسلامية الزاهر ودور الانحطاط والدور الحالي .

فدور التكوين يبدأ بالزمن الذي انفصلت فيه هذه اللغة عن سائر اللغات السامية

واصبحت لغة خاصة بعد ان كانت عبارة عن لهجات كثيرة قلما تجد بينها اختلافاً كثيراً وهي وافرة بقدر ما كان يعيش من القبائل في ارض شبه جزيرة العرب . وتعدد اللهجات كان من اسباب غني العربية بمفرداتها وانتهت الحال بعد ذلك بان اندمجت هذه اللهجات بعضها في بعض ونسيت كلها ما عدا ثلاث لهجات كبرى ذكرها التاريخ وهي لغة اليمن والحجاز والحديثة

جاء محمد (عليه السلام) وبدأ بتوحيد بلاد العرب في سياستها ووفق اختلافه الى تميم هذا المقصد فتوحدت بذلك اللغة وكانت الغلبة للغة الحجاز موطن النبي فاصبحت لغة القرآن بعد واغنت بما دخل اليها من المفردات المستعملة عند شعوب كثيرة ممن كانوا يقصدون مكة حاجين كالهند والفرس والنبط والحبة والمصريين والاسرائيليين وغيرهم . فكانت مكة اشبه ببرج بابل ولا عجب ان سرى الى اللغة الادبية على ذلك العهد مزيج من لغات الامم الاخرى

فالالفاظ الدخيلة التي اغنت بها اللغة العربية اذذاك هي اسماء العقاقير الطبية وماتنتج بطون الارض من المعادن وما يصنع في فارس والمملكة الرومانية والهند الشرقية من المصنوعات ويحمل الى جزيرة العرب . واقتبست العربية قبل الاسلام الفاظاً كثيرة من اللغة اليهودية كما اقتبست من العبرانية بعض الفاظ العبادة مثل « الحج » « الكاهن » « عاشوراء » وكانت اتصالات التجارة بين الهند وبلاد العرب سبباً في تعريب كثير من الالفاظ النسكربتية ولا سيما ما كان منها خاصاً بالعطور والاحجار الثمينة . وبعد ان فتحت فارس انشد العرب يلبسون الثياب الفارسية وادخلوا الى لغتهم الالفاظ الدالة عليها في جملة ما فدخلها من الالفاظ « السروال » « الجبة » « القفطان » « الطربوش » على نحو ما استعمل المسلمون الذين يكتسسون الثياب الاوربية اليوم من الالفاظ « الجاكت » « البطلون » « اللستيك » وأخذ عن الفرس معظم الالفاظ التي تدل على الاطعمة المختلفة والاسلحة والآنية وغيرها .

وابتداءً الدور الثاني للغة العربية وهو دور الفتوح والمدنية الاسلامية بانتباس الالفاظ الدينية والقانونية والادارية والعلمية وغير ذلك ثم بتعريب كتب اليونان والفرس والهنود فدخل اللغة من الالفاظ مثل « الكمحالة » و« الصيدلة » ثم توسعت في استعمال بعض الالفاظ لاكثر من المعنى الذي وضعت للدلالة عليه مثل « مؤمن » « مسلم » « صلاة » « زكاة » « الحضنة »

حتى اذا تمت الفتوح وانشأ المسلمون ينظمون البلاد التي خضعت لسلطانهم اخذوا من الفرس والبيزنطيين اصول اوضاعهم السياسية والادارية والقانونية والعسكرية والمالية فانقضت لم تعابير جديدة الدلالة على هذه الوظائف الجديدة فاقتبسوا اكثرها عن الفرس والبيزنطيين مثل «الديوان» «الجامكية» «البريد» «نیشان» من الفارسية «الاسطول» «الكردوس» «البطاقة» من الرومية واخذوا مفردات عبرية وسريانية عندما ترجمت التوراة والاناجيل مثل «قربان» «جهنم» «توراة» «توبة» «تليد» «يعوث» «آمين» بل ان قواعد النحو نفسها قد دخلها التعديل فاخذت العرب تستعمل الضمائر المستمرة للتفنن في التعبير تكثراً من استعمال صيغة المجهول وتنسب الى الروح روحاني والى النفس نفساني وتستعمل بعض الصفات في صورة استاءة مثل «المائية» «العامة» «الخاصة» وكل ذلك العهد سقطت من الاستعمال بعض الالفاظ التي اتى الاسلام على مدلولاتها مثل «المربع» «النشيط» «الاتاة» «الضرورة»

ولقد ظلت العربية تعتني بمفرداتها الجديدة وتراكيبها الحديثة وتتمو مفرداتها وقواعدها حتى جاء عصر انحطاط المملكة الاسلامية واخذت تنقسم الى ممالك مستقلة يحكمها اناس من اصول غير عربية كالمغول والاكرد والأتراك وغيرهم . ففي تلك العصور أصيبت اللغة بما ذهب برونقا الاصل واصبحت من التشكاف واستعمال الالفاظ الضخمة على جانب من الغلظة والجفاء حتى ان ما كتب من المصنفات على ذلك العهد تصعب قراءته لخلوه من كل فائدة . فهو عهد الالفاظ الرنانة المنحمة والسجع المرصع الذي أعجب به بعضهم وحمل عليه كثيرون وذلك لان البيان كثيراً ما يضيع لضرورة السجع واذا ارتضت الاسماع الاسجاع فالفكر ينيو عنها كل النبو .

وفي ذلك العهد دخلت اللغة تلك الاستعارات المنحمة والمبالغات الغريبة حتى ان معظم الالفاظ التي عربت تلك الايام كانت الفاظاً ادارية واسماء رتب في الجيش مثل «سبحقدار» «الجاهشكيز» «البوزباشي» «الباشا» «دقردار» «خز ندار» «المابين» «الاغا» «دقرخانه» . وفي ذلك العهد ايضاً اخذت بعض الالفاظ العربية توضع لمسميات جديدة مثل «المتصرف» «صدر الاعظم» «القائم مقام» «المسئولية» «التابعة» ثم اتى دور تركت اللغة الا ما كان له منها عفة بالنحو واللغة والتصوف والفقه وفي هذه الموضوعات صدرت كتب لا تحصى بكثرتها .

والدور الرابع دور النهضة ويرد تاريخه الى نحو قرن وقد نزل الاوربيون في الشرق يلتمسون لهم في شواطئ البحر الابيض بلاداً يظهر فيها نشاطهم فاختلطت المصارفة بالمغاربة اختلاطاً دائماً نشأ منه تبادل في الافكار بينهم وبفضل ذلك اغنت لغاتهم بمفردات استعارها بعضهم من بعض . واذ كانت بضاعة الشرقيين في العلم قليلة اضطروا في دراسة العلوم الحديثة ان يأخذوا الفاظاً عن اللغات الغربية او ان يتوسعوا في معاني بعض مألوفهم من الالفاظ العربية ليضعوها لافكار ومعارف جديدة . وذلك دليل على ان اللغة ظلت على حالها على النشوء

ومن العبث ان نورد هنا بعض الالفاظ الافرنسية التي اندمجت في سلك اللسان العربي مثل « بوليس » « بارلمان » « سيركولير » والالفاظ الايطالية مثل « برسطة » « ديكريتيو » « بروستو » دع عنك التعابير العلمية التي سرت الى العربية من اللاتينية واليونانية وهي شائعة في لغات اوربا . ومن الالفاظ الكثيرة التي حوت عن معانيها الاصلي للدلالة على افكار جديدة لم تكن مألفة للشرقيين « الميزانية » « المؤتمر » « المحفوظون » « الاحرار » « الاشتراكيون » « اهل القوضى »

وقد نشأ لغة في سورية ومصر لعهدنا كتاب بالعربية من الطبقة الاولى خلصوا اللغة من قيودها واعادوا اليها نضرتها الاولى وانقذوها من المترادفات المملة حتى صارت بانشائها الى الوضوح والسلاسة معبرة احسن تعبير عن الافكار الحديثة وبفضلهم اخذت روح اللغات الاوربية تدخل في العربية وسهلوا نحوها وصرفها وبيانها .

يقولون ان لغة الكتابة تخالف لغة التكلم ومثل هذا موجود في اللغة الافرنسية نفسها فان اهل الطبقة الوسطى يشكلون بلغة لاتناسب بينها وبين لغة اديب او شاعر على ان الشعب في البلاد التي يتكلم فيها بالعربية اقرب الى فهم ما يتعلمون من الالفاظ بالدوق من الشعوب الاوربية الى فهم الغريب من لغاتهم الرسمية . والدليل على ذلك انك تجد الطبقة النازلة من الامة تستمع للحكواتي (الادائي) في محال القهوة وتنصت لقصص الفايالة ولبلة وقصة عنتر وتفهمها كلها على بلاغتها بفطرة فيها شعور طبيعي .

ومهما يقال فان التمثيل باللغة العربية الادبية يفهم العامة ولئن فانهم فهم بعض ايائها فعامة باريز ليسوا في مساحهم اكثر فهماً لما يتلى عليهم من قصائد كورنيل وموليير واللغة العربية ليست كما يقال لغة صناعية لجزية وليست غريبة الا عن كثير من الطلبة

الهنود والمراكشيين وغيرهم ممن يقصدون من البادية جامع الزيتونة في تونس والازهر في مصر ليتعلموها بل هي لغة حية لمن يدرسها ويتعلم بها بذوق مثل كتاب الشام ومصر الذين يتولون الصحافة وينشرون المعارف البشرية بواسطة الصحف والكتب بل هي حية ايضاً بالنسبة لاولئك الذين تراهم في محال القهوة من العامة يهتزون لما يسمعون من اناشيد الغزل ووقائع الحروب على ان اللغة الافرنسية ايضاً هي احق بان تكون لغة صناعية اجنبية اذا رأينا كيف يتوارى شبان الطلبة من قرى اقليم البروفانس وبرتانيا وغاسكونيا (فرنسا) عن الانظار ساعات اللعب في المدارس يتكلمون بلهجتهم الخاصة بهم

فان قيل ان اللغة العربية تحتاج الى عشر سنين لتعلم نحوها قلنا ان الشرقيين يتعلمونها في اقل من هذه المدة ويتمنون معاهدة لغات اجنبية فعلياً ان نعقد املاً باصلاح طرق التعليم في المدارس الاسلامية على الاسلوب الحديث وبذلك يحصل الطلبة لغتهم في قليل من الزمن فاللغة يجب ان تكون آلة لا غاية

وقد قال المسيونوبل ان حاجة العربية ماسة الى ان تستمد من اللغة العامية لتحييا اما انا فاقول بان اعظم نقص في اللغة العربية ان تكون غنية وهي لاحاجة بها الى الاخذ من العامية في حين تجد لديها ٢١ لفظاً مختلفاً للدلالة على الظلام و ٥٢ للشمس و ١٠٠ للخمر و ٢٥٥ للثافة و ٣٥٠ للاسد . وقد اُصِيبَت اللغة الافرنسية بكثرة مفرداتها على عهد رونسارد فما قدح ذلك فيها بل عد من الزيادات التي تمحذف . فالعربية لاثنبه اللغات الاوربية بل هي بالنسبة الى الافرنسية كالمرأة الباريزية المشوقة القوام الجميلة الهندام مع المرأة السمينة الشرقية التي تحرص على هدامها القديم وهي حية جميلة قوية . نعم ان غنى العربية في مفرداتها يضر بمرورتها وسرعة فهمها ولكن الدم الفتي الحار لا يكثر منها كثيراً في عروقه فانا نجد كتاب هذا العصر سقطون عدداً كبيراً من المترادفات وينشقونها الروح الغربية فهم قوام على صحتها وحياتها . واللغة التي تأخذ عن العامية تصعب الى الابتذال المقوت اقرب

وبالجملة فان العامة في الشرق ليسوا اقل من عامة الغرب فهماً لغتهم ولكنهم يزيدون فهماً يوم تصرف بينهم كل سنة الملايين لنشر التعليم العام على نحو ما يجري في الغرب . وان قيل ان اللغة العربية لغة ادبية جميلة ولكنها ليست الا أداة مشوشة لتعليم العلوم فالجواب بان النتيجة التي وصل اليها اصداقائي المعلمين في المدرسة الخلدونية من تعليم

العلوم باللغة العربية هي تكذيب صريح لمن يقول هذا القول . ويمكن ان يقال ان شعوب الشرق هم من عناصر ادب وتفنن فهم اميل الى تلقف الشعر منهم الى تعلم العلوم المادية كما يفعل اليوم اهل القاصية من بلاد اذربايجان عن الجميل من العلوم لتعلم ما هو نافع منها حتى كادوا يفقدون بذلك حضارتهم . فانا اقول لهم في هذا المجال ما قاله نابوليون : اذا كانت العلوم من احسن ما اعتدت عقول البشر الى تطبيقه فالآداب (الادبيات) هي روح الانسانية بذاتها

السجل المعلق

نقلنا في الجزء الماضي نموذجاً من كتاب السجل لحزبة بن علي مثبت الوهية الحاكم بامر الله وصاحب مذهب الدروز الاول وهانحن اولاء نتبعه بنشف منه تكشف الغطاء عن معتقدهم وللقاري ان يعلق عليها ماشاء :

جاء في الرسالة الموسومة ويد (?) التوحيد لدعوة الحق : توكلت على مولانا البار العلامة العلي الاعلى حاكم الحكم من لا يدخل في الخواطر والاهام جل ذكره عن وصف الواصفين وادراك الانام حروف بسم الله الرحمن الرحيم حدود عبد مولانا الامام : كتابي اليكم معاشر الاخوان المستجيبين الى دعوة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد جل ذكره عن صاحبة الولد العابدين له لافغيره الناجين من شبكة ابليس اللعين والضد المبهين وجواسيس الملاعين وانصاره الغاوين وحزبه الشياطين ليس لا بليس عليكم سلطان ولا لجنوده لديكم مكان ولا لزعرفه عندكم شان بل انتم الملائكة المقربون الذين ملكوا انفسهم عن افعال المشركين وانتم حملة عرش مولانا جل ذكره والعرش هاهنا علمه الحقيقي الذي هو صعب مستصعب لا يحمله الا نبي مرسل او ملك مقرب او مؤمن امتحن المولى قلبه بالايمان له وجده سبحانه وتعالى عما يصفون

اما بعد فاني احمد اليكم مولانا الذي لا ولي لنا سواه وامركم واياي بالشكر لعمه وآلانه حمد من استوجب الزيادة في اولاد وأخراء ووصيكم بما ايدني به مولانا جل ذكره وامرني به من اسقاط ما لا يلزمكم اعتقاده وترك ما لا يضركم افتقاده من الادوار الماضية الخالدة والشرائع المدارس الخالدة وامنهم ناطق الا وقد نسخ شريعة من كان

قبل من المتقدمين ومحمد بن عبدالله الناطق السادس لما ظهر بالنطق نسخ الشرائع كلها وسد الطرق وقال فمن لم يترك ما كانت عليه قديماً من دين آبائه واجداده قتل وسي كفاً ومن ترك الشريعة التي بيده ولم يلتفت إليها وقع عليه اسم الاسلام وكان في سبيله غير ملام وضمن لهم محمد الجنة على الدوام فبان للعاقل الشافي والمخلص الكافي ان الاشارة والمراد هاهنا في عبادة الوجود لا لعدم المفقود والاسان ابن يومه وساعته وفي الوجود راحته وله عبادته وبه حياته واليه اشارته ومولانا الحاكم البار العلامة قد نسخ شريعة محمد بالكمال ظاهراً للمؤمنين ذوي الافضل وباطناً للموحدين اولي الابواب واما من نوره في قلبه زاهر وفي معاني اموره للخلق قاهر وغير منافق بالكفر شاهر لا يلتفت الى اشتغال الناموس وعلوه وزخرف القول وسبوه ويعلم انه استدراجاً للكافرين وتمييزاً للمؤمنين المرحدين كما قال وايمز الله الخبيث من الطيب وان كان لا يخفى عن مولانا جل ذكره الخبيث من الطيب يعني المشرك من المرحد لكنه اراد ان يبين للموحدين من يرجع منهم الى عقبيه ومولانا جل ذكره عالم بما في الصدور وما هو كائن والدليل على ذلك زوال الشريعة الى الاختصار في شيء واحد اذ لم تحتل هذه الرسالة طول الشرح

وقد بينت لكم في الكتاب المعروف بانقضاء الخفي نسخ السبع دعائم ظاهرها وباطنها وذلك قوة مولانا جل ذكره وتأيمده ولا حول ولا قوة الا به وكيف وفي رفع الزكاة واسقاطها منقوع المسائلين عن غيرها وهي مقرونة بالصلاة وقد غزا عبد اللات بن عثمان المكنى بابي بكر الى بني حنيفة ومعه جميع المهاجرين والانصار فقتل رجال بني حنيفة ونهب اموالهم وسي حريتهم . وقد اشترى علي ابن ابي طالب وهو اساس الناطق من جملة السي امرأة تعرف بالحفية واسمها تحفة وهي ام ولده محمد فقيل له يا علي كيف تستحل نفسك ان تشتري امرأة مسلمة . شهد ان لا اله الا الله وتشهد ان محمداً رسول الله وتصلي الخمس وتصوم شهر رمضان فقال علي ما يفعله ولا لقومها الشهادتين ولا سائر اعمال الشريعتين اذا لم يؤدوا الزكاة وان الزكاة هي الشريعة بكاملها فمن لم يؤدها وجب عليه القتل وأحل لناماله واهله لقوله فويل للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة فقد اخرجهم الله من الاسلام وجعلهم مشركين . وانتم معاشر الموحدين قد شلتم وسمعت السجل الذي امر مولانا جل ذكره بقراءته عليكم واسقط عنكم الزكاة والاعشار والاحماس وسائر الصدقات الى ابد الابد ولم يسقط عنكم محافظة بعضكم بعضاً . . . »

وقال في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد : « فنعود بمولانا من ذلك سبوح قدوس

مبدع الابداع وجامع الاشئاث والاضياع الذي هو على السموات عال وفي الارض متعال وعن قريب يظهر مولانا جل ذكره سيفه بيدي وهايك المارقين ويشهر المرتدين ويجعلهم فضيحة وشهرة لعبون العالمين والذي يبقى من فضلة السيف تؤخذ منهم الجزية وهم صاغرون ولبسون الغيار وهم كارهون ويكونون في الغيار والجالية على ثلاثة اصناف فغيار النواصب علاقتان من الرصاص في اذني كل واحد منهم وزنهما عشرون درهماً وطرف كمة الایسر مصبوغ فاخنياً وجاليتة ديناران ونصف وهم يهود امة محمد ويكون غيار اهل التأويل الواقفين عند العدم علاقتين من الحديد في اذني كل واحد منهم وزنهما ثلثون درهماً وطرف كمة الابن مصبوغ بالسواد وجاليتة ثلاثة دنائير ونصف وهم المشركون نصارى امة محمد ويكون غيار المرتدين من توحيد مولانا جل ذكره علاقتين من الزجاج الاسود في اذني كل واحد منهم وزنهما اربعون درهماً ويكون على رأسه طرطور من جلد ثعلب وصدر ثوبه مصبوغ رصاصياً اغبر وجاليتة خمسة دنائير في كل سنة وهم المنافقون مجوس امة محمد وتؤخذ هذه الجاليتة من الشيوخ والسباب والنساء والصبيان والاطفال في المهد وتغير عليهم العلائق في كل سنة فمن خالف منهم ضرب عنقه»

وقال في رسالة الغاية والنصيحة : فلو ميزتم معاني الكلام وتدبرتموها لبان لكم نطق الرسول من نطق ابليس وفعل الامام من فعل غطريس واعرفتم السبت والخميس وتبرأتم من فرعون وهامان الرجيس ولتصور لكم ارتفاع مكان ادريس وعبدتم مولانا جل ذكره باري الحن والجن والبن والانس . والرسول هنا هو الامام المفترض الطاعة وهو دون الامام الاعظم وابليس هو المشتبه بالمولى سبحانه . ويزعم بانه جنس ويدعي عهد المسلمين والامام الاعظم ذومعة وسي ذومعة لانه دعا توحيد الامام جل ذكره بلا واسطة وغطريس هو اثرتسندين ، درزي تغطرس على الكشت بلا علم ولا يقين وهو الضد الذي سمعتم بانه يظهر من تحت الامام ويدعي منزله ويكون له خوار وجولة بلا دولة ثم تدفني ناره وكذلك الدرزيان من جملة المستحيين حتى تغطرس وتجهز وخرج من تحت الثوب والثوب هو الداعي سيرة التي امره بها امامه حمزة بن علي ابن احمد الهادي الى توحيد مولانا جل ذكره به وتمالي وادعي منزلته حاداً له واعجاباً بروحه وقال قول ابليس وكذلك الدرزي بروحه في الاول بسيف الايمان فلما انكرت عليه ذلك وبينت له ان هذا الاسم محال يجب لان الايمان لا يحتاج الي سيف بعينه بل المؤمنون

محتاجون الى قوة السيف واعزازاه فلم يرجع عن ذلك الاسم وزاد في عصيانه وظهر فعل الضدية في شأنه وتسمى باسم الشرك وقال انا سيد الهادين يعني انا خير من امامي الهادي وغيره ما كان يضرب من زغل الدنانير والدراهم وحسب ان امر التوحيد مثله يحتمل التدليس واني ان يسجد لمن نصبه المولى جل ذكره وقلده واختاره وجعله خليفته في دينه وامينه علي سره وهادياً الى توحيد وعبادته فغطرس علي الدين وظهر سيف الناطق والاساس اجمعين طلباً للرياسة والاسم اللطيف باظهار الشريعة في عالم البسيط والكشيف .

وفرعون البرذعي وهامان علي ابن الحبال لان فرعون كان داعي وقته فلما بطل الناطق قال انا ربكم الاعلي يعني امامكم الاعظم . وهامان الذي فتح له باب المعصية وادريس هو الذي رفع مكاناً علياً وهو ارتفاع درجته في العلوم حتى صار اماماً دون الامام الاعظم الذي مص العلم من ذي معة وهو قائم الزمان هادي المستجيبين عبد مولانا جل ذكره وصفه بلا واسطة جسماني فاذا عرفتم هذا عبدتم مولانا جل ذكره باري الحق وهم الدعاة والجن وهم المأذونون والبن وهم المكسرة والانس وهم المستجيبون هاهنا في هذا المعنى والسبب دليل علي السابق وهو علي بن عبدالله اللواتي الداعي والخميس دليل علي التالي وهو مبارك بن علي الداعي واهل التأويل يزعمون بان الكلمة هو السابق والسابق هو الكلمة لافرق بينهما ولا يعرفون فوقهما شيئاً اذ كانت الثابتة حدود الذين هم ذومعة وذومعة والجناح غائبين عن عيون قلوبهم ينظرون اليهم وهم لا يبصرون

معاشر المستجيبين لمولانا جل ذكره قد بلغت لكم الهداية ودعوتكم الى توحيد مولانا جل ذكره في سبعين عصراً ما منها عصر الا ويظهر في مولانا جل ذكره فيكم بصورة اخرى وامم آخر ولغة اخرى اعرفكم ولا تعرفوني ولا تعرفون نفوسكم . والآن قد استدارت الادوار وكأنكم باظهار توحيد مولانا جل ذكره ونور الانوار وظهر لكم ما كان مدفوناً تحت الجدار فمولانا الحمد والشكر وحده فدا .

مولانا جل ذكره

وآياته ولا تلتفتوا الى امس فامس مغنى بما فيه وغداً بما يقتضيه وكلما غاب عن العالم استطوه فلو كان للعالم بها مولانا جل ذكره يوم الجامع

وقال في رسالة السيرة المستقيمة بشأن الفرامطة .

— الى المدينة صرفة — يسافرون اليها بالبيع والشرا

الاحساء يقال له صرصر فكاسره بعض الدعاة وابتد

به الى عند آدم وهو شطنيل فاطلقه داعياً باحساء واعمالها فخرج الرجل من وقته وساعته الى الاحساء واعمالها واخذ العهد بها على خلق كثير واوصاهم بتوحيد مولانا جل ذكره وعبادته والاقرار بشطنيل وامامته والتبري من ابليس وصحبته وقال لهم اذا دخلتم هجر فعبسوا وجوهكم وقرمطوا انا فكم على اهلها فان فيها رجلاً يقال له حارث ابن طرماح الاصهباني وله اصحاب كثيرة وكلهم قد خلفوا امر مولانا البار العالم وجحدوا فضيلة الامام فلا تخاطبوا اهلها بشيء من العلم الا لمن يحضر معكم مجلس شطنيل الحكيم فقبلوا من الداعي صرصر وفعلوا ما امرهم به من العبسة والقرامطة فلقبواهم بالقرامطة الى وقتنا هذا وصار ذلك اسماً في بلاد الفرس وارض خراسان اذا عرفوا رجلاً بالتوحيد قالوا هذا قرمطي ويسمون مذهب الاسماعيلية القرامطة بهذا السب

وكان ابو طاهر وابو سعيد وغيرهم من القرامطة دعاة لمولانا البار سبحانه يعبدونه ويوحدونه ويسجدون لهيته وعظمته وينزهونه عن جميع بريته فلقبهم المولى جلت قدرته بالسادة وعملوا في الكشف مالم يحمله احد من الدعاة وقتلوا من المشركين مالم يقدر عليه احد من الدعاة ولم يسهل المولى سبحانه ظهور الكشف على ايديهم لما علم جلت قدرته وعزت عظمته ومشيئته ما يكون من الخلف بغيرهم من اضاءة التوحيد والضلالات واتباع بني العباس بالشهوات ووقعهم في الغي والفجرات وقد آن وقت الكشف وازف اوان السيف والخسف وقتل المذائقيين وهلاكهم بالعنف ولا بد من رجوع اهل الاحساء وهجر وديار الفرس الى ما كانوا عليه من توحيد مولانا جل ذكره وعبادته ويسجدون له ولهيته وعظمته وينزهونه عن جميع بريته ويكونوا انصار التوحيد كما كانت قدما اسلافهم وابث فيهم دعاة التوحيد واجمع شمل الاولياء والعبيد واقهر بسيف مولانا جل ذكره كل جبار عنيد حتى لا يبقى بالحرمين الشرقيين مشرك بمولانا جل ذكره ولا كافره ولا منافق عليه ويكون الدين واحد (?) بلا ضد ولا معاند وذلك بقدرة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن صاحبة والولد وشدة سلطانه ولا حول ولا قوة الا له وبه عليه توكلت وبه استعين واليه المصير وهو حسي ونعم المعين النصير »

وقال في نفس هذه الرسالة ايضاً في توحيد الحاكم وآياته : فمولانا الحمد والشكر على ظهور نور الانوار وخروج ما كان مدفوناً تحت الجدار فقد انعم علينا وعليكم ببيانه في البشرية وظهوره لكم في الصورة المرئية كما تدركون بعض ناسوته الانسية ولا اقول

ذاته وانفسه او صورته او معناه او صفاته او حجابيه او مقامه او وجهه الاضرورة على قدر استطاعة المستجيبين وما يفهموه المستمعين (كذا) وتعيه عقولهم ويدخل في خواطرهم ولو قلنا غير هذا لما فهموا الكلام ولا تم لهم النظام والا فمولانا جل ذكره لا يدخل في الاوهام والخواطر ولا يمتزج بباطن ولا ظاهر بل منه بدأ كل شيء واليه يعود كل شيء كل يوم هو في شان لا يشغله شأن عن شان سبحانه وتعالى عن احاطة الدهور به والازمان لا يقف احد من الخلقين على افعال مولانا جل ذكره ولا يدرك غاية سلطانه ولا يستطيع الوقوف على كنهه عشر عشر معشار سيرته وبرهانه

ولتدبروا العالمين (كذا) ما يرون من آياته وبيان علاماته مشاهدة العيان لكان لهم كفاية عن طلب العلم بالخبر وعن كتابة التواريخ والسير وذلك ما يشاهدون منه مالا يجوز ان يكون من افعال احد من البشر ولا سمع به من التواريخ والسير . ولوجئت اذكر لكم عيان جميع ما اظهر مولانا جل ذكره من آياته وبيان علاماته لما حواه قرطاس ولا كتبه قلم كما قال في القرآن ولوان ما في الارض من شجر اقلام والبحر يمد من بعده سبعة اجور ما نقدت كلمات الله والله في هذا الموضع ناسوت مولانا سبحانه لكتني اذكر لكم في هذه السيرة وجوهاً قليلة العدد كثيرة المنفعة لمن تفكر فيها ووحده وعبد مولانا سبحانه وعز عن حكومة الاوهام سلطانه .

فاول ما اختصر في القول ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمار وهو يومئذ ظاهر ما يروونه العامة على قدر عقولهم ويقولون صبي السن وملك المشاركة كافة مع برجوان وابن عمار ملك المغاربة كافة ما امر مولانا سبحانه بقتلهم بقتلوا قتل الكلاب ولم يخش من تشويش العساكر والاضطراب واما امر ملوك الارض فما يجرأ احد منهم على مثل ذلك ثم امر بقتل ملوك كتامة وجابرتها بلا خوف من نسلهم واصحابهم ويمشي انصاف الليالي في اوساط ذرارهم واولادهم بلا سيف ولا سكين

وقد شاهدتموه في وقت ابي ركوة الوليد بن هشام الملعون وقد اضرم ناره وكانت قلوب العساكر تجزع في مصاجعهم بما رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال وكان المولى جلت قدرته يخرج انصاف الليالي الى صحراء الجب ويأتي به حسان بن عليان الكلبي في خمس مائة فارس ويقف معهم بلا سلاح ولا عدة حتى يسأل كل واحد منهم عن حاجته ثم انه يدخل في ظاهر الامر الى صحراء الجب وليس معه غير الركابية والمؤذنين وكذلك في وقت نفاق مفرج بن دغفل بن جراح واخوته واولاده وبدر بن

ريعة وجميع العرب كافة وكانوا اهل الحجاز مع سلطانهم حسين بن جعفر الحسيني الذي نافق بمكة ومحبيته الى الرملة واجتماعه مع ابن جراح واولاده وما بالخضرة احد من العسكرية ولا من الرعية الا وهو يعتقد في كل يوم وليلة بان حسين بن جعفر الحسيني يحيي مع مفرج بن دغفل واولاده ويكبسون القاهرة والمولى جل ذكره يركب كل يوم وليلة ويخرج العتمة من القاهرة ويدخل صحراء الجب ناحية الجبل موضع يزعمون العالم بان مفرج بن جراح يحيي من ذلك الموضع ولم يرجع الحسيني الى مكة حتى وقعت العداوة بينه وبين ابن جراح واراد ابن جراح ان يقتله ثم هلك بعد ذلك مفرج بن دغفل بن جراح وملوك الارض كافة تدعجروا عن هذا » اه .

وهكذا تجد هذا المخطوط كيف قلبته حاوياً انواعاً ما تقدم وقد ختم بقصيدة اسمها شعر النفس للشيخ ابي ابراهيم اسمعيل بن محمد التميمي الداعي المكنى بصفوة المستجيبين الى دين مولانا الى علم الامام ارسلها الى جبل السماق لتقرأ على كل موحد وموحدة قال :

الى غاية الغايات قصدي وبغيتي	الى الحاكم العالي على كل حاكم
الى الحاكم المنصور عوجوا ويموا	فليس فتي التوحيد فيه بنادم
هو الحاكم الفرد الذي جل اسمه	وليس له شبه بقاس بجاكم
حكيم عليم قادر مالك الوري	يوانس بالاسم المشاع بجاكم
غدا السابق السامي اليه وتاله	مع الجد والفتح الخيال الملاوم
عبيداً لمولانا خضوعاً لامره	وكل فتي في الدين عبد لآدم
هو الواحد العالي على كل علة	وما غيره الا كعبد وخدام
هو الحاكم المولى بناسوته يرى	ولا هوته يأتي بكل العظائم
الى الحاكم المولى فهوا واقبلوا	فتوحيدكم صدق على كل حازم
اذا الحاكم العالي تعالى بموكب	فوحده بين الالم بين العوالم
تسمى اماماً والامام فعبدته	ليقظ ولا تصغي الى كل نائم
وقد ظهر المولى فآسى عبده	بافعالهم انساً بحكمة حاكم
ظهوراً بافعال العبيد وشكلهم	ويؤنسهم والخلق شبه البهائم
اذا بنا التوحيد طاشت عقولهم	وراموا انتباهاً مثل نهش الاراقم

سيقطعهم عظم احتجاج مقالنا
هو الحق ماقلنا شواهد ات
نقوم رجال الحق عند قيامهم
يفادون رغماً لايجب مقالهم
يناديهم الهادي هلموا الى الذي
هلموا الى المعنى الخفي وحسبكم
وقلتم بأويل المعاني ديانة
ظنتم بان الطفل يبق لصغره
واشركتم والشرك كنه انطقكم
سيطلق سيف الحق فيكم لجهلكم
وتحويكم اهل الاجابة والتقى
ويظهر سيف التيميم مشيراً
وماصفوة المستجيبين تارك
وتنفي غليلاً في الصدور مكناً
وتمشون جهراً بالغيار لحافكم
سيكظم هذا الشعر كل منافع

نكلى عظمهم طعماً كقطع الصوارم
تحز مقال القوم حز الغلام
بقوة عزم في انتهاء العزائم
حفاة سارى في اكف الضراعم
جهلتم من التوحيد من كل عالم
شاهد ما بالدي لكم في الدعائم
على غير ماقد قيل من كل قائم
وانسيتم حد البلاغ المكاتم
واواج بحر الشرك بين الثلاثم
ويحصدكم كالزراع من غير راحم
وتوحيدهم يربو على كل غانم
على جمعكم والفعل من غير آثم
جهادكم من غير خوف ولا لم
ونأقي على انسابكم والتراجم
وتلقون كل الذل من غير راحم
ويزداد كطماً فوق كظم الاكظم

حال الهند الانكليزية

(معربة عن مجلة الديبا الاسبوعية)

ليست احوال الهند كما يرام والحكومة الهندية والبريطانية في خوف شديد ورعب زائد . لاجرم انه يستبعد حدوث ثورة عامة مثل ثورة سنة ١٨٥٧ . لان الحكومة تتذرع بوسائل من الحزم والاحتياط تجعل امثال هذه الثورات من قبيل المحال . خصوصاً وان اسلاك البرق وخطوط الحديد وسرعة وصول الاخبار وسهولة المواصلات تساعد الحكومة على توطيد دعائم الامن والراحة وتضمن لها السكرن والهدوء . غير ان الهنديين يحاربون الفاتحين بأسلحة أخرى وسيظلون محاربين لهم ابدًا بها وهي : الجرائد . الخطب . الدعوة الى الثورة .

فبهذه الاسلحة الثلاثة يحاول الهنديون نزع نير الحكم الانكليزي من اعناقهم .
الا وان بين سكان آسيا على اختلاف مللهم ونحلهم وتباين عناصرهم واجناسهم وبين
اهل اوروبا نفوراً ليس في امكان البشر محوه ورفعهم .
واليك ماقاله كيبلينك في هذا الصدد : (**Kipling**) من كتاب الانكليز
ولد في بومباي سنة ١٨٦٥)

« الشرق شرق والغرب غرب . ولا شيء يجمع بينهما فهما ضدان لا باتلفان .
ومن المتعذر كل التعذر ان تنشأ بين ابن الشرق وبين ابن المغرب ألفة حقيقية او مودة
ثابتة او ثقة تامة . فانهما يشكلان بلغتين متباينتين كل التباين ولا يستطيعان ابدأ
ان يتفاهما . وعدم اللفة وقلة الوئام هو الاصل في علائق الشرقيين والغربيين
على مدى الايام . . . »

تخرج في غضون خمسين سنة من المدارس العليا في الهند وانكثروا ما يربو على
خمسين الف تلميذ هندي فتسعة اعشار هؤلاء غدوا كتاباً وادباء ومحامين . اما الاطباء
والمهندسون والكياويون فهم بين ثلاثة الى اربعة آلاف

ويتخرج كل سنة من المدارس العالية اثنا عشر الف هندي وهؤلاء يأتون
ببلادهم حاملين شهادتهم فيزداد بهم عدد الدارسين المعلمين زيادة مستمرة
وان يكن قد خصص لهؤلاء الشبان بعض المناصب الصغيرة في الادارة والمحاكم
فليس في هذه المناصب ما يفهمهم جميعاً ومن لم يقدر على الدخول او يرغب في دخول
سلك المعلمين بتلك الرواتب الطفيفة التي كادت تكون سخرية وهزواً يضم صوته
لاصوات الجرائد ورجال السياسة المهيجين فعدد هؤلاء كبير للغاية وهو ينمو ويقوى
على الدوام . . .

فاتيرية الاوربية جعلت الهنديين غير راضين وصبرتهم حائقين ناقلين ! بلشاً الهندي
من المدارس العالية على ذكاء وقاد ونباهة تامة غير ميل للتجارة او الصناعات فيدخل
في برهة وجيزة غمار السياسة وهو حائق على حكومة وادارة قد غرست فيه آمالاً
كبيرة ومنته باحلام مذهبة لم يتمكن من تحقيقها ولا طاقة له بالحصول عليها . واذ
كان يرى نفسه على مستوى من يحكمون عليه مساوياً لهم في المعرفة والادراك لافرق
بينه وبينهم في شيء لا يلبث ان يشبه مثل امام عينه ذاك الظلم الممين الذي سجل عليه
حياة بائسة تحت ربة اناس دخلاء اجانب غرباء مع ان في مكنته ان يقوم مقامهم

في تولي الامور والمصالح والعمل في شؤون الحكومة والادارة وقد يفضلهم ويمناز عنهم من حيث انه ابن البلاد عارف بأخلاقها وطبائعها ، خبير بأمزجتها وعاداتها ، واقف على معتقداتها وتصوراتها

يتعلم الهندي في بلاد الانكليز في ايام الدراسة قواعد السياسة واصول الادارة ويقف على آراء علماء الاجتماع على نحو ما يتلقاها شبان الانكليز فيخرج من المدرسة وعقله متشبع بمبادئ الحكم الذاتي وحكم الامة نفسها بنفسها وعدم المركزية *Self government* كما هو الحال في بريطانيا . والتلميذ الهندي يفهم هذه المبادئ كل الفهم ويعلمها حق العلم ولكن متى جاء ليطبق احكامها على بلاده واوطانها يشعر بأن لسان حال الانكليز يقول له بأجلى اشارة :

« ما كان حقاً وصحيحاً على ضفاف التايمس ليس كذلك على ضفاف

الغائج ١

وهذا القول يصعب اذا نظر الانسان اليه بعين انكليزية اما الهندي فلا يفتحه ذلك ومن هنا ينبعث التفور والحنق .

يريد الهنود اما ان يتركوا وشأنهم يحكمون انفسهم بانفسهم واما ان يحكمهم الانكليز مراعين مصلحة الثلاثمائة مليون من البشر سكان الهند رعية امبراطور الممالك الهندية وملك بريطانيا . وبعبارة اخرى يطلبون من حكومة الهند ان توجه عنايتها لحفظ مصالح الهند

اما الانكليز وجرائد الانكليز فيقولون ويمجرون بالقول غير مباين بأن بقاء الانكليز وحكمهم عليها هو لاجل مصالح الانكليز فقط فالهنود محكومون للانكليز من اجل هذه المصالح وحدها . وادام الانكليز في بلاد الهند فصالحهم ومرافقهم فيها خطيرة فخرصاً على هذه المصالح ورعاية لهذه المرافق وحباً بالوصول اليها على اكل وجودها يحكمون هذه المملكة الشاسعة الاطراف الوسيعة الجوانب ويدبرون امورها .

ربما ساغ للانكليز ان يقولوا انهم عمرووا البلاد وحسنوا حالها بأبناء الطرق ومد الخطوط الحديدية واسلاك البرق واصلاح الري وسقيا الارض وفتح ابواب الصناعات وبذل العناية في حفظ الصحة العامة ودرء اسباب الجماعات وتخفيف وبلائها . ولكن هذه المواد النافعة لم تأت الا من طريق العرض وهي منبعثة من المنافع الكبيرة والفوائد

العظمى التي خص الانكليز بها انفسهم دون سواهم فهي ناشئة من حاجتهم اليها لاجل استثمار البلاد واخذ نتاجها وغلتها . . .

وقصارى القول : ان الانكليز لم يحكموا بلاد الهند من اجل عيون الهنود الكحلأ ولنفعة الهنديين بل رغبة في مصلحة الانكليز وحدها . . .

وما من احد في الغرب يلوم الانكليز على صنعها هذا . ولكن اليس من البديهي ان يصبح اهل الهند غير راضين عن هذه الحالة .

يقول الهنود : لا يعمل الانكليز الا لانفسهم .

ويجبهم الانكليز : بانهم يعملون لانفسهم وفي عملهم هذا ينفعون البلاد الهندية .
فهنأ فرق دقيق لا يخفى على الناقد البصير .

وان الهنود الدارسين في أوروبا يعلمون هذا الفرق ويدركونه وهم لا ينفكون من الفات انظار ابناء وطنهم اليه مشوباً بالاعظام والمباغة . رأى الهنود المتعلمون وعرفوا ماذا حدث وجرى في جزيرة ايرلندا ورأوا وعرفوا ماذا حدث وجرى في المالك الاخرى فأقندوا بهم ونسجوا على منوالهم وحذوا حذوهم وقلدوا ايرلانديين والاجتماعيين والعلميين (سوسيا ليست وأفا رشيست) في اعمالهم . . .

خذ مثلاً لذلك حادثة عليبور سنة ١٩٠٨ وحادثة لوندرا سنة ١٩٠٩ (وهي ان دنكرا الهندي قتل السير كرزون وبلي والدكتور لانقا سنة ١٩٠٩) وغيرهما . . .
فالمتهيجون والكتاب والصحافيون من الهنود الذين يعرفون قوة الجرائد والمطبوعات وتأثيرها فتحوا باب حرب دائمة على صحائف الجرائد ضد الانكليز بدعوى الناس فيها الى طلب الاستقلال في الادارة (أوتونومي وبالهندية سوراجا) ويشوقونهم لمقاطعة البضائع الانكليزية (بـ بـ كوتاج وبالهندية سوادشي) كما صنع ايرلانديون في جزيرتهم .

واضافوا على ذلك عمل الفوضويين اي القتل والفنك الذريع والثأ القنابل والاجزاء المفرقة والمواد النارية المنفجرة .

وهذا هو البلاء ! فكيف السبيل للوقوف امام تيار الهائل ؟

لم تعتمد الحكومة الانكليزية حتى الآن الا الى طرفين : الاولى العزم والرصانة .
الثانية : ارضاء الطبقات العليا التي لها التأثير في الهنود بشيء من المنافع والمناصب وم البراهمة الذين يلتصق بهم عامة الدارسين من الهنديين الذين نشأوا نشأة افريقية .

وربما وجد بين هؤلاء من هو راض عن الانكليز وحكم الانكليز . بيد انهم قليلون جداً لا يتعدون الطبقة التي تولت مناصب الحكومة ونالت رواتب كافية .

اما جيش الكتاب الصحفيين العرمرم ، جيش الناقمين الحاققن ، جيش المعلمين الذين لم يحصلوا على مراكز في الحكومة فأنهم يؤثرون في افكار الناس جميعاً من طريق الكتابة والخطابة .

يصعب الحكم على مبلغ تأثير هؤلاء المتحمسين الى اين يصل وماذا حصل منه . ومعلوم ان التأثير عظيم جداً لاسيما في بنجاب وبنغاله وغيرهما من الاقطار ومما يساعد على امتداد سلطة الانكليز في الهند انقسام الهنديين الى طبقات متخالفات (كاست . Caste) وهذه الطبقات لارابطة بينها ولا ترغب في ان يكون لها رابطة .

ولا يوجد في الهند ما يقال له امة هندية . وليس بين سكان الممالك الهندية رابطة مشتركة سوى بعض الانكليز وهذه الرابطة عبارة عن شعور سابي لا يفيد في شيء ان لم يكن مشفوعاً بشعور ايجابي كحب الوطن والاشتراك في اللغة وفي الافكار . فهذا لا اثر له في الهند . او لم يوجد بعد . ويختلف الهنود بعضهم عن بعض كما يختلف سكان البلاد المتفرقة في اوربا .

ثم ان العنصر الاسلامي في الهند راض عن حكومة الانكليز لانه هو ايضا اجني . ومن الحق ان المسلمين في الهند ليسوا سوى ستين مليوناً من ثلثائة مليون الهنود يعضون المسلمين بقدر بغضهم للافرنج تتريباً وزد على ذلك فان مسلمي الهند شعروا من الذكاء والميل للتعليم الذي عرف به الهنود .

فينتج من ذلك ان الحالة في الهند وفي بعض اياتها (كبنجاب وبنغاله وغيرهما . . .) ليست على خير وان كان لا ينبغي اعطائها والمبالغة فيها لان وجود الطبقات المتخالفات في درجات الاجتماع واختلاف الاسباس والاديان يحول دون ثورة عامة على الانكليز . وانكثرا لا تخشى الا من ان تشور الهند مدفوعة من احدى الدول العظمى او مستندة عليها . خطر الثورة في الهند قليل جداً بالنسبة للثورة التي حدثت قبل اثني عشرة سنة ولكن المركز خرج على كل حال .

عن نهر الذهب : عبد الوهاب



آفة الاخبار

مسألة تصحيح السند في الاخبار من المسائل المعول عليها كثيراً في الاسلام حتى عد ذلك من خصائصه وبه حفظت السنة بحالها وطرحت منها الزوائد ولم يبق مجال للوضايع والقصاصين على شدة احتياهم في بث ما اخترعوه ووضعوه ولاجل هذا الغرض ألفت المصنفات الكثيرة في الطبقات ليعرف كل امريء بترجمته فلا يغتر انسان بقوله مها بلغ من زخرفه : فمن طبقات للمفسرين واخرى للمحدثين واخرى للفقهاء وغيرها للمؤرخين وغيرها للنحويين والحكماء والادباء والفلاسفة والاطباء لتظهر على الدهر صفات من انتسب لعلم او ضرب في المعارف بسهم

ولذلك كان من السهل التمييز بين اقوال المؤلفين على عهد رواج بضاعة العلوم في هذه الديار ايام كانت ملكة النقد ترجع الى قواعد مقررة وضوابط محجرة فلا يفترا الخاصة بنقل نقله مؤلف هو في الحقيقة من العامة بمجرد ما يروى مكتوباً على الورق منشوراً في سفر مجلد .

ولقد كان ولا يزال بعض من يعاون صناعة التأليف يسقطون الحين بعد الآخر في مسائل فيخطون فيها على الاغلب ومنشأ ذلك على ما يعرف المحققون عدم تصحيح السند والنقل واخذ القول على عواهنه بدون تمييز حتى لم تكد تخلو كتابة الكثيرين من المفامز يتبين منها عوارها ويتجلى ضعفها .

مثال ذلك اختلاف بعضهم في امر الخلفاء وما كانوا عليه من المنازع والاخلاق فكان بعضهم يقدح في سيرتهم حتى يسقطوهم كل الاسقاط وبعضهم يرفعونهم حتى يبلغوا بهم مراتب الملائكة وكلا الامرين افراط وتفریط . فقد رأينا بعض الوضاعين وارباب الجون اتهموا بعض بني العباس كالرشيد والمأمون مثلاً بالتبذل والامتثال في الخلاعة ولم نرمؤرخاً واحداً من ثقات المؤرخين صحح هذه الاخبار فكان مدون تلك المرات يحاول الصاقها بخصمه لغرض سياسي او ان يتقلها بعض ارباب المقالات والاهواء — واكثرها نتأت ايضاً من نزغات سياسية — ويقصد منها غرضاً من الاغراض او يغتر بها الابله وما اكثر الابله في المؤلفين . ومن الحكايات المدخولة الاغراض المنيه بها مارواه بعض لم يصححوا النقل في السبب الذي حمل الرشيد على نكبة البرامكة من قصة العباسة اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وانه لكلفه

بمكانهما من معافرتهم واياهما الخمر اذن لها في عقد النكاح دون الخلوة وان العباسية تحملت عليه في التماس الخلوة لما شغفها من حبه فحملت ووثنى بذلك للرشيدي فغضب ونكس البرامكة

وقد رد ابن خلدون على هذه التهمة الشنعاء احسن رد معقول فدفع هذه الفرية عن ابنة خليفة واخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحة الرسول قربة من عهد البداوة وسذاجة الدين وما هذه التهمة الا مما وضعه الوضعون بقصدون التوصل منه الى النيل من اولئك الخلفاء بهذه الطرق السافلة واغراء الناس على اتيان المنكرات ليقول العامة اذا كان مثل الرشيدي يعاقب الخمر ويقدر في مروءته في مسألة تزويج اخته فالى بنا ان لانتشد في قيود الدين والآداب ونحن يسعنا ما يسعهم وقد قال الطبري وهو من ثقات المؤرخين والمحدثين ان الرشيدي كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً . اما الشراب الذي يرمى بنو العباس يتناوله فكانت عصير التمر وقد افنى بحله الفقهاء .

وانا اذا اتمدنا في اخبارنا على مثل كتاب اعلام الناس ونزهة المجالس وشمس المعارف وغيرها من كتب الموضوعات واعتقدنا صحة اقوال بعض ارباب الاهواء من المؤرخين لا يكاد يبق لنا بقية يعتد بها من الخلفاء والائمة ما كانت الامة بهم تبقى الى اليوم محافظة بعض الشيء على آدابها واخلاقها . ومن ذلك ما وقع مؤخراً لصاحب مقالة تعليم النساء^(١) فنقل ما قاله الادباء واكثرهم من المخالفين لبني العباس في مذهبه الديني والسياسي — في عليّة حفيذة المنصور و بنت المهدي واخت موسى الهادي وايراهيم ابن المهدي والرشيدي والعباسية واسماء وعمّة الامين والمأمون والمعتمد وانها كانت تشب بـغلامين طل ورشا وان الرشيدي لما آتس منها ميلا الى طل وهبها اياه وقبل رأسها وقال لها لست امنعك بعد اليوم من شيء تريدينه !

ولئن رجح الكتاب الرواية الثانية لما عرف من انفة الرشيدي وغيرته ولكنه كان عليه طرح هذه الرواية المدخولة لادنى نظر قياساً على نظائرها مما روي عن ارباب الخلاعة من الماجنين من الشعراء والوضاعين من اهل الاهواء ممن يريدون الاعتذار عن سيئاتهم باتهام العظماء بهذه التهم الشنعاء ليكون الناس في الخزي والبذاء كاسنان

المشط في الاستواء ولطالما ود صاحب الكبائر لو كان الناس كلهم شركاء هم فيما يقتربون .

وانا اذا وضعنا هذه الرواية على محك الروية لتجلى لنا لاول نظر بانها لاتصدر عن عامة الناس في عصر الرشيد والمأمون وناهيك به من عصر بلغ الغاية في الآداب والعلم والصيانة فكيف يعقل صدور ذلك من خليفة وابنة خليفة واخت خليفة ولو وجد عقلاء عصره ورجال دولته اقل نقد عليه لما سكثوا عنه ولو اغمضوا عيونهم لما خفي امره على الطالبين القائمين بالدعوة الى اهل البيت وهل احسن لهم ذريعة في اسقاط الرشيد والمأمون من نسبتهم الى امور لو ثبت اقلها لكانت نقصيهما عن منصب الخلافة ولو كان اهل الارض ظهراءهما

ان اخلاق السوقه تأبى لعمر الحق الرضى بما نقله اهل المجون عن الرشيد وسماحه لاخته بمشوقها وقوله لها انه لا يصدقها عن اتيان ما تريد اذا كان فيه هوى نفسها ! وان نسبة تلك الاشعار في النسب والتشبيب الى امرأة كعلية من فضليات النساء لا يرضى به السوقه ودع عنك الخلفاء بعد الذي علمناه من ان العرب كانوا يقتلون من بناتهم من تشبب وتفحش في غزلها فكيف بعد هذا نثق برواية القيرواني في علية وهو أموي والاصفهاني وهو علوي ومعاداة العلويين والامويين ابني العباس معلومة مشهورة وميل الادباء والموسيقين للاغراب لادهاش الناس معروف موصوف ومتى كانت تؤخذ حقيقة علمية من اديب او فضيلة اخلاقية عن شاعر .

وعندنا ان كل ما اتهم به الوضاعون واهل الخلاعة بعض الخلفاء الاول من بني العباس انما اتى من تكتم العباسيين في اسرار دولتهم ولانهم اعطوا الامة حرية امننت فيها فلم ير بعض اردباء الفطرة اقرب الى العبث بعقول العامة من نشر تلك الموضوعات والمجونيات بين العامة والخاصة كما اشاعوا سوء القالة عن العباسية وعالية الناس اميل الى التستر منهم الى الخير وإلى كسر القيود أكثر من الاحتفاظ بها وإلى اقصيص المزل واساطير اللهو أكثر من روايات الجلد وتلقف الحقائق . وكل شيء يحتاج الى تمحيص وحاجتنا اليه في التأليف والمؤلفين أكثر حتى لا نعثر بكل قول ولا نصحح كل نقل

قانون حق التأليف

المادة الاولى — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلمية حق لصاحبها يسمى « حق التأليف » .

المادة الثانية — النتائج الفكرية والقلمية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهياكل والخطط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والتراجم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة — ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والاتجار بها وترجمتها للسان آخر او افرانها لرواية تميلية ويشمل الدروس والمواظع والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتربية او الفكاهة . اما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جمع خطب خطيب او دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقته اذا كانت مقيدة بعبارة مثل « حقها محفوظ » « ونشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها » فحقها محفوظ . ولكن المقالات والرسوم والابحار اليومية غير المتيدة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التأليف علي شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة — لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل احد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

المادة السادسة — يعود حق التأليف للمؤلف في حياته وبعده وفاته يعود اولاد اولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانيا لا بانه وامهاته . ثالثا للاحفاده بالتساوي . وعليه لا يجوز طبع ونشر هذه المؤلفات او ترجمتها لسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها او ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة

هو ثنائي عشرة سنة اما حق التأليف في الترانييم والتواقيع الموسيقية فهو كالكاتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) .

المادة الثامنة — ليس في القوانين والنظامات والاوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يعلقون عليها ويشرحونها حتى محفوظ في هذه التعاليق والشروح .

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المحرر تبشدي اعتباراً من تاريخ نشرها .

المادة العاشرة — لا يجوز تمثيل رواية منشورة او منظومة او تمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولا يتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المنشورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لا مقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف

المادة الثانية عشرة — يجوز اخذ بعض القطع من اي اثر كان لضرورة او لفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصوصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف .

المادة الثالثة عشرة — لا تنشر المكاتب الابرخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حياً او من عائلته اذا كان متوفى .

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد او اكثر ضمن احكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتباراً من وفاة المترجم .

المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات .

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقالة فحق التأليف او الترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادة من الاقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتباراً من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقالة مخصصة بين الشركاء فيجري حكم المقالة تماماً واذا حدث خلاف ما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — إذا لم يبق لكتاب صاحب ما كائن توفي مؤلفه بلا وارث او انقطعت الوراثة او حدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك التأليف وترجمته .
المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل احد ان يطبع المؤلفات المطبوعة قبلا والتي لا صاحب لها وفقاً للمادة السابقة واما الذين يودون طبع مصنف لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خميس عشرة سنة .
وحيث لا يجوز لغير صاحب الامتياز او ورثته طبع هذا الكتاب في خلال هذه المدة وانما اذا لم يباشر طبع المؤلف في مدة سنة او عطل سنة بعد مباشرة طبعه فيبعد الامتياز كأن لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — اذا نفدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعتمدة التي يرجى منها فائدة للانس ولم يتيسر طبعه لسبب من الاسباب كفقر ورثة المؤلف او اهمالهم او عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة .

المادة العشرون — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة وللمديرية المعارف في الخارج وبقيده و يسجلوه ليحفظوا بذلك حق تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الصورة واحدة كالالواح والتماثيل والتعاليق (الانواط او المدايات) فهي مستثناة من هذه المعاملة .

المادة الحادية والعشرون — يقيد في الدفتر المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها لحق التأليف ماهية المؤلف واسم كتابه وموضوعه وتاريخه ومحل طبعه وعدد صفحاته ويوضع لهرم بالترتيب وبعدها يوقع عليه من صاحب الكتاب او وكيله الرسمي .
المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ايرة عثمانية فقط خرجاً للقيد والتسجيل ويعطى بمقابله من قبل نظارة المعارف او مديرياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للتصرف يكون معمولاً به الى ان يثبت عكسه بالحكمة .

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقفة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها .

المادة الرابعة والعشرون — لاتسمع دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها .
تعلق في آخر السنة الكتب التي قيدت وسجلت في غضون السنة واسماء مؤلفيها رسمياً بواسطة الجرائد .

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الاثر او المترجم او صاحب الامتياز او ورثتهم ان يبيعوا او يتركوا في خلال المدة التنظيمية حق التأليف او الامتياز تماما او موقتا لمو بتعيين عدد النسخ لاخر بموجب مقابلة بمقابل بدل او بلا بدل ويكون المشتري له الاخذ حينئذ قائما مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل اكمال المدة تعد ورثته متصرفه في المدة الباقية .

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقابلة البيع او الترك في نظارة المعارف في الاستانة وفي مديرياتها في الخارج ويؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيد ولدى ايراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف الخرج المذكور جزاء ويرسل الى صندوق المعارف .

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون بائعين حق تأليفهم اذا لم يوجد مقابلة خصوصية .

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغييرا ما في الكتاب بدون اذن المحرر واذا اجري ذلك منع نشر الكتاب بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر .

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثيله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه بعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منشورة او منظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية او استنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالخطوط غير اف او بوسائط اخرى واعمال قوالب للآثار القلمية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلاكات) هو بحكم التقليد مجازي المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين .

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النفيسية لغير اصحابها بعد انتقالا وكذلك من قدم واخر عبارات كتابا وانا شيد موسيقية او حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واسندها لنفسه بعد بحكم الانتقال .

المادة الحادية والثلاثون — الانتقادات والشرح والجواشي لا تعد انتقالا وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وفقرات من كتاب آخر لمصنفه ونوم بأنه اخذه من محل آخر لا يكون منتحلا .

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الكتب التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها او توسط بطبعها او مثل رواية منشورة او منظومة يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا ويحبس من اسبوع الى شهرين وتضبط منه الاسفار التي طبعها وتعطى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه المصنفات في الخارج ومن ادخلها الى الممالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها او يعرضونها للبيع يغرمون بخمسة ليرات عثمانية الى خمسة وعشرين ليرة جزاء نقديا .

المادة الثالثة والثلاثون — اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الكتاب المتضرر يعطى بجهتها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى .

المادة الرابعة والثلاثون — بعامل الطابعون الذين يطبعون كتباً زيادة عن المقابلة التي عقدوها مع المؤلفات معاملتهم الذين خانوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها ويؤخذ منهم بدل ما باعوه منها ويعطى كل ذلك لصاحب الكتاب .

المادة الخامسة والثلاثون — تطبق احكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين على المنتحلين ايضا .

المادة السادسة والثلاثون — لاصحاب الكتاب المشترك ان يراجعوا المحكمة على الانفراد ويطالبوا بالضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التصرفية من قبل الغير .

المادة السابعة والثلاثون — لا يجوز للدانين حجز كتب المؤلف التي لم تطبع واذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتنى كثيرا بعرضها للبيع ووقاية اصحابها من الغدر .

المادة الثامنة والثلاثون — النظام المعمول بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ١٢٨٩ و ٣٠ آب سنة ١٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات المذيلة عليه .

المادة التاسعة والثلاثون — على من طبعوا اثرأ قبل هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحب او ورثته مراجعة صاحبه او ورثته واستمصال رضاهم واذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى اصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون .

المادة الاربعون — ان تنفيذ الاحكام القانونية على الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة على شكاية شخصية .

المادة الحادية والاربعون — ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء او
بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه
المادة الثانية والاربعون — ناظر المعارف والعدلية مأ موران باجراء هذا القانون •
في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ وفي ٦ آذار سنة ١٣٢٦



عبث المشيب

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا هل للنساء بمصر من انصار
يامعشر الكتاب اين بلاؤكم اين البيان وصائب الافكار
أيهمكم عبث وليس بهمكم بنيان اخلاق بغير جدار
عندي على ضيم الحرائر بينكم نبأ يثير ضمائر الاحرار
مما رأيت وما علمت مسافراً والعلم بعض فوائد الاسفار
فيه مجال للكلام ومذهب لبراع (باحثة) (وست الدار^(١))

كثرت على دار السعادة زمرة من مصر اهل مزارع ويسار
يتزوجون على نساء تحتمهم لا صاحبات بغى ولا بشرار
شاطرهم نعم الصبا وسقينهم دهرأ بكأس للسرور عقار
الوالدات بنينهم وبناتهم الحائطات العرض كالاسوار
الصابرات لضرة ومضرة المحييات الليل بالاذكار

من كل ذي سبعين بكم شبيه والشيب في فوديه ضوء نهار
يأبى له في الشيب غير سفاهة قلب صغير الهم والاورطار
ماحله عطف ولا رفق ولا برئ لاهل او هوى لديار
كم ناهد في اللاعبات صغيرة أهته عن حقد بمصر صفار
مهاغدا او راح في جولانه دفعته خاطبة الى سمسار

(١) هما كاتبان مصريان تكتبان في الصحف المصرية مقالات وحواراً في النساء

شغل المشايخ بالمتاب وشغله
 في كل عام همه في طفلة
 يرشو عليها الوالدين ثلاثة
 المال حل كل غير محل
 سحر القلوب قرب ام قلبها
 دفعت بنيتها لاشأم مضجع
 وتعلت بالشرع قلت كذبه
 مازوجت تلك الفتاة وانما
 بعض الزواج مذم ما بالزنا
 فقتت لم أر في الزواج كفاءة

أسفي على تلك العامن كلما
 ان الحجاب على (فروق) جنة
 وعلى وجوه كالأهلة روعت
 وعلى الدوائب وهي مسك خولطت
 وعلى الشفاه المخيمات أمانها
 وعلى المجالس فوق كل خميلة
 تدنو الزوارق منه تنزل جو ذراً
 يرفلن في أزر الحرير تنوعت
 الطاهرات للحظاء مثال المهى
 الرائعات اللاعبات أو انسا
 الدهر فرق شملهن فمر به

نقلت من (اليالي^(١)) الى الدوار
 وحجاب مصرور يفها من نار
 بعد السفور بيرقع وخمار
 عند العناق بمثل ذوب القار
 ربح الشيوخ بهب في الاستحار
 بين الجبال وشاطيء مجار
 بقلادة او شادناً بسوار
 ألوانه كالزهر في آذار
 الناطقات الخرس كالآوتار
 برني (بيوكدره) وشاطيء (صاري)^(٢)
 يارب تجمعهم يد المقدار

مصر احمد شوقي

(١) اليالي لفظة تركية معناه المصيف على شاطيء البحر (٢) «بيوك دره» اي الوادي الاعظم و«صاري ير» اي الارض الصفراء من متنزهات الاستانة على الخليج

الابر

كثيراً ما قد نألف كتاب دائرة المعارف العربية للبستاني عن بعض أمم الشرق واديانها فلم نجد بطائل . ومن جملة هذه الاجيال « الأبر » فلا نجد لم ذكر في هذا الكتاب . مع ان جغرافي العرب ذكروهم في مؤلفاتهم وان لم يذكروا لنا التفاصيل التي نتطال الي معرفتها . فقد جاء في كتاب ابن الفقيه المسمى بكتاب البلدان ص ٨٣ من طبعة دي كوي مانصه : « وبرجان وبلدان الصقالب والأبر شمالي الاندلس » وقد نقل هذه العبارة بعينها وحرفها ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك . وقال ابن رسته في الاعلاق النيسة ص ٩٨ عن بلاد هؤلاء الاقوام مانصه : « واماماوراء هذه الاقاليم (الاقاليم السبعة) الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدي من المشرق من بلاد ياجوج ثم يمر على بلاد التغرغر وارض الترك ثم على بلاد اللان ثم على الابري ثم على برجان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب » اه بحرفه وقال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف ص ٣٢ « وحد الاقليم الخامس بحر السنام الى اقصى ارض الروم مما يلي البحر الى تراقية وبلال برجان والصقالبة والابر الى حد ارض ياجوج وما جوع الى حد الاقليم الرابع مما يلي نصيبين اطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة » اه . وفي موضع آخر ص ١٨٤ من كتاب المسعودي المذكور ذكر الابري من سكان بلاد تجاور جبل القبق (قوقاس او قفاسية) قال : « وقرب من هذا الجبل من الامم كاللان والسريبر والحزر . . . والابر وبرجان والروس والبرغر . . . » وذكرهم مرة ثالثة في ص ١٩١ قال : « ومن جاورهم (اي الروم) من الممالك من برجان والابر والبرغر والصقالبة والحزر وغيرهم . »

ولم نجد لم ذكر في سائر كتب مؤرخي العرب وواصي البلدان منهم فلا الطبري ذكرهم ولا ابن الاثير ولا ابن خلدون ولا غيرهم من كبار المؤرخين . ومن بعد ان بحثنا عنهم وجدناهم انهم هم الذين يسميهم الانج *Les Avares* . وبنينا لخص عنهم ما كتبوه اتماماً للفائدة وسداً للثلمة الموجودة في كتبنا التاريخية والجغرافية .

الابر جيل من الناس مذأوه في بلاد التتروهم فروع من فروع قبيلة الهونة . وكانوا قد ضربوا خيامهم بعد ان هجروا بلادهم الاصلية في نواحي جبال الالطائي . ثم طرأت

عليهم طارئة من الصينيين سنة ٥٥٢ م فطردتهم من مقرهم وافقت جماعات منهم . ومن نجا منهم فزعوا الى جهات بلاد اوربا فقطعوا نهري الاثل والدون سنة ٥٥٧ ثم خيموا بعد برهة على شطوط الطونة . وماتوا ان نأوا أو ملوك الروم وقباصرتهم ونشوا منهم سنة ٥٨٢ داقية وفنوية ومن هناك انتشروا ولا انتشار الجراد في بلاد جرمانية في شمالي الطونة حتى بلغوا ايطاليا . واول ما خضدت شوكتهم كانت سنة ٦٢٦ تحت أسوار القسطنطينية فان هرقل الملك كسر شيخهم « بيان » وكان حليفاً لكسرى . ثم دوخهم كل التدويخ شرلمان من سنة ٧٩١ الى سنة ٧٩٩ وحينئذ دانوا بالنصرانية . وكان الابر طويلى النجاد محبين للحروب وقد اشتهروا بالكر والنكر والخدعة في الفر والكر . واما مساكنهم فانهم لم يأووا الى غير الخيم والمضارب . ولم يعرفوا من المدن الا الاحوية جمع حواء وهي جماعة بيوت الوبر المندانية وكانوا يقيمون على هيئة دوائر عظيمة وتسمى عندهم « رنك » اي جمع حلقة لاستدارتها . وكان يسمى شيخهم باسم « الخان او الخاقان »

اما حدود بلاد الابر فقد اختلفت باختلاف العصور ففي عهد معظم انتشارها اي من سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٣٠ كانت مملكتهم تشمل فلوات شمالي الطونة من لوزاقا الى ماوراء الدون . وعند افول شمس القرن السابع للمسيح تقلصت حواشيها حتى كان في شمالي بلادهم وغربها ديار اللاه والوند والجليك (اي بلاد بولونية وسيلسية وبرندبرج وبوهيمية على التسمية الحديثة في عهدنا هذا) وفي شرقها كان الخزر وكان موطنهم يومئذ بين البوك ودينير .

وبعد ان خرب شرلمان ديارهم سنة ٧٩٩ لم يبق منها الا الصقع الغربي بين نهري « التيس والان » وهذا ايضا جعله مقاطعة لدولة الافرنك باسم « أبرية » واما ما بقي من تلك الربوع فقد احتلها المجر اي الهنكاريون . وفي بلاد الجركس في عهدنا هذا بقية من الابر تقيم على منحدر كوه قاف الشمالي بين الاكسائي وشرداغ وبلغ عدد بيوتهم اليوم ١٢٠٠٠ وكلهم يدينون لخان كبير خاص بهم . ومعشيتهم من الصيد والغزو والنهب والسلب . وهم يرجعون في الحكم الى قيصر روسية . — هذا ما اردنا ايضا حه وفوق كل ذي علم عليم

بغداد : سانسنا

نظرة في النظرات

أخرج هذا الكتاب للناس في هذا العهد والامة في براز دائم بين القديم والحديث يريد بها الاول على البقاء على الرثيث من تالدها وما ورثته بحكم الطبع أو التطبع ويضطرها الثاني إلى التجرد عما يأخذ بخلافها من العادات والتقاليد المتبعة التي أخنى عليها الدهر والاخذ بالجديد المفيد المنطبق على حاجات العصر اليوم .

وها نحن اولاء نرى بين علماء الدين في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن من يتساءلون عما إذا كان تعليم العلوم المادية الطبيعية والنوفر على دراستها حراماً أو حلالاً بيننا نرى بعض المفكرين من الباحثين العالمين يشهرون على اولئك حرباً عواناً تدير رحاها الافلام مصرحين انهم لا يدينون بسوى القوة والمادة اللتين هما من مظاهر الطبيعة ويضربون بكل علم عرض الحائط اذا لم يكن من العلوم المادية الطبيعية أو منطبقاً على نوااميسها الصحيحة أو موصلاً إليها متمماً لها ففريق يبالغ في اعظام الخيال ويغالي في البحث فيما وراء المادة وفريق لا يعرف غير الحقيقة المادية مذهبا .

ألا وان هذا البراز الحيوي لم يكن مقصوداً على العلم فقط بل تناول عامة شؤون الحياة وفروع الفنون الاخرى فكان للأدب النصيب الاوفر منه فاننا مازلنا ولا تزال نرى بعضهم لا يرى للشعر من المكانة العالية الا اذا كان قائلة كاللها زهير وابن معنوق والشاب الظريف ويحسبون أن الكلام الطريف هو ما جاء في « ربحانة الادب » وأشبابها غير معتدين بما عداها من الكتب الممعة مثل « نهج البلاغة » و « الدرر اليتيمة » و « كليله ودمته » وما جرى على أسلالت السنة الشعراء المتقدمين كالسري الرفضي والمتنبي والمري وغيرهم من المتأخرين من جمعوا إلى التراكيب العربية الفصيحة الافكار الغريبة الصحيحة كما انهم لا يعدونها شيئاً مذكوراً .

في كل حركة تقوم بين ظهراني هذه الامة المبسطة ظلالها في هذه المملكة المتناثية الاطراف نشهد مثالا مجسماً من مبلغ تأثير تنازع البقاء ونقرأ فيه التجرد نقياً لا يشوبه شوب القديم فنستدل منه على تقدم الامة في أفكارها وآرائها وأن ما يناله القائمون بالتجديد من خصومهم الاعداء اللدائء المكابرين لا بد من وقوعه مادامت الامة جاهلة خاملة وما دام من كتب لم العلم والنباهة أفذاذ لا يزال تأثيرهم من الضؤول والحوول بحيث يتراجع لافل ربح نصف .

وبعد فلا بدع إذا بودي الاستاذ المنفلوطي صاحب هذا الكتاب لاول وهلة بما ناله من معارضة من بذاعة اللسان والتسفيه في القول مانجمله عنه لانها سنة في المحددين منذ القديم . فهذا غمناف فلوير الكاتب الفرنسي المعروف كان يحققره معاصروه ويهزؤون بكتاباتاته وآرائه حتى يحمله ذلك على البكاء كالأطفال الصغار ويشرع يخاطب زملاءه زولا وكونكور ودوده بقوله : « بركم أثبتوني لم تمل هذه المؤلفات الاستحسان الذي أنطلبه » فتأخذهم رعدة الكتابة والحزن فيكون جميعاً — هذا الرجل الذي كان في عصره بهذه المثابة ولم يكتب لاثاره أن يرتاح لها الرأي العام أصبح القوم اليوم يعبدونها ويمجدونها ويسبحون بحمدها .

امامي الآن هذا الكتاب انظر إلى الصفحة الاخيرة منه بعد ان كنت قرأت معظم فصوله في الصحف وكانت نظري اليه في المرة الثانية ومقالاته مجموعة في سفر خاص غيرها في الاولى . اذ كنت أطالعها وانا أعلق عليه في مفكري بعض ما أخذت به منشئ ورأيت مما يجدر ان ينبه عليه مثله على اني قرأت ما كتب عليه في الجرائد والمجلات فأذا به لايل غليلا ولا يغني قليلا بما دل على ان باب « التقيظ والانتقاد » لم يفتح عندنا كل الفتح ونخشى ان طال علينا الامد ان يصيبه ما اصاب باب « الاجتهاد » .

وقد افردت لكل من « أسلوبه » و « موضوع » و « آرائه » و « لغته » و « وصفه » بحثاً خاصاً سأتكلم على كل واحد منه على حدة واقفيه بالاماع الى شذرة من « روح المؤلف » ، وذلك بتدري ما كنتني الفرصة من القيام به وهداني اليه البحث والنظر .

أسلوبه

مما كتبه « المنفلوطي » في مؤلفه هذا قصص حمة كانت هي الباعثة لي على الخوض في غمار هذا الموضوع ولذا فأنا انظر اليه في هذا البحث نظري الى قصصي أريد ان أبين طريقتة في الانشاء وأحاول ان اردّها الى مذهب خاص مما نشأه ادباء الماربة في تاريخ آدابهم . اذ لكل كتاب ادبي قصصي اسلوب خاص ينهج فيه مؤلفه المنهج الذي يراه انه اتمتع وانفع ووافق طبعه في الغالب او يتبع في ذلك سنة الارثقاء :

قامت في اوربا مذاهب شتى ^(١) في الادب القصصي منذ القرن السابع عشر حتى اليوم وكلها حلقات من سلسلة تاريخ الآداب عند الزيبين . فمن هذه المذاهب مذهب

(١) معرب عن فصول من كتاب « المصنفون والمصنفات »

يرى زعماءه ان الغاية من الصناعة هو اصلاح الانسان وتعزيبه لتخفيف آلامه عند حلول المصائب والنواب . فنجدهم يضعون قلوبهم وافكارهم في كتبهم بدعوى انهم بتأثراتهم هذه تنور ثائرة القراء . وان ذوق كاتب القصة الشخصي ليمثل في تضاعيف كتابه قراءه يخلق اشخاص الوقائع ليصف شعوره الذاتي وشوقه المبرح به نابذاً العناية بث العواطف في ابطال الرواية ظهرياً . من اجل هذا ندر ما استفاد التاريخ وعلم الاجتماع من امثال هذه المؤلفات .

وما يحملهم على ذلك الا مشيهم مع شعور القراء وتنزلم من عقول العامة لان هؤلاء اعتادوا ان يعيشوا مجردين عن الحقائق العادية وانهم ليشذرون من مطالعة صفحات حياة الانسان كما هي . ولذا كانت خطتهم في الروايات ان يجعلوا الوقائع والاشخاص على هيئة خيالية « *Ideal* » يوم كان يستفيض على الالسنه انه من اللازم اللازب الاختلاق في الروايات وكانت القصص السامية والاشعار الرقيقة الحافلة بالشعور ليس لها كلمة عالية . وقد سمي هذا المذهب

(*Idealisme* مذهب الفكرين)

وهناك مذهب آخر سمي في الانشاء بدعي « *Romantisme* — مذهب الخياليين » وهو كما عرفه ستاندال هوب : عبارة عن « صناعة تمثل نتائجها الادبية ما يلائم معتقدات الاقوام واطوارهم وعاداتهم في الحال الحاضرة مما بيعث في نفوسهم سروراً ونشاطاً » بل هو كما يقول النقاد الشهير بروتير : هو « ان لا يعرف الصانع سوى ذوقه وتهوساته وخيالاته قاعدة واصلا » بل كما قال اميل فاكي : « ان روح الرومانيزم الحقيقية هو الحذر من الحقيقة وان يكن لها الصانع في صدره موجدة ونفورا » قالوا : وهذا الحذر يتم باستسلام المفكرة للخيالة كل الاستسلام وليس في هذا المذهب مشاهدة ولا تحقيق ولا ترصد كما انه ليس ثمة معقول ولا محاكمة ولا منطق لان هؤلاء كلها امور تدين للحقيقة المادية — هذا هو اصل الرومانيزم .

ومن المذاهب التي نشأت وشاعت المذهب التاريخي الذي كان زعماءه يعنون بوضعه في الروايات التاريخية فيحرفون الحقائق التاريخية عن مواضعها وهم من اللزير والافتئات بحيث كانوا يطبقون قواهم الخيالة وعامة ما يخترعونه من الافكار على الوقائع والحادثات . فالنايخ عندهم كما قال اسكندر دومانيس « مسار يستعينون به على تنضيد الواهم » فليس لديهم من ثم فكرة سوى انهم يعملون على ادخال البشر والارنياس في نفس القاري . بيد ان لجمال

ما يفهم منه انه على غرارة وسذاجة بل الذي تبين انه كان صديق المؤلف وارتباطه بالصدقة بقضي بان يكون فيما احسب على غير ماذكر .

وفي مقالة عبدة الدهر دليل آخر على مذهب الخياليين وهو ذكره (صاحب القصر) بانه فاسد الاخلاق وإغفاله البحث في ان يذكر عن نشأته الاولى شيئاً نتبين منه ان بين جنبه نفساً ملوها الرذائل . وكان عليه ان يصف (بلالا) الخادم الذي جعله في موقف الحكم الحكيم وانه من المبادئ العالية ماهو كبت وكيت وان يذكر طرفاً من حق زوجته وتلفها على زوجها الذي كان يقضي الليالي الطوال وهو يداع ازواج المحارم بمثل ما بداعب غيره زوجته . وهذا نقص كبير وخطأ فادح في الاسلوب . ولكن المنفلوطي كما اسلفنا لم يهتم في الحقيقة اهتمامه الزائد في ان تكون قصته جامعة لجمال الاسلوب الخيالي الذي ضمنه حكماً بالغة وعواطف شريفة بدون ان يتبين المواقف التي يقف فيها الرجل الغر الغمر موقف المرشد الحكيم .

ومما يستدل فيه ايضاً على تنكبه جانب الحقيقة سؤال (صاحب القصر) (بلالاً) في اي ساعة نحن من ساعات الليل فاجابه في الساعة الاولى ثم ذكر المؤلف ان الخادم لم يصل من الحديث الى حد معين « حتى نصل خضاب الليل واشتعل المبيض في مسوده » على ان ذلك الحديث يذكر في بضع دقائق ليس الا . . .

هذا نموذج مما ذكره المنفلوطي من الفصول القصصية ومن تشريح اسلوبه يعلم انه احتذى مثال (الخياليين) في انتائهم . وكل من تتبع الحركة الادبية في المشرق يعلم انها مسوقة نحو الكمال بحكم ناموس « النشوء والارتقاء » وان كتاب المنفلوطي هذا هي احدى الحلقات من سلاسل الآداب التي لا يتم البحث بدونها .

وانا نودع باستقباله وماضيه من اسلوب جديد وتشبيه رائق واستعارات نغمة ذلك الاسلوب الخيالي المحض في كتاب « كليله ودمنة » وهو من تاريخ آداب المشرق بمثابة « لافونتين » من آداب المغرب كما ان غيوناودع بما عساه عبدالله بن المنفع كتاب « الف ليلة وليلة » واقاصيص « عنتره » الممزوجة بالابطال الخياليين : ما كان بها وبامثالها بدءاً من خضنتنا الادبية القصصية كما كانت « الايالة » باكورة نهضة الغرب في الآداب وفاتحة رقيهم وتقدمهم .

وجديرٌ بكبار ادبائنا العاملين وهم يرون الغرب كل يوم بخطو خطوات . واسعة نحو

الحقائق ان يقتفوا آثار مذهب الحقيقيين باطراحهم مذهب الخياليين جانباً وان يطيلوا الفكر والتدقيق فيستبدلوا الاحياء بالاموات ويستعضوا بالارواح عن الاشباح وكفى .

٢

موضوعه

قسم المنفلوطي كتابه الى عشرة فصول : (١) الرسائل العلمية (٢) الرسائل الادبية (٣) الرسائل الاخلاقية (٤) الرسائل الاجتماعية (٥) الرسائل السياسية (٦) الرسائل الدينية (٧) الدهريات (٨) النسيات (٩) الروايات (١٠) المراسلات . ويجب ان نذكر هنا قبل كل شيء ان المنفلوطي لم يحسن تبويب الكتاب فقد ذكر مقالة « افسدك قومك » في الرسائل « الاخلاقية » وكان الاولى ان تكون في « الرسائل الاجتماعية » كما انه ذكر مقالة « مدرسة الغرام » ^(١) وفي « سبيل الاحسان » ^(٢) في الثانية في حين يقتضي ان تكون من موضوعات الاولى . وانت اذا اردت ان تنزل هذا الكتاب المنزلة الخلق بها من حيث علاقته بالعلم والاجتماع والسياسة والاخلاق رأيت بضرب في الاخير منها بسهم وافر ويجري منه على عرق .

تقرأ روح الاخلاق في مقالة الكأس الاولى و « ابن الفضيلة » و « الغني والفقير » و « عبرة الدهر » و « مدينة السعادة » و « الرحمة » و « الصدق والكذب » و « الانصاف » وتراه ايضاً يتعرض للموضوعات الاجتماعية فلا يلم بالبحث فيها من عامة اطرافها على حين تتمدي درسا يسلب المرء فيه قراره لبسطة الناظر فيها على حقيقة ناصعة او علم جم او فكر جديد .

يدلك على هذا بحثه عن المحرم في مقالة « افسدك قومك » ^(٣) فانا لانكر عليه انه ذكر فيه ما يفهم منه انه يحمل الذنب على المجتمع البشري وعلى التربية الاولى وعلى القانون وعلى غير ذلك شأن كثيرين ممن قاموا اليوم في اوربا يحامون عن المجرمين ويعدونهم كالبائسين يستحقون الرحمة ويطلبون تعديل القانون الجائر لتخفيف ما ينزل بهم من الويل والنشور . ولو كان المنفلوطي من كتاب الحقائق لتوسع في هذا البحث وقرأ ما كتبه الاخبا في هذه المسألة لتتم الفائدة

ثبت مؤخراً بعد الفحص الطبي ^(٤) ان للجنة من نقص مدكاتهم المادية والادبية استعداداً لما يوقعوه من الجبايات منذ زمن مديد . وقد فخص « بنديكيت » احد

مشهورى اطباء فينا ادمعة كثيرين ممن يقتربون الجنايات الكبرى فوجدوها بأسرها مؤفة غير تامة التركيب ، وهذا الرجل بعد الجنون والجنابة صنوان . ويرى رأيه هذا الدكتور « بوردي » الفرنسي وقد بحث في ادمعة ستة وثلاثين جانباً حكم عليهم بالاعدام فرأى الناحية الجبهية مصابة والناحية الجدارية واسعة جداً . وهذا يدل على نقص القوة العاقلة والشعور والميل الى الخلق والنزق . وقد نظر « غاروفالو » احد مشاهير علماء الجزء في ايطاليا في الجناة فلم يجد واحداً منهم خلواً من امارات مادية وادبية تحكي الانسان الاول .

وما ظهر من الحقائق الجديدة من امثال هذا الاستقراء والاستقصاء هو موضوع الرأي العام في اوربا في شأن تنظيم الجزاء حتى نشأ عن هذه التجارب الطبية علم جديد يسمى « علم الجرائم البشرية - آتروبولوجي كريمةيل » وكان للابطاليين اليد الطولى في خدمة هذا الفن الجليل

نال المنفلوطي من المدنية الغربية في كلامه عليها مالا ارضاه ولا يرضاه له كل من درسها حتى دراستها وبحث فيها بحث العالم المتجرد عن المؤثرات دينية كانت او قومية لايبحث خطيب او اديب او شاعر او واعظ مرشد داع الى وطنية او اخلاق .

وردد في قوله هذا كلام ثلث من حملة الاقلام ممن لهم من اخلاقهم عصبية قومية او نعة شرقية وسواء عندي كان قولهم هذا بدافع الوطنية او الدعوة الى احياء آثار مجد لنا دثرت معالمها او الاحتفاظ بما ابقى انا آباءنا من تراث عاداتنا خشية ان يخالطها الضعف او تمزجها لوثة من لوثات الفساد فينشأ ناشئهم وقد انحل من وطنيته كما انحل من دينه وداخل الفساد اخلاقه كما اصاب عاده ومنازعه

واني اشارك في كل ماجاء في تلك المقالة الا في قوله : « ان دعوانا الى الحضارة فلنضرب لهم مثلاً بحضارة بغداد وقرطبة وثيبة وفينيقية لباريس وروم ، وسويسرا ونيويورك ، وان دعوانا الى مكرمة فلنسرد عليهم آيات الكتب المنزلة واقوال انبياء المشرق وكلماته لا آيات روسو وباكون ونيوتون وسبنسر ، وان دعوانا الى حرب في تاريخ خالد بن الوليد وسعد ابن ابي وقاص وموسى بن نصير وصلاح الدين ما يغنينا عن تاريخ نابوليون وولنجتون وواشنطن ونلسون وبلوش (بلوخ) ، وفي وقائع القادسية وافر بقية والحروب الصليبية ما يغنينا عن وقائع واترو وترافلغار واوسترليتز والسبعين » هذا ما كتبه المنفلوطي الى ابناء القرن العشرين من المشاركة وهو يريد ان يربوا

تربية مدنية عملية يصدون بها غارات الاجانب التي يشنونها عليهم من كل صوب وأوب وهذا هو السلاح الذي يحمل الشبيبة المصرية على ان يتسلحوا به ليقاتلوا اعداء الوطنية ويخرجوا من ديارهم من ابتزوا اموالهم وغابروهم على امرهم وكل يوم يربشونهم بسهام التعصب والطيش من الحكمة ان بدعو القائم بالاصلاح الى قومية او وطنية لكن بدون ان يزدريه مدينة الامم الاخرى الفاضة ويعمل على الحط منها وهم الذين بها وطدوا دعائم استقلالهم ورفعوا منار مجدهم وسوددهم

وما ادري كيف تقوم لنا نحن معشر المشاركة قائمة اذا اقتصرنا على ماورثناه من المناحي والمنازع واقبلنا على الاخذ بما لقاه لنا آباؤنا الاولون من الآثار فقط بدون ان نمن النظر في آداب رجال الغرب واخلاقهم وعاداتهم وتاريخهم وبالجملة نقف على سر تقدمهم ولا اعلم لاي غرض نغنى بارسال البعثات العلمية الى البلاد الاوربية وننادي على رؤوس الاشهاد ان هذا هو الذي يحقق لنا الامل في المستقبل اذا لم يكن المقصد منه درس تاريخ نابوليون وولجنتون وواشنطن ونيلسون وبلوخ ووقائع واترلو وترافلغار واوسترليتز والسبعين او ان نهل حتى نروى من آداب روسو وباكون وزولا والفريد دوموسه او لنتبطن اسرار فلسفة ديكرت وباكون ونيوتن وسبنسر وغيرهم .

ويجب ان لا يغرب عن الاذهان ان ما توفر لقواد المغاربة من الاسباب والوسائل في بيئتهم وبين بني جنسهم وما كان يجول في خواطرهم من الاماني التي كانت المصالح تدفعها للانبعاث الى حيز الوجود غير ما توفر لقواد المشاركة من العرب وغيرهم على اقتحام غمرات الردى في سبيل الدفاع عن الحى وهذا ما بدعو لاختلال التوازن في الدهاء السياسي في الفريقين بما يتدفع به من الحيل الحربية والدسائس في مثل هذه الاحوال للنظر في كتاب الغيب وقراءة مستقبل الامم فيه مما ينجم عنه ما نراه من الاختلاف في نتائج الحروب والمعارك نصراً كان او خذلانا

وسواء صححت نظرية من زعموا ان من دواعي سقوط الدولة العربية جهل الامة بتاريخ اليونان والرومان او لم تصح فان فيها حقيقة لا اخالها تخفى على امثال الاستاذ المنفلوطي . واذا اتخذنا هذه النظرية اصلاً جاز لنا ان نبشر مساعينا بالاختفاق والحبوط ونحكم على حياتنا الاجتماعية والسياسية بالانحلال والاختلال في مستقبل الايام اذا قادنا الجهل الى ان نغرق على انفسنا الوقوف على سر استبحار عمرانهم وانبساط ظلال مدنيته في طول البلاد وعرضها فنحرم من الامم تمتاع بما لهم وآدابهم .

ولو كان قوله هذا درساً يلقى على صغار العقول من الطلبة الاطفال ليطعمهم بطابع حب الوطن وينشأوا وهم يفادون في سبيله بالنفس والنفيس لما أخذ بقدر ما يؤخذ وهو في موقف ودع فيه — كما قال عن نفسه — « الخيال والشعر وداع من يعلم ان الامر اعظم شأنًا واجل خطراً من ان يعيث به العاث بامثال هذه الطرائف التي هي بالهزل اشبه منها بالجد والتي انما يلهو بها الكاتب في مواطن فراغه ولعبه لا في مواطن جدّه وعمله »

الا فليعلم الكاتب ان في الغربيين من العادات ما هو خليق بنا نحن الشرقيين ان نغضب به ونأخذ بالنافع الرافع منه والرجاء ان لا يظن باننا بما نكتبه الآن نخدع الامة عن نفسها او نفسد عليها شريقتها بتزبننا لها هذه المدنية تزيبنا يجمع الى استقلالها النفسي استقلالها الشخصي فاشد واهم الحق ما نكون محنفظين بعاداتنا العربية الشرقية وآدابنا ولكن ما نراه من تيار المدنية الغربية يريدنا على مجاراتها شئنا ام ايننا فان لم نعد لها عدتها ولم نسر معها جنباً الى جنب دحرنا وربما اوردتنا وارد الهلكة غير حافلة بنا ولا آسفة علينا .

وما انكره عليه ايضاً تعرضه في مقالة الحساب ^(١) لولي عقله واستاذه رجل الاسلام الشيخ محمد عبده ورجل المرأة قاسم بك امين . ولو اقتصر على ذكر (المحسن) وذلك الرجل الذي كان في حياته يتخذ في اعماله ما يسمونه (الحيل الشرعية) وذلك (القطب) الذي كان اكبر تاجر من تجار الدين — لو اقتصر على هوءلاء لكان احسن صنعا . وجل ماآخذ به الاول هو انه « فاجأ جبهة المسلمين بما لا يفهمون من المبادئ الدينية الصحيحة والاغراض الشريفة فأرادوا غير ما اراد وفهموا غير ما فهم . وهذا مادعا الى الحادهم (!) ومروهم من الدين (!) بعد ان كانوا مخرفين وانه اول لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى اولوا الملك والسيطان والجنة وبين لهم حكم العبادات واسرارها وبعفه لهم وأبهم في الاخذ بقشورها دون ابايها فتركوها وانه قال لهم ان الولي اكله باطل والله اكله حق فأنكروا الالهية حقها وباطلها »

« يتبع »

دمشق : صلاح الدين القاسمي

اخبار العلماء باخبار الحكماء

من الكتب الجيدة في التراجم هذا الكتاب للوزير جمال الدين ابي الحسن علفى القفطى من اهل القرن السابع طبع اولاً فى لفسىك واعيد طبعه فى القاهرة فنداولته الابدى وعم الانتفاع منه كما عم من قبل بكتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء^(١) لموفق الدين ابي العباس اءمء المعروف بابن ابي اصبعة من اصل ذاك القرن الا ان كتاب اءبار الحكماء مال فيه صاحبه الى الاختصار حتى جاء فى نحو نصف طبقات الاطباء وان كان زاء عليه بضع تراجم لان المءرءمى فى كلا السفرفن الففسفن ءءاوزوا الاربعاءة

سرد ابن القفطى اسماء مءرءمه على حروف المعجم بحسب نقاءم عهءم بمءلاف ابن ابي اصبعة الذى اءى بالءراجم بحسب الاقطار ءم بحسب سنى ولاءاءهم ولم فشف الاول الكلام الا فى بعض الاشءاص وربما اوءز فى الاءاففن اءجازاً لا فكاذ فقع فىه ابن ابي اصبعة الا ناءراً والءاب ان هذا وقف فى جملة ما وقف علىه من الكتب كتاب القفطى فاسءمان به وزاء علىه لان هذا ءوفى سنة ٦٤٦ فى حلب وابن ابي اصبعة ءوفى سنة ٦٦٨ فى صرءء من بلاد الشام ولا فقل ان فكون رءلان مءعاصرفن ولا فطاع اءءهما على ما فكتبه الاخر فقاء نرى بعض الءراجم بالءرف الواحد فى الكتابفن ولعل المصارء الءى اءء عنها الموءلفان كانت واحدة فءاءء بعض ءراجم مءرءمفهم بعبارة واحدة

ومع ان ابن القفطى اشءهر بانه من كءار غلاة الكتب^(٢) وهـ و ذو ءروة واسعة وفى منصب الوزارة نرى ابن ابي اصبعة وهـ من طبقة الاطباء فى عصره فءىءى كتابه الى اءء وزراء ءمشف ومع هذا نقرأ فىه سعة الماءة المءءشة ولكن المءاخر قء بفوق المءقءم ولا عبرة بءقاءم المفلاء كما لاءبرة باءءلاف البلاد اذا كان الءرفى ففها علماً

وهنا لاءأس باراء طرف من ءرءمة صاحب اءبار الحكماء زفاءة فى البفسان ففـو على بن فوسف بن اءراهم بن عبء الواحد بن موسى وزفر حلب القاضى الاكرم^(٣) الوزفر جمال الدين ابو الحسن بن القفطى اءء الكتاب المشهور فن وكان ابوه القاضى الاشرف كاتباً فشفاً ولد بقفط من الصعفاء الاعلى بالءفار المصرفة وانام بمجلب وكان فقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والءاءف وعلوم القرآن والاصول والمنطق والنحو والهندسة

والتاريخ والجرح والتعديل ولد سنة ستين وخمسمائة وتوفي سنة ست واربعين وستمائة
وكان صدرأ محشأ كامل السؤدد وجمع من الكتب، الا بوصف وقصد بها من الآفاق
وكان لايجب من الدنيا سواها ولم يكن له دار ولا زوجة واوصى بكتبه للناصر صاحب
حلب وكانت تساوي خمسين الف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب وهو
اخو المؤيد ابن القفطي ومن شعره

ضدان عندي قصر اهمني وجه لحي ولسان وقاح
ان رمت امرأ خاني ذو الحيا ومقول يطمعي في النجاح
فانني من حيرة منها لي مغلب ماض ومالي جناح
شبه جبان فر من معرك خوفاً وفي يناه غضب الكفاح

وله من التصانيف كتاب الضاد والظاء وهو ما شتبه في اللفظ واختلف في المعنى
واخط . كتاب الدر الثمين في اخبار النعمين . كتاب من الوت الايام عليه فرغته ثم الوت
عليه فوضعه . كتاب اخبار المصنفين وما صنفوه . كتاب اخبار النحويين كبير كتاب اخبار
مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين ست مجلدات كتاب اخبار المغرب كتاب تاريخ
الين كتاب المحلى في استيعاب وجوه كلا . كتاب اصلاح خلل صحاح الجوهري كتاب
الكلام على الموطا لم يتم كتاب الكلام على صحيح البخاري لم يتم تاريخ محمود بن
سبكتكين وبقية كتاب تاريخ السلجوقية كتاب الاستئناس في اخبار آل مرداس
كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم كتاب مشيخة تاج الدين الكندي كتاب نهضة
الخطاط ونهضة الناظر في احسن من ظهور الكتب اه .

وعلى ماتوخى ابن القفطي من الاختصار في التراجم تسقط فيه على امور كثيرة وفوائد
غزيرة خصوصاً وان من الرجال من ترجمهم هو وحده ومنهم من تفرد بهم ابن ابي أصيبعة
ومنهم وهم الاكثر من اشتركاً معاً في ترجمتهما مثل الذي نقله عن الخطيب امين الدولة
ابوالحسن علي الاباني العثماني الاموي القفطي صاحب القاضي الاكرم قال : « وكان من اجمل
من رأيت نباهة وفضلا وبلاغة ومشاركة قال ادركت جلة المشايخ من اجلاء بلادنا
وهم مجمعون على ان الذي اردم اراخي اكثر قرى مصر واسس الجسورة المتوصل بها
من قرية الى قرية في زمن النيل هو ارشيدس فعل ذلك لبعض ملوكها وسببه ان اكثر
القرى بمصر كان اهلها اذا جاء النيل تركوها وصعدوا الى الجبال المقابلة لها فاقاموا بها

الى ان يذهب النيل خرقاً من الفرق واذا اخذ النيل في النقص نزل كل قوم الى اراضيهم وشرعوا في الزرع فكان ما تظلمن من الارض يعمهم ما انجس فيه من الماء عن الوصول الى ماعلا فلا يوصل اليه الا بعد جفافه فلا يمكن زرع فيذهب بذلك فعل كثير ولما علم ارثميدس بذلك في زمنه قاس اراضي اكثر القرى على ما يكون من النيل واردم ردوماً وبني عليها القرى وعمل الجسورة مما بين النزر وفي اوساط الجسورة قناطر ينفذ الماء منها من ارض قرية الى اخرى فزرع كل واحد منهم الزرع في وقته من غير فوات ووقف من كل ضيعة ارضاً معينة يصرف مغلها في كل سنة الى اصلاح هذه الجسورة فهي الى الآن معلومة ولما دبوان منرد بمصر يعرف بدبوان مدن الجسورة وعليها احتراز كثير وعناية كثيرة واعرف وانا طفل وقد اضيفت هذه الجهة بالاعمال الشرقية من جوف مصر الى والدي رحمه الله نظراً وله نواب وضمان ومشدون وكان العمل فيها تعب من جميع الاعمال اه

ومثل قوله في ترجمة جالينوس الحكيم بان انطونيوس قيصر ملك اثنتي عشرة سنة وبني مدينة ايليو بوليس وهي مدينة بعلبك اي اصلحها وقد قال في ترجمة سنان بن ثابت بن قرة الحراني مانصه : « وكانت منزلة سنان كبيرة عند الامراء والوزراء فمن ذلك ان الوزير علي بن عيسى بن الجراح وقع اليه في سنة كثرت فيها الامراض والابواب توقيعاً نسخته : فكرت مد الله في عمرك في امر من في الحبوس وانهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تتألم الامراض وهم معوقون من التصرف في منافعهم ولقاء من يساورونه من الاطباء في امراضهم فينبغي اكرمك الله ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم ويحملون معهم الادوية والاشربة وما يحتاجون اليه من المزورات وتتقدم اليهم بان يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عليهم فيما يصفونه لم ان شاء الله تعالى . ففعل سنان ذلك ثم وقع اليه توقيعاً آخر : فكرت فيمن بالسواد من اهله وانه لا يخلو من ان يكون فيه مرضي لا يشرف متطبب عليهم فخلو السواد من الاطباء فتقدم مد الله في عمرك بانقاذ متطبين وخزانة من الادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقومون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة الى مقامهم ويعالجون فيه ثم يتقلون الى غيره . ففعل سنان ذلك وانتهى اصحابه الى سورا والغالب على اهلها اليهود فكتب سنان الى الوزير علي بن عيسى يعرفه ورود كتب اصحابه عليه من السواد بان اكثر من بسورا ونهر ملك يهود وانهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم

او الانصراف عنهم الى غيرهم وانه لا يعلم بما يجيبهم به اذ كان لا يعرف رأيه في اهل الذمة. وثله. ان الرسم في بمارستان الحضرة قد جرد ليلى والذمي. فوقع الوزير توقيعاً نسخته : فهمت ما كتبت به اكرمك الله وليس بيننا خلاف في ان معالجة اهل الذمة والبهائم صواب ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل اهل الذمة فاذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون اليه صرف في الطبقة التي بعدهم فاعمل اكرمك الله على ذلك واكتب الى اصحابك به ووصي بالنقل في القرى والمواقع التي فيها الارباء الكثيرة والامراض الفاشية وان لم يجدوا بذرة توقفوا عن السير حتى يصح لهم الطريق ويصلح السبيل فانهم اذا فعلوا هذا وفقوا ان شاء الله تعالى اهـ»

وفي هذه الرسائل الثلاث نموذج مهم من الكتابة الرسمية في اوائل مدة العباسيين ودليل على ما بلغت الحضارة في عهدهم ايام كان الطب من جملة ما يعني به حتى ان سنان ابن ثابت احصى الاطباء في بغداد ولم يرخص لاحدهم ان يطيب الا اذا اخذ شهادة بكفاءة. وكذلك فعلوا مع الصيدالة حتى لا تؤثّر في الامة من جهة طب ابدانها كما حاذر الخلفاء. ان لا تؤثّر في من قبل اديانها .

وكما تجد المحاسن ماثلة في اخبار الحكماء ترى المساوي كذلك كالذي ذكره في ترجمة عبد السلام بن عبد القادر الجيلي المعروف بالركن قال : « كان عبد السلام هذا قد قرأ علوم الاوائل واجادها واقتنى كتباً كثيرة في هذا النوع واشتهر بهذا الشأن شهرة تامة وله تقدم في الدولة الامامية الناصرية وحصل له بتقدمه حمد من ارباب الشرف ثابته احدثهم بانه معطل وانه يرجع الى اقوال اهل الفلسفة في قواعد هذا الشأن فوافقت الحفظه عليه وعلى كتبه فوجد فيها الكثير من علوم القوم وبرزت الاوامر الناصرية باخراجها الى موضع ببغداد يعرف بالرحبة وان تحرق بحضور الجمع الجم منها ففعل ذلك واحضر لها عبيد الله التيمي البكري المعروف بان المرستانية وجعل له منبر صعد عليه وخطب خطبة له فيها الفلاسفة ومن يقول بقران وذكر الركن عبد السلام اهـ. هذا بشر وكان يخرج الكتب التي له كتاباً كتاباً فيتكلم عليه. ويبالغ في ذمه وذم مصنفه ثم يلتقي من يده لمن يلقيه في النار اهـ»

ومثلاً نقله من الفقرة في ترجمة موسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي لما نادى عبد المؤمن بن علي الكومي البربري المستولي على المغرب في البلاد التي ملكها باخراج الصاري منها وقدر لم مدة. وشرط ان اسلم منهم بموضعه على اسباب ارتزاقه ما للمسلمين وعليه ما

عليهم ومن بقي على رأي اهل ملته فاما ان يخرج قبل الاجل الذي اجله واما ان يكون بعد الاجل في حكم السلطان مستهلك النفس والمال

ومما ذكره وهو مايدل على اتساع ثروة العرب ^(١) في ترجمة بني موسى بن شاكر محمد واحمد والحسن من ان محمداً صار بالعلم من وجوه القواد الى ان غلب الاتراك على الدولة وذهبت دولة اهل خراسان وانقلت الى العراق فعلت منزلته واتسع حله الى ان كان مدخوله في كل سنة بالخضرة وفارس ودمشق ونحوها نحو اربعمائة الف دينار ومدخول احمد اخيه نحو سبعين الف دينار . فتأمل مبلغ هذه الثروة

ومما تقتبس من هذا الكتاب النموذجاً على درجة الحضارة في القرن الخامس ما نقله من كتاب كتبه الخثاري بن الحسن بن عبدون الحكيم الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان من نصارى كرخ بغداد الى الرئيس هلال بن الحسن بن ابراهيم ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . انا لما اعتقدته من خدمة سيدنا السيد الاجل اطال الله بقاءه وكبت اعداءه دائياً وقاصياً واقترضه من طاعته مقيماً وظاعماً اضمرت عند وداعي حضرة العالمة وقد ودعت منها الفضل والسؤود والمجد والفخر والمحمد ان اتقرب اليها واجدد ذكرى عندها بالمطالعة مما استطرفه من اخبار البلاد التي اطرقها واستغربه من غرائب الاحقاع التي اسلكها خدمة للكتاب الذي هو تاريخ الحاسن والمفاخر وديوان المعاني والمآثر ليودع ادام الله تمكينه منها ما يراه ويلحق ما يستوقفه ويرضاه وعلى ذكره فمأرايت احداً بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيه وكل رئيس في هذه الديار متوق الى متشوف ولو صوله مترتب متوقع ولو وصلت منه نسخة بلغ الجالب لها أمنية في رجبها ونفعها والى الله تعالى ارغب في نشر فضيلته الباهرة ومحاسنه الزاهرة بجوده . وكنت خرجت من بغداد وبدأت بقاء مشايخ البلاد وخواصها واستملاء ما عندهم من آثارها وعجائبها فذكر لي اخبار مستطرفة وعجائب غريبة واقطاع من الشعر رائقة ولضيئ الوقت وسرعة الرسول اضربت عن اكثره واقتصرت على اقله وكنت خرجت على اسم الله تعالى وبركته مستهل شهر رمضان سنة اربعين واربعمائة مصاداً في نهر عيسى على الانبار ووصلت الى الرحبة بعد تسع عشرة رحلة وهي مدينة طيبة وفيها من انواع الفواكه ما لا يحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الاعناب وهي متوسطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة ايام ورحلنا

من الرصافة الى حلب في اربع رحلات وهي بلد مسور بالحجر الابيض فيه سنة ابواب
وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيسة وفي احدهما مكان المذبح الذي كان
يقرب عليه ابراهيم عليه السلام وفي اسفل القلعة مغارة كان يحج فيها غنمه واذا حلبها
اضاف بلبنها الناس فكانوا يقولون حلب ام لا ويسأل بعضهم بعضاً عن ذلك فسميت
حلب وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية
وشرب اهل البلد من صهاريج وعلى بابها نهر يعرف بقوق يمد في الشتاء وينضب في الصيف
وفي وسط البلد علوة صاحبة التجاري وهو قليل الفاكته والبقول والنبذ الا ما يأتيه من
الروم (الاناضول) وما يجلب موضع خراب ومنه خرجنا من حلب طائنين انطاكية
وبين حلب وبينها يوم وليلة فبتنا في بلدة للروم تعرف بعم فيها عين جارية يصاد منها
السماك ويدور عليها رحا وفيها من الخناير والنساء العواصر والزنا والخمر امر عظيم
وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سرّاً والمسافة التي بين حلب وانطاكية ارض مافيا
خراب اصلاً الا ارض زرع للحنطة والشعير يجنب شجر الزيتون وقراها متصلة ورياضها
مزهرة ومياها متفجرة وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفيصل لسوره ثلثمائة وستون
برجاً يطوف عليها بنوبة اربعة آلاف حارس ينفذون من القسطنطينية من حضرة الملك
فيضمون حراسة البلد سنة ويستبدل بهم في الثانية وشكل البلد كنصف دائرة قطرها
يتصل بجبل والسور يصعد من الجبل الى قلته ويستتم دائرة وفي رأس الجبل داخل
السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرة وهذا الجبل يستريح عنها الشمس فلا تطلع عليها
الا في الساعة الثانية وللصور المحيط بهادون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها بقعة القسياني
وكانت دار قسيان الملك الذي احيا ولده بطرس رئيس الحوار بين وهو هيكل طوله مائة
خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة
للحكومة وهمو النخو واللغة وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فجان الساعات بعمل ليلاً
ونهاراً دائماً اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا وفي اعلاه خمس طبقات
في الخامسة منها حمامات وبساتين ومقاصير حسنة وتخرج منها المياه وهناك من
الكنائس ما لا يحصى كثرة كلها معمولة بالفص المذهب والزجاج الملون والبلاط الخرز وفي
البلد بيمارستان يراعي البطريك المرضى فيه بنفسه وفي المدينة من الحمامات ما لا يوجد
مثله في مدينة من اللذذة والطيبة فان وقودها من الآس وماؤها سيج وفي ظاهر البلد

نهر يعرف بالقلوب يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يضاف فيها المختازون يقال ان دخله في السنة اربعمائة الف دينار ومنه يصعد الى جبل اللكام وفي هذا الجبل من الديار والصوامع والبساتين والمياه المتفجرة والانهار الجارية والزهاد والسياح وضرب النواقيس في الاسحار والحن الصلوات ما يتصور معه الانسان انه في الجنة . وفي انطاكية شيخ يعرف بابي نصر بن العطار فاني التفتاة فيها له يد في العلوم مليح الحديث والافهام وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانية ولها ميناء وملعب وميدان للخيول مدور وبها بيت كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اول الاسلام مسجداً وهي رابطة البحر وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه واذان في اوقات الصلوات الخمس وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم . ومن عجائب هذا البلد ان المحتسب يجمع القحاب والغرباء المؤثرين للفساد من الروم في حلقة وينادي على كل واحدة منهم ويتزايد الفسقة فيهن ليلتها تلك ويؤخذن الى الفنادق التي هي الخانات لسكنى الغرباء بعد ان تأخذ كل واحدة منهن خاتماً هو خاتم المطران حجة بيدها من تعقب الوالي لها فانه متى وجد خاطياً مع خاطية بغير ختم المطران الزمه جناية . وفي البلد من الحبساء والزهاد في الصوامع والجبال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم اه . »

وبعد فان تاريخ القفطي من الكتب التي اجاد فيها مصنفها حري بان يستفيد منه كل متأدب ومتعلم ويرجع اليه كل عالم ومؤرخ سلس العبارة جميل المأثي ينقل الامور على علاقتها في الاكثر بدون تقييد لها او ابداء رأي فيها وابن ابي أصبغة يفوقه في رد كل قول الى قائله وضبط الاعلام والتدقيق في التواريخ واخبار الرجال وذكر شذور من شعرهم ونثرهم والكتابان كفرنسي رهان او كاسلسلة المفرغة لا تدرى اين طرفاها



الصحف والنجاح

النجاح في الاعمال اسباب كثيرة منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي اذا اختل احدها تغدو النهوض بالشئ الآخر . وانشاء الجرائد والمجلات لا يخرج عن هذا الحد المقرر وهل في الارض عمل لا يحتاج الى علم وتجارب ومال واستعداد . ولطالما رأينا مصر في الثلاثين سنة الاخيرة والشام في عهدها الدستوري الجديد وغيرهما من الاقطار والامصار التي يتحكم اهلها بالعربية تجرأ على اصدار الصحف بدون حساب ولا روية وادركا العامة اجراً من الخاصة على اقتحام هذا المركب الصعب وليس لديهم في الاغلب من وسائل النجاح كبير امر فلا يلبث ما ينشئون ان يظهر الى الوجود حتى يخفني اضطراباً لا اختياراً . وهذا هو السبب في تعدد الجرائد وقصر اعمارها واشتمزاز الناس منها اذ توهموها بما تمثل لهم من حال بعض من اقدموا عليها آلة للتكسب والتدجيل لاداءة للوعظ والارشاد والتعليم مارأينا صناعة من الصناعات استسهل الناس امرها كالصحافة فلم يعهد معلم في التجارة او الحدادة او البناء او الهندسة يحترف هذه الحرف بدون سابق دراسة و بتصنر للاعتياش منها وهو لا يعرف من اسرارها سرّاً ولكن فن الصحافة في هذه الديار الذي يتوقف النجاح فيه على اسباب كثيرة اهمها العلم والتجربة والمال قد رأينا اناساً من الاغمار يدعونه بدون خشية واكثرهم لا يعرفون قراءة الجرائد والمجلات دع عنك تأليفها واصدارها كان جمهور الناس الى عهد قريب يشارك الاطباء في طبهم قديراً الكبير والصغير اذا عرض لها مريض من خاصتهما وعارفهما لا يتوقفان في وصف علاج يشفيه مدعين ان ذلك من مجرباتهم او مجربات اصحابهما ولما كثر الاطباء واستنارت الامة بعض الشئ خفت هذه العادة في التعدي على الاطباء في طبهم الا عند الطبقة الجاهلة اما الصحافة فيدخل فيها بالفعل اناس ليسوا منها وليست بهم ويصفون للامة ادوية تقيها الاسواء والارزاء والادواء ويعترضون على العالمين والحاكمين والسلطين بلا خشية ولا حياء كأن طب الارواح ليس اصعب من طب الاشباح او كأن الصحافة من العلوم الدنية لا الكسبية يتعلمها المرء بالدوق وتوحى اليه ايجاه .

من اجل هذا احتقرت الامة الصحافة لما رأت من ضعف كثير من ادعيائها في اخلاقهم وعارفهم ممن شانوا اسمها وعينوا بحماها تذرّاً الى طمع ينالونه وصيت بالباطل يحصلونه ومقام عال ينزلونه . نعم لم نشهد العطار يطياراً ولا الاسكان نجاراً

ولا الخطاب رساماً ولا الفحام نظاماً ولا الجوهرية حكاماً ولكن شهدنا الفلاح صحافياً
والمثدق مؤلفاً والثرثار محامياً والمكثار خطيباً كما نشهد الاغبياء قد يحاولون بلوغ
درجات الاذكياء والفقراء يقلدون الاغبياء

يبد ان سنن الفطرة التي لا تغالب ونظام هذا الكون البديع الذي قلما اختل يعاقبان
المعتدي عليهما لا يعلم بما جنته يدها كما قيل في الامثال الافرنجية كل خطأ يحصل
عقبته فيه . وندر جداً في الناجحين من تيسر لهم الوصول الى ما وصلوا اليه الا بالتخاذل
الذرائع النجحة ونسج حلل مجدهم بايديهم

رأينا كثيراً ولا سيما في مصر والشام التصقوا بالصحافة وانفقوا ثرواتهم في سبيلها فلم
ينجحوا في مساعهم ورجعوا بعد العناء الطويل وخسارة المال صفر الايدي خائبين .
لان مائدة العلم لا يجلس اليها طفيلي ولان التمويه ان صعب في عمل فهو في الاعمال
العلمية اصعب .

من ذلك رجلان اثنان صرف احدهما في تأسيس الجرائد بضعة الوف من الجنيهات
والآخر بضع مئات من الليرات وبعد العمل سنين ومحاولة النجح ولو بالتلون في المبادي
وقلب الحقائق وتقييح ما يستحسن واستحسان ما يستهجن والظهور في مظهر المصلحين
الغيورين بعد كل هذا اضطر الى الرجوع ادراجهما ولو كانا صرفا ربيع مابذلاه في
هذا السبيل على درس فن الصحافة على اصوله وتلقناه كما تلقن الصناعات المهمة
ويدرب عليها المشتغلون بها لكان النجاح مضموناً لا محالة .

ولقد شاهدنا عياناً ان معظم الصحف التي كتب لها البقاء في هذين القطرين
الشقيين خاصة هي التي قام باعبائها اناس متعلمون تخرجوا في الكتابة وتدرّبوا في السياسة
وتذوقوا لمناظرة من العلوم التي لا يسع صاحب جريدة ومجلة جهلها . ومعظم من لم
يخادهم ما يسمونه بالتوفيق اخفقوا لاسباب ناشئة من ضعفهم وقلة معارفهم في صناعة
يلزمها ما يلزم لكل صانع من الادوات ان لم نقل انها تتوقف على ادوات اكثر .

وهنا مجال لان ننصح للشبان المتهوسين في الكتابة الراغبين في الشهرة ان لا يقدموا على
الدخول في مهنة ترك الصحافة والسياسة والآداب قبل ان يستموا ادواتها ويستعدوا لها ويبتعروا
بها مدة فالاجادة في مقالة يكتبها كاتبها في ايام وربما عاونه غيره في تلقين موضوعها
وتقويم اصولها وفروعها لا يتأتى منه الاجادة في كل موضوع ودعوى كل علم . والنش

والطبع مما ترغب فيه النفس والنفس غالباً تميل الى نيل الحمدة والذهاب بفضل الشهرة والعامل على اى حال من اهتم نفسه وحاسبها ولو يسيراً حتى لا يكون كل من يخط سطرين مغروراً بهما كمن هو بابنه وبشعره وفنون • وبعد فان قانون المطبوعات العثمانية الجديد بقضي على من يصدر جريدة او مجلة ان يحسن الكتابة باللغة التي يصدر بها صحيفته ليعلم ما يكتب فيها ولو كان قومنا ببالغون في انتقاء الرجال للاعمال لوضع في قانوننا بند يلزم كل من تصدر لمعاينة صناعة القلم ان يمنح في الفن الذي يخوض عبا به كما يمنح المطبوعون والصيدالة فانشاء الصحف ان لم يكن احق بالعناية من معرفة الامراض والعلل والعقاقير فلا اقل من ان يكون على مستواها فكم من جاهل قتل نفساً زكية ومن صحافي جرع قراء السم الزعاف على حين ينتظر منه الترياق النافع

سُيُورُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الجرائد في سلانيك

يكي عصر — جريدة تركية يومية تصدر بعد الظهر أسست قبل خمس عشرة سنة وكانت تسمى «عصر» الى ان جاءت الحرب فزادت كلمة يكي بمعنى جديد فصارت يكي عصر • تتبع في يومها مقدار ثلاثة آلاف نسخة روم ايلى — جريدة تركية يومية أسست هذه السنة ولها من المشتركين مقدار ستائة وتبيع خمسمائة تقريباً فيكون ماتصرفه مقدار الف ومائة ولسوف تروج سوقها لاسباب لا نريد ذكرها

زمان — جريدة تركية يومية أسست بعد اعلان الدستور بقليل ثم عطلت ثم نشرت قبل ايام قلائل ولذلك لانعلم مقدار ماتصرفه على انى ولو عرفته فلا يتخذ مقياساً لانها بنت عشرة ايام •

سلاح — جريدة تركية تصدر الاثنين والاربعاء والسبت ثلاث مرات في الاسبوع ولا يبعد ان تصير يومية يباع منها في البلدة مقدار الف نسخة ويرسل الى مشتركها الف وخمسمائة فيكون مجموع ماتطبعه (٢٥٠٠)

مأمورين — جريدة تركية تصدر في الاسبوع مرتين تخص المأمورين فقط كما يظهر من اسمها

بانجه (جنينة) — مجلة سياسية ادبية اجتماعية تنشر بالتركية في كل نصف شهر مرة
وثمنها قرش واحد . قليلة الفائدة قليلة الراغب تحتوي على ١٦ صفحة
حسن وشعر — مجلة تركية تصدر كل خمسة عشر يوماً مرة لاطلاوة لادلبها الا
ماقل وثمنها قرش واحد

وطنداش — جريدة تركية تنشرها جمعية الاتحاد والترقي ترسلها الى اهل القرى مجاناً
تصدر كلما اقتضى الحال . وهذه الجريدة تبحث عن الاتحاد والترقي خاصة بلسان يفهمه
القروي وفيها من المواد ما ينفع القروي في حقله وزرعه .
فاروس تبس ثسالونيكيس (منار سلانيك) — جريدة رومية يومية أسست سنة
١٨٧٤ ميلادية تباع في سلانيك مقدار ستائة نسخة ولها من المشتركين مقدار سبعمائة
فيكون المجموع ١٣٠٠

آستير (النجم) — جريدة رومية يومية أسست هذه السنة تباع الف في سلانيك
وترسل لمتركيا الف فيكون المجموع (٢٠٠٠)

قونوي (البرغش) — جريدة رومية اسبوعية نصفها منظوم وهو القسم الاول حتى
العنوان وشرايط الاشتراك ونصفها منشور وكلها هنزل أسست قبل سنة ويبيع منها
الف نسخة

نه آليا (الحقيقة الجديدة) — جريدة رومية يومية أسست سنة ١٩٠٣ ميلادية
باسم اليثيا (حقيقة) ثم بعد الدستور ضم لها نه آ (جديد) .
يباع منها في سلانيك الف وخمسمائة مع مشتركها في هذه البلدة ويرسل لمتركيا
في الاطراف الفان وخمسمائة فيكون ما تصرفه ٤٠٠٠

بهلوس (ببدل ٥) (سهم) — جريدة رومية اسبوعية هزلية أسست هذه السنة
تباع مقدار الف نسخة

ابوكا (زمان) — جريدة يهودية (*) يومية أسست سنة ١٨٧٣ ميلادية ولها من
المشاركين في سلانيك ستائة وتباع فيها مقدار الف وخمسمائة ومشاركوها في الاطراف
سبعمائة فيكون مجموع ما تصرفه ٢٨٠٠

(*) لسان اليهود في سلانيك . لسان الاسبانيين . وهروفهم قريبة من العبرانية

الامبريال l'impartial — جريد: اسرائيلية يومية . أسست سنة ١٩٠٨

ميلادية تباع مقدار الف نسخة

قرباج (سوط) — جريدة يهودية اسبوعية هزلية أسست هذه السنة فالت رغبة

الناس جميعهم ولذلك تباع مقدار ستة آلاف نسخة

الآونير (المستقبل) — جريدة يهودية تصدر يوم الاثنين والاربعاء والجمعة تباع

مقدار الف نسخة . أسست قبل ثلاث سنوات

ره وباتا بوبولار (مجلة العوام) — مجلة يهودية اسبوعية تنشر في ادارة ما قبلها وترسل

مها يوم الجمعة .

ويرقوز يكو (شيطان) — جريدة يهودية اسبوعية هزلية لم تتل الرغبة مثل

اختها قرباج

لاناسيون (الامة) — الاسم افرنسي ولكنها جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار

الف نسخة

لاتريبونالير (المحكمة الحرة) — جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار الف

نسخة

جورنال دوسالونيك (جريدة سالانيك) — جريدة افرنسية محررها اسرائيلي

أسست قبل ١٥ سنة تصدر الاحد والثلاثاء والخميس تباع في سالانيك الف نسخة ولها

فيها سبعمائة مشترك ولها في اطراف اربعمائة مشترك فيكون مجموع مانصرفه ٢١٠٠ نسخة

بروغره دوسالونيك (رقي سالانيك) — جريدة افرنسية يومية محررها من اهل

سالانيك أسست قبل ١١ سنة يباع منها مقدار الف نسخة

كان للبلغار ثلاث جرائد قل مشتروها فخرست فتعطلت جميعها

واما اهل سالانيك فلا يزيدون عن مائة وخمسين الفا وقد كنت احب ان اقايس

اهل الشام وجرائد هم بأهل سالانيك وجرائد هم وحبهم المطالعة لاسيا ويأتيهم كل يوم

من جرائد استانبول مثل طنين واقدام وصباح ويكي غزته مالا يمكن حصره ولكن لاعلم

لي بمقدار اهل الشام ولا بجرائد هم ولا بمقدار ما يصرف منها فاهل لاحد الفضلاء من

يعرف ذلك ان يتخذ هذه العجالة اساساً ويتحفظاً بالمقايسة ؟ سالانيك . . ب

التربية العقلية

وضع احد اساتذة المدارس الجامعة في فرنسا كتاباً في التربية العقلية قال فيه بشأن تعلم الانشاء ان افضل طريقة بتخذها المعلم في تعليم تلامذته ان لا يقترح عليهم كتابة موضوع بدون ان يدلم على الطريق التي يجب عليهم سلوكها لان الافضل في نظره ان تتدارك اغلاطهم قبل وقوعها من ان تصلح بعد كتابتها فان نقد الاغاليط عقيم في الاكثر ولا يخلو دائماً من الضرب على سندان واحد فلاجل الفائدة من التصليح يجب ان يكون في « الوظيفة » او الفرض بعض الميزات الابتدائية والاجدر ان تقرأ المتعلم قطع من اقوال الغير في الموضوع الذي يقضى عليه كتابته . قال ان من الصعب تعليم الاولاد ان يكتبوا او يحكموا كتابة صحيحة وحكماً صحيحاً ولكن من الممكن تلقينهم كلهم معنى النظام وحسن السياق وذلك بتأق بدرس ما كتبه الكاتبون حق دراسة وتحليله وبيان مزاياه ومثناة تراكيبه . ومضى ثم للراء ان يعرف ماحوت كتابة كبار الكتاب من الحسنات يوشك ان يقبض على سر الانشاء

المدرسة والاخلاق

وضع احد علماء الالمان كتاباً في التربية الاخلاقية قال فيه ان الواجب في تعليم الاطفال ان يدربوا انفسهم بانفسهم وان يعلمهم معلوم كيفية التوفيق بين شخصيتهم الروحية وشخصيتهم الحسنة فيباحثوهم في موضوعات في الاخلاق الشخصية او الاجتماعية ذات ارتباط كلي بحياة التلامذة انفسهم وان يعودوا في المدارس الى القول بعدم المركزية اي الحكومة المستقلة بحيث يعدون الطفل للديمقراطية العملية ويكون ذلك للتقدمين من التلامذة

غاية التربية

قال استاذ التربية والتعليم في كلية برايز ان غاية التربية تقوية حواس الشخص ما يمكن مع احترام الخلق الطبيعي وشخصية الافراد فالواجب ان نلحزم فيه قوة الانتباه والتفكير والذاكرة ولا نعجل في استئثار عقله . وهو يشدد كثيراً في تربية الارادة لانها اهم من كل شرح وتفصيل في تربية اخلاق المرء

آثار عربية

ظفر البارون ماكس فون اوبنهايم اثناء سياحاته في الشرق على عدة كتابات استخرج بعضها ودفعها الى علماء الآثار ليجلوها ومن جملتها ١٩٦ اثرأ عربياً حملها المسيو برشم

ونشرها في كتاب خاص ومعظمها لم يعرف وهي مما عثر عليه السائح الالماني من جنوبي
 بحيرة حمص الى دمشق ماراً بقلعة الحصن ومصبات وحماة وقنسرين وحلب والزها
 (الحرث) وماردين وديار بكر والبيرة وعينتاب وآذنة وطرسوس وقره مان وقونية
 ويرد تاريخ معظمها الى عصر استيلاء المماليك على مصر ومنها ست كتابات من عهد
 الخليفة المنصور في ديار بكر تاريخها سنة ٢٩٧ من الهجرة وبعضها من عهد سيف الدولة
 ابن حمدان في حلب من سنة ٣٥٤ ومنها اثر وجد في دمشق من عهد السلطان طوطش
 السلجوقي (٤٨٠) وآخر في سليمة من عهد الامير خلف ٤٨١

علم نفس الطفل

الف احد علماء سويسرا كتاباً في تربية الاطفال وتعليمهم قال فيه : ان الطفولية
 يجب ان ينظر اليها بانها باب الاستعداد للحياة وتختلف مدة الطفولية بحسب درجة كمال
 النوع فكلما اعتبر تماماً اي طفلاً غنياً بالمقاومات يطول طور الطفولية وعبثاً يريد المرء
 اختصار هذا الطول لان الفطرة تحت هذا الدور من نقص التركيب بالف واسطة وكما
 كانت الطفولية قصيرة يكون ترقى الطفل قاصراً . وتحكم على لعب الطفل فقال انه
 بالنسبة للطفل من اهم المعدات لاستقبال الحياة فانا نرى اللعب حتى في الحيوانات سارياً
 بحسب قوام الطبيعية فالهرة الصغيرة تلعب بكرة من الورق كما تلعب بفأرة والجدي
 يتظاهر بأنه يناطح في حين ليس له قرون وكذلك الحال في الطفل فان الالعب على
 اختلاف ضروبها هي استعداد للعمل القانوني الذي يعمل به يوم يبلغ اشده فمن كتب
 له ان يكون صالحاً في طفولته يكون رجلاً تام الادوات في رجولته والطفل الذي
 رزق السلامة في اعضائه والعمل لما بعد جسمه للشاق افضل واقدر في جهاد الحياة
 ممن يحملون الشهادات العالية التي تنبئ بدرسهم واستطهارهم فاللعب باعث قوي في نمو
 الحواس بمد كل ما نشأ من النشاط وهو يشترك مع الفكر القوي في سن الفتوة فالواجب
 ان يترك هذا التصور بأخذ مأخذه كما يشاء . ويضاف الى ذلك رغبة الطفل في النظر
 والسؤال فينبغي ان لا يرضى الابوان بالجواب على اسئلة يسألها الابن هذا في سن الطفولية
 اما في سن البلوغ فان التقليد من اكبر ادوات الارتقاء فالبالغ يقلد عند الاقتضاء
 ليسهل التوفيق بينه وبين المطالب المالية والطفل يقلد في لعبه وهذا اللعب مما يفيد .
 والمهم في ذلك ان يطبق اعماله على محيطه وان يقوي قواه ويتعلم معلومات جديدة
 وينمو على الدوام نمواً طبيعياً واخلاقياً وهو يرتقي هذا الترقى اذا قابل بنفسه المصاعب

التي يجب عليه التغلب عليها وتناول بنفسه المعارف اللازمة والاسرار التي يقضى عليه كشفها وسبر غورها . وقال ان علم التربية والتعليم (يبدأ كوجيا) هو علم معرفة درجات النشوء الطبيعي في الطفل واستخدام كفاءاته الفطرية لتفقيتها .

سن تعليم القراءة

يبدأ الاولاد بتعلم القراءة في انكلترا في السنة الثالثة وفي سويسرا بين الخامسة الى السابعة بحسب المقاطعات وقد بدأ « اميل » روسو في الخامسة عشرة . وبحث احدهم بحثاً دقيقاً فتبين له ان الطفل يتعلم القراءة في الاكثر بسرعة بين السابعة والثامنة ونقل السرعة بين السادسة والسابعة وان الاظهر في هذه الحال ان يبدأ في سن السادسة بتعلم القراءة . وأكدت مديرة مدارس الامهات في فرنسا ان تعليم الولد قبل السادسة يضر جداً به ولكنها سمحت بان يقرأ الاولاد بين الخامسة والسادسة من اعمارهم نحو عشرين دقيقة فقط وقالت ينبغي ان يبدل الطفل على الكلمات التي يقرأها ولا يكتفي بتكرارها فقط اذ تشغل في تلك الحال ذاكرته فقط وان يقرأ بصوته العادي بدون ان يرفعه وان تستعمل له الانماط المستعملة نفسها بدون الفاظ مجهولة

انتظام التجارة

ثبت ان التكافل النامي في المصالح المادية بين البشر واضطرار كل بلدة ان تطلب المواد الاولية والمواد التي تفرغ في قالب آخر او تبحث عن مصرف لبضائعها وحاصلاتها في البلدان الاخرى كان من ان عدل النظام التجاري العام تعديلاً كبيراً لاسيا وقد اصبح اليوم طول سكك حديد الارض مليون كيلومتر وكان سنة ١٨٧٠ مائتي الف كيلومتر فقط واصبحت السفن تحمل اليوم ٣٠ مليون طن وكانت سنة ١٨٧٥ لا تحمل غير ٣٠٠٠٠٠٠ طن وعدد الاسلاك البرقية البحرية ١٤٠٠ ولم يكن سنة ١٨٦٦ سوى سلك واحد فكيف تكون الحال بان ترى عندمات البحر والبرور بالسفن والسكك والاجواء بالطيارات

التربية المشتركة

كتب احد العارفين في مجلة « الاسبوع الادبي » في جنيف مقالا في معنى تربية البنين والبنات في مدرسة واحدة فاورد عدة امثلة تثبت افضلية هذا النوع من التعليم ولا سيما لما شوهده من نتائج الحسنة في انكلترا وقال ان تربية الجنسين معا ولا سيما في المدارس الداخلية (كذا) اقل خطراً من تربية كل جنس مع ابناء جنسه . ومن شروط

النجاح في ذلك ان يؤخذ الاولاد صغار السن جداً ويتركون يعيشون ابدًا معاً ويطرحون العناصر التي لا يمكن التوفيق بينها فيربي الاولاد والشبان في مدارس الفلاة حيث تسلم الحياة من الشوائب واخلاق الجد تكون احسن اثرًا وان يسلموا الى مربين تخرجوا على الاصول الحديثة في علم النفس فيربي كل جنس بحسب طبيعته، وما ينتظره في حياته من الواجبات

الولادات والوفيات

كانت الولادات ازيد من الوفيات سنة ١٩٠٨ في اكثر ممالك اوربا فبلغت الولادات في المانيا ٨٧٩،٥٦٢ والوفيات ٧٩٥،١٠٧ وفي النمسا ٣١٣،٦١٦ و٣٠١،٩٣٦ وفي المجر ٢٣٩،٧٦٠ و٢٢٨،٣٣٨ وفي البلجيك ٦٤،٨٣٧ و٦٧٣،٠٥٠ وفي انكلترا وغاليا ٤١٩،٩٢١ و٣٤٦،٨٤٧ وفي بلاد القاع او هولاندة ٨٤،٩٢٦ و٧٥،٩١١ وفي ايطاليا ٣٦٨،٦٦٧ و٣٨٥،١٦٥ وفي نروج ٢٧،٦٠٠ و٣٠٤،٥٠٠ وفي السويد ٥٨٤،٤٠٧ و٤٤،٢٠٤

الهند البريطانية

وضع احد علماء فرنسا كتابًا في الهند بعد درس عشرين سنة فقسّمها قسمين قسم مساحته مليونان وستائة الف كيلومتر مربع وسكانه ٢٣٢ مليون نسمة وهذا القسم تحكم عليه انكلترا مباشرة وقسم مساحته مليون وسبعمائة وخمسون الف كيلومتر مربع سكانه ٦٢ مليونًا ونصف مليون وهذا القسم يحكمه راجات الهند والزعماء الوطنيون المحالفون للعرش البريطاني ولم مستشارون انكليز . ومناخ البلاد بالطبع مختلف باختلاف الاصقاع فاقليم راجبوتانا رمال تبعث الحرارة المدهشة في الصيف وتجلب المياه في الشتاء . ومسألة المياه اهم ما في الهند من المسائل وقد اقام الانكليز في اقليم بنجاب اعظم آلات الري في العالم ويقدر عدد من يهلك كل سنة في الالف ٣١ منهم ١٩ بالحمى . والسكان طوائف فكل طائفة تخرج منها اناسًا ولكن لا تدخل اليها احداً وكان عددهم منذ نحو خمسين سنة لا يتجاوز المئتين فاصبح اليوم ٢٣٧٨ تقسم بين ٤٣ عنصرًا وتابعة . ومنها اربع طوائف يتألف منها ١٦ في المئة من الشعب الهندي وهي طبقة البراهمة وعدد اعضائها ١٤،٨٠٠،٠٠٠ والشاماريين ١١ مليونًا وكل واحدة من الراجبوتيين والاهريين ١٠ ملايين والطبقات الكبيرة تسحق الصغيرة والظاهر ان المناخ مؤثر جداً في السكان حتى اصبحوا الى الكسل اقرب منهم الى

حياة العمل وكل واحد يريد ان يعمل له وهو مستريح فنجد في كل خمسة رجال يعملون بحسب الظاهر واحداً لا يعمل شيئاً اصلاً واحداً يستريح وآخر ينام وآخر هاون فالارض تؤجر من كبير الى اصغر وتتعاورها الايدي بالايجار . وكثرة الديانات تزيد الاعياد وايام الراحة والناس لا يرجحون ولا ينظرون في المستقبل والفائض فاحش جداً عندهم ولذلك ترى المرابين في خطر ابدآ من السلب والقتل على ان الفلاح اقرب الى الانفاق مع المرابي من جباة الاموال لان الضرائب ثابتة لا تتغير بحسب جودة المواسم وعدمها ولها اوقات معينة لا مناص من ادائها فيها ولذلك تراه عند الضائقة يعمد الى المرابي فيستدين منه بفائض كبير وقد كان ثلث الفلاحين منذ ثلاثين سنة مدبنين على مل ان يخلصوا من ديونهم والثلاثان الآخرون لا امل لها بالخلاص حتى اضطرت الحكومة الانكليزية في بنجاب ان تسن قانون سنة ١٩٠٠ لتضي فيه على الفلاح ان لا يبيع ارضه الا من فلاح ولكن المرابين كلهم اصحاب زراعات ولذلك لم يقل بيع الاراضي ولا رهبا . ولم تنفذ الحكومة هذا القانون في البلاد الاخرى . وقوة الحكومة البريطانية في الهند ناشي من كون انكلترا تحكم عناصر مختلفة من السيخيين والمسلمين والمهاراتيين والهنود والبرمانيين وكلهم يتحاسدون بينهم وينفصل بعضهم عن بعض في الجنس والعادات والاديان ولذلك كان من الصعب اشراكهم كلهم في منافع الادارة على قدم المساواة وعدد المسلمين هناك ٦٢ مليوناً والهنود ٢٠٧ ملايين وكان المساحون حكام البلاد مدة قرون لذلك يحنقون المسابقات التي تجري للدخول في الوظائف اما البراهمة فيتسابقون اليها

تربية العقل

ألف الدكتور تولوز الفرنسي كتاباً في هذا المعنى قال فيه ان النظر افيد للمرء من البحث والدرس في خزائن الكتب والتمرن على الحكم في الامور الواقعة خير من املأه الذهن بمعارف ميتة لا يحصل لها والعمل خير من التصور والحركة افضل من التخيل وتكلم فيه على ضرورة العمل للانسان فقال يجب ان يعمل المرء يعيش لا ان يعيش ليعمل وان الراحة الحقيقية هي في الانقطاع بضعة اسابيع عن العمل كل الانقطاع بعد قضاء زمن في الجهاد والجد لافي تعديل العمل وتخفيفه

جلسة الاولاد

تبين ان السبب في تشويه اجسام الاولاد استعصاؤهم الكلي للجلوس على مقاعد

كيفما اتفق وان البحث قد اثبت بان في كل خمسة ملايين طالب يخرج ٥٧٠ ألفاً مشوهين في اجسامهم واحسن واسطة لائقاء ذلك اجلاسهم على مناضد عالية بحيث لا يكادون بقعدون الا منتصبه قاماتهم وارجلهم تمس الارض وبذلك يتوى هيكلهم العظيم على طبيعته ويتنفسون تنفساً حسناً

الخطوط الحديدية في الارض

ظهر من احصاء اخيران طول السكك الحديدية في القارات الخمس زاد في السنة الماضية ٢٥ الف كيلومتر فتجاوز طولها المليون كيلومتر منها اربع مائة الف في الولايات المتحدة وكندا ومئة الف في اميركا الجنوبية وستون الف في المانيا ومثلها في روسيا وخمسون الف في فرنسا وثلاثة واربعون الف في النمسا وثمانية وثلاثون الف في انكلترا وجميع الخطوط الحديدية في آسيا لا تتجاوز الخمسة والتسعين الف كيلومتر وفي افريقية احد وثلاثين الف وفي اوستراليا تسعة وعشرين الفاً

صحة المدارس

تكلم احد الخطباء في مؤتمر الفنون في المدرسة في نانسي احدى حواضر فرنسا في موضوع صحة المدارس فقال ان للنور دخلاً كبيراً في القراءة وان الواجب ان تكون حروف المطبعة ضخمة في الجملة وان يعتنى باختيار الالوان المفردة في الجدران والحوائط ويستغنى عن الالوان الباهتة القذرة تكون الشوكولا والالواح الحجرية السوداء والالوان البيضاء الجافية التي تجعل صفوف المدارس كأنها غرف مستشفيات بل الواجب تنويع الالوان والادهان على الطريقة المتغيرة الاولاد فاللون الاحمر والازرق والبرتقالي مما ينفع النفس والنظر في الايام الممطرة الغائمة وتكون للنفس بمثابة شعاع الشمس قال وللواجب الاكثر في المدارس من الزهور والورد تزرع كيفما اتفق في الافنية والماشي ويعلم الصبي احترامها حتى لا يقطفها بجمرد وقوع نظره عليها كما يعلم مراعاة الحيوان

الاولاد المدخنون

حقق اساتذة هولانديون تأثير التدخين في الاولاد ثبت لم مضاره في عقولهم واخلاقيهم والمدخنون هم كسالى وناسدوا الامزجة والتركيب ويزيد معدل المدخنين من الاولاد بالنسبة لحالة اهلهم من الرفاهية وعدمها



المقابر

أبو العلاء الماعري

شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء
أ = موطنه وأسرته

الى جنوبي حلب عَمِّي بعد ثمانى عشرة ساعة عنها بلدة معتدلة الهواء قديمة عرفها الرومانيون باسم (خالس) ثم لقبت بعد ذلك بالقصور وهي اليوم قضاء من أعمال حلب يعرف بقضاء معرة النعمان نسبة الى المعرة قصبة ولفظة المعرة مريانية بمعنى المغارة وليست في شيء من التفاسير التي عددها ياقوت الحموي في معجم البلدان ولقد زعم بعض المؤرخين انها سميت بمعرة النعمان نسبة الى النعمان بن بشير الانصاري عامل حمص الذي مرَّ بها فمات له ولد ودفنه فيها فنسبت اليه وقد توفى النعمان سنة ٦٥ هـ (٦٨٤ م) . وعندى ان رأي ياقوت في معجمه اقرب الى الصحة وهو انها ذببت الى احد اجداد الماعري وهو النعمان الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمه بن تيم الله وهو تنوخ بن ديرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة .

فتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب اجتمعت هذه القبائل مع غيرها في البحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك فسموا تنوخاً وتنوخ بمعنى الاقامة فتكون تنوخ حياً من بني قضاة من عرب اليمن (وقيل من الازد) خرجوا من مدينة مأرب الى البحرين عند سيل العرم^(١) ثم تفرقوا في نواحي العراق والشام ونزل منهم نعان زعيم قبيلته واميرها بالمعرة فنسبت اليه وهو اوجه الاقوال وامثله

(١) راجع كتابي دواني القطوف صفحة ٦٢

فكرة النعمان كانت حصينة منيعة فتحها المسلمون في صدر الاسلام ثم استولى عليها الافرنج الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) واعادها المسلمون الى ايديهم سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وزارها ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما من السياح وقالوا انها كانت لعهدهما من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقاً وبساتينها ممتدة الى مسافة يومين وفيها الزيتون والتين والفسق وانواع الفواكه .

ولاشأن لفستقها اليوم ولكن فيها الزيتون والتين والزبيب والعسل وانواع الحبوب والقطن وفيها صناعة النسيج . واللباغة . وتوجد قرى كثيرة باسمها منها معرة مصرين قرب حلب ومعرة باش من قضاء النبك في جبل القلمون ومعرة حميدنايا من اعمال دومة وغيرها . والى المعرة ينسب كثير من العلماء اشهرهم ابو العلاء هذا وكذلك كانت موطن أسر مشهورة مثل الامراء الارسلانيين التنوخيين في لبنان وآل الجندي في حمص وغيرهم

وقد نشأ من التنوخيين في معرة النعمان سليمان بن محمد بن سليمان من سلالة النعمان ابن عدي المنتهي نسبه الى الحاف بن قضاة التنوخي الشهير وهو جد المعري لايه كان قاضياً في بلدته ومن العلماء الاعلام في وقته وترعرع ولده عبدالله والد المعري علي الادب وكلف بالعلم وتزوج امرأة من آل سبيكة مواطنيه الذين عرفوا بأدبهم وخدم الادب والمعارف الى ان رزق ولده ابا العلاء هذا فكان صفوة هذا البيت وخلاصة ذكائه ومخيض زبدة آدابه

٢ = نشأته

ولد ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخي في معرة النعمان في بيت غرف بالادب والفضل ومن والدين من سلالة العلماء يوم الجمعة في ٣ ربيع الاول سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) وما انفتحت عيناه لنور العالم ومشاهدة جمال الطبيعة حتى مني بالجدرى في اول سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) فأطفا نورهما وردته الى قلبه فتوقد ذكاء وقد ارتجل شعرألماعيره بذلك عبدالله الخوارزمي وهو قوله :

قالوا العمى منظرٌ قبيحٌ قلت بفقدى لكم يهون

والله ما في الوجود شيءٌ تأسى على فقدِهِ العيون

وكثيراً ما كان يقول احمد الله على العمى كما يحمد غيري على البصر . ولقد كانت له اسوة بكثير من كبار الشعراء والعلماء الذين أصيبوا بالعمى مثل هوميروس اليوناني

وبشار بن برد العربي وغيرها والذي يظهر من شاهده انه كان في اول امره قد غشي
بني حدقيه بياض وذهبت اليسرى جملة فكانت احدى عينيه بارزة والاخرى غائرة
جداً وذلك يخالف ماذهب اليه بعضهم من انه كان أكمه . وكان يقول : لأعرف
من الالوان الا الاحمر لانني ألست في الجدرى ثوباً معصراً . وكانت في وجهه ندوب
الجدرى وهو نحيف الجسم عصبي المزاج حاذق الذهن قوي الحافظة

قرأ النحو واللغة على ابيه ثم رحل الى حلب وقرأ على محمد بن عبد الله بن السعد
النحوي فتمكن من آداب اللغة وطالع كثيراً من المؤلفات لوفرة المكاتب في حلب وقتها
في بلده ونظم الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ولم يتكسب به بل نظمه شارحاً فيه
اغراض نفسه ومعبراً عن شواعره وواصفاً عجائب الكون ولاسيا الافلاك . ومفسراً
غرائب الاجتماع وحاضاً على الزهد والاعتزال . ومعمناً في فلسفة الوجود . ومتشكياً من
من مناواة الايام ومساورة المصائب . وعلى الجملة فانه ابلغ شاعر قام في الاسلام ذاهباً
في شعره مذهب الفلسفة وحرية الفكر والنظر الى الكون بعين العقل وكان مولعاً بطلالة
المتنبى وتحدي افكاره فنظم على منواله غير متقيد بالصناعة اللغوية .

وانقن العلوم ابن عشرين سنة فصار مرجع الادباء ومحط رجال البلاغ فنخرج عليه
كثير من علماء عصره من اشهرهم ابو القاسم علي بن الحسن التنوخي . وابوزكرياء الخطيب
التبريزي شارح الحماسة

وقد رحل في تفقد المكاتب والتوسع بالمعارف الى طرابلس الشام المشهورة بمكتبتها
العظيمة اذ ذاك وسار الى اللاذقية فنزل ديراً فيها وسمع من احد الرهبان بعض العلوم
والمطلع على مذهبي اليهود والمسيحيين وكذلك قصد دمشق وحلب وبنّداد وغيرها
وكان يرتزق من وقف يحصل منه ثلاثين درهماً^(١) في العام ينفق نصفها على من يخدمه

(١) « المقتبس » سألتنا صديقنا احمد بك تيمور من علماء القاهرة عن القدر الذي

كان يرزقه المعري فكشبت الينا مانصه

راجعت رسائل ابي العلاء الى داعي الدعاة وظفرت بانقطة التي وعدتكم بها فكشبتنا
لكم على علائها وهي (وما حثني على ترك الحيوان ان الذي لي في السنة نيف وعشرون
ديناراً فاذا اخذ خادمي بعض مايجب بقي لي ما لا يعجب فاقصرت على فول وبلسن
وما لا يعذب على اللسن فاما الآن فاذا صار الى من يخدمني كبير عندي وعنده هين
فما حظي الا اليسير المتعين ولست اريد في رزقي زيادة ولا اوثر لسقمي عيادة والسلام)

فعورض في رزقه فذهب الى بغداد . تظلماً بمن عارضه سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) ثم عاد اليها ثانية سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) واقام فيها سنة وسبعة اشهر فتفقد مكاتبا وتعرف بعلمائها ودرس عليه كثير منهم قال ابو القاسم التنوخي : لما ورد المعري بغداد قرأت عليه شعره وذكر انه دخل عليه وهو في بغداد علي بن عيسى الربيعي ليقراً عليه شيئاً من النحو فقال له الربيعي : ليصعد الاصطبل فخرج مغضباً ولم يعد اليه . و يروى انه دخل يوماً مجلس المرتضى فثر بانسان فقال له : من هذا الكلب فقال المعري : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً وله اخبار كثيرة لا محل لاستيفائها ومن اشعاره في غربته يحن الى وطنه قوله :

فيا برق ليس الكرخ داري وانما رماني اليها الدهر منذ ليل
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال
وقوله :

ياماء دجلة ما اراك تلذلي شوقاً كماء معرة النعمان
وعاد ابو العلاء من بغداد الى المعرة سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ولزم بيته وشرع في التصنيف والتدريس فتقاطر اليه الادباء من كل صوب مقتبسين من آثاره وكاتبه العلماء والوزراء واهل الاقدار فانقطع الى خدمة الآداب وسمى نفسه رهين المحبين للزوم بيته ولذهب عينيه كما صرح في ذلك بقوله :

اراني في الثلاثة من سيجوني فلا تسأل عن الخبر النبيل
لفقدية ناظرية ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخليل
وكان يلعب الشطرنج والنرد (الطاولة) ويملي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلم وولع بالعلوم الرياضية واتقنها وله كثير من الايات الرياضية مثل قوله :
طرق العلى مجهولة فكأنها صم العوائد . لها أجذار
والعقل أنذرنا بما هو كائن في الدهر ثم تشعب الانذار
وعلى الجملة فان المعري كان غزير الفضل وافر الادب عالماً باللغة ضليعاً من آدابها حسن الشعر جزل الكلام قوي الذاكرة شديد الذكاء

٣ = حافظه ونوادره ووفاته

اشتهر ابو العلاء بقوة الحافظة اشتهاراً عظيماً فاق فيه بديع الزمان الهمذاني وغيره

وربما زاده حفظاً العمى فانه يجمع الذهن ويقوي الخيلة . وما يروى عنه انه خجسته حساب طويل بين رجلين في مكان تشرف عليه غرفته فسمع الحساب وتخفظه . ثم ضاعت الاوراق بعد ايام فأملأها عليهما ووجدت الاوراق بعد ذلك فكانت طبق إملائه .

وأعجب من هذا انه كان يوماً عند يهودي فأتاه يهودي آخر واستودعه صرة . ثم جاء يطلبها بعد سنة فانكرها فرافعه الى القاضي ولم يكن بينهما شهود الا المعري فاستقدمه القاضي وسأله . فقال : انني رجل اعمى لم ابصر ما كان بينهما . ولكنني سمعت كلاماً بالعبرانية اذكر لفظه ولا اعرف معناه . فدعا القاضي يهودياً خالي الذهن من القصة واعاد عليه الشيخ ذلك الكلام فاذا هو يؤذن بصحة الدعوى وأنشده مرة ابونصر المنازي قوله :

وقانا لفحة الرضاء واد	سقاء مضاعف الغيث العميم
نزائنا دوحه فحنا علينا	حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً	الذئ من المدامة للتديم
يصد الشمس اني واجهتنا	فيحجبها وبأذن للنسيم
تروع حصاه خالية العذارى	فتمس جانب العقد التنظيم

فقال له ابو العلاء : انت اشعر من بالشام . وطوبت الايام على قوله هذا فلما رحل الى بغداد انشده المنازي فيها :

لقد عرض الحمام لنا بسجع	اذا أصغى له ركب تلاحي
شجى قلب الخلي فليل غنى	وبرح بالشجي فليل نأحا
وكم للشوق في احشاء صب	اذا اندملت اجدها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى	وسكران الفؤاد وان تصاحي
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة	كأحدق المهى مرضى صحاحا

فقال له ابو العلاء . ومن بالعراق عطفاً على قوله قبلاً (انت اشعر من بالشام) الى غير ذلك وكان يقصده كثير من العلماء للتعارف به ومن نزل بالمرّة القاضي عبد الوهاب البغدادي فمدحه المعري (راجع ابن خلكان ١ : ٤٣١)

ومن نوادره ان الوزيرا بالفضل التميمي الدارمي البغدادي اجتمع بابي العلاء هذا في بلدته المرة لما بعثه القائم بالله العباسي من بغداد رسولا الى صاحب افرقية

المعز بن باديس وانشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حاب فقبل عينيه وقال - **الله**
أنت من ناظم
 ولقي يوماً غلاماً فسأله عن الطريق فدلّه . فسأله الغلام عن اسمه فعرفه به فقال له
أأنت القائل :

واني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تسطعه الأوائل
 قال : نعم . قال : ان الأوائل وضعوا ٢٩ حرفاً للهجاء فهل لك ان تزيد عليها حرفاً
 فسكت وقال لرفيقه : ان هذا الغلام لا يعيش لحدة ذهبه وهكذا كان
 وبقي اليك الألب مقطعاً الى التدريس حتى مرض ثلاثة ايام ومات في الرابع
 منها ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث من مرضه : اكتبوا عني . فتناولوا
 الدوي والاقلام فأمل عليهم غير الصواب فقال القاضي ابو محمد عبدالله التنوخي :
 احسن الله عزاءكم في الشيخ فانه ميت . فمات يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ٤٤٩ هـ
 (١٠٥٨ م) بالمعرة . وفي طبقات ابن الانباري انه توفي سنة ٤٩٩ هـ وهو خطأ .
 وقبره في ساحة من دور اهله وعلى الساحة باب صغير قديم وهو مهمل وقد اوصى ان
 يكتب على قبره .

هذا جنازه ابي علي (م) وما جئت على احد

والمشهور انه مكتوب على قبره :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونه صاغها الرحمن من شرف
 عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيره منه الى الصدف
 وقرى على قبره سبعون مرثية ورثاه نحو ١٨٠ شاعراً

٤ = اخلاقه ومعتقده

كان المعري حاد الذهن عصبي المزاج فضاق خلقاً في آخر ايامه لان العمي يورث
 الضجر وكثرت مصائبه فاختر العزلة واكثر الشكوى وسوء ظنه بالناس بدليل قوله :

من عاش غير مداج من بعائره اساء عشرة اصحاب واخذان
 كم صاحب يتنى لو نعت له وان تشكيت راغاني وفداني
 وقوله : توحد فان الله ربك واحد ولا ترغب في عشرة الرؤساء
 يقل الاذي والعيب في ساحة الفتى وان هو اكدى قلة الجلساء

وكان حر الضمير تدل سريره على ظاهره ولذلك قال :
وأردتموني ان اكون مدلساً هيات غيري أثر التدليس
وربما تظاهر بما ليس من خلقه تلبية لقوانين المعاشرة كقوله :
ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن اني جاهل
فواعجبا كم يدعي الفضل ناقص ووا اسفا كم يظهر النقص فاضل
وكان متواضعاً يمقت الكبرياء فلذلك قال :

دعيت ابا العلاء وذاك مبنً ولكن الصحيح ابو النزول
وبقي نحو ٤٥ سنة منقطعاً عن اكل اللحوم والبيض واللبن مقتصرأ على المأكـ
النباتية لانه كان يذهب مذهب من تقدمه من الفلاسفة الذين لا يعذبون الحيوانات
بالذبح وقال ابن الانباري : انه كان برهيمياً ولذلك لما وصف له فروج وهو مريض لم
يأكله بل خاطبه بقوله : استضعفوك فوصفوك . والى ذلك اشار تلميذه ابو الحسن
علي بن هام في مرثيته له بقوله :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرت اليوم من عيني دما
وكان يذهب مذهب الهند ايضا في احراق جثة الميت كما جرى لسبنسروكوخ في
عصرنا بدليل قوله :

حرق الهند من يموت فماذا (م) روه في روحة ولا تبكـ
واستراحوا من ضغطة القبر ميتاً وسوال لمنكر ومنكر
وقوله :

اذا حرق الهندية بالنار نفسه فلم يبق غض للتراب ولا عظم
فهل هو خاش من تكبر ومنكر وضغطة قبر لا يقوم لها نظم
ومن قواعده السياسية التي يصدع بها عظماء ساستنا في هذه الايام قوله :
يقول لك العقل الذي بين الهدى اذا انت لم تدرأ عدواً فداره
فقبل يد الجاني الذي لست واصلاً الى قطعها وانظر سقوط جداره
ومن مذهبه الشورى بدليل قوله :

مُلّ المقام فكم اعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وم أجراؤها

ومنه كرهه للمدح ولذلك قال :

إذا اثني على المرء يوماً بخير ليس في فذاك هاجي
وحقي أن اساء بما اقتراه فلو لم من غريزي ابتهاجي
ومن مبادئه التثبت عند حلول التوائب كما قال :

غير محمد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي إذا قدس بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلصم الحمامة أم غنت على فرع غصنها مباد
وذهب مذهب القائلين أن وجود الولد جناية فلم يتزوج بدليل ما أوصى أن يكتب
على قبره وبدليل أقوال له كثيرة منها :

على الولد يبجي والدولوانهم ولالة على امصارهم خطباء
وربما كان متردداً في البعث والمعاد والخلود ولكن اعتقاده بها أكثر من انكاره لها
ومن قوله :

أيها الملحد لاتعصي النبي فلقد صح قياس واستمر
أن تعد في الجسم يوماً روحه فهو كالربع خلا ثم عمر .
ولذلك ألف بعضهم كتاباً في الدفاع عنه سماه (دفع المعرة عن شيخ المعرة) وألف
كمال الدين بن العديم كتاب (دفع التجري عن المعري) وكتبت مقالات كثيرة في
تبرئته مما نسب إليه من الزندقة

• = شعره

يكفي في وصف شعر المعري أن يقال في ناظمه أنه فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة
وقد تصرف فيه تصرفاً غريباً ومسرح خياله في العوالم العلوية والسفلية فمثلاً أحسن
تمثيل وحرص الناس على شعره فجمع في ثلاثة دواوين (لزوم مالا يلزم) (وسقط
الزند) (وضوء السقط) وقد قلت فيها مورياً

ومبذرق نظر اللغيفة جاءني والنار قربي بالثقاب يضرم
مذ قال هذا ضوء سقط الزند قل ما تله أراه لزوم مالا يلزم
ومنها انتخب الآن ما يدل على مسرح خيال المعري وحسن وصفه ودقة فكره وقوة
بصيرته فمن أقواله يصف السهر والليل من قصيدة :

بانت عرسه اللوم من عيني محالة وبات كوري على الوجناء مشدودا

إذا أراد وقوعاً ربع أو ذبدا
والصبح نسراً فما ينفك مزوودا
فنام صحي واسى يقطع البيدا
وخاف أن تتفاضك المواعيدا
والرمل عني لما طل أو جيداً
وللركائب يخبطن الجلاميدا
فهن يمتحن بالارسان نقويدا

كأن جفني سقطاً نافر فرع
ظن الدجى فظة الاظفار كاسرة
تناعس البرق اي لا استطيع سرى
كأنه غار منا ان نصاحبه
من يخبز الليل اذ جنت حنادسه
اني أراح لاصوات الحداة به
كأنهن غروب ملوها تعب
ومن حماسياته قوله من قصيدة :

ينهل منهم النجيع الاحمر
فجراحهم بالسهرية تسبر
لاخضر في يني يديه الاسمر
فكأنما هو بالغدوة مهجر
منهم فتى فزع المهند يقبر
بالبيض تشفع عنده وتكفر
نون بدارك والمعالم أسطر

يتهللون طلاقة وكلومهم
لا يعرفون سوى التقدم آسياً
من كل من لولا تدبر بأسه
يذكي تلب ذهنه اوقاته
وضجيج طفلهم الحسام وان ثوى
فكأنهم يرجون لقيا ربهم
انا من اقام الحرف وهي كأنها
وقال من قصيدة أخرى في الفنى والفقر :

لسيان بل اعنى من الثروة العدم
ولا درهماً الا ودرّ بي الهـم
حياءً وعند الله من قائل علم
من التبر لم يثبت له في ندادك اسم
كآخر ماض ليس من شأنه الضم
بعذر فلا حمد لديه ولا ذم
سليم القوافي لازخاف ولا خرم

وان الفنى والفقر في مذهب الربى
ومانلت مالا قط الا ومال بي
لك الخير قد انفذت ما هو لمبسى
ولو انه اضعاف اضعاف مثله
واهون به في راحة اريحية
فمني نقصير ومنك تفضل
فلو كنت شعراً كنت احسن منشد
وقال ايضاً من قصيدة أخرى :

على عقد الوعاء عقد ضلال
فما وهبت الا سموط لآلي
فاتن منها والكثير حوالى

نقول ظباء الحزم والدمع ناظم
لقد حرمتنا اثقل الحلى أختنا
فان صلحت للناظمين دموعنا

جهلتن ان اللؤلؤ الذوب عندنا
ولو كان حقاً ما ظننتم لا غنتم
وقال في نار القرى :

الموقدي نار القرى الآصال والا
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى
وقال في خلاء الفكر للنظم والنثر :

ولولا ما تكلفنا الليالي
ولكن القريض له مغان
وقال في التوجيه البدعي :

فدونكم خفض الحياة فانما
وقال ايضاً :

حروف سرى جاءت لمعنى اردء،
وقال : ولو جرت النباهة في طريق ال
وقال : فصرفني فغيرني زماني
وقال من قصيدة :

وايلا تلحق الاهوال فيه
اذا سئمو الرحيل فكل غر
كأن جفونه عقدت برضوى
لوان حصى المناخ مدى حداد
وجاز الي ابراديه هجير
يرد معاطس الفتیان سفعاً
اذا الحرباء اظهر دين كسرى
واذذنت الجنادب في ضحاها
وقال : وكم لك من اب وسم الليالي
مضى وتعرف الاعلام فيه
وقال : لفظ كأن معاني السكر تسكنه

رخيص وان الجامدات غوالي
مسافة هذا البر سيف اوال^(١)

سبحار بالاهضام والاشعار
ترمي بكل شرارة كطراف

لطاب القول واتصل الروي
واولاهها به الفكر الخلي

نصبنا المطايا في الفلاة على القطع

برتني اسماء لمن وافعال
خمول الي لاخترت الخمولا
سبعة بني بحذف وادغام

بفود الشيخ ناصية الفلام
يرى صرعانه خلس اغنام
فما يرفعن من سكر المنام
ازرتها النخور من السام
يجوز من القراب الى الحسام
وان ثني اللثام عن اللثام
فصلى والنهار اخو الصيام
اذاناً غير منتظر الامام
على جبهاتها سمة اللثام
غني الوسم عن الف ولام
من تحفظ بيتاً منه لم يفق

فرتب النظم ترتيب الحلبي علي
 الحجل^(١) للرجل والتاج المنيف لما
 فان توافقي في معنى بنو زمن
 قد يبعد الشيء من شيء يشابهه
 وقال : ارى المجد سيفاً والقريض نجاده
 وخير حمالات السيوف حمالة
 وقال : كأن كل جواب انت ذاكره
 وقال : وكلامك المرأة تصدق في الذي
 وقال : فيا قبر واه من نرابك ليناً
 لا طبقت إطباق الحماره فاحتفظ
 وقال : وليلة سرت فيها وابن مزنتها
 كأنما هي اذ لاحت كواكبها
 كأنما النسرة قد قصت قوادمه
 والبدر يحث نحو الغرب أبنقه
 ومنهل ترد الجوزاء غمرة
 وردته ونجوم الليل وانية
 وقال : وأرى ابا الخطاب نال من الحجي
 لا يطلبن كلامه متشبهه
 أثى وخاف من ارتحال ثنائه
 كلم كذلم العقد يحسن تحته
 قد شوفت شوقاً الى نغاته
 والنخل ماعصفت عليه طيوره
 ردت لطائفه وحده ذهنه
 والنخل يجني المرء من نور الربى
 وقال ملغزاً في الابرة
 سعت ذات سم في فيصبي فغادرت
 به اثرأ والله يشني من السم

كست قيصراً ثوب الجلال وتبعاً وكسرى وعادت وهي عارية الجسم
وقال وقد ابدع في تشبيه الليل والبرق :

كما أغضى الفتى ليزدوق غمضاً فصادف جفنه جفنًا قريحاً
إذا ما احتاج احمر مستطيراً حسبت الليل زنجياً جريحاً
وقال وقد ابدع :

باسعد اخيبة الذين تحملوا لما ركبت دعيت سعد المركب
غادرني كبشات نعش ثابتاً وتركت قلبي مثل قلب العقرب
وقال : لا تطلبن بآلة لك حاجة قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له ربح وذلك اعزل
وقال : ولا تجلس الى اهل الدنيا فان خلائق السفهاء تعدي
وقال يصف انعكاس صورة السماء ونجومها في مرآة الماء

فأطمعن في اشباههن سواقطاً على الماء حتى كدن يلقطن باليد
فدت الى مثل السماء رقابها وعبت قليلا بين نسر وفرقد
وقال : أطرق كأنك في الدنيا بلا نظر واعمت كأنك مخلوق بغير فم
وان هممت بمين فاتخذ لهما^(١) مضاعفات لثني اللفظ باللف
وقال في ذم الدنيا من ايات :

وقد نطقت باصناف العنثات لنا وأنت فيما يظن التوم خرساء
يوج بحرك والاهواء غالبية لراكبيه فهل للسفن إرساء
إذا تعظفت يوماً كنت قاسية وان نظرت بعين فهي شوساء
وقال : ان الاعلاء ان كانوا ذوي رشد بما يعانون من داء اطباء
وما شفاك من الاشياء تطلبها الا الألباء لو تلقى الألباء
نفر من شرب كاس وهي تمبعا كأننا لمايانا أحياء

وقال يصف الشباب : ان الشبية نار ان اردت بها أحرأ فبادره ان الدهر مطفئها
وقال : اذا فعل الفتى ماعنه ينهى فمن جهتين لاجهة أساء
وقال في النساء :

علمهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة . وقراءه

(١) اللف بالفاء اللغام وهو ما علي طرف الانف من النقب

تجزئ عن بونس وبراءه
ان غنت الثمان وراءه

فصلاة الفتى بالحمد والاخلاص
تمتلك الستر بالجلوس أمام الستر
وقال في ادب الاخلاق :

فلا تنس المودة في الرخاء
فما دى الحقيقة في الاثاء
فليس بعارف طرق السقاء

اذا صاحبت في ايام بؤس
ومن يعدم اخوه على غناه
ومن جعل السقاء لاقريبه
وقال :

عليه مثل حباب الماء في الماء
فيختلف العهد من هند واسماء
والناس كالدهر من نور وظلاء

القلب كالماء والاهواء طافية
منه تمت^(١) ويأتي ماغيرها
والقول كالخلق من سيء ومن حسن
وقال :

فهايك أجنث^(٢) وهذا جنى^(٣)
فهل غير الظهر لما انحنى^(٤)
ولا استقامت فذا أمنا وذا رعبا
من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا
كالذيب يأكل عند الغرة الذبا
نجوم الليالي شيب هذي الغياهب

بنافي ابن آدم حال الغصون
تغير حناؤه شبيه
وقال : ان تستقيم امور الناس في عصر
ولا يقوم على حق بنو زمن
وقال : يغدو على خله الانسان يظلم
وقال : نقادم عمر الدهر حتى كأنما
وقال في المنام :

جدير الى غيري بتقل عيوي

وانك ان اهديت لي عيب واحد
وقال في الرياء :

مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

والخل كالماء ييدي لي ضمائر
وقال في فساد الناس :

فكلكم أخو ضعف مكور
ولامنكم على النعمي شكور

عرفتكم بني حواء قدما
وما فيكم على الاحسان جاز

(١) ظهرت (٢) ادركت ونفضت (٣) اي اثما ونحوه (٤) وهو بمعنى قول الآخر

ان المدلس لا يزال مرييا
أيعود عرجون القوام قضيبا

يامن يدلس بالخطاب مشبيه
هب باسمين الشيب عاد بنفسجاً

وقال: صدف الطيب عن الطعا
كل باطبيب ولا خلا
وقال: مثل الفتى عند التغرب والنوى
ان صادفت ارضاً أرتك خمودها
وقال: وان اقتناع النفس من احسن الغنى
وقال: وما الوقت الا طائر يأخذ المده
رأنتك البرايا ظالماً يا ابن آدم
وقال: اضرب وليدك تأدياً علي رشد
فرب شق برأس جر منفعة
وقال: النفس عند فراقها جثائها
كحماة صيدت فنتت جيدها
ولقد نسبة بعضهم الى الكفر لقوله:

ضحكنا وكان الضحك مناسفاة
تخططنا الايام حتى كأننا
ولكنه قال ايضاً في محل آخر:

خلق الناس للمعاد فضلت
انما ينقلون من دار اعمال
وقال ايضاً:

فاني وجدت النفس تبدي ندامة
وان صدئت ارواحنا في جسومنا
وقد لوم في قوله ايضاً:

تاه النصارى والحنيفة ما اهدت
قسم الورى قسمين هذا عاقل
والمرجح انه كان متردداً في مذهبه وربما كان اقراره بالدين في اخريات ايامه كيف
لا وهو القائل:

عجبي للطبيب بلحد في الخالق
ولقد علم المنجم ما يو
من بعد درسه التبشريحا
جب للدين ان يكون صريحاً

رب روح كطائر القفص المسجون ترجو بموتها التسريحاً
ومن ذلك قوله :

اذكر الهك ان هببت من الكرى واذا هممت لهجعة ورقاد
واحذر مجيئك في الحساب بزائف فالله ربك انقد النقاد
تغشى جهنم دمة من تائب فتبوح^(١) وهي شديدة الايقاد
وقوله : ازول وليس في الخلاق شك فلا تبكوا علي ولا تبكوا
وقوله : لا يباسن من الثواب مراقب لله في الايراد والاصدار
فترى بدائع انبأت متحسناً ان الجزاء بغير هذ-بي الدار

وشعره كله على هذا النمط من حرية الفكر والشكوى وله من القصائد الفخرية المشهورة وغيرها ما يجتري عن ذكره الآن ومن نوادر قصائده ما نشرته مجلة المقتبس (٩٧:٢ و٦٦:٤) وعلى الجملة فان المعري دقيق التصور حتى يمثل لك احياناً اموراً لا يستطيع تمثيلها البصير وهاك الآن من فلكياته ما يدل على سمو مخيلته فمن قوله في الفجر :

كأن سنا الفجرين لما تواليا دم الاخوين زعفران وايدع
افاض علي تاليهما الصبح ماءه فغير من اشراق احمر مشبع
وقوله : كأن الليل حاربها ففيه هلال مثلاً انعطف السنان
ومن ام النجوم عليه درع يحاذر ان يمزقها الطعان
وقد بسطت الى الغرب الثريا بدأ غلقت بانملها الرهان
كأن يمينها سرقتك شيئاً ومقطوع على السرق البنان
وقوله بغرن علي الليل اذ كل غارة يكون لها عند الصباح توالي
ولاح هلال مثل نون اجادها بجاري النصار الكاتب ابن هلال

ولقد اعتنى كثير من الغربيين بجمع اشعاره وترجمتها الى لغاتهم مثل كارليل (Carlyle) المستشرق الانكليزي استاذ العربية في جامعة كمبرج في اواخر القرن الثامن عشر فانه ترجم بعض ابيات باللاتينية والانكليزية . وهكذا فعل المستشرق النمساوي فون كزيمر (Von Kzimer) فانه نشر مقالات كثيرة في (المجلة الجرمانية الآسيوية) عن ابي العلاء وافكاره وشعره نظماً سنة ١٨٧٧م ثم الف كتاباً

ب عنوان (اشعار ابي العلاء المعري الفلسفية) طبع في فينا سنة ١٨٨٨ نقل فيه نثراً أكثر من مائتي بيت من شعر المعري . ثم ترجم رباعياته بالانكليزية نظماً صديقي امين افندي الريحاني اللبناني بكتاب انتخابه من دواوينه الثلاثة وطبع في نيويورك سنة ١٩٠٣ في ٤٤ اصفحة صدره بمقدمة بحث فيها عن ابي العلاء وسيرته ومن رأيه ان عمر الخيام الشاعر الفارسي قد تجدها وهما متعاصران . واختار موسى افندي ييكيف من افضل قازان (روسيا) منتخبات من لزوميات المعري ونقلها الى التركية في نحو مائتي صفحة . مطبوعة في اورنبورغ سنة ١٩٠٨ م . واعتنى كثير من القدماء بدواوينه فان عبد الله بن السيد البطلوسي النحوي الاندلسي شرح سقط الزند شرحاً استوفى فيه المقاصد وهو اجد من شرح ابي العلاء صاحب الديوان المسمى بضوء السقط . وكذلك التبريزي خريج المعري شرح سقط الزند .

وكان حسين بن الجزري شاعر بني سيف امراء طرابلس الشام مغرمًا بالمعري فكاتب على ديوانه لزوم مالا يلزم

ان كنت متخذاً لجرحك مرهاً فكتاب رب العالمين المرحم
او كنت مصطحباً حبيباً سالكاً سبل الهدى فلزوم مالا يلزم

ودواوينه الثلاثة مطبوعة في مصر وسورية . وقد قابلت مجلة المقتطف الغراء بينه وبين ملثون الشاعر الانكليزي الضريع صاحب (الفردوس الضائع) راجع السنة العاشرة صفحة ٤٤٩ ومجلة الهلال النزاء ترجمته في السنة الخامسة عشرة صفحة ١٩٥ . وترجمه رضاء الدين افندي ن نحر الدين من علماء اورنبورغ في روسية بالتركية التترية في ٧٢ صفحة طبعت في المدينة المذكورة سنة ١٩٠٨ . وغيرهم

ولقد كان المعري والمتنبى وابن هاني ممن اختطوا خطة جديدة في الشعر لم ترق في عيون المحافظين على الاسلوب القديم فلذلك لم يسمحو للمتريشحين للنظم ان يتحدوهم كما في مقدمة ابن خلدون وغيرها فالمعري اشبه بفكثورهيكو عند الافرنسيين وكذلك صنواه

٦ = نثره وكتبه

اهم ما وصل الينا من نثر المعري رسائله التي نشرت في بيروت سنة ١٨٩٤ مشروحة بقلم الاساذ شاهين عطية اللبناني في ٢٤٠ صفحة . وفيها تكلف غريب واغراب في النثر لم تألفه العامة واليك الآن أمثلة منها تعرفه عند القراء :

فمن ثمره قوله من رسالة « ان كان للآداب أطال الله بقاء سيدنا نسيم يتضوع .
وللذكاء نار تشرق وتلغ . فقد فغنمنا . على بعد الدار أرج أدبه . ومحا الليل عنا ذكاؤه
بثليبه . وخول الاسماع شوقاً غير ذاهبة . واطلع في سويداوات للثلوب كواكب
ليست بغاربة . » ومما كتبه الى صديق له سأله ان ينقصه في ترتيب المكاتبة « وقد
أيقنت ان رسل نصيحته ليس بسمار . وان صواب رأيه عن غيرائهم . ولم اكتب في
امر ابي فلان الا متشكراً ثم ثبتت باسترفاد المعونة مذكراً . اذ كان ادام الله عزه لا يشير .
لسائله الى الرغد البعيد . ولا يضرب لراجيه رؤوس المواعيد » وكتب الى ابي القاسم
المعري جواباً عن فصل كتبه اليه وهو يرثه « كلما هم خبري بالهمود . واشرفت على
الخلود . نعشني الله بسلام يرد من حضرته يجعل اثرى كالروضة الحزنية . والبارقة المزنية .
ولو كنت عن نفسي راضياً . لشرفتها بزيارة حضرته . ولكنني عنها غير راض . وما اقربني
الى انقراض . وانما انا قضيب التمراد . وتختلف المراد . قد عدت في اناس قيل فيهم
تهلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسألون . عما كانوا يعملون . فان
نعمت اوشقيت . فدعائي ينصل بحضرته مابقيت اه » وكتب من رسالة « لو اتصلت
كتب مولاي كاتصال الامطار وتواتت نوال الى الانفاس لكنت بوليها . أمرني بوسمها .
والى مستأنفها . أشوق مني الى سالفها . وما يكتب الا في ير . ولا يبحث على غير المصلحة
في الجهر والسر . وما ادري ما اقول في السعادة التي قد رزقتها عنده حتى غطت معابي .
وسترت الاسدة التي أضرت بي . فما انكر بمدحها ان تعد نطفات الدر لام الادراس .
وان تصاغ مناخل الذهب للرياح . وان يدعى المدعون ان ريش ابن انقد سهام صائبة .
او قنوت يزنيه » وقد اطال في بعض رسائله حتى ان المطالع يمل مطالعتها ولا
يتجملد ليتم قراءتها واخصر رسائله ما ختمها بقوله
« كانت كتبي اليه كبراح الأروى تكون في الدهر مرة . والآن صارت كسوانح
الغربان وبوارح الظباء

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

ومن الخف فدواؤه ما قال بشار . وليس للحف مثل الرد . وعليه سلام لو كان يوماً
لكان يوم عرفة . اوشهرأ لكان نائماً اي شهر رمضان والسلام وحدي الله وحده » وقد
عني بطبع رسائل المعري هذه الاستاذ مرغليوث وترجمها بالانكليزية معلقاً عليها شروحات
مفيدة من اديبة وتاريخية مصدرة بترجمة المؤلف للمؤرخ شمس الدين الذهبي معتمداً على

نسخة في مكتبة ليدن قابلها على نسخة بيروت المشار اليها وقال انها ينقصها تسع رسائل وبعض العاشرة .

ومن ثمره الذي بين ايدينا الآن (رسالة الغفران) وهي التي وصفها شمس الدين الذهبي في ترجمة المعري بقوله « له رسالة الغفران في مجلدة قد احتوت على مزدكة واستخفاف وله رسالة الملائكة ورسالة الطير على ذلك الامتداد » ارسلها الى علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح ^(١) صدرها باشواق وتحيات ثم اشار الى وصول رسالته اليه واثنى عليها ثم استطرد الى وصف الجنة ونعيمها ومن دخلها من الشعراء والملائكة على اسلوب اشبه بالشعر القصصي الروائي عند الافرنج اليوم فجاء بعده باكثر من قرنين دانتي شاعر الايطاليين ونسج على منوالها (الرواية الالهية) وملتون شاعر الانكليز (الفردوس الضائع) وغيرها ولكنهما لم يغربا باللغة مثله . وقد طبعت رسالة الغفران مصححة بقلم الشيخ ابراهيم اليازجي اللبناني في مصر سنة ١٩٠٧ م في ٢١٣ صفحة . ولها نسختان مخطوطتان احدهما في المكتبة الخديوية بمصر والثانية في مكتبة الكوبرهلي في الاسكندرية . ولا بأس ان نلخص منها الآن قوله في الشعر صفحة ٥٥ : « فقال وما الاشعار فاني لم اسمع بهذه الكلمة قط الا الساعة . فقلت الاشعار جمع شعر . والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط ان زاد ونقص ابانه الحس . وكان اهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات فجئت بشيء منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول في هذا الباب » ومن قوله في اللغة صفحة ٩٣

« والباب فيما كان مضاعفاً متعدداً ان يجيء بالضم كقولك عدت اعد ورددت ارد وقد جاءت اشياء نوادر كقولهم شددت الحبل اشد واشد ونممت الحديث اتم وانم وعلت القوم اعل واعل . واذا كان غير متعد فالباب الكسر كقولهم حل عليه الدين يحل وجل الامر يحل . والضم في غير المتعدي اكثر من الكسر فيما كان متعدداً كقولهم شح يشح ويشع وشب الفرس يشب ويشب وصح الامر يصح ويصح وفحت الحية تفح وتفتح وجم الماء يجم ويجم وجد في الامر يجد ويجد في حروف كثيرة اه » وللمعري مؤلفات كثيرة غير ما ذكر المع اليها الحاج خليفة في كشف الظنون اهمها ظهر المعري في النحو . والفصول والغايات . واقليد الغايات . وكتاب الفصول . وكتاب

(١) وقد اراني صاحب مجلة المقتبس نسخة من رسالة ابن القارح هذه سينشرها

قريباً .

السادر • وقاضي الحق • والقائف على مثال كليلية ودمنة وتفسير منار القائف • ومهيج
الامرار • وملقي السبيل في المواعظ • والمواعظ السنوية ونظم السور • والختير النافع
في النحو • وخطب الخيل عن السنتها • ورسائل المعونة • والصاله والساجح • وزجر
النأخ يتعلق بلزوم ما لا يلزم • والسجعات العشر في الوعظ • وسجع الحمام • والسجع
السلطاني في مخاطبات الملوك والوزراء • وسجع الفقيه • وسجع المضطرين عمله لرجل
تاجر يستعين به على دنياه • وشرف السلف عمله لامير الجيوش • واهم مؤلفاته الايك
والقصون او الهمة والردي لم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من فنون الشعر والادب
الا احصاءا يقع في الف ومائتي كراس وربما بلغ اربعين مجلداً من كتبنا اليوم • الى
غير ذلك مما يغني قليله عن كثيره

فهذا شيخ المعرة وفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة وهذه آثاره التي خلفها للنارحه
الله تشد قول ابي الفتح حصينة المعري فيه :

وعجت ان تسع المعرة قبره ويضيق بطن الارض عنه الاوسع
لو فاضت المهجمات يوم وفاته ما استكثرت فيه فكيف الادمع
زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

نظرة في النظرات

تمة ماورد في الجزء الماضي

اراد المنفلوطي في كلامه هذا ان يخطي الامام بأن مادعا اليه من المباديء الدينية
لم يحن بعد وقتها وان سواد هذه الامة لم يتأهلوا لقبول هذه المباديء جاعلاً ذلك علة
العلل في الحادهم ومروقهم من الدين وهو قياس منطقي أعيد المنفلوطي عن ان يحشوفكره
بمثله من الاوهام والخيالات التي ابان فيها عن فكر ليس له حظ من التجربة والاختبار •
لا بد متطوع صاحب النظرات فيما علم ان يتكر ان جل الدعاة ان لم اقل كلهم انجهم
الدهر ولدتهم العصور في اوقات كانت فيها الافكار حيرى يتارع بعضها بعضا في ميدان
الحياة • ومن هنا نعلم الحاجة الماسة الى المرشدين في مثل هذه الاحوال الحرجة والمآزق
الضيقة وانهم هم قاموا بفكرة اصلاحية لا بد ان يلاقوا في طريقهم من عثرات الفريق
المخالف ما يستهدفون معه ان يروا الايذاء فيقومون بين مثالب الطعن والنقد حتى تنسرب

الفكرة الى بعض من يعمل على نشرها في سمرم وجهرم ليقوا من سعيهم هذا خميرة حيوية في المجتمع الانساني لمن يأتي بعدهم من تجد لها من عقولهم مباءة فتتأصل في نفوسهم فيستفيدون اذ ذاك ويفيدون بما يدعون اليه ويسعون وراء اشرايه النفوس ماوجدوا الى ذلك سبيلا .

بمثل هذا قامت المذاهب والاديان وتأيدت الآراء العلمية والنظريات الفلسفية . واذا لم يكن الامر كذلك فلiddel لنا المنفلوطي برهاناً يبين مصلحاً قام بفكرة جديدة ولم يقم في وجهه في بيئته حتى من بني جلدته من يعمل على محاربة اومهاضته بكل مافيه من قوة وقدرة .

ويا لله كيف جازله ان يحكم على ان المبادي، السامية التي دعا اليها الشيخ محمد عبده كانت مدعاة للالحاد والمروق من الدين بدعوى ان دعوته لم يحن بعد وقتها او انه يوجد ثمة من يقيتها ويبندها او انها شرت بين فئة اتخذوا من هداها ضلالاً ومن نورها دجى حالكاً . وهؤلاء تلامذته مصريهم وشاميهم وعراقيهم وحجازيهم في عامة الاقطار يتناغون في مبادئه ويتدارسون كتبه لم ينظر اليهم الاستاذ المنفلوطي ونظر الى فئة ضالة مضلة لابد من وجودها في كل عصر ومصر

وكان الواجب على من لم يفهم ما اراد الاستاذ الامام او اشتبه عليه بأن يسأل عنه اهل العلم فقد قال احد شيوخ العلم : « يستحيل في نظر العقل ان يدعو الحق الى الباطل والهدى الى الالحاد وأصول الدين الصحيح الى المروق منه ، بل ما بطل مبطل ولا الحد ملحد ولا مرقق مارق الا ببطله بالاصول الصحيحة ونبذه التلم السديد وسلوك جواده القويمة »

ولو كان من شروط الدعوة فقد المناوئين خشية مناهضتهم ومحاربتهم لما قام نبي بدعوة ولا عالم بأرشاد وتعليم ولكانت الفكرة الاصلاحية التي قويت وشاعت بالمناهضة ثوت في ثرى الرمس قيل ان بلحد القائم بها ولما كثر رأينا كتاباً منزلاً ولا ادباً غصاً ولا علماً صحيحاً وبالجملة ما كانت اللام مدنية زاهرة ولا عمران زاخر .

ولا وجه لانكاره على هذا الامام التأويل لان اتخاذ التأويل قاعدة مما لانكران فيه في كل تأويل جرى للسان في مثله ووسعته اللغة وهي ثروتها وغزارة مادتها وسعت من المجاز ما يربو على الحقيقة حتى صرح أئمة البيان بأن الحجاز اكثر من الحقيقة . ولو اثار نظره الى من سبق ذلك الامام في مسألة الحزن والملوك كحجة الاسلام الغزالي والراغب

الاصفهانى والقاشانى ونحوهم لما اكبر هذه المسألة وقد اوضح ذلك الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمى في كتابه « مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن » وافاض في هذه المسألة بما لا يبقى معه ريبه لمرتاب فليرجع اليه من تراء ^(١)

واما ما قام به الامام من بيان اسرار الدين وحكمه فذاك فن قد علم عني به ائمة الاسلام وفلاسفته كالائمة الذين تقدم ذكرهم واضرابهم وهو عندهم من اجل الفنون التي يجب درسها والتوسع فيها . وقد اخذوا على انفسهم ان يفهموا الامة ان الدين مؤاخ للعقل مؤازر للحكمة ليس فيه ما يعلو عن العقل او ينبو عن الفهم وحجتهم في ذلك ان القرآن الكريم هو الذي مهد السبيل للتعليل وصرح بذلك في آيات لا تحصى كما اوضحه الامام ابن القيم في كتاب « التعليل » وقد حذا حذوه من المتأخرين حتى برع في هذا العلم — علم الحكم والاسرار — الامام ولي الله الدهلوي فآلف كتابه المشهور « حجة الله البالغة » وافرغ جهده في استنباط الاسرار في العبادات والمعاملات حتى جاء في مجلدين كاملين حافظين . ولقد سنفه المنفلوطي رأي قاسم بك امين ايضاً وانحى عليه لانه دعا المرأة وقد رآها في احط دركات الجهل الى ان تلم بمعرفة ما يلزمها في جهاد الحياة وجلادها من تربية وتعليم لتكون امرأة صالحة لهذا المجتمع فتدير شؤون منزلها او تضرب في الارض لترزق ان عضها ناب الفقر ونجعت بموت من يعولها ويكفلها وهو لم بدعها الى ذلك — كما يعلم المنفلوطي — الا خشية ان يمزق الحجاب وهي من الجبل المربع بمكان .

وما ذنب قاسم بك ان بين رأيه ولم يأبه لكيد الكائدين من تجار الادب والدين « والمرأة اخذت بالاسهل من رأيه والالصق بنفسها من نصيحته فتبرجت ورفعت برقعها قبل ان تنسج لها برقعاً من الادب والحياء »

ومما لامشاحة فيه ان رجل المرأة قاسم بك قام بدعوته احسن قيام فوصف الدواء بعد ان شخص الداء ولو كان في البلاد الاوربية لاقيت له النصبة والدمى — وان كان صاحب النظرات لا يقول بالتماثيل — احتفاء به واعتباراً ببيض اياديه وسابقة فضله عليهم او لو كان المنفلوطي يقدر عمل العامل وفضل الفاضل لما جرأ على ان يقول فيه : « مارأيت باطلا اشبه بالحق من باطله » ^(٢)

(١) طبع في الاعداد الثلاثة من المجلد الخامس من هذه المجلة ثم أفرد منها كتاب

خاص علي حدة (٢) مقالة طبقات الكتاب ص — ٤٢٢

— ٢٠٤ —

آراؤه

ذهب الاستاذ المنفلوطي في طائفة من آرائه مذاهب فريق من فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر في اوربا حتى قابله بعضهم بروسو من حيث نظره الى المجتمع الانساني وما قالوه : ان ما كتبه روسو في فن التربية والتعليم قائلا : « ايها الرجال ، لا ترهقوا النفس الصغار على ان يفكروا كما تفكرون ويعتقدوا ما تعتقدون ولا تحاولوا افساد ملكاتهم بهذه الفضيلة الموهومة والحربة المطلية التي هي في مذهب العقل غاية العبودية ومنتهى الاسترقاق الخ ٠٠٠ » — ان مقالته روسو تعرض له المنفلوطي في فصل له عنوانه « مدينة السعادة »^(١) « واغرب ما لفت نظري اني لم ار في تلك المدينة ذات التمايز الذي اعرفه في مدائننا بين الناس في منازلهم ومراكبهم وازيائهم كأن جميع سكانها سواء في حالة المعيشة ودرجة الثروة »

وفي المنفلوطي نزعة اشتراكية تتجلى على اشدها في هذا الفصل في قوله : « وحسب الرجل من البشر بيت يؤويه ومزرعة صغيرة يقتات منها وادابة تحمل اثقاله ثم لاشأن له فيما سوى ذلك »

وقالوا : يرى روسو ان الدور العالية التي شيدتها الحكومات للتعليم هي التي تفرس مبادئ الجهالة في النفوس وتبعد الانسان عن عقله وفطرته^(٢) والمنفلوطي يقول : « واي حاجة الى المدارس في مثل هذا المجتمع وليس بأمر بآثامنا منا فنحن الذين نتولى تعليمهم وتهذيب نفوسهم وتمرهم على العمل النافع فلا مدارس عندنا غير المصانع والمزارع نعلمهم كيف يرمون البذور وكيف يمتصونها وكيف يصنعون الآلات الزراعية وكيف يستعملونها الخ ٠٠٠ »

وبالجملة فمن رأي الشيخ المنفلوطي ان لا يكون في هذا المجتمع سيد ولا مسود ولا غني ولا فقير ولا حاكم ولا محكوم فالشطرن الاكبر من الفلسفة التي ينتهي اثرها هي فلسفة خيالية لا تاثير لها في ابناء القرن العشرين الا بقدر ما للاساطير من التأثير في العلوم الرياضية . وهي ان جاز ان يكون لها انصار قبل مائتي سنة او يزبد فلن تجد لها فيما حسب من هذا الجيل الجديد الناثي على افكار داروين وهيكلي وهكسلي وسبنسر ورائكي ومومسن وبالزك وزولا نصيراً وظهيراً لانها مخالفة لسنن الطبيعة والحياة العملية .

وقد ذهب مذهب (اسكندر دومافيس) ولغيف من مفكري المتأدبين الغربيين في مقالته «غرفة الاحزان»^(١) في المرأة المحرمة من حيث انهم يهدون لها الاعذار ويرون الرجل اجدر باللائمة منها لانها ضعيفة مفرطة الشعور ولانه هو الذي هم بها فراودها عن نفسها واراد ان ينزل بها سوء نفعها اذ عاهدها ان تكون له زوجة ويكون لها بعلا فسلبها قلبها وشرفها وعفتها وغادرها حين علم ان في احشائها جنينا يضطرب وبين جنبها ناراً تضطرم وكان سبب شقاقها حتى اصبحت حزينة ذليلة تفضل الموت علي عيش لا تستطيع معه ان تكون زوجة لرجل أو أمًا لولد واخذ المجتمع البشري يتهم بها ويعبث مما زادها حزنا واكتئاباً .

وقد مثل لنا هذه البغي وقد تركت وراءها ماتراه من النعمة الواسعة والعيش الرغد في ذلك القصر الذي كانت متمتعة فيه بعشرة امها وابيها الي منزل حقير في حي مهجور لا يعرفه احد ولا يطرقه طارق اشقضي فيه البقية الباقية من حياتها .
ولم يكتمف ببيان هذه الجناية وحدها بل جعل ان امها واباها قضيا حزنا لفقدوها وياساً من لقاءها وختم الحادثة بان اضاف علي تلك الجنايات جنابة اخرى وهي هلاك المرأة المحرمة بعد ان اودع نفسها من العواطف الشريفة ما شعرت معه بمصيبتها حتى ساورتها الهوم وبلانت منها مبلغاً اودى بحياتها وهكذا ضاعب الجرم علي الرجل وجعله كاذباً وخادعاً واصاً وقاتلاً وختم المقالة وهو يحض الرجال القاسية قلوبهم النصح للرفق بضعيفات النفوس من النساء .

والظاهر ان الاستاذ المغلوطي كان لا ينظر الى الحقيقة من حيث هي بل كان قلته حين يأتي علي وصف حادثة يختلف باختلاف المظاهر والمؤثرات فيتنازى صفحات مقالته، هذه مكتظة بجائلاً النفوس شفقة ورحمة وعطفًا وحناناً علي العاهرات اذا به يضن عليها بجندي يقف ليغفرها ممن يريد ان يسلبها من الحقوق ما لم يبق لها منها الا الدماء ويستكثر عليها ذلك في موقف هي خليقة بالشفقة والعناية اكثر من كل المواقف .

ولقد رأينا وهو يتكلم علي «المرقص» في الازبكية يحمل على الحكومة المصرية حملة منكرة ويحتم غيظاً وحنقاً لان هذه الحكومة المدنية المادبة (علي رأيه) التي هي مسؤولة امام القانون عن استقرار الامن واستتبابه تبعت بجندي يحمي ابواب العاهرات لئلا يعبت المشاغبون بالامن والسكينة او يعيشوا في الارض فساداً .

وما قال : ^(١) « ان العين لا تكاد تملك مداً معها سحاً وتذراً فاكماً ابصرت هذا الجفندي الشريف واقفاً هذا الموقف الدليل يسمع قراع الدفوف ، لاقراع السيوف ويرى حمرة الصبء لاحمرة الدماء ويحكي الفسق والفجور لا القلاع والنفور . وما اعجب لشيء عجي لهذا الحكومة التي تضن بجنديها ان يشتمه شاتم او يلتمسه لأمس فتغضب له غضبة مضرية تترأى فيها الشهامة والحمية والعزة والنخوة ثم لا تضن ان تؤجره نائمة في الجنائز او قوادة في المراقص »

هذا ما قاله المنفلوطي وما يحده الى هذا الا انه ود ان يكون في طليعة من يعمل بالدرس الذي القاه على الرجال القاسية قلوبهم ليعلمهم فيه الشفقة والرحمة والاحسان !!! وما اراه في مبداء هذا الاكتولستوي الفيلسوف الروسي الشهير الذي يهيج هائج على الحكومة الروسية ويدهمها بالمعرة والدعارة لانها تبث بالاطباء الى المواخير العالمة وتعهد اليهم ان يعنوا بتطهيرها خيفة ان تنتقل جرائم الادواء الدوية من هؤلاء البغيات الباغيات فتعم الشعب بأسره وتراه يرمي الاطباء بكل مكروه بدعوى انهم يدعون وراء اشاعة الموبقات وتسهيل اسباب الفسق والفجور ^(٢)

ويقضي علينا الاخذ بأري هذا المصلحة الاخلاقية الروسية ان نهمل تعهد اما كن الفسق والمواخير وان ندع الجرائم تفتل بمن ملكت عليهم امرهم لتسري العدوى في الآخرين وتنتشر الامراض الوبيئة الوبيئة في الامة حتى تهلك عن آخرها بدعوى صون اخلاق الشعب كيلا يتطرق اليها الفساد والخلل .

وقد رحم السيد المنفلوطي المرأة البغي في غير هذا الموضع ايضاً وحض على الزوج بها ^(٣) ليرد اليها عرضها وزعم ان ذلك من اعظم القربات وعد الرجل الذي يرد العرض الضال الى صاحبه المفقوع فيه اشرف ممن يمنح الحياة فاقدتها . على شرط ان يكون الباعث على الزواج الرحمة والرأفة والحنان والشفقة لينظر في اصلاح قلبها ويحاول ان ينزع من جنبها ملكة الفساد الراسخة في نفسها ويدخلها مداخلة المؤدب المذهب الذي بصور في نظرها معيشة الفساد بسورة تنفر منها وتشتغلها .

وما قال : « ليت الرجال بأنثرون جميعاً على ان يستنفذوا بهذه الوسيلة الشريفة (الزواج) كل امرأة ساقها فقرها وعدمها او فقد عالمها الى البغاء »

(١) ص ١٥٢ (٢) رواية البعث لتولستوي (٣) مقالة الاحسان في الزواج

وقد صرح في هذه المقالة ان « بقاء البغي شقاء ماجناه عليها الا الرجل نجدير به ان يفرم ما اتلف ويصلح ما افسد » وتعرض للمرأة ايضاً في مقالة التوبة ^(١) فكأن بين جنبيه جذوة نار من الحقد والموجدة نثقت على الرجل لانه قتلها وعلى المجتمع الانساني لانه لا يعاقب القاتل تكى جرمه ولا يسلكه في سلسلة المجرمين .

والغالب ان ثقتته بالجرائد المصرية ضعيفة جداً فهو يراها نادياً من اندية القمار والكتاب جماعة اللاعبين والرؤوس المصرية موضوعة على مائدة الالعب كما توضع الاكر على طاولة « منضدة » (البلياردو)

والسيد وطني سلمي معتدل يفضل اتفاق الاحزاب السياسية على اختلافها وتعارفها على تناكرها مادامت الغاية من تأليفها « تحرير الوطن من رق العبودية »

ومن رأيه ان العلماء والجهلاء سواء ^(٢) وليس بين الفرقين من الفرق الا ان هؤلاء لا يعرفون كيف يعبرون عن آرائهم وافكارهم واولئك اعرض عنهم في كيفية افشاء الحكمة اليهم وسعيهم وراء وعظهم وارشادهم وان ما ينطق به الحكيم العالم من جوامع الكلم هو نفس ما يأتي به الجاهل من الامثال لولا ان كلام الاول في اسلوب مجود ومقال الثاني في تعبير مبتذل .

بقول قوله هذا ثم يكتب في مقالة « موت العظماء » مانصه : ^(٣) « ليست هذه العشرة ملايين (يعني المصريين) التي نراها الاطفالا رضع ، وسوائهم رتع لولا علماؤها واذا كباؤها الذين يقودونها الى الخير يأخذون بيدها في ظلمات الحياة »

فلست شعري اذا كان العلماء والجهلاء في مستوى واحد من العلم والتربية فلماذا ينحني إلى أمتة ، وانباء دياره وينزلم منزلة الحيوانات العجم وفيهم العالم والجاهل . واذا كان المنفلوطي قد وجد في معاجم اللغة ان مادي العلم والجهل من الالفاظ المترادفة فيكون كلامه حينئذ جامعاً لمتناقض الاحكام .

— ه —

لغته

لم ارفيا رأيت من الكتب الممتعة التي وعت نتاج قرائح اهل الادب في هذا العصر كالريحاني وامثاله افصح لغة ولا اصح تركيباً من كتاب « النظرات » فانك ترى على فصوله مسحة العربية الاولى وقد خات في الغالب من ركازات الكتاب

الجدد والمبدوء من تراكيهم وجملمهم المتعاطلة التي اعتورتها العامة حقبة من الزمن
انسلخت فيه عن العربية الخالصة حتى اصبحت الى الاعجمي اقرب منها الى اللسان
العربي المبين .

بيد اننا نرى من الواجب ان لانمسك القلم في نقد مارأى بناه من سقطاته في جمل
نزات منزلة اقوال العامة والفاظ لغوية كان الاجدر بكتاب ادبي مثل هذا ان يكون
مصوناً عنها .

فما نأخذه به استعماله فعل (ازدرى) متعدياً بالباء والعرب لا يعرفونه الا متعدياً
بنفسه في قوله في مقالة « النبوغ » « من العجز ان يزدرى المرء بنفسه » واستعماله
(الوظيفية) بمعنى (المنصب) وقوله : « خرج في المنطق عن الحيوانية والناطقية »
والصواب ان يقال : « من الحيوانية والناطقية » وقوله « جداً عجيب » والاولى ان
يقال « عجيب جداً » لان « جداً » اذا قدمت اضيفت الى ما بعدها ونسبته « بديهية »
على « بديهي » وكان عليه ان يقال (بدعي) كما يقول في « بجيلة (بجلي) واستعماله
(تلام) بمعنى التأم في قوله في مقالة الجمال « غير متناسبة ولا متلائمة » وقوله : « ويحبس عليها
اناسها » فان حبس هنا لاتعدى الا بـ « عن » فاذا تعدت بـ « على » كانت بمعنى
« الوقف » واستعماله « البسيط » بمعنى « الساذج » وقوله « ودققت النظر » والعرب
نقول . « دقق الشيء اذا انعم دقه » واستعماله « تربى » بدل « ربي » وجمعه لفظة
« مثل » على « امثلة » والمسموع « امثال » وقوله « في السنة العامة » والصواب « على
السنة العامة » واستعماله « الاعواج » بدل « الاعوجاج » و « تعرج » عوضاً عن
« تعوج » و « احتجز » بمعنى « منع » وقوله « لاتسلم الا الحياة » وهي عالية والافصح
« ولاتفادي الا بالحياة » وادخاله واو الحال على المائضي بعد الا كما انها لاتدخل على
المضارع المثبت في قوا . « فما رأيت سطوراً متطوعة الا باسط متشابهة الاطراف الا
وقرأتها » وقوا . « نهشه في اصبعه » والصواب « نهش اصبعه » واستعماله « الاعراض »
بمعنى « العلامات » وقوله « يودعه الله في فطرة الانسان » والصواب « يودعه الله
فطرة » الخ

هذا مارأينا ان تنبه على ماورد في كتاب النظرات من الالفاظ والجل مما لاعهد للعرب
به كما ان ثمة الفاظاً اغفلنا ذكرها كاستعماله لفظة (المراسح) بدل (المسارح)

و (البالونات) عوضاً عن (المنافيد) و (الميكروبات) بدلا من (الجراثيم) و (الطاولة) بدل (المنضدة)

والعاقلة يغتفر له هذه الهبات النسيبة اذا عرف ان الكتاب بين ظهري امة معظم صحافيتها وادبائها وكتابها يرون ان في هذه اللغة التي يكتبون بها الغناء والكفاء عن ان يتحدوا العرب العرباء في مناجي اساليهم واقوالهم ولله في خلقه شؤون .



وصفه

وهب السيد المنفلوطي ملكة خارقة في الوصف تكاد تكون فيه طبعاً وسليقة . واني لاقرأ له القطعة الادبية فيخيل الي من سحرها ان نفحة من فلم « هيكو » تهب علي فلا اكاد اتم قراءتها حتى اهم باعادتها المرة بعد الاخرى واحمد الله تبي ان وجد في هذا العصر من يفتح هذا الهيكل البالي من الادب روحاً جديدة ليحيي حياة رغد وهناء :

قال في مقالة الغد : ^(١) « الغد بحر خضم زاخر يعب عبابه وتصطبغ امواجه ، فما يدريك ان كان يحمل في جوفه الدر والجوهر او الموت الاحمر »

« ولقد غمض الغد عن العقول ودق شخصه عن الابصار حتى لو ان انساناً رفع قدمه ليضعها لا يدري ايضها تلي عتبة القصر او تلي حافة التبر »

« الغد صدر مملوء بالاسرار الغزار تحوم حوله البصائر ، وتسقطه العقول ، وتندرجه الانظار فلا ييوح بسر من اسراره الا اذا جادت الصخرة بالماء الزلال »

« كأنني بالغد وهو كامن في مكنته رابض في مجشمة مثلفع بفضل ازاره ينظر الى آمالنا وامانينا نظرات الهزؤ والسخرية ، ويتشم ابتسامات الاستخفاف والازدراء »

« يقول في نفسه : لو علم هذا الجامع انه يجمع للوارث وهذا الباني انه يبني للخراب ، وهذا الوالد انه يلد للموت ما جمع الجامع ولا بني الباني ولا ولد الوالد »

الي ان قال : « ايها الشبح الماثم بلثام الغيب ، هل لك ان ترفع عن وجهك هذا اللثام قليلا لتري لمحة واحدة من لمحات وجهك . اولاً فاقترب : اعلنا نستطيع ان نستشف خيالك من وراء هذا اللثام المسدول فقد طارت قلوبنا شوقاً اليك ، وذابت اكبادنا وجداً عليك »

« ايها الغد ، ان لنا آمالاً كباراً وصغاراً ، واباني حسناً وغير حسان . فخذنا عن

آمالنا اين مكانها منك ، و خبرنا عن امانينا ماذا صنعت بها أذلتها واهنتها . ام كنت لها من المكرمين . لا لا ، صن سرك في صدرك وابق لثامك علي وجهك ولا تحدثنا حديثاً واحداً عن آمالنا و امانينا حتى لا تنفجنا فيها فتفجعنا في ارواحنا ونفوسنا فأنا نحن احياء بالآمال وان كانت باطلة ، وسعداء بالاماني وان كانت كاذبة »

وحسبنا هذه القطعة الذهبية التي اوردها هنا دلالة على مكانة الكاتب من ملكة الوصف و مبلغ ما وهب من القوة الطبيعية في النثر الشعري او الشعر المنشور .

وللنفلوطي في بعض فصول كتابه تشابه جميلة واستعارات جديدة ربما غمضت علي عقول من اعتادوا تعجيد القديم من المتأدبين او تعامى عنها بعض من يرى « المعاصرة حرمان » فلم يرفعوا لها شأنًا ولم يقيموا لها وزناً كقوله : ^(١) « فتشت عن الفضيلة في قصور الاغنياء فرأيت الغني اما شحيحاً او متلاًفاً . اما الاول فلو كان جاراً لبيت فاطمة (رضي الله عنها) وسمع في جوف الليل انينها وانين ولديها من الجوع ما مد اصبعيه الى اذنيه ثقة منه ان قلبه (المتحجر) لا تنفذ اليه عاطفة الرحمة ، ولا تمر بين طياته نسمات الاحسان » وربما انكروا عليه وصفه القلب بالتحجر وعد جعله الاحسان نسمات اغراقاً منه في المجاز ومبالغة في الاستعارة ولكن الحقيقة في غير ما يزعمون .

ومثل قوله : « فقد عقد رياء الناس امام عيني سمجة سوداء اظلم لها بصري حتى ما اجد في صفحة السماء نجماً لامعاً ولا كوكباً ساطعاً » وقوله « درع مسوجة من نجيع » وقوله : « بهذه الصواعق التي يطرونها علينا من سماء الصجف » ومن جملة الجميلة قوله : « وما نشر الظلام اجنحته السوداء في الافق حتى رأيتني احبر من دمة وجد في مقلة عاشق يدفعها الحب ويمنعها الحياء . لا اعلم هل انا سر كامن في باطن الظلماء ، او حوت مضطرب في اعماق الماء » وقوله ايضاً : « وهناك احسست بسلسبيل بارد من الامل يتسرب الى قلبي فينتقع غلظه ويطفي لوعته » وقوله في مقالة يخاطب بها المحزون : « انت حزين لان نجماً زاعراً من الامل كان يترأى لك في سماء حياتك فيملاً عينك نوراً وقلبك سروراً ، وما هي الاكر الطرف انت افنته فا وجدته » وقوله : « ابتسامة هائلة » الخ ...

وقد اجاد الشيخ في مقالة « غرفة الاحزان » ^(٢) ايما اجادة حتى ان قاري القصيدة ليجد اثرها في نفسه بعد قراءته لها في دمة تترقق في جفنه فتتم عن عواطفه وشعوره . وما هي

لوعنت الا جائزة القلب الى البراع الذي خط تلك السطور بأسلوب يتدفق شعراً وشعوراً .
ولا يسع الا ان يكبر ذلك الوصف الذي الم بعمارة اطراف الحادثة اكبراً فكان جامعاً
لما تشع به النفس من ديب الآلام واعياً لما يصدر عن النفس السامية من
شريف العواطف .

— ٦ —

روح المؤلف

اذا صححت النظرة القائلة بان « الكتابة صورة الكاتب » جاز لنا ان نحكم على المنفلوطي
انه من جماعة المثائمين *Pessimistes* ولكن لا في مذهب من المذاهب
الفلسفية او التاريخية او السياسية بل هو من يرون ان لاسعادة في الحياة ولاهناء وان
من العبث ان يلقى المرء بنفسه الى التهلكة في معترك الحياة مادامت الرذائل آخذة
من النفوس مأخذها وان انسميه فضيلة ليس الا خداعاً ورياءً ونفاقاً دعيت بالفضيلة
وهي ليس لها ظل في هذا الوجود .

هو ينظر الى المجتمع نظر الحائق النائم لانه يعتقد انه « مصاب بالسقم في فهمه
والاضطراب في تصويره فلا عبرة بحكمه ولا ثقة بوزنه وثقديره اذ هو يسمي الفقير
سافلاً وطيب القلب مغفلاً وظاهر السريرة بليداً والحليم عاجزاً »^(١)
وانك لترى في مقالته « اين الفضيلة » روح اليأس مجسمة وما يتخيله او يفكر به هو
قد مر بخاطر كثيرين من ادباء المشاركة والمغاربة وكثيراً ما اجهد الكاتب من هؤلاء نفسه
ليضع قصة يأتي بها على شرور العالم ومفاسده وكنت كلما مررت بسطر من سطور تصب
اللعنت على هذه الحياة التي تراها مثال الشقاء وتمثل آتئذ بقول الشاعر العربي الحكيم :

انما نحن بين ظفر وناب	من خطوط اسودهن ضراء
نتمنى وفي المني قصر العمر	م فنغدو بما نسر نساء
صحبة المرء للسقام طريق	وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغذيه غموت ونجيا	أقتل الداء للنفوس الدواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كا	نت ولا كان اخذها والعطاء
من فساد يحويه للعالم الكو	ن فما للنفوس منه انقاء
قاتل الله لذة لاذا	نالها الامهات والآباء

نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فأيجادنا علينا بلاه — انخ ...

يدلك على هذا أيضاً ما نقرأه له في مقالة « السعرة البيضاء »^(١) ويعني بها شهرة المشيب التي رأها تلوح في فوده فخطبها مؤزباً ايها بانها تدفي له الموت وبانغ في تأنيبها وتعنيفها ، وأغرق في عتبها ولومها ثم رجع بعد ذلك لنفسه وكأنه ندم على ما فرط منه بجنبها واخذ يخاطبها قائلاً : « ما الذي يجعله في صدره لك من الحقد والموجدة رجل لم ينعم بشبابه ، فيحزن على ذهابه ، ولم يذق حلاوة الحياة فيجزع لمرارة المات ولم يستشق نسمات السعادة غصاً رطباً فيأسى عليها عوداً يابساً »

« ما الذي ينقمه عليك من الشرؤون رجل يعلم انك وحي الامل الذي يبشره بقرب النجاة من حياة ليس فيها من السعادة والهناء الا لحظات قليلة بكدرها ما يحيط بها من الهموم والأكدار كما تكدر انفاس الحزن الحارة صفحة المرأة »

« ليس كل ما اعدده عليك من الذنوب انك طليعة الموت الذي يخلصني من منظر هذا العالم المملوء بالشرور والآثام ، الحافل بالآلام والاسقام ، الذي لا أغمض عيني فيه الا لافتحها على صديق يغدر صديقه ، واخ يخون اخاه وعشير يحدد انيابه ليحضغ عشيره ، وغني يضن على الفقير بفتات مائدته وفقير يقترح على الدهر حتى بلعة الموت فلا يظفر بامنية وملك لا يفرق بين رعيته وماشيته ، ومملوك لا يميز بين ملك المالك وروبوته ونفوس ننتفاني قتلاً على لون حائل ، وظل زائل ، وغرض سافل ، وعيش باطل وعقول تنهالك وجداً على نار تحرقها ، وانياب تمزقها وعيون حائرة في رؤوس طائرة تنظر ولا ترى شيئاً مما حولها ، وتلمع ولا تكاد تبصر ما تحتها »

هكذا رأينا المنفلوطي يرمي هذا العالم بنظرات كلها شؤم كما هو شأن جماعة المتشائمين في عامة شؤنهم واطوارهم واحوالهم . ولولا انه « لا يقول الا ما يعتقد ولا يعتقد الا ما يسمع صده من جوانب نفسه »^(٢) لقلنا انها خطرات شاعر وجدت لها من سماء مخيلته مطلقاً ثم ما لبثت ان ادركها الغروب . اما وان هذا الكلام هو صورة من صور نفسه فلا جرم انها حالة نفسية كثيراً ما تعرو من يميلون الى التجرد عن المادة ويرون في سكون الموت وظلمته حياة مفعمة بالحركة والنور والرغد والسرور ...

صلاح الدين القاسمي

دمشق :

(١) الى العرب

يامعشر العرب الكرام تحية شغف النسيم بها فبات عليلا
 رقت فلولا الشعر يجبس ذوبها وجدت لها بين السطور مسيلا
 من شاعر لولا هواه بقومه ما كان يرضى باليراع خليلا
 باتوا يلوموني وبات القلب عن لوم الوشاة بحبهم مشغولا
 زادوا ولو عا بالملام واسرفوا فيه فزدت ثغورهم تقييلا
 حلت الثغور بذكر من احببتهم فرشفت من برد اللى معسولا
 اني لاهفو ان ادرت حديثهم حتى كأنك قد ادرت شمولا
 ماذا علي اذا عدت هوام دينا وغيري عده تضليلا
 والناس مختلفون في اهوائهم متباينون مشارباً وميولا
 ولرب محسوس تره آثاره ليست علي كل النفوس شكولا
 سبح الحائم يستفز اخا الهوى طرباً ويحسبه الخزين عويلا

قومي وانتم خير من فوق الثرى واجلهم يوم الفخار اصولا
 ردوا علي الشرق القديم سبابه فالامر بات لعزمكم موكولا
 شخصت لواحظه اليكم يتغني نيل الرجاء فحققوا المأمولا
 وانضوا العزائم للرفي وحسبكم يوم الطلاب نواكلاً وخمولا
 لا تيأسوا فاليأس كم جرّ الردى وغدا علي صخر النفوس دليلا
 واخوال علي من لا يزال طلابه ابدأ باسباب الرجا موصولا
 فالروض يزهو بالنضارة بعدما نهكته عادية الهجير ذبولا
 واذا المنى امتنعت وعن منالها كان الثبات بنيلها كفيلا

فامشوا الى كبد العلاء بهمة تذر الجبال الشامخات سهولا
 وتقحموا الغمرات واصطبروا لها فالمرء ان يجبن يعيش مرذولا

(١) القيت في احدى الحفلات

والمجد مطلبه شديد فاخلقوا عزماً يذلل صعبه تذليلاً

واستشهدوا التاريخ اصدق منبيء	بالغارات من العصور الاولى
ايام تبندر الجياد شوازباً	يضرين عرضاً في البلاد وطولا
يحملن ابطال الجزيرة طلعا	كالاسد ابرحها الحفاظ الغيلا
من كل اروع مثلما تهوى العلى	كالسيف عضب الشفرتين صقيلا
تلقاه بؤثر ان يموت مكرماً	عن ان يمتع بالحياة ذليلا
فتقوا البلاد وغادرت اسيا فهم	في كل ارض رنة وصليلاً
بيض اذا انتضيت ليوم كريمة	وردت ظباهن الدم المطولاً
كتبوا بها في الدهر آية سؤدد	لاتقبل التحريف والتأويلاً

ذودوا عن اللغة التي وردت بها	آية الكتاب وانزلت تنزيلاً
هي روح نهضتكم ومعقد مجدكم	فتعهدوها بكرة واصيلاً
وحياتكم يا قوم فاحفظوا بها	او ترتضون عن الحياة بدبلاً

لاتحسبوا الدستور يسعدكم اذا	لم تسلكوه للرفي سبيلاً
واذا الصباح بدا ولم نجف الكرى	لم يجدنا فلق الصباح فتيلاً
فاسترشدوا باللم وانصروا له	وتدارسوا المعقول والمنقولاً
وابنوا المدارس في البلاد كأنها	زهر تزيح من الظلام سدولاً
وهي الكفيلة حين يعمر ربها	انانا من الزمان السولاً
وتكاتفوا في السعي لاتخاذوا	فييت كل خاذل مخذولاً
وتعهدوا الاخلاق فهي اذا التوت	تركت ممردة الصروح طولاً
ما كان تحرير الرقاب بنافع	ان لم نحور انفساً وعقولاً

دمشق : جرجي الحداد

(١) الكتابة والكتب ودورها

افرايتم المصريين الاقدمين وقد تركوا لنا كتبهم منقوشة على صفحات الجبال وفيه بطون المغارات وعلى ايجار البرابي والاهرام والمسلات ؟

ام هل اتاكم حديث الاشوريين ؟ فقد اكتشف النقابون في هذه الايام مصاحفهم مرقومة على اللبن ، وهو الطوب المشوي او المطبوخ . وذلك لان ارض ما بين النهرين مكونة من طمي دجلة والفرات فليس فيها جبل ولا حجر . ولكن ذلك لم يقف حجر عثرة في سبيل الغرام بالكتب . فصاروا يرقون بالمسار على الطين وهو نبي ثم يطبخونه في النار ، استبقاء لكتابتهم على عمر الادهار والاعصار

ثم انتشر هذا الغرام في مصر وعم وطم ، فاحتاج القوم لزيادة الكتابة ، واحسوا بما في النقش على الاحجار من الصعوبة ، فعادوا الى الطبيعة ، وهي الهادي الاكبر للبشر ، أخذوا البردي وعالجوه بما جعله صالحاً للكتابة ، وها هي آثاره في دار العاديات المصرية بقصر النيل في القاهرة ، واكثرها في متاحف اوربا ، واما الصين والهند ، فقد كفتهم دودة القز هذه المؤونة ، في القيام بما يدعوم اليه الولوع بالكتب والكتابة ، واذا نظرت الى بني الاصفر وأعني بهم اليونان والرومان تجدهم قد استعانوا بالحيوان ، فعالجوا الجلود وصنعوا منها مانسمية بالرقوق

واول من استبط ذلك الاغارقة من اهل فرغامة ، وهي مدينة بآسيا الصغرى تسمى عندهم برغامة Pergame فصار اسمها علماً على هذا المصنوع من الرقوق ، ولا يزال باقياً عند جميع الافرنج الى الآن ، فان اهل ايطاليا يسمون الرق (بفتح الراء) برجامينو Pergamino اي الفرغامي لان العرب ثقلب الباء الفارسية الى الفاء لقرب المخرج كما قالوا في Platon افلاطون وهكذا . واما الاسم العربي فهو مأخوذ من ترقيق الجلد بعد دبغه .

اما العرب فبلادهم جرداء فقلاء فلم ينقشوا على الاحجار ، ولم يطبخوا الطين على النار ، ولم يهتدوا الى صناعة الترقيق . ولكن ذلك لم يكن حائلا دون غرامهم بالكتابة والكتب . فكانوا قبل الاسلام في عصر النبوة يكتبون على عسيب النخل اي قعوف

(١) من محاضرة لاهم بك زكي احد الباحثين العالمين في مصر القاها في نادي موطني الحكومة في الإسكندرية في شهر رمضان الماضي

الجريد لكثرة هذه الشجرة المباركة في بلادهم . ويكتبون على الواح العظام (وكثيرتها ناشئة عن ذبح الاضاحي) ويكتبون على نوع من الاججار المصقولة التي يلتقطونها من فيافهم وبوادهم .

ونقف بالكلام على العرب دون سواهم من الامم الاخرى . فانهم ما لبثوا في خلافة الصديق ومن جاء بعده من الخلفاء ، ان انتشروا في الارض فاحذوا على اهلها اساليب الحضارة . ثم احتاجوا الى التبسط في الكتابة ، لاتساع الملك واستبحار العمران فكتبوا في العراق على الحرير وسموه بالمهراق . وكتبوا في مصر على البردي ولا تزال آثاره باقية في اوربا وبعضها في القاهرة في دار الكتب الخديوية . وكانوا يكتبون على هذا البردي باللغة العربية وحدها تارة ، ومصحوبة بالترجمة الرومية او القبطية تارة اخرى . ولا تزال هذه سنة مطردة في ديارنا ، اعني بها سنة الاحتياج الى لغتين مثال ذلك : الاججار واوراق البردي في عهد اليونان ، نراها مكتوبة بلغتهم وباللسان المصري القديم ، وفي عهد الرومان على اللسان اللاطيني محل اليوناني . حتى جاء العرب فكان من شأنهم ما ذكرنا . ثم انقضت مدة طويلة من ايام المأمون الى آخر الدولة الايوبية استقل فيها اللسان العربي . حتى جاءت دولتنا المماليك البحرية والجركية فاندجحت في اللغة العربية بعض الفاظ واصطلاحات دخيلة من التركية . ثم جاءت دولة العثمانيين فكانت السيادة في مصر للماليك الاتراك حينئذ طامحوا بغير اللغة التركية وصارت تزام لغة البلاد . واستمر الحال على ذلك بعد جلوس الفرد الفذ العظيم « محمد علي » نابغة العصر الجديد الى ايام سعيد وبعد ذلك بدأت الفرنسية تحل قليلا قليلا محل التركية . وها هي الآن تتأخر في الميدان امام اللغة الانكليزية . والحق يقال ان لغة البلاد اخذت في الانتعاش كثيراً بفضل خديونا المحبيب عباس الثاني وبفضل حكومتهم الرشيدة السعيدة . وبفضل المحاكم والجرائد ومترجميهم قليل حسنة جليلة من اكبر محاسن الحكومة الحاضرة يرتفع بها منار هذا اللسان وتجدد معها آداب العرب وعلومهم .

نرجع الى الكتابة والكتب فنقول ان العرب ما عتموا ان يستخدموا الجلود بعد ترقيقها وكان من مزايها عندهم انهم كانوا يغسلونها ويمجددون الكتابة عليها . فأروا ان ذلك ان كان صالحاً في بعض المعاملات الوقتية ففيه ضرر كبير على العلم كما رأوا من جهة اخرى ان الحرير يدعوا الى مؤونة كبيرة مع ان الحاجة ماسة الى الاكثار منه ومن الرق بل رأوا في ايام هارون الرشيد انهم كانوا مقلدين لغيرهم من الامم وان ما وصلوا

اليه من الحضارة والرجحان يوجب عليهم الاخذ باسباب الاختراع والاستنباط . فكانوا اول من اصطنع الورق على هذا الشكل الباقي الى ايانا هذه وحسبهم ذلك فخاراً . وقد سموه بالكاغد^(١) ثم بالقرطاس ثم شاع اسم الورق وانتشرت معامل الورق من الحرقة اي من الكهنة في سمرقند وبغداد والقاهرة ودمياط ثم انتقل الى بلاد الغرب فكان لهذه الصناعة شأن كبير في بلاد الاندلس واشتهرت مدينة شاطبة بمعاملها ومصنوعاتها التي فاقت في الجودة والاحسان والاتقان وارت على ما بلغه اهل المشرق من هذا الباب ومن شاطبة كان الكاغد يحمل الى سائر بلاد الاندلس . ومن هناك انقل الى افرنجية (فرنسا) ثم الى بقية ديار اوربا وقد ابلغه القوم في هذه الايام الى نهايات ما يخطر بالاحلام واتوا في ذلك بالعجب العجاب حتى صاروا يصنعونه من الاخشاب وانعدمت هذه الصناعة من ديار الشرق كلها فصار عالة على غيره فيها وفي غيرها حينئذ توفرت عند العرب الاسباب المادية والعقلية فابدعوا في التصنيف واغربوا في التأليف وتهافتوا على جمع الكتب وتطلبوا يستوي في ذلك السلطان والسوق والخاصة والعامة والرجال والنساء وجميع الطبقات حتى كثرت دور الكتب في القاهرة وامهات

(١) اما الكاغد فهو لفظ فارسي وقد كان لهذه اللغة الفارسية تأثير يذكر في العربية ايام العباسيين لان الفرس هم الذين رفعوا قواعدھا وشادوا دعائھا وكان رجالهم هم المدبرون لامرھا في اول قيامھا ثم في ايام الخليفة السابع وهو المأمون بن هرون . وفي ايامه اخذوا ايضاً عن الروم علومهم ومعارفهم فقلوا لفظة *Carta* اليونانية وعربوها وهي بصيغة الجمع فقالوا قرطاس والغريب في هذا الموضوع ان ائمة اللغة نصوا على ان القرطاس يقال بضم القاف او بكسرھا واجمعوا على ان الفتح لم يقل به احد . وهو امر غريب فان الفتح اقرب على اللسان واقرّب الى الاصل . وهذه اللفظة عربها المصريون في ايام محمد علي في ضمن الاصطلاحات الجغرافية فقالوا خريطة محكاكة للتلفظ على الطريقة اليونانية للدلالة على المصورات الجغرافية التي يسميها ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار بلوح الرسم والتي يرد اسمها في بعض نسخ زهرة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي هكذا (لوح الترسيم) وانا اظن كثيراً ان هذه اللفظة من تحريف النساخ او المساخ وان صحتم لوح الرسم كما رأيت في موسوعات ابن فضل التي ذكرتها لكم . ثم ان المتقربين في اللغة حرفوا لفظة خريطة فقالوا خريطة وخرائط وما دروا ان ذلك الاسم موضوع لجمعة الراعي ولكن قد كان ما كان

المدائن المصرية بدرجة لا تتصورها الآن لان بلادنا أصبحت خلوا منها بالمرّة لولا تلك الصمامة القليلة الباقية في دار الكتب الخديوية وفي الازهر الشريف تتلوها المكتبة الحديثة التي انشأها البلدية في الاسكندرية . اما البيوتات فقد أصبح عددها اقل من اصابع اليد الواحدة واولها بيت السادات يتلوه بيت البكري فييت المرحوم رفاعة وعبد الله فكري . واما الافراد فقد قلبت النظر فلم ار غير المرحوم لطيف باشا سليم وبعده الفاضل احمد بك تيمور

وقد اردت ان اجري على هذا النوال وان كانت خطواتي صغيرة وبدي قصيرة ولكفني خشيت ان تذهب مجموعتي من بعدي للعطار والزيات والبقال او تفرق شذرمذر كما حصل للمجموعة النفيسة التي كانت تزدهر بها دار المرحوم علي مبارك باشا في حياته . لذلك جعلتها من الآن خاصة بالامة ولا ازال دائباً الى آخر ساعة من حياتي على توسيع نطاقها والزيادة فيها

اذا رجعنا ببصرنا الى التاريخ رأينا يحدثنا عن دور الكتب في القاهرة فتأخذنا لوعة لمجرد هذا الوصف ونبكي على ذهاب العين والاثار

فدور الكتب التي اسسها القواطم يحدثنا المقريري عنها بما يثير الاشجان ويستمطر الدموع من الآمات . فقد كان في قصر الخلافة وحده اربعون خزانة كانت فيها النواذر والذخائر فاخذ معظمها بعض الموظفين وبعض الاجناد الاتراك بدل مرتباتهم في ايام الشدة التي وقعت للخليفة المستنصر

وقد نهبت عرب لواتة شيئاً كثيراً منها اغرب المقريري في وصفه ثم قال : ان عبيدهم واماهم اخذوا جلودها برسم عمل ما يلبسونه في ارجلهم واحرقوا ورقها تأولاً منهم انها خرجت من قصر السلطان اعز الله انتصاره وان فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية الى اليوم بناحية آثار تعرف بتلال الكتب

هذا عدا خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل اليها احد وعدا خزائن دار العلم بالقاهرة « وهي ماثلة لما نسميه الآن اكاديميا او كما يقول صاحب كشف الظنون وابن ابي اصيبعة قبله : (افاذيميا) » وسوى خزانة المارستان العتيق وقد بقيت الى ان بيعت في ايام صلاح الدين فاشترى القاضي الفاضل وحده منها مائة الف كتاب مجلد وادوعها في المدرسة باسمه انشأها بالقاهرة . وفضل القاضي الفاضل ومكانته في الدولة الايوبية

يدلان على انه اختار افضل الكتب واحسنها ولكنها ذهبت بها الايام ايضاً فان الغلاء لما وقع بارض مصر في سنة ٦٩٤ صار طلبة هذه المدرسة يبيعون كل مجلد برغيف من الخبز . وبقيت منها بقية تداولتها ايدي الفقهاء بالعارية فتفرقت وكان فيها مصحف اشتراه القاضي الفاضل بنيف وثلاثين الف دينار على انه مصحف الخليفة عثمان وكان في خزانة مفردة له غربي المحراب . وهذا القاضي الفاضل كان يقتني الكتب من كل فن ويحتلها من كل جهة وله نسخ لا يفترقون ومجلدون لا يطلون . وقد بلغ مجموع كتبه قبل موته بعشرين سنة ١٢٤٠٠٠ مجلد طلب ابنه مرة ان يقرأ ديوان الحماسة وتوسل الى ذلك بعض المقرئين لديه فامر الثاني القاضي الفاضل فاحضر له خازنه ٣٥ نسخة فصار ينفذها واحدة واحدة ويقول هذا بخط فلان وهذه بخط فلان حتى اتى على الجميع ثم قال: ليس عندي ما يصلح للصبيان وامر بشراء نسخة بدينار لولده وقد احضرت مجموعة رسائله في جملة ما احضرت من الكتب

وقد بقي بعض الكتب من آثار الفاطميين في مصر وزاد عليها المالك وجعلوها خزانة عمومية ولكنها احترقت في سنة ٦٩١ فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيء كثير جداً كان من ذخائر الملوك . والديي نجاة من النار انتبه العلماء وباعوه بالبخس الاثمان فظفر الناس منها بصحائف محرقة فيها نفائس غريبة

ولم تكن هذه المدرسة هي الوحيدة في القاهرة فقد كانت خزائن الكتب في المساجد والجامع والمدارس فضلاً عن القصور والنازل . وحسبي الاشارة الى بعض المدارس التي امتازت بجمع الكتب النادرة فمنها المدرسة التي انشأها بمصر القديمة في سنة ٦٥٤ الوزير صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا (بكسر الحاء) المهمة وتشديد النون المفتوحة كما ضبط الثقات من المؤرخين) فقد كانت فيها خزانة جليلة من الكتب النادرة ثم نفلها بقيت عنده حتى مات فتفرقت في ايدي الناس وكذلك الملك الظاهر يبرس البندقداري جعل في مدرسته الظاهرية خزانة كتب تشتمل على امهات الكتب في عامة العلوم

فلما تولى السلطان قلاوون جعل في قبته البديعة خزانة الكتب في جميع انواع العلوم ولكن معظمها تفرق في ايدي الناس واقتدى به ابنه محمد فانشأ خزانة كتب بمدرسته التي شادها بجوار هذه القبة في الجهة المعروفة الآن بالنحاسين

وأما أسماء الأمراء والأفراد فهي كثيرة جداً مثل الأمير متكوتمر سيف الدين الحسامي والحاج سيف الدين آل ملك والأمير سيف الدين الجاي والطواشي سابق الدين مثقال والطواشي سعد الدين بشير الحمدار . وأهم الكل الأمير جمال الدين محمود الاستادار

ولا انتقل من هذا الموضوع قبل أن أذكر لكم أن نساء مصر كان لهن مشاركة في هذه المأثرة وحصة كبيرة في الغرام بالكتب واكتفي الآن باسم الست عاشوراء بنت ساروج الاسدي وكانت عائشة في أيام صلاح الدين والست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون بنت الملك العادل الأيوبي وكانت من فضليات أهل العلم واشتهرت بالبراعة في الفصاحة وفنون الأدب والسيدة الجليلة الكبرى خوندتر الحجازية بنت السلطان الناصر محمد بن قلاوون والست بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان والست ايديكين زوجة الأمير سيف الدين بكجا الناصري

وقد بدد الزمن آثار تلك السيدات الكريمات فلم أقف على كتاب من تلك الخزائن الكثيرة وغاية الأمر أن في دار الكتب الأهلية بباريس تحت غمرة ٢٧٥١ كتاباً في علم تعبير الرؤيا وهو مرتب على حروف الهجاء بشكل معجم ومكتوب في سنة ٨٣٣ هجرية برسم خزانة أميرة من أميرات مصر (إحدى البرنسبات) وهي بنت السلطان الملك الظاهر جقمق

كان هذا الغرام عاماً في مصر وفي جميع بلاد الشرق . وخصوصاً في الممالك الخاضعة لصولجان صاحب التاج في القاهرة . التي كانت عاصمة للإمبراطورية المصرية . والشواهد كثيرة على هذا الولوع وحسي أن أذكر لكم اسماً واحداً من باب التذليل . وهو أبو الفدا سلطان حماد وصاحب التاريخ المشهور المختصر في أخبار البشر وصاحب الجغرافيا المسماة بتقويم البلدان الذي طبع وترجم في باريس قد جمع في خزائنه من الكتب ما لا مزيد عليه وكان في خدمته ما يناهز مائتي معمم من الفقهاء والأدباء والنحاة والمجتمدين والفلاسفة والكتبة

ولو اردت أن استقصي ما اعرفه عن الكتب وغرام المولعين بها أيام كانت الحضارة الإسلامية زاهية زاهرة لطال المقام ولم تكفي الأيام لتلوها الأيام وقبل الختام أذكر لكم قضية وقعت بمصر وهي من أغرب ما سطرته سجلات القضاء

وقفت على كتاب اسمه كنز الدرر وجامع العبر لابي بكر بن عبد الله بن اييك الدوادار وهو في تسعة اجزاء ثلثها بمكتبة ايا صوفيا والثالث الباقي بمكتبة طوب قبو بالقسطنطينية وهو في تاريخ مصر وفيه تفصيل غريب وبيان واف لانراه في التواريخ التي وقعت الينا . وليس هذا محل الشرح عن هذا السفر الجامع النافع . وقد كان هذا الكتاب موقوفاً على احدى المدارس بالقاهرة فاغتنبه بعض الاكابر وواقفه على مدرسته وفقاً صحيحاً شرعياً مرعياً فاقبعت عليه قضية بمجلس الحكم وحصلت المرافعة والمدافعة ثم اصدر القضاة حكمهم بطلان الوقف الثاني واعادة الكتاب الى مقره الاول باسم واقفه الاول . وقد قضت الايام بطلان هذين الوقفين وبنقسام الكتاب الى شطرين في خزانتيين ولكن في غير مصر

ان العرب في اجتماع اهل الفضل والعلم في دور الكتب كانوا مقلدين لليونانيين في ائنة والرومانيين في رومية وكل منهما قد نهج على سنة اجدادنا المصريين اول من مدح الكتب على ما انبأنا به التاريخ الصحيح هو اول من اسس لها داراً خصوصية بديار مصر وجعل منفعتها عمومية

انا لا اجاري بعض الغلاة من العرب ومن اربى عليهم من المتحمسين الالمانيين الذين قالوا بوجود دور الكتب قبل حدوث الطوفان واخذوا يتصيدون الاقاويل من هنا ومن هناك ويقيمون الدلائل على غير طائل محتجين على ذلك بتعليم آدم الاسماء وبالاعمدة التي نقشها شيث وبالصحف التي نزلت على ادريس ويكفيها ان نقنع بما هو وراء ذلك وهو قديم بل قدموس حتى لا نخوض بحور الخيال ونهيم في اودية الاوهام . حسبت ان نرجع الى ما هو قبل اليوم باكثر من ٣٢٠٠ سنة فهناك فصل الى التاريخ الثابت المنقوش على الاحجار وهو مما لا جدال فيه ولا مرأ . فذلك الاطلال الماثلة الى الآن في صعيد مصر تنطق لنا بلسان هير وغليني مبين وتقول ان اوسياندياس فرعون مصر الذي سماه اليونان سيزوستريس ورمسيس الثاني هو اول من اسس دار الكتب في مدينة طيبة بالصعيد وهو اول من مدح الكتب بعبارة وصلت الينا . وذلك انه نقش على باب تلك الدار كلمتين اثنتين جعلها رمزاً عليها وتلخيصاً لكل ما فيها وهما

✽ شفاء الارواح ✽

ولعمري ان هاتين الكلمتين هما ابلاغ من كل ماجادت به القرائح بعده في شرق البلاد وغربها وما هو مأثور عن عجم الام وعربها

وعن المصريين اقتبس اليونان علومهم ومعارفهم ونظاماتهم ولكنهم لما جاء الدور لهم لم يمسرهم انشاء مكتبة عمومية الا بعد الفرعون المصري بربوات من السنين لانقل عن الخمسة القرون وذلك ان طاغية بيسترات هو اول من احدث بمدينة أثينس (أي اثينا) داراً من هذا القبيل لاستفادة الخاص والعام وكان ذلك قبل القرن السادس للميلاد وجمع فيها اشعار اوميروس بعد ان تلقفها من افواه الرواة كما كان شأن العرب من بعده باثني عشر قرناً في ايام بني امية وبني العباس . وما لبثت هذه الدور ان انتشرت بارض اليونان كما يشهد بذلك بيت قاله شاعرهم ارسطوفان

وفي يد كل انسان كتاب يلقيه افانين العلوم

وتولع اليونان بجمع الكتب والحث عليها لدرجة لاتكاد تكون محدودة : دخل حاكم الى مدرسة النحوباثينا فطلب من الاستاذ نسخة من ديوان اوميروس . فاعلمه المعلم بعدم وجودها فما كان من الحاكم في هذا الاهال الا ان صفعه وخرج

ثم نهوس القوم بجمع الكتب من غير استفادة او افادة حتى رأى اديبهم لوسيان الشميشاطي ان يكتب رسالة باليفة في هجو رجل جمع من الكتب طائفة وفيرة لمجرد الاشتهار بانه جماع للكتب . قال ذلك الاديب يخاطب ذلك المذموم بما ترجمته

« في وسعك ان تعير الكتب لغيرك فتكسب اجراً وفيراً ولكن ليس في طاقك ان تستفيد منها فيتلا ولا قطعيراً . على انك ما اعرت منها احداً شيئاً مذكوراً فكان مثلك كالكلاب التي تنام في اسطبل الدواب فهي لانقدر على اكل ما فيه من الشعير ولكنها تمنع منها الخيل وهي قديرة على الانتفاع باكله »

ولو تأخر هذا الاديب المجيد لخر ساجداً اذا سمع قول الكتاب المجيد « مثلهم كالخمار يحمل اسفاراً » فانظروا ياربنا الله الى حسن الديباجة والى هاتيك الاتجادة : واما قول لوسيان فما اشبهه بقول الجاحظ ولكن في ذم الخصيان ولا ازيد على هذا البيان بغير الاشارة عليكم بمراجعة كتاب الحيوان واليكم مثلاً مما قاله العرب في ذم من يجمع الكتب وهو لا يدري بما فيها

زوامل للاخبار لاعلم عديم يجيدها الا كعلم الاباعر

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باحماله او راح ما في الفرائر

فلما جاء دور الرومان انشاء الامبراطور يوليان المنبوز بالمرتد وفي كتب العرب بالمارق

دار كتب في القسطنطينية واراد ان يشبه بفرعون مصر ولكنه لم يبلغ شأوه فكتب علي بابها هذه العبارة .

« لبعض الناس صباة بالخليل ولع بالطير ولاخرين غرام بالوحش واما انا فقد تدلعت منذ نعومة اظفاري بتمراء الكتب واقتنائها »

ومما امتازت به مدينة القسطنطينية انها في ايام النصرانية حفظت في كنائسها علوم الالفدين حتى جاء العرب فاستفادوا منها ونشروها من قبورها وكان لهم بهذه الوسيلة القدر المعلى في ترقية الحضارة وبني الانسان وكذلك امتازت في ايام الاسلام بحفظ ما جادت به قرائح العرب الكرام في مساجدها وما علينا سوى اقتفاء اثرهم واتباع سنتهم . وقد فتحت لكم الباب وحسي ذلك نغراً

جاء العرب في ايام العباسيين فانتهت اليهم كلمة عن سقراط فكانت محرقة لعزائمهم وجعلتهم ائمة الامم وقادة الافكار

قيل لهذا الفيلسوف : اما تحتى علي عينيك من ادامة النظر في الكتب فقال : اذا سلمت البصيرة لم احفل بسقام البصر

وفي هذا المقام لا يصح اغفال ذكر المأمون فهو اول من اسس دار كتب عامة في الاسلام وسماها بيت الحكمة كما انه اول من اسس مجمعا للعلوم (افاضيا) وسماه دار العلم . هذا فضلا عن خزانه كتبه الخصوصية التي يروي لنا عنها ابن النديم كل معجب ومطرب

كان بمدينة الاسكندرية حاكم يسمى خليل ابن شاهين الظاهري اشتهر بتأليفين احدهما في علم اليقظة والاخر في عالم المنام فاما الاول فهو كتاب زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك ثم اختصره وسماه زبدة كشف الممالك وهو كتاب مفيد في وصف بلادنا واعمالها ودواوينها ونوائفها ونظاماتها وغير ذلك من محاسن هذه المملكة مع سرد ايات مما نظمها بعض ملوكها وسلاطينها الى غير ذلك من النوادر والفوائد ولا حاجة لي بان اقول لكم انه لا يوجد من هذا الاثر النفيس ولا نسخة واحدة مخطوطة بدار مصر كلها وهي وطنه ووطن مؤلفه بل هي موضوعه ومدار مباحثه .

اما الكتاب الثاني فقد سماه « الاشارات في علم العبارات » والعبارة هي تعبير الرؤيا وتفسير الاحلام . واسم العلم بالفرنسية مأخوذ عن اليونانية

قال صاحب كشف الظنون : « كانت العرب في صدر الاسلام لاتعتني بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعنها وبصناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم لحاجة الناس طرأ اليها . وذلك منهم صوتاً لقواعد الاسلام وعقائد اهله عن تطرق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والاحكام » واقول ان الشارع هو الذي دعاهم الى تقييد العلم على اطلاقه فقد جاء في الحديث الشريف :

العلم صيد والكتابة قيد . قيدوا رحمكم الله علومكم بالكتابة

اخذ الشاعر قول الشارع فصاءه في بيت سائر ونظم بارع

العلم صيد والكتابة قيد قيد صيودك بالجمال الواثقه

ثم مدحوا الكتب كما مدحها فرعون مصر وقياصرة الروم من قبلهم فقال العتابي وهو من اجلاء عصر الامين والمأمون

لنا ندماً لانمل حديثهم
يفيدوننا من علمهم علم ماضى
ورأياً وتأديباً وامراً مسددا
ولا نلقى منهم بنائاً ولا يدا
فان قلت هم احياء لست بكاذب
وان قلت هم موتى فلست مفندا

ومدحها ابن طباطبا العلوي

لله اخوان افادوا مفخرا
هم ناطقون بغير السمة ترى
ان ابغ من عرب ومن عجم معاً
حتى كأني شاهد لزمانها
خطباء ان ابغ الخطابة يرتقوا
كم قد بلوت بها الرجال وانما
كم قد هزمت بها جليساً مبرماً
فبوصلهم ووفائهم انكثروا
هم فاحصون عن السرائر تضر
علماً مضى فيه الدفاتر تحبر
ولقد مضت من دون ذلك اعصر
كفي كفي للدفاتر منبر
عقل الفتي بكتاب علم يسبر
لايستطيع له الهزيمة عسكر

وهو ينظر بقوله الاخير الى جواب جالينوس فقد قيل له : لم كان الرجل الثقيل اثقل من الحمل الثقيل فقال لان ثقله على القلب دون الجوارح ، والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه

وفي ذلك المعنى الذي اشار اليه ابن طباطبا وهو في مصر قول لوانثسكيو (ابن

خلدون فرنسا) وهو في باريس قال — ما ترجمته : ما حل في جيش المموم الا بدوته بساعة واحدة من القراءة

ومدح العرب للكتب كثير جداً أكتفي منه بكلمة واحدة منشورة : اهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب اليه : هديتي هذه اعزك الله تزكو على الاتفاق وتربو على الكد . لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقلب . وهي انس في الليل والنهار والسفر والحضر وتصلح للدنيا والآخرة . وتونس في التخلوة وتمتع في الوحدة . مسامر مطواع ونديم صديق .

وقال آخر : الكتب بساتين العلماء

ولكن كل هذه الاقوال وما شابهها مما نزوه عن المتقدمين والمتأخرين لاتعادل الكلمتين اللتين قالهما فرعون مصر عن الكتب
شفاء الارواح

ولقد قام رجل من مشاهير الانكليز في اوائل القرن التاسع عشر وهو بلور لينتون فاشار بمطالعة الكتب لازالة انواع الامراض قال ما خلاصته : لقد اختلف في ضميري ان انظم دور الكتب على نسق جديد مفيد فبدلاً من ان يكون مكتوباً على الخزائن والدوايب والرفوف هذه الكلمات . لغة . علوم طبيعية . فن القريض ونحو ذلك اشير باستبدال هذه الكلمات باسماء الامراض التي تنشب الجسم والروح مما يمكن مداواته باؤلفات الموجودة فيها من داء النقطة الى اخف التزلزلات فهذا النوع الاخير من الاسقام يصلح له قراءة الكتب الهزلية مع منقوع الشعير في قليل من اللبن الحليب فاذا غشي النفس ثم من المموم التي يمكن ازالتهما مثل عدم تحقق الاماني او معاكسة الاخوان او معاندة الزمان ففي هذه الحال يحسن بالمصاب ان يتلو تراجم الاعيان والافراد فيتسلى بما اصابهم من البلايا ويحول مرضه باذن الله . فاذا ما طم الهم وعم الغم فالروايات السجع دواء لهذا السقم . ولكن اذا حلت بالانسان مصيبة فادحة وجب عليه ان يستغرق كل عقله ولبه وقلبه في عمل من الاعمال الخيرية التي تجعله ينسى نفسه وما حل به من الازراء

واستشهد المستنبط لهذا الطب الجديد الغريب بما حل بشاعر الالمان (جيته) فانه حينما مات ولده تفرغ لدراسة علم جديد وقيل انه اكمل فصول بعض رواياته البديعة فجاءت في نهاية البلاغة والاعجاز

فانظروا الآن الى ماصنعه الاسكندر الاكبر حينما هنم دارا ملك الفرس فانه ظفر في جملة الننائم الملوكية بصندوق بديع الصنعة فقال للمقر بين اليه : لاي شيء يصلح هذا الصندوق ؟ فاجاب كل منهم بما رآه . ولكن سيد الفاتحين لم يعجبه قولهم وقال انما يليق هذا الصندوق لحفظ الياذة اوميروس

وفي ايام الاسلام ظفر الحجاج بن يوسف عامل بني مروان بصندوق عجيب من ذخائر الفرس فامر بفتحها فوجدوا صندوقاً آخر ففتحوا صندوقاً آخر ثم رابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً فقال الامير : اهل فيه حماة من حماقات الفرس . ففتحوا واذا فيه بطاقة مكتوب عليها هذه العبارة : من مشط لحيته في كل يوم طالت : ونحن لم نخرج عن الموضوع لان هذه الوصية كانت مكتوبة على قطعة من الحرير وانني اقلب الطرف يمينا وشمالا فلا اجد من اوصيه بها ليخبرنا بصحتها بعد العمل بها ولا يفتني عليكم ان عرب الشرق هم الذين احيوا علوم العرب ونشروها واهام عجم الغرب يعملون على هذه السنة الآن في المانيا وفرنسا وانكلترا واطاليا وهولاندا واسبانيا والروسيا وسائر بلاد اوربا واميركا ولا امل لي الا ان ارى اهل مصر يشاركونهم فهم احق بتراث اجدادهم ولا يكون ذلك ولن يكون الا بالعناية بالكتب

هل انا كم حديث فرنسا وناهيكم بها في العلم والحضارة والعرفان ؟

انها مدينة لمصر الاسلامية بدنين عظيمين في انشاء دور الكتب العمومية

اولها يرجع الى ايام الحروب الصليبية . فان الملك القديس لويس وهو التاسع بهذا الاسم شن الغارة على مصر في اول دولة الممالك البحرية ثم عاد ادراجه مهزوماً ولكنه رجع ظافراً بفكرة حميدة ومأثرة جميلة . وهي انه اقتبس عن اجدادنا فكرة جمع الكتب بعضها مع بعض في دار واحدة وفتحها في وجه الجمهور لينتفع بها الخاصة والعامة اترك الكلام لكاتب سيرته وامامه في صلواته فقد قال ما خلاصته :

« ان الملك التقي الورع القديس لويس وصل الى سمعه وهو فيا وراء البحار ان سلطاناتاً من سلاطين الشرقيين يبذل عنايته في البحث عن الكتب المختلفة الانواع وفي استنساخها على نفقته ثم يضعها في دار عمومية ليستفيد من مراجعتها علماء بلاده فانه كان يجعل هذه المجموع تحت تصرف جميع الطالبين . فاراد القديس لويس ان يتشبه بهذا السلطان وعزم على بذل المال بمجرد عودته الى فرنسا لنسخ الاسفار النافعة

وصحاح الكتب المقدسة التي يتأتى له العثور عليها في الادبار ليتمكن هو ورعاياه
العاكفون على علوم الادب من درسها وحرثها للانتفاع بها وافادة الجار والقريب
بمعارفهم وقد انجز هذا القصد فامر باعداد مكان لائق امين في باريس جمع فيه كثيراً
من تصانيف القديس اغسطينوس وامبرواز وجيروم وغريغوار وبقية ائمة المذهب
الارثوذكسي . وكان يذهب في اوقات الفراغ للقراءة في هذا المكان ويسمح لغيره
عن طيبة خاطر بمشاركته في مناجاة المؤلفين . وكان يؤثر استنساخ الكتب على
شراء اصولها لان ذلك في رأيه من شأنه ان يزيد في عدد الكتب المقدسة ويجعلها
اكثر فائدة . وكان حينما يقرأ في تلك الكتب بمحضر من خدمه وحشمه الذين
لا يفهمون اللاطينية يترجم لهم بالفرنسية ما لا يدركونه من العبارات «

غير انه في آخر عمره اصابه دخل في عقله فبعدد شمل تلك المجموعة وامر في
وصيته بتوزيع الباقي على الادبار

واما الدين الثاني الذي بنا على فرنسا فيرجع الى عهد قريب منا وبيان ذلك ان
القائد بونايرت عند هجمته على مصر في فجر القرن الماضي على التاريخ الميلادي نهب
كثيراً من بقايا الكتب النفيسة التي كان اجدادنا احفوها او وجدوها بعد الفتح العثماني .
وكل من ذهب الى باريس او اطالع على فهرس دار الكتب الاهلية فيها يأخذه العجب
المعجب ان لم تساوره الاشجان والاحزان . فلقد اصبحنا اذا احتجنا الى شيء من
مؤلفات المصريين الخاصة بمصر لانرى منها شيئاً في بلادنا ولا بد لنا من الرحلة والتغرب
لتطلبها في بلاد الغرب

ولقد ادرك محمد علي ذلك عند ما اراد ان يجدد العلم في ربوع مصر فارسل نفراً
من نابغي الازهر الشريف فعادوا وافادوا جدد الله عهدهم . ورافع رايتهم هو المرحوم
رفاعة بك فطالما انشأ وانشد رصف والف وترجم وعرب وكنا عميال عليه وعلى اولاده
اعلموا ان العرب والاسلام سرّاً عجيباً في تاريخ الحضارة والعمران . فالعرب اينما
حلوا انتشرت لغتهم قليلاً قليلاً ثم سادت رويداً رويداً ثم انتهت امرها بالانفراد
والاستقلال . كذلك الاسلام اينما انتشرت رايته استهوى العقول والالباب . ولكن
الغريب ان العجم هم الذين ينشرون علوم العرب ودين العرب حتى لقد قال الخليفة
الاموي سليمان بن عبد الملك : « عجبت لهذه الاعاجم ملكت الدهر فلم تتحج الى العرب
وملكت العرب فلم تستغن عنهم » وهذا كان يقول هذا الخليفة ودولته أموية عربية

محضة : وماذا كان يقول لو عاش حتى رأى عصر العباسيين او لو بعث من قبره هذه الايام ورأى حاجة العرب الى الاعاجم في كل شيء من مرافق الحياة وحاجتهم اليهم حتى في احياء آثارهم والتهافت على اقتناء آثارهم
ماذا كان يقول لو علم بالقصة الآتية ؟

تعلمون ان التتار هم الذين خربوا دولة العرب ودكوا معالم الاسلام ومع ذلك فمن اغرب الغرائب واعجب العجائب انهم ما لبثوا ان دانوا بدين العرب المغلوبين وتشبهوا بملوكهم البائدين في احياء العلوم وتوسيع نطاق العمران . سر من اسرار الطبيعة لانراه الا في شؤون العرب ومعارفهم . فبعد ان هلك هلاكاً وبعد ان مارت الارض بتيور فادخلته في تلمورها جاء احفادها فدخلوا في دين الله افواجاً هم واقواهم وارتفع بهم مناره في بلاد آسيا الوسطى وفي بلاد الهند الى اوائل الجبل المائي ومن اشهرهم في العلم والعلماء الغ بك واسمه محمد بن شاه رويخ اعتنى هذا الرجل بعلم الفلك والف فيه زيجاً باللغة الفارسية ترجمه الى العربية بعض افاضل المصريين والترجمة في خزيتي بمصر وجمع هذا الرجل خزانة من الكتب النفيسة رأيت من بعض بقاياها كتاب الصور السائية لعبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن سهل الصوفي ويسمى بابي الحسين ويعرف بكتاب صور الكواكب وبكتاب الكواكب الثابتة وهو الذي اريد ان احدثكم عنه في هذه الساعة

هذا الكتاب لا ابالغ في فضله ولا اذكر شيئاً من محاسنه وانما اقول لكم ان الروس عرفوا قدره فطبعوه في بلادهم ثم اعزوا الى احد علماء الفرنسيين فترجمه الى اللغة الفرنسية وطبعوا هذه الترجمة ايضاً في بطرسبرج . وهذا الصنيع المزدوج يدلكم على فضل الكتاب وفائدة . واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشاتي ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لا تجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد لبس طاقية الاختفاء وتطايّر في الفضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهين بها الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلهما بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن لمراجعته وجب عليهم ان يلقنوا احدي هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية او ان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهناك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستان السادسة هي التي سأتكلم عليها . في سنة ١٨٩١ عثر يوسف بك خلاط على نسخة ملوكية

من هذا الكتاب مكتوبة على ورق الحرير بالوان مخلفة بالنسخ والثلاث وقد بلغ الكتاب فيهما نهاية الاجادة والانقاف وازدانت بصور ملونة باهية زاهية يتدفق فيها الذهب والالزورد على احسن شكل واجمل مثال .

وفوق هذه المزايا التي تجعل للنسخة قيمة يتنافس فيها المتنافسون ويتعشقها العارفون فانها حوت اثراً آخر يزيدها قيمة لدى اهل الدراية . ولكن اين هم في ديارنا . . . وذلك انها مكتوبة برسم خزانة الملك العالم المؤلف (الغ بك) وعليها اسمه بخطه فصارت بذلك نادرة الثوادر وذخيرة النخائر .

عرضها يوسف بك على دار الكتب الخديوية فقومتها اني لاستحي من ذكر القيمة ولكن اقولها لكم لتعلموا مقدار تفریطنا . قومتها بخمسة عشر جنيهاً مصرياً . وظننت ان ذلك شيء كبير . وكيف لا وهذا المبلغ يساوي الالف ونصف الالف من القروش اوخمسة عشر الف مليم : توجه صاحب الجوهرة الى الغازي مختار باشا فزاده الريع . توجه الى الارسالية العلمية الفرنسية بالقاهرة الكائنة الآن بجوار دار ناظر المعارف الحالي فضاغت له الثمن اربع مرات ووعدته فوق هذه المساومة بوسام المجمع العلمي الفرنسي . فقبض الثمانين جنيهاً ولا ادري اذا كان احرز النشان ولكنه اشترط ان يكتب اسمه بينانه على تلك النسخة فقبل القوم شرطه وارسل الكتاب الى باريس تكميلاً لنصف الدسنة واصبحت نسجهم ستاً .

روى صاحب كتاب الفهرست ان ابا زكريا يحيى بن عدي النصراني المتوفى ببغداد سنة ٣٦٤ قال انه رأى في تركة ابراهيم بن عبد الله النافل النصراني كتاب السماع الطبيعي كله وكتاب البرهان لارسطو مشروحين بقلم الاسكندر الافروديسي وعندي قطعة وافرة من (كتاب البرهان) وانهما عرضا عليه بمائة دينار وعشرين ديناراً ففضى يحتال في الدنانير ثم عاد فاصاب القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني (العجمي من الفرس) بثلاثة آلاف دينار وكانت هذه الكتب مما يحمل في الكم

قال القاضي الاكرم الوزير القفطي المصري بهذه المناسبة في كتابه المترجم بترجم الحكماء المطبوع في لبسيك من اعمال المانيا مانه : :

« فانظر الى همة الناس في تحصيل العلوم والاجتهاد في حفظها والله لو حضرت هذه الكتب المشار اليها في زمننا هذا وعرضت على مدعي علمها ما ادوا فيها عشر معشار

ما ذكر « وما ذا كان يقول لو سمع الحكاية التي روايتها لكم عن كتاب الصوفي . نعم ان الخراساني اشترى الكتب بثلاثين ضعفاً واما الفرنسيون فاشترى كتاب الصوفي باربعة اضعاف لانهم لم يجدوا في مصر من يراهم كما جرى في بغداد
واقول لكم ان يحيى بن عدي النصارى المذكور كان من اكابر المؤلفين والمترجمين ومحققي الفلاسفة وكان من المفرمين بجمع الكتب ونسخها بيده وكان اوحد دهره ومذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . رآه ابن النديم في سوق الوراقين فعاتبه على كثرة نسخه فقال : « من اي شيء تعجب في هذا الوقت . من صبري ؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما الى ملوك الاطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ولعمري بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة . »
ونحن نعلم ان النويري المصري صاحب كتاب نهاية الارب في فنون الادب كان يكتب في اليوم والليلة ثلاثة كرايس اي ستمين ورقة . فلم يلبث ان
مع ان جميع المؤرخين يعجبون بابن وطننا الذي سترون اثره الجامع لكل
في السنة المقبلة ان شاء الله

كل هذه الاعمال وهي قطرة من بحر تدلكم لي مقدار الغرام بالكتب
استولى على العقل فلا يجد المدنف العاشق لذة في شيء آخر . وهذا الزم ليس
على الشرق او على الغرب بل هو داء مستحكم في نفوس الناس على اختلاف الا
والادبان والاجناس

نرجع الى ذكر السرقات في الكتب واروي لكم حادثتين وقعت احدهما لرجل م
افاضل الاسكندرية وكان للثانية شأن كبير بالجامع الازهر في القاهرة
فمن الرجال الذين يحق للاسكندرية ان تفتخر بانها انجبتهم ابو الفوح نصر بن
عبد الرحمن الاسكندري النحوي الجوفي الف كتاباً فيما اختلف وائتلف من اسماء
البقاع وقد ضبطه وافنى في تحصيله وتحقيقه عمره فاحسن فيه كل الاحسان فجاء ابو
بكر زين الدين محمد بن موسى الهمداني المشهور بالخازمي المتوفى سنة ٥٨٤ فسطا عليه
برمته وادعاه واستجمل الرواة فروا به . تلى ذلك يائوس الحموي في صدر معجم البلدان
بقوله « . واقد كنت عند وقوفي على كتابه ارفع قدره من علمه وارى ان مرماه يقصر
عن سهمه الى ان كشف الله من خبيثته وتحمض الحوض عن زبدته » اقول انه رغمًا عن
هذا التنبيه مازال الكتاب مشهوراً باسم السارق فان صاحب كشف الظنون لم يذكر

غيره وسماه كتاب ما اتفق لفظه واختاف مسماه في الاماكن والبلدان المشتبهة في الخط .
وعلى كل حال فالكتاب لم يصل الينا

واما الحادثة الثانية فقد وقعت بالقاهرة في ختام القرن التاسع للهجرة . وذلك ان
الامام شهاب الدين ابا العباس احمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ الف
في السيرة النبوية كتابه المتداول بيننا الآن وهو « المواهب اللدنية بالمنح
الحمدية » فما راعه بعد ان فرغ من تبليغه في سنة ٨٩٩ الا وقد رفع جلال الدين
السيوطي دعوى عليه امام شيخ الاسلام زكريا الانصاري . وهاك بعض ماورد في
صحيفة الدعوى « انه يسرق من كتبه . ويستمد منها وينسب النقل الى نفسه » طالبه
شيخ الاسلام ببيان ما ادعاه . فقال انه نقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات فليذكر انه
نقله عنه . ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله وكان الواجب عليه ان يقول نقل
السيوطي عنه

ماذا كانت النتيجة ؟ انظروا واعجبوا

صدر الحكم على القسطلاني بالترضية اللازمة للسيوطي وازالة ما في خاطره
كيف كان التنفيذ ؟

مشى القسطلاني من القاهرة الى الروضة (جزيرة المنيل) وكان السيوطي معتزلا
عن الناس بها فوصل الي باب . ودقه فقيل له من انت ؟ فقال انا القسطلاني جئت اليك
حافياً ليطيب خاطرك . فقال له : قد طاب . ولم يفتح له الباب
فأين اين ذلك الزمان مما نحن فيه الآن ؟ فأرأبتم لورفع المجني عليهم قضاياهم من
هذا القبيل على السارقين الذين فاقوا القسطلاني قولوا لي بربكم هل كانت تكفيها
الحاكم الشرعية والبطريركية والاهلية والمختلطة والقنصلية والجنات النفي الاداري ؟
لعمري ان تجار الاحذية كانوا يفلسون كلهم في يوم واحد لو اقتدى السراق بما
فعله القسطلاني !! ولكن التبجح وانتهاك الحرمات وصلا في زماننا الى درجة لا مزيد
عليها خصوصاً وان انتشار الطباعة ساعد على نمو هذا الطبع

وتلك الصناعة قد كان لها اصل عند العرب في مصر والاندلس وان كان الاثر
الناطق بذلك قد ذهب من بلادنا ولكن الافرنج حفظوه لنا اثابهم الله عنا خير الثواب
ووقفنا الى اقتفاء خطواتهم في النافع بدلا من تهاكنا على تقليدهم في كل ضار
اخبرني الاستاذ الفاضل حفي بك ناصف انه رأى خشبة محفوظة بمكتبة وبنا

عاصمة النمسا في جملة ما ازدانت به من آثار العرب وثمرات عقولهم وهذه الخشبة منقوشة عليها بالتجويد كتابة عربية مقلوبة على الطريقة المألوفة في اصطناع الاختام وانما كانت مستعملة لطبع الاوامر العسكرية وتوزعها على الجنود كما هو الشأن في ايامنا هذه في «الغازات العسكرية» وذلك يستفاد من العبارات المنقوشة عليها وهذه الخشبة يرجع عهدها للفواطم وربما نشر صورتها عن قريب بعض علماء المستشرقين فتكون برهاناً على تولد هذا الفن بديار مصر

واما الاندلس فقد ترقى الى ما وراء هذه الخطوة الاولى فقد كان للاندلس في هذا الباب ثلاث خطوات :

الاولى انهم قلدوا مصر في عهد الفواطم ولكن اثمهم لا يزال باقياً في ديارهم وها انا اطرفكم بصورة فتوغرافية منه كهدية للعيد السعيد وهي صورة الطابع الذي كان يستعمله اهل الاندلس في مدينة المرية عثروا عليه في اطلالها وخرائبها وهو مصنوع من الخشب والكتابة التي عليه تدل على انه كان مستعملاً في قيسارية المرية ولقطة قيسارية تدل على السوق ولا تزال مستعملة بهذا المعنى في القاهرة وفي كثير من مدائن الشرق واصلاً مشق من اسم قيصر كما انه اسم موضوع للدلالة على مدائن كثيرة بآسيا الصغرى منسوبة الى قيصر ولا شك ان هذا الطابع كان مستعملاً بصفة الدفعة (التمغة) التي كانت مستعملة في مصر الى عهد قريب لوضعها على الاقمشة والزنايط في نظير تأدية الرسوم المطلوبة لخزينة الحكومة

كذلك كان ذلك الطابع يوضع على الاقمة والطرود التي يجب دفع الرسوم عليها قبل دخولها الى السوق اي القيسارية في تلك المدينة مدينة المرية كما يستفاد من الكلمات المكتوبة فيه وهي :

طابع قيسارية المرية عام خمسين وسبعائة

واما الخطوة الثانية فهي ان الاشراف على دار الطباعة كان من خطط الدولة . بدلكم على ذلك النص العربي الذي به اليه العلامة جايانجيس الاسباني وهذا النص وارد في كتاب (الحلل السيرا) لابن الابار الاندلسي المشهور وقد طبع العلامة دوزي الهولاندي قطعة وافرة من هذا الكتاب الثمين في مدينة ليدن من سنة ١٨٤٧ الى ١٨٥١ . وانتم تعلمون ان ابن الابار هو الذي ارسله صاحب الاندلس ليستجد بصاحب تونس . وهو ذلك الرسول الذي وقف بمحضرة ملك تونس وانشده تلك القصيدة الطعنة الزانة التي تستفز الجبان وبلين لها قلب الجماد . قال في مطلعها :

ادرك بمخيلك خيل الله أندلسا ان السبيل الى منجياتها درسا
ومحل الشاهد ان ابن الابار يقول في كتابه المذكور ان عبد الرحمن الناصر الخليفة
الاكبر (ولى بدر بن احمد الوزارة والحجابة والقيادة والخيال والبرود وكان . بنفرد (اي
بدر) بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يهتها للطابع فتأج وتخرج اليه فتبعث
العمال وينفذون على يديه . نعم ان هذا النص سقيم ويحتاج الى تقويم ولا بد من مراجعة
الاصل وتقويته بنصوص اخرى . وربما كان المراد وضع الطابع عليها . ولكن هذا
الغرض بعيد لان الطابع على ما نفهم لا يصح وجوده بيد غير الوزير كما هو معهود في
الدول الاسلامية حتى الى الآن في الباب العالي . والاظهر ان ذلك يشير الى اخراج
نسخ متعددة من مطبعة حجرية لتبليغها الى اهل الولايات ورؤوس الواحات
اما الخطوة الثالثة النهائية فلذا عليها دليل مما اورده لسان الدين ابن الخطيب في كتابه
المترجم بالاحاطة في اخبار غرناطة قال في ترجمة الشيخ ابي بكر القدسي مانصه :
والف كتاب الدرة المكنونة في محاسن اسبطون، والف تأليفا حسنا في ترحيل
الشمس ومتوسطات البحر ومعرفة الاوقات بالاقدام ونظم لرجوزة في شرح ملاحن
ابن دويدار وارجوزة في شرح كتاب الفصح ورفع الوزير الحكيم كتابا في الخواص
وصناعة الامدة وآلة طبع الكتاب غريب في معناه)
هذه العبارة اكتشفها اثنان من علماء الافرنج تمكنوا منها بشرح طويل في جرنال
آسيا سنة ١٨٥٢ فأنتم ترون فضل عجم اوربا في البحث والتنقيب عن مآثر العرب . نعم
انهم ارادوا تصحيح العبارة العربية من حيث استقامة الكلام وتصورا ان فيها بعض
الالطاس والابهام . فأخذ احدها يصحح الجملة الاخيرة بما ليس له محل من الاعراب
فقال (كتاب باقي خواص وصناعة وآلة طبع الكتاب غريبا في معناه) ولا يصح
انما بان نهرأ بهم بسبب هذا التصحيح العليل السقيم وما فاته من الاعراض اما الجوهر فهو
انهم اكتشفوا هذا البرهان الدال على ان هذه الصناعة وجدت في ايام العرب ولومن
باب النظريات العلمية اذ لم تجد لها للآن اثرأ عمليا محسوسا ومن المعلوم ان الامدة
(جمع مداد) تحتاج لتركيب مخصوص لكي تخرج منها نسخا متعددة فلذلك كان المؤلف
الاندلسي بين صنعتها وبين طبع الكتاب . ولما كان هذا الاستبطاط البديع الغريب
لم يسبق له مثال بالاندلس رأى صاحب الاحاطة وجوب التنبيه على فضل الكتاب
فقال : غريب في معناه

فاين اين ذلك الكتاب الذي الفه القديسي ووصفه لسان الدين ابن الخطيب بانه غريب في معناه

لاشك انه ذهب طعمه للنار حيثما علت كلمة الاسبانيين وطردهوا المسلمين من تلك الديار فانهم كانوا كلما وقع لهم كتاب مكتوب بحروف عربية قالوا هذا قرآن وبادروا لطلب الغفران باحراقه بالنيران وبهذه الكتابة احرقوا تسعة اعشار ونصف وثلاث وربع وخمس وسدس وسبع وثمان وتسع الكتب العربية فلم يكذب يخلص اليها منها واحد في الالف وكانوا يتهافون بارتياح ونقوى الى ارتكاب هذه الجريمة الكبرى وهم يظنون انهم يحسنون صنعا حتى ان احد كرادلتهم احرق في يوم واحد بمدينة غرناطة نحو الف الف كتاب . وكان هذا الصنيع بعمل الايمان

جمهورية البرتغال

من الانقلابات السياسية الاخيرة مناداة الاحرار في مملكة البرتغال بالجمهورية والقضاء على الملكية فاصبحت هذه الجمهورية ثاني جمهورية في اوربا ومنذ سنين لم يبايع بجمهورية مهمة في ممالك الارض الا في برازيل فكأن هذه المملكة وكانت في القديم تحت حكم البرتغاليين بدأت بنزع الملكية فاجبت أمها الاصلية ان لا تنصر عنها في المطالبة بالحرية .

نعم تغلب الاحرار او الحزب الجمهوري على المحافظين بعد اضطرابات دامت سنين ادت الى مقتل الملك كارلوس منذ نحو سنين وعين ابنه عمانويل خلفا له وها قد هاجر بلاده في الفتنة الى جبل طارق مخافة ان تتناوله الايدي باذى كما تناولت من قبل اباه . ولما كانت للبرتغال صلة قديمة بممالك الشرق الاسلامي وحكومات العرب وكان هذا الانقلاب من الانقلابات التي لها علاقة كبرى بالتاريخ والاجتماع رأينا ان نأتي بنبذة قليلة من احوالها السياسية والطبيعية عسى تكون منها بعض فائدة فنقول :

البرتغال مملكة في الجنوب الغربي من اوربا يحدها من الجنوب والغرب البحر المحيط الاطلنطيكي او بحر الظلمات ومن الشرق والشمال مملكة اسبانيا ومنها ومن هذه المملكة تتألف شبه جزيرة ايبيريا وتبلغ مساحتها السطحية ما عدا جزائر آ. ور ومادير ٨٨٩٥٤ كيلومتراً مربعا وسكانها نحو ستة ملايين وعاصمتها لشبونة

ولا تفصلها عن اسبانيا تخوم طبيعية كماكثر الممالك وفيها انهار جارية و جبال عالية واعلى قممها الجبل المسمى رياسكا يبلغ ارتفاعه ١٥٢٨ متراً وحرارة البلاد معتدلة تتجاوز في الصيف في مدينة قلمرية « قوميرا » ٢١ درجة وامطارها غزيرة في الشتاء قليلة في الصيف وانهارها حسنة جارية في الجملة واعظمها ماينبع من ارض اسبانيا ومنها مايجري في ارض البرنقال

واصول سكان هذه البلاد مزيج من عناصر وشعوب كثيرة فمنهم سليتون وابيريون ولاتينيون وسوفيونيون وفزيغوتيون وكثير من المغاربة والاسرائيليين وبعض الزوج في لشبونة والكراف تقرأ الى الآن في سحنات البرنقاليين السواد مما يستدل به على كثرة من كانوا يحملون من الزوج الى لشبونة خلال القرن السادس عشر (١٠ الى ١٢ الف زنجي كل سنة) وكثير من اهل برازيل . والدين الرسمي في البلاد الكشلكة اما سائر الاديان فالظاهر انها حرة يتسامح مع اهلها

وتعد مملكة برنقال من الممالك الدستورية وهي وراثية يتناوب الملك فيها ذكورها واناثها وقد نشد دستورها الاول في سنة ١٨٢٦ ثم عدل سنة ١٨٥٢ والقوة التشريعية هي لمجلس الكوراس ومجلس النواب والشيخ والملك يصدق على ما يقرره ويتألف مجلس الامة من مجلس اعيان ومجلس نواب وعدد الاعيان ٥٢ عضواً وراثياً و ١٣ قسيساً و ٩٠ عضواً يعينون مدة حياتهم وفي مجلس النواب ١٣٨ منهم سبعة عن المستعمرات ينتخبون من الشعب مباشرة من الاشخاص الذين حصلوا على بعض الرتب او الالقاب العلمية او ممن لهم دخل سنوي يربو على الف فرنك . وللك ان يدعو هذا المجلس او يحله وهو يعين رئيس الاعيان ويصدق على تعيين رئيس النواب . والامة تنتخب نوابها مباشرة ولا يسوغ للملك ان يتغيب عن المملكة اكثر من ثلاثة اشهر بدون ان يأذن له المجلس والوزارة مؤلفة من وزير الداخلية ووزير المعارف والفنون الجميلة ووزير المالية والعدلية والمذاهب والحربية والبحرية والمستعمرات والخارجية والاشغال العمومية والتجارة والصناعة . وتقسم البلاد الى احد وعشرين مقاطعة ولكل واحدة عامل يعينه الملك ولكل ولاية مجلس عام انتخابي ولجنة اجرائية

وهذه البلاد زراعية وارضها موزعة كثيراً في الشمال وليست كذلك في الجنوب على ان عدم النظام في تقسيم الاراضي وهجرة السكان اضرت بالبلاد ضرراً بالغاً . وام

غلات البلاد الكرم تكاد تكون زراعته عامة ومنه يخرج الخمر الجيد والحبوب تكثر في الشمال كما تكثر الغابات والاشجار المثمرة في الجنوب . وتكثر فيها تربية الماشية ودود الحرير والنحل . ولها موارد عظيمة من الصيد

ومعادن البلاد كثيرة في الجملة ومنها الثمين الا ان الفحم الحجري لا اثر له فيها ويكثر الملح في شواطئها البحرية وفيها عدة بنايع معدنية يستفاد منها اكثر مما تستثمر مناجمها . والسواحل هي المراكز الصناعية في البلاد ومنها اعمال الحديد والآلات الحديدية وصنع السكاكين والمدى والنسيج والغزل والدباغة والتجارة ومعامل القفافيز (الكفوف) والاحذية والدانتلة والمربيات والنسيج وغيره والخدمة العسكرية فيها اجبارية تكون ٢٥ سنة مـبا ثلاث سنين في الجيش العامل وخمس في الرديف الاول يخدم فيها الجندي شهراً واحداً . كل سنة ليتعلم . وقدرت واردات الحكومة في السنة الماضية بنحو ٥٨٥٥٤٠٠٠ جنيه ونفقاتها بنحو ١٦٤١٥٧٦٠٠٠ وبلغ دينها ١٢١٤٦٠٠٠٠٠ جنيه ووارداتها زهاء خمسة عشر مليون جنيه وصاررتها نحو نصف ذلك والتعليم الابتدائي اجباري فيها لكنه كما هو في المملكة العثمانية امم ولا جسم حتى بلغ عدد الاميين فيها منذ عشر سنين ٨٧ في المئة وهو مالا نظير له في مملكة اوربية صغرى وفيها مدارس عالية كثيرة متنوعة وعدد جيشها العامل ٣٠ الفاً وتستطيع ان تجند ٢٥٠ الفاً ايام الحرب ولها بحرية فيها ٦٠٠٠ ضابط وعسكري

وللبرتغال مستعمرات عظيمة لكنها جزء من مستعمراتها القديمة وكانت البرازيل من جملتها ايام كان للبرتغال القذح المولى في استعمار افريقية وجنوبي آسيا . وبلغ مجموع مساحة مستعمرات البرتغاليين الآن ٣٨٥٠٤٠٠٠ كيلومتر مربع فيها نحو عشرين مليون ساكن . فلها جزائر اسور ومادير في المحيط الاطلسيكي وجزائر الرأس الاخضر وسنغاميا البرتغالية وغنية والقديس توما وجزيرة الامير في افريقية الغربية ولانكانا وكابندا ثم انكولا وبنكولا وموساميدس . ولها في افريقية الشرقية مملكة موزامبيق وسوفالا وغيرها ولها في آسيا من المستعمرات كواواسايسيت ودامو وديو واعمالها وماكو ونصف تيمور وكامبنج مما يدل على ان جزائر السوند كان يملكها الملاحون الاول من البرتغاليين وكانت هذه المملكة في القديم جزءاً من لوزيتانيا استعمر الفينيقيون شواطئها ثم استولى عليها الرومان خمسة قرون ونصفاً وتقلبت بها الحال حتى اوائل القرن الثامن

للميلاد فاستولى عليها المسلمون وضموها الى مملكة الخلافة ولم يلبث ملوك النصراني في استوريا ان توسعوا في فتوحهم الى جنوبي الجبال وطرردوا المغاربة الى غاليسيا واحتلوا لشبونة سنة ٩٥٣ . ومن ذلك العهد نشأ اسم برنقال نسبة لمقاطعة بورتو واشترك البرتغاليون في محاربة المسلمين واجلاهم عن الاندلس وهزموا المسلمين كما يقول لاروس في معجمه في معركة سانتارم (١١٨٤) وساعدوا اهل قشتالة في حرب لاس نافادي تولوزا (١٢١٢) وسالادو (١٣٤٠)

ونشأ للبرتغاليين بفضل عقول امراءها بحرية عظيمة وقام منها سياح عظام منهم الذين اكتشفوا جزائر مادير وكتاريا والرأس الاخضر والكونغو ورأس الرجاء الصالح كما وصلوا الى جزائر مالابار والصين والهند واليابان . وتجارة العطور والابازير والافاوية اغنت البرتغال قديماً في الزمن الذي اخذت تغتني فيه ايضاً بالآداب والصناعات . وقد كان لديوان التفتيش الديني فيها كما كان في اسبانيا شأن يذكر وأسس فيها سنة ١٥٢٦ . وكان من وفاة ملكها الدون سباستيان في وقعة القصر الكبير ان دخلت المملكة في يد فيليب الثاني ملك اسبانيا الا انها حاولت ان تخلص منه اما هو فعمل بلادهم خديوية قشتالية ومنعمهم من الاتجار مع شذاد الآفاق من اهل بلاد القاع (هولاندة) فاخذ هؤلاء يجلبون الابازير والافاوية ترأ من بلاد الشرق وانكسر الاطول البرتغالي سنة ١٦٠١ في بانقام من اعمال جادة واستولى الهولنديون على جزائر السوند وبنوا باتاوا وحلوا في سيام وسيلان واليابان وعلى شواطئ غيئة وغويان

وفي سنة ١٦٤٠ انتفض اقليم كاتالونيا على صاحب اسبانيا فنزعت البرتغال بدها من الحكم الاسباني وبايعت دوك باراكانس ملكاً عليها فلما لم تملك المملكة البرتغالية شعبتها حاربت اسبانيا خمساً وعشرين سنة واستعادت بعض مستعمراتها الا انها تركت بومباي للانكليز سنة ١٦٦١ وفي الربع الاول من القرن التاسع عشر انفصلت برازيل عنها . واذ مات برنقال الى انكلترا اكثر من فرنسا لم تساعدها هذه في ازماتها السياسية وقد قامت في القرن الماضي باصلاحات اقتصادية مهمة منها وضع اصول « الكاداستر » على الاراضي والغاء الرقيق من المستعمرات وابتياح املاك الرهبان وتمديد الخطوط الحديدية واصلاح اصول المالية .

والدليل على ان المسلمين حكموا تلك البلاد مدة سريان الفاظ كثيرة الى لغتهم من العربية وهي اقل مما في لغة اهل قشتالة وقد ألف دوزي المتشرك الهولندي كتاباً في

الالفاظ التي اخذتها البرتغالية والاسبانية من اللغة العربية ويبلغ عدد المتكلمين بالبرتغالية في برتغال وبرازيل وجزائر الرأس الاخضر وغيرها من المستعمرات البرتغالية في المحيطين والهند الصينية نحو عشرين مليون

وكانت هذه البلاد جزءاً من الاندلس ويطلق عليها اسم البرتغال ^(١) Portugal وهذا هو اسمها في كتب العرب لابورثغال او بغير او وعاصمتها لسبون Lisbonne التي يذكرها العرب باسم لشبونة واشبونة والاشبونة ^(٢) ولا تزال في مدينة شنترة Cimbra حصون العرب على قم الجبال وبجانب بعضها مسجد باقية آثاره الى الآن وعلى مقربة منه قبر دفن فيه القوم عظاماً وجدوها ولم يعلموا انها للمسلمين او للنصارى فوضعوا على رجام القبر صورة الصليب وصورة الهلال والقسم الذي كانت تسكه العرب في لشبونة يعرف عندهم باسم الحمة لابتشديد الميم ويسميه البرتغاليون الآن من باب التحريف الفاما ومنظر هذه المدينة يشبه المدائن الشرقية

ومن امهات مدن البرتغال مدينة كويمبرا Coimbra المعروفة في كتب العرب باسم قلمرية وهي الآن دار العلم ومحط المعارف في بلاد البرتغال . ومنها مدينة بورتو Porto واسمها في كتب العرب برتغال وبها يسمى هذا القطر برتغال كما نقول نحن الآن طرابلس وحاضرتها طرابلس وتونس وحاضرتها تونس وكما نقول بني سويف وبندرها بني سويف والقيوم وبندرها القيوم والنيا وبندرها النيا وهكذا في امسوط وقتاً

وفي مدينة البرتغال هذه آثار كثيرة ولكن العرب لم يخلفوا فيها شيئاً يذكر لانهم كانوا يقيمونها فاتحين ثم يجوزونها الى غيرها من البلاد ولم ترسخ فيها قدمهم وقد تألف التجار على انشاء دار البورصة على الطراز العربي ونقشوا الكبر بهو فيها بحسب الاسلوب العربي وزينوه بالزخارف وكتبوا في ضمن رسومها البديعة اشعاراً عربية وفي جميع الطرازات هذه العبارة (عن لالانا السلطنة مريم ٢) يريدون عن مولاتنا السلطنة مريم الثانية اه .

(١) السفر الى المؤتمر ل احمد بك زكي (٢) قال المقري في نفع الطيب واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية وماردة واشبونة وشلب فمن اعمال اشبيلية شريش والخصراء ولبله وغيرها ومن اعمال ماردة بطليوس وبايرة وغيرها ومن اعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن اعمال شلب شنت رية وغيرها

اما القول بان العرب كانوا يحيثون البلاد فاتحين ثم يجوزونها الى غيرها فمسألة فيها نظر بعد ان قال ياقوت ان شنترة ملكها الافرنج (اي من المسلمين) سنة ٥٤٣ ونسب اليها قوم من اهل العلم ولا يخرج من دولة علماء الا اذا رسمت اقدام حكومتها في البلاد . وقال في شنترين انها مدينة متصلة الاعمال باعمال باجة في غربي الاندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصابه في البحر المحيط وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة اربعة ايام وهي الآن للافرنج ملكت سنة ٥٤٣ وقال في قلرية « بضم اوله وثانيه وسكون الميم وكسر الراء وتخفيف الياء » مدينة بالاندلس وهي اليوم بيد الافرنج . وفي لشبونة ويقال لها اشبونة بالالف وهي مدينة بالاندلس يتصل عملها باعمال شنترين وهي مدينة قديمة قريبة من البحر غربي قرطبة وفي جبالها البزة الخالص ولعملها فضل على كل عدل الذي بالاندلس يسمى اللاذرين يشبه السكر بحيث انه يلف في خرقة فلا يلوثها وهي مبنية على نهر تاجه والبحر قريب منها وبها معدن التبر الخالص ويوجد بساحلها العبر الفائق وقد ملكها الافرنج في سنة ٥٧٣ وهي فيما احسب في ايديهم الى الآن .

واصرح من هذا ما قاله المراكشي ^(١) قال وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والمغرب من المدن مدينة طليطلة وكونكة واقليج وطلبيرة ومكادة ومشربط ووبذ وابلدة وشقوية هذه كلها يملكها الادقش وتسمى هذه الجهة قشتالة وتجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلا مدن كثيرة ايضاً وهي سمورة وشلتكة والسبطاط وقلرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالببوج وتسمى هذه الجهة ليون وفي الحد المغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشنترين وباجة وشنترة وشنيافو ومدينة يابرة ومدن كثيرة ذهبت عني اسمائها يملكها رجل يعرف بابن الريق

وذكر في سيرة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن انه خرج سنة ٥٧٩ قاصداً غزو الاندلس قال : فقصد مدينة شنترين اعادها الله للمسلمين وهذه المدينة اعني شنترين بمغرب الاندلس وهي من امتع المدائن يملكها وجهاتها مع بلاد كثيرة هنالك ملك من ملوك النصراني يعرف بابن الريق وقد فصل ما وقع بينهما من الهزائم وكيف خرج ابو يعقوب وحمل في محفة وكيف هرب ابو الحسن المالقي الذي كان سبب هزيمة

المسلمين الى مملكة ابن الريق فأواه صاحبها واکرمه الى ان بدا له من سوء رأيه ان يكتب كتاباً الى الموحدین يستعطفهم وادرج في ضمن ذلك فصلاً بذكر فيه ضعف المدينة فاطلع الرجل الموکل به وكان يعرف العربية سرّاً فقبض عليه فشاور ابن الريق قسيسيه في امره فأتساروا عليه باحراقه فخرقه

وذكر المراكشي انه كان يملك الثغر الذي من الجهة الشمالية من الاندلس (بعد انقطاع الدعوة الأُموية عنها) وبعض المدن المجاورة للبحر الاعظم ابن الافطس المتلقب بالمظفر ثم كان له ابن اسمه عمر يكنى ابا محمد تلقب بالموکل علی الله كان يملك بطليوس واعمالها ويايرة وشنترين والاشبونة قال : اتصلت مملكته الى ان قتل المرابطون اصحاب يوسف بن تاشفين ابنه المتوکل سيفه غرة سنة ٤٨٥ وكانت ايام بني المظفر بمغرب الاندلس اعياداً ومواسم وكانوا ملجأ لاهل الآداب وفيهم يقول ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد بن عبدون من اهل مدينة يابرة قصيدته المشهورة التي مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالآثر فما البكاء علی الاشباح والصور

وبهذا علمت ان العرب استولوا علی برنقال مدة لا تقل عن مائة وخمسين سنة فتبع فيها رجال منهم وخلفوا آثاراً لاتزال شاهدة بفضل تقدمهم في العلم وان هذه المملكة التي انقطعت الآن بينها وبيننا انواع الصلات كانت من جملة ممالك الشرق وان كانت غريبة وان لسانها اقتبس من لساننا وان التعصب الذميم الذي تم علی يد القساوسة منذ القدم كان من المعجلات في نزع الملكية وقيام الجمهورية الآن

وقد كان اول عمل للجمهوريين طرد جماعة اليسوعيين من بلادهم واستصفاء الاديار والقضاء علی الرهبان والراهبات لانهم لم ينسوا بعد مسعى رجال الدين في مقتل فررجل الاسبان الحر في العام المنصرم قتلوه بواسطة الحكومة علی اشبع صورة عرفت في عصر النور والمدينة فلما ظفر الاحرار بالمحافظين قضوا القضاء المبرم عليهم علی نقاليدهم ليعرفوهم ويعرفوا الحكومات التي تعتمد الى الشدة في معاملة امتها ان الناس لا يحكمون الا باسئالة القلوب وان القوة اذا خيب منها زمناً فقد يأتي آخر يستهين بها اهله فيستمتتون ويستبدلون

والضبط لايزيد النفوس الابية الا مضاء . وهكذا أهين رجال الدين ولا سيما اليسوعيون وطردها او كادو من البرتغال كما طردوا من فرنسا من قبل وحرّم عليهم دخول سويسرا وتوشك سلطتهم ان تنزعز ع ايضاً في اسبانيا لمتاخمتها ارض برنقال واذا صحت

عزيمة البلادين المتجاورين تَنَى إنشاء مملكة واحدة كما هو فكر بمض الخاصة هناك تصبح
جمهورية اسبانيا والبرتغال واحر بها ان تسمى جمهورية ابيريا من الحكومات القوية
ذات الشأن العظيم ، وربك يفعل ما يشاء ويختار

رحلة الى قلمون الاسفل^(١)

على اربع ساعات من شمالي دمشق واد منبسط بين جبلين متسامتين طوله من سفح
ثنية العقاب الى مزرعة الناصرية لا يقل عن ست ساعات وعرضه ساعتان تربته
بيضاء ورباعه مخرصة ومياهه موفورة بحيث لو حفرت عشرة اذرع او اكثر ينبت الماء
غزيراً مع ان الجبلين المتناوحين من شمال الوادي وجنوبيه لاشجر فيهما ولا غابة تزينهما .
ولو كنا مغرورسين بالسنديان والزان والبلوط والشوح لكان هذا الوادي بامطاره الغزيرة
ورب المتواصل اشبه باخصب السهول الهندسية ولذا كان جبل قلمون ضعيفاً بريه وان
لم يكن كذلك بزكاء تربه . والعالي والاسفل او التحتاني منه متشابهان وان كانت سهوله
اخصب من آكامه وتلعاته ومياه الاعالي اعذب من مياه الاسفل . وفي قلمون الاسفل
من القرى الامهات ما يطلق تَلَى امثاله في ديار الغرب اسم بلدة وذلك مثل الرحبية وجيرود
والمعظمية والقטיפيه وضمير وكلها ذات تاريخ قديم وعمران طبيعي وهي بكثرة نفوسها
يزيد عمرانها اليوم كلما انبسط ظل السلام فيها وامن اهله على مواشيتهم من غارات اشقياء
الصفاء وجبل الدروز المجاورين لهم من جهة الجنوب والجنوب الشرقي على مسيرة يوم من
هذه البلاد

ولقد كان عرب الصفاء واللجاة وجبل حوران يغزون منذ سنين اهل قرى قلمون
الاسفل في عقر دارهم ويرعون زروعهم وينهبون ناطقهم وصامتهم ولذلك ضعف عمران
تلك الديار حتى على قيد غلوة من القصبات والداكر فاصبحت الاقليل مزارع حقيرة
ومداشر . وقلت الاشجار فيها حتى في ضواحي القرى وتَلَى شواطئ الجدال والانهار
لان الفلاح اصبح لا يفكر الا في رزق سنته فاذا نجح عامه من شرور النهب فهو سعيد آمن
والا فيقضى عليه ان يعيش في فقر ليس بعده فقر وذلة هي الموت بعينها او يهيم على وجهه
الى اقليم آخر يكون اقرب الى الامن والامان يطلب معاشه بالعمل مأجوراً وكان

يستطيع ان يعيش اميراً من ارض اورثه اياها آباؤه واجداده لو كان له حكومة تفكر فيه وتدفع عنه بوائق الدهر وعواديته وتعرف ان ائتقاضه اياه من الضرائب والاتاوات ليس الاتحمية

ومن الغريب ان الامن ما كاد يرفع رواقه في هذه الديار وتنتظم اصول الادارة بالنسبة لما كانت عليه في القرن الماضي مثلاً حتى سرت الى الاهلين هنا نعمة الهجرة الى اميركا فغدا هذا الجبل بمن هجره شقيماً وكان يسعد بهم لو توفروا على خدمة ارضه واستثمار شجره واستنابت غلاته وتعددين مناجمه والعمل لاستبحار عمرانه ولا يقل عدد المهاجرين من هذا الوادي عن خمسمائة من اصل نحو عشرين الف نسمة وكل يوم يزيد نازحهم وقلاً يعود احد منهم . يذهب الشبان الاقوياء ويبقى في الاكثر الاطفال والنكحول والشيوخ حتى كادت تسوء الظنون في مستقبل هذه البلاد وهي اذا لم توفق الى النهوض بنشاط شبانها هيئات ان تعمّر بتكاسل شيوخها وكهولها وخمولهم .

قلنا تعددين مناجمها لان جبلاً من مثل هذه لا تخلو من مناجم فاذا كانت بقعة واحدة وهي جيروود^(١) وما اليها تحتوي في جملة ماتحتوي من الغلات والثمار على اربعة اصناف من العناصر التي نقل او لا توجد في غيرها فبالك لو بحث في قرى هذا الجبل وحده عما يملكه صدره من الخيرات الطبيعية .

نعم في جوار جيروود على مسافة ساعة منها المملحة التي يصدر منها الملح الجيد للطعام وتكني الوف القناطير التي يمكن استخراجها من سوربة باجمعها ولذلك يكتفى باستخراج كمية قليلة منه لان في جوار تدمر وحماة وصفد مملحات اخرى يذفع بملحها دع عنك ما في سائر الاقطار العثمانية من هذا الجزء المفيد

وبالقرب من المملحة معدن الجبس او الجبصين ينبشونه من الارض قطعاً مستطيلة بطول شبر او شبرين وعرض ثلاثة اصابع وشحن اصبعين يستخرج العامل القنطار الشامي منه بسبعة قروش وقد لا يستخرج قنطاراً منه في اليوم الواحد فيأخذه ضامنه من ادارة الغابات والمعادن ويجمعه في تنور كبير يحرقه وعندها يستحيل الى جبس يدخل في الابنية والتبليط والتوافذ وغير ذلك

هذان هما المعدنان اما النباتان فهما نبات القلي او الاشنان يقطعونه ويجمعونه في

(١) في معجم البلدان جرود بدون يا، وقال انها من اقليم معلولا من اعمال غوطة دمشق ولعلها كانت تابعة للغوطة

حفر بوقدون فيها النار فيستحيل الى قلي • ومن شواطئ المماحة التي لا يقل طولها عن ساعتين وعرضها عن ساعة بنبت السل او قش الحصر وهذا القش يخرج في بقاع اخرى ولكن احسن القش ماخرج من جيروود ولذلك ترى كل حصري في دمشق يحرق علكي ان ينسج حصره من قش جيروود لثانته وروائه

فبلاد هذا بعض مغلها الطبيعي خست بزكاء المنبت وجمال الطبيعة تخرج منها الحبوب على انواعها والثار على اختلاف اشكالها ثم يظل اهلها في جهالة على قريهم من دمشق ام المدن السورية بل عاصمة هذه البلاد العربية وذلك لقلة المواصلات بينهم وبينها بهذان الحكومة لا يهملها الا ان تأخذ من اهلها حقوقها ولا تقوم بما يجب عليها لها حقوق

كان الاهالي في قلمون والمرج والغوطة يفكرون في مستقبل بلادهم حق التفكير ويحبون ان يبقوا اولادهم لهم لا ان يربوهم لينزحوا الى اميركا ويستقروا في البلاد لطلبوا من الحكومة امتياز سكة حديدية ضيقة كالمعروفة في مصر بالسكك الحديدية الزراعية وبذلك تصدر الصادرات على اسر وجه وتساوى في الابعاد القرى القاصية والدانية •

بالسكك الزراعية احيى موات مصر وقربت مسافاتها والتحمت اجزاؤها واذا كان يتعذر الآن ربط دمشق ببغداد بسكة حديدية تتجاوز الغوطة والمرج وقلمون والقريتين وتدمر الى العراق لاختلاف المصالح السياسية فلا اقل من ان يقوم اغنياء دمشق وهذه الاقاليم ينشئون سكة ضيقة تصل بين هذه القصبات بوصلة العمران في الغوطة من امهات القرى مثل دومة وعربيل وجوبر وسقبا وفي المرج مثل ضمير وعنتبة وعذراء وفي قلمون مثل يبرود ودير عطية وقارة والنبك وجيروود والرحبية والقطيفة وغيرها مايجدر بارباب الاموال ان يتدبروه ويضموا اثنتان هذه الاجزاء المتفرقة التي لا تجد بينها طريقا معبدا ولا يريدا ولا سلكا برقيا ولا طبيا ولا صيدليا ولا كاتبيا ولا حاسبيا بل تجد فيها الناس يعيشون بعيدين عن محيطهم لا يعرفون عنه اكثر مما يعرف ابن السودان عن سكانه راكش في حين ترى المسافات قريبة وبعدها عن الفحشاء لا بعد مائة كيلومتر او يوما وبعض يوم على ظهور المظايا

مثال ذلك اتنا قصدنا الى هذا الجبل يوم وقفة عيد الصغير فكان الفلاحون يسألوننا كلما وقفنا لنريح مركبانا فيها اذا كان ذلك اليوم من رمضان او انه رومي هلال العيد

وثبت في دمشق اما من كنا نسألهم عن نعمة جبل الدروز فكانوا لا يعرفون من امرها الا ان الحكومة جيشت جيشاً عليهم ولا يعرفون ما تبع ذلك من تأديب الدروز على حين هم احق الناس بالفرح بهزيمة الاشقياء لانتشار ظل الامن في تلك الربوع ولانهم طالما تأذوا بهم ونهبت مواشيهم وقتل رعاتهم وزراعتهم .

ولاسبيل الى عمران هذه البلاد الا بالادب والعلم فمن جملة اسباب الامن مد الخطوط الحديدية الزراعية التي نقل نفقاتها وتكثرت فوائدها المادية والمعنوية فتضاعف اثمان الاراضي هنا كما يتضاعف دخلها وتكثر اشجارها ومواشيها والعلم لا ينتشر الا اذا هب اعيان البلاد وعقلأوها الى انشاء مدارس لابنائهم خاصة تجرّيه على غير الخطّة التي يسيرها عليها ديوان المعارف . تسير في التعليم على طريقة يتعلم بها الفلاحون نهال نقط بحيث يقرؤن ويكتبون فيها في الجملة ويعرفون المبادئ الاولى من الحساب والكتابة والذبات والحيوان وشيئاً من تربية المواشي وحفظ الصحة والرياضة البدنية واصول الدين . يعلمون كل ذلك بالعمل اكثر من النظر .

فلوقامت في كل قرية من قرى قلمون مدرسة ابتدائية كالتي انشأها في جبرود كبيرها محمد باشا الجبرودي ووقف عليها بستاناً فيه صنوف الثمار لا يقل ريعه السنوي عن عشرة آلاف قرش لاصبح قلمون بعد عشرين سنة ارقى جبال سورية لما فطر عليه اهله من الذكاء والنشاط .

نعم استحق الزعيم المنوه به كل شكر لانه جرى على غير سنة كبرائنا في السخاء فكان فيما نظن ثاني رجل في هذا القرن الرابع عشر وقف على العلم في سورية مثل هذا الملك الذي لا يقل ثمنه الآن عن ثلاثة آلاف ليرة . والرجل الاول هو فيما نذكر محمد باشا المحمد من امراء عكار وقف على مدرسة دينية هناك ما يكفيها . اما سائر اعياننا واغنيائنا فلم يوقفوا الا قليلا الى وقف ما يوليههم في دنياهم واخراهم نفراً وذخراً واهل اعيان هذه البلاد من الأسر العريقة في المجد تقدم بعد الآن بين يدي نجواها من البذل للعلم ما تقربه العين فيحذون في ذلك حذو اغنياء الاقاليم في مصر الذي نهضوا بها وما انشؤهم لفلاحهم من الكشائب في بضع سنين مالا تنهض به امة تنتظر من حكومتها ان تعلمها في قرن او قرنين . وليت شعري متى تنبعث من دمشق نفحة من تلك الروح التي انبعثت في القاهرة ففاضت على اقاليم مصر فاحيتها حتى يكون حظ المصريين واحداً في النهوض اليوم كما كان كذلك في القرون الوسطى .

مخطوطات ومطبوعات

كتاب المثني

قال ابن ساعد^(١) : ان علم اللغة هو نقل الالفاظ الدالة على المعاني المفردة وضبطها وتمييز الخالص بذلك اللسان من الدخيل فيه وتفصيل مايدل فيه على الدوات بما يدل على الاحداث وما يدل على الادوات وبيان مايدل على اجناس الاشياء وانواعها واصنافها مما يدل على الاشخاص وبيان الالفاظ المتباينة والمترافة والمشتركة والمتشابهة . ومنفعة الاحاطة بهذه المعلومات خبراً طلاقة العبارة والتمكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالالفاظ الفصحى والاقوال البليغة .

ولقد طبعت كتب كثيرة في اللغة ولا يزال يظفر باشيء لم يكتب لها الظهور وازرع الينامن مكتبة احد علماء هذه الحاضرة نسخة من كتاب المثني تأليف حجة العرب ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي الذي ذكره السيوطي في بغية الوعاة فقال انه عبد الواحد علي ابو الطيب اللغوي الحلبي الامام الاوحد .

قال في البلغة له التصانيف الجليلة منها مراتب النحويين ، لطيف الاتباع ، الابدال ، شجر الدر ، وقد ضاع اكثر مرثقاته وكان بينه وبين ابن خالويه مناقشة مات بعد اربعين وثلاثمائة . وقال الصفدي : احد العلماء المبرزين المتقنين لعلي اللغة والعربية اخذ عن ابي عمر الزاهد ومحمد بن يحيى الصولي واصله من عسكر مكرم قدم حلب واقام بها الى ان قتل في دخول المستنق حلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .

وكتابه هذا في ١٣٠ ورقة اكبر من الربع عليه حواش وتعليقات مفيدة كتب علي الحاشية ان اكثرها بقلم ابن الشحنة وابن مكثوم القيسي تليد ابي حيان وفيه نقص من وسطه ونقص قليل من آخره الا انه لا يحول دون الانتفاع منه لان النسخة قديمة على ما يظن وهي حسنة الخط بالشكل الكامل والصحة غالبية عليها بحيث يسهل تمثيلها بالطبع دون الرجوع الى الامهات لتصحيح الفاظها واثبات الروايات المعتمدة في ضبطها وليس في الكتاب تاريخ نسخه ويرجع انها كتبت في القرن السابع او الثامن .

جاء في مقدمته ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد النبي وعلى آل

(١) هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المتوفى

سنة ٧٤٩ صاحب كتاب ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

محمد . قال ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللزوي : انه ليس شيء من كتبنا وان قصرت ابوابه وقلت اوراقه وضمم جمعه وصغر جسمه باقل فائدة في معناه للتعلم ولا انزاع عائدة في مغناه على المتفهم من غيره وان اسهبنا فيه واغرقنا في معانيه حتى طارت اصوله وانشرحت فصوله بل كل واحد بمحمد الله على غاية ما يمكننا من الكمال فيما اقتصرنا به عليه ونهاية التمام فيما انتهينا به اليه وما من شيء توخينا من ذلك ولا تعمدناه الا لغرض في الافهام تحريته وحرص على الاعلام الذي اردناه وكل من الله سبحانه وبه . فاذا كانت بغيتنا فيما نعانيه وارادتنا فيما نعيده ونبدى معونة اللحن المستفيد والتقريب على ذي النهم البعيد والحق الكهام البليد بالذكي الحديد وكان ذلك لوجه الله خالصاً موفوراً لانريد به جزاء ولا شكوراً فاننا غير قانطين من تفضله جل اسمه علينا بالارشاد وتوفيقه ايانا للسداد والله عند ظن عبده وكافل لمن استرشده برشده ولا قوة الا بالله . ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ماورد من كلام العرب مثني في الاستعمال ثنية لازمة ومبتدؤون بشرح وجوه وتقصيصها وذكر ضروب توسعهم فيها فنقول ان جميع ماورد على ذلك من الاسماء عشرة اصناف الاثنان غلب احدهما على اسم صاحبه الاثنان جمعهما في الثنية اتفاق اسميهما الاثنان غلب نعت احدهما على نعت صاحبه الاثنان جمعاً في الثنية لاتفاق نعتيهما الاثنان غلب عليهما لقب واحد منهما الاثنان يجمعهما لقب واحد الاثنان ثنيا باسم اب او جد او احدهما ابن الآخر فغلب اسم الاب الاثنان اللذان لا يفردان من لفظهما الاثنان في اللفظ يراد بهما واحد الاثنان يثنيان وان اكتفي باحدهما لم ينقص المعنى واما ماورد من ذلك من الافعال فصنفان من الفعل المبني على صيغة التثنية والمراد به تكرر الفعل . الفعل يجي لفظه لاثنين ومعناه واحد ونحن نبوب هذه الابواب ونأتي على ما شاء الله .

ثانياً اسم احدهما على اسم صاحبه قال الاصمعي وابو عبيدة قولهم يريدون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال الفراء
 قد قيل سنة العمرين قبل عمر بن عبد العزيز وجاء
 اب منك سيرة العمرين فهذا يدل على

اياب مثل الخنثان والزهدان والنجاران
 ان الشريفان والعشاءان والامقسان

والقربان والقمران والمربدان والطلحيتان وابانان والنيران والمشرقان والقمران
والدحرضان والكيران والموصلان والصباحان والبصرتان والغدوان والمطران . وشرحها
شرحاً موجزاً واستشهد لها بكلام العرب واورد في باب النثنية لاتفاق اسميهما السعدان
لسعد بن زيد مناة بن تميم وسعد بن ملك بن زيد مناة بن تميم والمروان لمرو الشاهجان
ومرو الروذ . والفرقدان والقطبان والناظران والوريدان والاجدلان والذراعان
والمسجدان قال بعد الامثلة الكثيرة وهذا باب يفوت الاحصاء ويدخل فيه الاذنان
والعينان والجبينان والحاجبان والخذان والوجنتان واللحيان والعارضان وما اشبه ذلك
وقال في باب الاثنين غالب نعت احدهما على نعت صاحبه مثل الاسمران الخبز والماء
والاسودان التمر والماء والاخضران البحر والليل والايضان الخبز والماء والباكران الصبح
والمساء ويقال لها الرانحان والايضان الشحم . الشاب . وقال في باب الاثنين جمعاً في النثنية
واورد لفظ الاقهبان الفيل والجاموس الاحمران الخمر واللحم والاصفران والاسودان
والازهران والايهمان والاعميان والاطيبان والابخثان الخ .

واتى على هذا النحو من تفصيل الابواب تفصيلاً حسناً وشرحها شرحاً احسن
وقال في الاتباع الذي اوله الالف : قال ابوملك تقول العرب في صفة الشيء بالشدّة
انه لشديد اديد وهو من الاد والأد القوة الا ان الاديد لا يفرد قال الراجز
نضوت عني شرة وادا من بعد ما كنت حملاً نهدا
ويقال جي به من عيصك وآيصك اين من حيث كان ولم يكن فالعيص الاصل
والايص اتباع الخ

وقال في الاتباع الذي اوله الباء يقال انه لحسن بسن وانه لكثير بشير وانه لقليل
ليل الخ وقال في التوكيد الذي اوله الباء : يقال فوله بصيص واصيص وبصيص
من الفزع وكله بمعنى الصوت الضعيف ويقال انه اغض بض وغاض باض وهي الغضاضة
والبضاضة قال ابو زيد والبضاضة رقة البشرة وقال الاصمعي هي رقة البشرة والبياض
وقال ابو زيد قد يكون الاسم بضاً ويقال انه لسرّ برّ وسار بار وانهم لسارون بارون
وسرون بروّ ^{عنه} بالشاعر

اخوة ماتلت سرون برون فان غبت فالذئاب الجياع

وهكذا اتى بياب الاتباع على حروف المعجم فاستوفاه ولم نعث في شيء من كتب اللغة
المطبوعة على اكثر استيفاء لهذا المبحث من هنا . وفي آخر هذا الفصل البدع انتهى

بحسب الظاهر الكتاب . وجاءت بعده قطعة اخرى في اللغة على تلك الشاكلة ولكنها
تكاد تتجاوز ثلاثة ارباع الكتاب فمن امثله : الباء والشين يقال ارب على القوم وارش
عليهم اذا حمل عليهم ووشى بهم وهو يؤرب على القوم تأريباً ويؤرش تأريشاً ويقال
غلام بلبل وشلشل اذا كان خفيفاً ظرباً . وقال في الباء والفاء : ابو زيد يقال خذه
بابانه وخذه بافانه اي بزمانه وحينه وانشد

فهلا بافان وفي الدهر غرة تزور وفي الايام عنك عقول
وعلى هذه الصورة كانت سياقة هذه الابواب المفيدة ولها نظائر من كتب اللغة
المطبوعة

وهاك نموذجاً آخر : الجيم والقاف قال الاصمعي : يقال لكل ذي حانوت كرج
وكربيج والكربيج والكربي ايضاً اسم الحانوت وهو فارسي معرب وسئل عن كثير
فقال كان كرجياً قال ابو حاتم يعني صاحب حانوت ويقال هو الفالودج والفالودق
واعطاني من الشعير او الحنطة كيلجة وكيلنة . ابو عمرو يقال انه لحسن الجسم وحسن
القسم بمعنى واحد والقسم هو الجسم بعينه وانشد

طبيخ نحاز او طبيخ امية دقيق العظام سيء القسم املط
ويقال انباجت عليهم بايجة من الدهر وانباجت عليهم بايقة وهي البوايج والبوايق اي
الشدايد والدواهي قال الشاعر وهو الشماخ يرثي عمر رضي الله عنه
قضيت اموراً ثم غادرت بعدها بوايج في اكمامها لم تفتق
وفي الحديث لن يؤمن عبد حتى يأمن جاره بواقه اي دواهيته قال ابن احرر
اخاف بوايقا تسري الينا من الاشياع سرأ او جهاراً
ومن الامثلة الكثيرة ماورد في « العين والتون » الاصمعي يقال اعطيه . اعطاء
وانطيته انطيه اعطاء بمعنى واحد ومنه قول الاعشى

جياذك في القيظ في نعمة تصان الجلال وتنطا الشعيرا
والدعفس والدنفص من الرجال الزري المنظر القمي ويقال غسل الذئب يعسل
عسلانا ونسل ينسل نسلاناً وهو ضرب من المشي تضطرب فيه متناه وفي التنزيل : فاذا
هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وشكا عمرو بن معدي كرب الى عمر بن الخطاب رحمه
الله عليه المعص فقال : كذب عليك العسل اي عليك بالعدو قال الشاعر :
عسلان الذئب امسى قارباً برد الليل عليه فنسل

وهكذا تجد الكتاب من اوله الى آخره سلسلة فوائد اغوية حريّة بالتدبر والاستظهار ولواتسع المجال لاكثرنا من الامثلة وفيما اوردناه مقنع فعسى ان تصح غزمية بعض الطابعين والمؤلفين علي نشره ليضاف الى المجموعة اللطيفة التي طبعت مؤخراً من كتب اللغة مثل كتاب فقه اللغة للشعالبي والالفاظ الكتابية للهمداني وتهذيب الالفاظ لابن السكيت والنوادر لابي زيد والاضداد لابن بشار الانباري والفصيح لثعلب وذيله للبغدادي وفصيح اللغة للهروي وفعلت وأفعلت للزجاج ومبادئ اللغة للاسكافي واساس البلاغة للزمخشري والمقصود والممدود لابن ولاد وغير ذلك من المختصرات والمطولات كرسائل الدارات للاصمعي ورأس تلك الكتب المتمعة المخصص لابن سيدة المطبوع والحكم له الذي يرجى طبعه، عما قرب

اعمال الاعلام

فيم بوبع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام تأليف
لسان الدين ابن الخطيب طبع في بلرم صقلية سنة ١٩١٠ ص ٦٨
احتفل علماء الطليان في المشرقيات بمرور مئة سنة علي مولد ميشل آمري المستشرق
الايطالي الذي صرف حياته كلها في درس التاريخ الاسلامي ولاسيما ما كان متعلقاً منه
بجزيرة صقلية التي دانت للمسلمين زمناً طويلاً فوضعوا لذلك كتاباً اتى كل واحد بنبذة
تاريخية واجتماعية نشرها . ومن جملة ما نشر هذا الجزء من تاريخ ابن الخطيب . نشره
حسن حسني افندي عبد الوهاب استاذ التاريخ في المدرسة الخلدونية بتونس بدعوة من
صديقه الاستاذ ناليو الايطالي ومكافأة لذكرى من خدم الاسلام والمسلمين في اوربا
طول حياته وقد علق الناشر بالافرنسية شروحاتاً وحواشي علي هذا الجزء تدل علي بعد
غوره وتدقيقه علي اسلوب الاوربيين . وللكتاب مناسبة كبرى بتاريخ شمالي افريقية
وصقلية والاندلس وفيه ذكر من ولي الملك بصقلية قال لسان الدين في وصفها : قال
ابو محمد الرشاطي : صقلية جزيرة كبيرة وصقلية اسم لاحدى مدينها الكثيرة وقلاعها
الاثيرة وطولها مسيرة خمسة ايام وهي في البحر الشامي موازية لبعض بلاد افريقية واقرب
المواضع اليها من بلاد افريقية رأس اذار بينهما مجرى يوم وتوازي من الجهة
الآخرى ارض الروم الكبيرة وافتتحت في اثني عشرة ومائتين وكانوا قبل
ذلك معاهدين ولافتتاحها خبر شهير . وقال ابو الحسن ابن جبير
في رحلته يصف مدينة مسينة واخبار ملوكها : هذه المدينة موسم تجار الكفار ومقصد جواري

البحر من جميع الاقطار كثيرة الارفاق برضاء الاسعار مظلة بالكفر لا يقر فيها للمسلمين قرار اسواقها دافقة حفيلة وارزاقها واسعة بارغام العيش كقيلة لا تنال بها ايلك ونهارك في امان وان كنت غريب الوجه واليد واللسان وذكر بمدنة مسينة المدينة المعروفة بيلارمة فقال فيها سكنى الخضر من المسلمين ولم فيها المساجد والاسواق المختصة بهم والارباض وسائر المسلمين بضياعها وجميع قراها ومدنها كسرقوسة وغيرها وهذه المدينة سكنى ملكها غلام وشأنه عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين وهو كثير الثقة بهم وسأكن اليهم في احواله والمهم من اشغاله ومنهم وزراءه وحجابه وهم اهل دولته المرتسمون بخاصته وعليهم بلوح رونق مملكته لانهم في الملابس الفاخرة والمراكب الفارغة ولهذا الملك القصور المشيدة والبساتين الانيقة وهو كثير الاتخاذ للقيان والجواري وليس في جميع ملوك الرومية اشرف منه في الملك ولا انعم ولا ارفع وهو يتشبه في نعمه بالملك وترتيب قوانينه وتقسيم مراتب رجاله وتقدير اجتهه واطهار زينتة بملوك المسلمين . ومملكه عظيم جداً وله الاطباء والمنجمون وهو كثير الاعتناء بهم شديد الحرص عليهم . ومن عجيب شأنه انه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته الحمد لله حق حمده وكانت علامة ابيه الحمد لله شكراً لانعمه . وجواريه وحظاياه في قصره مسلمات كلهن . وذكر لنا ان الافرنجية من التصرانيات تقع في قصره فتعود مسلة بعيدها الجواري المسلمات . وذكر مدينة شيفلود فقال هي مدينة ساحلية كثيرة الخصب واسعة المرافق منتظمة الاشجار والاعناب مرتبة الاسواق يسكنها طائفة من المسلمين وذكر مدينة ثومة فقال هي احسن وضعاً من التي تقدم ذكرها وهي حصينة تركب البحر وتشرف عليه وللمسلمين فيها ربح كبير لم فيه مساجد وهذه المدينة من الخصب وسعة الرزق على غاية وذكر المدينة التي هي حاضرة صقلية فقال هي ام الحضارة والجامعة بين الحسينين غضارة ونضارة فاشتت بها من جمال مخبر ومنظر وموارد عيش اخضر عتيقة انيقة مشرفة مونة تنطلع برأى فتان وتخيال بين ساحات وبساط كلها بستان فسيحة السكك والشوارع تروق الابصار بحسن موضعها البارح عجيبة الشأن قرطبية البنيان قد زخرفت فيها للملكها دنياه تنتظم بلبتها قصوره انتظام العقود في نخور الكواعب وتنقلب في بساتينها وميادنها بين زهرة وملاعب فكلم فيها لا عمرت من مقاصر ومصانع ومناظر ومطالع وكنائس قد صيغ من الذهب والفضة صلبانها وديارات قد زخرفت بنباتها وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الاسلام يعمرون اكثر مساجدهم ويقىمون الصلاة باذان

مسموع ولم ارباض قد انفردوا بها باسمائهم وبسكنائهم ولم فيها قاض وجامع يجتمعون للصلاة فيه ويحتفلون في وقوده واما المساجد فكثيرة لا تحصى واكثرها محاضرات لمعلمي القرآن واطنب في شبهها بمدينة قرطبة . وذكر مدينة طرابنش واطنب في ذكر الجميع بما لامرغب في اطالته اذ يجز التفجع ويثير التوجع اعادها الله دار ايمان بقدرته اهـ

وذكر من ولي على هذه الجزيرة من الملوك الى ان تغلب عليها الروم واستولى عليها رجار ملك النصارى في زمن المرابطين على عهد الاموي المصلي من ملوك الشيعة بمصر عندما استولت الروم على بيت المقدس والجزائر اوقبل ذلك يدبر وتداول هذه الجزيرة امراء الى ان انقطع عنهم امداد المسلمين لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفتن فكان استخلاص العدولها في سنة خمس وثمانين واربعائة وذكر المؤلف من خرج من هذه الجزيرة من المحدثين والعلماء والفقهاء والشعراء والكتاب مثل ابن حمديس الصقلي قدم على المتمدن بن عباد عند الجلاء لحدثها فكان اثيراً لديه وهو القائل مما الم فيه بذكر صقلية

قضت للصبا النفس اوطارها	وابلغها الشيب انذارها
نعم واجالت قداح الهوى	عليها فقسمن اعشارها
وما غرس الدهر في تربة	غراساً ولم يحين اثمارها
فانبت في الحرب آلائها	واعدت للسلم اوزارها
كميتاً لها مرج بالفتى	اذا حث بالهوى ادوارها
تناولها الكوب من دنيا	فتحسبه كان مضمارها
وساقية زررت كفها	على عنق الغلي ازارها
تدير بياقوتة درة	فتغمس في مائها نارها
وفتيان صدق كزهر النجوم	كرام النجاء احرارها
يدبرون راحات فيض الكؤوس	على ظلم الليل انوارها
كان لها من نسيج الحباب	شباكاً تعقل طيارها
وراهبة اغلقت دبرها	فكنا مع الليل زوارها
حدانا اليها شذا قهوة	تذيع لانفك اسرارها
فما فاز بالسك الا فتى	نيم دارين او دارها
كان نولنجه عندها	دنان مضمضة قارها

طرحت عيذاها درهي	فسيل في الكاس ديارها
خطبنا بنات لها اربعا	ليفترع اللهو ابقارها
من اللاء اعصار زهر النجوم	تكاد تطاول انمارها
تريك عرائسها ابديا	طوالا نصالخ اخصارها
تفرس في شمسها طيبها	مجيد الفراسة واخثارها
فتي دارس الخمر حتى درى	عصير الخمر واعصارها
بعد لما شئت من قهوة	سنيها وبعرف خمارها
وعدنا الى هالة اطلعت	على قصب البان اقمارها
يرى ملك اللهوف فيها الهموم	ثور فيقتل ثوارها
وقد سكنت حركات الاسي	قيان تحرك اوتارها
فهذي تعانق عوداً لها	وتلك تقبل مزارها
وراقصة لقطت رجلها	حساب يد نقرت طارها
وقضب من الشمع مصفرة	تريك من النار نوارها
كأن لها عمداً صففت	وقد وزن العدل اقطارها
تقل الدياجي على هامها	فتهنك بالنور استارها
كأننا نسلط آجالها	عليها فتصحق اعمارها
ذكرت صقلية والاسي	يهيج للنفس تذكارها
فان كنت اخرجت من جنة	فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا	حسبت دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين من صبوة	بكيت ابن ستهن اوزارها
فلا تعظمين عليك الذنوب	اذا كان ربك غفارها

وقد اجاد الناشر في التعليق على الرسالة بعض ما فات المؤلف من رجال صقلية
او هاجروا منها الى افريقية وذكر اناساً منهم فشكره على تحفته

درس التاريخ الاسلامي

تأليف الشيخ محي الدين الخياط . القسم الثاني طبع على نفقة المكتبة الاهلية في
المطبعة العصرية ببيروت ص ٨٧

اجاد مؤلف هذا التاريخ بتسهيل مطالبه وتنسيق عباراته بحيث يتناوله التليد على

ايسروجه بعبارة لطيفة وهذا الجزء يشتمل على تاريخ دولة الخلفاء الراشدين وماحدث من الاحداث الاولى في الاسلام . وكنا نود لو صحت عنيزة المؤلف على شكل مواضع الاشكال من عباراته حتى نقوى ملكة الفصحى والثلاوة العربية في التليذ وان يعلق شرحاً خفيفاً في الهامش على بعض الاعلام ولا سيما الجغرافية فيكون التليذ على بصيرة من مواقع البلاد التي تعرض له ويجمع له منها مجموعة معجم صغير للبلدان التي فتحت للصدر الاول . وذلك مثل الجابية والبلقاء وبصرى والعربية واليرموك وقيسارية وعمواس وسبطينة والرها وبرقة والقادسية وجلولاء والاهواز وقرقيسيا والجزيرة وكذلك بعض اعلام فارسية مثل مكران وطرارستان وماسبذان وايورد وطوس فان التليذ لا يقنعه ان نقول له مكران من بلاد فارس خصوصاً وان كثيراً من اسماء هذه البلاد قد تغير الآن عن اصله اودثرت برمتها . ثم انا لاحظنا ايجازاً في العبارات كاد يكون محلاً في بعض المحال مثل اقتضاب الجملة التي قالها هرقل لمسار من الشام الى القسطنطينية بائساً والثفت الى الشام وقال : « السلام عليك يا سوريا سلاماً لاجتماع بعده » وقد كتب التاريخ انه قال هكذا : « السلام عليك يا سورية سلام لاجتماع بعده ولا يعود اليك رومي ابدأ الا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم وباليته لا يولد فما احلى فعله وامر فنته على الروم »

المهاجر السوري

تأليف جميل افندي بطرس حلوة طبع في مطبعة جريدة الهدى اليومية في

نيويورك ص ١٥٤

من انفع الكتب الاجتماعية والاقتصادية التي نشرت بالعربية هذه الآونة هذا الكتاب الذي وضعه مؤلفه من مهاجرة السوريين في اميركا الشمالية لفائدة المهاجر السوري الى ارض خريستوف كولبس فقد بحث بحثاً مستوف فيما ينبغي للمهاجر عمله حتى ينجح بدأه بلحة من تاريخ مهاجرة السوريين ونشوتها ومؤسستها وعدد السوريين في الولايات المتحدة واعمالهم وقد قال في ذلك ان الاحوال قد تحوت والشؤون تبدلت واميركا اليوم غير ما كانت عليه منذ خمس عشرة سنة وذلك ليكون المتخلفون في الوطن على بصيرة وانتباه ولا سيما ان السياسة قد بشرت بالترقي والتحسين والحرية بالقوى والتمكن وسورية غنية بمناجمها واكمها وريادها ومائها وهوائها ولا ينقصها الا بذل الاموال عليها وتوجيه العزائم اليها حتى يفيض منها اللبن والعسل .

وذكر ان الهجرة لا ترجع الى ابعدهن خمسين عاماً كان الباحث عليها اختلال المجاري

الاقتصادية في السلطنة العثمانية . وقد أنكرنا عليه قوله ان الصواعق في عهد الحكومة الحميدية كانت تنفع على رؤوس نصارى الشرق دون سواهم وعلى فلوسهم يعيش الجاسوس والنافق لما ثبت لدى العارفين ان المسيحيين ان لم يكونوا سواءً واخوانهم المسلمين في المعاملة فقد كانت حقوقهم مرعية اكثر وقولنا هذا في مسيحي سورية لاني غيرها خصوصاً وان اكثر المهاجرين من لبنان ولبنان باستقلال ادارته كان اكثر دعة من غيره من الولايات

وقال انه هاجر الى الولايات المتحدة فقط من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٨ خمسة آلاف نسمة وكما نجح افراد زادت الهجرة وفي الولايات المتحدة من السوريين الآن عدد يبلغ الثلاثمائة الف اذا حسبنا نكاثرتهم على سبيل التوالد وقد تكلم المؤلف بحرية فقال ان البعض من المتجولين على تقدير انهم في بلاد غربة وعلى زعم ان لارقابة عليهم ولا معاينة خلعوا عنهم تبعة الاستقامة والصدق والامانة جارين بذلك على انفسهم نقمة الوطنيين ولعنة المواطنين واجاد في كلامه على المرأة السورية المهاجرة و اشار الى ما تعرض له من الهوان و ثلم الشرف بالتجارها و اشار بان تعنى من هذه المذلة فالمال لا يكون ثريفاً تحصيله من هذه السبل وعقد فصولاً كثيرة في المهاجرة والدولة والمهاجرة ومقتضياتها واستئصال النخاسة وحماية العمال والخطر الاصفر وتفریق المهاجرين في الولايات عوضاً عن تجمعهم وضريبة الدخول على النفوس والفحص ومراقبة الحكومة وما ينبغي للمهاجر ان يكون له من المال وبكون عليه من الصحة والهدام . وتكلم على عمران الولايات المتحدة واجاد فقال بكفي ان يقال عن مساحة الولايات المتحدة ان ولاية تكسس فقط منها تسع انكلا ترا وجرمانيا وفرنسا وايطاليا مجموعات ! واورد دستور الولايات المتحدة وحقوق الرعية فيها ورئاسة جمهوريتها وتذاكر التجنس بالجنسية الاميركية وغير ذلك من القوانين النافعة لتصور حالة تلك البلاد وهو ما ينفع المهاجرين وغيرهم فنشكر للمؤلف تحفته التي نفع بها ابناء وطنه

كتب متفرقة

نقد النصائح الكافية — تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وفيه تعديل معاوية وقبول مرويه ومروي الصحابة الذي كانوا معه وبيان الاعتدال والانصاف كما هو مذهب الائمة وفلاسفة الاسلام وهو في ٤٤ صفحة طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق ومن احسن

ماراقنا فيه الفصل المعنون ببيان ان كتب الحديث مشتركة بين الامة يرويها الشيعي عن السني وبالعكس وان عادة السلف الرواية عن المخالفين في المذهب وان كتب الحديث هي ايمانية محمدية لاشاعية ولا غيرها والكتاب جيد كسائر ما خطه براعة الاستاذ الاخلاق — هو كتاب عربي عن الانكليزية محمد افندي الصادق حسين صدر الجزآن الاولان منه ومؤلفه صموئيل سميلز من مشاهير الانكليز ويطلب من مكاتب القاهرة الصحة من السعادة — تأليف الطيب مصطفى السعادة صدر الجزء الاول منه في ١٦٦ صفحة وفيه كثير من القوانين الصحية والتدابير الالهية يطلب من مؤلفه في بيروت

ديوان الانشاء — هو مختصر في المراسلات العصرية تأليف محمد عمر افندي نجبا في بيروت في ٢٢٤ صفحة وفيه كثير من الفوائد والرسائل التجارية يطلب من مؤلفه ومن مكاتب بيروت

الاسلام حافظ الذم في ما بين الام — تأليف عبد الوهاب افندي سليم التنير من افاضل بيروت وفيه رد على بعض قسس البرتستان الذين تناولوا الاسلام بما حط من شأنه آخذاً من كتب الافرنج ومنشوراتهم وتوار يخهم غير مغفل ماورد في الاسلام نفسه وهو في ٤١ صفحة

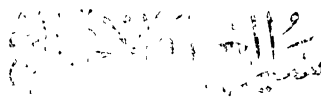
الدرر — اعادت المطبعة الادبية في بيروت طبع «الدرر» لاديب بك اسحق من كتاب الطبقة الاولى من الصحافيين في القرن الماضي وفيه مقالاته وقصصه وخطبه وآثاره ومراثيه وكل ما يتعلق بذلك وهو من جمع شقيقه عوني افندي اسحق وقد وقع في ٦١٦ صفحة

مجلتان جديدتان

مجلة الاقتصاد — هي زراعية صناعية تجارية مصورة لمنشئها انيبال افندي ابيلا تصدر في بيروت مرتين في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشتراكها في العام خمسة بشالك ماعدا اجرة البريد وفيها عدة مقالات نافعة منها مقالة في بلجيكا واقتصادياتها جاء فيها ان مساحة انكلترا ٣١٥ الف كيلومتر مربع وسكانها ٤٠ مليوناً ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٢٦ والديون العمومية ١٧ ملياراً والتجارة ١٢ ملياراً وطول سككها الحديدية ٣٥ الف كيلومتر ومساحة البلجيك ٢٩،٤٥٠ وسكانها ٧ ملايين ومعدل سكانها ٢٢٤ وديونها ٢٤،٦ مليار وتجارتها ٣٠ مليار وطول سككها ٤٥٠٠ ومساحة النمسا والمجر ٦٢٥

الف كيلومتر وسكانها ٤٤ مليوناً ومعدل الساكن في كل كيلومتر ٦٩ وديونها ١٦ ملياراً وتجاريتها ٤٠ مليون وسككها ٢٥ الف كيلومتر ومساحة المانيا ٥٤٠ الف كيلومتر مربع وسكانها ٥٣ مليوناً ومعدل الساكن في كل كيلومتر ٩٧ وديونها ١٦ ملياراً وتجاريتها ١٠٠ وسككها الحديدية ٤٩ الف كيلومتر ومساحة روسيا ٥٥٤٣٠٠٠٠ وسكانها ١٠٦ ملايين ومعدل السكان ١٩ وديونها ١٦ ملياراً وتجاريتها ٤ مليارات وطول سككها ٤٠ الف كيلومتر ومساحة ايطاليا ٢٩٠ الف كيلومتر وسكانها ٣٢ مليوناً ومعدل سكانها في كل كيلومتر ١٠٩ وتجاريتها ٣ مليارات وسككها ١٦ الف كيلومتر ومساحة فرنسا ٥٣٦ الف كيلومتر وسكانها ٣٨ ومعدل السكان ٧٢ ساكناً في كل كيلومتر وديونها ٣٥ ملياراً وتجاريتها ٧٠ وسككها الحديدية ٤٢ الف كيلومتر اما البلاد العثمانية فمساحتها ٤ ملايين كيلومتر مربع وسكانها ٣٨ مليوناً ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٠ اشخاص وديونها ٥ مليارات وتجاريتها ١٠ مليار وسككها الحديدية ٥٠٠٠ كيلومتر بما فيه طريق الحجاز

العالم الجديد — مجلة شهرية تصدر بالبرية في نيويورك وتبحث في شؤون اجتماعية واقتصادية ولغوية وفكاهية وتاريخية اطاعنا على العددين السابع والثامن منها فقرأناهما حافلين بالموضوعات والمباحث النافعة المنشأها سلوم افندي مكرزل وقمة اشترأها دولاران ونصف وهي في عشرين صفحة كبيرة



مدارس الصحافة

حاول الغربيون ان يعاوموا فن الصحافة في المدارس فانشئت في باريز سنة ١٨٩٩ مدرسة للصحافة فلم تلبث ان اصبحت منتدى تقرأ فيه محاضرات ومسامرات وخطب في موضوعات لها علاقة بالصحافة . وفي ليل تام اوجين تافرنيه سنة ١٨٩٦ فالتقى عدة محاضرات في وظائف الصحافي وفي لندن انشأ ويليام روث مدرسة للصحافة يدرس فيها علاوة على كيفية كتابة المقالات اصول طبع الجريدة وفي اميركا ولا سيما في الولايات المتحدة انشؤا عدة صفوف في المدارس الكلية لتعليم الصحافة ولا سيما في فيلادلفيا

وشيكافو وضافوا في ولاية كنساس الى دروس التحرير والانشاء درساً في كيفية جلب الاخبار وامتازت سويسرا والمانيا في هذا الشأن فاشتركت برن وزوريخ وجنيف وهابلدبرغ وبرلين في تعليم فن الصحافة . قالت احدى المجلات الافرنجية بعد ايراد ما تقدم : وباليث شعري هل اثرت هذه الاعمال ما كان يتوقع منها وهل دخل الاصلاح في الصحافة من هذا التعليم ؟ فالجواب بالايجاب صعب . فينبغي للصحافي مع ما يجب لصنائه من المعارف الفنية كفاءة متنوعة ومزايا طبيعية وصفات في الثبات والارادة ويصعب تعليمه هذه المهنة بدونها مهما اجلسناه على دكات المدارس على انه لا ينكر ان التعليم العالي يجب ان يعنى بعد الآن بالمسائل المهمة التي تخوض الصحافة عباها وان مدارس الصحافة التي هي متممة للدروس العالية تخدم خدمة نافعة في هذا الشأن

الساحات للصحة

قال الفيلسوف جان جاك روسو : ان نفس الانسان مضر بالناس . ولكن هذه القاعدة لم تطبق في المدن ولذلك كثرت فيها الامراض فقد تبين بالاستقراء ان المدن التي تكون ساحاتها العامة اكثر والهواء والشمس يتخللها تنقل فيها الوفيات بالسل وان في لندن يقل عدد الموتي بالسل الى ثلث عدد من يهلكون به في باريز لان ساحات لندن اكبر من ساحات باريز بثلاث مرات تصرف عليها الملايين لاعتقادها النفع منها للناس . قلنا فاين ساحاتنا في المدن الكبرى وحدائق النزهة .

مكتاب الشعب

قدم قيم مكتبة مدينة بلفنا الروسية الى مؤتمر الكتب والمستندات في بروكسل تقريراً في تزيين كتب الشعب في بلغاريا فقال انه يعرضها جمعيات مؤلفة اعضاؤها من ارباب الحرف المختلفة فلكل مكتبة محل فيه بخزانة الكتب وغرفة المطالعة التي تعرض فيها المجلات والجرائد السياسية والمصورة . وقال ان مدينة بلفنا كانت فيها سنة ١٨٨٨ - ٨٠ مجلداً فاصبح فيها الآن ١١ ألفاً وانه عول ان يجري على طريقة مجمع الكتب الدولي الذي عقد في بروكسل وهو ان تصف الكتب بحسب موادها وتجعل لها فهرس بذلك

يابان الاقتصادية

نشرت يابان احصاء بالحالة الاقتصادية في بلادها خلال سنة ١٩١٠ فبلغت مساحتها السطحية ٤٤٨٢٤٣ كيلومتراً مربعاً يدخل في ذلك جزائر فرموز وبسكادور وصقالين

وكان سكانها سنة ١٩٠٩ — ٥٣،٢٧٤،٩٨٠ منهم ٥١،٦٩،٥٨١ في البلاد الاصلية وقد زاد السكان منذ سنة ١٨٩١ عشرة ملايين فيكون بذلك ١٣٣ ساكنًا في كل كيلومتر مربع . وقد نظمت يابان ماليتها بعد الحرب الروسية اليابانية وسنت قواعد في الميزانية مملوءة بالحكمة وحددت الخرج والدخل السنوي بحيث تقامى عقد قروض جديدة وان تسارع الى وفاء ما عليها من الديون فلا تميل الى ان تطلب اموالاً جديدة بل قلت ما يمكن ما كانت وضعته من الاعتمادات لبعض المشاريع وارجأت دفع النفقات اللازمة لبعض الاعمال العامة وضربت لها مدداً متطاولة لتخفف السنة بعد السنة

وعزمت هذه الحكومة ان تدفع كل سنة خمسين مليون يان او ١٢٩،١٥٠،٠٠٠ فرنك كل سنة لوفاء الديون العمومية وازمعت ان تزيد هذا القدر حتى تستهلك جميع الديون التي عليها ومع كل هذا فهي تزيد في ميزانيتها العادية وميزانيتها فوق العادة فكانت هذه السنة ٤٠٢،٨٦٠،٠٠٠ يان للاولى و١١٤٦١٩٩٧٨ ياناً للثانية واهم النفقات التي زادوا فيها مخصصات الامبراطور وزيادة رواتب الموظفين والضباط والتوسعة على الجند واكثر النفقات فوق العادة بذلت في استهلاك دين الامبراطورية . وبداعي النظام الجديد في الجباية نزلت الضرائب على العقارات والسكر احد عشر مليون ونصف مليون يان وزادت من جهة اخرى واردات الحكومة العادية بتحسين بعض الضرائب الاخرى وحاصلات الطوابع والبريد واحتكار الملح والكافور والتبغ . وقلت النفقات الغير العادية مليونين ونصف مليون يان . هذا وقد كانت الميزانية منذ خمس سنين ٢٧٧ مليون يان فارتقت على حين فجأة ابان الحرب الروسية اليابانية الى ٤٢٠ مليوناً

وبلغت تجارة يابان الخارجية سنة ١٩٠٩ — ٨٠٧،٣١١،٣٥٤ ياناً منها ٤١٣١١٣،٠٠٠ من الصادرات و٣٩٤،١٩٩،٠٠٠ في الواردات واكثر صلات يابان التجارية مع الصين والولايات المتحدة ثم تحيئ فرنسا فالمانيا فانكثرا . وطول خطوطها الحديدية ٥٠٢٠ ميلاً منها ٤٥٤٢ ملك الحكومة و٤٧٧ تستثمرها شركات كلفت ٥٣٥ مليون يان ومع ان معدل دخل سكك الحديد الحكومية اكثر من دخل سكك الشركات فالحكومة تريد ان تجعل محاسبة خطوطها على صورة تجارية

فوائد التلفون

نشر احد الالمانيين كتاباً في الفوائد التي نجمت في التجارة من التلفون جاء فيه

ان ما افقته المانيا الى آخر سنة ١٩٠٤ ١٥٢٠٠ مليون مارك لانشاء السكك الحديدية و ٢٦٤ مليون مارك لانشاء الاسلاك التلفونية . وكانت الولايات المتحدة انفتحت الى سنة ١٩٠٢ — ١٨٢٣ مليون مارك وان النظام الاقتصادي الحديث قائم اليوم على اساس نقل الاخبار بسرعة في الاسلاك التلفونية مبادلة للمفاوضات الشفاهية في بقعة واسعة من الارض ولا تزال المسافات بين الاسلاك تبعد كلما كمل الفن وتم العلم والتلفون افضل من التلغراف ولكنه لا يقوم مقامه واستعمال التلفون يستلزم اقتصاداً عظيماً في الوقت وبه سهل تكاثر الصلات التجارية وكان يتمذر بدونها دوامها وساعد على اعتدال الاسعار وتحكم التجار فيها والتلفون اداة نافعة في تقسيم العمل وتوزيعه فالواجب تنزيل اسعاره حتى يشترك في منفعه الفقير والغني على السواء

التجّاح الالمانى

كان من نتيجة آخر احصاء قامت به المانيا منذ ثلاث سنين ان كان عدد سكان المانيا ٦٢٠٠٣٦١٠٠٠ اخذت افادات كافية عن ٦١٠٧٢١٠٠٠ ساكن وقد صرفت المانيا على هذا الاحصاء الاخير وحده زهاء ستة ملايين مارك فكان عدد الاشخاص العاملين في الصناعات الرئيسة ومنهم الخدمة ومن لاموطن لهم والاشخاص المستقلون بلا عمل ٣٠٠٠ مليون وفي المانيا ٢٦٣ مليون ارباب الاملاك وموظفين فاذا حذف عدد الاشخاص المستقلين وهم بلا صناعة تجدد عدد العاملين ٢٦٨ مليون اي زهاء ٤٣ في المئة من مجموع السكان وكان سنة ١٨٨٢ ١٧ في المئة فقط . ونقسم هذه الصناعات والحرف الى ثلاثة اقسام رئيسة وهي الزراعة ويدخل فيها البستنة وتربية المواشي والغابات والصيد والصناعات الصغرى والكبرى والتجارة والنقل وقد زاد عدد العاملين في كل فرع من فروعها وقل عدد المشغلين بالزراعة على نسبة معتدلة فكان عدد العاملين في الزراعة سنة ١٩٠٧ ٣٢ مليوناً الى حين بلغ عدد هذا العدد ٤٣ مليوناً سنة ١٨٨٢ وبلغ عدد من يتعاطون الزراعة مباشرة في سنة ١٩٠٧ — ١٧ مليوناً وعدد المشغلين بالصناعات ١١ مليوناً وزاد عدد السكان سنة ١٨٩٥ الى ١٩٠٧ نحو عشرة ملايين النهمت الصناعة منهم ثلاثة اخماسهم وربعمهم انصرف الى التجارة والنقل وهكذا كان بحسب الاحصاء الاخير ٢٥٠١٠٠٠ شخص من مديري الزراعات و ٧٠٢٨٣٦٠٠٠ من العملة و ٩٩٦٠٠٠ من المستخدمين و ١٠٩٧٧٦٠٠٠ مدير في الصناعة و ٦٨٦٠٠٠٠ مستخدم و ٨٥٩٣٦٠٠٠ عامل و ١٠١٢٠٠٠ مدير في التجارة و ٥٠٠٠٠٠٠ مستخدم

و ١٠ عامل ١٠٩٦٠٠٠٠٠ و زاد عدد الاختصاص العالمين بأكثر سرعة من عدد المعامل وكثر انضمام المعامل بعضها الى بعض واحتفظت الزراعة بالقسم اللازم لها من السكان ونبتت الآخر للعمل في التجارة والصناعة

مطالعات

قال ابو العلاء المعري واجاد ماشاء :

مثل الفتى عند التغرب والنوى مثل الشرارة ان تفارق نارها
ان صادفت ارضاً ارتك خمودها او وافقت اكلاً ارتك منارها
وقال الآخر وقد ابدع :

وكم قائل مالي رأيك راجلاً فقلت له من اجل انك فارس
وقال البحتري ولم يبق مجالا لقائل :

الجاهلان اثنان من دون الوري فافطن أخى وان هما لم يفطنا
من قال ما بالناس عني من غنى من جهله اوقال بي عنهم غنى

فضائل الهند ثلاثة وضع كتاب كريمة ودمنة المشهور والشرنج والارقام التسعة الهندية قال يونس النخوي : الايدي ثلاث يده بيضاء ويد خضراء ويد سوداء فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف واليد السوداء هي المن بالمعروف

كتب رجل من العلماء الى يزيد بن حاتم يستوصله فبعث اليه ثلاثين الف درهم وكتب اليه (اما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين الفاً لأكثرها امتناناً ولا أقلها تجبراً ولا استئيبك عليها ثناء ولا اقطع لك بها رجاء والسلام)

عيسى اسكندر المعلوف

احصاء الحيوانات

قدم الاستاذ سيبلي الى مجمع ترقية العلوم البريطانية احصاء في انواع الحيوانات قال فيه لقد كثرت منذ نحو نصف قرن الحيوانات ذوات الثديين كثيرة زائدة فبعد ان كانت ١٢٠٠ نوع اصبحت ٢٣٠٠ وبعد ان كانت اجناس الطيور ٣٦٠٠ ارتفعت الى ١١٠٠٠ وكان عدد الدبابات ٣٤٣ فصارت ٣٤٠٠ وعدد الاسماك ٣٥٠٠ فاصبحت ١١٠٠٠ والحيوانات التي لا فقار لها كذات الصدف ١١٠٠٠ فبعد منها ٣٣٠٠٠ والحيوانات ذوات القشر من ١٢٩٠ الى ٧٥٠٠ والعناكب من ١٠٤٨ الى ٣٠٧٠ والهوام من ٤٩١٠

الى ٢٢٠،١٥٠ واجراء البحر ونجومها من ٢٣٠ الى ١٨٠٤٣ والدبدان من ٣٧٢ الى ٦٠٧٠ وكان مجموع الانواع المعروفة سنة ١٨٤٠—٧٣٤٥٨٨ فاصبحت سنة ١٨٨١ ٣١١٦٥٣ ومازالت في ازدياد سنة عن سنة

انكلترا والاقتصاديات

نشرت الحكومة الانكليزية احصاءً مهمًا في الوفيات والولادات قالت فيه ان عدد الوفيات سنة ١٩٠٨ كان ١٥ في الالف في انكلترا و ١٦ في الالف في البلجيك و ١٨ في بروسيا و ٢٠ في فرنسا وان من يموتون من الاطفال في روسيا فاحش جداً فقد بلغ ٢٦٨ في الالف وقد تبين من هذا الاحصاء نجاح انكلترا كثيراً في الامور الاجتماعية منذ خمسين سنة وقلة المواليد فيها فقد كان معدل الولادات فيها سنة ١٨٥٠ — ٣٣ في الالف فنزل سنة ١٩٠٥ — الى ٢٧ في الالف وان الفقراء يكثرون عن ذي قبل وكذلك يكثر ايداع الناس اموالهم في صناديق التوفير وتتسع دور العملة بفضل المجالس البلدية وتقل الامراض المعدية وتزبد مسافة الانفراج بين غلاء المعيشة والمياومات وان مايشغل بال انكلترا هو في الحقيقة مسألة العطلة الاسبوعية .

حماية الاطفال

في اميركا انشئت اول جمعية لحماية الاولاد سنة ١٨٧٦ وفيها اليوم ٣٥٠ جمعية تتوخى هذا الغرض واهم هذه الجمعيات هي في مدينة نيويورك في بناية عظيمة ذات ثمانى طبقات خدمت الانسانية خدمة تذكر فبمساعيها ابطل اكراه الاولاد على الشحاذة او بيع الزهر في الليل ومنع الموسيقيون السياريون والباعة وغيرهم ان يستخدموا صغار الاطفال فاذا وصل اليها طفل تفحصه فخصاً طبيباً فان رأى فيه شويهاً في بعض اجزاء جسمه تختار له عملاً يوافق مزاجه وبذلك انقذت منذ تاريخ تأسيسها ١٦٠٩٧٧ طفلاً

الهواء الطلق

وضع احد علماء كوينهاغن عاصمة الدانيمرك طريقة جديدة في الاستشفاء فارتأى ان يسير المرء مكشوف الرأس حافي القدمين ويتجرد ابدًا من الثياب فلا يكثر منها اذا امكن وبنام بدون قميص وبفضل السير راجلاً على ركوب المركبات والتراموايات والدرجات وقد اخترع نوع من القبعات ليلبس في الارجل بدل الاحذية المتعارفة حتى يتخلل الهواء الرجل على نحو الطريقة التي اخترعها الخوري كنيب في الاستحمام

للاستشفاء بالماء البارد . اما الجوارب فقد حظرت لبسها في الارجل قال ولا بأس بوضع قماش مسرد على الساقين وقال ان النزلة الصدرية كادت تسطو عليه منذ بضع سنين فرأى ان يداوئها في الحال بالمشي السريع فتصبب جسمه عرقاً ونجمن الاصابة بها . وقد احدثت هذه الطريقة الجديدة في الصحة اخذاً ورداً بين الباحثين والعالمين في الغرب فكأن واضعها يريد ان يعود بالانسان الى العيش الطبيعي

الخط المائل والمستقيم

اتفق جمهور من الاطباء في جلسة لهم في باريز على ان الخط المستقيم لا يتأتى معه للولد ان يجلس جلسة طبيعية بسبب الثقل الدائم في يده اليمنى فان حركة ذراعه تحدث تعباً في الاعصاب فيكون هذا الخط متعباً جداً وبطيئاً جداً وتزداد اخطار الاولاد المستعدين لتشويه الجسم والكرزاز (الشنج) الذي يعيب الكتاب اما الخط المائل فانه يكسب على صورة اسهل من المستقيم ولذلك يقل اتعابه للولد وتكون به جلسته اكثر انضباطاً وهذه الطريقة هي التي يفضل تعليمها في المدارس وان الخط المستقيم لا يحول دون حسر البصر كالخط المائل او المنحني

نصائح للمعلمين والمتعلمين

كتب احد المشغولين بتربية العقول يقول ان التربية المدرسية يجب ان لا تختلف عن التربية البيتية فيفرض على التلامذة ان يعنوا باسباب الحشمة والحرية والارادة والنظر والتعقل وهكذا يتعلمون مايجب بانفسهم ولانفسهم قال واياك ايها التلميذ ان تحاول الرجم بالغيب فالتكهن هو صورة من صور الكذب . والتفت الكاتب الى الاساتذة فنصح لهم ان يحترموا شخصية تلامذتهم كل الاحترام وان يدركوا معنى التبعة التي تنوء عليهم ويقولوا في انفسهم ان المدرسة اذا لم تسر سيراً حسناً فذلك ناشئ من المعلمين لا المتعلمين فعلى الاستاذ ان يحذر الغفلة والتوسع في الرحمة كال توسع في الشدة وان تكون مطالبهم من المتعلمين بحسب سنهم فيجب ان لا يخافهم التلميذ ولكن لا يبغضهم وان تكون تربيتهم استقلالية لا انكالية اي لا كماله للموظف مع سيده . وهنا وجه كلامه الى المديرين فقال عليكم ان لاتنسوا ان الواجب ان يعامل الناس باكثر مما يستحقون .



المقنن

الجن

عند غير العرب من امم الشرق والغرب

طالعنا في مجلة « المقنن » الغراء ما حاك بروده وطرزت بنوده براعة صديقنا الاير الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي بقيمة اعلام دمشق عن اعتقاد العرب في الجن وما ورد في اسفار الدين واشعار النابغين واقاصيص السلف من الاحكام والنوادر والآثار الحاكية عنهم الآتية على وصفهم واحوالهم فراقنا منها حسن التبويب ودقة النقل وبراعة اللهجة ووضوح المنهاج وسعة الاستيعاب الى غير ذلك مما لا يستكثر في جانب ما هو مشهود من فضل الشيخ اعز الله وحدانا الاعجاب بما هنالك الى تحبير مقالة موجزة تكون لها كالكلمة تأتي على ما عند غير العرب من امم الشرق والغرب من امثال هذا الاعتقاد . وهو موضوع بكر لم يتصور جداره فيما نظن مفترع قبل ولم يحم حوله فلم شرقي على ما اتصلت اليه مطالعاتنا حتى اليوم

ولقد بذلنا جهد المستطيع تنقيباً عن مواده المستترة في ثنايا الصحف والمبصرة في زوايا المطولات وتخيراً للاصح من المصادر والاصدق من الروايات فجاءت مقالاتنا — على ما نعهده بذاتنا من الضعف — طرفه يرغب فيها وامنية يسعى اليها وما احرها ان تكون مع رسالة الشيخ سفرأ مستقلاً يرجع اليه عشاق الدراسة والاستبصار من ناشئة الوطن وادبائه فان اتبتم على هذه البغية كنتم من المحسنين

تمهيد

كثير عداد من يزعمون ان العرب هم المتفردون دون سائر الناس في الاعتقاد بالجن اعتقاداً دينياً سنداً الى ماورد في كتابهم الموحى من صريح النصوص القائلة بوجودهم — كما

في سورة الرحمن والاحقاف والجن — وتوارثاً لما جاء في افاصيص الجاهلية مما دونه الثقات واثبته المؤرخون واتي على بيانه الشيخ بحيث لم يبق مجالاً لتفصيل وتعليل . وفي ذلك الزعم من الخطأ والوهم ما لا يحتاج الى دليل فانك لو رجعت الى كتب الامم القديمة من كل بيثة وجنس ومذهب لرأيت في تضاعيفها ما يؤيد كون الاعتقاد بالجن كان منشراً بين البشر مستفيضاً في كل قبيلة وفصيلة وشعب من اهل بهم المعمور من الارض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً بادية وحضرراً لا يستثنى منه قوم ولا تبرأ منه أمة ولكن علي تبين في الآراء واختلاف ببعض الفروع

فالظاهر ان الاعتراف بوجود ارواح يتوقع شرها كالاقرار بوجود آلهة يرجي خبرها انما هو من مقتضيات هذا الكيان الانساني لا حميد عنه لكل ذي لسان ناطق يرشده العقل الى انه من اهل الخلود وانه ضيف مجتاز في حكم هذا الوجود والا فبال الام على تباعد انحاءها واختلاف آرائها وتغاير مذاهبها وتناقض مشاربها تجمع على هذا الامر اجماعاً باتاً كأن افرادها متواطون عليه — منذ كانوا في عالم الغيب — فكلهم يقول باله يثيب وشيطان يكيد وجن تحيف ونفس بين ذلك تتنازعها عوامل اليأس والرجاء ويدولها انبها بنت البقاء دون سائر ذوات الارواح التي تقبل الغبراء وتظلمها السماء وينعشها الهواء وان كانت محاطة مثلهن باسباب الزوال محكوماً على هيولها المركب بالانحلال وشخصها المنحركة بالجمود ثم الفناء

على هذا نذات الناس وعلى هذا اجتاز عالمهم برزخي الحياة والموت الوقام مؤلفه من السنين قال بعضهم انها عشرات الوف وقال آخرون انها ملايين حتى جاءنا الطبيعيون من متفلسفي هذا العصر — عصر الاكتشاف والاختراع — بمجسود على منصات القاهرة والاساطين ويشدون مع ابي نواس شاعر العباسيين

ما جاءنا احد يخبر انه في جنة من مات او في نار
ويقولون مع ابي العلاء

ومهما عشت في دنياك هذي فما تخليك من قمر وشمس

تخطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعادله سبك
وانه لاشيء في هذا الكون غير هذه المادة التي يتماورها التركيب والتحليل ويتداولها الدور والتمثيل — مع بقاء في الكم وتغيير في الكيف — وان القول بما وراء المادة

من قوة تدبير الحركات هي علة الموجودات منها استمد الناس ارواحاً سرمدية انما هو من اوهام الواهمين وتخليط الجاهلين فما نحن وسائر من يتحرك بالارادة الامن ماء وطين ولا يحميننا ويميتنا الا الدهر !!

فاين هذا من ذاك ؟ وما هذا الانقلاب العجيب والانمكاس الغريب ؟ واية مذبذبة من قول جعل العامة من الناس — وهم تدعى اعدائهم بل يزبدون — في اودية من الحيرة يهيمون وفي ظلمات من التردد والشك يخبطون لا يرون لانفسهم مما القوم في مهاويه مخرجاً ولا هم يهتدون .

رويدك اي هذا العصر عصر الحضارة والنور . وعلى رسلك بامعاشر العلماء . ارباب الحصافة والذكاء . وحنائكم يامن اكثروا من التعمق والبحر . واسترسلوا في الاستقراء والاستنتاج . وبحشوا في الجرائم والذرات . وتكلموا عن الحويصلات والنقاعيات . وبرهنوا على كون السديم اصل الكائنات . والانسان سليل نوع من القرود او ما يشاكلها من ذوات الفقرات . ورحمكم يا اصحاب « دارون » واولياء « سبنسر » واشياح « بنجر » وتلامذة « هكل » وان كان فيكم فيلسوف « كفرشيا » وحكيم « وادي الفريكة » ومتهوسو « وادي النيل »^(١) « انا ايم الله لسنا من يقف في سبيلكم فيما تسنحون اسراره من الاحكام والنواميس وتحاولون اجلاءه من الغوامض والمشكلات اخذاً عما تلقينه عليكم الطبيعة أممكم . وأما من الدروس والامثولات طبق ماتبعكم اليه ميولكم واهواؤكم . ولكن لنا كلمة نقولها الآن لكم جهراً بعد اذ كنا ننداؤها بيننا همساً ونهجس بها سراً فان اصغتم اليها سمعاً واستوعبتم لها قلوباً وجريتم بمقتضاها بعد اليوم عددناكم كراماً وقلنا سلاماً والا فما على من استحكمت الابوخذندريا في معدته واستولت السوداء على دماغه من سبيل

ليس من ينكر ان المصلح العاقل من هدى بعلمه لامن اضل . ومن اراح لامن اتعب فياحبذا — يا اصحابنا — الجهالة انها خير من هذه المعرفة الناقصة التي تعجلتم بها الى نقض الاديان وثقويض اركان العقائد وتمتين دعائم التعليل والجهود قبل ان تنضج آراؤكم وتجمعوا على ما اليه ترمون وعليه تنهافتون من بث بذور الكفر في القلوب وتعبدكم للطبيعة التي اصبحتم لكثرة دراستكم لها ومناولتكم علومها اعلق بها من جنود بونايرت بمدافعهم

(١) راجع رسالة « تعليم الامة » المثبتة في الجزء الرابع من مقتطف هذا العام وذيلها

(صفحة ١٠١٢ و ١٠١٣)

اولئك الذين كانوا لكثرة اصطحابهم لها وتهوسهم باستعمالها والاحتفاظ بها يسمونها باحب الاسماء اليهم ويعانقونها ويقبلونها كأنها من الغايات الفاتنات وكذلك انتم الآن فان توفركم علي تلك الدراسة وانصرفكم الى استيحاء دقائق الهيولي مستحكين الصامت من قواها وعناصرها غير منفيكين عن مناعاتها ومباغمتها آناء الليل واطراف النهار قد استهويكم واستدرجاكم الى تأليه هذه المادة الجامدة حتى صرتم تحسبونها كل شيء وليس وراءها شيء اوقبلها شيء بحيث لو امكنكم ان تحذفوا منذ الآن من كل معاجم الارض ماحوته من الالفاظ الدالة على الخلق والابداع والصفدية والقدرة والبعث والخلود لفعلتم

فيا اسفاً على الهمجية اذا كان ما أناكم هذا من نتاج المدنية وباحسرة على الجهالة ان كان ذلك من مستلزمات العلم . افتركون الفأ وستائة مليون من الناس حائرين باثرين لا يدرون بم يعتقدون واية وجهة ينتحون فلا رأيكم تثبتون ولا عن قولكم ترجعون !!؟؟ تالله اننا معكم لفي صفقة مغبون وما انتم الا غادرون والا فما هذا التغير الذي يجعل كلاً من افراد هذا المجتمع القومي يحيا بلا ضمير يسرق متسترأً ويثلب مخفياً ويقتل متوارباً وينتحر قانطاً وما عليه من وجدانه قيم ولا من دينه زاجر ولا في الآخرة علي زعمه من تكبير !!!

لعمرك ان العاجي الذي لا يتوقع في الآخرة عن عمله حساباً ولا يرجو عن حسناته ثواباً ولا يخشى مهما تعددت سيئاته وتعاضمت كبائره عقاباً الا اذا كانت مشهودة من الانام مثبتة لدى الحكام ثم يحسب ذاته في هذه الحيوية الدنيا كالنبات الفطري حتى اذا مات لم يعد شيئاً مذكوراً . لا يلبث ان يكون لعنة على الارض وسخطاً من السماء لا يحفل بالخطور والمباح ولا يبالي بالحلل والحرام بل يقضم الاخضر واليابس ويحتاج العاصر والغامر وهو يقول «علي الدنيا السلام»

فالعالم الحريص علي منفعة بني نوعه الدائب علي خير قومه وبلاده من اشتغل بما يريد من انواع العلوم ما يشاء علي ما يشاء وان يعتقد لنفسه بنفسه ما احب كيفما يجب لكن علي شريطة ان ينشط لثمتين اوتاد العقائد وتأليف شوارد المذاهب مع تنزيها عما لحقها من الزوائد ولصق ببعضها من الخرافات تاركاً للجاهل وازعاً من دينه يجنبه الموبقات ورادعاً من ضميره ينبكه المنكرات وما ضر العاقل ان يكون ذا دين مثله مادام الدين لا يكلفه الشطط ولا يعنته بكثرة التكاليف وقد اباحه من طريق الحلل كل ما منعه

عن طريق الحرام فلا يقفل في وجوه ملاذذ وامانيه الابواب ولا يطالبه باكثر مما يتقاضاه العقل ويرضى به الصواب

ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالوبال عليكما
او على الاقل يترك الاديان وشأنها والعقائد وحالها يتحارسها زعماءؤها ويصونها ائمتها
وعلماءؤها — فلا يتعرض لها ولهم في اقواله ومنشوراته بما يعث باليقين ويولد الشكوك
ويبعث على الحيرة او المروق من نزغات ومعارض وثرهات وادلة وبراهين واقاصيص
لاقوام لها حتى اليوم الا النزق والسفسطة ولا ركن الا الخيال والهوس يراد بها التفرد
بالشهرة فيما يخالف ما اجمع عليه الناس وان كان حقاً وتواطأت على وجوبه العقول وان
كان صحيحاً غير مفكر بما ينجم عن اذليله وسفاسفه من تشويش النظام وضياح الاحكام
وانتشار الفوضى والعود بالعالم الانساني الى الزمن الذي كان فيه آباؤنا يضارعون برابرة
الاقويانوس الهندي واواسط افريقية حالاً وقالاً وخلفاً واوضاعاً • متصيداً باحاييله
الابليسية وبهتان المزخرف مافي حقائب بعض من أوتوا مالا ولم يرزقوا عقلاً من دينار
مكنوز ثم ينفقه على تمثيل اسفار ورسائل يطبع منها الآلاف من النسخ ثم توزع على الناس
— ولاسيا الناشئة الادبية منهم — مجاناً قصد اشراب قلوبهم تلك المبادي الفاسدة
وابداع نفوسهم تلك الحماقات السخيفة التماساً للشهرة على ما ألعنا من طرق التعميم
في الاذاعة والتوسع في الابلاغ كما فعل بعض هؤلاء المفتونين — بحج الطبيعة —
هذه الايام ففعلت نفثاته السامة في ادمغة البعض مالا يتوقع العاقل بعده الا قيام دولة
الشهوات وانتلال عروش الآداب وثقويض اركان الديانات وانتشار الاباحية والعدمية
الى غير ذلك من بواعث الهلكة والانقراض والبورار لولا ان يأبى الله الا ان يعيد كيده
الى نحره بان قيض له من اهل التبصرة والاعتبار والعلم الصحيح من يكشف عن بصائر
اهل الغرور بما يبرهم عياناً زيف درهمه وزغل ديناره فان الحق ابلج وضاح • والباطل
لجلج فضاح وان كره الماكرون

بقول المعتنون من هؤلاء الملاحدة المتخذلقين — سنداً على ما سجله التاريخ من انباء
حروب وفتن واضطهادات^(١) كانت منشأها الظاهري التباين في المذاهب
والاختلاف في الدين

(١) يريدون بذلك مناوآت القياصرة الرومانيين للدين المسيحي في بدء ظهوره
وحروب الاصلاح في اوروبا والحروب الصليبية في آسيا وافريقية وفتن الخلافة في

ان الديانات ألفت بيننا إحنًا وعلمتنا إفانين العداوات

فالدين أذن عدو النظام لانصيره بغيض السلام لأظهره !!!

نحن لانكر ان كثيراً من المشاغبات والفتن والثورات والحروب والغارات^١ أثرت باسم الدين ونشبت على حساب الدين ولكن من سبر غور الحقيقة بمسبار النزاهة والاخلاص وتوفرت له سلامة الذوق وصحة الاستنتاج واصالة الرأي وعدالة الحكم علم — بعد الاستقراء — علم اليقين ان الدين لم يكن المصدر الحقيقي لتلك الموبقات بل الباعث عليها في الاصل والمؤدي اليها بالفعل — ماخلأ الشاذ — انما هو شبهات الملوك ولبنات اولي الحكومات ونزوات ارباب السلطات والزعامات الذين من دأبهم — ولا سيما في تلك العصور المظلمات — التذرع بآية وسيلة كانت — حتى التغاير الديني او المذهبي — لاثارة الفتن واصلاء الحروب ارادة ان يتهياً لهم من جرائمها تمتين السلطة والتوسع في البسطة والاستئصال في الملك تلبية لدواعي اطماعهم اللانهائية واشباعاً لنهماتهم الانسانية فالمرء لا تنقضني آرايه ابداً اذا انقضى ارب يصبو الى ارب

ومن ذا الذي يتجرأ ان يقول ان ما ينشأ عن سوء استعمال الدين انما هو الدين ???
لاجرم ان للحروب والفتن اسباباً حجة قد يكون سوء استعمال الدين او التذرع بالدين احداها وقد لا يكون وما ارباب السيادة من خدمة الدين وغيرهم الا بشر مثلنا قد يسيئون في امورهم المعاشية وسياساتهم الادارية وقد يحسنون : فباثنا نلصق بالدين — الذي هو من الله — ما ينجم باسمه وعلى حسابه من مساوي الناس ؟
أفلا تفقهون !!

أجل : ان مطامع اصحاب العروش وتحالف العناصر وتباين الاجناس وطموح الامم التي توفرت لها القوے الى التئب على المستضعفين وتزوعها الى التكاثر والاستزادة سواء كان عن طريق الفتوح او الاستعمار او الدين هي هي لعمر الحق — في كل آن وزمان — مصدر الفتن ومبعث الاحن وعلة العدوان ومنشأ الحروب التي ما برحت مرافقة حياة بني الانسان منذ اصبحوا دولاً واثماً وجاعات حتى الآن وهي لاتبرح ولن تبرح ملازمة لهم — ولكن على تباين بالكم والكيف — عملاً بناموس تنازع البقاء الى صدر الاسلام ومذبة القديس برتلموس في فرنسا والتفتيش الديني في اسبانيا وناهضة منكري تكريم الايقونات في الشرق والنزب الى غير ذلك من الفتن والحروب التي نشبت اولاً واخيراً باسم العقائد والبدع والمذاهب والدين

منتهى الدوران • ومن ماراني في ذلك اتينيه من احوال قهارة التاريخ واقطاب العمران وفلاسفة طبائع البشر بما شاء من دليل وحجة وبرهان •

لنسلم جدلاً — ولو بالباطل — ان في عصور العصب والغباوة والجهل كانت الديانات جرثومة العداوات وارومة الحروب والثورات ولولاها كان الناس في نعيم مقيم وأمن مكين !! لا بأس عليهم ولا هم يحزنون !!!

ثم تعالوا بنا الى هذا العصر الحديث عصر التدهل والكياسة والعلم عصر الحضارة والتمدد والنور عصر الحرية والمساواة والاخاء ولنقف متسائلين هل خات أممه الاعرق حضارة والاغلى في المدنية كعباً من فتن تثار وحروب تصلى واطباع تسود وشرور تتفاقم؟؟

ام هل من علاقة للاديان بحرب بروسيا مع النمسا (سنة ١٨٦٦) او حرب المانيا مع فرنسا (سنة ١٨٧٠) او حرب الانكليز مع الترنسفال واليابان مع الصين وروسيا مع اليابان والبلغار مع الصرب في خواتم القرن التاسع عشر وفواتح القرن العشرين؟؟ كلا ثم كلا

فيعصمت اذن اولئك الذين يتملظون بتلك السفاسف والترهات تغريراً بالسذج وتمويهاً على الاغبياء ولعلوا ان الاعتقاد بمبدع حكيم يجزيه ويثيب مع الاحتفاظ بتاعدة « من دينك واحترم دين سواك » هو عماد السلام وركن التهذيب ومصدر الآداب ومظهر الوئام والتحاب : فكيف لا يتقي الله اولو الالباب !!!

أجل ان في تسود العقائد المبنية على التنزيل والوحي وسلامتها من الشوائب والحشو وتنزهها عن الخرافات واللغو وترفع اوليائها عن التشيع الشائن والتعصب الضار والتحامل الذميمة يستتب النظام ويسود السلام وتسعد الانام لا بقول المعري

أأترك هاهنا الصهباء عمداً لما وعدوه من غسل وخمر

فموت ثم بعث ثم حشر حديث خرافة يام عمرو

او قوله : اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

فان هذا الفيلسوف الشاعر يررهمين الحبسين — حبس العمى وحبس البيت — بعد ان اوحى اليه خياله الواسع ما اوحى فباح بما هذر وجاهر بانه كفر مطاوعة لما يستولي على امثاله من اعراض السوداء عاد اليه بعض رشده فاستحوذ عليه الشك وخامره التردد والريب فقال متوجساً لعقباه خاسباً حساباً اخراه

في القدس قامت ضجة ما بين احمد والمسيح
هذا بنافوس يدق — وذا بماذنة يصيح
كل يؤيد دينه باليت شعري ما الصحيح

ثم لم يمت الا على دين آباءه كما حقق الثقات من معاصريه خلافاً لمن يتخذون
اقواله حجة يؤيدون بها مذاهب التعطيل ويذيعونها بين الناطقين بالضاد هدام الله
ذلك ما رأينا اثباته استطراداً في هذا التمهيد كبحاً لجماح من ملأوا الدنيا زبائناً
تسيعاً لاصحاب تلك الاضاليل ممن يتوهمون السراب شراباً والحبة قبة وما هوون ما
تخدعهم الزخارف والاباطيل ان ربك بالمرصاد وهيهات ان يفلح حزب الفساد مادام
للسلاح فئة من اعلام يعملون هم في الظلمات مشكاة وفي الجاهل والمعاثر هداة وما على
منفق جهده من جناح ولا الى تأنيبه من سبيل
« عود على بدء »

قلنا ان الاعتقاد بالجانب قلما خلت منه امة في غابر الازمان ومصادقاً لذلك
نقول الآن

ورد في ميثولوجيا الهندوان ارواحاً شريفة اسمها « رقصاشة » ومعنى هذا الاسم الجبارة
خلقت قبل الجو والحيوانات وهي ترصد الآجام والمقابر وتنتهي بانثاره الموتى من اجداثهم
والفرش بهم . تأكل لحوم الاحياء من البشر وتشرب دماءهم وتتخذ لها صوراً مختلفة
واشكالاً متباينة ثم هي لاتزال حاضرة عند مقدمة القرايين وذبح الضحايا للالهة لكي
تفسد على الناس شعائرهم وتغري المعبودات بردة تلك القرايين ورذل مقدميها : من اجل
ذلك بعدتها الهند اشد ضرراً على البشر من سائر الجن

وقد ذكر في الكتب السانسكريدية القديمة المحفوظة في هياكل الصين وكوريا وسيلان
وسائر امهات المدن المنتشرة في الشرق الاقصى الغاصة باتباع « برهما » و « بوذا »
من ذوي الجنس الاصفر ان النساء وخدمة الدين طالما استجدوا القوى العلوية لانجاة
من شرور هذا الصنف الغادر من الجن الكثير العدد وهو مع ذلك لا يزال يزيد نمواً
وانتشاراً بزيادة عداد من يموتون من الائمة اصحاب الكباثر لان ارواح هؤلاء تكون
الى زمن من نوع « الرقصاشة » واشهر هذه الفئة الباغية المتقسمة الى فرق ومراتب
انما هي « رافانا »

وليترك تدري ما « رافانا » انما هي روح شريرة زائدة الفحة والجراة كثير المطامع والشهوات

حتى انه زين له في بعض الازمنة ان يخضع الارض ومن عليها والهابة ومن فيها والسموات ومن فوقها الى حكمه وسلطانه ويجعل الكيان المطلق عبداً خادماً لرغائيه ومآربه ونزعاته فتمادى جوراً وعسفاً وزاد بغياً وطغياً تاحى أن تت من حيفه الارض وشكت ظلمه الافلاك واستولى الرعب على قلوب المعبودات في اخدارها والملوك في عروشهم وكان موطن هذا الجنى الخبيث في ذلك الزمان « لافكا » عاصمة جزيرة سيلان

فساء « وشنو » ^(١) العظيم هذا الامر الجلل ورأى ان يتجسد ثانية لينتقد الاكوان ومعبوداتها من شر هذا الطاغية ويرد الى المخلوقات طمأنينتها وسلامها فتجسد في الجهة المقابلة من الهند في صورة « راماتشندر ابن داسرتاملك ابوذيا من امرأته كساليا »

(١) ان وشنو هذا تجسد على زعمهم ثلاث مرات : الاولى اراد بها تخلص البراهمة من جور الكشترية اي اهل السيادة والحرب من الهندو الذين صاروا يعطلون الشعائر الدينية ويمتهنون خدمة الدين « البراهمة » فتجسد في مظهر ابن ناسك متعبد اسمه « جامادغني » ثم سمي « باراسوراما » ومعناه راما ذو الفأس فجد في آثار الكشترية حتى اباد ذكورهم ولكنه استحميا اناتهم ليتزوجن البراهمة فيجابهن نسل الحريين : الثانية هي التي تكلمنا عنها في المتن والمقصود منها انتقاد المعبودات من جور « رافانا » كما علمت وكان اسمه اذذاك « تشندرا » ومعناه القمر : الثالثة وغاية منها ادخال الفنون الزراعية الى البلاد وقد سمي بها « راما » واتخذ رايته المحراث وبعد ان علم الاهلين اصول الفلاحة عرج مع امرأته « ستيا » الى السماء . ويقال ان راما هذا هو نفس « باخوس » عند اليونان و « رعما » المذكور في سفر التكوين بين مواليد « كوش » ويزعم بعض علماء الانكليز ان « راما » في تجسداته الثلاثة ان هو الا شخص واحد ظهر في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد وعبر عنه في التوراة باسم « رعما » وان اتحاده مع ملك القرود الوارد في المتن ايماء الى اتفاق مع سكان الهند الجنوبية المتوحشين على فتح جزيرة سيلان لان اولئك السكان كانوا يسمون زمانئذ القرود وان « رافانا » يراد به طاغية من البشر كان مالكاً جزيرة سيلان وحدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد الهند كافة فعاث وسطا حتى سلط عليه « رعما الهندي » فتوالت مع ملك متوحشي الهند على قتله واستخلاص سيلان منه . واخبار « راما » مدونة في قصيدة تشتمل على خمسة وعشرين الف بيت او دوييت تسمى « رامايانا » نظمت باللغة السانسكريتية المقدسة وترجمت مراراً الى اللغة الهندية الحديثة والى بعض لغات اوروبا

وبعد ان اتحد مع «سوغربا»^(١) ملك طائفة القروء عَلَى الابقاع برافانا مضيا الى الارخبيل الفاصل بين جزيرة سيلان والبر والقيام هناك جسراً من الصخر اجتازاه الى الجزيرة ثم باسرا القتال مع «رافانا» فلم يثبت الخيـث امام المعبود المتجسد وحليفه !!! فسقط بين ايديهما هالكا غير مأسوف عليه

والرومانيون يقولون انه يوجد عذراء من الجن كانت تقيم في غابة اسمها «اريسيا» عَلَى مقربة من رومية عاصمة الرومان وتدعى تلك العذراء «ايجيريا» وان احد ملوكهم «تومابوميلديوس» اتخذها له زوجة فكانت تساعد على قهر الام المتوحشة وادخالها في ربة الطاعة له والانصواء الى عرشه وتشاركه في حل ما اعضل عليه من المشكلات . فلما مات زوجها جزعت عليه اشد الجزع ولجأت الى تلك الغابة معتزلة حيث كانت تجلس في حضيض جبل ذارفة دموعاً سخية بلا انقطاع فاحزن حالها «ديانا» الهة الصيد فرأت ان تحولها الى عين ماء نضاجة لا ينضب ينبوعها فسميت عندئذ «عذراء العيون» وشيد بجوارها هياكل للعبادة كانت النساء الرومانيات يقصدنها بذكورهن الثمينة في مواسم معلومة متخذات لها اعياداً يحتفلن بها احتفالاً كبيراً لانها كانت تحفظهن عند الولادات وتصور مواليدهن من سائر الجن . ولمدينة رومية جنـي خاص اقام له قدماء الرومانيين تمثالاً من ذهب

والجرمانيون ومنهم البروسيون وسائر الالمان وكثيرون من التابعين للعرش النمساوي يزعمون ان للياه جنّاً يطلق عليها اسم «اليفته» ويدعوها الانكليز «مرميده» واهل شمالي اوروبا «نكسن»

قال سكان سواحل البلطيك انها تظهر عَلَى شكل الخيل عَلَى مقربة من شعور البحار وتداعب من يخرجون في القمراء للترفة والسمر في تلك الشواطئ وكثيراً ما اخافتهم . اما الالمانيون فيقولون انها تقيم في نهر «البي» وانها اظرف من جن بحر البلطيك وقد تخرج احياناً من الماء في ليالي الشتاء وتقصـد النار التي يتركها رعاة المواشي لتسند فيـها . وقد طالما نظرت هناك هيئة نساء جميلات مستترات بشبه براقع لهن وجوه زهر وشعور شقر تسترسل عَلَى اكتافهن . وقد بهشق بعضهم الرجال فيخلصن الحب لمن كان وفيّاً منهم ويساعدنه في ميادين الحرب ويتبين شخصه بنفوسهن من سهام العدو ولا تفك احداهن مولعة بمن تهوى مرافقة له ساهرة عَلَى مصالحته وراحته متحملة معه

(١) يذهب المتأخرون من العلماء ان هذا هو نفس «بعلوس» المذكور في التوراة

ما يكابده من برحائه وضرائه حتى الموت . ويمكن اذا خانها ولو مرة ذهبت به الى شاطئ البحر او ضفة النهر وجذبته بمنتهى قوتها الى اللجة فتمتته غرقاً !!! وهي عني ما يقولون ذات صوت غريد مطرب هو — في زعمهم — مصدر حفيف الغابات وخرير الانهار الذي يؤنس الحزين ويسلي الغريب وكان القدماء من اهالي اوروبا الشمالية اذا ارادوا استئالة تلك الجن طرحوا في البحار والانهار ثماراً وازهاراً وذهباً ولؤلؤاً وعطراً وطيباً استعطافاً لها وقد وجدوا في بحيرة « تولوز » اشياء كثيرة مما كان يستعطف بها سكان فرنسا القديمة تلك الجنيات الحسان اللواتي يشبهن في بعض امورهن بنات الماء اللواتي ذكرهن الدميري في كتابه « حيوة الحيوان »

ومن اغرب مارواه المؤرخون ان « سيبين » الروماني لما فتح مدينة « تولوز » وجد في بحيرتها من الذهب ما وزنه مئة الف « ليبرة » ومن الفضة مثله فاستأثر بها وقد تحقق ان الغالين القدماء اجداد سكان جنوبي فرنسا الآن كانوا يرفعون تلك الجنيات الحسان الى مصاف الآلهة ولذلك اشتد حنق التولوزيين على من خرق حرمة بحيرتهم سلباً حليهن وكوزهن كما آمنوا وربما كان هن في بلادهم غير الاسماء الثلاثة التي ذكرناها نيل

اما السكندريانيون وهم اهل « اسوج » او السويد و « نروج » و « هولاندة » او الفلمنك و « الدانمارك » فيعتقدون بوجود جن اسمها « الفة » او « الفر » وهي حاذقة لبية ذكية عالة ونقسم عندهم الى فئتين

احداها تعرف بالجن الصالحة ويقال لها جن النار او جن النور تقيم في بلاد الغيم التي يتولاها صاحب الشمس لها وجوه تلمع كالصباح وعيون اجمل من الكواكب وشعر ذهبي يروق مرآه للناظرين والثانية تعرف بالجن الهائلة وتسمى عندهم « سفورت الفار » وهي عدوة للنور واشد سواداً من الزيت ذات منظر كره وثقاپيع شنيعة واعضاء مشوهة ولا تسكن الا في باطن الارض

واهل القرون المتوسطة من سكان هذه الممالك السكندرية كانوا يزعمون ان هذه الجن الارضية تختطف اطفالاً من امسرتها واذا احبت احداها مارجللاً ذهبت به الى موطنها تتلذذ بمداعبه ولا تدع له سبيلاً الى تركها والعود الى بلاده : وهم يوقنون كل اليقين ان ملكتهم خطفت السيد « توماس السيدون » الملقب بالشاعر الى حماها وحجرت عليه

في صرح لها سبع سنين كان فيه تمثال غرامها وكعبة هيامها وهي على ما يرتأون لطيفة المعاني حسنة الطامة تسج لها اقصه وحللا من نور القمر وتعم بمعامة في اعلاها جرس وتحتذي برجليها الكافور بتين زجاجاً رقيقاً نقياً شفافاً فاذا عثر انسان عند انفلاق الصبح على حذاء او جرس مما تلبسه تلك الجنيات الرائعات المحاسن ملقى على العشب نال من التي فقدته كل ما يتمناه

وهي تشتو غالباً في كهوف الجبال تعيش فيها كسائر الناس وتصرف الوقت بمطالعة الاشعار واناشيد الآلهة وكتب التاريخ وبطريق الذهب والفضة والاخبار عن مستقبلات الشؤون متخذة لها حايماً من الياقوت والزمرد وكبار اللاآي . ومتى بدت تبشير الربيع تزايد تلك الكهوف والمناور منجولة في جوانب الجبال استنشاقاً للهواء العطر والنسيم البليل . وقد تسلق الاشجار لتلطف منها الازهار والثمار اولت راقب من يمر على مقربة منها حتى اذا اقبل الليل تجتمع في الحقول متماسكات بالايدي كالحلقة التي توالفها نساؤنا ليلجون العروس ثم تأخذ في الرقص والغناء في ضوء القمر . وقد ترعى ماشيتها على ضفاف الانهر ولا تزال تلك حالها حتى يعاودها الشتاء

ومع ان « الالفة » غير منظورة فالمولودون ايام الاحاد يمكنهم ان يروها . وهي على نخافتها وجمالها ولطف بنيتها لهما من القوة ما يمكنها ان تحمل اثقل الصخور واكبرها حجماً ماشية به مسافات طويلة واذا لمست يدياً هزته وزعزعته من اسسه ولوشات لحملت يدها رجلاً وسارت به ركضاً ولا تبالي . وهي تحب غالباً شجر البلسان والزيزفون والخور الرومي فمن احب ان يراها من مواليد يوم الاحد بقصد من تلك الاشجار ما كان منها في سفوح الجبال يجدها تغني على قيثارها العازف تحت رواق ظلها الوارف

وكان لها في بلاد الانكليز وسكوتلاندة ملك ومملكة وكانت جزيرتا « سترن » و« روجن » في بحر الباطيك تحت سلطانهما وقد شوهد هذا الملك يوماً في مركبة يجرها اربعة افراس ويستدلون على تجوله سيفه مملكته المترامية الاطراف بصهيل الخيل وسواد الماء والضوضاء التي يحدثها اعوانه في طيقات الهواء

واليونانيون القدماء يقولون ان « اغينور » ملك فينيقية تزوج بالجنية « ميلي » فولدت له « اوروبا ^(١) » فنشأت ذات جمال فنان وبياض ناصع فشغف بها المشتري وتمثل لها بصورة ثور وتزلف اليها كثيراً حتى ركبه طمعاً بلين قياده فاسرع وهي على مقته نحو

(١) معناه النعجة وبها سميت احدى القارات الخمس على مذهب اكثر الجغرافيين

البحر وسبح بها الى جزيرة « كريت » وهناك اتخذها زوجة فاولدها خمسة صبيان وثلاث بنات وكلهم اتمنوا مدناً وانشأوا قبائل وعلى هذا يكون الكريتيون من سلالة الثيران والجن فلا عجب اذا كانت نيران فتنهم لا تطفأ وحركات ثوراتهم لا تسكن والروسيون الاقدمون يزعمون ان « الفامبيره » فريق من الجن يسكنون القبور وهم يشورون ليلاً من المدافن . متفرقين على منازل الاحياء حال نيامهم فيمتصون دماءهم . وان « الديموفوي » جني البيوت يتراءى للنساء حال انفرادهن وان في الانهار عفاريت تدعى « فوريانوي » وفي الغابات أبالسمة اسمها « الياسك » والسلافيون يدعون ابن للجن الهاً خاصاً يسمونه « وتشرنوبوخ » اى الاله الاسود وللبنشر الهاً آخر اسمه « بيليوخ » اى الاله الابيض

واهل جبال « البريني » او « الرانس » يعتقدون ان الجن مقيمة في النجوم التي تغشى ذروات جبالهم وعلى ضفاف الانهار الحافلة بالاشجار ولهم فيها اقايص طويلة وروايات غريبة لا يحتمل المقام سردها واستيفاءها

واهالي جزائر « ملدبف » بقولون انه كان يجيئهم في وقت معلوم من ناحية البحر جني كأنه مركب مملوء بالفتاديل فلا يتجون من شره الا باعطائه فتاة بكرةً يتركونها له في بيت الاصنام ثم يصبحونها فيجدونها مهتوكة ميتة فانفتح ان زار مدينتهم رجل صالح بدعى ابو البركات البربري فلما حان زمان مجيئ الجنى اخذت النساء يبكين ويندبن فسلطن عن السب فقالت له عجوز منهن ان لها بنتاً وحيدة بارعة في الجمال اصابها القرعة بحسب القاعدة الجارية في المدينة وستكون في الغد ضحية للجنى فقال انا انوب عنها ثم ذهب الى بيت الاصنام متخفياً واخذ يتلو القرآن العزيز فلما سمع الجنى تلاوته غاص في البحر ولم يعد بعد

قال ابن بطوطة في رحلته ان هذه الحادثة كانت سبباً لدخول اهالي تلك الجزائر في الاسلام وهي يد كبرى تعد لابي البركات المشهور بصلاحه على اولئك الوثنيين واليونانيون يثبتون ان عذارى من الجن اعتنيت بترية « جو بتير » وهو طفل فاهدى اليهن قرن الخصب وهو احد قرني العنزة التي رضع ابنها عندهن

وهو يسمون الجن الى ثلث رتب يرفعون الاولى منها الى مقام المعبودات وجدها الاعلى عندهم « اجنيوس » باللسان الروماني القديم وهو شئخص « زفس » او « جو بتير » وهي تنقسم الى فئات اوقبائل منها « البانة » و « الفونة » و « السانيرة » و « النيمفة »

والرتبة الثانية توابع كل شعب وكل مدينة وكل محلة وهم يعتقدون ان مؤلفي هذه الرتبة يولدون ويموتون كسائر الاحياء غير ان حياتهم تستغرق الوفا من السنين والرتبة الثالثة توابع كل شخص بمفرده وهم الذين يتولون امور الافراد ويؤثرون في جميع احوالهم من معاشهم وعواظهم وحوادثهم وامراضهم . وللنساء توابع خاصة يسمونهن « جونون »

قال « سرفيوس » متى ولد الانسان يسخر له تابعان من الجن احدهما يرشده الى مابه الخير والاخر يميل به الى طرق الشر

وقال « ابوليوس » ان النفس البشرية ذاتها تتحول بعد نجاتها بالموت من هيولاها الى الجن فان كانت حيوه صاحبها سالحة دخلت في عداد الجن الانيس وبقيت في البيت لحماية ساكنيه وان كانت شريرة سميت « لارفة » اي غفريتا او جنيا خبيثا فلا تستقر في مكان واحد ويكون دأبها الاخافة والتهويل والقآء الرعب بين البشر والوسوسة والتزعج في الصدور امالة باريها الى الاضرار والافساد وارتكاب المنكر

وقال « خريسيوس » عن امثال هذه الارواح الشريرة انها نائمة في جوانب المعمور تستخدمها الالهة للاقتصاص من الائمة الظالمين ولتزيين الشر في اعين الصلحاء المثقين وهي اصناف منها « لارفة » و « مائة » و « ليورة » ويراد بها كلها ارواح الموتى الانرار وقد وجد على ابنية القبور عدة تماثيل ورسوم محفورة تشخص بها تلك الارواح بهيئة الجن

وكانوا يزعمون ان في وسعها اسعاد من تحميمهم ولذلك قال احد العرافين لانتونيوس — عاشق كليوباترا المشهور واحد قوادسكندر الكبير ومقتسمي ملكه — ان تابعه يخشى بأس تابع او غسطوس قيصر فهو لا يجرأ على الاضرار باوغوستوس مادام تابعه يحميه ويدود عن حوضه

وكان اليونان والرومان عن بكرة ابيهم يقدمون في اعياد مواليدهم نذورا للصالحين من تابعيهم زهرا وبخورا وخمرا يضعونها على ضفاف الجداول وتحت ظلال الاشجار في الغابات تكرمة وزلفى ولو استوفينا كل ماورد عن هاتين الامنين في اعصرهما الخرافية مما يتعلق بموضوعنا لطلال بنا المطال وضافت عن استيعابه الرسائل بيد ان فيما ذكرناه عنهما غنى وكفاية

اما الفرس فيعتقدون انه يحكم العالم روحان متضادان متخاضمان احدهما صالح وهو

« اورمزد » والآخر شيرير اسمه « اهرمن » وهذان الروحان في خصام دائم ومن غلبة الواحد على الآخر ينتج تداول الخير والشر والنور والظلام والليل والنهار في كل يوم . وما الجن الا خدمة « اهرمن » وحاشيته وسيأتي يوم يظهر فيه ثلاثة انبياء يفلون جيوش « اهرمن » ويثقلون اعماله فلا يبقى جني على الارض فيعيش الناس في سعادة كاملة وسلام دائم يتكلمون بلسان واحد ويعيشون متحدين على نمط واحد ووتيرة واحدة وهو لآء الثلاثة انبياء سيولدون من « نطفة محفوظة في ينبوع ماء صغير لم يهتد الى مكانه بعد »

وهذا الاعتقاد الثنائي مستفيض في الشرق منذ التديم حتى انه يظهر بالتبع والاستقراء التقليدي انه كان على عهد عيلام بن سام بن نوح الذي منه تشعب الفرس وقد سرى الى عدة شعوب ونحل وبدع في القرون الاولى واصبح ركناً بني عليه مذهب « ماني » الموسوس الفارسي كما لا يغرب عن كل مطلع على تاريخ هذه الامم

وقد زعم الفرس ايضاً ان للجن مملكة خاصة اسمها عندهم « جنستان » اي بلاد الجن ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افريقية وقد طامساها بعض شعرائهم بارض المردة والعفارت : اما العبرانيون والفيثقيون والكلدانيون القدماء فيقولون ان الجن تدخل في البشر فتبليهم بالجنون وهي تسكن الارض وتترأى للناس بهيئات مختلفة حتى انها تتلبس باشكال الحيوانات و تستخدمها السحرة والعرافون الانبياء بالمغيبات وكشف المستورات وكل هؤلاء الامم يعتقدون كالعرب بالقرينة والتابعة والكهانة والسحر ومن يرجع الى تواريخهم يجد هاتحة باخبار واقاصيص تدل على رسوخ هذا الاعتقاد فيهم منذ قرونهم الاولى شأنهم في ذلك شأن سائر الامم الشرقية سواء

اما المصريون فقد كانوا يهبون جني نهر النيل في كل عام عرساً وحسناً من فتياتهم استرضاء له واستمداداً لفيضه ويعملون الحيات والهررة وغيرها آلهة وانصاف آلهة متخذين العجل « آيس » اعظم معبود لهم بناء على كون الزراعة ركن معاشهم وقوام رزقهم في بلادهم فهم يكرمونه ويخصونه بافضل انواع العبادات ليمد الثيران من سائر بني جنسه بقوة من عنده تكفيهم مؤونة الحرث والفلاحة التي لم يجدوا اليها سبيلاً في تلك الازمنة الا بتسخير البقر

ومع ان الاقدمين منهم كانوا في طليعة غيرهم من الامم علماء ومدنية وتهذيباً كانت عقائدهم الخرافية في غاية السخف وقد زادهم فيها استرسالا اجتياح اليونان ثم الرومان

لبلا دم واستيلاً وأُهم عليها ربحاً من الدهر إذ قد اضيف ما عند هؤلاء من مضحكات العقائد ومبكمياتها الى ما عندهم من احتق اصبت مزيجاً جامعاً مالم تجمعهم امة قبل ولا بعد هذا مجمل ماورد متفرقاً في اسفار السلف واساطيرهم — من كل امة ونحلة — برهاناً على كون الاعتقاد بالارواح الخفية كالجن والعفاريت والمردة انما هو مرافق حيرة البشر سيف قرونهم الاولى من كل جيل وجنس ومذهب ولكن على انحاء متضاربة ووجوه مثبانية واختلاف كثير في وصفها وتكييفها وتعيين قواها وطبائعها وتحديد ماهيتها ومراتب تأثيرها في اعمال الخلق وشؤونهم الى غير ذلك مما لم يقع عليه الاجماع التام بين شعب وشعب وامة وامة

ومما يجب التنبيه اليه انه قام في كل صقع وبين كل قوم رجال افذاذ من ابناء العصور النابرة قائلين بما يقوله اليوم اكثر علماء الغربيين وبعض الشرقيين من ان هذه الارواح — الضارة — لا وجود لها الا في مخيلات الناس واوهامهم بيعتهم على تصورها والحزم بوجودها ما يتعارفهم من الاماني والخاوف والانفعالات المتناقضة فيما يعرض لهم من احوال هذه الحياة الدنيا الكثيرة الكوارث والشجون مضاعفاً الى ذلك ما بثوارثونه من عقائد الآباء ويتناقضونه خلفاً عن سلف من ترهات وعجائزيات قد اعان على تبجيلها في اذهانهم ما سدله الجهل على بصائرهم من كثيف الحجب في اعصر الظلمات ولا سيما اثناء القرون الوسطى التي استحكمت فيها المنازعات الدينية والاحن المذهبية — مسببة عن اطماع الملوك — حتى البست الارض ارجواناً من الدم

فما بدأ يتفجر في افق العالم الغربي نور العلم الصحيح المبني على الثبوت والاستقراء الحسي حتى اخذ يتقلص في تلك الاصقاع ظل الاعتقاد بوجود ارواح تتأثر بفي الانسان متداخلة في امورهم ومصايرهم فاعلة في شواعرهم وهواجسهم ضاغطة على حركاتهم وسكناتهم في معاشهم وموتفاتهم وكان ذلك في اواسط القرن الثامن عشر حتى اذا اشرف محيا القرن العشرين من نافذة الدهر تلاشى او كاد مذهب من يرى ان في العالم المحجوب قوة تناوي ارادة الله وتناهض عباده كما يزعم الثنائيون من الامم ومعظم المتدينين من الفلاسفة والمفكرين في ايماننا هذه يذهبون الى انه قبل انقضاء هذا القرن قد لا يبق على وجه البسيطة من يصدق بوجود فاعل فوق الطبيعة غير الحق عز وجل وهو سبحانه اعلم بما يتخرون

دمشق

« سليم غفوري »



حمة^(١) ابي رباح

لم يكتب احد من المتقدمين من علماء العرب وغيرهم في تاريخ هذه الحمة او موقعها او وصفها وصفاً علمياً مع ما لها من المكانة في التاريخ والطبيعة كما انه ليس للباحثين المتأخرين من الغربيين والسوريين مقال في هذا الباب يرجع اليه او شرح يستند عليه ولقد كان بودي ان اقف على كلمة من هذا القبيل لتكون لي دليلاً في سبيل ما اريد تسطيره ووجه تويده ما اعلمه في هذا الموضوع واروم تجبيره الا انني لم اجد كتاباً يذكر ما اردت وبني^٢ بما رمت فما وسعني الا ان اعود الى ما اعلمه عن هذه الحمة بالاختبار مجدداً في تطبيقه على الفن الحديث ومستدلاً على تاريخه بما عثر عليه فيها من الابنية والآثار القديمة بقدر الامكان .

مركزها الجغرافي — ابو رباح جبل من كورة حمص من عمل ناحية القريتين يبعد عن الاولى اربعين ميلاً الى جهة الشرق وعن الثانية تسعة اميال الى الشمال الغربي يشرف على ضيعة يقال لها الغنتر من املاك عبدالمجيد آغا سويدان مدير ناحية حسيه (ايكي قبولي) الحالي ورئيس اسرة سويدان المعروفة ويمحده من الشمال اراضي (الشومرية) وهي جبال قل فيها المنبسط ذات تربة جيدة وارض خصبة منبثة وفيها بعض القرى المستعده وكانت من املاك السلطان السابق ويسمونها الآن (الاملاك المدورة) ومن شمالها ايضاً البلعاس وهي كورة من كور حمص^(٢) فيها حرج من شجر البطم يبلغ طوله تسعين ميلاً من الغرب الى الشرق ويمحده من الشرق طريق القوافل بين الشام وتدمر ثم الجبابة وهي مزرعة لنا ذات مياه وقد اوقع سيف الدولة فيها بقبائل البادية وذكرها المتنبّي بقصيدة يمدح بها المشار اليه حيث قال :

ومروا بالجبابة يضم فيها كلاً الجيشين من تقع ازار^(٣)

ومن الجنوب الغنتر والجبابة المار ذكرها ومن الغرب الشومرية والفرقلس وهي قرية من الاملاك المدورة ذكرها ياقوت الحموي فقال انها اسم مياه قرب سمية بالشام والاصح انها اقرب الى حمص من سمية .

(١) الحمة في اللغة العين الحارة التي يستشفى بها الاعلاء والمرضى فاهل القرى المجاورة لهذا المكان يسمونه الحمة واهل المدن كدمشق وحمص وحماة وغيرها يسمونه حمام ابي رباح وابو رباح اسم مستحدث على ما اظن (٢) معجم البلدان (٣) معجم البلدان

مركزها الطبيعي — ان هذا الجبل بركان لا تآثر ولا منطفي لان له لو كان تآثراً لاهلك القرى والبلدان المجاورة له وقضى على الارواح والاجساد مما يقذفه من الحجارة والحجم ولو كان منطفئاً لما صعد منه البخار الذي يراه الناظر من مسافة بعيدة متفرقاً في الجو .
و معلوم ان الارض كانت جسماً يكاد يكون سيالاً يملأ قبل وجود الانسان والحيوان والنبات على ظهرها ثم برد سطحها وبقي جوفها شديد الحرارة والسبب في ثوران البراكين هو هذه الحرارة والماء والمواد المعدنية الحارة في جوف الارض فاذا ما اختلط الماء بالمواد المعدنية الحارة تمدد ورفع ما فوقه ثم يزداد الضغط عليه من الحرارة وثقل الارض وعندما يشتد دفعه بنفجر ويقذف الحمم والصخور والبخار ويجعل الصعيد المستوي جبلاً راسياً مما يرمي به تلك الاجسام ولكن اذا فقدت المواد المعدنية وظل الماء جارياً تسخنه حرارة باطن الارض الطبيعية البالغة التي درجة او اكثر وكانت الارض بركانية من قبل لا يصعد من افواهها غير البخار كما يشاهد في ابي رباح هذا اذ يسمع الانسان الواقف عند فوهته صوتاً كهدير البحر ويرى البخار يتصاعد منها كبخار الماء المغلي في المرجل فمن هذا يتبين لنا ان ابار رباح كان بركاناً تآثراً في العصور الخالية ودام ثورانه ردحاً من الزمن الى ان انتهى ما في جوفه من المواد المعدنية وبقي الماء والحرارة الطبيعية السببان لصعود بخاره الحار

نظرة تاريخية — اتضح مما قدمنا ان هذه الحمة بركان نفدت موادها المعدنية الحارة منذ الوف من السنين وصارت الى ما هي عليه اليوم عبارة عن فوهة وسط جبل يتصاعد منها بخار مائي ليس الا . ثم جاء الاقدمون وبنوا فوق هذه الفوهة حماماً يستشفون به من الاسقام والامراض ولكن من هؤلاء الاقدمين الذين شادوا هذا المعهد الكبير النافع ؟ ..

سؤال نقف عنده اذ ليس لدينا من الادلة التاريخية الا الآثار الموجودة التي سنستنبط منها ما يكون موافقاً للاحكام التاريخية فنقول : سكن هذه البلاد كما روى التاريخ من الامم ذات الحضارة والمدنية والسلطة الكنعانيون والاراميون واليونانيون السلوقيون والتدمريون والرومانيون والمسلمون فالامم الاربع الاولى هم سكان البلاد الاصليون والاثنتان الباقيتان هم الفاتحون الذين قطنوها بعد الفتح فاي امة من هذه

الام قامت بتشيد هذا المحل ياترى ؟ المسلمون ؟ . . لا لأن الآثار الموجودة ليست من ابايهم بل هي اقدم منهم بقرون عديدة كما انها ليست من اعمالهم ولو كان ذلك لدونوها في كتبهم وكذلك الرومانيون لم يكونوا الا امة فتوح واستعمار لا امة علم وفن ولم يبرزوا الا في بناء المعادل والحصون في الصحاري لصد صدمات المهاجمين وقلم تنفع دولة مستعمراتها كما تفيد ممالكها الاصلية ومع كل ذلك نرى اثرًا من تلك الآثار المتباينة في طراز هندستها وقدمها على نسق الابنية الرومانية ذات العقود والقناطر قائمًا على يمين الحمة بمسافة عشرات من الخطوات وهو احدث الآثار الباقية المتداعية الاركان .

واذا امعنا النظر في هذه الآثار ندرك ان ليس للمكنعانيين والاراميين من صنعة فيها وربما اقاموا في ذلك المكان حينًا من الدهر حتى داهمتهم الحمة الصادرة عن جوف الارض ابارث ثورانها فازهقت نفوسهم ودفنت مساكهم اذ يبصر المرء هنالك آثارًا طامسة تغشاها الحمة والانقاض الدالة على الثوران في غابر الازمان .

وهنا لم يبق لدينا سوى تينك الامتين السلوقية والتدمرية ولا مناص من اذبة هذا الحمام وما يحاوره من الانقاض الى احدهما او الى كتبهما لان الامة السلوقية كانت ربة علم وفلسفة لا يفوتها استخدام مثل هذا البخار للمنافع الصحية وكذلك الامة التدمرية على ما نعرفه وبعرفه الخاص والعام فان لنا في مدينتها العظمى شاهداً عدلاً على ما بلغت من الاتقان في الصناعات والترقي في الفنون وناهيك باعمدها الباسقة التي كانت تجري من فوقها الانهار فامة مثل هذه لا يعوقها جعل بركان قريب لعاصمتها^(١) حماماً يزيل ما في الابدان من الاوجاع والاصاب .

فكلتا الامتين كان لهما في حلبة المعارف افكار سامية وفي مضمار الرقي عقول نيرة ثم دالت دولتهما وها ينشدان :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

اي لعمر الحق انها لا آثار تدل على ما كان لهم من اليد الطولى في الفنون الجميلة والصناعات البديعة كما ان قيام هذا الحمام ليس عن عبث او سائلة طبيعية بل عن علم صحيح وعقل رجيح فانك اذا حققت النظر في مبانيه الخربة وجدت انها كانت في عهدها الزائل مستوفاة الشروط الطبية داخلاً وخارجاً ما نعجز نحن ابناء القرن العشرين عن الافتكار بمثله ولو بعد حين .

(١) المسافة بين تدمر وابي رباح ستون ميلاً

وفوق كل هذا انني ارجح نسبة هذه الآثار الى التدمريين لمشابهة انقاضها لانقاض مدينة تدمر وقربها منها ولما بتواتر على السنة الاهلين في تلك الانحاء من ان هنالك ساقية قديمة تنتهي الى المدينة المذكورة .

نبذة صحية — لو كنت طبيباً لفحصت هذا الحمام من وجهته الطبية والكيمائية فخصاً دقيقاً وعلمت ماهية بخاره ومقدار درجة حرارته ونتيجة تحليله ولكنني لا اطيعق التطفل على موائد الطب فاقصر على ما اعلمه من شفاؤه للمصابين بالامراض العصبية عامة وتيبس الاعضاء والتشنج خاصة .

وفاتنا ذكر ماهنالك من المناظر غير الفوهة التي بني عليها الحمام ومنها منفذان احدهما يتداوى به الصم بوضع آذانهم على فيه والثاني يؤمه العقيبات من النساء لدفع الاسباب المانعة من حملهن بقعودهن القرفصاء عليه ولا اخال الاطباء بقولون بخرافة هذه الطريقة لان البخار اذا ما دخل الاذن وبيت الولادة يطهر ما فيهما من الاوساخ ان كان ثمت ذلك والله اعلم .

لمحة ادارية اقتصادية — ليس من ينكر ان مثل هذه المعاهد اذا عني باصلاحها تأتي بدخل عظيم ولكننا مة قدر لها ان تكون في العصر الماضي خاملة كسلي لاهتدي الى طرق غناها ولا تدرك مقر ثروتها التي هي تحت تصرفها وفي حوزتها ترى المال الذي في جبالها متروكا والممزوج بتربة سهلها منسياً ومن جملة المهملات هذا المكان الذي نحن بصددده وهو لم يزل خراباً يباباً يلجأ اليه لصوص الاعراب وجناتهم فلو لحظ بطرف الاهتمام قليلاً وارسل اليه طبيب كيمائي يحلل بخاره ويشرح فوائده الصحية بتقرير شرحاً وافياً ومهندس يخطط لاعتماره مصوراً كافياً ثم تنشأ فيه اماكن منظمة تسر القاصدين من المرضى وغيرهم بعد بناء مخففة للجنود تمنع المعتدين من اهل البادية وتلزمه الحكومة الى شركة او متمول لقاء مبلغ من المال لكنت استفيد منه وتفيد فنشر الامن في تلك الربوع وعساها فاعلة عن قريب وعسى اهل العلم لا يضيئون علينا بما يكشف الغامض من هذه الحمامات البخارية فارس فياض



مناظرة القنائي والسيرافي

من المناظرات الجميلة بأسلوبها وجمال انشائها ماجرى بين متى بن يونس القنائي وبين
ابي سعيد السيرافي نقتبسها من الجزء الثالث من معجم الادباء لياقوت الذي صدر مؤخراً
ليطلع القراء على افكار فيلسوف وافكار نحوي وهما نحن نقدم قبل ايراد المناظرة مختصر
ترجمة المتناظرين ونأقل كلامهما ليكون القاري على بينة من يلو كلامه
اما متى ^(١) بن يونس او يونان ابو بشر وهو من اهل دير قتي فهو من نشأ في اسكول مرماري
قرأ على قويري وعلى روفيل وبنياين ويحيى المروزي وعلى ابي احمد بن كريب وله تفسير
من السيرافي الى العربي واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره وكان نصرانياً وتوفي
بيغداد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة
وإحدى من الكتب مقالة في مقدمات صدر بها كتاب انالوطيقا كتاب المقاييس الشرطية
شرح كتاب ايساغوجي لفرفور يوس

واما ابو سعيد الحسن السيرافي فيتلخص مما قاله لياقوت في معجم الادباء ان
سيراف بايد على ساحل البحر من فارس كان ابوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه ابو سعيد
عبدالله وقال ابو حيان في كتابه الذي الفه في تقييد عمرو بن بحر وقد ذكر جماعة من
الائمة كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال : ومنهم ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ
وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض
والحديث والكلام والحساب والهندسة اثنى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب
ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى بيغداد وشرح كتاب سيبويه في
ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليمانى فما جراه فيه احد ولا سبقه الى تملكه انسان
هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله ومات
سنة ٣٦٨

هذا اما ابو حيان الثوحيدي فهو المتكلم الصوفي صاحب المصنفات ومنها كتاب
البصائر والاشارات وغيرهما وكتاب المقابسات ^(٢) وكان اماماً ^(٣) في النحو واللغة والتصريف
فقيهاً مؤرخاً وصفه ابن النجار بانه كان فقيراً صابراً متديباً وانه كان صحيح العقيدة الا
ان بعض المؤرخين رموه بالكذب وقلة الدين والمجاهرة بالبهتان وانه تعرض لامور حسام

(١) تاريخ الاطباء (٢) المتقبس م ١ ص ٣٠٢ (٣) طبقات الشافعية الكبرى

والقدح في الشربة والقول بالتعطيل قال ابن فارس : ولقد وقف سيدنا صاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدخله ويخفيه من سوء الاعتقاد فطلبه ليقطله فهرب والتجأ الى اعدائه ونفق عليهم بزخرفته وافكه ثم عثروا منه على قبيح دخلته وسوء عقيدته وما يبطنه من الاحاد ويرومه في الاسلام من الفساد وما يلصقه باعلام الصحابة من القبايح ويضيفه الى السلف الصالح من الفضائح فطلبه الوزير المهلب فاستمر منه ومات في الاستتار . وعده ابو الفرج ابن الجوزي في تاريخه احد زنادقة الاسلام الثلاثة وهم ابن الراوندي وابو حيان التوحيدي وابو العلاء قال واشدهم على الاسلام ابو حيان لانه حجب ولم يصرح . قال السبكي انه وقع على كثير من كلامه فلم يجد فيه الا ما يدل على انه كان قوي النفس مزدرياً باهل عصره ولا يوجب هذا القدر . قلنا وما كان طلب صاحب ابن عباد لابي حيان الا لان هذا وضع كتاباً^(١) سماه مثالب الوزيرين ضمنه معائب ابي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما ومن كتبه ايضاً الامتاع والموائسة في مجلدين وكتاب الصديق والصدافة وكان موجوداً في السنة الاربعائة .

واليك الآن هذه المناظرة الغريبة :

قال ابو حيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي اكتب هذه المناظرة على التمام فان شيئاً يجري في ذلك المجلس النبیه وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ينبغي ان يقتنم سماعه وتوعى فوائده ولا يتهاون بشيء منه فكتبت : حدثني ابو سعيد بلغ من هذه القصة فاما علي بن عيسى النخوي الشيخ الصالح فانه رواها مشروحة قال : لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلثائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة : (وفيهم الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمرو وقدامة بن جعفر والزهرري وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فارس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طعج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان) اريد ان ينتدب منكم انسان لمناظرة متى في حديث المنطق فانه بقول لاسبيل الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من

(١) ابن خلكان في وفيات الاعيان

الشبهة والشك من اليقين الا بما حوته من المنطق وممكناته من القيام^(١) واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فاجم القوم واطرقوا فقال ابن الفرات : والله ان فيكم لمن يبي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب اليه واني لاعدم في العلم بحاراً وللدن واهله انصاراً وللحق وطلابه مناراً فما هذا التغامز والثلامن اللذان تجلون عنهما . فرفع ابو سعيد السيرافي رأسه وقال : اعذر ايها الوزير فان العلم المصون في الصدور غير العلم المعروف في هذا المجلس على الامماع المصيخة والعيون المحدقة والعقول الجامدة^(٢) والاباب النافذة لان هذا يستصحب الهيبة والهيبة^(٣) مكسرة ويحتلب الحيا والحياء مغلبة وليس البراز في معركة غاصة كالصراع في بقعة خاصة . فقال ابن الفرات : انت لها يا ابا سعيد فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك . فقال ابو سعيد : مخالفة الوزير فيما يأمره هجمة والاحتجان عن رأيه اخلاص الى التقصير ونعوذ بالله من زلة القدم واياه نسأل حسن التوفيق في الحرب والسلام ثم واجه متى فقال : حدثني عن المنطق ما تعني به فانا اذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطأه على سنن مرضي وعلى طريقة معروفة . قال متى : اعني به انه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيم وفاسد المعنى من صالحه كالميزان فاني اعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح . فقال له ابو سعيد : اخطأت لان صحيح الكلام من سقيم يعرف بالعقل ان كنا نبحت بالعقل هبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن من لك^(٤) بمعرفة الموزون اهو حديد او ذهب او شبه او رصاص واراك بعد معرفة الوزن فقيراً الى معرفة جوهر الموزون والى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عددها فعلى هذا لم تفعلك الوزن الذي كان عليه اعتمادك وفي تحقيقه كان اجتهادك الانفعاً يسيراً من وجه واحد وبقيت عليك وجوه فانت كما قال الاول

حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء

وبعد فقد ذهب عليك شيء هاهنا ليس كل ما في الدنيا يوزن بل فيها ما يوزن وفيها مايكال وفيها ما يذرع وفيها ما يمسح وفيها ما يحزر وهذا وان كان هكذا في الاجسام المرئية فانه ايضاً على ذلك في العقولات المقروءة والاحساس^(٥) ظلال العقول وهي

(١) لعله القياس (٢) كذا بالاصل (٣) ق -- (٤) ق ذلك

(٥) لعله والاجسام

تجكيها بالتبديد والتقريب مع الشبه المحفوظ والمائلة الظاهرة ودع هذا اذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة اهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفون بها من رسومها وصفاتها من اين يلزم الترك والهند والفرس والعرب ان ينظروا فيه ويتخذوه حكماً لهم وعليهم وقاضيا بينهم ما شهد له ^(١) قبلوه وما انكره ^(٢) رفضوه . قال متى : انما لزم ذلك لان المنطق بحث عن الاغراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفع للخواطر السائجة والسوانح الهاجسة والناس في المعقولات سواء الا ترى ان اربعة واربعة ثمانية عند جميع الامم وكذلك ما اشبه . قال ابو سعيد : لو كانت المطاويات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة الى هذه المرتبة البينة في اربعة واربعة انهما ثمانية زال الاختلاف وحضر الاتفاق ولكن ليس الامر هكذا ولقد موهت بهذا المثل ولكم عادة في مثل هذا التويه ولكن ندع هذا ايضا اذا كانت الاغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل اليها الا ^(٣) باللغة الجامعة للاسماء والانفعال والحروف . افليس قد لزمنا الحاجة الى معرفة اللغة . قال : نعم . قال اخطأت : قل في هذا الموضع بلى . قال متى : بلى انا اقلدك مثل هذا . قال ابو سعيد : فانت اذا لست تدعوننا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لاتعرف لغة يونان فكيف صرت تدعوننا الى لغة لاتني بها وقد عفت منذ زمان طويل وباد اهلها وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ويتفاهمون اغراضهم بتصرفها على انك تنقل من السريانية فما نقول في معان متوهلة ^(٤) بالنقل من لغة يونان الى لغة اخرى سريانية ثم من هذه الى لغة اخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض وادت المعاني واخلصت الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سلمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت وقومت وما حرفت ووزنت وما جزفت ولا نقصت ولا زادت ولا قدمت ولا اخرت ^(٥) ولا اخلت بمعنى الخاص والعام ولا باخص الخاص ولا باعم العام وان كان هذا لا يكون وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني فكأنك تقول بعد هذا لاجمة الاعقول يونان ولا برهان الا ما وصفوه ^(٦) ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه وعن كل ما يتصل به ويفصل عنه وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما انتشر وفشا ما فشا ونشأ ما نشأ من انواع العلم

(١) ق لم (٢) ق نكروه (٣) ق - (٤) امله متجولة (٥) ق اخرقت (٦) لعله

واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم . قال ابو سعيد : اخطأت وتعبت وملت مع الهوى
فان العلم ^(١) مبثوث في العالم ولهذا قال القائل

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل مبثوث

وكذلك الصناعات مفوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم في
مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة دون صنائه ^(٢) وهذا واضح والزيادة عليه
مشغلة ومع هذا فلانما كان يصح قولك ويسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع
الامم بالعصمة الغالبة والفطرة الناضرة والبنية الخالقة وانهم لو ارادوا ان
يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة نزلت عليهم والحق
تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم والرزائل بعدت عن
جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن ينظرهم وعناد ممن يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم
من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء ويصدقون في امور ويكذبون في امور
ويحسنون في احوال ويسئون في احوال وليس واضح المنطق يونان باسرها انما هو ^(٣)
رجل منهم وقد اخذ عن قبله كما اخذ عنه من بعده وليس هو حجة على هذا الخلق
الكثير والجم الغفير وله مخالفون منهم ومن غيرهم ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر
والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة فكيف يجوز ان يأتي رجل بشيء يرفع به هذا
الخلاف او يحلله او يؤثر فيه هيات هذا محال . ولقد بقي العالم بعد منطقته على ما كان
قبل منطقته وامسح وجهك بالسلاوة عن شيء لا يستطيع لانه مفتقد بالفطرة والطباع
وانت فلو فرغت بالك وصرفت عنايتك الى معرفة هذه اللغة التي نتحاورنا بها وتجارنا
فيها وتدرس اصحابك بمفهوم اهلها وتشرح كتب يونان بعادة اصحابها علمت انك غني عن
معاني يونان كما انك غني عن لغة يونان وهاهنا مسألة : انقول ان الناس عقولهم مختلفة
وانصباؤهم منها متفاوتة . قال متى : نعم . قال : وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة او
الاكتساب . قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز ان يكون هاهنا شيء لا يرتفع به الاختلاف
الطبيعي والتفاوت الاصلي . قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا . قال ابو سعيد :
فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ودع هذا اسألك عن حرف واحد هو دائر في
كلام العرب ومعانيه متميزة عند اهل العقل فاستخرج انت معانيه من ناحية منطق

(١) ق العالم (٢) امله بقعة (٣) ق —

ارسطاطاليس الذي تدل به ^(١) وتباهي بتفخيمه وهو الواو وما احكامه وكيف مواقفه وهل هو على وجه واحد او وجوه . فبهت متى وقال : هذا نحو والنحو لم انظر فيه لان لاحاجة بالمنطقي الى النحو والنحوي حاجة الى المنطق لان المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ فان مر المنطقي باللفظ فبالعرض وان عبر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى اشرف من اللفظ واللفظ اوضح من المعنى . قال ابو سعيد : اخطأت لان المنطق والنحو واللفظ والانفصاح والاعراب والانباء والحديث والاخبار والاستخبار والعرض والتعني والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمائلة الا ترى ان رجلا لو قال نطق زيد بالحق ولكن ماتكلم بالحق وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش واعرب عن نفسه ولكن ما افصح وابان المراد ولكن ما اوضح او فاه بحاجته ولكن ما لفظ او اخبر ولكن ما انبأ . لكان في جميع هذا مخرفاً ومناقضاً وواضعاً للكلام في غير حقه ومستعملاً للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة وانما الخلاف بين اللفظ والمعنى ان اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان يقفو اثر الطبيعة باثر آخر من الطبيعة ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان لان مستملي المعنى عقل والعقل الهى ومادة اللفظ طينية وكل طيني متناهت وقد بقيت انت بلا اسم لصناعتك التي ^(٢) تنحلها وآلتك التي تزهى بها الا ان تستعير من العربية لها اسماً فتعار ويسلم لك بمقدار وان لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من اجل الترجمة فلا بد لك ايضا من كثيرها من اجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة بك . قال متى : يكفيني من لغتكم هذا الاسم والفعل والحرف فاني اتبلغ بهذا القدر الى اغراض قد هذبتها لي يونان . قال ابو سعيد : اخطأت لانك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير الى وصفها ^(٣) وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز اهلها وكذلك انت محتاج بعد هذا الى حركات هذه الاسماء والافعال والحروف فان الخطأ والتعريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات وهذا باب انت واصحابك ورهطك عنه في غفلة نسي ان هاهنا سرّاً ما علق بك ولا اسفر لعقلك وهو ان تعلم ان لغة من اللغات لا تطابق لغة اخرى من جميع جهاتها بمحدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديد بها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها وشرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره وما اذن

احداً يدفع هذا الحكم او يسأل في صوابه ممن يرجع الى مسكة من عقل او نصيب من انصاف فمن اين يجب ان تثق بشيء ترجم لك علي هذا الوصف بل انت الى ان تعرف اللغة العربية احوج منك الى ان تعرف المعاني اليونانية علي ان المعاني لاتكون يونانية ولاهندية^(١) كما ان اللغات^(٢) لاتكون فارسية ولا عربية ولا تركية ومع هذا فانك تزعم ان المعاني حاصلة^(٣) بالعقل والفحص والفكر فلم يبق الا احكام اللغة فلم تزري علي العربية وانت تشرح كتب ارسطاطا ليس بها مع جهلك بمحتيقتها وحدثني عن قائل قال لك حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث بها حال قوم كانوا قبل واضع المنطق انظر كما نظروا^(٤) واتدبر كما تدبروا لان اللغة قد عرفت بالمشأ والوراثه والمعاني نفرت عنها بالنظر والرأي والاعتقاد والاجتهاد مانقول له لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الامر لانه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفت بها انت ولعالك تفرح بتقليدك وان كان علي باطل اكثر مما بفرح باستبداده وان كان علي حق وهذا هو الجهل المبين والحكم الغير مستبين . ومع هذا فحدثني عن الواو ماحكمه فاني اريد ان ابين ان تفخيمك للمنطق لا يعني عنك شيئاً وان تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها الى الحكمة اليونانية ومن جهل حرفاً واحداً امكن ان يجهل انغة بكاملها وان كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها فلعله يجهل ما يحتاج اليه ولا ينفعه فيه علم بما لا يحتاج وهذه رتبة العامة او هي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير فلم يتأني علي هذا وينكر ويتوهم انه من الخاصة وخاصة الخاصة وانه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس وصحيح البرهان وانما سألتك عن معاني حرف واحد فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها وطالبك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق والتي لها بالتجوز وسمعتكم تقولون « في » لا يعلم النخويون مواقعها وانما يقولون هي للوعاء كما يقولون ان الباء للالفاظ وان في ثقال علي وجوه يقال الشيء في الوعاء والاناء في المكان والسائس في السياسة والسياسة في السائس الا ترى هذا الشقيق^(٥) هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ولا يجوز ان يعقل هذا يعقول الهند والترك والعرب فهذا جهل من كل من يدعيه وخطأ من القول الذي افاض النخوي اذ قال « في للوعاء » فقد افصح بي في الجملة عن المعنى الصحيح وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ومثل هذا كثير وهو كاف في موضع السكيت . فقال

(١) ق هندية (٢) لعله « الاغراض » (٣) ق حاصلها (٤) نظرت (٥) كذا

ابن الفرات ايها الشيخ الموفق اجبه بالبيان عن مواقع الواو حتى تكون اشد في الخماه وحقق عند الجماعة ماهو عاجز عنه ومع ذلك فهو متشيع به . فقال ابوسعيد : للواو وجوه ومواقع منها معنى العطف في قولك اكرمت زيدا وعمراً ومنها القسم في قولك والله لقد كان كذا وكذا ومنها الاتئناف كقولك خرجت وزيد قائم لان الكلام بعده ابتداء وخبر ومنها معنى رب التي هي للتقليل نحو قوله

وقاتم الاعماق خاوي المخترقن^(١)

ومنها ان تكون اصلية في الالم كقولك واقد واصل وافد وفي الفعل كقولك وجل يوجل ومنها ان تكون متحمة نحو قول الله تعالى فلما اسما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه ومثله قول الشاعر

فلما اجزنا ساحة الحي وانفجى بنا بطن خبت ذي قفاف عة: قفل^(٢)

المعنى انفجى بنا ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته ومنها ان تكون بمعنى حرف الجر كقولك استوى الماء والخشبة اي مع خشبة . فقال ابن الفرات لتي : يا ابا بشر اكان هذا في نحوك^(٣) . ثم قال ابوسعيد : دع هذا هاهنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي اكثر من علاقتها بالشكل اللفظي مانقول في قول القائل زيد افضل الاخوة . قال : صحيح . قال : فمانقول ان قال زيد افضل اخوته . قال : صحيح . قال : فما الفرق بينهما مع الصحة فبلح وجنح وعصب ريقه .^(٤) فقال ابو سعيد : افتيت على غير بصيرة ولا استبانة المسألة الاولى جوابك عنها صحيح وان كنت غافلا عن وجه صحتها والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وان كنت ايضا ذاهبا عن وجه بطلانها . قال متى : بين ماهذا التبعين . قال ابو سعيد : اذا حضرت المختلفة^(٥) استفتدت ليس هذا مكان التدريس هو مجلس ازالة التلبس مع من عادته التوبه والتشبيه والجماعة تعلم انك اخطأت فلم تدعي ان النحوي انما ينظر في اللفظ لافي المعنى والمنطقي ينظر في المعنى لاي في اللفظ هذا كان يصح لو ان المنطقي يسكت ويحيل فكره في المعاني ويرتب ما يريد في الوهم السياح والخطاطر العارض والحدس الطارئ واما وهو يريد ان يبرز ماصح له بالاعتبار والتصفح الى المتعلم والمناظر فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده ويكون طباقا لغرضه وموافقا لقصده .

(١) البيت لروبة : فليراجع مغني ابن هشام (مصر ٢: ١٣٠ ٣٥: ٢) البيت لامريئ

القبس (٣) لمله : منطقتك (٤) لمله وغص بريقه (٥) يعني الثلاث

قال ابن الفرات يا ابا سعيد تم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لاهل المجلس والتبكيك عاملا في نفس ابي بشر . فقال ما اكره من ايضاح الجواب عن هذه المسألة الا ملل الوزير فان الكلام اذا طال مل . فقال ابن الفرات ما رغبت في سماع كلامك وبينني وبين الملل علاقة فاما الجماعة فخرصها على ذلك ظاهر . فقال ابو سعيد : اذا قلت زيد افضل اخوته لم يجوز واذا قلت زيد افضل الاخوة جاز والفصل بينهما ان اخوة زيد هم غير زيد وزيد خارج من جملتهم وذلك دليل ^(١) انه لو سأل سائل فقال من اخوة زيد لم يجوز ان نقول زيد وعمرو وبكر وخالد وانما نقول بكر وعمرو وخالد ولا يدخل زيد في جملتهم فاذا كان زيد خارجا عن اخوته صار غيرهم فلم يجوز ان يكون افضل اخوته كما لم يجوز ان يكون حمارك افضل البغال لان الحمار غير البغال كما ان زيدا غير اخوته فاذا قلت زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة والاسم يقع عليه وعلى غيره فهو بعض الاخوة الا ترى انه لو قيل من الاخوة عدده فيهم فقلت زيد وعمرو وبكر وخالد فيكون بمنزلة قولك حمارك افره الحمير فلما كان على ما وصفنا جاز ان يضاف الى واحد منكور يدل على الجنس فتقول زيد افضل رجل وحمارك افره حمار فيدل رجل على الجنس كما دل الرجال وكما في عشرين درهما ومائة درهم . فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان من يدول قد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الانقياد . فقال ابو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المتقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك وان زاغ شيء عن النعت فانه لا يخلو من ان يكون سائغا ^(٢) بالاستعمال النادر والتأويل البعيد او مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم فاما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عليهم وكل ذلك محصور بالتبع والرواية والسماع والقياس المطرد على الاصل المعروف من غير تحريف وانما دخل العجب على المنطقيين لظنهم ان المعاني لا تعرف ولا تستوضح الا بطريقهم ونظروهم وتكلفهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون بترجمة اخرى هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة وادعوا على النحويين انهم مع اللفظ لاعم المعنى . ثم اقبل ابو سعيد على متى فقال : الا تعلم يا ابا بشر ان الكلام اسم واقع على اشياء قد اختلفت بمراتب

مثال ذلك انك تقول هذا ثوب والثوب يقع على اشياء بها صار ثوباً ثم به نسج بعد ان غزل فسداته لا تكفي دون لحته ولحته لا تكفي دون سداته ثم تأليفه كنسجه وبلاغته كقصارته وردة سلكه كركة لفظه وغلظ غزله ككثافة حروفه ومجموع هذا كله ثوب ولكن بعد مقدمة كل ما يحتاج اليه فيه . قال ابن الفرات : سله يا ابا سعيد عن مسألة اخرى فان هذا كلما توالي عليه بان انقطاعه وانخفاض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره والحق الذي لا ينصره . قال ابو سعيد : ما نقول في رجل قال لهذا علي درهم غير قيراط . قال متى مالي علم بهذا النمط . قال : لست نازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين انك صاحب محرفة وزرق هاهنا ماهو اخف من هذا قال رجل لصاحبه : بكم الثوبان المصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغين بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ . قال متى : لو نثرت انا ايضا عليك من مسائل المنطق شيئاً لكانت حالك كحالي . قال ابو سعيد : اخطأت لانك اذا سألتني عن شيء انظر فيه فان كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية اجبت ثم لا ابالي ان يكون موافقاً او مخالفاً وان كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك وان كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد على ما حثتم به كتبكم رددته ايضا لانه لا سبيل الى احداث لغة مقررة بين اهلها ما وجدنا لكم الا ما استمرتم من لغة العرب كالسبب والا^(١) والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمخصوص وامثلة لاتنفع ولا تجدي وهي الى العي اقرب وفي الفهاة اذهب ثم انتم هؤلاء في منطقكم على نقض ظاهر لانكم لاتفون بالكتب ولا هي مشروحة وتدعون الشعر ولا تعرفونه وتدعون الخطابة وانتم عنها في منقطع التراب وقد سمعت قائلكم يقول الحاجة ماسة الى كتاب البرهان فان كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب وان كانت الحاجة قد مست الى ما قبل البرهان فهي ايضا ماسة الى ما بعد البرهان والا فلم صنف مالا^(٢) يحتاج اليه ويستغنى عنه هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وبرق وانما بودكم ان تشغلوا جاهلاً وتشدلوا عزيزاً وغابتكم ان تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص وتقولوا الهلية والالينية والمماهية والكيفية والكمية والذاتية والرضية والجوهرية والهيولية والصورية والانسية والكسبية والنفسية ثم لنطون ونقولون جئنا بالسحر في قولنا * لافي شيء من باء وواو وجيم في بعض باء وفاء في بعض

جيم والا في كل ب وج في كل ب فاذن لافي كل ج ^(١) وهذا ^(٢) بطريق الحلف ^(٣) وهذا بطريق الاختصاص وهذه كلها جزافات وترهات ومغالتي وشبكات ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه واثارت نفسه استغنى عن هذا كله بعون الله وفضله وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي واثارة النفس من منائح الله الهية ^(٤) ومواهبه السنية يختص بهامن يشاء من عباده وما اعرف لاستطالتم بالمنطق وجهاً وهذا الناشئ ابو العباس قد نقض عليكم وتبع طريقكم وبين خطأكم وبرز ضعفكم ولم تقدروا الى اليوم ان تردوا عليه كلمة واحدة مما قال وما زدتم على قولكم « لم يعرف اغراضنا ولاوقف على مرادنا وانما تكلم على وهم » وهذا منكم الحاجة ونكول ورضي بالعجز والكلول وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض هذا قولكم في فعل وينفعل ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ولم تتفقوا على متاسمهما لانكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يفعل وقبول الفعل من ينفعل ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ومعارف ذهبت عنكم وهذا حكمكم في الاضافة فالما البدل ووجوهه والمعرفة واقسامها والنكرة ومراتبها وغير ذلك مما يطول ذكره فليس لكم فيه مقال ولا مجال وانت اذا قلت لانسان كن منطقياً فانما تريد كن عقلياً او اقل او اعقل ما نقول لان اصحابك يزعمون ان المنطق هو العقل وهذا قول مدخول لان المنطق على وجوه انتم منها في سهو واذا قال لك آخر كن نحوياً لغوياً فصيحاً فانما يريد افهم عن نفسك ما نقول ثم رم ان يفهم عنك غيرك وقد ر اللفظ على المعنى فلا ينقص منه هذا اذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به فاما اذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد فاحل اللفظ بالروادف الموضحة والاشباه المقربة والاستعارات الممتعة وسد المعاني بالبلاغة اعني لوح منها شيئاً حتى لا تصاب الا بالبحث عنها والشوق اليها لان المطلوب اذا ظفر به على هذا الوجه عز وجل وكرم وعلا وشرح منها شيئاً حتى لا يمكن ان يمتري فيه او يتعب في فهمه او يسترح ^(٥) عنه لا غمناضه فهذا المعنى يكون جامعاً لحقائق الاشياء ولاشباه الحقائق وهذا باب ان استقصية خرج عن غلط ما نحن عليه في هذا المجلس على اني لا ادري ايؤثر ما قول ام لا ثم قال حدثنا هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين او رفعتم بالخلاف بين اثنين اترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت ان الله ثالث ثلاثة وان الواحد اكثر من واحد

(١) الصواب هو « لافي شيء من ب وان ج في بعض ب فاذن لافي كل ج والا في

كل ب وج في كل ب فاذن في بعض ج » (٢) الصواب « وذلك » (٣) لعله الخلاف

(٤) لعله الهية (٥) لعله يتزح

وان الذي هو اكثر من واحد هو واحد وان الشرع ما تذهب اليه والحق ما نقوله هيئات هاهنا امور ترفع عن دعوى اصحابك وهذيانهم وتندق عن عقولهم واذهانهم ودع هذا هاهنا مسألة قد اوقعت خلافاً فارفع ذلك الخلاف بمنطقك قال قائل « لفلان من الحائظ الى الحائظ » ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان فقد قال ناس له الحائظان معاً وما بينهما وقال آخرون : له انصف من كل منهما وقال آخرون : له احدهما هات الآن آبتك الباهرة ومعجزتك القاهرة واني لك بهما وهذا قد بان بغير نظرك ونظر اصحابك ودع ايضا قال قائل « من الكلام ما هو مستقيم حسن ومنه ما هو مستقيم كذب ومنه ما هو خطأ » فسر هذه الجملة واترض عليه عالم آخر فاحكم انت بين هذا القائل والمعترض وارنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب وبين الحق والباطل فان قلت كيف احكم بين اثنين احدهما قد سمعت مقالة، والاخر لم احصل علي^(١) اعتراضه قيل لك استخرج بنظرك الاعتراض ان كان ما قاله محتملاً له ثم اوضح الحق منهما لان الاصل مسموع لك حاصل عندك وما يصح به او يطرد عليه يجب ان يظهر منك فلا تنعاسر علينا فان هذا لا ينبغي علي احد من الجماعة فقد بان الآن ان مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة وليس في قوة اللفظ من اي لغة كان ان يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراً ولا يدع شيئاً من داخله ان يخرج ولا شيئاً من خارجه ان يدخل خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد اعني ان ذلك يخلط الحق بالباطل ويشبه الباطل بالحق وهذا الذي وقع الصحيح منه في الاول قبل وضع المنطق وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق وانت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم ووقفت علي غورهم في قطرهم وغوصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم لما يرد عليهم وسعة تنسيقهم للوجوه المحتملة والكنيات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة لحققت نفسك وازدريت اصحابك ولكان ما ذهبوا اليه وتابعوا عليه اقل في عينك من السها عند القمر ومن الحصا عند الجبل . اليس الكندي وهو علم في اصحابك يقول في جواب مسألة « هذا من باب عدة » فعد الوجوه بحسب الاستطاعة علي طريق الامكان من ناحية الوهم بلا ترتيب حتى وضعوا له مسائل من هذا وغالطوه بها واروه من الفلسفة الداخلة فذهب عليه ذلك الوضع فاعتقد انه^(٢) مريض العقل

فاسد المزاج حائل الغريزة مشوش اللب قالوا له : اخبرنا عن الاسطغسقات الاجرام واصططكاك^(١) تضاعط الاركان هل يدخل في باب وجوب الامكان او يخرج من باب فقدان الى مايجني عن الازدهان وقالوا له ايضا : ما تشبيه^(٢) الحركات الطبيعية الى الصور الهولائية وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان او مزايلة له على غاية الاحكام ماثأثير فقدان الوجدان في عدم الامكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهره مالا وجوب له في امكان اصله وعلى هذا فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركائز والضعف والفساد والفسالة والسخف ولولا التوقي من التطويل لسردت ذلك كله ولقد مر بي في خطه التفاوت في تلاشي الاشياء غير محاط به لانه بلا في الاختلاف في الاصول والاتفاق في الفروع وكل ما يكون على هذا النهج فالتكرة^(٣) تزامم عليه المعرفة والمعرفة تناقض التكرة على ان التكرة والمعرفة من باب الالسنه^(٤) العارية من ملابس الاسرار الالهية لا من باب الالهية العارضة في احوال السرية « ولقد حدثني اصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الثكلى ويشمت العدو ويغم الصديق وما ورث هذا كله الا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق ونسأل الله خصمة وتوفيقاً نهتدي بهما الى القول الراجع الى التحصيل والفعل الجاري على التعديل انه سميع مجيب . قال ابو حيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ الصالح باملائه وكان ابو سعيد روي لمعا من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل ما قلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضا وقد اختل كثير منه . قال علي بن عيسى : وثقوض المجلس واهله يتعجبون من جأش ابي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتابعة وقال له الوزير ابن الفرات : عين الله عليك ايها الشيخ فقد نديت اكباداً واقررت عيوناً وبيضت وجوهاً وحكت طرازاً لا يلبيه الايام ولا بتطرقة الحدثنان . قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ قال مولده سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب بلهازمه هذا مع السم والوقار والدين والجد وهذا شعار اهل الفضل والتقدم وقل من تظاهروا وتحلى بحليته الا جل في العيون وعظم في الصدور والنفوس واحبته القلوب وجرت بمدحه الالسنه . وقلت لعلي بن عيسى : اكان ابو علي الفسوي

(١) لعله اصططكاك الاسطغسقات والاجرام تضاعط (٢) لعله نسبة (٣) ق والتكرة

(٤) ق البسة

حاضراً في المجلس قال : لا كان غائباً وحدث بما كان وكان الحشد لابي سعيد علي ما فاض
به من هذا الخبر المشهور والثناء المذكور . قال ابو حيان : وقال لي الوزير عند منقطع هذا
الحديث ذكرني شيئاً كان في نفسي واحببت ان اسألك عنه واقف عليه اين ابو سعيد من
البحرين واين علي بن عيسى منهما واين المراغي ايضاً من الجماعة وكذلك المرزباني واين
شاذان واين الوداق واين حيويه فكأن من الجواب ما تقدم ذكره .



التلغراف

سعي ركضاً رسول الكهرباء	علي اسلاكه فوق الهواء
جري متدفقاً من دون صوت	كما تجري الاشعة من ذكاء
وطار بأرضنا برأً وبحراً	كما طارت بروق في السماء
وقد اوحى برمز جاء خطاً	بأقصى المذن يقرأ في جلاء
اصم سامعٌ اقوال دات	واخرس ناطقٌ يبراد ناء
جماد كالم من غير كف	حروفاً لتسن من هذا الهجاء
به التليخ تصريح جلي	به الايجلز تطويل لراء
وليس يريه حر وبرد	فيجري في المصيف وفي الشتاء
يقابل ضغط اعصار بير	وتياراً يهيج موج ماء
تجلى في الضياء وفي الدباجي	ليوصل ما يشاء بلا وفاق
فيشبه في سكينته فؤاداً	يمد الجسم في خير الغذاء
كذا اسلاكه تحكي عروفاً	قد امتدت بجثمان الفضاء
واعصاباً بها الاحساس يجري	لادمغة كجرب الكهرباء
تسير بطيها الانباء تحي	عوالم ارضنا سير الدماء
فسبحان الذي اهدى عقولاً	الى كشف القناع عن الخفاء

عيسى اسكندر المعلوف



العرب

العرب مات المشهورم
 ولي غولي بعده
 وظلمت للهم
 لا اجتلي للعلم الا
 واذا دعوت الى الهدى
 وطفقت اندب حلم
 واقول ان عمادنا
 عافوا اللهجة واتبنوا
 قد كنت اطمع ان ارى
 فوجدته من كل علم
 فرشته وانصيته
 وتقطعت اعشطار قل
 يا عرب ان خمولكم
 شجى الحب عيا شجا
 فنى العمود الى الملى
 وايت ممغبطا اج
 فسعادتى بلبان الكرا
 ان تصبح للعرب الاذل
 وتعيد جعدا كان بال
 وتكون نورا للبر
 وتشيد في ريع الملا
 فتسوء حسادا نكا
 هذيه سعادتى التي
 وهي الشفاء لعلتي

فلندبه دهرك باكيا
 انسي وساء ما ليا
 رح والشقاء مؤاخيا
 شائنا او قاليا
 قومي ورحت مناديا
 ندب الربوع خواليا
 يا قوم اصبح واهيا
 لا يسمعون وعائيا
 وطني بهيجا زاهيا
 او علا خالجا
 وسكنت معا غاليا
 بي حيرة وفؤاديا
 ترك المقلوب دولما
 ففدا حزينا آسيا
 فانال صاح مراديا
 ر من الجبور ودائيا
 م وبغيتى ومراميا
 م سادة ومواليا
 لم المرجب حظيا
 م سلفا لارف هاديا
 م معاهدا ومبائيا
 م فضلا واعاديا
 انا ناشد وهائيا
 وهي الدواء لدائيا

مَنْظُومَةُ الْعُقَلَاءِ وَنَزَمَهُ الْفَضْلَاءُ

روضة العقلاء ونزحه الفضلاء

الامام ابي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ صححه محمد امين افندي الخالنجي
بعد قراءة الاصل تلى الشيخ طاهر الجزائري طبع بمطبعة « كردستان العلمية » بمصر
سنة ١٣٢٨ ص ٢٦٧

علم الاخلاق كما قال ابن ساعد علم يعلم منه انواع الفضائل وكيفية اكتسابها وانواع
الرزائل وكيفية اجتنابها وموضوعه الملكات النفسية من الامور العادية ومنفعته ان
يكون الانسان كاملا في افعاله بحسب امكانه لتكون أولاده سعيدة وأخراه حميدة .
وجميع ما طبع حتى الآن من كتب هذا الفن الجليل مفيد في بابه نافع لطلابه مثل كتاب
الذريعة في مكارم الشريعة للراغب الاصفهاني وتفصيل النشأتين له وادب الدنيا والدين
للماوردي والفوز الاصغر لابن مسكويه وتهذيب الاخلاق له ايضا ومداداة النفوس
لابن حزم ورسائل اخوان الصفا وحكم ابن عطاء الله السكندري وقواعد التصوف
لابن زروق والطب الروحاني للشيرازي ومعظم احياء علوم الدين للغزالي وبعض فصول
الفتوحات المكية لابن عربي وغير ذلك من كتب التصوف الصحيح

وهذا السفر من اجل الكتب التي احييت هذه الآونة بمعرفة استاذنا الشيخ طاهر
الجزائري فحاء الفرع والاصل متساويين في المحاسن وقد قال عنه في التذكرة الطاهرية
الذي وضعه استاذنا في فوائد متفرقة في وصف الكتب النافعة الكثيرة التي يطلع عليها
قوله . « وقفت في ذي الحجة سنة ١٣٢٧ على كتاب روضة العقلاء للامام الحافظ
الاجل ابي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي احد افراد الدهر فوجدته كتابا من اجل
الكتب وانفعها قصد فيه مؤلفه بيان ما يحتاج اليه العقلاء في ايامهم على اختلاف
احوالها وهو من المطالب العالية التي يحرص عليها كل عاقل غير غافل . وليس
الرجال باحق بالاستفادة منه من ربات الحجاب وقد ابتدأ كل مطلب
بحديث ثابت يتعلق به واتبعه بما قصد بيانه ووشاه بشواهد كثيرة مما
قاله فيه شعراء الحكماء وحكاية الشعراء وجرى في عبارته على نهج من
اوتوا الحظ الادنى من البيان فيعبر بالعقلاء ان يروضوا انفسهم في روضتهم
مجتنبين من اثمارها ومجملين لازهارها »

والمؤلف من جلة العلماء المكثرين من التأليف^(١) المجودين فيما كتبوا وكتابه هذا على ما نعلم طبع لأول مرة وقد ترجم له ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال ما محصله : « أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البلالمة الفاضل المنقن كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيخوخة عالماً بالمتون والاسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم ان الرجل كان يجرأ في العلوم سافر ما بين الشاش والاسكندرية وادرك الائمة والعلماء والاسانيد العالية وكان من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق اليه وولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن وكانت الرحلة بجزاسان الى مصنفاته . قال ابو بكر احمد بن ثابت : ومن الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واصفها مصنفات ابي حاتم محمد ابن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ووقفني على تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لانها غير موجودة بيننا ولا معروفة وانا اذكر منها ما استحسنته سوى ما عدلت عنه واطرحته . فمن ذلك كتاب الصحابة خمسة اجزاء وكتاب التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب اتباع التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزءاً وكتاب تبع التابع عشرون جزءاً وكتاب الفصل بين النقلة عشرة اجزاء وكتاب علل اوهام اصحاب الدوايخ عشرة اجزاء وكتاب علل حديث الزهري عشرون جزءاً وكتاب علل حديث مالك عشرة اجزاء وكتاب علل مناقب ابي حنيفة ومثاله عشرة اجزاء وكتاب علل ما استند اليه ابو حنيفة عشرة اجزاء وكتاب ما خالف الثوري في شعبة ثلاثة اجزاء وكتاب ما انفرد فيه اهل المدينة من السنن عشرة اجزاء وكتاب ما انفرد به اهل مكة من السنن عشرة اجزاء وكتاب ما عفا شعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزآن وكتاب غرائب الاخبار عشرون جزءاً وكتاب ما غرب الكوفيون عن البصريين عشرة اجزاء وكتاب ما غرب البصريون عن الكوفيين ثمانية اجزاء وكتاب أسامي من يعرف بالكشي ثلاثة اجزاء وكتاب كشي من يعرف بالاسامي ثلاثة اجزاء وكتاب الفصل والوصل عشرة اجزاء وكتاب التمييز بين حديث النضر الحمداني والنضر الحزاز جزآن وكتاب الفصل بين حديث اشعث بن مالك واشعث بن سوار جزآن وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان ثلاثة اجزاء وكتاب الفصل بين مكحول الشامي ومكحول الازدي

جزء وكتاب موقوف مرفوع عشرة اجزاء وكتاب آداب الرجال جزآن وكتاب ما اسند جنادة عن عبادة جزء وكتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزء وكتاب ماجعل عبدالله بن عمر عبيدالله بن عمر جزآن وكتاب ماجعل شيبان سفيان اوسفيان شيبان ثلاثة اجزاء وكتاب مناقب مالك بن انس جزآن وكتاب مناقب الشافعي جزآن وكتاب المعجم على المدين عشرة اجزاء وكتاب المقلين من الحجاز بين عشرة اجزاء وكتاب المقلين من العراق بين عشرة جزآن وكتاب الابواب المتفرقة ثلاثون جزآن وكتاب الجمع بين الاخبار المتضادة جزآن وكتاب وصف المعدل والمعدل جزآن وكتاب مفصل بين حدثنا واخبرنا جزء وكتاب وصف العلوم وانواعها ثلاثون جزآن وكتاب الهداية الى علم السنن قصد فيه اظهار الصنائع الثنتين هما صناعة الحديث والفقه بذكر حديثاً وترجم له ثم يذكر من يتفرد بذلك الحديث ومن مفاريد اي بلد هو ثم يذكر كل اسم في استاده من الصحابة الى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله ويطهقه ثم يذكر ما في ذلك الحديث من الفقه والحكمة فان عارضه خبر ذكره وجمع بينهما وان تضاد لفظه في خبر آخر تطف للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقه والحديث معاً وهذا من انبل كتبه واعزها .

قال ابو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر يعني السجزي فقلت له : اكل هذه الكتب موجود عندكم ومقدور عليها ببلاذكم فقال انما يوجد منها الشيء اليسير والزر الحقيق .

قال وقد كان ابو حاتم بن حبان سبل كتبه ووقفها وجمعها سيف دار رسمها بها فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيش والفساد على اهل تلك البلاد . قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب ان يكثر بها النسخ فيتنافس فيها اهل العلم ويكتبونها ويحفظونها احرازاً لها ولا احسب المانع من ذلك كان الا قلة معرفة اهل تلك البلاد بحمل العلم وفضله وزهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به والله اعلم .

قال الامام تاج الاسلام : وحصل عندي من كتبه بالاستناد المتصل سماعاً كتاب التقاسيم والانواع خمس مجلدات وكتاب روضة العقلاء وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب مثل كتب الهداية الى علم السنن من اوله قدر مجلدين وله وهو أشهر من هذه كلها كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الايمان وكتاب

صفة الصلاة . وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين في الامصار والاقطار عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم جعل داره مدرسة لاصحابه ومسكناً للغرباء الذين يقيمون بها واهل الحديث والمفقهة ولم جرايات يستنفقونها داره وفيها خزانة كتبه في يدي وصي سلمها اليه ليبيدها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير ان يخرج منه . قال الحاكم : ابو حاتم كبير في العلوم وكان يحسد انضله ونقدمه . وصنف لابي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة وتوفي سنة ٣٥٤ ودفن في الصفة التي ابتناها بمدينة بسمت بقرب داره اه

هذا هو الرجل العظيم الذي اغفل ذكره كتاب التراجم والباحثون في آثار السلف كصاحب وفيات الاعيان وفوات الوفيات وصاحب الفهرست وصاحب كشف الظنون ومع هذا لم يغفل عنه ياقوت وترجمه بما هو اهله . وكف في هذه الامة من ضاعت تراجمهم وغابت عنا اعمالهم اضعف في مدارك اهل بلدهم وعمم النفوس في ديارهم وحسد نالهم وهي العلامة المميزة للمصلحين والصالحين التي كثيراً ما أصيبوا بتأثيراتها الضارة .

اما الكتاب الذي نشر اليوم فهو روضة علم وادب واخلاق قسمه الى مطالب في ادب النفس ناهزت الخمسين مطلباً مثل لزوم التقوى والعلم والصمت والصدق والحياء وترك القحة ولزوم التواضع وبجانب الكبر والتعجب الى الناس ومداراتهم وافشاء السلام والمزاح المباح والاعتزال عن الناس وموآخاة الخاصة وكراهية المعاداة والتلون وبجانب الحرص للعاقل والتحاسد والتباغض وبجانب الغضب والطمع ولزوم الفناعة والتوكل والرضا والعفو وصفة الكرم واللئيم والزجر عن قبول الوشاة وكمثال السر والنصيحة للمسلمين كافة والزجر عن التهاجر ولزوم الحلم عند الاذى واباحة جمع المال للقائم بحقوقه والحث على اقامة المروآت والزجر عن قبول الهدايا وقضاء الحوائج والحث على طلب المعالي واطعام الطعام والمجازاة على الضائع والحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية وغير ذلك مما يستفيد منه الكبير والصغير ويتأدب به الامير والاجير ويغني غناه للرجال والنساء على السواء

يفتح المؤلف كل فصل بحديث صحيح ثم يشفعه بكلام منظوم او منشور ينقله بالرواية ومنظومه كله مما يجدر بالناشئة حفظه لسلاسته وكثرة حكمه ثم يتكلم ابو حاتم من عنده كلاماً يدل على العقل الواسع والعلم النافع وجسن المأني ولطف الاداء وقد يورد سيفه اكثر النصوص قصيدة تروق العلمة والخاصة معاً . نسق تأليفه تنسيقاً عجيباً لم يحفل به من

اوله الى آخره حتى جاءت المطالب كلها متساوية بالحجم والفائدة آخذة من الحسن والاحسان بنصيب وافر . فجودة الاسلوب La methode التي عرفت بهامصنفات الافرنج لعمدنا تجدها على اتمها في المجودين للتأليف في عصور الارتفاع الاسلامي وهذا الكتاب نموذج صالح منها

واليك الآن مثالا من عبارة المؤلف تستدل منها على مبلغه من الحذق والعلم والبيان . قال ابو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب في الاشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب والعاقل يكون حسن المأخذ في صغره صحيح الاعتبار في صباه حسن العفة عند ادراكه رضي الشرائع في شبابه ذا الرأي والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوه (خطوة) ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها لان من جاوز الغاية في كل شيء صار الى النقص ولا ينفع العقل الا بالاستعمال كما لا تنفع الاعوان الا عند الفرصة ولا ينفع الرأي الا بالاتصال كما لا تتم الفرصة الا بحضور الاعوان . ومن لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه اخاف ان يكون حنفا في اقرب الاشياء اليه . ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل ان يكون والواجب على العاقل ان يمتنع اشياء ثلاثة فانها اسرع في افساد العقل من النار في بيس العوسج : الاستغراق في الضحك وكثرة التمني وسوء الثبوت . لان العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ولا يسعى الا لما يدرك ولا يعد الا بما يقدر عليه ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ولا يطلب من الجزاء الا بقدر ما عنده من الغناء ولا يفرح بما نال الا بما اجدى عليه نفعه منه والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ولمعرفته رفقته ومحضره ولعدوه عدله وبره والعاملة بشره وتحيته ولا يسعثن الا بمن يجب ان يظفر بحاجته ولا يحدث الا من يرى حديثه مغنيا الا ان يغلبه الاضطراب عليه ولا يدعي ما يحسن من العلم لان فضائل الرجال ليست ما ادعوها ولكن مانسبها الناس اليهم ولا يالي ما فاته من حطام الدنيا مع مارزق من الحظ في العقل . اشدني عبد الرحمن ابن محمد المقاتلي

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى يكون كذي رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجي يكون كذي نعل وليست له رجل

قال ابو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وان عدم المال بان تصرف مساوي اعماله الى الحاسن فنجعل البلادة منه علما والمكر عقلا والهدر بلاغة والحدة ذكاء والغي صمتا والعقوبة تأديبا والجرأة عزما والجبن تانيا والاسراف جودا والامساك تقديرا فلا

تكاد ترى عاقلاً الا موقراً للرؤساء ناصحاً للافران موافقاً للاخوان متحرراً من الاعداء
غير حاسد للاصحاب ولا مخادع الاحباب لا يتعشرش بالاشرار ولا يبخل في الغنى ولا يبشره
في الفاقة ولا يتنادى للهوى ولا يجمع في الغضب ولا يبرح في الولاية ولا يمتنى مالا يجسد
ولا يكتنز اذا وجد ولا يدخل في دعوى ولا يشارك في مرء ولا يدلي بحجة حتى يرى
قاضياً ولا يشكو الوجع الا عند من يرجو عنده البرء ولا يمدح احداً الا بما فيه لان من
مدح رجلاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجاءه ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف
للسخرية . والعاقل يكرم على غير حال كالاسد يهاب وان كان رابضاً وكلام العاقل
يعتدل كاعتدال جسد الصحيح وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض وكلام
العاقل وان كان نزرأ خطوة عظيمة كما ان مقارفة المأثم وان كان نزرأ مصيبة جليلة
ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه وآفة العقل العجب بل على العاقل ان
يوطن نفسه على الصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك مما لا يحيطيه
على ممر الايام ولا يجب للعاقل ان يحب ان يسمى به لان من عرف بالدهاء حذر ومن
عقل العاقل دفن عقله ما استطاع لان البذر وان خفي في الارض اياماً فانه لابد ظاهر في
اوانه وكذلك العاقل لا يخفي عقله وان اخفى ذلك جهده واول تمكن المرء من مكارم
الاخلاق هو لزوم العقل ٥

ومن الحكايات التي ساقها قوله : سمعت اسحق بن احمد القطان البغدادي يستتر
يقول : كان لنا جار ببغداد كان اسمه طيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم
فقال لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموماً مكروباً فقلت : مالك يا ابا
عبدالله . قال : خير . قلت : ومع الخير . قال : امتحنت بملك الحنة حتى ضربت ثم
عالجوني وبرأت الا انه بقي في صليبي موضع بوجعني هو اشد علي من ذلك الضرب .
قال : قلت اكشف لي عن صلبك قال : فكشف لي فلم اراه فيه الا اثر الضرب فقط
فقلت : ليس لي بذي معرفة ولكن سأستخبر عن هذا قال : فخرجت من عنده حتى اتيت
صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له : ادخل الحبس في حاجة قال :
ادخل فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دربهات فرقتها عليهم وجعلت احدهم حتى
انسوا بي ثم قلت : من منكم ضرباً اكثر قال : فاخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم
انه اكثرهم ضرباً واشدهم ضرباً قال : فقلت له اسألك عن شيء فقال : هات فقلت :
شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة الا انه لم

بمت وعالجوه وبرأ الا ان موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر قال : فضحك
فقلت : مالك قال : الذي عاجله كان حائكاً . قلت : ايش الخبر . قال : ترك في صلبه
قطعة لحم ميتة لم يقلعها قلت : فما الحيلة قال : يبسط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها
وان تركت بلغت الى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس فدخلت على احمد بن
حنبل فوجدته على حاله فقضيت عليه القصة . قال : ومن يبطه . قلت : انا قال :
او تفعل قلت : نعم قال : فقام فدخل البيت ثم خرج ويده ممدتان وعلى كتفه فوطه
فوضع احدهما لي والاخرى له ثم قعد عليها وقال استغفر الله فكشفت الفوطه عن صلبه
وقلت ارني موضع الوجع فقال : ضع اصبعك عليه فاني اخبرك به فوضعت اصبعي وقلت :
هاهنا موضع الوجع . قال : ههنا احمد الله على العافية فقلت : ههنا قال : هاهنا احمد الله
على العافية فقلت : هاهنا قال : هاهنا اسأل الله العافية قال : فملت انه موضع الوجع قال :
فوضعت الموضع عليه فلما احس بحرارة الموضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم
اغفر للمعصم حتى ببطته فاخذت القطعة الميتة ورميت بها وشدت العصاة عليه وهو
لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعصم . قال : ثم هداً وسكن ثم قال : كأني كنت معلقاً
فاصدرت قلت : يا ابا عبد الله ان الناس اذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيك تدعو
للمعصم قال : اني فكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت
ان آتي يوم القيامة وبينى وبين احد من قرابته خصوصاً هو مني في حل اه

ومن اجل الفصول التي استشهد بها المؤلف وصية الخطاب بن المعلى الخزومي ابنه
قال : اخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا ابو حاتم محمد بن ادريس الخنظلي حدثني عبد
الرحمن بن ابي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلى الخزومي القرشي انه وعظ ابنه فقال :
يا بني عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعامله ، حتى تصح عيوبك ،
وتقر عينك ، فانها لا تخفى على الله خافية ، واني قد سميت لك رسماً ، ووضعت لك رسماً ،
ان انت حفظته ووعيته وعملت به ملأت اعين الملوك ، وانتقاد لك به الصعلوك ، ولم
تزل مرتجى مشرفاً يحتاج اليك ، ويرغب الى ما في يدك ، فأطع اباك ، واقتصر على
وصية ابيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولبك ، واياك وهذر الكلام ،
وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الاخوان فان ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشجناء ،
وغلاق بالزانة ، والثور من غير كبر يوصف منك ، ولا خلاء تحكي عنك ، والحق

صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الاذى ، من غير ذلة لم ، ولا هبة منهم ، وكن في جميع امورك في اوسطها ، فان خير الامور اوسطها ، وقلل الكلام ، وافش السلام ، وامش متمكناً قصدا ولا تحظ برجلك ، ولا تسحب ذباك ، ولا تلوعنك ولا رداءك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات . ولا تقف على الجماعات . ولا تغخذ السوق مجلسا ولا الحوانيت متحدثا . ولا تكثر المراء . ولا تنازع السفهاء . فان تكلمت فاختصر . وان مزحت فاقصر . واذا جلست قتر ب . وتحفظ من تشبيك اصابعك وتفتيعها . والعيب بلحيتك وخاتمك . وذوابة سيفك . وتحليل اسنانك . وادخال يدك في انفك . وكثرة طرد الدباب عنك . وكثرة الثأوب والتمطي . واشباه ذلك مما يستخفه الناس منك . ويفتخرون به فيك . وليكن مجلسك هاديا . وحديثك مقسوما . واصغ الى الكلام الحسن من حدثك بغير اظهار عجب منك . ولا مسألة اعادة . واغض عن الفكاهات . من المضحك والحسكيات . ولا تحدث عن عجايبك بولدك ولا جاريتك . ولا عن فرسك ولا عن سيفك .

واياك واحاديث الرويا فانك ان اظهرت عجايب شي منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الاحلام واغتمروا في عقلك ولا تصنع تصنع المرأة ، ولا تبدل تبدل العبد ، ولا تهلب^(١) لحيشك ولا تبطنها ، وتوق كثرة الخلف ، ونف الشيب ، وكثرة الكحل ، والاسراف في الدهن ، وليكن كحك غبا ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تنزع في الطلبات ، ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مالك ، فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم ، وان كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، ولن لهم في غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، واذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب من عجايبك ، وتفكر في جحمتك ، واري الحاكم شيئا من حكمك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تخز على ركبتيك ، وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين ، وان سق عليك فاحلم ، واذا هدا غضبك فتكلم ، واكرم عرضك ، والى الفضول عنك ، وان قريك سلطان ، فكن منه على حد السنان ، وان استرسل اليك ، فلا تأمن انقلابه عليك ، وارفق به رفقا بالصبي ، وكلما بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من الطافه اياك ، وخاصته بك ، ان تدخل بينه وبين احد من ولده واهله وحشمه ، وان كان لذلك منك مستمعا ، وللقول منك مطيعا ، فان سقطه

(١) هلب الشعر نشف ما غلط منه . وتبطين الحية ان لا يؤخذ مما تحت

الداخل بين الملك واهله صرعة لانهض ، وزلة لانقال ، واذا وعدت فحقق ، واذا
حدثت فاصدق . ولا تجهر بمنطقك كدنازع الاصم ، ولا تخافت به كخشافت الاخرس ،
وتغير بحاسن القول ، بالحديث المقبول ، واذا حدثت بسمع فانسبه الى اهله ، واياك
والاحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب وتنفق لها الجلود ، واياك ومضعف
الكلام مثل نعم نعم ولا لا وعجل وعجل وما اشبه ذلك . واذا توضأت من الطعام ، فأجد
عرك كفيك ، وليكن وضعك الحرص من الاشنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تتزعج
في الطست ، وليكن طرحك الماء . من فيك مسترسلا ، ولا تمج فتتضح على اقرب
جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ثم تعيد ما بقي منها منصفاً فان ذلك مكروه ، ولا تكثر
الاستسقاء على مائدة الملك . ولا تعبت بالمشاش . ولا تعب شيئاً مما يقرب اليه على مائدته
بقلة خل او تابل او غسل . فان السحابة قد صيرت لنفسها مهابة . ولا تمسك امساك المثبور .
ولا تبذر تبذير السفية المغرور . واعرف في مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق
واستغن عن الناس يحتاجوا اليك . واعلم ان الجتمع . يدعو الى الطبع . والرغبة .
كما قيل تدق الرقبة . وربا كلة تمنع الكلات . والتعفف مال جسيم . وخلق كريم . ومعرفة
الرجل قدره . يشرف ذكره . ومن تعد القدر . هوى في بعيد العقر . والصدق زين .
والكذب شين . ولصدق يسرع عطب صاحبه احسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله .
ومعاداة الحليم . خير من مصادقة الاحمق . ولزوم الكريم على الهوان . خير من صحبة
الثيم على الاحسان . ولقرب ملك جواد . خير من مجاورة بحر طراد . وزوجة السوء
الداء العضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه . وطاعة النساء تزري بالعقلاء .
تشبه باهل العقل تكن منهم . وتضع للشرف تدركه . واعلم ان كل امرئ حيث
وضع نفسه . وانما ينسب الصانع الى صناعته . والمرء يعرف بقرينه . واياك واخوان
السوء . فانهم يخونون من رافقهم . ويحزنون من صادقهم . وقربهم اعداء من
الحرب . ورفضهم من اتم كمال الادب . واستخفاف المستجير لو لم . والعجلة شوم . وسوء
التدبير وهن . والاخوان اثنان فحافظ عليك عند البلاء . وصديق لك في الرخاء .
فاحفظ صديق البلاء . وتجنب صديق العافية . فانهم اعدى الاعداء ومن اتبع الهوى .
مال به الردى . ولا يعجزك الجهم من الرجال . ولا تحقر ضئيلاً كالخلال . فانما المرء
باصغره ، قلبه ولسانه . ولا ينتفع به بأكثر من اصغره . وتوق الفساد . وان كنت في

بلاد الاعادي . ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تجعل مالك اكرم عليك
من عرضك .

ولا تكثر الكلام . فتنقل على الاقوام . وامنع البشر جليستك والقبول ممن لافاك .
واباك وكثرة التبريق والتزليق . فان ظاهر ذلك ينسب الى التأنيث . واباك والتصنع لمغازلة
النساء . وكن مقرباً متمززاً منتهزاً في فرصتك رفيقاً في حاجتك . مثبِتاً في حملتك .
والبس لكل دهر ثيابه . ومع كل قوم شكلم . ولا ترد حتى ترى وجه المصدر . عليك
بالدورة . في كل شهر مرة . واباك وحلاق الابط بالنورة . وليكن السؤال من
طبيعتك . واذا استمكت (؟) فعرضاً . عليك بالعارة . فانها انفع التجارة . وعلاج الزرع
خير من اقتناء النزع . ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك . ومن اكرم عرضه اكرمه الناس .
وذم الجاهل اباك افضل من ثنائك عليك . ومعرفة الحق من اخلاق الصدق . والوفيق
الصالح ابن عم . ومن اسر اكبر . ومن افتقر احتقر . قصر في المقالة مخافة
الاجابة . والساعي اليك . غالب عليك . وطول السفر ملالة . وكثرة المني ضلالة .
وليس للغائب صديق . ولا على الميت شفيق . وادب الشيوخ عناء . وتأديب الغلام
شقاء . والفاحش امير . والوقاح وزير . والحليم مطية الاحمق . والحمق داء لا شفاء له
والحلم خير وزير . والدين ازين الامور . والسماحة . سفاهة . والسكران . شيطان .
وكلامه هذيان . والشعر . من السحر . والتهدد هجر . والشح شقاء . والشجاعة بقاء
والهدية من الاخلاق السرية . وهي تورث المحبة . ومن ابتداً المعروف صار له ديناً .
ومن المعروف ابتداءً من غير مسألة . وصاحب الرياء . يرجع الى السخاء . ولرياء لا يخير .
خير من معاملة بشر . والعرق نزاع . والعادة طبيعة لازمة . ان خير آخبر وان شراً فسر .
ومن حل عقداً احتمل حقداً . ومراجعة السلطان . خرق بالانسان . والفرار عار . والتقدم
مخاطرة . واعجل منفعة . ايسر في دعة . وكثرة العمل . من البخل . وشر الرجال . الكثير

الاعتلال . وحسن اللقاء . يذهب بالشحناء . ولين الكلام من اخلاق الكرام
يابني ان زوجة الرجل سكة . ولا عيش له مع خلافا . فاذا هممت بِنكاح امرأة
فسل عن اهلها فان العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة . واعلم ان النساء اشد اختلافاً
من اصابع الكدف . فتوق منهن كل ذات بدا . مجبولة على الاذى . فمنهن المعجبة بنفسها .
المرية ببعلمها . ان اكرمها رأتها لفضلها عليه . لا تشكر على جميل . ولا ترضى منه بقليل .
لسانها عليه سيف صقيل . قد كشف القحة ستر الحياء عن وجهها . فلا تستحي من اعوارها .

ولا تسجي من جاراها . كلبة هراة . مهارشة عقارة . فوجه زوجها مظلوم . وعرضه
 مشنوم . ولا ترعى عليه لدين ولا الدنيا . ولا تحفظه لصحة ولا لكثرة دين . حجاب مهتوك .
 وستره منشور . وخيره مدفون . يصبح كثيباً . ويمسي عاتياً . نرا به مر . وطعامه غيظ
 وولده ضياع . وبيته مستهلك . وثوبه وسخ . ورأسه شعث . ان ضحك فواهن . وان
 تكلم فتكاه . نهاره ليل . وليله ويل . تلذذه مثل الحية العقارة . وتلسبه مثل العقرب
 الجرارة . ومنهن شفشليق شفشع سلفع^(١) ذات سم منقع . وابراق واختلاق . تهب
 مع الرياح . وتطير مع كل ذي جناح . ان قال : لا قالت : نعم وان قال : نعم قالت :
 لا . مودة لخازيه . محقرة لما في يديه . تضرب له الامثال . وتقصربه دون الرجال .
 وتنقله من حال الى حال . حتى قلى بيته . وملء ولده . وغث عيشه . وهانت عليه
 نفسه . وحتى انكره اخوانه . ورحمه جيرانه . ومنهن الورهاء الحقاء . ذات الدل في
 غير موضعها . الماضغة للسنا . الآخذة في غير شانها . قد قذعت بحجة . ورضيت بكسبة .
 تأكل كالحمار الراجع . تنفشر الشمس ولما يسمع لها صوت . ولم يكنس لها بيت .
 طعامها بائت . واناؤها ضير . وعجينها حاض . وماؤها فائر . ومتاعها مزروع . وماعونها
 ممنوع . وخادمها مضروب . وجارها محروب . ومنهن العطوف الودود . المباركة الولود .
 المأمونة على غيبا . المحبوبة في جيرانها . المحمودودة في سرها واعلانها . الكريمة التبعيل
 الكثيرة الفضل . الخافضة صوتا . النظيفة بيتاً . خادمها مسمن . وابنها مزين .
 وخيرها دائم . وزوجها ناعم . موموقة مألوفة . وبالغاف والخيرات موصوفة . جعلك الله
 يابني من يقتدي به بالهدى . ويأتم بالتقى . ويجنب السخط ويحب الرضى . والله
 خليفتي عليك والمتولي لامرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم صلى الله على محمد
 نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً اه .

هذه انموذجات من الكتاب والغالب ان المؤلف مصنفات غير ما ذكر في ترجمته يؤيد
 ذلك ما قاله آغا مسعود بن ناصر من ان ما اورده من اسماء مؤلفاته هو عدا ما اطرحه
 منها بيد ان المؤلف نفسه يحيل في خلال كتابه هذا على بعض مصنفاته مثل كتاب
 « محبة المبتدئين » « العالم والتعلم » « الوداع والفراق » « التوكل » « مراعاة الاخوان »
 « مراعاة العشر » . فكم يكون قدر جميع ما خطته انامله ياترى . وقد علق عليه . استاذنا

(١) الشفشليق العجوز المسترخية : والشفشع الطويلة : والسلفع الصنابة البذينة

السيئة الخلق

المثوة بقدره حواشي نائعة وشكل محل الاشكال منه وحلاه بالفواصل فجاء هذا السفر الجليل وافيًا بالغرض من كل جهة حريًا بالمتأدبين ان يتدارسوه ويتفادسوا فيه اقتنائه لنفاسه طبعه ووضعه

السياسة الاسلامية

تأليف المسيو لثاتليه طبع في باريز سنة ١٩١٠ ص ١٦٥

*La politique musulmane, par M. A. Le Chate-
lier. E. Leroux, éditeur, 28 rue Bonaparte Paris*

نشر صديقنا صاحب هذا الكتاب وهو من رجال الاجتماع والاستعمار في فرنسا مؤلفاً جديداً بهذا الاسم جعله ملحقةً لمجلة العالم الاسلامي الباريزية وقدمه الى احد اعضاء شورى الدولة الفرنسية فقال فيه اذا كانت لفرنسا سياسة المانية وسياسة انكليزية بل وسياسة لاتينية فلماذا لاتتخذ لها سياسة اسلامية امام مجموع العالم الاسلامي فان مائتي مليون مسلم احرياء ان يساسوا وتخرج فرنسا في سياستهم عن الاوهام الاستعمارية والسياسية .

وتكلم على تاريخ امتداد الاسلام في قارتي آسيا وافريقية فقال ان شواطئ البحر الابيض كانت عمالات للمسلمين من الاندلس حتى صقلية وشواطئ افريقية ولما فتحوا بلاد الروم (بيزانس) واخذوا بخنق البلقان زاد المسلمون من جهة اخرى ثم تراجعوا فلم يبق في اوربا غير ستة ملايين منهم وان مسلمي روسيا يتكلمون اللغة الروسية ويتحضرون بالحضارة السلافية ماعدا البوادي منهم وان كان بعضهم يتساحمون بتعلم اللغة التركية العثمانية وقد احتفظوا بعقائدهم واخلاقهم . قال : ولقد اتهم الالبان الذين كانوا اعظم قوة تحرس عبد الحميد في المدة الاخيرة بانتحال العقيدة البكداسية على حين كان من البانيا ان سعت كل السعي في الانقلاب العثماني الاخير

وقال ان احرار العثمانيين يدعون الى وطنية عنصرية يطبقونها على مصالحهم حتى خاب ظن من كانوا يوافقونهم بادي بدء وقاموا يريدون ان يبقوا عثمانيين لا انراكا وان الاحرار ارادوا حياة الاسلام في اوربا الشرقية بعد ان كاد يضمحل امره منها ولكنه عاد وعليه المسحة الاوربية وذلك لاختلاط اهلها باهل اوربا فكان من تأثيرات المحيط في هذا الدين ان رزق حياة جديدة ونهضة رافعة فقد احدث الانقلاب العثماني من حيث الاجتماع والعلم فشلا للدين المحمدي على نحو ما كان معروفاً على عهد الخلافة

الحميدة ولكنه ظفر ظفراً ثميناً من حيث السياسة والوطنية فبدأ في صورة جديدة أكثر انطباقاً على الروح الغربية وغدا نفوذه وقوته أكثر مما كانت على العهد الحميدي . ولم يقصر مسلمو روسيا في نشوئهم الاجتماعي فابدؤوا العواطف التي فطروا عليها في مطبوعاتهم ودار الندوة الروسية ومؤتمراتهم حتى ضاى الاسلام في روسيا بقوته الاسلام في الارض العثمانية فتقوى هناك بخلاصه من العوائق التي كانت تضعفه وباشتراك اهله في حركة الشعوب الاوربية وضعف في تقاليده الا انه نشط من عقاله

وان الدارسين في مدارس اوربا من السوريين والمصريين والهنود والفرس والأتراك وان كانوا قلائل في عددهم الا انهم ارباب مكانة يعقولهم سعيهون الى الامة الاسلامية شبابها . وعقد فصولا كبرى افاض فيها في شي من ماضي بلاد الاسلام وحالتها الاجتماعية والمادية والمعنوية اليوم فتكلم على السياسة الاستعمارية في الجزائر وتونس ومراكش وافريقية الغربية وافريقية الشرقية وآسيا كلاماً لم يخرج عن استحسن تلك الطريقة التي اتبعتها فرنسا في الاستعمار وتلقين الامم المحكومة مدنيته بالقوة والعنف ونزع عاداتها وتقاليدها لتجربها جرعة من الآداب الفرنسية وان لم تطلقها و«فرنسة» كل من يخفق على رأسه علم الجمهورية . وبحث في المملكة العثمانية ومصر وبلاد العرب وفارس والصين والهند ومسلمي الملايو والروس بلسان اجتماعي ينظر الى مصلحة قومه من الوجهة الاستعمارية .

وقال في النتيجة ان الواجب على حكومته ان تفتح اعتماداً بعشرين الف فرنك تقطعها لكلية الجزائر لتستعين بها على نشر المطبوعات التي تجعل الجزائر مورد العالم العربي ومصدره . ويؤندري كيف يتسنى ذلك بين قوم يقضى عليهم ان ينسوا انهم العرب والعربية ولا يدرسوها نصف اربع لغة الحضارة الحديثة

ولفت انتظار من قدم له كتابه الى اصلاح حال مدرسة اللغات الشرقية في باريز وزيادة العناية بدراسة اللغات الاسلامية الى العربية والفارسية والتركية على نحو ما سعت انكسرتا واصلحت في هذا الشأن كليتي لندرا واكسفورد وسمت المانيا فاصلحت كلية برلين وقال ان الواجب انشاء ناد يأوي اليه من يدرسون في فرنسا من المسلمين كما انشأت برلين ولندرا مثله لهذه الغاية وقال ان اللغة العربية هي لغة التعارف والتعامل بين المسلمين كاللغة الانكليزية بين السكسونيين فينبغي صرف العناية لها . واحسن ظنه كما هي عادته بارقاء المسلمين ولا سيما في الشؤون الاقتصادية

فقال ان مجموع تجارهم لم يكن في منتصف القرن التاسع عشر في العالم أكثر من ثروة اقترامة اوربية وعدد المسلمين نحو مائتي مليون ولا يبعد ان لا ينتصف هذا القرن العشرون الا ويصبح مجموعها خمسين مليار فرنك الى غير ذلك من الايضاحات التي تنتفع بها فرنسا وتستفيد في مستقبلها الاقتصادي والاستعماري . والكتاب محل بمصورات بلاد الاسلام وبيع بعض رسوم الجوامع والاشخاص والكتابات الاسلامية وهو يدل دلالة واضحة على مبلغ غير المؤلف على مصلحة امته ودرجة علمه باحوال المسلمين اليوم وامس كما هو شهادة ناطقة بان الاختصاص في فرع من فروع العلوم الكثيرة انفع للعالم وللعالم من الخطف من هنا ومن هناك •

النسائيات

مجموعة مقالات نشرت في « الجريدة » في موضوع المرأة المصرية بقلم « باحثة الهادية »
والعقيلة ملك حفني ناصف سنة ١٣٢٨ ص ١٧٦

من نعم الله على مصر ان فيها عاملين في كل فرع من فروع الحضارة وانها تقلد الغرب في خطواتها نحو الارتفاع حتى كادت تكون قطعة من ديار الغرب لو كان نساؤها متمعات كرجالها ولكن مصر الغنية بتربتها الذكية لم تقصر في ذكاء عقول ابائنا وبناتها فقد نشأ لها بفضل عقول رجالها ناشئة من النساء يأخذن بايدي بنات جنسهن الى مهجع التقدم وفي رأسهن مؤلفة هذا الكتاب العقيلة ملك حفني ناصف نسبة لوالدها احد شيوخ العلم في القاهرة او « ملكة باسل » نسبة لزوجها • عني بتأديبها والدها فجاءت اديبة بزت الادباء وكاتبة بقل في الكتاب مثلها وقد نشرت الآن ما املاه قلبها على لسانها وقلما في معنى تعليم المرأة على الاسلوب الجامع الى الدين الصحيح آداب الدنيا والمدنية الحديثة

وقد طالعتنا ما خطته يراعته في هذا الشأن ولا سيما محاضرتها في المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الغربية تكلمت فيها كلام العاقلة الحصيصة عن المولودة ودور الطفولة والمراهقة والخطبة والزواج والاقتصاد المالي والمنزلي والعمل البيتي والاخلاق والعادات ودور الامومة • ومحاضرتها التي القتها في نقد عادات النساء وختمتها بقولها لو كان لي حق التشريع لاصدرت اللائحة الآتية

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح اي تعليم القرآن والسنة الصحيحة

(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاول اجبارياً في كل الطبقات
 (المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المنزلي علماً وعملاً وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقتية في الطب
 (المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد
 (المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل
 (المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج البنات قبل ان يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاتراك في الاستانة في الحجاب والخروج
 (المادة التاسعة) المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الاشياء والناس بقدر الامكان

(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا
 طالعنا كل هذا ورأينا السيدة المؤلفة اجادت فيه من وراء الغاية لان اقوالها نتيجة خبرة وتجارب بل هي القانون النافع في انهاض المرأة من كبوتها وفي الكتاب مطالب كثيرة في اصلاح المرأة والاعتدال بقرآن من تضاعفه والادب بقطر من خلاله .

وقد قدم له احمد لطفي بك السيد ، مدير « الجريدة » والكااتب الخطيب العامل مقدمة لطيفة ابان فيها الغرض من هذه الابحاث فقال لقد اجادت باحثه البادية في جعل بحثها مرتباً على هذا النمط المعين فان الاعتدال في تعليم المرأة وتربيتها وقرير الحد اللازم ان نقف عنده في المساواة بينها وبين الرجال الاعتدال في ذلك كله امان من الزلل والوقوع في نتائج سيئة قد لا تكون اقل في سوء الاثر من نتائج خمول المرأة وقعودها عن السعي الى كمالها الخاص . قال اما الدين فانه ملاك اخلاق المرأة ومناط آدابها وطرق كمالها وموجب الثقة بها . ان تقوى المرأة اكبر الادلة على صونها ومعرفتها بالواجب وحسن قيامها به . ان شهود المرأة صلاة الجماعة في المسجد الجامع مرة واحدة اصلح لقلبها من

سماع واعظ اخلاقي في الدار او في المدرسة سنة كاملة . وان تقليد المرأة الشرقية لاختيها الغريبة نافع ولكن هذا التقايد الى اليوم ليس بمحنة جديدة مادام انه خلا من النوع الخاص بالدين . فان الغريبة تذهب الى معبدها مرة في الاسبوع تلي الاقل والمسئلة الشرقية لانذهب اليه في مصر ابداً . كَان دخول بيت الله اثقل كلفة عليها وابعده عن رضى وليها من دخولها في بيوتات التجارة وشهودها مسارح اللهو . الا وان حضور النساء صلاة الجماعة على صورة لائقة ومن غير اسراف هو اول عمل حسي تأتبه المرأة لتتقرب به مسافة الفرق بينها وبين الرجل ولتقرر به المساواة الملهمة . وعلى الجلجلة فالكاتب من انفع ما كتب في عصرنا حري بكل آنسة وعقيلة بل بكل رب بيت ان يتدارسه ويعمل به فبالاس قام في مصر المرحوم قاسم بك امين يحرم المرأة من قيود رقبها واليوم قامت ملك ابنة حفني بك ناصف تبين الخطة العملية فتى ياترى يكتب لهذه الديار ايضاً ان يقوم فيها من بنات حواء من يسعين لاصلاح شأن بنات جنسهن على الطريقة « الملكية » فالكلام يفضل بفضل مصادره واحسنه ماصدر عن ربات الحسن والاسان

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

العلم والمال بمصر

ظهر كتاب الاحصاء الذي جرت عادة ديوان الاحصاء في مصر ان ينشره كل سنة فاذا فيه ان مجموع دخل مصر كان سنة ١٩٠٩ ١٥٨٨٧٣١٣ جنيهاً ومجموع نفقاتها ١٥٠٠٠١٦٩٠٠٠ جنيهاً وكان دخلها سنة ١٨٨٠ ٩٥٨٤٤٣٠ جنيهاً وخرجها ٧٦٩١٤٢٤ جنيهاً .

وبلغ عدد مدارس الحكومة في هذه السنة المكتتبية ٦٤ مدرسة فيها ٩٩٨ استاذاً و١٤٧١٤ تلميذاً منهم ١٤٠٨٧ ذكرًا و٦٢٧ انثى وبلغ عدد المدارس الحرة ٢٦٥ مدرسة سنة ١٩٠٨ فيها ٢٣٢٩ استاذاً و٥٢٤٤١ تلميذاً منهم ٤٦٢٩٣ ذكرًا وبلغ عدد كتاتيب الحكومة ١٤٤ كتاباً سنة ١٩١٠ فيها ١٤٤٩ استاذاً و١٣٣٦٥ تلميذاً منهم ٩١٨٣ ذكرًا وبلغ عدد الكتاتيب الحرة ٣٣٥٦ فيها ٦٧٩٩ استاذاً و١٩٠٨٥٧ تلميذاً منهم ١٧٤٠٢٣ صبياً . وبلغ عدد المدارس الاحببية ٤٠٩ مدارس فيها ٢٣٢٨ استاذاً و٤٧٣٨١ تلميذاً منهم ٢٨٩١٤ ذكرًا و١٨٤٦٧ انثى

المحسنون للشام ول مصر

من اول امارات النهوض في مصر والشام ان ابا السعود افندي الحسيني من اعيان دمشق يقف خزانه كتبه على المطلعين والعالمين سبلها في مكان خاص في القنوات وفيها مخطوطات ومطبوعات نادرة وهي نفيسة مهمة لانتقل فيما نحسب عن التي مجلد ويقف لها عقاراً يقوم بالاتفاق عليها وعلى القيم . وان عبد الرحمن بك اليوسف من اعيان الفيحاء ايضاً تهجد بتعليم شابين في مدارس فرنسا على نفقته يعلم الاول الهندسة الميكانيكية والثاني علم الزراعة وان بطرس افندي داغر من اعيان بيروت تبرع لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في الثغربة ليرة كل سنة لتستعين بها على ترقية مدارسها الخاصة بالاناث . ووقف الامير يوسف بك كمال من اعيان القاهرة ١٨٠ فداناً من اجود اراضيها في المنيا وعمارة بالاسكندرية يباع صافي دخلها السنوي ستة آلاف جنيه على مدرسة الفنون الجميلة التي اسسها في احد قصوره في درب الجماميز ووهب هذه المدرسة ايضاً عشرة آلاف جنيه لهدم القصر المذكور وبنائه من جديد على طرز مدارس الفنون الجميلة في الغرب وهذا فوق ما كان دفعه من المال للجامعة المصرية والمدرسة الصناعية والابتدائية اللتين بناها في املاكه في صعيد مصر وعلاوة على قطعة الارض التي تساوي عشرة آلاف جنيه وهبها لنادي المدارس العليا لينشيء فيها منتداه . فاكرم بهؤلاء الرجل الذين يحسنون لاثارة العقول فيذكرون في الدنيا بالمحمدة وفي الاخرى بالرحمة

اعمال الطيور

نشرت المجلة الفرنسية مقالة قالت فيها ان النشاط من خصائص الطيور وقل فيها من يتخلف عن هذه القاعدة فالطير البحري المعروف بقصير الجناح *Pingouin* الذي نرى جناحيه كصل السيف يتحولان الى قطع يظهر انها تعجزه عن الحركة ومع هذا يطير ويقفز وكثيراً ما تطول مدة طيرانه وتحمله من جزائر الشمال الى البحر الابيض حيث يشتمو وهذا مثل طير القوق *Cormoran* فانه يصيد ويتناول السمك بحذق ويعرف بنزوة منه كيف يمسك ذات القشر وعادة الفقار من الحيوانات ويتسلى بها فيجعلها تنقله وحلواه . وطائر البجع الذي يظهر بانه اعسر يترك على رجل واحدة في الحدائق وانه لا حراك فيه وهو على العكس طائر رحالة بفضل مارزق من الاجنحة الواسعة التي تكون له بمثابة شراع لانظيره يستخدمه في تنقله على البحيرات والانهار حيث ينزل ويقم من جنوبي اوربا والهند والصين واميركا واستراليا . وتمتاز بعض الطيور بنشاطها على

العمل بان تغذ لها صناعات مرتبة فالعصفور الدوري الذي كثر اسماءه بحسب البلاد هو في الواقع ونفس الامر عامل لا يتعب ذو امانة للغاية فيسميه الاسبانيون وهو في مألقة عند ما يكون جاز اليها من جبل طارق نحات الحجر مشبهين له في الصناعة بالبناء لانه يبني عشه ورائده العلم الثام في الهندسة ومن انواعه كثير في فرنسا وانكلترا وجنوبي اوربا تختار لوكناتها ثقب اشجار الصنوبر وتبدع في هندستها واحسان بنائها بالاججار والملاط فالعصفور في جبل طارق صغير الجرم كالشحرور يستعمل قواده ومنقاره لجمع الحجارة والحصى وينقلها الى المحل الذي وقع عليه اختياره ويركها بعضها فوق بعض محكماً لها طبقة فوق اخرى ويجعل للعش حاجزاً طوله عشرين سنتماً وعمقه كذلك وطوله من ٦ الى ٧ سنتمترات وهو يستعمل له نحو ٢٨٠ حجراً ماعداً ٧٠ الى ٧٥ حجراً للتأسيس ويبلغ عدد الاججار ٣٥٠ ومنها ما وزنه ٦٠ غراماً وعجيب منه كيف ينشط لمل مثل هذا الثقل والمسافة التي ينقل منها الحجار اعشه ليست بقصيرة .

ومن انواع العصافير ما يألف البلاد الجبلية وهو ايضاً يئتنط لعشه في الجدر والاججار والاشجار خططاً عجيبه ويبالغ في هندسته وتقسيمه وكذلك الحال في الخفاف الذي يشبه السنونو فيكمل عمله وبدلاً من ثقب بسيط يختاره في اعلى العش للدخول يقيم نوعاً من الطريق مغطى في اسفل الجدار . ومن الطيور ما لا يحقد ابتناء الوكات ومع هذا لا تلقي صغارها على حصا تختاره لذلك . واعجب ما في هذه الطيور البناء كلها فطرة الذكاء التي تقودها الى اختيار ادوات البناء . فالسنونو مثلاً تعرف كل المعرفة تميز نوع الملاط الذي تجمع فيه بين اجزاء ما تقيم من البناء من الداخل والخارج وذلك بمفرزاتها الزرجة التي هي من خصائصها الطبيعية وهذه المفرزات يستخدمها بعض الطيور ملاطاً لوكناتها ايضاً . وان الطير المعروف ببناء البيوت ليصنع عشه من الطين والقش حتى ان اهل المكسيك منه تعلموا طريقتهم في البناء

ومن الطيور التجار كما فيها البناء وذلك كالطائر المعروف بالنقار الذي يعيش في الاشجار يتسلق عليها بمخالبه فينقر بمنقار لحاء الشجرة ليفرغ منها الهوام التي يعيش بها فهو عامل غريب يجمع عشه بصبر مدهش ويحفره في بعض الجذوع على ثلاثة امتار من وجه الارض ويخال في اجادة محله ماشاء وشاءت الاجادة الغريزية على نحو ما نشاهد جحوراً نجرتها هذه الطيور كنقار الخشب والصرد في غابات انكلترا ثم تتركها الى محل آخر لاتصل اليه اليد

ومن الطيور ما ينقي الزرع كالتصير الرجلين Vanneau يخدم الحدائق كما يخدمها صاحبها والمتعهد لها فهو وان كان يعيش على شواطئ مجاري الانهار ولا سيما البطائح الا انه ينقي الزهور والبذور التي يترك وشأنه ليسرح بينها ولبس اجمل من هيئته وهو يقفز ويمر مسرعاً جائياً ذاهباً وجسمه مائل الى الامام وقنبرته منتصبه وريشه مشرق ظاهره سماوي وباطنه ابيض وعينه منتبهة لا يغفل دودة ولا حلزونا الا وبعزها عن الزرع بوجدان سليم

واعجب من هذا وذاك حال الطير المسمى الشرطي Policier وهو يكثر في اواسط اوربا يقف على الاسلاك البرقية على مساوف بعيدة يرمد الابعاد وهو اسود وله عصابة برتقالية في رأسه يثقات بالديدان ويخافه النسر والباشق والبازي وقد سمي الظالم لانه اذا اختلط بطيور اخرى يتسلط عليها واذا لم يجد اسلاكاً ينزل على بعض العمود او على غصن شجرة واذا كان في السهل ينزل على ظهر بقرة ويعيش من الصيد ولا يهاب ما كان اكبر منه من الحيوانات بل يستخدم منقاره ومخالبه فيدمي بها ويقنص وهو بذلك بتحاماه الكواسر وغيرها ولا يقرب من وكناته احد منها واشتهر بالشجاعة بين الطيور حتى انها لتهايه في وكناتها وتحسب له الف حساب ولذلك كتبت له السعادة وهو من بين شذاذ الآفاق من الهوام والطيور والكواسر حامي الثانوف والمسميطر الاعظم .

التحصيل في اوربا

بلغ عدد من يخصوصون في العلوم في مدارس اوربا خمسة عشر طالبا من اهل دمشق فقط عدا من ارسلتهم الحكومة على نفقتها منهم اربعة في الطب والجراحة واثنان في طب الاسنان واثنان في الحقوق واثنان في الزراعة وواحد في الهندسة وآخر في هندسة الكهرباء وواحد في علم التربية والتعليم واثنان يستعدان في العلم الآن

الرئيس البرتقالي

ان الرئيس البرتقالي الجديد تيه فيل براغا هو كاكثرو رؤساء الجمهوريات عالم كبير فان فاخرت فرنسا برئيس جمهوريتها الاول تيرس وفاخرت الولايات المتحدة باحد رؤساء جمهوريتها روزفلت فيحق للبرتغال ان تفاخر برئيسها براغا فهو من اكبر كتابها المعاصرين وهو في السابعة والستين من عمره اشتهر امره منذ خمسين سنة وهو شاعر فيلسوف نقاد فقيه اولي بلاده نغراً لا يبلى بما نشره لها من تاريخ آداب البرتغال الذي

كتبه في عشرين سنين متوالية ومن كتبه روح الحق المدني الحديث وهو زعيم القائلين بالفلسفة الحسية في برنقال كما ان بنيامين كونستان زعيمها في برازيل وهذه الفلسفة هي التي وضع اساسها اوغست كونت الفيلسوف الفرنسي وما برح براغا يحف حوالى منبره في لشبونة اناس من الناشئة الجديدة يوحى اليهم آماله الديمقراطية وروحه الوطنية فلا عجب اذا وقع اختيار امته عليه ليرأسها .

اللعب والتربية

كتب احد علماء التربية من الالمان مقالة طلب فيها الى دور التعليم ان تخصص وقت بعد الظهر من كل يوم بالالعب المختلفة تكره عليها الاولاد والمتعلمين اكثر مما تكرههم على تعلم دروسهم واستشهد بقول الامبراطور منذ مدة « انني ابحت عن جنود فاجتناماسة الى جيل قوي من الناس » فالجناسيتيك البسيط لا يقوم بهذا الغرض بل الواجب المشي الكثير الطويل لا الاكتفاء بالعب عادية يقوم بها الاولاد والشبان عرضا بل العب حقيقية شلية مثل التزحلق (باتيناج) والعموم وغير ذلك . العب يناظرها مدير خبير يستثمر النشاط ويحسن الانتفاع بمرونة الجسد وبقوي بالعمل والعادة اليومية احسن قوى النفس والعقل مثل الصبر والحرية والارادة وعمل مثل هذا المدير لا يقل في الفضل عن عمل زملائه اساتذة العلوم واللغات والتاريخ فهو يعمل على تربية الشبيبة على شرط ان يعطى الوقت اللازم لذلك وهو ينوع الالعب بحسب الفصول حتى لا يئس القوي في الحر كما يعاملها به في البرد

فقر يابان وغناها

ذهب بعض الاميركيين الى ان يابان افقر بلاد في العالم فاثبت ذلك الاستاذ كامب من كلية كيوتو بالاحصاء الدقيق قابل فيه بين غنى اليابان وغنى غيرها من الامم فقال اذا كانت يابان تملك مثلاً ١٠٠ يان (معاملة يابانية نحو فرنك) فان المانيا تملك ٦٨٣ ياناً وفرنسا ٧٤٣ ياناً وانكلترا ١٠٠٨ يانات فالدخل الشخصي اذا سرناعلى هذا النحو هو ١٠ يانات في اليابان و ٤١ في المانيا و ٥٢ في فرنسا و ٦٠ في انكلترا و ٧٣ في الولايات المتحدة . والدين الذي على بلاد يابان ثقل تنوء تحته فهو نحو ٢٢ ياناً في المئة ومع هذا فان يابان لا يخشى عليها الفقر المدقع والخراب العاجل بالديون لان الفرد منهم يعرف كيف يصرف في سبيل سداده عوض حكومته فيقطع من اكله ويقتصد من

رفاهيته بسائق وطنيته ليعطي حكومته مائنهض، من المال . والاقتصاد في المعاش من خصائص هذه الامة

اوهام السن

من الشائع على الاسن ان من تجاوز الخمسين يؤذن نشاطه العقلي والطبيعي بالضعف على ان الحوادث تثبت نقض ذلك فان الحياة العلمية والسياسية والادبية مخصبة كثيراً في السن التي يرميها الناس بالعم ولطالما اورد بعضهم ادلة على رقيهم العقلي ونشاطهم فان شهرة لوراستراتكونا في عالم السياسة ابتدأت لما كان عمره خمساً وسبعين سنة وهو اليوم في سن التسعين يعمل منذ الساعة العاشرة قبل الظهر ويحضر الالائم الرسمية ثلاث مرات في الاسبوع . وكان عمر ويليام مورغان ٦٥ سنة لما كتب قصصه الاولى وكان عمر بيرمون مورغان المثري الاميركي نحو ذلك عند ما وضع خطته في الاثراء . ومنذ خمسين سنة كانوا ينظرون الى ابن الخامسة والاربعين في بلاد الغرب بانه شيخ اما اليوم فلويد جورج السياسي الانكليزي قد بلغ السابعة والاربعين ولا يزال يعد في الشبان وقد بدأ السير هيرام ماكسيم في سن السبعين يعمل عملاً جديداً كل يوم . ولما وصل فرنكلين الى باريز سفيراً من قبل حكومة الولايات المتحدة كان عمره احدى وسبعين سنة وبدأ فيكتور هوغو بكتابه تاريخ جنابة في الثانية والسبعين من سنه اما الفيلسوف هيريت سبنسر فقد اتم اعماله في الرابعة والثلاثين من عمره وعلى كل فالنشاط ليسرور اكل من جادت صحته وصحت عزيمته على العمل شاباً كان او كهلاً او شيخاً ولا يزال المرة في هذه الدار يتعلم حتى يموت . والترتيب في الحياة هو سر اقتدار هؤلاء المعمرين على العمل الى الابد

اصلاح خطأ

سها عن باننا ان نقول في الجزء الماضي عند انشاء مقالة جمهورية البرتغال انها ثالث جمهورية في قارة اوربا فان الاولى فرنسا والثانية سويسرا والثالثة تلك الجمهورية الجديدة وجاء في الكلام على « روضة العقلاء » في هذا الجزء ان صاحب كشف الظنون لم يذكره بل اذ ذكره بقوله « روضة العقلاء » لابن ابي حيان في الاحاديث وفي هذا خطأ في اسم المؤلف وهو حبان بالباء لا بالياء . وفي قوله ان الكتاب في الحديث وهو في الاخلاق



المقبر

ظلمات عصر الظلمات

كل من التي نظرة اجمالية على تاريخ القرون الوسطى والقرون الحديثة في هذه البلاد يوقن بان القرون الاخيرة اي القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر كانت اشق العصور على هذه البلاد لاحكم فيها الا للقوة لاعدل يحميها ولا علم ينهضها وخصوصاً في الايام التي سادت فيها حكومة الاقطاعات وساد معها جيش الانكشارية (بكجي جري) او العسكر الجديد فكل ماتراه عينك في دمشق مثلاً من بيوت ضيقة متلاصقة وارتجة واطمة واحياء لا منفذ لها وقصور ومدارس في الضواحي خربة انما نشأ من اعتماد هذا الجيش على افراد الرعية المسكينة وما نجما من ايديهم يتناولوه الظلمة من الحكم ويصادرونه ويستصفونه هنيئاً كمرتباً لا وازع يزوع ولا ادارة منظمة : احكام في الدمار مسمطة وقواعد في السياسة معسلة وآراء في جلب المصالح ودرء المفاصد مغلطة مغلطة .

ولقد وقع الينا مخطوط نافع^(١) اورد فيه مؤلفه بالعرض في جملة قصائده بعض مشاهده في عصره من الكوائن فاحببنا نقلها الى هنا دلالة على القضية التي قررناها آنفاً ولنكون متممة لتاريخ هذه الحاضرة . وهاك ماورد في هذا المعنى بمناسبة مدحه لاحد حواشي سليمان باشا ابن العظم (والي الشام اذ ذاك) قال : « وافئق لهذا الممدوح قصة من غرائب القصص وهي انه سعى في خلاص جماعة من اهل حيه وغيرهم من القتل وفدام بنفسه ودافع عنهم عند والي الشام بما استطاع وسلموا من الهلاك بسبب مدافعتهم

(١) هو ديوان النصائح والانوار اللوائح لمؤلفه محمد الحافظ البجار من اهل القرن الثاني عشر وهو من خزانه كتب غالب بك الزاقي احد اعيان هذه الحاضرة وفضلاتها

عنهم وفر قوم من دمشق خوفاً من واليها ووقع الوالي القتل والنهب بقوم آخرين ظفر بهم في دمشق ثم ان الوالي خرج من دمشق اميراً بقافلة الحج وخرج معه هذا المذكور حاجاً ومؤدياً ما عليه من خدمة السلطان في طريق الحاج فلما وصل الامير والحاج الى المزريب رجع اولئك النفر الذين فروا من الوالي بعد ان ارسلوا مكاتبة الى جيران هذا الذي سعى في خلاص اكثرهم من القتل تشتمل تلك المكاتبة على انهم في ليلة كذا يرجعون ويدخلون دمشق بقصد انتهاب دار هذا المذكور وقتل من يظفرون به من اهاليه وقرباته فاجابهم كل من كاتبوه بذلك بالسمع والطاعة وانهم سيكونون لهم عضداً وعوناً على ما يبتغوا عليه وارادوه من سوء بهذا الامر الذي عزموا على فعله فلما كانت الليلة الموعودة دخل اولئك النفر الفارون دمشق ومعهم نفر من النصاري والدروز والاشقياء اعداء الدين والمسلمين ولما وصلوا الى القرب من الدار المقصودة بالسوء تلقاهم الناس بالترحيب وتحزب معهم غالب الناس من اهالي ذلك الحبل حتى بلغوا العدد الكثير فلما قربوا من الحلي ترفع اهله في منازلهم وفر من كان في الدار المقصودة من كبير وصغير طالبين للنجاة بانفسهم فلما وصل اولئك النفر المغضوب (عليهم) ومن معهم من المنافقين الذين انضموا اليهم كسروا الابواب وهجموا على الدار وانتهبوا وضربوا وافسدوا افساداً ما سمع بمثله واصبحوا ما كتبت في دمشق لايهابون احداً فخرج اليهم نائب الوالي والاعيان والموالي فثقتهم بالخراب والضرب وقتل جماعة وجرح آخرون ورجع النائب ومن معه منهزمين ومكث اولئك النفر الاشقياء بدمشق ريثما بلغوا اربهم من سلب واغتصاب ونهب وتحكم لا يردم عن ذلك احد ولا يهابون احداً»

قال : « ولقد حقق الله تعالى جميع ما نطقت به هذه القصيدة من الظفر باولئك انفر المفسدين والطافة المعتدين المارقين من الدين على يد وال آخر غير ذلك الوالي المذكور في ترجمة هذه القصة قد عينة السلطان وولاه دمشق لاجلهم سبب فتنة اضرموا في الشام نارها واثاروا غبارها وافسدوا افساداً فظيماً فقتلوا وخرّبوا واستلبوا وانتهبوا واحرقوا الدور والاماكن وحركوا من الشرور كل ساكن وتجاهروا بالفراخس وارتكبوا كل امر مخالف للدين فاحش واعانوا الفطر في شهر رمضان لي رؤوس الاشهاد وتعطلت الاسواق والمعاملات بسببهم في دمشق قريباً من سنة لانقام جمعة ولا يسمع اذان ولا يفتح جامع ولا يمكن احد ان يخرج من منزله لحاجة ولا لغيرها لفسادهم وافسادهم وتعدبهم على الخاص والعام وانما كان سبب تمكثهم من ذلك عدم وال في الشام فان

واللهيا كان قد خرج منها الى الحج اميراً في رجوعه من الحج عارضه العربان في اثناء الطريق ففر منهزماً بعد ان اعجزوه وانهبوا قافلة الحاج باسرها بعد ان كانوا انتهبوا جردة الحاج وقتلوا من الجردة والحاج الجم الغفير ٠٠٠ فهذا كان سبب تمكنهم من اقامة الشرور والفتن فجاءهم بعد ذلك هذا الوالي المذكور ثانياً وقتل منهم من قدر عليه وفر منهم من فر منهزماً وسلب دورهم ومتاعهم واثاثهم ووجه اخبارهم وتركهم اذل من اليهود واحقر من الذباب واوهن من الكلاب ولحق دمشق واهلها من ذلك الوالي وحاشيته وجنده اسوأ السوء بسبب قيامهم على اولئك الاشقياء وانهبت غالب المنازل في دمشق وقتل خلق كثير من البراء وتوطن هذا الجند الكثير من دور الناس واخرجوا اهلها منها عنفاً وجبراً وقسراً وظهر من اتباع هذا الوالي ما انسى اهل دمشق ما كانوا فيه من الضنك والشدة قبل قدوم هذا الجند اليهم ٠٠٠ واعقب مجي هذا الوالي الى دمشق في دمشق ضيق وشدائد وشرور وظلم وجور وعسف وتعد واحتقار لاهل دمشق من شدة فظاظتهم وغلظتهم وكان فيهم من النصارى والرافضة الما يحصي عدده وختم ذلك بزلزال في دمشق ونواحيها ورجفات زعزعت الجبال وردمت الدور في غالب الاماكن وهدمت كثيراً من المساجد والمعابد والمنارات وعند كتابتي لهذا المحل كانت مكثت في دمشق خمسة واربعين يوماً وقتل اذ ذاك تحت الردم خلق كثير وخرج غالب الناس من منازلهم وتركوها خالية وتوطنوا البساتين والحيانات ٠ « وقال في مكان آخر : « قد تقدم في هذا الديوان ذكر بعض ما وقع في دمشق من الفتن والحن والشرور والغلاء والظلم وغير ذلك مما مر ونقدم وكل ذلك قبل تاريخ سنة الف ومائة وسبعين وها انا اذكر ما وقع واتفق لدمشق واهلها في سنة سبعين وما بعدها من العظائم والحوادث والازمات والزلازل والرجفات وما تأتى من ذلك من خراب الدور والمنارات والجوامع وما كان في تلك الايام من ظلم وجور وعسف الى ان تداخلت الدواهي والبلايا بعضها في اثر بعض حتى كان آخر ذلك الطاعون الذي انسى ما كان قبله مما يفسد الاديان ويهلك الابدان وشيب الولدان وهنا اورد المؤلف ارجوزة مطولة في وصف تلك الحن قال فيها :

لما تقضت عشرة من صومنا محررة
قامت طغاة فجرة في شامنا المطهرة
واخبروا نار الفتن واظهروا خافي الاحن

وواقفونا في محن / وكدروا منا الفطن
 ومذا رأيت الفتنا / ثارت وقامت علنا
 وكلهم مكروه انا / وكل سوء وعنا
 ناديت رباً ذا منن / بعد الفروض والسنن
 وجنح ليل قد سكن / وفيه قد فر الوسن
 وقلت قول المنجي / ومطالب للفرج
 وهارب من حرج / يا من اليه التجي
 يادافع البلاء / يا عالم النداء
 يا سامع الدعاء / يا كاشف اللاءاء
 خلص اناساً ظلموا / من بطش قوم ظلموا
 عن الرشاد قد عموا / ومن سداد حرموا
 وعجل انتصارا / واهلك الاشرارا
 وايد الابرارا / وسدد الاختيارا
 وهت ربوع الشام / من زمرة طغام
 وعصبة لئام / خذوا من الحرام
 وفرقة فجار / طاغية اشرار
 قد ازعجوا الدراري / باقبح الضرار
 لم يرحموا صغيرا / لم يستحوا كبيرا
 لم يتركوا تقيرا / نهبا ولا قطميرا
 واعلنوا الفسادا / واذهبوا العبادا
 واخرىوا البلادا / واحرموا الرقادا
 وحللو الحراما / واهملوا الصياما
 وقهروا اليتامى / وفضحوا الابامى
 واظهروا الاسرافا / وقتلوا الاثرافا
 وضيعوا الانصافا / واكثروا الخلافا
 وشتموا الايماننا / وكذبوا الايماننا
 وهدموا الانوطاننا / واؤرثونا الهوانا

وضيعوا	الامانة	وشهروا	الحيانة
وحرموا	الديانة	وفارقوا	الصيانة
وغلبوا	الحكاما	وابطلوا	الاحكاما
واكثروا	الضراما	واغشوا	الكلاما
مدوا	أيدي الفجائع	سنوا	مدى المواجه
وقتلوا	في الجامع	اساجد وراسع	
وتابعوا	الاذبة	واعظموا	الرزبة
واوقعوا	البلية	واقلقوا	البرية
واغلقوا	المساجدا	واقفلوا	المعابدا
واكثروا	المفاسدا	فحرموا	المحامدا
وعطلوا	المنابرا	وحقروا	الاكابر
ودمروا	الاصاغرا	واشهروا	المناكرا
وقصدوا	اذانا	واسكتوا	الاذانا
وتابعوا	الشیطانا	وخالفوا	السلطانا
وبات	كل حالم	من جاهل	وعالم
وقاعد	وقائم	بالغم	كالرمائم
وكل	سوق سكر	وقل	بيع وشرا
وقام	سوق الافترا	ودام	هذا اشهرا
يسوء	فيما مدة	حكمت	ليالي الردة
فلم	تزل في شدة	ومحن	ممتدة

والارجوزة طويلة وهي على هذا النمط وقعت في نحو خمس ورقات بالخط الدقيق المندمج قال في آخرها: «وجميع هذه الشكاية انما هي مما وقع من الشرور والفتن في سنة الف ومائة وسبعين في دمشق وما جرى وانفق خارجها من نهاب الجردة في سنة احدى وسبعين ثم ما وقع فيها من انتهاب الحج وماحصل اذ ذاك من الفساد والافساد من طائفة الاعراب والاوناد ولما انتهت الجردة ثم مات اميرها ثم انتهب الحج وانهمزم اميره ورجع الى دمشق من سلم من القتل منهوبا مسلوبا وكانت نار الفتنة لم تنزل ثائرة

في دمشق بين طائفة القول^(١) وطائفة الينكشارية من مضي عشر ليال من شهر رمضان والقول اذ ذاك محاصرون في القلعة فلما اقبل المنتهبون من الحجاج الى دمشق خرجت طائفة الينكشارية يتلقون الميزمين والمنتهبين من الحجاج فكل من ظفروا به وكان من القول قتلوه واخذوا ما يجدونه معه من متاع اودابة او غير ذلك حتى انه قد بلغني انهم ظفروا باحد القول خارج دمشق فقتلوه شر قتلة واخذوا ما كان معه ثم احرقوه بالنار واستمرت الشرور والفتن قائمة في دمشق وهي اذ ذاك خالية من وال حيث ان امير الحجاج لما انتهزم في اثناء الطريق استمر منهزماً ولم يدخل دمشق فبقيت بلا وال ولا حاكم .

ولما بلغ السلطان مصطفى اخبار ما تقدم ذكره من انتهاب الجردة والحج وما في دمشق من الفتن والمهرج وان طائفة القول محاصرون في القلعة ساء ذلك وعين عبدالله باشا الشنجي وامره على دمشق وعلى الحج وانه يستقصي الخارجين عن امره والمتعصبين على القول ويقتلهم ويرسل برؤوسهم الى الباب العالي والزمه ان يباشر اصلاح طريق الحاج بما امكنه فجاء عبدالله المذكور والياً على الشام واعمالها واميراً على الحاج ودخل دمشق في اوائل سنة احدى وسبعين وجاء معه بجند الغالب منهم نصارى واعاجم . فلما قرب من دمشق تحزبت الينكشارية وتجمعوا في جهة الميدان والقيبات والحفلة ووقع منهم اساءة ادب في حق الوزير وجنده وانتهبوا من نزل منهم بالقرب من محلهم الذي تحصنوا فيه ثم بعد يومين من ذلك نزل من الينكشارية نفر الى جهة باب الجابية وتلك النواحي فظفروا باثنين من الجند فبطشوا بهما فقتل احدهما وجرح الآخر فبلغ الخبر الى الوزير فامر من عنده من الجند ان يذهبوا الى المحل الذي فيه الينكشارية ويقتلوا من يقدرون عليه ويأمروا من قدروا على اسره فخرج الجند متوجهاً الى جهة حارة الميدان وتلك الجهات فلما وصلوا الى وجوه المطلوبين وتوجهوا فرت طائفة الينكشارية طالبين البراري والفغار فتبعهم نفر من الجند ساعة من نهار وقتلوا منهم عدداً قليلاً ورجعوا عنهم واستمر اولئك هاربين ثم ان الجند اخذوا في قتل من راوه كائنات من كان وشرعوا

في السلب وانتهبوا غالب المنازل والخوانيت من حدود الحفلة الى باب الجابية واستمر ذلك من الضحوة الكبرى الى وقت العصر والجند يأتون بالروثوس الى حضرة الوزير فقتل في ذلك اليوم من الرعايا العدد الكثير وانتهت المتاع والال العزيز الى ان دارك

الله تعالى باللطف بعد ان اخذوا العدد الكثير من الرعايا البراء وسجنوهم ووضعوا القيود والاعلال في ايديهم وارجلهم واعناقهم ولما بلغ الوزير ان هؤلاء النصارى والاعاجم حصل منهم التعدي في القتل والنهب خرج اليهم ولاهمهم على ذلك وامرهم بالكف عن ذلك وجمع ما قدر على جمعه مما انتهبوه ووضعه في المساجد وارصد له من يجرسه وندب المنتهبين ان يأتوا وينظروا في الامتعة فن وجد شيئاً من متاعه اخذه ففعلوا ذلك فما حصلوا على عشر معشار ما انتهب من متاعهم واموالهم واطفاً الله تعالى نار الفتنة ثم اخذ النصارى والاعاجم الذين هم من جند هذا الوزير يتحكمون في اهل دمشق بالسلب والاستحلال والشم والقذف والضرب والقتل حتى اشاعوا الفواحش وتجاهروا بالزنا وشرب الخمر وحتى تعدوا الى ان يخرجوا اهل المنزل من منزلهم ويسكنون فيه وكان الانسان في تلك الازمان لا يأمن على نفسه اذا خرج من منزله بعد المغرب ومتى خرج أصيب بنفسه او ماله . وهذا الذي ذكرته هنا هو الذي اشترت اليه في الارجوزة المتقدمة من الشكاية مما وقع في دمشق من الرزايا سنة احدى وسبعين بسبب ما وقع من طائفة النول والينكشارية من الفساد والافساد ثم بسبب ذلك ما وقع بعده من طائفتي النصارى والاعاجم الذين هم من جند الوزير المذكور سلب الله تعالى الزلازل والرجفات فوق الردم في المنازل والجوامع والمنارات ومات تحت الردم خلق كثير وقبل ان نسكن تلك الرجفات والزلازل ارسل الله عز وجل الطاعين فاخلى البيوت وفرق الجوع وشتت الشمل وكدر العيش »

وقال بعد ان مدح عام اثنين وسبعين ومئة والـ : « وقد كان اهل دمشق في غابة الوجل ونهاية الفرق والقلق من جهة الحاج من شر الاعراب الاشقياء قياساً على ما وقع منهم من الشر في العام الذي قبل هذا العام وكان الوجل الواقع من اهل دمشق في محله حيث ان العرب بالغوا في التعدي ونجروا واعتادوا سلب الاموال وتكدير الاحوال ولكن الله يؤيد بنصره من يشاء فان امير الحاج الذي هو عبد الله باشا المذكور وقع بينه وبين عرب حرب شمر من اجل مال الصر المرصود للعرب من جهة السلطان فتوعدوه بالشرف فاحتال عليهم وقتل امراءهم وفر الاذنان منهم ومضى الامير والحاج سالمين غانمين ولما رجع الامير بالحاج رجع على طريق آخر بعد ان تجمعت العربان بين الحرمين بتصد المعارضة للحاج فغيب الله آمالهم ولطف سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين وسلمهم من غوائل الاشقياء المجرمين وبلغنا ذلك كله بعد هلة عام اثنين وسبعين بالايام فلاجل ذلك خصصت هذا العام بالمدح

ايضاً فقد كان الناس قبل هائه يشكون من قلة الغيث فلما استهل اناث الله عز وجل العباد واحيا البلاد والا فان الدواهي الواقعة فيه وفي ايامه بدمشق وقرأها لم يسمع بمثلها من فساد الجند وافساد العساكر وظلم رئيسهم وجور حواشيهم وعسفهم .
وعاد المؤلف فكرر احوال ما وقع سنة سبعين ومابعد ما وقع من اذى الجند السابق والجند اللاحق الذي جاء مع الوالي الجديد من عشر ليال من شهر رمضان الى جمادى الاولى و « القول منحشرون في قلعة دمشق والينكشارية ومن تبعمهم من الحشرات حول القلعة والحرب قائمة على ساق وقدم وقد اخرج الجند الجديد او بعض الناس من دورهم وتوطنوها ومع اختطافهم لبعض النساء والغلمان جهاراً من غير مدافع لذلك ولا ممانع حاكين على جميع اهل الشام بالكفر وبانهم قوم يزد مصرحين بذلك »
هذه نموذجات من عصر الظلامات والظلمات والكناب نسخة كتبت بقلم مؤلفه وشعره متوسط حسن بالنسبة لعصره عصر الانحطاط في كل شيء كتبتها في ذي القعدة سنة الف ومائة وثلاث وسبعين



الالفاظ السريانية في العربية العامية

اللغة السريانية من امهات اللغات السامية وهي من اصول اللغة العربية ولو بحثت في اصول الالفاظ العربية لرأيت بعضها سريانياً في الاصل كما دخل اليها الفاظ كثيرة من العبرانية والحبشية والفارسية على نحو ما حققته المحققون من الباحثين في اصل اللغات .
كان للسريانية شأن عظيم حتى قال بعضهم ان السريانية كانت لسان آدم ابو البشر وتعدى بعضهم فادعى ان لسان اهل الجنة السريانية وذهبت^(١) عصابة من العلماء الى ان السريانية اصل لغات الآديين بدليل ماورد في اسفار موسى من تسميات تقرب كل القرب من الالفاظ السريانية معنى ومبنى وعلى كل فهي بكر لغات النوع الانساني وهي من اعرقهن في القدم واول من انطلق بها لسانه على ما تعهد ارام بن سام فتناقلها الآراميون اخلافه بمن اطلق اسمهم حيناً من الدهر على السوريين والسريان الذين عمروا

(١) الدوائر او بقايا اللغة السريانية في اللغة العامية العربية لمؤلفها القس يوسف

بلاد الكلدان واشور وسورية والمراد بالسوريين غير الاثوريين النازلين من صلب
 آشور واسور بن سام من كانوا يسكنون عبر الفرات ولما دوح ملوك اشور سورية عدة
 الاشوريون والسوريون شعباً واحداً ولما اقتسموا الملك عرف من اقام في عبر الفرات
 بالاشوريين وقد تكلم بهذه اللغة السريانية سكان اورشليم بعد السبي البابلي واكثر
 نصارى البطركية الانطاكية والموارنة واما اشهر فروعها فالولها البابلي وهو
 افصحها واوضحها وابقاها كتبت به بعض اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس
 وثانيها الاورشليمي الذي تكلم به اليهود بعد جلائهم من بابل فتناسوا العبرانية
 وتلففوا الكلدانية فشاها ببعض الفاظ من لغتهم وسميت لغتهم العبرانية لان اليهود
 كتبوها بالعبرانية وهي كلدانية سريانية والثالثة السريانية الانطاكية وبها كتبت كتب
 الدين عند الموارنة وكانت شائعة في البلاد العربية والحبشة وقسم من بلاد الارمن
 وما بين النهرين وسورية ولبنان وفينيقية وانطاكية .

والى اليوم لا يزال اثر ضئيل للسريانية اثناء المفردات العربية في كلام اهل شمالي
 لبنان كما ان اهل بشراي وحصرن وبعض القرى المجاورة لها كانت تتكلم بالسريانية
 في اواخر القرن السابع عشر ولا يزال الى اليوم اهل معلولا من جبل قلمون يتكلمون
 باللغة السريانية مع اللغة العربية وقرى بجان بجوارها

وهاك الآن اسماء بعض قرى الشام التي هي سريانية الاصل :

(داريا) الدور . (بيتيا) بيت اليتيم . (بيت لهما) بيت الالهة . (زمكا) سلاح
 الملك . (كفر مشكا) قرية الجلود . (كفر سوسة) قرية الفرس . (كفر فوق)
 قرية الاكواز . (معربا) المغرب . (المعرة) المغارة . (راشيا) الرؤوس .
 (البقاع) السهول .

واليك اسماء بعض قرى لبنان واكثر اسمائها سريانية :

(بكفيا) الموجودة بين الحجارة . (بسرين) الحومات . (حبرمون) رفيق من
 انت . (مزمورا) الزينية والانشودة . (عيناب) عين ابي . (رححالا) الرمل العالمي .
 (رشميا) رأس المياه اي اعذيها . (شرمون) صدقتموني . (شوريت) العرق .
 (بيت مري) دار سادتي . (البشير) المسكن . (بسكتا) محل العدل . (بعلشميه)
 قرية السماء . (برمانا) ابن من انت . (بتغرين) سوق التجار . (بتعلين) مأوى
 الثعالب . (عينظورا) عين الجبل . (الشوير) سور . (عين عار) عين الغار .

(قرنايل) قرن الابل . (العاقورة) العين الباردة . (بجة) الجنة والبستان .
 (جعيته) الصادحة . (درعون) الذراع . (حدشيت) احد الستة . (عين جوبا)
 عين الحب . (عاليتا) العالية . (عمثيت) مع الستة . (ميروبا) المياه الغزيرة . (راسكيفا) رأس
 الحجر . (رشعيني) رأس العين . (شمسطار) شمس الجبل . (ايطو) القيظ . (بتحلين)
 بيت الحلوين . (اسيا) الطيب . (بشمودار) مكان الشر . (اهدن) الجنة . (حردين)
 انظر اذاً . (حدتون) الجديدة . (مجدليا) البرج . (مارشينا) سيد الامان .
 (يارينا) الوارث . (نيجا) الهادي . (عين تورين) عين الجبال . (صورات)
 الصور والتماثيل . (كفرحتنا) حقل الختن . (راشانا) الرئيس . (رام) العالي .
 (شاتين) السمون . (شبطين) القضببان . (تنورين) الثنائير . (زغرنا) الصغيرة .
 (الدوق) المنظر . (فرحيا) كنز الحياء . (كفرحي) مكان الحمي . (كفرزينا) حقل
 السلاح . (بكاسين) انا خفية لانها لا ترى من كل النواحي . (برقي) ابني . (بتدين)
 محل القضاء . (كفرنعلا) حقل الثعلب . (مليتا) الملاثة . (ريجات) الاكام .
 (بطرام) بيت العالي . (بطرومين) بيت السادة . (كفر حاتا) الحقل الجديد .
 (كفر عقا) حقل العند . (عابا) الحصن .

هذه نموذجات من اسماء القرى وهناك كثير من الالفاظ الشائعة في اللغة الدارجة
 في سورية وهي من اصل سرياني وتجدر اكثر هذه الالفاظ في لغة اهل جبل لبنان فمن
 ذلك قول الام لولدها ردعاً له وتخويفاً من ان يمس شيئاً يؤذيه (أوواوا)
 وهي كلمة وعيد . و (واوا) ويل ويل والمعنى ان مسست ذلك الشيء
 المؤذي في ويل ثم الويل لك . وقولهم (الشكارة) للدلالة على النذر اليسير
 وهي في الاصل السرياني تدل على البتعة من الارض فيقولون مثلاً : فلان عنده شكارة
 كرم وفلان مربى شكارة دود حرير وزرع له شكارة قمح . ويقولون عمن يتروى في
 اموره (فلان يتبحر في اموره) اي يتفحص . ويقولون (يحش الارض) حفرها
 ويقولون ايضاً بحوش بمعنى نبش وحفر . ومنه قولهم (الولد يعبط) وهي لبط . ومنه
 (جهجه الضوء) اي انبلج الصبح . ومنه (كعيت) اي عجزت . ومنه (عمل له كورة)
 ايما كورة) اي صاح به وانتهره زاجراً . ومنه (جرجه) اي جره . ومن ذلك : زرع
 دليل) اي متفرق هنا سنبلة وهناك اخرى . (دلف يبتنا) اي وكف وقطر .
 (دندل) دلى . (دقر الباب) اوصده . (دحينام) محقنهم . (وافينام) طلعت هبلة

الماء (اي بخاره . (يزعق الولد) يصرخ ويصيح . (زفر ثيابه) وسنّها ودنسها (زرب الماء او زرب او ذرف) نضح وانهرق . (انقطع حيله) قوته وحوله . (حيص الدابة) شدّها وربطها . وبنعتون الرجل الداهية الشديد المكر بكلمة (حرج) اي المكر الخنثال الذي لا يؤخذ من وجهه .

وربما قال بعضهم ان بعض هذه الالفاظ من مفردات العربية الفصحى ولكن لها في بعض التعابير من المعاني ما يحتمل على ان يقطع المرء بانها سريانية المبني والمعنى والوضع والمولد .

ومن ذلك « طرطوع » من يخلط في كلامه خلفه عقله . (طرش ثيابه) ايس لوثها وقذرهما . (اطرشوه ماءً) رشتموه وانضحوه . ومنه « بطرشون بيوتهم بالكلس او بالحواري » وهي سريانية . (يا ويا يوجد) ويا البحر او اليم ما يشيرون اليه يضارع امواج البحر غزارة . « كبس العجل » روضه . « كوش او كوش الزبالة » جمعها وكومها . ونقول العجوز لجارتها تغزل صوفاً وغيره اذا ماتكدرت منها « خرب الله كوشتك » تريد احلّ الله ماتكوم من خيوط ساق مغزلك . « تلوش العجين » تعجنه وتعركه . ومن صلواتهم « الميامر واحدها ميمر *Homélie*) قطعة حسنة ينشدون بعضها خلال النداس بلحن . ومه دعاء لمواتهم « الله ينيحهم والله ينيح نفوسهم » اي يريحهم ويمتعهم بالراحة . ومن دوائر لغتهم قولهم « قلبي سايف » اي فان وتالف . « الساعور » المفتقد والزائر والعائد . « عقوس الزنبور » الحمة وابرة الزنبور التي يلسع بها فيقولون عقسه الزنبور اي لسه . « العتيد » الآتي والمقبل . « داء الفالج » مرض شق وشطر والفالج يصيب عادة شطراً من الجسم فيقطعه عن الحركة او يأخذ منه الاسترخاء . « الدم يفللك » يلوثك ويمرغك كأن ينال قتلك الله ومرضك بدمائك . « فرط الثمر » ثمره . « فرم اللحم والتبغ » هبره وقطعه إرباً إرباً . « فرايط الخبز » فتاته . « فرشخ » وسع ما بين رجليه . ومثله « فشخ »

ومن دوائر لغتهم قولهم « ان هذا الشيء يقاوي كثيراً » يصبر على عوادي الدهر . « هو قافط او قامط » معبس . « قرش الحمص » صرّ اسنانه عليها فظهرت بها متانتها . « القديس » الشيخ والمسن . « يرصون الزيتون » يرصونه . « يرشمون البيدر » يضعون علامة عليه ومنه « الرشم » للطابع المنقوش الذي يسمون به البيدر . « شبشول

الذرة « ماتدلى منها دعوها كذلك لاسترسالها كاسترسال اغصان الحفنة . » يشفون اشجارهم « يلقونها . » اشخط الاولاد « اطردهم . » شحرك الله « سودك . » تشطح على الحصيرة « تمدد وتسطح . » ريج الشلوق وتسمى الشلوبة « اي اللهبه والضرم . » شلح متاعه « ارسله ورمى به بعيداً و « شلح » تعرى . « الشلفة » الفأس الصغيرة يقطعون بها الخطب . « شمت له اذنيه » اقتلهما « شمت » خطف . « شعف او شقف الرغيف والحجارة » من كسر جراً . « الشربوكة » الشرك والأحولة . « انشطر » انخرق وانخرق . « شرم الاذن » قطعها . « شمرشت الشجرة اوشلشت » تأصلت وضربت عروقها في الارض ومنها الشروش . « شمرش ارضك » اقطع عروقها . « الشماس والاشبين » للمعروفين عند النصارى « شتل بستانه » نصبه . « الطغمة » الزمرة . « ضربه وتوكة » عطبه . « تكثك » هذر وثثر . « تف الطعام » فاءه ومجه والنف البصاق غير السائل . ويصفون الرجل الداهية بكلمة « بهموت » وهو الغول عند السريان كالسحلاء عند العرب . « يح ياولدي » جف ونفد . « نوص القنديل » من برض العشب اذا بان اولاً فاو لا . ويقولون « فو عليك » اي اف عليه كلمة تكره . « شخط جلده » اي خزق . « كش الدجاج » وغيره من الطائر زجره . « تحمط له او عليه » اغتاظ وغضب . « تروحن » انفرج ونفس كربه « البكير واللقيس » للمطر الوسي والولي . ويقول من يتورط في امر صعب يتنكى قائلاً ماهذه « البلشة » اي الضر . « بعه » رفسه برجله وركله في بطنه . « برعط الولد » من تبرعص في الماء اي اختلج فيه . « الغوغا » الصخب والجلبة « جم الكرم » اذا اقتضبها من اقل جذعها لتنت من جديد . « الجملون » وهو سقف من خشب محدب كسنام الجمل مستطيل وهو تصغير الجمل في اللغة السريانية . « جعر الفدان والجمل » من عجم الثور والجمل . « غف الطائر فريسته » اذا حام حولها او وثب بشدة . « الدجال » وهو الى السريانية اقرب منه الى العربية . ويقولون عمن يموت برداً « دنق » اي تعذب وتألم لما يأخذه من نوافح البرد . « حركش » من حرش بين القوم واغرى . « يطيب ارضه » يجعلها صالحة لالقاء البذار فيها . « الطربون » الفصن الصغير او المورق . « كدن الفدان » من قرن الثورين اي شدهما الى نير واحدة . ويقولون للشيخ المسن « اختيار او ختيار » اي شيخ . « ماسورة الحائك » وهي لفافة من الخيوط يلفها على عقدة قصب مخوفة .

ولو اردنا استقصاء هذه الكلمات الدخيلة في اللغة العربية العامية بل واللغة الفصحى

الدخيلة من الالفاظ السريانية لطال بنا المطال . وهنا نكتفي بما تقدم مضيفين اليه « سكر الباب » « مرد الغربال » « عكشه الثور » نطحه « عرم التراب » كومه وكده « عرم الاناء والكيل بالجوامد » اطفحه « فرطش مناخيره » « فر كثر الولد » « فقع » تمزغ غيظاً « فاش علي وجه الماء » « فشار » المهذار « صمد دراهم » « صمد العروس » « صنة الابط » ننه . « قبع الحجر » اصله في الركن فاستعمل في القلع « قرمة الشجرة » جذعها « قن الدجاج » « جلد فلان مقشب » اي شارث متشقق « الشوب » الحر « الشموط » الكبة من الصوف « الشقيف » الصخر العظيم « شقل الحجر » رفعه « الشرنقة » البيت الذي تنسجه دودة الحرير لنفسها « طبش الاناء » كسره . وكذلك « الناسوت » و « الجبروت » و « الكهنوت » و « الملكوت » و « برا وجوا » و « وباخ الثوب »

غرف التجارة

ايقنت الامم التي كانت تحرص في اوائل القرن التاسع عشر على الانتصار في ميدان الهيحاء ان المصالح الاقتصادية اهم المصالح واكثرها نفعا فاخذت تعمل لتوسيع نطاق تجارتها واعرضت عن توسيع مساحة بلادها . ولا مشاحة في ان تقدم الامم ونجاحها في حالي السلم والحرب ومضاء حكمها ونفوذها في البلاد الابتدائية لا يكون الا بالمال وما يقوم به من الاعمال التجارية والصناعية .

تقحمت الدول في القرن العشرين حرباً ضروساً لفتح مصادر جديدة لمحاصيلها المتزايدة يوماً فيوماً في جميع انحاء المعمور بفضل الصناعات الكبرى اعني الصنائع التي تكون بالالوف المؤلفة من رؤوس الاموال وتضم الالوف من العمال تحت سقف المعامل الفخمة وهكذا اخذ ارباب الصناعات والمستثمرون يبحثون البحث المدقق عن اسواق البلاد في كل قطر ومصر . وكان النصر في حلبة هذه الحرب حليف الفئة التي اعدت السلاح الاقوى والاسباب المؤثرة فنشأت من ذلك لامتهم مكانة اقتصادية بين الامم لم تكن لتعلم بها قبل عشرين عاماً او ثلاثين .

ان اميركا التي كانت تستحصل دون ان تعنى بتصريف محاصيلها ويعمها الى عهد غير بعيد احست بلزوم الحيد عن سياستها النافسية بسد ابواب التجارة حتي ان احد

المفرطين في التشديد باصول حماية الصناعة والتجارة دسرح لامتة في خطبة القاها قبل وفاته بيضة ايام انه لابد من توسيع نطاق التجارة وعقد العهود مع بعض الدول توصلاً لهذه الغاية وفتح خللات في ابواب الجمارك المسدودة

ولست امة الاميركان وحدها في حاجة الى المبادلة التجارية بل جميع ام الارض المنتجة مضطرة لمبادلة محاصيلها زراعية كانت او صناعية . وليس الاستحصال غاية وانما هو واسطة والمستحصلون لا يستحصلون لانفسهم بل للارتفاع بما هم احوج اليه من ثمرات اعمال غيرهم عن طريق المبادلة ومكائنتها ورواجها متناسبان مع مكانة المصادر ووفرتها وتحقيق ذلك من واجبات التجار مباشرة واما الحكومة فلا ينتظر منها الا ابلاغ التجار ما يتصل بها من الاخبار بواسطة قناصلها والذب عن حقوق رعاياها في البلاد الاجنبية وان لاتسن قوانين وانظمة تمس حرية التجارة وان تقيم قوتها مقام قوى الافراد حيث تكون الامة متأخرة في العلم والتجارة وان تكون لم خير دليل فيما يمكن ان تكون

ولكن التجار في البلاد الراقية لا يعتمدون في ترقية التجارة الوطنية الا على انفسهم ولا يستغني تجار الامم النازلة عن هذا العضد على ان موظفي الحكومة لا يعلمون حق العلم ولا يستطيعون ان يعلموا كنه التجارة وسير اعمالها . فكيف يصح ان يقودوا التجار وهم احوج الى قيامتهم وآرائهم المؤيدة بالاشجار الصحيح والتجارب المتواصلة .

ونصارى القول فلا يجدر بالحكومة ان تعين وجهة سير التجارة بين بلادها والبلاد الاجنبية وان فعلت لاتصلح خطأ اوجبه تدخلها حتى تقع في مثله ومن الحتم على الحكومة ان تشاور من هم احق بالمشورة في سن الشرائع والانظمة الداخلية وتعيين خططها في المشاريع العمرانية ووضع الضرائب التي لها علاقة بالتجارة والقيام بكل ماله مساس بالمصالح الاقتصادية والانتفع في حيص يبص فلا تنطبق شرائعها على حاجيات الامة ولا تلائم الاحوال الاقتصادية وتحول دون ارتفاع البلاد من حيث العمران وتختق الروح التجارية بالتعديل الذي تحدته في اصول الضرائب . وبعد فان المعهد الذي يهدي الحكومة الى المحجة المثلى في مجرى اعمالها ويقوم بكثير من الواجبات التي ترتفع بها مكانة التجارة الوطنية هي الغرفة التجارية

اخذت الطبقات الاقتصادية «*» في الامم التي نالت حريتها السياسية واحتفظت هي ونوابها بحق التشريع تسعى لترقية الاوضاع التي يؤلفها المنتخبون «بالفتح» من بينهم

«*» التجار والزراع والصناع او ارباب مذاهب المعاش المشروع

لبدافعوا عن منافع الطبقات الاقتصادية وكان لهذه الحركة الاقتصادية ثمرات عظيمة تعود على الافراد والامة بالدفع العميم ولما كان اعضاء هذه الاوضاع «غرف التجارة والزراعة والصناعة» يمثلون الطبقات الاقتصادية عامة اصحت كلمتهم نافذة عن موكلتهم والحكومة تحترم آراءهم واقوالهم وتصيخ الى مطالبهم لانهم امناء الزراع والصناع والتجار وعمدتهم ولهم اطلاع على حاجات البلاد مهماتنوعت وتضاربت فيؤلفون بينها ويجمعونها حول مركز واحد

ومن المسلم انه لا يعتمد في الشؤون الحيوية الا على ذوي العلاقات بالمناهج الحيوية ولذلك يستناد من آراء ارباب الصناعات في الصناعة ومن التجار في آرائهم عن التجارة . ولما كان الرجوع في كل مسألة الى عامة التجار والصناع متعذراً اقتضت الحال ان تعتبر هذه الغرف والاندية التي حاز اعضاؤها الثقة العامة مرجعاً وآراء هذه الاندية تعتبر كأراء عامة افراد الطبقات الاقتصادية . والحكومة تعلم حق العلم ان موكلي رجال هذه الاوضاع قوة عظيمة اجتماعية في البلاد وان الايدي لا تتجرس ان تتلاعب بهذه القوة .

اقامت الغرف التجارية لمصلحة يجب الدفاع عنها ولا يرجى انتطاف الثمرات من هذه المصلحة بمجرد اعمال الحكومة وتدابيرها ولذلك لا ينكر احد الداعي الى تأسيس الغرف التجارية ولكن هل هذه الغرف اسست على طراز واحد في كل قطر ومصر ؟

الفرق تنقسم من حيث تأليفها قسمان

١ - الغرف المؤسسة على القاعدة الفرنسية تؤسسها الحكومة ويحضر جلساتها من نوابهم الحكومة عنها وحق انتخاب اعضائها محصور بالتجار المقيدون في سجل الغرف التجارية او من يدفع منهم مبلغاً معيناً من ضريبة البانت والحقيقة ان هذا التكل من الغرف عبارة عن نقابات الزامية ومدخيلها من الضرائب الموضوعة لها .

والغرف التجارية في المانيا وهولاندا والنمسا وإيطاليا والبرازيل ورومانيا من هذا القسم .

والغرف الصناعية والتجارية في النمسا توفد نواباً الى مجلس الامة ولذلك فان لها هناك فروضاً سياسية تقوم بها . وغرف التجارة الالمانية رسمية ايضاً ولكل من غرف الحكومات الالمانية التجارية قوانين خاصة بها . ولها واجبات خاصة عدا عن واجباتها العامة تتعلق بالامور العادلة اذ انها تنتخب مرشحين من التجار بناطبهم امر القضاء في محاكم الدعاوي التجارية وتعرض اسماءهم على الامير .

والغرف التجارية في إيطاليا تابعة لقانون ١٨٦٢ وغرف التجارة الرومانية تابعة لقانون ٧ ايار ١٨٨٦ اما الغرف التجارية العثمانية فهي على الجملة من الغرف المؤسسة على القاعدة الفرنسية .

٢- الغرف المؤسسة على القاعدة الانكليزية عبارة عن نقابات تجارية حرة ليست لها صفة رسمية قط . ومداخيلها من رواتب الاعضاء وهذه الغرف التي يمكن ان ينظم في سلكها جمهور صنوف التجار اشبه بنقابات الصناعات المتحدة المؤلفة من رؤساء الصناعة بتلك النقابات المنتشرة في الاقطار الاوربية كافة .

تلتم الغرف التجارية كل عام في انكلترا وتؤلف مؤتمرًا عامًا وكذلك في اميركا وللقرارات التي تبرم في مؤتمر اميركا وانكلترا شأن عظيم . والغرف التجارية في البلجيك واميركا والبرنقال واليابان من هذا النوع . تنشئ الغرف التجارية الانكليزية الثغور وتعمد بحفاظتها وتستوفي في مقابلة ذلك ضرائب معينة من السفن .

ولهذه النقابات « الغرف التجارية الانكليزية » التي تؤلف قوة عظيمة في مملكة بريطانيا العظمى تأثير كلي في كثير من الاصلاحات القانونية .

وقد كانت غرف التجارة في البلجيك الى تاريخ ١٨٧٥ من نوع الغرف الفرنسية ثم نزعتم « بضم النون » عنها الصفة الرسمية وسمح القانون من ذلك العهد بتأسيس غرف حرة . اما روسيا فلها اشكال من الغرف خاصة بها :

اولاً في كل بورص لجانب تنتخبها التجار والصناع على اختلاف ضروبهم ولهذه اللجان اجتماعات متوالية . ثانياً ان لكل من صنوف التجار والصناع مجامع ينتخب اعضاؤها « جمهور النصف الذي ينسب المجمع اليه » واهم هذه المجامع « مجمع معدني روسيا الجنوبية » وتلتم هذه المجامع مرتين في الخريف والربيع من كل عام وتمتد اجتماعاتها خمسة عشر يوماً وعشرين وقد تتجاوز الاجتماعات هذه المدة . ثالثاً ان في نظارة التجارة الروسية مجلساً صناعياً تجارياً تعين الحكومة النصف من اعضائه وتنتخب الصناع والتجار سائر الاعضاء ويتجدد انتخاب هؤلاء « الاعضاء المنتخبون » مرة كل ثلاثة اعوام .

فتم اللوائح القانونية التي لها علاقة بالتجارة والصناعات كافة من لجان دور البورص والمجامع والمجلس الصناعي التجاري في نظارة التجارة الروسية وكل من هذه الاوضاع يؤخذ رأيه في اللوائح المذكورة .

هل الغرف التجارية المؤسسة على الاصول الانكليزية انفع ام المؤسسة منها على الاصول الفرنسية ؟

ليس من جواب قطعي لهذا السؤال لان شكل الغرف اي كونها رسمية او حرة تابع لاخلاق الامة وآدابها وعاداتها ونوع تربيتها .

فحيث تكون فكرة الاشتراك بالاعمال والأفدام والجرأة على القيام بالمشاريع غريزة في النفوس يقوم التجار بتأسيس غرف حرة انى يرغبون وبالشروط التي يستحسنونها ففنان بذلك المصالح التجارية وحيثما فتد هذا التهور الحي والمبادي لا يهل انشاء هذه الاوضاع ولا بد للقيام بهذه المشاريع من اشراف القانون عليها

ولم يقتصر الاوربيون على تأسيس غرف تجارية في بلادهم بل اسسوا مثلها في البلدان التي يتجرون معها فان لفرنسا خمسا وعشرين غرفة تجارية في لندن وناپولي ورومية ونيويورك وامستردام وغيرها وللانكليز والنمسا والمجر والبلجيك واميركا وايطاليا واسبانيا غرف تجارية في باريز وقد نجم عن هذه الغرف فوائد كثيرة لتجار البلاد التي تنسب اليها وذلك لانهم يأخذون عنها الاخبار المفيدة ويدركون حاجيات البلاد التي أسست فيها وميول سكانها واذواقهم وبذلك تساعدهم على ايجاد المصادر وتوسيعها . وتكون رئاسة الشرف لهذه الغرف التي تؤسس في البلاد الاجنبية في عهدة القناصل على الاغلب .

والحكومات تخصص مبالغ من وارداتها تدفعها الى غرف التجارة المؤسسة في البلاد الاجنبية لسد العجز في ميزانياتها لما لها من الفوائد والاعتماد وليس لهذه الغرف صفة رسمية عند الحكومة تنسب اليها ولا عند الحكومة التي أسست في بلادها ونظارة التجارة الفرنسية المؤسسة خارج فرنسا وهذه تخبر الحكومة الفرنسية رأسا .

وقبل ان نبين تأليف الغرف التجارية وقوانينها في فرنسا والبلاد العثمانية تأتي هنا على التعريف بوظائف الغرف التجارية في حياة التجارة العامة لكل مملكة .

١ — الغرف التجارية تعنى حق العناية بالتربية الاقتصادية للبنين وتلتقى مسألة التعليم التجاري بما يجدر بها من الشأن فتسفيد المدارس التجارية وتستميل الشبيبة الى التجارة والسياحة وتحبي في نفوسهم فكرة الاقدام والجرأة وتنظم للمدارس الخطط المفيدة التي تقوي ارادة التلاميذ وتؤسس المكاتب ليألف الشبان والطلاب مطالعة

التأليف والمصنفات المحررة باقلام السياح وتدعو اهل العلم لالقاء المحاضرات وتمنح الجوائز للمقيمين في الممالك الأجنبية وتعلم في مدارسها لغات البلاد التي تكون ميداناً فسيحاً لحركتها التجارية وتلك الجملة تنشيء شبيبة يقظى جريئة على الدخول في الحياة التجارية تدخل هذه الحياة واعمالها مكللة بالنجاح .

ومن مميزات التربية الاقتصادية الدروس الليلية والمتاحف التجارية ودور الانباء والاستعلامات وكل هذه متممة لفوائد التدريس والتعليم .

٢ — الغرف التجارية توجه الرأي العام نحو عقد المعاهدات التجارية على المباديء الحرة وتوسع في تنظيم تعرفات الجمارك بحيث تسهل نشوء التجارة وتقدمها

٣ — تتوسط الغرف التجارية في عقد المقاولات بين الامم صيانة لحق التملك الصناعي خارج البلاد كما في داخلها وتطالب بسن القوانين الضامنة لانتقال الحقوق الاجتماعية والبيوت التجارية من البائع الى المشتري دون اضطرار الى تغيير اسمائها وبذلك يصان كل اسم تجاري ذي شهرة من الاختلاس والضياع .

٤ — الغرف تعاضد الحكومة نقداً ومادة لانشاء المشاريع العمرانية النافعة .

٥ — تصدر الغرف التجارية مناشير ومجلات وتطبع محاضر جلساتها وكثيراً ما تنشر نتائج تحقيقاتها الخاصة عن المسائل التجارية .

٦ — اذا كانت دائرة الغرفة ضيقة النطاق لا تقتصر في انحاءها وتتبعاتها على هذه الدائرة وتطالب بالاصلاحيات التي تنفع عامة انحاء المملكة وتنتخب كل ما يمكنها من الوسائل التي تؤدي الى التقدم والرفق .

وفي المراكز التجارية الاوربية كافة اندبى تقوم بهذه الوظائف احسن قيام واعضاؤها من الرجال الذين قضوا اربعين او خمسين سنة من حياتهم في التجارة واشتهروا في خلالها بالعلم والعمل ومكارم الاخلاق . واذا شئت ان تعلم كم لاعمال اولئك الرجال ، رجال العلم والعمل ومباحثاتهم من الفوائد فهذه آراؤهم في المسائل التي لها تماس بحياة بلادهم الاقتصادية والمالية ومطالبهم التي يعرضونها على حكوماتهم واعمالهم وآثارهم المفيدة كلها شواهد وحجج دامغة .

اقتبست قوانين غرفنا التجارية من الغرف الفرنسية ولذلك سنبعث هنا عن ماضي هذه وحاضرها لنعلم منشأ تلك . اول غرفة تجارية فرنسية أسست غرفة مرسيليا التجارية التي كان تأسيسها في اواخر القرن السادس عشر ونشئ ايضاً في اوائل القرن

السابع عشر من الغرف التجارية في تسع مدائن فرنسوية محافظة على المصالح التجارية . ولكل واحدة من هذه الغرف شكل خاص ومع ذلك فان لها اوصافاً عامة مشتركة بينهن فاعضاء الغرف الطبيعيون هم اعضاء محاكم التجارة والاعضاء المنتخبون « بفتح الخاء » يؤخذون من صنوف التجار والقدماء منهم اومن اعضاء محكمة التجارة سابقاً . وكانت الغرف مكلفة بابداء آرائها ومطالبها فيما يتعلق بالمصالح التجارية وعرض المذكرات التي يدفعها التجار اليها الى المراجع العليا .

يقول مؤرخو الفرنسيين لم تؤثر هذه الغرف في سياسة البلاد الاقتصادية تأثيراً مهماً ولم يكن لها سلطة تذكر الا ان غرفة التجارة المارسييلية لم تكن كذلك بالنسبة لامتيازها الطبيعي ولان قنصليات الشرق كانت ملحثة بها والمها على التجار من الحقوق والواجبات المؤبدة بالقانون وكانت تسمح لاقامة الفرنسيين في مرسيليا وكانت لها اسطول لمناهضة اللصوصية في البحر « القرصان » . ومن جملة اعمالها انها كانت تشتري الاسرى وتقدم الهدايا الى الملك وتغني السفائن المكتوبة وقد بلغت نفقاتها الاعتيادية مليوناً واحداً عام ١٧٨٩

ولما ألغيت اكثر اوضاع الدور السابق عقب الثورة الفرنسية الكبرى أُلغيت الغرف التجارية في الجملة وبعد ثمانية او عشرة اعوام أُسست في اثنتين وعشرين بلدة غرف تجارية مقيدة بقيود نظامية ضيقة النطاق غير ان هذا الشكل لم يثمر قط ولم يمنح وقتئذ حق انتخاب الاعضاء الا لاربعة او خمسين تاجراً كان ينتخبهم الوالي وقضى الامر المؤرخ سنة ١٨٣٢ باحداث لجان منتخبة مؤلفة من اعضاء محكمة التجارة واعضاء مجالس الصلح وجماعة من التجار يبلغ عددهم عدد اعضاء ذلك المجلس ومنحت ثورة عام ١٨٤٨ حق انتخاب الاعضاء لغرفة التجارة التجار الذين يؤدون ضريبة البانت عامة . ولما عادت الادارة السابقة امرا الامبراطور بأن يكون تأليف لجنة الانتخاب من قبل الوالي والقاعدة المرعية اليوم في انتخاب الاعضاء وضعت عام ١٨٧٢ . وآخر نظام يتعلق بالغرف التجارية وضع عام ١٨٩٨

والغرف التجارية في نظر القانون الفرنسي هي واسطة الدفاع امام الحكومة عن المصالح التجارية في اصقاعها المعينة . ولا توجد الغرف التجارية في الجهات عامة وانما يطلب ناظر التجارة والصناعة تأسيسها حيث يرجى النفع ثم يؤخذ رأي مجلس الناحية التي طلب الناظر تأسيس الغرفة فيها ورأي مجلس الولاية العام والغرف التجارية فيها وبذلك ذلك

تفتح بارادة خاصة . وفي القانون صراحة بانه لابد من وجود غرفة تجارية واحدة في كل ولاية على الاقل واذا دعت المصالح التجارية الى تأسيس اكثر من غرفة يجوز وعندئذ يذكر في الارادة الصادرة بتأسيس كل غرفة حدود القطعة التي يتعلق بالغرفة الدفاع عن مصالحها التجارية . وفي بعض الولايات تسع غرف تجارية . وللغرف التجارية اعضاء اصليون او عاملون واءضاء مخابرون . وسأعود الى بيان كيفية انتخاب الاعضاء الاصليين اما الاعضاء المراسلون فتنتخبهم الغرف رأساً ولم الحق في حضور الجلسات ويستضاء بأرائهم ولا يجوز ان يكونوا اكثر عدداً من الاعضاء الاصليين . والاعضاء المراسلون احسن صلة بين الغرفة والتجار وبوجودهم في هذه العضوية يتهيئون للانتظام في المستقبل في العضوية الاصلية التي لاشك انها اكثر مكانة من الاولى ولا يغرب عن القاري الكريم ماينجم عن هذه الاصول من الفوائد . وعدد الاعضاء العاملين يختلف بين ٩ و ٢١ ويجوز ابلاغ عددهم الى (٣٦) في غرفة التجارة الباريزية فقط ويجب النص صريح بعدد اعضاء كل غرفة في الارادة القاضية بتأسيسها واذا قضت الاحوال يجوز تعديل هذا العدد بالارادات التي تصدر بعد التأسيس .

واليك الآن اصول انتخاب الاعضاء الاصليين . ينتخب كل من محكمة التجارة وغرفة التجارة ومجلس الصلح ومجلس البلدية والمجلس العام بعض اعضاء مجلسه فتتألف من هؤلاء المنتخبين «بفتح الخاء» و رؤساء المجالس المذكورة « محكمة التجارة والغرفة التجارية ومجلس الصلح والمجلس العام» لجنة تعنى بتنظيم دفتر باسماء المنتخبين « بكسر الخاء» ولا يجوز ان يكون عددهم اقل من خمسين ولا اكثر من الف « الا في باريز فيجوز ان يكون عدد المنتخبين ثلاثة آلاف وان يكون معادلا لعدد عشر التجار المكلفين بتأدية ضريبة البائنت وبعد اتمام هذا الدفتر يدفعون به الى الوالي ليعلمنه

ثم تلثم لجنة الانتخاب تحت رئاسة مدير الناحية وتشرع بالانتخاب وشروط الانتخاب للعضوية ان يكون المرشح مكلفاً بتأدية ضريبة البائنت منذ خمس سنين ومقيماً خلال هذه المدة داخل حدود الاقليم الذي تنسب الغرفة اليه وباغاً الثلاثين من عمره وان يكون ايضاً اما تاجراً او دلالاً في البورصة او من مديري شركات الانونيم اوربانياً لاحدى السفن ذات الاسفار البعيدة ولم يصرح القانون بشروط اللجنة غير انه معتبر ضمناً لما لاعمال الفرق ومقاصدها من الشأن الوطني

وتجري الانتخابات بالرأي الخفي والاكثرية المطلقة عن المرشحين المسطرة اسماءهم على

قائمة خاصة واذا تساوت الآراء ينظر الى الاكثرية الاضافية واذا تكرر التساوي يرجح الاكبر سناً ثم يكتبون محضراً بصورة الانتخاب ويدفعونه الى الوالي وهذا يرسله الى ناظر التجارة . وللناظر حق مطلق في رفض عضوية اي شخص كان من المنتخبين (بفتح الخاء) ولو لم يكن ثمة اسباب قانونية . وبعد اجازة انتخاب الاعضاء وتصديقه من قبل الناظر يؤسس الوالي الغرفة بالفعل . ومدة العضوية ست سنوات ويتجدد انتخاب ثلث الاعضاء مرة في كل عامين بطريقة الاقتراع ويجوز اعادة انتخاب اي عضو كان بعد انقضاء مدته مهما تكرر انتخابه للعضوية والعضو الذي يتغيب عن الغرفة ستة اشهر بلا معذرة يطلب الناظر رأي الغرفة في شأنه ثم بعد اخذ رأي الغرفة يعلن انه اعتبر مستقيلاً من عضوية الغرفة وينتخب (بفتح الخاء) سواء في اول انتخاب (من الانتخابات الجزئية) التي تتخلل الست سنوات .

ظهر للقاريء الكريم ان الانتخاب لا يشمل التجار كافة ولقد تكرر الطلب من مجلسي الامة والاعيان لتوسيع هذا الحق ولم يسعف المجلسان هذا الطلب . وبعد ان تتألف الغرفة من الاعضاء يجتمع اعضاؤها وينتخبون لهم رئيساً اول ورئيساً ثانياً اورئيسين ثانويين وكاتباً واميناً للصندوق والغرفة التجارة الباريزية وحدها الحق في انتخاب عدة رؤساء ثانويين وكاتبين ويتجدد انتخاب الرؤساء والكاتب وامين الصندوق مرة في كل عامين ولا بأس بتجديد انتخابهم لهذه الوظائف نفسها وللولاة والمتصرفين الحق في حضور الجلسات وآراؤهم استشارية وكانوا قبلاً من الاعضاء الطبيعية يرأسون الجلسات التي يحضرونها . واذا فقدت الغرفة ربع اعضائها باي سبب من الاسباب يجب انتخاب غيرهم في مدة شهرين وتدعى هذه الانتخابات الانتخابات المتممة . الا اذا كانت السنة التي حدث فيها هذا النقص في مجموع الاعضاء سنة الانتخابات الجزئية فيجب حينئذ التربص ريثما تجري هذه الانتخابات . ولا يجوز هذا التأخر الى حلول وقت الانتخابات الجزئية اذا فقدت الغرفة نصف اعضائها فاكثراً . ومن حاز الاصوات الكافية في الانتخابات المتممة تنتهي مدته بانقضاء مدة العضو الذي انتخب عنه .

ولا تجري المفاوضة عن امر ما في الغرفة الا اذا حضر اكثر من نصف الاعضاء ولا يبرم امر الا باكثرية الاصوات المطلقة واذا تساوت الاصوات فالارحية في جانب الرئيس .

ولا يتقاضى الرئيس والاعضاء رواتب عن وظائفهم هذه ولرئيس محكمة التجارة

حق التقدم على رئيس غرفة التجارة في التشريرات كما ان لاعضاء هذه المحكمة نفس الحق على اعضاء الغرفة التجارية .

وللغرف التجارية استقلال تام في الامور الداخلية وهي تسن نظامها الداخلي وتعده كما شئت ولها حق المخاطبة رأساً مع ناظر التجارة وغيره من النظار . والقانون صريح في ان للغرف ان تنشر محاضر جلساتها واكثر الغرف تستفيد من هذا الحق . وليس لاعضاء غرف التجارة صفة الموظفين ولا تعتبر اعمالهم من اعمال القوة الاجرائية بثباتا . واليك الواجبات الرئيسة التي يجب ان تقوم بها غرف التجارة باعتبارها شخصاً ادبياً ذا استقلال له كما عليه حقوق وواجبات ،

١ — الاجابة عن الاسئلة التي ترد الى الغرف فيما يتعلق بالامور الصناعية والتجارية .

٢ — ان تبدي الغرف آراءها في اسباب ترقية الصناعات والتجارة

٣ — القيام بالاعمال التي ينحتم على الغرفة صيانتها

فالبند الاول والبند الثاني من واجبات الغرف الاستشارية والثالث من حقوقها الادارية . والغرف التجارية تؤسس مخازن عامة ومستودعات تجارية ودوراً للبورصة ومدارس تجارية وكذلك تشتري امتيازات بعض المشاريع النافعة . ولا بأس بمنح الغرف هذه الامتيازات اذا رغبت هي فيها بشرط ان لا تثبط مساعي الافراد او تضعف فيهم قوة اقدام للقيام بهذه الاعمال والمشاريع . والامور التي يرجع فيها للرأي الغرف هي كل ما له مساس بالنظمات والعادات التجارية وانشاء غرف تجارية جديدة ودور للبورصة ومحاكم تجارية ومراكز اسماصة البورصة والدلائل وبيان اسعار الاموال وتصديقها عند الحاجة وماله علاقة بتعريف الدلالة وانظمتها وتعاريف الجمارك واصول الرسوم الجركية وتعارف النقليات وقوانينها والضرائب التي تؤخذ لتنفق في محلها للمشاريع النافعة والعمرانية وتأسيس مصارف « بنوك » جديدة او فروع للمصرف الفرنسي ومخازن عامة واحداث اماكن للبيع بالزيادة .

والغرف التجارية مكلفة بدفع ضريبة البانت عن الاشغال التجارية التي تتعاطاها برخصة خاصة او امتياز بشرط ان يكون لها من اربح صاف واما اذا توازنت النفقات والمداخيل فلا تدفع شيئاً . ومن حقوق الغرف المهمة حق المخاطبة بعضهم بعض والاتحاد لصيانة

المصالح العامة المشتركة وتكبد بعض النفقات المشتركة ايضاً . فالمخاطرة سهلت المفاوضة بين الغرف وبالاشتراك سهل القيام بالشاريع التي لها علاقة باكثر من ولاية .
تنقسم مداخيل الغرف الى ثلاثة اقسام : (١) ضريبة الباتنت التي تستوفى من التجار بحسب طبقاتهم ومكلفتهم والهبات والوصايا (٢) المداخيل الغير الاعتيادية وهي الضميمة التي تضاف الى ضريبة الباتنت والتخصيصات التي تأخذها من الحكومة وما يرد على الغرف من مبيع العقارات والقروض (٣) المداخيل الصافية التي تأخذها الغرف المذكورة من الاعمال والشاريع النافعة والتجارية التي تقوم بها .
وتنقسم نفقات الغرف ايضاً الى ثلاثة اقسام « ١ » النفقات العادية « ٢ » النفقات الغير العادية « ٣ » النفقات الخاصة .

النفقات الاولى ماتنفقه الغرف لادارتها السنوية ، الثانية ماتنفقه الغرف لشراء اراضي وعقارات او بناؤها او المخصصات الغير العادية . والثالثة وهي النفقات الخاصة ماتنفقه الغرف على الاوضاع التي لها او تعهدت هي بادارتها . والقانون الفرنسي الاخير سمح للغرف التجارية بتأليف ذخيرة احتياطي وهي مكلفة بتنظيم موازنة منتظمة تميزها نظارة التجارة ولها ان تعقد قروضاً باسمها ولكن لا بد من اقترانها برادة رئيس الحكومة .
هذه خلاصة كيفية تأسيس غرف التجارة الفرنسية ويظهر مما سبق انها ليست حرة تماماً وبينها وبين الحكومة صلات وارتباط .
الباقى للاتى

بين النهرين : تعريب ز . خ



نهضة سورية

لم يبق مجال للشك بان بلاد الشام ناهضة نحو الترقى بقدم ثابتة وعزم اكيد فقد بدأت تبشير النهضة من بيروت بعيد حوادث سنة الستين التي انتهت بمنح الاستقلال الاداري لجبل لبنان وضعف امرها في اواخر مدة السلطان الخلع عدو المعارف اللدود ثم سررت نفحة من تلك الروح الطيبة بعد اعلان الحرية اذ ايقن بعض الاهالي ان العهد عهد كفء آت لا عهد شفاعات والدور دور نشاط واقدام لادور جمود واجسام وان من لا يعد للدهر عدته يهلكه الدهر ولا من يرحمه .

ولقد نال من نعمة الدستور في السلطنة كل بلد بقدر استعداد اهله وكان من توفرت لم ذرائع التعلم اكثر ركوزاً الى ورود مناهل العلم وليس في سورية مدينة

استقام لها امر التعليم كغفر بيروت الذي حمل اليه الافرنج ولا يزالون يحملون علمهم واموالهم ليربوا بها ناشئة الشرق ويخرجوهم على المنازع الغربية مازجين الى تلقين المدنية تلقين النصرانية وقد وقفوا الى ما قصدوا اليه منذ نحو نصف قرن

ولكن اهل البلاد انتبهوا الى ما يلحقهم من الغضاضة اذا ظلوا عيالا على ما اسسه لهم الافرنج من المدارس فبدأوا بتأسيس مدارس طائفية اهلية سبق اليها المسيحيون اولاً في بيروت وبعض مدن سورية ثم هذا حذوهم المسلمون في بيروت فدمشق فغيرهما ولكن البيروتيين على قلة عددهم وغناهم بالنسبة للدمشقيين فاقوا جيرانهم هؤلاء لان اعتمادهم كان على انفسهم واعتبروا حق الاعتبار بما حمله اليهم المرسلون من الاميركان والالمان والروس والفرنسيين وقدروا المبادي والخواتيم فأروا انه لا يتقدم من سوء المصير الا العمل لتثقيف عقول ابنائهم على الطرق الوطنية الحديثة

اما الدمشقيون فقد استمروا وظائف الحكومة فكانوا ولم يزالوا اذا تعلموا شيئاً لا يقدرّون له من الفوائد الا بقدر ما يقربهم زلفى من الحكم ويوليهم التصدر في دست الرئاسة ولذا يرجح ان يكون مستقبل البيروتيين اكثر تماراً جنية من مستقبل جيرانهم اللهم الا اذا اعتمد الدمشقيون على انفسهم وحسبوا التوظيف ثانوياً وقللوا من توقيره في نفوسهم .

هذا مثال ضربناه اما سائر مدن سورية كالقدس وحيفا ويافا وصيدا وعكا وطرابلس واللاذقية وحمص وحمّاء وحلب واسكندرونه وزحلة وغيرها فقد هبت للتعلم بقدر ما تساعدها اسبابها ومن كان اقرب الى الاختلاط بالغربيين كانت نهضته اقوى وارقى كما هو المشاهد من حال حمص اذا قيست بغيرها بانتظر لموقعها وحالتها وكثرة المهاجرين منها الى مصر واميركا فانا نراها اخذت نحو الرقي وهي لا تتجاوز الخمسين الف نسمة اكثر من حلب التي تربو على مائتين وستين بن مركز قضاء من اعماله عشرات من القرى والمزارع وبين قاعدة ولاية عظمى من بعض عمالاتها انطاكية والرها ومرعش بل الوفاء من القرى والمزارع العامرة النية وتجارة واسعة تمتد الى بغداد والى ولايات الاناضول كافة بل كانت فيما مضى دار ملك بني حمدان .

ولكن الحلبيين ابتلوا بما ابتليت به من قبل بعض الحوادر والعواصم كالاستانة التي يعول اهلها على الحكومة في ترفيتهم وكاد بعضهم يتناسون لسانهم ليتعلموا اللسان الرسمي فيتسنى لهم ان توسد اليهم الوظائف التي تلمظ بحلوائها شفاء كل وكلة تكلة يجب ان يعيش كالحلمات الطفيلية بامتصاص دم غيره .

امام الامة اليوم طرق ثلاث تسلكها او احدها للخلاص من ربة الجهل ومصاغة انامل

الحضارة على ما يجب وبقدر ما يجب وهي اما ان تضع جميع امانيتها بالحكومة وتنتظر الفرج يأتيها على يد نظارة معارفها وهو بعيد الحصول قليل الثمرة مهما برقشه المبرقشون وزيت السائسون والحاكمون .

فنظارة المعارف العثمانية قد سنت نظام التعليم الابتدائي والثانوي والعالي بحيث يلائم الاستثانة وبعض ولايات الاناضول التي ينكلم اهلها بالتركية ولم تسنه بحيث ينطبق مع حاجة ابن قوصوه وبانيا ومناسير واشقودرة انطباقه مع حاجة ابن وان وارضروم وبتليس ومعمورة العزيز اوسورية وبيروت وطرابلس الغرب واليمن . فالذين سنوا قانون المعارف كانوا متأثرين بعوامل من حب قوميتهم ولسانهم فلم ينظروا الى الاثر النافع الواجب اعطاؤه لاهل كل اقليم بحسب محيطهم ومزاجهم بل سنوه واكثره لا يعرف من حال الولايات الا النزر اليسير الذي لا يخول صاحب حق التشريع لامة مختلفة اللهجات والحاجات .

وبعد فانا لانعرف كيف نعلل اجبار ابن جبل عجلون على دراسة التركية قبل ان ينال حظاً من لغته . فاذا حملناه على تلقف لغة اجنبية قبل ان يحكم اصول لغته هل يكون فائدة منه لامته ووطنه ياترى ؟ وهل بدراسة مختلة الاسلوب يتيسر لنا ان « نترك » هذا العجولوني مادام لا غنية له عن بلاده وقد لا يخرج منها الا لقضاء الخدمة في الجندية ثم يعود لمجرائه وسكته وثوره وجمله وحماره

ليس الاولى له ان يتعلم من لغته القدر اللازم له من كتابة وقراءة وبعض العلوم العملية الضرورية ؟ وكيف يتيسر لغريب عن لغة لا يعانيتها ولا يسمع لهجتها ولا يقرأ آدابها ان يستطيع بها التعبير عن مقاصده في مثل هذه المدة القصيرة من دراستها . اما هو افع للدولة والامة اذا تعلم هذا الفلاح باللغة التي هي اقرب اليه وانصرف الى ارضه وزرعه اكثر من تعليمه لغة صعبة عليه لاتنفعه الا اذا طمح للاستخدام في الوظائف الادارية والعسكرية ومن يبقى عند ذلك ياترى للتوفر على اخراج ثروة البلاد والاتفاق على هذا الجيش الكثير العدد والعدد وسائر ما يشترك العثمانيون في تسديده في ميزانيتهم من النفقات

ان معنى الوقوف بالعجولونيين عند حد تلقين مبادئ التركية هو ان الحكومة تريد ان تجعل من جمهور الامة حكماً وامراء وضباطاً حتى تكون مادة حياة البلاد آخذة

بالدثور وبيع الناس كلهم كسلمي الاستانة لا يحملون بغير الوظائف ولا يرون السعادة الا من طريقها

هذا ما كان من اصلاح نظارة المعارف في البلاد العربية اما مدارس الاجانب فلا تخلو ايضاً من مضار لان معظمها يأتينا باسم النصرانية ليلقنها الموافق والمخالف وينشر آداب لغته وحب بلاده فترى التلميذ يخرج في تلك المدارس وهي ارقى من المدارس العالية في الاستانة ايضاً ملماً بلفظه ولكنه محكماً اللغة التي تلقى بها مبادئ العلوم وجاهلاً كل الجمل بما ينفع بلاده وقد لا يعرف من تاريخها وعمرانها واجتماعها اكثر مما يعرف عامة الطليان والاسبان عافاً فلا يلبث وقد زينوا له حال الغرب ان ينقلب اليها مهاجراً فكأن هذه المدارس برزخ تنقل المدارس فيها من وطنهم لتعدهم لخدمة اوطان اخرى وبفضل تلك المدارس هاجر من سورية زهاء ثلثائة الف نسمة وبعضهم من المتعلمين يطلبون الرزق في جمهوريات الشمال والجنوب من اميركا ومستعمرات افريقية فغربت بذهايمهم بلادهم وهم لم يستفيدوا بقدر ما فادوا به

ومن ثم لم يبق لنا سوى الامر الثالث الذي يجب علينا الاعتماد عليه الآن لنهوضنا ونعني به اندارس الاهلية والسعي في تحسين حالتها المادية والادبية فهذا النوع من المدارس هو هو معتد آمالنا ومنه تبت شعلة نور الحق وتتأيد كلة الوطنية وتحيا اللغة العربية فلوانشئت مثلاً في كل بلدة وقرية مدرسة اهلية كالمدرسة العثمانية والمدرسة العلمية في دمشق والمدرسة العثمانية ودار العلوم في بيروت مثلاً ووسد التدريس فيها الى خيرة رجال العلم والادب يتتقون العقول كلى منازع الفضيلة وحب الوطن والسعي الى الكمال العقلي انشأ لنا منها بعد زمن وان كانت بدرجتها ادنى من المدارس الثانوية وارقى من الابتدائية ناشئة تستطيع ان تعمل كل عمل وتستعد الى التبريز فيه لانها تكون عارفة بتاريخ بلادها وعظمة امته ومنزلة لغتها من لغات الشرق والغرب ترفع بما تعلمه العامة قبل الخاصة

شاهدنا غير واحد من اهل هذه البلاد من درسوا في مدارس الاجانب العالية فاحكموا لغة اوربية او درسوا في مدارس الحكومة العالية فاحكموا اللغة التركية فما رأيناهم الا قاصرين غير نافعين لانهم ضعفاء في التعبير عن مقاصدهم بلغتهم وشاهدنا من عانوا لغتهم وشدوا شيئاً من آدابها فانتدروا على الكتابة والخطابة فيما مع ما احكموه من اللغات الاجنبية والعلوم الحديثة واصبح العلم الذي درسوه ملكاً لهم لا مالكا لهم

يصورونه متى شاؤوا في المظهر اللائق به فيقولون من اسباب المدنية ما يطبقونه على مصلحة بلادهم لانهم يعرفون داءها ودواءها ويشعرون بالواجب عليهم لها رأينا اكثر من احكموا اللغات الاجنبية الانجليزية احكام ابنائها لها اذا قضي عليهم ان يقوا في ارضهم بعد سن الدراسة صمًا بكما في المجالس عميًا عن مصالح الامة والبلاد لا يحسنون المدخل والمخرج تأبهم التأفف من اهل بلادهم لانهم لا يفهمونهم وما ذلك الا لان تلك اللغة التي احكموها وزهدوا في لغة آبائهم قد نقلتهم الى عداد اهل تلك اللغة فكثروا سواد العارفين بها ولو تعلموا العلوم بلغتهم لنقلوها اليها فزادوها قوة بدلاً من ان تزيد بضعفهم ضعفاً .

واحسن واسطة لارضاء العناصر العثمانية التي لا تقل عن اثني عشر عنصراً تتكلم باثني عشرة لغة مختلفة ان تترك حرية التعلم اكل : عنصر يعلم لغته وبعض ما يبدو له غناؤه من اللغات الاخرى والعلوم وبذلك يسهل اشراق اقلوب محبة الوطنية وتحضير العامة على اسرع صورة مقبولة وربطهم برباط الوحدة العثمانية ومن احب الاستخدام بدخل المدارس الثانوية فيحكم التركية ومن احب الاتجار والتحضر للعلم يحكم لغة راقية من لغات اوربا مشفوعة بالعلم الذي يلزمه الاختصاص فيه . والا فان الفلاحي والباغاري والرومي والارناؤدي والارمني واللازي والجرکسي والتركسي والكردي والبشناقي والاسرائيلي والعربي صعب جداً تحضيرهم في قرون كما صعب على النمسا ان تربط الجرمانى بالمجري بالتسكي بالبوهيمي بالبوشناقي بالكرواسي بالبولوني الا بعد ان اطلقت لاهلها الحرية ان يتعلموا بلغتهم وبدون ذلك لانهض البلاد

سير العلم والاجتماع

المدارس الصناعية في المانيا

كتب احد رجال الفرنسيين كتاباً سماه « المانيا الماملة » جاء في بعض فصوله ما تعريبه : ان السائح الذي يجتاز المانيا يدهش في العادة من انه لا يرى بيتاً قائماً وحده في الاراضي الزراعية بل ان جميع المساكن في الحقول منضمة بعضها الى بعض بحيث يتألف منها احياناً مدن وهذا مما يدل على فكر الاشتراك المتأصل في العنصر الجرمانى الذي يستغرب حال شخص يريد الابتعاد عن اخيه وهناك شيء آخر وهو ان معظم حكومات المانيا

تخطر انشاء المساكن بعيدة عن مراكز القرى حتى لا يحرم الاولاد من الاختلاف الى المدرسة في الابرار الممطرة العاصفة وهناك يسأل الوالدان عن ولد تأخر عن المدرسة فاذا تخلف اقدم يجب على اقربائه ان يبينوا معذرتة والا فيجوزون اشد الجزاء . وعلى رؤساء المعامل الذين يستخدمون في الخلاء عملة او موظفين ان يضموا الاولاد حملهم كل يوم الى مدرسة القرية القريبة واذا كثر العملة في بقعة بعيدة وزاد سوادهم تؤسس في الحال مدرسة عامة وتكون في العادة باعانة من صاحب العمل . وكان من اثر هذه العناية ان قل عدد الاميين في المانيا بحيث لا تجد واحداً في الالف على انهم لم يكتفوا بتعليم مبادي فقط بل انك لا تدخل قرية ولا معملاً ولا بيتاً الا وتجد الجرائد والكتب في الايدي تتلى ويستفاد منها وذلك بين جميع طبقات الالمان

للتعليم الابتدائي والاطوسط في المانيا ميزتان لانظير لها في سائر الممالك وهي انه لا يبعد المتعلم عن العيشة البتية بين ذويه وهو سلم للتعليم الصناعي الذي تختلف درجاته وتراه نظرياً وعملياً في آن واحد

وماذا اقول في دروس الاشياء والجاميع النفيسة التي تراها في المدارس الالمانية والتعليم بالنظر وبالدهن والعمل والازهات المفيدة وغير ذلك من انواع التربية . وما من الماني الا ويعلم شيئاً من التعليم الصناعي في هذه البلاد التي يكاد الناس كلهم يعملون فد وقع في النفوس انه لا يجوز لاحد ان يتعاطى صناعة من الصنائع المقررة قبل ان يملك المهارات اللازمة لذلك . وفي المانيا كبرس الماء الموكية والامراوية والبلدية والخصوصية تنصدها الامة فتستقي من مواردها قوتها المنتجة والعقيلة

واعظم هذه المعاهد واقدمها واشهرها هي كلياتها وعددها اثنتان وعشرون كلية وكانت كل امارة من الامارات الالمانية فيما مضى تحاول ان تكون لها كلية فاقدمها كلية هايدلبرغ انشئت سنة ١٣٨٦ واحداثها كلية بون اُسست سنة ١٨١٨ . وقدم الكلية عنوان شرف لها وقد بقيت كلية هايدلبرغ اكثر الكليات محافظة على منزلتها السامية اما كلية برلين التي اُنشئت سنة ١٨٠٩ فطلابها اكثر . ومن اشهر كليات المانيا كلية ليسبك اُنشئت سنة ١٤٠٩ وهي تفاخر بانها كان من جملة اساتذتها الفيلسوف لايبنتز ومن جملة طلابها كتي ور شاردينبير

لأن كانت لكليات الالمانية مسئلة حرة في صيرورة لم تخصص عليها اسكات فرنسا . فهي منظمة بنظام واحد فالكليات مهما كانت وجهتها في تعليمها نظرية او عملية

لانتافس في اعداد مهندسين وصناع والمباحث التي يستفيد منها امثالهم لا يظفرون بها الا في الجامعات والكليات والطبيعية والعلوم الطبيعية في المدارس الصناعية هي التي يخرج فيها ارباب الهندسة والصناعات وهذه المدارس تابعة لكل امانة هي في بلادها تدير شؤونها وتعطي الدارسين فيها شهادتهم بعد دراسة اربع سنين وعددها اثنا عشرة مدرسة وهي في مدن اكس لاشبل برلين برنويك كارلسروه درامستاد درسد هانوفر مونخ ستوتكار داتريك برسلو فيربرغ وفي هذه المدارس زهاء اثني عشر الف طالب فيخرج منهم كل سنة ثلاثة آلاف مهندس عدا من يتخرجون من المدارس الثانوية الصناعية

وقد كانت الكليات هي التي تمنح لقب دكتور اشرف الالقب واعلاها في المانيا بعد جدال طويل في مجلس النواب تقرر ان من حق تلك المدارس الصناعية ان تمنح هذا اللقب وبذلك خرجت المانيا عن تقاليد القديمة بعض الشيء ولا تسلك كيف ينظر اولئك الفلاسفة واللاهوتيون واللاهوتيون اخلاف الفلاسفة هيكل وكانت وليسغ لمن نالوا شهادتهم على طريقة اميركا الشمالية لانهم اتفقوا صناعة من الصناعات . والامان احرص الام على لقب دكتور حتى انك اذا لم تطلق هذا اللقب التريب على من ناله عد ذلك منك سخرية وفي ذلك دليل كبير ليل هذا العلم والثقبة بالقباه وقد كان للامبراطور غايوم الثاني يد طويل في اعطاء المدارس الصناعية حق اعطاء هذا اللقب الشريف حتى ان في خطاب له لانه كني تلامذة المدرسة الصناعية قرب برلين : انني اغتبط لاني استطعت ان امنح للمدارس الصناعية العالية لقب دكتور انتم تعلمون انني تحملت مقاومات شديدة في هذا السبيل اما اليوم فقد اضمحلت وقد اردت ان اجعل للمدارس الصناعية المقام الاول لما لها من المنزلة السامية لا من حيث العلم العملي بل من حيث الوجهة الاجتماعية . ونظام هذه المدارس واحد وتعليمها واحد اللهم الا ان بعضها تبذل العناية في فروع تهم حاجة اقطارها لما مثل مدرسة اكس لاشبل التي تعني بتعليم الما حرك كل العاية ومدرسة داتريك التي تعني ببناء السفن . وكان من ظفر هذه المدارس باعطاء لقب دكتور اكبر دليل على غلبة الحديد على لقديم

ومدة الدراسة في المدارس الصناعية اربع سنين يدخل من ييده من الوطنيين او الاجانب شهادة من مدرسة ثانوية وفيها يتجلى ميل الالمان للاخصاء فيعلمون بالعلم غيرهم من الام فردا واحدا لخسة افراد قائلين ان الذهن لا يتسع لاكمال المواد عليه في مدرسة هانوفر

مثلاً اناس يتعلمون فن البناء وآخرون الهندسة وغيرهم علم الحيل (الميكانيك) وغيرهم الكيمياء الصرفة وآخرون الكيمياء الكهربائية وغيرهم اجماليات وفيهم ٩٠٨ تلامذة و ١٩٤ تلميذة و ١٥٥ مستمعاً وبين الجميع ٥٩ اجنبياً من ام مختلفة والدروس عملية اكثر منها نظرية وهذه المدرسة خارجية يتناول التلامذة طعامهم قبل الدخول اليها وينقطعون عن العمل من بعد ظهر السبت الى صباح الاثنين كل اسبوع والامان لا يحرصون على تعليم الهندسة الاذكي اذ كياهم بل يريدون ان يجعلوها قرية المثال من كل احد وهم يستعملون كل الطرق التي يرونها نافعة لثلاث يتبعوا الفكر على غير طائل باغراقه مدة ساعات في قراءة صورة ولذلك ترى الاساتذة يأخذون تلامذتهم الى معامل خاصة كثيراً ما تكون بعيدة عن المدرسة ليطلعهم بالعمل على ما ينبغي لهم الاطلاع عليه من الآلات والادوات وكل معامل المدرسة وغرفها وحجراتها وصفوفها منارة بالكهربائية او الغاز على صورة لا تضر بصحة عيون الطلبة حتى انه ليقبل جداً عدد الحسر بين الالمان لشدة العناية بصحة العيون . ومثل ذلك يقال عن مدرسة داتريك وهي خاصة باعمال الهندسة للمهارات البحرية واعمال الري والمرافئ وبحاري الماء وهي كسائر مدارس الصنائع الكبرى اتبته بقصور الملوك منها بالمدارس لما حوت من المرافق والردهات والمآشي والساحات والادوات وهذه المدرسة قد كلف بناؤها فقط سبعة ملايين فرنك وبكفي ان يتصور القاري عظمها اذا قلنا له ان فيها ٩٤ الف متر من الاسلاك الكهربائية و ٢٠٤٥٠ متراً من اللوالب و ٢٩٠٥ مصابيح بيضاء متأججة و ٣٧٢ مصباحاً ذا قوس قوتها ٢٨٥٨٥٠ شعة . وقصارى القول انك لا تمر بقربة ولا قصبة ولا مدينة ولا عاصمة في المانيا الا وتجدها مدارس صناعية كبرى وصغرى على نفقة الحكومة او البلديات تعلم الصناعات المختلفة بحيث فاض عددهم عن حاجة البلاد وذلك لان الشعب الالمانى موقن بان الواجب ان يساهم كل ولد في الوطن الالمانى بالاسلحة الضرورية في الجهاد الاقتصادى

مخطوطات نادرة

في المدرسة الاحمدية في حلب خزانة كتب عربية مخطوطة نجت من عوادي الدهر فكانت احفل مكاتب الشهباء . والى القاري المخطوطات التي لها علاقة بموضوع هذه المجلة نقلها من فهرست نسخته سليم افندي البخاري من علماء دمشق منذ بضع وعشرين سنة « كتب الادب والدواوين » : شرح نهج البلاغة نسختان . شرح ديوان المتنبي

لابن جني . ايضاً للواحدى . تمثيل المحاضرة للثعالبي انتخاب حياة الحيوان . مسليات
الحزين . شرح درة النواص . الجزء الاول من المسعودي على المقامات . الجزء الاول
من مناهج الفكر ^(١) . جواهر القدين في فضل الشرفين . مجموع ابن شمس الخلافة .
طبقات الملوك للثعالبي .

« كتب التاريخ » : الاول من مرآة الزمان . تاريخ ابن الخطيب المسمى بدر المنتخب
مجلدان والثاني مخروم الآخر . من الوافي بالوفيات للصفيدي جلد ٤ . مختصر تاريخ
الذهبي المسمى بالعباب . من مختصر تاريخ الذهبي جلد ٦ . من تاريخ الذهبي جلد ٥ .
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ . مجموعة في طبقات العلماء . منتخبات تواريخ
آل عثمان . تحفة الكبار في اسفار التجار لكتاب جايي . من عيون التواريخ جلد ٧

« كتب منوعة » : تذكرة السويدي تقويم الابدان . مفردات صوري . رسالة
في الطاعون للبليسي واخرى للسيلوني . تشریح الافلاك ليهاء الدين العالمي . صور
الكواكب لعبد الرحيم الصوفي . المباحث الشرقية للرازي . المصارع في المطارحات
الهردي . « تان الابر » . رسالة وضع خطوط نصف الدائرة لابن مجدي المسمى
بزاد المسافر . رسالة خطيب العدلية في وضع المزاويل ومعها رسالة في الاضطراب .
زيح الوغ بك . ملخص الوغ بك . مجموع رسالة في الاضطراب ورسالة في الربع
المنظر واخرى في الربع المحجب . رسالة في ربع المنتظرات . مجموع فيه اثنتا عشرة
رسالة اولها في الربع المنظر واخرها رسالة تركية . رسالة في الاضطراب للطومسي .
فراصة ابن شيخ دبوس . فراصة قيلمون . كتاب الفروسية ورماية الشباب . كتاب
في فروسية المجاهدين وتحفة المجاهدين .

ذهب المصارف

اغنى مصارف العالم بقوده مصرف فرنسا ولذلك تهرع اليه كل دولة تريد ان تعقد
قرضاً فقد بلغ مافي خزائنه من الذهب سنة ١٩١٠ — ١٣٤٨١٨٠٠٠٠ جنيه وما في
مصرف روسيا ١٢٢٠٣٢٠٠٠٠ جنيه وما في مصرف النمسا والمجر ٥٥٠٤٥٦٠٠٠
وما في مصرف ايطاليا ٤٨٠٣٢٠٠٠٠ وما في مصرف انكلترا ٣٧٠٣٤٨٠٧٤٠ وما في
مصرف المانيا ٣٢٠٢٥٠٠٣٥٠ وما في مصرف اسبانيا ١٦٠٧٦٠٠٠٠ وما في مصرف
هولندا ١٠٠٠٦٧٠٣٣٠ هذا في ارق مالكا اوربا وقد بقيت البلجيكي والبرنقال وسويسرا

(١) اعلمه الكتاب الذي تكلم عليه عيسى افندي اسكندر المألوف في هذا الجزء .

والدائيرك واسوج ونروج والصرب وبلغاريا ورومانيا والجلب الاسود فكم تبلغ النقود الموجودة في المصارف العثمانية ياترى ؟

امالي تاريخية

« المعتصم سمي الثمن »

ذكر ابو الفرج : ان المعتصم الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ ٨٤١ م كان يسمى الثمن لانه الثامن في احد عشر امراً اولها انه ثامن ولد ولد العباس والثاني انه ثامن خلفائهم والثالث انه ولي الخلافة سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) وكانت مدة خلافته ثمانين سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام . وولد له ثمانية بنين وثمان بنات وكان عمره عند وفاته ٤٨ سنة وكان مولده في شهر شعبان ثامن الشهر في السنة

« ابن مقلة المثلث »

من غريب ما روى المؤرخون ان ابن مقلة الخطاط الشهير تولى الوزارة ثلاث مرات لثلاثة خلفاء المقتدر والقاهر والراضي وسافر ثلاث مرات ودفن ثلاث مرات لانه دفن اولاً بموضع فجاء اهله ونبشوه ودفنوه في موضع آخر ثم نبشوا ثالثة ودفن في موضع ثالث

« الخليفة الراضي بالله »

من غريب ما نقله المؤرخون ان الخليفة الراضي بالله العباسي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ٩٤٠ م ختم الخلفاء في امور منها انه كان آخر خليفة له شعر يدون . وآخر خليفة خطب كثيراً (واما من بعده فخطبوا نادراً) . وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل اليه الندماء . وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائز وعطايا وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وجبابه واموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين

عيسى اسكندر معلوف

المرأة اليابانية

كتب عالم الماني في تربية النساء في يابان فقال : لم تكن المرأة اليابانية الى اواسط القرن التاسع عشر غير سبينة بيتها وأسررتها فكان اليابانيون يعتقدونها من عنصر اخط من عنصر الرجال ولما ارادت يابان ان تدخل مضمار الترقى حقيقة تغيرت وجهة الافكار بسرعة في التربية كما تغيرت في السياسة وفي سنة ١٩٠٢ كان في يابان ٧٠ مدرسة عالية للفتيات وكان عدد الطالبات في مدرسة الملمات ٣٢١ الف طالبة سنة

١٩٠٣ . وبعد ان ساح الاستاذ ناروس سياحة علمية في اميركا عاد الى يابان فمضد
اناس من كبرائها مثل الكونت اوكونا والبرنس ايتو فأنشأ سنة ١٩٠١ اول مدرسة كلية
للنساء التي اصبح المتعلمات فيها والمستعدات بعد ثلاث سنين الف امرأة . والذي يزد
في العجب من هذا الاصلاح السريع هو ان يابان لم تغفل في تربية النساء عن الوجهة
العلمية فالفتيات يدرسن دروساً عالية ولا يفوتهن استعدادهن لوظيفة الزوجة والام
وهن يعشن عيشة أسرة واحدة وليس في المدرسة تعليم ديني بل يعلم فيها التسامح
وخفض الجانب !

مدارس الغابات

كان الاولاد في كل زمان ومكان يهربون من المدرسة والكتاب لان منهم من
لا يقدرون ان يخالفوا ماركر في غرائزهم من تطلب الهواء الطلق والحركة وذلك
لرداء بناء مدارسهم ولان وضعها غير طبيعي ونظامها مختل معتل وقد اخذ علماء التربية
والتعلم في اوربا يدركون كل الادراك ان من مدارسهم ما يجب السقم ويميت الهمم
وكان السابق الى ذلك اناس في المانيا وانكلترا وسويسرا قاموا يطبقون بين الضرورات
الطبيعية ومطالب المدنية الحديثة حتى يحولوا دور الاولاد والهرب من الكتابيب
والمدارس فيتمتعوا في مدارسهم بما تتطلبه اجسامهم من الهواء والنور ويسرحون ويمرحون
تحت غابات الصنوبر والزنان

قالت مجلة التربية ونشأت هذه الفكرة في برلين لان هذه المدينة القديمة ضيقة
النطاق فاسدة الهواء لما فيها من تراكم الانفاس حتى ان خمسة عشر الف نسمة من
اهلها يعيشون في اقبية تكون دافئة في الشتاء ورطبة بعض الشيء في الصيف فمدينة
شارلوتنبورغ الملاصقة لبرلين هي التي منها نشأت هذه الفكرة لان ابناءها كانوا بضعفهم
الناسي من رداء هوائهم لا يستطيعون ان يتسكروا مع اقربائهم على حين ان مدينتهم
هي ام التعلم وفيها اعظم كلية صناعية فلم يستطيعوا ان يجاروا اقربانهم فرأى احباب الانسانية
هناك ان ينقلوا اولئك الاولاد الى مدارس في الغابات تكون لهم بمثابة مصاح او مصايف
على سواحل البحار فاذا قوبت اجسامهم يتوى ذكاؤهم والعقل السليم بالجسم السليم .
رأوا ان ابناء هذه المدينة اضعف من غيرهم بذكائهم وما سبب ذلك الاضيق حاراتهم
وفساد اهويتهم وان الاولى نقلهم من المدن الى القلاة وهافت اصبحوا الآن يعيشون
بالاولاد بمن ليسوا مرضى حقيقة ومصابون بالهزال اضعف الرئتين والقلب او ظهرت

عليهم اعراض داء الخنازير او غيره من مفسدات الدم — يعيشون بهم الى مدرسة الغابات بدلا من ان يذهبوا الى المدارس الخاصة بالتلامذة المتأخرين فالمدارس الجديدة ليست للمرضى الذين يعدي بعضهم بعضاً ومعاملتهم من اقصى مايكون من الشدة بل هي مدارس المرشحين للسبل وغيرها من الامراض كما يقول الاطباء فتداوى فيها صحتهم ويتقنون مما يتهددهم بدون ان يحولوا بينهم وبين دروسهم او يضيعوا عليهم سنة كاملة . قام الشارعون بهذا العمل وهم يخوفون الفشل والناس في المانيا لا يتظرون في الاعمال الجديدة الا الى ثمراتها الاولى وساعدتهم البنك الالماني في مشروعهم بان اتباع لهم الارض واعطاهم اياها بلا ربا والارض واقعة في غابة على بضعة كيلومترات من شارلوتبرغ يسير بينها وبين الغابة ترامواي كهربائي يصل بين المدينة واول الغابة في عشرين دقيقة ثم يسير الانسان من المحطة الى المدرسة عشرين دقيقة على قدمه الى وسط الغابة وهو اوثقها غليل اكثر من المدينة وصاف للغاية

ومن اهم ما فيها انبعاث رائحة التطران والصمغ من الصنوبر والرينج وليس في هذه المدرسة اكثر من مئة طفل وطفلة جعلوهم في اكواخ من خشب سدوها من الداخل بقماش ولم ينفق عليها كثيراً بل بذات العناية للتوقي فيها من الضباب والمطر وهناك بنايتان من الخشب وهما عبارة عن صفين يفصل بينهما غرفة للمعلم او المعلمة وفي الجدران بعض المصورات الجغرافية والالواح وموقدة القاشاني لامن الحديد المصبوب لان الحديد مضر باتفاق علماء الصحة وهناك تجرئة الدروس في المطر تقام الصفوف في هاتين البائتين على ان تترك النوافذ مفتحة ما لم يكن وفي اوقات الصحو تقام الدروس في وسط الغابات تحت اغصان شجر الصنوبر القديمة والاولاد جلوس على العشب وعلى المروج اللينة وعلى مقربة من غرف المدارس أنشئوا ستيفات مفتحة من اطرافها الاربعة لانها اذا كانت مفتحة من جهة واحدة تكون معرضة لجري الهواء وتكون سطوح هذه السقيفات مثينة تقاوم الاعاصير والامطار ويكون من تحتها مأمن من الرطوبات الرطوبات هي عدوة مدارس الخلاء . وهناك ايضا بعض سقيفات اخب من الاولى واصغر وبجانبها سقيفة واسعة طولها ٢٧ متراً وعرضها ٦ مفتحة نحو الجنوب ويمكن ان تؤوي ٢٠٠ الى ٢٥٠ طفلاً . فتحت هذه السقيفات البرية المبثوثة في الغابة بتسلي الاولاد عند ما يتعذر عليهم ان يخرجوا من المطر الى تحت السماء وهناك يستريحون فيجلسون على الكراسي المستطيلة كلما حالت الرطوبة دون تنزههم تحت الاشجار ولكن تصل الى عيونهم وروؤسهم رائحة

الصور وبعض اشعة الشمس . وفي احدى السقيفات مناخذ مستطيلة ودكات جعلت بيتاً للغداء وفيها صحاف وكؤوس ممتدة على نظام تام يجلس اليها الاولاد اوقات الطعام كل واحد في مكانه الخاص به وفي وسط هذه البنايات الخفيفة أنشئت بناية اكثر ثمانية وهي من خشب ايضاً قسموها اقساماً فمنها قسم للمديرة وآخر للمطبخ وثالث لحفظ الطعام ورابع قيو وحمام او حمامان للذكور والآخر للاناث اما الحمام فعلى غاية من النظافة . وعلى هذا كان الماء الحار والماء البارد والحركة والراحة والهواء والشمس مساعداً على تقوية تركيب الاولاد . وفي هذه المدرسة مستشفى صغير موقت لما قد يطرأ من الامراض والعوارض على الاولاد .

وليس لهذه المدارس وفيها ٢٥٠ ولداً سوى المديرة واليهما يعود امر التربية والصحة وملاحظة الخدامات والمطبخ وستة معلمين وثلاث معلمات

تبدأ هذه المدرسة بالدروس عند ما تعود الحياة الى الغابات والخضرة في الربيع اي بعد عيد الفصح وتدوم بحسب مساعدة الجو وربما دامت الى النصف الاخير من كانون الاول ولكن من العادة ان تطول مدة الدرس الى آخر شهر تشرين الاول في شمالي المانيا والى منتصف تشرين الثاني في جنوبيها فياتي الاولاد نحو الساعة السادسة ونصف صباحاً فتطوف بهم ادارة المدرسة في الغابات الى الساعة الثامنة راكبين في ترامواي معد لهذا الغرض وفي تلك الساعة تبدأ الدروس وفي العادة ان لا تطول مدة كل صف اكثر من ٢٥ دقيقة فبعد الصف الاول يعطى التلميذ خمس دقائق للراحة والنزهة وبعد الصف الثاني عشر دقائق . والاطفال الصغار ومن بعدهم لا يدرسون في اليوم اكثر من ساعتين والاكبر منهم سناً يدرسون ساعة زائدة . والصف لا يتألف من اكثر من عشرين تلميذاً ليسر للعلم ان يعنى بكل واحد من المتعلمين عناية خاصة ويدير شؤونهم واعمالهم . وقد رأت ادارة المدرسة ان اربعة دروس يدوم كل واحد خمساً وعشرين دقيقة افضل من دروس يدوم كل واحد منها ٥٥ دقيقة وفيها من ٤٠ الى ٥٠ تلميذاً وان الاخرى ترك التلميذ يسرح ويمرح في الغاب لان يقعد على الدكة يستمع ٣٥ من اترابه يستمعون دروسهم بما لا يزيد الا ثل حاسة الانتباه فيه ويدخل على نفسه الاشتماز من الدرس مهما كان جذاباً اما الدروس التي يدرسونها في هذه المدرسة فهي دروس المدارس الابتدائية في المانيا ومختصر اللغة المحلية الالمانية وتاريخ المانيا ومختصر التاريخ العام والجغرافيا والحساب والتاريخ الطبيعي والغناء والرسم ودروس الاشياء

وقليل من اللغة الافرنسية لبعض الطالبة ويعنون عناية خاصة بتدريس اللغة الالمانية والتاريخ والجغرافيا والفناء . وان كان الفناء من دروس التسلية اكثر من الدروس الجدية . والتاريخ الطبيعي والنبات والفناء والرسم يعلون في الغابة غالباً وفي جوار المدرسة بالعمل اكثر من النظر وقد تبين ان عقول من يتربون من الاولاد على هذه الطريقة اثقب ومعلوماتهم اكثر بخلاف عقول من يتربون في المدن وما يحصلونه .

وقد جعلت الالعب بحيث تقوي نشاط الاولاد وتلبي في نفوسهم فكرة الابداع والاختراع فترى المدرسة قد خصت صغار الاولاد بقطعة من الارض مرملة يلعبون فيها ويحفرون ويطمون وينون باغصان الخلاف جسوراً وحصوناً وانفاقاً ومجاري وكثيراً ما تستعمل هذه المسليات الى صورة درس في الجغرافيا والطوبوغرافيا فيرسمون بعض انهار بلادهم وما على حفافيتها من الاراضي والمصايف والحصون . وكبار الاولاد يدربون صغارهم على هذه الالعب كما ان المعلمين يلعبون كبار الطلبة بدون ان يظهروا بانهم في صدد درس بل انهم في لعب ونزهة

ولطالما لاحظ علماء التربية ان جهاد المرء اذا صرف الى غاية نافعة يكون عليها في نفس الطفل لذة زائدة فتؤثر في تربيته اكثر مما تؤثر الاعمال التي لا تنجي لها فقد قل ارسطو ان كل حي يجب نشاطه . فاذا كان العمل فرحاً فهو كذلك على شرط ان يتم لا بالاكره بل بحرية اي ان يتم بارادة المرء مدفوعاً اليه بغاية الطبيعة وهي الاججاد والايلاء والاحداث

ولذا اختصت المدرسة كل تلميذ بقطعة صغيرة من الارض حديقة يزرعها ويستبنتها ما يريد فهو ملك هذه الروضة الذي لاراد لحكمه وله ريعها زهوراً كان او ثماراً فترى احدهم يزرع قرفلا او ورداً ليقدم منها باقة لكبار امرته وآخر يميل الى العمليات فيزرع فجلاً او بقولا وبقوة الماء والعناية يستخرج من تلك الارض الرملية المحرقة غلات نافعة حتى اذا تقدم في السن يدرك كم بذل الفلاح من العناية حتى اتاه بمحضر عمل من الجاودار وصفحة من البقول . وهناك طفل آخر مولع بالنبات فيربي في روضته نباتات نادرة من الغابة ويدرس كيفية نشوئها . وهكذا اشرب اخلاق كل واحد من هؤلاء المتعلمين وكلهم يفكرون فيما يستبنتون ان يقدموا من اول غلة لاقربائهم وابوهم دليلاً على مهارتهم وحذقهم . ولا تسلم عما يبذله اولئك الاطفال من الهم ليدخلوا السرور على قلوب غيرهم وكما لها من الشأن والقيمة الادبية التي لا تضاهى .

اما الطعام الذي يتناوله فتد اختارته المدرسة من افلها نفقة واكثرها تغذية لان المقرر الذي يدفعه التلامذة واكثرهم من الفقراء لا يكتفي بتقديم المأكولات الثمينة . وطعام الغداء الذي يقدم الساعة الثانية عشرة ونصف وقت الظهر هو اكبر طعام وما عداه فالاولاد يأكلون كل يوم اربع وجبات الاولى الساعة السابعة يقدمون له كأساً من اللبن الحليب وقطعة خبز ومرقيات لانهم يعتبرون السكر مادة من مواد الغذاء ومقويًا . وفي الساعة العاشرة يقدمون اكلة خفيفة ايضاً وعند الظهر طعام مغذ مؤلف من ثريد ولحم لا يقل عن مئة غرام لكل ولد ويتولى معدها من ١٥٠ الى ٢٠٠ غرام وفاكهة او حلويات او مربيات . وفي الساعة الرابعة يطعمونهم لبنًا حليبيًا وخبزًا بالزبدة وفي الساعة الخامسة وربع يطعمونهم قطعة من الخبز وشيئا من اللوز الهندي (ككاو) . وانت ترى ان اللبن والخبز هما اكثر الاطعمة تغذية واقلها كلفة

واقدر كان من نتائج هذه التربية والحياة المدرسية ان كان الاولاد يأتونها ضعاف الاجسام ثنراً في وجوههم عبوسة وفي نفوسهم انقباضاً وفي ارواحهم ذلّة وصراراً لا تميل انفسهم الى شيء ولا تنبسط شهواتهم لشيء وبعضهم لا يعرفون كيف يلعبون ايضاً فهم خليط من ابتاء الاحياء القدرة لا يعرفون الزهور ولا المروج ولا تغريد الاطيار في الاشجار ولا الحبوب ولا كيف تغيب الشمس فتسحر بمنظرها ولا كيف تشرق فيهبج النفس مراها ولا كيف تسرح الحيوانات في الغابات ولا كيف تطن الهوام والحشرات في الشمس او تعبت بالاوراق وما قد اصبحوا منذ اول دخولهم المدرسة وافكارهم منتبهة ونشاطهم موفوراً وكل شيء جديد لديهم كأنهم في عالم جديد يهتز منهم من لم يهتز لامر من قبل وينتبه اكثرهم رخاوة ويعود اليهم الذوق في الحياة فلا يجدون في العمل سخرة عملة عقيمة وكلما زادت قواهم الطبيعية يعود ذكاؤهم العادي الى حالته الطبيعية

وقد اخذ وزن اجسام الاولاد يزيد من اسبوع الى اسبوع فكان الواحد يزيد نصف ليرة وكثير منهم زاد ثقلهم من ٩ الى ١٠ لبرات في خلال ثلاثة عشر اسبوعاً وكما اخذت المدرسة تراقب وزن التلامذة انشأت تياقب كمية الدم فيهم فظهرت لها نتائج حسنة واخذوا يشفون من الامراض وتحسن صحتهم تحسناً ظاهراً على اختلاف اصقاعهم فثبت ان المقام في تلك الغابة نفع في اكثر المصابين بداء الخنازير وفقر الدم والمستعدين للسل . هذه هي النتائج الخارجية ويصعب تعيين ما حدث للاولاد من النمو في ارادتهم ومقدرتهم على العمل وحسن خلقهم وفرحهم بالحياة وهذا من التوى

اوالنتائج الادبية لم يتيسر لاداة ان تضبط على التحقيق نموها وضعفها ومع هذا فان لها تأثيراً كبيراً لاني صحة الاخلاق بل في الصحة الطبيعية

فالمحيط الجديد الذي انتقل اليه الاولاد وتأثير الطبيعة في نفوسهم والسكون والعمل المعقول والجهد الحر النافع كل هذا يفعل احسن فعل في الاعصاب التي كثيراً ما تهيج من هواء المدينة وضوضائها او تضعف لثة الهواء النقي . فمدارس الغابات هي اشبه بأسرة كبرى كل امرئ سعيد ان يكون منها وكل واحد من ابنائها يحرص على ان لا يسوء سمعتها وفي هذه الدار يتجلى للنظار ما للعناية النسائية بالاطفال لانهم يوحون للمديرة التي تحنو عليهم حنو المرضعات على الفطيم بذات انفسهم ونياتهم واعمالهم فترشدهم وتنشطهم وتحاول ان تجعل منهم اهل حشمة من الرجال وجد من الفتيات . وادارة المدرسة تفكر في ان تجعل مدرستها داخلية لان الهواء النقي ينفع في حالة النوم ضعفي نفعه في حالة الاعفاء بالنسبة لهواء المدن القدرة فقد ثبت ان الطفل عند عودته في المساء الى دار ابويه يفقد احياناً ما ادخره من القوى لرداءة الغذاء والهواء ولاخطاط المحيط في الاخلاق والتربية او لاسباب اخر من اسباب انفعال النفس . هذا وان يكن الالم ان اميل الى ان يجعلوا اولادهم في مدارس خارجية اكثر من الداخلية وقد اشتهر امر هذه المدرسة في بلاد الالماني واخذت كثير من المدن الصناعية تحذوها كما فعلت مدينة البرفلد وكيل ولوبك ومونيخ وموهلوس وغيرها وعمدت كلها الى اقتصار الدرس والدروس واشباع المواد فيها ودوام الراحة وتكثير وجبات الاكل المغذي واجمل مدرسة تحت الغابات في المانيا— وكلها غابات جميلة—مدرسة غلادباش

وكذلك ارسل الانكليزي اناساً من رجال التربية عندهم دروسا طريقة هذه المدارس واخذوا يقلدونها لان طريقتهما اشبه بطرائقهم في التربية والاعتماد على رياضة النفس فيها اكثر من الاكثار من الدرس فلم يحبوا ان يكون الاطفال في الارتياض اقل عناية بامرئ من الفتيات في كليتي اكسفورد وكمبرج حتى ان بلدية لندن نفسها انشأت ثلاث مدارس من هذا النوع وكذلك فعلت مدينتا برادفورد وهاليفاكس واختيرت اماكن زهية فيها الاشجار الهائلة ومصرف بعض الانكليز في هذا السبيل عن سخاء . وفي قصر الانكليز في بذل الجبهات كالطرا اذا كانت تيجنتها تربية القوى الطبيعية في الاطفال ؟

ولقد اخذت هذه المدارس تعلم الرسم في الطبيعة والطوبوغرافيا على شاطئ السواقي والحساب بتياس الاشجار الضخمة وتقدير حجم جذوعها بالمترا مربع والجغرافيا بخط خطوط في الرمل ناتئة . وللاستحجام بالمضخات وغيرها المقام الاول في هذه المدارس . وللإشغال العملية مكانة كبرى فالبنت يتعلمن غسل الثياب وترقيعها والعناية بالاولاد . ومن مبدأ هذه المدارس ان الواجب ان يعرف كل ولد كيف يعمل عملا باصابه . العشرة ولهذا من الشأن العظيم من حيث الاخلاق ونقوية العقائد اكثر مما يتوهم المشوهمون . وكانت نتيجة هذه المدارس باعثة على الرضى اذ قد ثبت ان تسعة اعشار تلامذتها زادوا زيادة محسوسة في وزنهم ونشاطهم . ولئن كان نمو القوى الطبيعية سهلا لتحقيقه بواسطة الدينامومتر ودل البحث على ان الاولاد لم يزدوا وزنا مثل مدرسة شارلوتبرغ الالمانية فذلك لان الجنس الانكليزي في الغالب غير مستعد للسمن كالعنصر الالماني وكان من التلامذة الضعاف في عقولهم ان اخذت تشط من عقلا كما زاد نشاط اجسامهم وقد اغبط الانكليز بما تم من النجاح على ايدي مدارس الغابات ولا تلبث كل مدينة في انكلترا ان يكون لها مدرسة من نوعها كما ان اناسا من رجال المال في اميركا قد احدثوا في سان فرانسيسكو وغيرها اندية للاولاد تضمن لضعاف الحال والصحة السفر لاستنشاق الهواء الطلق وربما كان ذلك مقدمة لاحداث اميركا حذو المانيا وانكلترا في انشاء مدارس في الهواء الطلق وبين اشجار الغابات . وقد اخذت سويسرا وفرنسا تفكر في انشاء مدارس من هذا النوع لان العناية بالصحة هي فوق كل غابة حتى قال ديكارت الفيلسوف انه مقتنع كل الاقتناع بانه اذا كانت تمت واسطة لجعل البشر اذكي وابنه ماهو فليس غير الطب يجب ان يعرض عليه بالنواجذ ويلتزم منه الشفاء

عقول الاطفال

في محلة الاقرباء الانكليزية ثلاث مقالات في اعداد عقل الطفل . الاولى في الدور الذي يمضي على الطفل من سن ٨ اشهر حتى يبلغ ثلاث سنين وهي سن تعلم الكلام ومقدرته على التقليد وغيرته في البحث عما لا يعلم وتكون قواه في التصور والتعقل في مبدئها وارادته جرثومة تبدو في صورة عناد وبعد سن الثالثة تتأصل فيه قوة التعقل بمظهر اكبر وهذه هي السن التي يكون للتفكير فيها شأن رئيسي وتظهر الارادة في مظهر اجلي ويأخذ الولد في تقرير اموره بدون ان تحمله اليها ضرورة لاحقة ولا يتيسر لهذا الشئ في عقل الطفل ان يتم على اصوله الا باجادة تغذيته ونومه فلطول رقاده شأن مهم في هذه السن .

اما من حيث الاخلاق فالذى يجب للوالدين هو ان يطيعهما بدون خشية لان للخشية نتائج سيئة في مستقبله وعلى الوالدين ان يوفقا بان عقل الطفل صغير كجسمه وان الواجب عليهما له اشياء كثيرة وهو لا يسأل معهما عن شيء

والمقالة الثانية في تهذيب الطفل جاء فيها ان المذهب الحقيقي هو الذي يعلم قليلا من كل موضوع وكثيراً في موضوع واحد . وتكون تربية الطفل تربية حرة بان لا يفغل عما يعلمهم الاهتمام بكل الموضوعات الكبرى والصغرى مثل القصص والرحلات والتواريخ في الحيوانات والنباتات ويجب ان تؤثر الكتب التي لها قيمة ادبية فان الذوق يتكون منذ الطفولة كالمفردات التي بها يستعين المرء ان يعبر بعد عن افكاره . ويجب ان لا يعتقد بان الفضيلة تجب الى النفس بالنفس من الرذيلة بل بتحبيب الفضيلة نفسها وما فيها من الخيرات فان الابطال الذين احببناهم وعجبنا بهم وحاولنا تقليدهم في شببتنا يظنون اصدقاءنا يوم نبلغ اشدنا . وباجملة فالواجب ان يذكر ان القراءة تعلم الاولاد وتسليمهم وان لا يكثر عليهم من الكتب المملة ويترك لهم اختيار ما يروقهم منها على شرط ان تكون لها قيمة ادبية او اخلاقية او علمية .

والمقالة الثالثة في تعليم الطفل بالحديث والحوار لانهما يؤثران في تربيته ولكن لا مباشرة فان الدائرة التي يلعبون فيها ويدرسون وبدائع الصنائع التي تلقنهم الجمال والنظام لا اثر لها في امداد نفوسهم واذواقهم بقدر حديثهم فاذا تركوا وشأنهم في حديثهم يصحون وحديثهم نفساً واحداً غير لائق فعلى المعلم ان يعنى بحديثهم بحيث يكون عاملاً واحسن الاحاديث ما كان بحضور النساء لان بعض مدارس انكلترا جربت هذه الطريقة فنشأت منها خيرات كثيرة في تربية عقل الطفل .

الاخلاق والعادات

يرى بعضهم اختلافاً في تعيين معنى الطبيعة والعادة وان الطبيعة والمزاج او الاخلاق لا تؤثر فيها التربية او ان التربية اذا استقامت تغير طبع الانسان فلا تعمل الا على ابطاله وتلاشيهِ وعلماء الاخلاق على اختلاف بينهم في هذا الشأن فقد قال روسو ان التربية التي ليست سوى العادة لا طائل تحتها وهي عاجزة عن التأثير في المرء لانها تجد امامها سدوداً من مقاومات الطبيعة فلا تستطيع تغيير الميل والاسعداد ولا تنقف عشرة في سبيل النشوء فليس في قدرتها الا ان تنير المرء وتهيئ له السبيل للانبعاث والعمل

او انها تنشيء للمرء طبيعة ثانية وتبيد الاولى وتشحذ العقول وتجن الارواح وتحت الارادات وتقويها

فقد اعتاد من يقول بان الانسان غير قابل للتربية ان يجمع بان الشر مغروس في فطرته وهذه هي الحاكمة المتحكمة في تكوين اخلاقه ولكن هذا الزعم فاسد لان الدلالة على تأثير التربية فعلها في تغيير الطباع امر لا يكره مفكر . قالوا ان العادة طبيعة ثانية ومن المحقق انه اذا كانت للمرء طبيعة وهذه الطبيعة متحولة بالعادة فهو من بين سائر الحيوانات خاضع للتأثيرات الخارجية الكثيرة المنوعة التي لها الفعل الاكثر في هذه الاسباب والتخلق بها واحتذاء مثلما فانت الحس الحي اللطيف وتركيب المرء اللدن المرن المستعد بدون عناء لجميع انواع التكوين وقوة المحافظة التي هي طبيعية في المرء وبها يعتاد العادات التي ايسر وجه كل هذا يجتمع اكون اخلاقاً ومظاهراً في المرء متسabee لما يحيط به من الاخلاق والاشكال وما يحفه من الاجسام . وهذا هو جملة القوة العظمى في التربية الطبيعية ومنها تنشأ في الحال التربية الاخلاقية وبذلك يكون المرء قابلاً للكمال الى مالا نهاية له ويستطيع القيام بكل امر

ويعتدل النظام الحيواني بالعادة خاصة فهي بطول الزمن تؤثر التأثيرات النافعة والتأثيرات الضارة . فتركيب الانسان خاصة . استعداد ان يظهر في كل المظاهر . والمرء يستطيع ان يألف تناول السم وربما صعب عليه الافلاح بعد من عادة كان ألفها بالتمرس بها والرجوع عن القبيح الى الحسن فسكان البلاد الرديئة الهواء قد لا تجود صحتهم ابداً في بلاد اجود بهوائها فالمصابون بالربو (ضيق التنفس) الذين تناسيم الاماكن الشاهقة في العادة قد يرون حاجتهم ماسة الى هواء كثيف ثقيل كانوا اعتادوه ايام صحتهم والهواء الشديد قد يزيد في اوجاعهم ويحدث لهم اختناقاً مدهشاً ولقد رأينا سجناء خرجوا من محابسهم ومطابقتهم العفة اقوياء اشداء بعد ان قضوا مدة طويلة مسجونين بجرائمهم ثم ضعفوا وهزلت اجسامهم من الهواء الطلق ولم تعد اليهم صحتهم الا بعد ان ارتكبوا جنایات اخرى اعادتهم الى مطابقتهم الاولى التي اصبحت لهم كأنها مساقط رؤوسهم .

وهكذا في الوسع ان تدخل على الطبيعة تعديلات اصلية كثيرة ويمكن تجديدها وقلبها والاخذ بها في طريق غير طريقها وذلك بالعادة . ثم ان الطبيعة خاضعة لجميع المؤثرات وقابلة لاعتیاد انواع العادات فهي — خلافاً لما يقال — مرنة وقابلة للتحول لا تنظر على حال واحدة بل تفعل فيها الاخلاق والتقاليد وموثرات المحيط والعادات

الشخصية . وقد قال احد علماء التربية ان للمرء مزاجين طبيعيين او اصلي وكسبي فالاول ينشأ من مزاج الانسان فلا يؤثر فيه الا اذا تكرر عليه غيره . وعندئذ يظهر المزاج الآخر اي ان المزاج الاصلى . وخذ بالمزاج الكسبي وهذا الذي يعتبر كأنه مزاج الاهواء الطبيعية والعادات المكتسبة التي يقضى علينا ان نلاحظها فقط فالمزاج الطبيعي يعرف ويظن ويغلط وهو مفترض مثل شروط التربية ولكن المزاج الكسبي هو نتيجة التربية نعرفه ونتشبهه فهو عمل من اعمال التجارب الثابتة

فالمزاج الكسبي هو عبارة عن التبدلات التي تفعل في المزاج بحكم الوراثة -- وان كان يمكن اعتبار الوراثة جزءاً من المزاج الطبيعي -- ومن التبدلات الطبيعية الخاصة المشتركة بين جميع الناس وهي تنشأ من السن ومن الانقلاب الذي يحدث في الانسان عند البلوغ مثلاً . من مجموع التبدلات العارضة التي تترك اثاراً باقية كنمو المرض او الاسباب المنظمة الثابتة كالمناخ واصول المعيشة والاعمال العادية من جسدية وعقلية

وقد ادمجنا في جملة اسباب المزاج الكسبي المرض والمناخ وذلك لانهما يعدلان طبيعتنا وان كان في اليد تعديلهما لانه في استطاعة المرء ان يقاوم المرض ويتوقاه بمراعاة قواعد الصحة ويضعف او يشفيه بالعلاج الخاص به كما انه يصلح او يخفف تأثيرات المناخ او يجعله بحيث يناسبه وان كان في الاكثر عرضة لتأثيراته . والمرض يغير تركيبه ويقطع الموازنة بين الاعصاب الحاسة والحركة وتغلب الاول على الثاني فهكذا تجد في الاولاد والمرضين للأمراض حساً رقيقاً وشعوراً قبل اوانه وذكاءً حسناً ويتحول المزاج ايضاً بحسب المناخ فترى في البلاد الباردة القوى العصبية عاملة قوية والقوى الحسية مخدرة ضعيفة وبالعكس ترى اهل البلاد الحارة اما البلاد الرطبة العفنة فالمزاج فيها يلغى

ومهما كان من تأثير الاسباب الطبيعية في طبيعتنا فالتربية لها مدخل كبير في اعداد الرجال بل انها هي المادة والعامل فانما نجد فيها يستعبدنا سبباً لتحرير رقننا فمن ثم كانت التربية العامل الاكبر في طبيعتنا واذا كان للمرء والاقليم تأثير فذلك يشعر بان طبيعتنا قابلة للتحول . فالحرية ليست سوى اسم اطلق على مرونة تركيبنا الطبيعي والاخلاقي . وفي مكنتنا ان نعارض بين مختلف التأثيرات التي نخضع لنظامها ونكون لها سادة ونطبعها ونفجو من تأثيراتها المفسدة ونحور نفوسنا من قيودها .

يكاد يكون تأثير طراز المعيشة كـتأثير الاقليم واحدهما يتغلب على الآخر فانك تجد في عرض واحد من الكرة اناساً مختلفين في طبائعهم من مثل اليابانيين والصينيين واليونان والأتراك . لاجرم انه ينسب ذلك الى اختلاف العنصر وربما كان لاسلوب المعيشة دخل كبير ايضاً . ولقد قيل ان المدنية لا تقوم الا في بعض الاقاليم كالاقليم المعتدلة فالواجب ان يقال ايضاً لا تقوم الا ببعض التدابير والذرائع وما قط ازهرت الا بين الشعوب المعتدلة .

فالعادة الشائعة باستعمال الافيون في البلاد العثمانية والصين والهند قد اثرت كالمناخ او اكثر بل ساعدت كالحكومة او اشد في تلك البلاد الى توحيش سكانها جعلهم غير صالحين للمدنية . واستعمال الالكحول هو ايضاً عند ام اوربا مسألة حياة وموت . وبلسان اعم ان ضرره يلحق بالصحة عن اختيار وكل خطيئة طبيعية لها نتائج اخلاقية واجتماعية . قال سبنسر : « قلائل في الناس من يظهر انهم يفهمون ان في العالم شيئاً يمكن ان يسمى الخلق الطبيعي . والظاهر ان الناس يعتقدون على الجملة بانه يباح لهم ان يعالجوا اجسامهم على نحو ما ندرك عقولهم . » وانت ترى الفلاح طامعاً شديداً يقتل نفسه في العمل ويستعمل القسوة مع امرأته واولاده فيستنفد قواهم ويخرب صحتهم كما نرى العامل يضع كسبه في الحانة ويحل باصول قواعد الصحة في مأكله ومسكنه بل ان عامة الطبقات في البشر تسرف على نفسها وتبذر في قواها وتعجل الخلل والهرم والعقر اليها وهكذا ضربت المدنية ضربة شديدة بايدي السواد الاعظم الذين لا يقدررون نعمها حتى قدرها واختل نظامها المادي بل ان التقدم المادي وهو شرط ظاهر في التقدم المعنوي يبعث في الحقيقة من التربية والاخلاق حتى ان الامم كانت كلترا التي تحترم الرفاهية الحديثة وتعبد بها وتقص من ذلك عنايتها بامور الصحة كما نيتها بالرفاهية نراها تكاد تكون وحدها سائرة في طريق المدنية بقدم راسخة احسن من الامم التي لها افكار خيالية في الحضارة . فغير ما ينظر اليه في التربية ان يلاحظ ما انطوت عليه جوانحنا ومزاجنا وان نبني نظامنا على اساس الحياة الطبيعية

للمزاج تربية او لا بد له من تربية وقد شوهد بان المزاج غير ثابت من فطرته لانه نتيجة المرض والاقليم والنظام الصحي . يثبت ذلك اي ان المزاج قابل للتحويل غير راسخ مانراه من تحويله لاريساط طبيعية بل اجتماعية كالصناعات مثلاً . فالصناعة تروض الانسان باجمعه وتتحكم في اذوائه وافكاره وتعوده في سلوكه بل تعمل في تركيبه

الطبيعي . ومن البديهي ان ليس الحداد والمطرز متحدين في القوة العضلية كما ليس لهما مزاج واحد وامراضهما ليست متشابهة والاختلاف بين ابن الادب والفلاح والاول بينهما عقله والآخر يشعب عضلاته يخفان بتركهما الطبيعى كالاختلاف المشاهد بين فرنسوي والماني وانكليزي وهولاندي وربما كان اكثر .

اذاً فما هو المزاج ؟ الظاهر انه يصعب ضبطه وتحديدده ولا يتأق تعينه الا بالفكر فيحدد لا بما هو فيه بل بما يمكن ان يستحيل اليه . ولقد نظر المشرعون والحكاماء في القدم الى التربية بانها تدريب منظم تام لا تختل قواعده ولا يضل قاصده وتلى ابدى القدماء تحققت الاعاجيب التي تنسأ من التربية كالجندي والوطني والانسان الذي يقصد الى غابة كالدفاع والعظمة ومجد البلاد ولا يعيش الطامح اليها الا لاجلها ولا يستنشق الهواء الا لتحقيق أميته منها و لوغ اربه . ولقد كان المثال البديع الذي ظهر من تربية الجندي الاسبارطي خير مثل تحدته الام فأعجب بتدريبه القدماء والحدثون وحق لهم ان يعجبوا لا لما تم على يده بل لما بدا فيه من تأثير التربية او تدريب الانسان بالانسان وهكذا درست رومية رجل شحنتها . وفي اسبارطة ورومية يجب على الاخلاقي ان يفكر في تأثير التربية لان هذه التربية لم تظهر قط باعظم من مظاهرها في تلك العاصمتين ولم يمتد سلطانها حتى ولا في عهد اليسوعيين الذين كانوا يعجبون بما يتم على ايديهم من جعل اعضاء رهبنتهم عبيداً خاضعين وادوات تامة

نعم فعلت التربية فعلها حتى اخرجت المرء عن طبيعته الاصلية وعدلت في مزاجه حتى انتهى الفيلسوف ميستر ذات يوم ان يرى الانسان في نفسه او على فطرته فقال انه رأى فرنسياً وانكليزاً وإيطاليين وروسين ولكنه لم يوفق الى رؤية الانسان المجرد العام بل رأى الانسان بحسب المحيط والتعليم والتربية المكتسبة والمزاج ولكن اذا كان الانسان الختبي هو محصول التربية ومجموعة العادات واذا كان ابداً ابن الاحوال الطارئة عليه والعادات والمناخ والقوانين الا يجب ان يقال ان ليس له خلق خاص وان شخصيته تضمحل بما يحدو عليها . فالظاهر اننا لانظر للشخصية الا عند مقاومتها للتربية ونراها مبالغة بنعريفها للمؤثرات التي تؤثر فيها

ترجع التربية الى العادة وهذا انقسم علماء التربية الى قسمين فمن قائل بتأثيرات العادة ومن قائل بعدمها . فزعم روسو بان للتربية دخلاً قليلاً في اعداد الانسان قائل ان التربية استبعاد له وان خير عادة يوردها الطفل ان لا يعود اسراً ما حتى ولا الاكل والشرب

ولا اليوم في ساعات معينة بل ان يعد للاستمتاع بحريته وانت تلاحظه من بعيد كما تلاحظه في استعمال قواه تاركاً لجسمه العادة الطبيعية وان يكون ابداً مالك قياد نفسه وان تربى ارادته عند ما يكون مالكاً لها قال والعادة الوحيدة النافعة الاولاد هو ان يستعبدوا للضرورة الاشياء بدون عناء والعادة الوحيدة النافعة للرجال هو الاستعداد للعقل بدون كبير امر . ومثل لذلك بالنبات الذي تشينه وتكره على ميل خاص فلا يلبث ان يعود الى اصله اذا اطرحته من يدك .

وقواعده هذه تنطبق على التربية بل هي قواعد التربية بذاتها اذ لا فرق بين التربية والعادة وما التربية الا العادة فمن ثم كانت التربية تربيتين تربية ظاهرة موقته وتربية حقيقية دائمة فالاولى هي التي تقاوم الطبيعة والثانية هي التي توحى اليها الطبيعة ولا تعمل الا على ترفيتها وموافقة قانونها ولذا قال روسو ان الناس من ينسون تربيتهم او يضعونها ومنهم من يحفظون بها . على ان الاعتماد عن الفطرة مما ينافي العقل فالحكمة نقضي بان نحمل مع الطبيعة ولاجلها وكل تربية لا تجري على هذا النظام لا تكون عبثاً ثقيلاً فقط بل تكون عبثاً لانه لا نتيجة لها . ومن الباطل ان نعتقد ان مخالفة الطبيعة في التربية تغني غنائها وماهي الا ظواهر فان معظم العادات كما قال روسو التي تمتد انك تلقنها الاولاد ليست عادات حقيقية لانهم أخذوا بها بالعنف وجروا عليها على غير ارادتهم فهم يتوقعون الفرص لينزعوا ربقتها . وقوله هذا صحيح لا غبار عليه فان بدريتو *Bedrito* الذي أخذ وهو طفل من محيطه المتوحش وربى التربية الاوربية الدقيقة تحلى يوم خلا له الجو ونجا من ايدي مديريه عن عبث الرفاهية الظريف وراح يعود بين اهله الى عيشة الكسل والعطالة والشقاء التي قادته اليها . يوله الارثية ولم يعد قط الى حاله الثانية . وكذلك كان من حال الصيني الذي تزوج من امرأة فرنسية واخذها معه الى بلاده فلما بلغها اخذ ينظر الى زوجه بانها غير مساوية له وانقطع عن معاملتها معاملة متمدنة . وبهذا تبين ان التربية ليست غالباً الا طلاء يزول لافل عارض . وقد قال الفيلسوف ريبو ايضاً ان الطبيعة لا تماند وان للارت والميول الطبيعية دخلاً كبيراً في التربية . ومن رأي روسو ان العادة لا يمكن الا ان تكون منطبقة على الطبيعة .

وقالت العقيلة نكرسوسور التي نافضت روسو في نظرياته وجعلت للعادات في التربية الشأن الذي اراد روسو ان يسأله عنها ان الولد ليس الا كائناتاً لدناً رخصاً قابلاً للتحويل مستعداً الى التطيع بالعادات يتناول ذلك على ابس وجه بدون تكبر وليس في العادات

عائق عادي يخدر قواه بل ان الاتفاق يتم ابدآ بين الخلق والعادات وكما كان الولد فتيآ في السن انبعثت عاداته من اخلاقه ومن نفسه . وبالجملة فانه يحصل للولد ذوق في العادات التي يعتادها فيقع استحسانه على ما يراه . قالت انها رأت طفلاً في الشهر التاسع من عمره يبكي بكاءً شديداً ويأبى ان يتناول غذاءه لان الفجبان والصحفة والمعلقة لم تكن موضوعة في محلها التي جرت العادة ان توضع فيه . فاستدلت بذلك على ان ذوق النظام كان بذرة في الطفل فالواجب على المربي ان يريه ويقويه وهكذا تجد ذوق النظافة والحياء فطرية في الانسان قالت انها شاهدت طفلة في الشهر الثامن عشر من سنها تبكي اذا مس احد مقطف مريبتها في الزهرة وقد رأت هذه الطفلة امرأة مبهولة دخلت ذات يوم وسرقت من البيت قفطان والدتها فاخذت تصيح صياحاً هائلاً . ومن هذا يستنتج ان العادة ايسر في الاصل عارضية دخيلة فينا بل انها تدخل ونساب في حياتنا بقدر ما نصادف من الائتلاف وتنبه فينا من الشعور ويتفق مع ارادتنا وهكذا هي مادة من شخصيتنا ولكن تلك العادات لا يجب ان تخرج عن الطبيعية ولا تتمازج وياها كما يمازج قلبان كأنهم ماتراضعا لبتاً واحداً ويتعلق المرء بالعادة مختاراً لا مضطراً فتظل عاداتنا كما كانت في الاصل بهجة وظرفاً لاسلسلة وقيداً ليكون لسان حال كل امرئ ان عبوديته حلوة وعبي غير ثقیل . نعم يعتاد الامور وهي محبة اليه ولا يعتادها متكارهاً .

واقدر كان القدماء ينظرون الى التربية بانها تدريب مدقق شديد او تدريب على اسلوب تام ولكنهم يشفعون تربية الجسم بتربية الروح فلم يكونوا بكثفون بتربية العضلات بل كانوا يلقنون المربي العبادة او احترام القوة ويرون ان التدريب او العادة ليس بشيء اذا لم تظهر بانها ترجح الروح .

قال الكاتب الفرنسي الذي احتذينا عن مبحث له هذه النبذة : وطرقتنا في التربية هو ان لا ننظر الى ان العادة والخلق موجودة بذاتها ومستقلة بنفسها بل ان نعتبرها بان احدها يقوم بصاحبه وهو متم له

اصلاح حوران

تمت لسورية أمنيتها التي طالما نشدتها من ادخال حوران ولا سيما جبل الدروز في الطاعة واصلاحه اصلاحاً ادارياً ليسعه بعد الآن ما يسع عامة الاقاليم العثمانية . فوفق القائد العام في الحملة كّي جبل الدروز سامي باشا الفاروقي الذي انتدبته الدولة لتأديب العصاة بالظن معرفة اللغة العربية ولانه استعان على تحقيق رغائبه بقواد من ابناء هذه

الديار اومن سكنوها زمناً وعرفوا احوالها وساعد على ذلك انتظام الجندية في العهد الاخير انتظاماً يغبطنا عليه المحب فقابل الدروز العسكر باطلاق الرصاص بالقرب من السويداء قاعدة الجبل كما قابلوهم في قنوات والكفر وما والاها فاستولت الحملة على تلك البلاد واحرق بعضها لما بدا من اهلها من المقاومة ومن سلم للحملة عومل بالرفق والعدل ولما ايقن الدروز بانهم كانوا على ضلال في مقاومة الدولة استسلموا كلهم ودخلت بلادهم في الطاعة وعادوا الى اعمالهم الزراعية فجمعت الحملة اسلحتهم واحصت نفوسهم وساقط الى الجندية نحو الف من شبانهم كما اعتقلت من ثبت كل الثبوت اشترأكه في القنينة الاخيرة وعصيانه وربما حكمت على عشرات منهم باحكام مختلفة بما اقامته في السويداء من الديوان العرفي ولا يعرف بالتحقيق عدد من هلك من الدروز في هذه الوقائع لان من عادتهم ان ينقلوا جرحاهم وقتلاهم في ساحة النزال مهما كانت الديوان متهاطلة على الرؤوس على ان الاخبار الرسمية ترجح انه قتل منهم نحو الف كما استشهد من الجنود ٥٧ بينهم ضابط وجرح نحو مائة بينهم اربعة ضباط وبلغ عدد الجيش الزاحف نحو عشرين الف جندي .

وقد عم الاصلاح لواء حوران بهذه الواسطة وخيم الامن على تلك الربوع فاحصيت نفوس سكان السهول منه وسكان جبال عجلون كما احصيت نفوس جبل الدروز ويقال ان من بدخلون الجندية من شبان حوران هذه المرة وكانوا لا يخدعونهم من قبل نحو اربعة آلاف جندي وسترج الدولة من هذه الحملة اموراً كثيرة اولها انتشار الامن في سورية كافة وثانيها زيادة الاعشار والاموال والضرائب من هذا اللواء الخصب فيزيد دخل هذه الولاية للحكومة فقط زهاء مائتي الف ليرة مساهمة

سكان الولايات العثمانية^(١)

الولايات والمصرفيات	بالكيلومتر المربع	عدد السكان	في الكيلومتر المربع
المساحة			السكان
— في الروم ابلي —	١٦٩,٣٠٠	٦,١٣٠,٢٠٠	٣٦
ولاية الاسطانة	٣,٩٠٠	١,٢٠٣,٤٠٠	٣٠٨
مصرفية جتالجه	١,٤٩٠	٦٠,٤٠٠	٣٢
ولاية ادرنه	٣٨,٤٠٠	١,٠٢٨,٢٠٠	٢٧

السكان	المساحة	الولايات والمتصرفيات
في الكيلومتر المربع	بالكيلومتر المربع	عدد السكان
٣٣	٣٥٤٠٠٠	١٠١٣٠٤٨٠٠
٢٩	٢٨٤٥٠٠	٨٤٩٤٠٠٠
٣١	٣٢٤٩٠٠	١٠٠٣٨٤١٠٠
٢٨	١٠٤٨٠٠	١٩٤٤١٠٠
٣٠	١٧٤٩٠٠	٥٢٧٤١٠٠
١٨	٥٠١٤٤٠٠	٩٤٠٨٩٢٠٠
٤٧	٦٤٩٠٠	٣٢٢٤٣٠٠
٢٧	٨٤٠٠	٢٢٢٤٧٠٠
٢٠	٦٤٦٠٠	١٢٩٤٥٠٠
٢٥	٦٥٤٨٠٠	١٤٦٣٦٤٨٠٠
٢٥	٥٥٤٩٠٠	١٠٣٩٦٤٥٠٠
١٠	١٠٣٤١٠٠	١٤٠٦٩٤٠٠٠
١١	٣٩٤٩٠٠	٤٣٢٤٤٠٠
١٣	٧٠٤٩٠٠	٩٣٢٤٨٠٠
١٨	٥٠٤٧٠٠	٩٦١٤٢٠٠
١٧	٦٢٤١٠٠	١٤٠٥٧٤٥٠٠
٢٩	٣٢٤٤٠٠	٩٤٨٤٥٠٠
١٣	١٨٦٤٥٠٠	٢٤٤٧٠٤٩٠٠
١٣	٤٩٤٧٠٠	٦٤٥٤٧٠٠
١٧	٣٢٤٩٠٠	٥٧٥٤٢٠٠
١٥	٢٧٤١٠٠	٣٩٨٤٧٠٠
١٣	٣٧٤٥٠٠	٤٧١٤٥٠٠
٩	٣٩٤٣٠٠	٣٧٩٤٨٠٠
٧	٦٣٧٤٨٠٠	٤٢٨٨٤٦٠٠
١١	٨٦٤٦٠٠	٩٩٥٤٨٠٠

• سلانيك

• مناستر

• قوصوة

• اشقودرة

• يانيه

— في آسيا الصغرى —

ولاية الارخبيل (بحر سفيد)

• متصرفية ازميت

• ييغا

ولاية خداوندكار

• آيدين

• قونية

• اطنة

ولاية انقره

• قسطنطيني

• سيواس

• طرايزون

— في ارمينية وكرديستان —

ولاية ارضروم

• معمورة العزيز

• بتليس

• ديار بكر

• وان

— في سورية وما بين البحرين —

ولاية حلب

السكان	المساحة	الولايات والمتصرفيات
عدد السكان	بالكيلومتر المربع	في الكيلومتر المربع
٣٣	١٦٠٠٠	بيروت
٦٥	٣١٠٠	متصرفية لبنان
٢٠	١٧١٠٠	القدس
٨	٩٥٩	ولاية سورية
١	٧٨٠٠٠	متصرفية الزور
٥	١١١٣٠٠	ولاية بغداد
٤	٩١٠٠٠	الموصل
٣	١٣٨٨٠٠	البصرة
٢	٤٤١١٠٠	— في بلاد العرب —
١	٢٥٠٠٠٠	ولاية الحجاز
٤	١٩١١٠٠	اليمن
١	١٠٥١٠٠٠	— اباله طرابلس الغرب —
١١٧	٤٦٨	— سيسام —
٢٢	٩٦٠٠	— قبرص —
٣٦	٨٦١٨	— كريت —
٣٦٢	٣١١٤٠	— مصر —
١٠	١٦٧٤٠٠	— تونس —

التربية الجديدة

لا ينبغي للمدرسة ان تكفي بالتعليم بل ان تعد رجلا عاملين للحياة ولذا قامت انكثترا وفرنسا والمانيا وسويسرا وروسيا واليابا والولايات المتحدة بانشاء مدارس جديدة تريد ان تتناول من التليذ حياته باجمعها لان تربى عقله فقط تربد ان لاتكون المدرسة دار تعلم بل دار احتذاء تهتم بالحياة قبل التعليم . وقد وضع فروبل *Froebel* اعظم باحث بالتربية في العصر المائني قاعدة من شأنها ان الواجب للتعليم مع العمل فالمدارس الجديدة وجدت لتطبيق هذا الفكر وتدفعه الى نتيجته الطبيعية وهي ان الواجب التعلم مع الحياة فيقتضي من ثم للانسان الكامل الذي يجب ان يعمل

عملاً مثمراً ويجد السعادة في علاقاته الشخصية ويصبح وطنياً صالحاً — يقتضي له جسد سليم وذكاء شديد وصفات لازمة له في ضروريات الحياة . وهذه القوة والمقدرة الطبيعية والصفات الاخلاقية لا يتأتى الحصول عليها الا بالعمل فيجب ان يعيش الولد حياة الصحة الجسدية والجهد العقلي والاخلاقي حتى اذا دخل في سن الرجولية تكون له قدرة واعتماد على استخدامهما في الغايات الحسنة .

وقد كان حتى الآن ينظر الى المدرسة بانها جعلت لثرقية العقل وان سائر شؤون الحياة هي في الطفل من عمل الاسرة ولكن اسباب الحياة قد تبدلت في العصر الاخير حتى لم يعد في طاقة الاسرة ان تجهز الطفل بجهاز من الصفات اللازمة له في جهاد الحياة فاقضى من ثم للمدرسة ان تقوم بهذا الواجب فتنشئ عادات صالحة وتعلم الاسباب اليها ولاغية في تلقين هذه التربية الآن عن المدارس الداخلية لان محيطها مستمد لتصوير الطفل في الصورة اللازمة لتفعله فلا يجد فيها ما يخالف الغرض الذي يرمي اليه بخلاف من يقضي شطراً من حياته الاولى في البيت وقد يكون هذا في الاكثر جارية على غير سنة المدرسة في الآداب وهناك فوائد اخرى في التربية المدرسية وهي انها تساعد الاولاد على ان يكبروا في الفلاة ويتعاطوا الاعمال المطلوبة منهم ويفهموا فائدها ويعيشوا في ظل الطبيعة خلال السنين التي تتأثر الروح بالانطباع بطابعها

ومنذ امد طويل عرفت التربية الطبيعية في احسن المدارس الانكليزية مكانة . فانكثرتا هي بلد الرياضات والحياة في الفلاة والبراري ومن هذه المدارس نشأ في الانكليز حب اللعب في الهواء الطلق فينظم الاولاد لانفسهم العابهم دون ان تتدخل في شؤونهم ادارة المدرسة حتى اصبحت الالعاب والرياضات اهم جزء من التربية في المدارس الثانوية في البلاد التي يتكلم بها باللغة الانكليزية وفي غيرها ايضاً .

وبعد فان الزهات (الفسح) في الفلاة والحمامات في الهواء الطلق ولعب الرماية والهدف والشغل اليدوي على اختلاف انواعه واختيار الغرف المعرضة للتهوية على الدوام واستعمال اللباس الساذج المعتول والطعام اللطيف الصحي ومراعاة قواعد الصحة في استعمال الوظائف الجسدية كل هذا ما يجب ان يعم امره في المدارس كما تعم الالعاب وهي لازمة لبقاء الصحة ولا سيما لايجاد عادات راسخة متى زالت سلطة المدرسة عن رأس التلميذ وتلقي في نفس الاولاد حب الحياة السليمة النشيطة فينبغي لنا محيط

يسمح بكل ما تقدم على ان يترك شيء من هذه الاضافات للمدرسة التي لاتضع سبقي قنونها
ماعدونا. نحل ولا جرم يواجهها الاول

قال العالم الانكليزي الذي ننقل كلامه هنا عن مجلة التربية الفرنسية وليست احسن
ذخيرة عقلية يحملها الفتى من المدرسة هي مجموعة معلومات علمية وانشاء جميل بل القدرة
على التفكير بنفسه فيكون له ارادة على الابتكار ويعد لان يقوى على حل المشكلات كلما
عرضت . وهذه القوة لا يحصل عليها بالبحث في الكتب بل بان يعمل الولد الشيء بذاته
على اختلاف ضروبه والواجب ان يتسع في خطط المدارس فتكون دروسها متنوعة وتولي
كفاءة كل امرئ حرية اوسع . فدماغ الولد لا يقوى بالقراءة بقدر ما يقوى بالعمل
والدماغ في الاصل لم يبحث عن عادات اليد بل ان اليد علمت العادات للدماغ وهكذا
يجب العمل في تنشئة الطفل ليكون رجلا فيجب ان يكون لنا في خطط الدروس اعمال بدوية
منوعة كثيرة لا لانها اساس العلوم والفنون التي توصلنا اليها بل لانها في حد ذاتها ادوات
ثمينة في التربية . ففي الاعمال العملية وفي الاعمال الكتابية يذغى لنا ميدان نشاط ودرس
لنكون على بصيرة من بلوغ القوى والمصالح الحقيقية في الطفل ونكشف استعداداته الشخصية .
يجب ان لانتسى ان القيمة الرئيسة في عمل ما ليست بنتائجها المادية بل بطريقة انتاجها
في طريقها وان اهم نتيجة وادومها هي العادة العقلية التي ساعدت على الانتاج . يجب
للمدرسة والمعلم عمل شخصي وان يعطى التلميذ مسائل ليحلها بالاختبار اكثر مما يحلها
بالتعقل فتصير العلم يجب ان يعتبر بانه سياحة اكتشاف اكثر مما ينظر اليه بانه تعلم
ما اكتشفه الغير فلا يجب ان يطلب من التلميذ ان يتعلم لينتفع بهد معارفه اذا سخط
له الفرص بل ان يعلم ضرورة العلم بالعمل السريع الذي يرى نفسه مضطرة ان تقوم به
فالتربية الجديدة لا ترمي الى تنشئة رجال ونساء ذوي كفاءة وقدرة بل تريد اعداد
وطنيين صالحين ينفذون بخصائصهم لا لينالوا منها فوائد خاصة لهم بل ليعاونوا الناس
ويساعدوهم . يعود الاولاد ان يقدروا انفسهم بانفسهم وان تمهيا لهم اسباب العمل فلا
يكفي ان يتعلم ما هو صالح اذا لم تقو الارادة وتتأصل عادة عمل الخير في الرء بالفعل فقد
كان سقراط يقول ان المرء لا يختار عمل الشر من نفسه وبذلك نتج ان معرفة الخير هي
ضرورية فقط ونحن نتعلم دروس الحياة كلما عشنا .

لذا ان الولد ان يعمل ونساعده ان يرى بنفسه ضرورة الوقوف عند حد والاعتراف
بقية سلوكه . وهذا خير من استعمال الضعف في التلقين ويفرض علينا ان نمنع الولد

بحريته لانه اذا لم ينشأ وهو يختار الخير لا ينمو في الاخلاق نمواً حقيقياً واذا خالفنا ذلك نصوغ من الطفل اداة مدهشة لا رجلا عاملا ولا يتأتى ذلك الا بتبادل الثقة بين المتعلمين فيخلص الاولاد بعضهم لبعض ويخلص المعلمون في مراعاة حرية من يعلمونهم . يجب على الاساتذة ان يقتنعوا كل الاقتناع بان الاولاد يرون من شتم نفوسهم ان يكونوا احرياء بالثقة عند ما يشاهدون انه يوثق بهم وان يدربوا من دون عنف وقسوة ولا ينظر لهم كمن ينظر الى من يشك في حاله .

قال وارى اننا في حاجة لنفوذ المرأة حيثما وجد اولاد وذلك لا في السنين الاولى للطفولية بل في خلال مدة التربية واذا صح كما نعتقد باننا لانستطيع ان نتعلم الا اذا عشنا فنحن في حاجة في المدرسة الى جميع العوامل والمؤثرات الرئيسة في الحياة فليس تحديد الحياة المدرسية وقصرها على جنس واحد الا عبارة عن خنقها وفجها منذ بدايتها فترية البنين مع البنات ضرورة والمدراس التي سرت على الاسلوب الجديد في التربية تقوم بهذا المطلب من عدة وجوه بحسب حالتها واعتقاداتها وعاداتها القومية ويترك للتلميذ ان يعتقد ماشاء من دين آباء . ولا يبحث في الاديان بل يبحث في اعداد رجال على انه يعلم نفع التدوين كما يعلم الاجنبي عنا احترام وطنية الغير لانقديس وطنيتنا فقط

مخطوطات طبرستان

٢٠

مباحج الفكر ومناهج العبر

وقفت في الصيف الماضي (سنة ١٩٠٩ م) على هذا المخطوط النفيس في المكتبة المارونية بمدينة حلب ويسمى ايضاً (زهرة العيون في اربعة فنون) لمؤلفه جمال الدين ابي عبدالله محمد الكتيبي الملقب بالوطواط المتوفى سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) وهو على شكل دائرة معارف في الطبيعيات والعلوم والجغرافية . متقن الخط مذهب الصفحات في ٥٨١ صفحة مخروم من آخره قليلا وضعه مؤلفه . في اربعة فنون الاول في العوالم العلوية والثاني في الارض والثالث في الحيوان والرابع في النبات وكسر كل من الفنون الاربعة على تسعة موضوعات . والذي يفهم من بعض تعاليق على الكتاب ان مؤلفه اندلسي الاصل مصري المنشأ . وان هذه النسخة حصلها من اسبانية المطران جرمانوس

فرحات الحلبي الماروني . وقد رصع مؤلف هذا الكتاب كلامه بثر بليغ وشعر رشيق
ومن منتخبات اشعاره الفلكية قول ابن رشيح القيرواني في ترتيب السيارات :

بالذية شرف كي وان يحظ من دهائك
واعار المشتريه حا حك مع حسن اهتدائك
وانتضي المريج سيه فمًا لك يمضي بمضائك
والذية التي على الشمس^(١) رداء من بهائك
وكسا^(٢) الزهرة اخ لاقك مع حسن ثنائك
ثم اعطى كاتب الشمس نصيذا من ذكائك
واقام القمر الافرديدا لارتبائك^(٣)
انجز الوعد لعبد الله غير رجائك

وقول هبة الله بن صاعد بن التليذ المسيحي يذكر عقوق ولد له :

اشكو الى الله صاحباً شكساً تسعفه النفس وهو يعرفها
فنحن كالشمس والهلal معاً تكسبه نورها وبكسفها

وقول آخر في المجرة :

وعلى المجرة انجم نظمت مثل الفقار يلوح في الظهر
هذا حباب فوق صفحتها طاف وهذا جدول يجري

وقول ابن ابي ظافر المصري من ارجوزة في وصف الشمس :

والشمس قد مالت نحو المغرب فوهت لجينه بالذهب
وفتحت في ساعة الاصيل وردتها في خده الاسيل

وقول هاشم بن الياس في وصف الجوزاء :

وكأنا جوزاؤه في غربها بيضاء ساجحة ببركة زئبق
وكأنا اومت ثلاث انامل منها نقول الى ثلاث نلقى

وقول الآخر في اقتران الشمس بالقمr :

يقابل الشمس فيه بدر دجى يأخذ من نورها ويمتار
كصير في يروج منتقداً في كفه درهم ودينار

(١) في الاصل سقطت على فانكسر الوزن (٢) في الاصل (كسي) (٣) الاصل

وهناك اوصاف الانسان كقول ابن الرومي^١ في الترك :

اذا ثبتوا فسد من حديد تظل عيوننا فيهم تحار

اسود الحرب انفسهم كبار اذا لوقوا واعينهم صغار

واوصاف الحيوان كقول بعضهم في الفهد :

رقدت مقتلتي وقلي ية ظان يحس الامور حسا شديدا

يحمد النوم في الجواد كما لا يمنع الفهد نومه ان يصيدا

وقول ابي محمد اليزيدي في رثاء القنفذ من ابيات :

عجبت له من شيمهم متحصن بنبل من السرد المضاعف يمرق

وافي^(١) اهتدى سهم المية نخوه وفي كل عضو منه سهم مفوق

ولو كان كف الدهر يستحسن الردي لكان بكف الدهر لا يتعلق

وقول آخر في وصف الخطاف :

اهلا بخطاف اتانا زائراً بذكر عهداً^(٢) بالزمان الباسم

لبست سراويل الصباح بطونه وظهوره ثوب الظلام القاتم

وقول بعض الحكماء (ابن التليذ او ابن صفية) في النمل :

واذا انبت المهين لك مل جناحاً اعددها للتردي

ولكل امريء من الناس حد وهلاك الفتى جواز الحد

واوصاف النبات كقول آخر في البطيخ :

ثلاث هن في البطيخ زين وفي الاسان منقصة وذله

خشونة لمسه والتقل فيه وصفرة لونه من غير عله

وقول بعضهم في الثوم :

الثوم مثل اللوز ان قشمرته لولا روائحه وطعم مذاقه

كالنذل غرك من ناراً فاذا دعي لفضيحة بنى الى اعراقه

واوصاف الجمادات كالاهرام والمباني والبلدان والحوادث كقول ابي سعيد نصر

ابن يعقوب يصف زلزلة :

اسقني كأساً كلون الذهب وامزج الريق بماء العنب

فقد ارتجت بنا الارض ضحى كارتجاج الزئبق المنسرب

(١) الاصل ان (٢) كذا وهو جواز مكروه

فَكَانَ الارض في ارجوحة وكأنا ^(١) فوقها في لول
وعلى هوامشه حواش فيها فوائد كثيرة منها ما ينسب الى السلطان سليمان القانوني
لما مر على وادي حماه وهو في حلب سنة ٩٦١ هـ ١٥٥٢ م يصف نواعيرها :
نواعير ^(٢) في وادي حماة اذا بكت تهيج مني بالبكاء مدمعاً قاصي
فاني على نفسي لاجدر بالبكاء اذا كانت الاخشاب تبكي على العاصي
وفيه مباحث تاريخية في وصف العوامم والاجناد والمواقع مثل موقعة دمياط بين
المسلمين والصليبيين وكثيراً ما يستشهد بآبى الاثير وبالمسيحي وغيرهما من المؤرخين . وفي
صفحة ١٨ منه وصف كسرى للفلك ذكره حمزة بن الحسين الاصفهاني في كتاب
التشبيهات . وهو على الجملة من الكتب النادرة الجديرة بال نشر ولؤلؤه كثير من المصنفات
التي تدل على واسع اطلاعه مثل الدرر الغرر في شعراء الاندلس وغرر الخصائص الواضحة
وعرر القناصر الفاضحة وغيرها عيسى اسكندر المعلوف

ارشاد الفحول

الى تحقيق الحق من علم الاصول

للامام المجتهد الذي طار صيته في الاقطار القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني
المتوفى سنة ١٢٥٥ طبع بمطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٢٧ على نفقة مصطفى
افندي المكوي

لاحاجة بنا الى الاسباب في ترجمة المؤلف — الشوكاني — لسهولة الوقوف عليها
في مواضع عدة منها في مقدمة كتاب نيل الاوطار المطبوع وفي كتاب التاج المكمل
لناشر علمه وآثاره الامام صديق حسن خان وفي غيرها

اما آثاره عليه الرحمة فكلها مما يتنافس فيها ويتسابق اليها ومعظمها في القطر
اليماني وما نشر منها بالنسبة الى مالم ينشر كالقطرة في جانب البحر ولقد كان من حسنات
هذه الايام الاهتمام بطبع كتابه هذا بمصر لما هبط اليها من اليمن فلطالما تشوقت اليه
نفوس الفضلاء وتاقت لمراجعته فلوب المحققين شهرة مؤلفه بتجويد المباحث واستقلال
الفكر وقد جمعه احسن جمع وهذبه ابلغ تهذيب وتوسع في كثير من المباحث بما يزيد
المجتهد قوة في البحث وبصراً في الاستنباط وبصيرة في حصول المأمول ، وما انفرد به

(١) الاصل (وكأنا من فوقها) (٢) سقط نصف الكلمة من قطع الورق عند التجليد

عن الكتب المؤلفة في ذلك — عدا عن كثير من نوادره — تحقيقات اتى على نهاية ما يمكن ان يقال عنها في مباحث الاجماع والاجتهاد والتقليد فقد اورد عشرين بحثا وخاتمة في الاجماع وتسع مسائل في الاجتهاد وستا في التقليد ، في مطاوعها من بدائع التحقيقات ما لم يسبق اليه كما يعرفه من وازن بينه وبين ما في الايدي من اسفار هذا الفن اما مكانة علم الاصول فاسمى من ان تعرف ويكفي انه — كما قال المؤلف — عماد فسطاط الاجتهاد واساسه الذي تقوم عليه اركان بنائه وانه العلم الذي يأوي اليه الاعلام والملجأ الذي يلجأ اليه عند تقرير المسائل وتحرير الدلائل في غالب الاحكام جمال الدين القاسمي

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

جردنا من هذه المجلة مانشره في هذا المبحث الشيخ جمال الدين القاسمي احد العلماء العاملين في دمشق لتتداوله الايدي فجاء في ٥٠ صفحة وتطلب منه ومن ادارة المقتبس . ولا حاجة للكلام عليها فالقراء عرفوا دقة ابحاثها ووفرة فوائدها وادركوا كيف حلت هذه المعضلة القديمة .



تصحيح اعلام برنثالية

تفضل صديقنا احمد بك زكي في القاهرة فارجع لنا الاعلام البرنثالية التي وردت في مقالة جمهورية البرتغال في الجزء السادس من هذه السنة الى اصلها فقل
١ — ذكرت الكراف تعريبا بقولهم *Algarve* واسمه الغرب عند العرب وهو لا يزال من بقاياهم علما على مقاطعة كبيرة في جنوب البرتغال وغربها .

٢ — ذكرت سانتارم وصحة اسمها عند العرب « شنترين » *Santarem*

٣ — ذكرت لاس نافادي تولوزا وصحة اسمها عند العرب : وقعة العتاب . وكانت

بقرب مدينة طلوسه *Tolosæ*

٤ — ذكرت بارا كانس وصوابها عند العرب : « ابراقتة »

٥ — استعملت لفظة الكاداستر بلفظها الافرنكي ومقابها عند العرب سيف مصر والمغرب الاقصى والاندلس هو كلمة : « الروك » ونحن كتمانقول في مصر الى عهد قريب « التاريخ » . والآن نقول المساحة



المقبر

رسالة ابن القارح

الى ابي العلاء المعري

(الى القاريء مخطوطاً من اندر المخطوطات ظفرنا به في خزانة كتب استاذنا الشيخ طاهر الجزائري كتبه ابو حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بالقارح الى ابي العلاء المعري فاجاب عنها هذا في رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبع بمصر سنة ١٣٢١ - ١٩٠٣ في مطبعة هندية . اما ابن القارح وكان بلقب بدوخله فكان شيخاً من اهل الادب راوية للاخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قوِّوماً بال نحو وكان ممن خدم ابا علي الفارسي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . قال ابن عبد الرحيم وشعره يجري مجرى شعر المعلمين قليل الخلاوة خل من الطلاوة وكان آخر عهدي به بتكرت في سنة احدى وعشرين واربعائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا واقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل فبلغني وفاته من بعد وكان يذكر ان مولده بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . قال ياقوت وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح وهو الذي كتب الى ابي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابه ابو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمه فيها)

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحاً باسمه واستنجاحاً ببركته والحمد لله المبتدي بالنعم المفرد بالقدم الذي جل عن شبه المخلوقين وصفات المحدثين ولي الحسنات المبرأ من السيئات العادل في افعاله الصادق في اقواله خالق الخلق ومبدئه ومبقيه واصلاته وعلّي محمد وابرا

عزته واحبه صلوة رضيه ونسبه وتدينه وترحمه وتحسينه كتابي انشأ الله به مولاي
الشيخ الجليل ومد مدته وادام كفايته وسعاده وجعلني فداؤه وقدمني قبله على الصحة
والحقيقة وبعد القصد والعقيدة وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ولا على تنقص
وخلابة وتجب ومسامحة ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقاً له كيف تجددك جعلني الله
فداك وهو بقصد تحبباً ويريد تملقاً ويظن انه قد أسدى جميلاً يشكره صاحبه ان نهض
واستقل ويكافئه عليه ان افاق وابل عن سلامة تمامها بحضور حضرته وعافية نظامها
بالتشرف بشريف عزته وميمون نقيته وطلعت، ويلم الله الكريم نقدت اسماءه اني لو
حذنت اليه ادام الله تأييده حنين الواله الى بكرها وذات الفرخ الى وكرها او الحماة
الى إلفها او الغزالة الى خفتها لكان ذلك مما تغنيه الالياء والايام والصور والاعوام لكنه
حنين الظمان الى الماء والخائف الى الامن والسليم الى السلامة والغريق الى النجاة والقلق
الى السكون بل حنين نفسه النفيسة الى الحمد والمجد فاني رأيت نزاعها اليهما نزاع الاستقسامات
الى عناصرها والاركان الى جواهرها فان وهب الله لي ملاً من العمر يؤتني برويته
ويعلقني بجبل مودته مرت كساري الليل التي عصاه واحمد مسراه وقر عيناً ونعم بالاول كان
كمن لم يمسه سور ولم يتخوفه عدو ولا نهكه رواح ولا غدو وعسى الله ان يمن بذلك
يومه او يثانيه وبه الثقة وانا اسأل الله على التداني والنوى والبعاد امتاعه بالفضل الذي
استعملني على عائقه وغاريه واستولى على مشارقه ومغاريه فمن مر على بحره الهياج ونظر
في لآلآه بدره الوهاج خليق بار يكبو قلبه بانامله وينبو طبعه عن رسالته الا ان يلقي
اليه بالمقاييد او يستهو به اقليداً من الاقاليد فيكون منسوباً اليه ومحسوباً عليه ونازلاً في
شعبه واحد اصحابه وحزبه وشرارة تياره وقراضة ديناره وسمك بحره وتمد غمره وهيمات
ضاق قرر عن مسير ليس التكهل في العينين كالكلحل خلقوا اسخياء لا متساخين وليس
السخي من يتساخي لاسميا واخلاق النفس تلزمها لزوم الالوان للابدان لا يقدر الايض
على السواد ولا الاسود على البياض ولا الشجاع على الجبن ولا الجبان على الشجاعة قال
ابو بكر العزمي :

يفرجان القوم عن أم رأسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوه ويحرم معروف البخيل اقاربه
ومن لا يكف الجهل عن يوده فسوف يكف الجهل عن يواثبه

ومن اين للضباب صوب السحاب وللغراب هدى العقاب وكيف وقد اصبح ذكره

في مواسم الذكر آذانا وعلى معالم الشكر لسانا فمن دافع العيان وكابر الأنس والجنان واستبد بالافك والبهتان كان كمن صالب بوقاحته الحجر وحاسن بقباحته القمر وهذى وتعاطى فقير وكان كمحموم بلسم فعفر ونادى على نفسه بالنقص في البدو والحضر وكان كما قال من يعنيه ولا يشك فيه

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وزاده ترقاً لديه قال لعن الله ذا الوجهين لعن الله
ذا اللسانين لعن الله كل شقار لعن الله كل قنات . وردت حلب ظاهرها حماها الله تعالى
وحرسها بعد لن منيت برضاها بالدرخمين وام حبوكري والفتكرين بل رमित بأبنة الآباد
والداهية الآد فلما دخلتها وبعد لم تستقري الدار وقد نكرتها لفقدان معرقة وجار
واشدتها باكيا :

لذا زرت ارضاً بعد طول اجتبابها فقدت حبيباً والبلاد كما هيا
كان ابو القطران المرار بن سعيد الفقعسي يهوى ابنة عمه بنجد واسمها وحشية
فاخذها رجل شامي الى بلده فغمه بعدها وساءه فراقها فقاتل من قصيدة :

اذا تركت وحشية النجد لم يكن لعينيك مما تبكيان طبيب
رأى نظرة منها فلم يملك البكا معاوز يربو تحتها كتيب
وكانت رياح الشام تنكره مرة فقد جعلت تلك الرياح تطيب

فصلت من الرياح على الرياح كما حصل لابي القطران من وحشية ثم وثم وثم
أجري ذكره ادام الله تأييده من غير سبب جره وغير مقتض اقتضاه فقال الشيخ
بأنحو اعلم من سيدوبه وباللغة والعروض من الخليل فقلت والمجاس بأزز بلغني انه ادام
الله تأييده بصغر كبره وبنزر صغيره فيصير تصغيره تكبيرا وتحقيره تكثيرا وهكذا
سأهدت من شاهدت من العلماء رحمهم الله اجمعين وجعله وارث اطول اعمارهم
وامدها وانصرها وارغدها وما ثم له حاجة دعت الى هذا قد تقفح النور وتوضح النور واضاء
الصبح لذي عينين كان ابو الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصر الدولة ادام الله حراسته
كتب رسالة الي اعطانيها ورسالة اليه ادام الله تأييده استودعنيها وسألني ايصالها الى
جليل حضرة ماكون نافثها لابعثها ومجملها لاموئجها فسرقت عدلي رجلاً لي الرسالة
فيه فككت هذه الرسالة اشكو اموري وابث شقوري واطلعه طلع عجري ويجري وما لقيت
في سري من اقيوام يدعون العلم والادب والادب ادب النفس لأدب المدرس وهم

اصغار منهما جميعاً ولم صحيفات كت اذا رددتها عليهم نسبوا التصحيف الي وصاروا
إلـبا علي لقيت ابا الفرج الزهرجى بآمد ومعه خزانه كتب، فعرضها علي فقلت كتبك هذه
يهودية قد برئت من الشر بعة الخيفية فاطهر من ذلك اعظاماً وانكاراً فقلت له انت علي
المحرب ومثلي لا يعرف بما لا يعرف وابلغ تيقن فقرأ هو وولده وقال صغر الخبر الخبر
وكتب الي رسالة يقرظني فيها بطبع له كريم وخلق غير ذميب قال المتنبي : اذم الي هذا
الزمان اهيله صغرم تصغير تحمير غير تكبير وتقليل غير تكثير فنفث مصدوراً واطهر
ضميراً مستوراً وهو سائق في مجاز الشعر وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ولكنه وضعه
غير موضعه وخاطب به غير مستحقه وما يستحق زمان ساعده بقاء، سيف الدولة ان يطلق
علي اهله الدم وكيف وهو القائل يخالبه

اسير الي اقطاعه في ثيابه علي طرفه من داره بحسامه

وقد كان من حقه ان يجعلهم في خفارتهم اذ كانوا منسوبين اليه ومحسوبين عليه ولا يجب
ان يشكوا عاقلاً ناطقاً الي غير عاقل ولا ناطق اذ لزمان حركات الفلك الا ان يكون
من يعتقد ان الافلاك تعقل وتعلم وتقيم وتدرى بمواقع افعالها بقصود وارادات ويحمله
هذا الاعتقاد علي ان يقرب لها القرايين ويدخن الدخن فيكون مناقضاً لقوله

فتباً لدين عبيد النجوم ومن يدعي انها تعقل

او يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم « مذبذبن بين ذلك لا الي هو لا ولا
الي هو لا » ويوشك ان تكون هذه صفته »

حكى القطريلي وابن ابى الازهر في تاريخ اجتماع علي تصنيفه واهل بغداد واهل مصر
يزعمون انه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه يحكيان فيه ان المتنبي اخرج
ببغداد من الحبس الي مجلس ابى الحسن علي بن عيسى الوزيري رحمه الله فقال له : انت
احمد المتنبي فقال انا احمد التنبي وكشف عن بطنه فاراه سلعة فيه وقال هذا طابع
نبوتي وعلامة رسالتي فامر بقلع حركته وصفه به خمسين واعاده الي محبسه ويقول
لسيف الدولة

وتغضبون علي من نال رفقكم حتى يعاقبه التفتيص والمنن

كذب والله لقد كان يتحرش بالكمارم ويتحكك بها ويحسد عليها ان تكون الا
منه وبه وهذا غير قارح في طلاوة شعره وروني ديباجته ولكني اغتاط علي الزنادقة
والمحدثين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون ادخال البه والشكوك علي المسلمين ويسمعون

القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم اجمعين ويضطربون ويبتذنون إعجاباً بذلك
المذهب تيه مغن وظرف زنديق . وقتل المهدي بشاراً على الزندقة ولما شهر بها وخاف
دافع عن نفسه بقوله

يا ابن نهيا رأسي علي ثقيل واحتمال الرأسين عبث ثقيل

فادع غيري الى عبادة ربي ن فاني بواحد مشغول

واحضر صالح بن القدوس واحضر النطع والسياف فقال علام تقتلني قال
عَلَيَّ قولك

رب سر كتمته فكأنني اخرس او ثني لسان عقل

ولو اني اظهرت للناس ديني لم يكن لي في غير حاسي اكل

يا عدي الله وعدي نفسه

الستردون الفاحشات ولا بلقاك دون الخير من ستر

فقال قد كنت زنديقاً وقد تبت عن الزندقة قال كيف وانت القائل

والشيخ لا يترك عاداته حتى يوارى في ثرى رمسه

اذا ارعوى عاد الى غيه كذي الضنى عاد الى نكسه

واخذ غفلته السياف فاذا رآه بندهداً على النطع . وظهر في ايامه في بلد خلف
بخارا وراء النهر رجل قصار عور عمل له وجهاً من ذهب وخوطب برب العزة وعمل لم
قرأ فوق جبل ارتفاعه فراسخ فانفذ المهدي اليه فأحيط به وبقلمته فحرق كل شيء فيها
وجمع كل من في البلد وسقاها شرباً مسموماً فماتوا باجمعهم وشرب فلحق بهم وعجل الله
بروحه الى النار . والصناديق في اليمين فكانت جيوشه بالمديخرة وسفينة وخوطب بالربوبية
وكوتب بها فكانت له دار أفاضة يجمع اليها نساء البلدة كلها ويدخل الرجال عليهم
ليلاً قال من يوثق بخبره دخلت اليها لا نظر فسمعت امرأة تقول يا بني فقال : يا أمه تريد
ان نمضي امر ولي الله فينا وكان يقول : اذا فعلتم هذا لم يميز مال من مال ولا ولد من
ولد فتكونون كنفس واحدة فغراه الحسني من صنعاء فهزمه وتحصن منه في حصن
هناك فانفذ اليه الحسني طبيباً بمبضع مسموم فقصده به فقتله . والوليد بن يزيد اقام في
الملك سنة وشهرين واياما وهو القائل

اذا مت يا ام الحنيكل فانكحي ولا تأملني بعد الفراق تلاقيا

فان الذي حدثته من لقائنا احاديث طسم تترك العقل واهيا

ورمى المصحف بالنشاب وخرقه وقال

إذا ما بحث ربك يوم حشر فقل يارب خرقني الوليد
وانفذ الى مكة بناءً مجوسياً لبني له على الكعبة مشربة فأت قبل تمام ذلك فكان
الحجاج يقولون : ليك اللهم ليك ليك يا قاتل الوليد بن يزيد لبنيك واحضر بنايعة
من ذهب وفيها جوهرة جليلة الذر صورة رجل فوجد له وقبله وقال اسجد له ياعلج
قلت ومن هذا قال هذا ماني شأنه كان عالياً ضمحل امره اطول المدة فقلت لا يجوز
السجود الا لله فقال قم عنا وكان يشرب على سطح وبين يديه باطية كبيرة بطور وفيها
اقداح فقال لندماء ابن القمر الليلة فقال بعضهم : في الباطية فقال : صدقت آتيت
علي ماني نفسي والله لا أثرين الهفجة يعني شرب سبعة اسابيع متتابعة وكان بموضع
حول دمشق يقال له البحر فقال

تلعب بالنيوة هاشمي بلا وحي اتله ولا تكتب

فقتل بها ورأيت رأسه في الباطية التي اراد ان يهتج بها وابو عيسى بن الرشيد القائل
دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر
ولو كان بعد بني الامام بقدره نلى الشهر لاستعبدت دهري على الشهر
عرض له في وقته صرع فمات ولم يدرك شهراً غيره والحمد لله . والجنابي قتل بمكة
الوقاؤه اخذ ستة وعشرين الف حمل خفاً وضرب آلاتهم . واثقاهم بالنار واستمك من
النساء والغلمان والصبيان من ضاق بهم الفضاء كثرة ووفوراً واخذ حجر الملتزم وظن انها
مغناطيس القلوب واخذ الميزاب قال : وسمعت قائلاً يقول لغلام دحمان طوال يرفل
في برديه وهو فوق الكعبة بارخمة اقلعه واسرع يعني ميزاب الكعبة فعلت ان اصحاب الحديث
صحفوه فقالوا يقلعه غلام اسمه رحمة كما صحفوا على علي رضي الله عنه قولة تهلك البصرة
بالريخ فهلك بالزنج لانه قتل علوي البصرة في موضع بها يقال له العتيق اربعة وعشرين
الفاً عدوهم بانقصب وحرقت جامها وقال في خطبته يحاطب الزنج انكم قد اعنتم بقمع منظر
فاشفعوه بقمع مخبر اجعلوا كل عامر قفراً وكل بيت قبراً . قال لي بدمشق ابو الحسين
اليزيدي الوزيري بن علي نسب جدي دخل واياه ادعى قال . ابو عبد الله محمد بن علي
بن رزام الطائي الكوفي : كنت بمكة وسيف الجنابي قد اخذ الحاج ورأيت رجلاً منهم
قد قتل جماعة وهو يقول يا كلاب اليس قال لكم محمد المكي ومن دخله كان آمناً اي آمن
هنا فقلت له يا فاني العرب تؤمنني سيفك افسرك هذا قال : نعم قالت : فيها خمسة

اجوبة الادل ومن دخله كان آمناً من مذبي يوم القيمة والثاني من فرض الذي فرضت عليه والثالث خرج مخرج الخبر وهو يريد الامر كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن والرابع لايقام عليه الخدفة اذا جنى في الحل والخامس من الله عليهم بقوله انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم فقال صدقت هذه اللحية الي توبة ؟ فقلت : نعم فخلافي وذهب

والحسين بن منصور الحلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعي كل علم وكان متهوراً جسوراً يروم اقلاب الدول ويدعي فيه اصحاب الالهية ويقول بالحلول وبظهر مذاهب الشيعة للملك ومذاهب الصوفية للعامة وفي تضاعيف ذلك يدعي ان الالهية قد حلت فيه وناظره علي بن عيسى الوزير فوجده صفرأ من العلوم وقال تعلمك لظهورك وفرضك اجدى عليك من رسائل انت لاتدري ما نقول فيها كم تكشب الي الناس تبارك ذوالنور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعاعته ما احوجك الي ادب حدثني ابو علي الفارسي قال رأيت الحلاج واقفاً على حلقة ابي بكر الشبلي انت بالله ستفسد خشبة فنفض كفه في وجهه وانشد

يامر سر يدق حتى يجل عن وصف كل حي
وظاهراً باطنا تده من كل شيء لكل شيء
ياجملة الكل لست غيري فما اعتذارى اذاً الي

وهو يعتقد ان العارف بن الله بمنزلة شجاع الشمس منها بدا واليها يعود ومنها يستمد ضوءه انشدني الظاهر لنفسه

ارى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلول
اقال الله حين عشقتموه كلوا اكل البهائم وارقصوا لي

وحرك يوماً بده فانتثر على قول مسك وحرك مرة اخرى فانتثر دراهم فقال له بعض من حضر ممن يفهم ارنى دراهم معروفة أو من بك وخلق معي ان اعطيني درهماً عليه اسمك واسم ابيك فقال وكيف هذا وهذا لا يصنع قال من احضر ما ليس بحضور صنع ما ليس بمصنوع وكان في كتبه اني مفرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود فلما شاع امره وعرف السلطان خبره على صحة وقع بضر به الف سوط وقطع يديه ثم احرقه بالنار في آخر سنة تسع وثلاثمائة وقال لحامد بن العباس : انا اهلكك فقال حامد : الآن صح انك تدعي ما قرفت به . وابن ابي العذافر ابو جعفر محمد بن علي الشلمغان اهله من قرية من قري

واسط تعرف بشلمغان وصورته صورة الحلاج ويدعي عنه قوم انه آله وان الله حل في آدم ثم في شيث ثم في واحد واحد من الانبياء والاوصياء والائمة حتى حل في الحسن بن علي العسكري وانه حل فيه وكان قد استغوى جماعة منهم ابن ابي عون صاحب كتاب التشبيه ومعه ضربت عنقه وكانوا يبيحونه حرمهم واولادهم يتحكم فيهم وكان يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة

وكان احمد بن يحيى الراوندي من اهل مرو الروز حسن الستر جميل المذهب ثم انسلخ من ذلك كله باسباب عرضت له ولان علمه كان اكثر من عقله وكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مردأ عند صبوته ومن يقوم لمسثور اذا خلعا

صنف كتاب التاج يحتاج فيه لقدم العالم فنقصه ابو الحسين الخياط

الزمرذ يحتاج فيه لابطال الرسالة نقضه الخياط .

نعت الحكمه سفه الله تعالى في تكليف خلقه امره . نقضه الخياط .

الدامغ يطعن فيه على نظم القرآن

انقضيب يثبت ان علم الله محدث وانه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علماً نقضه الخياط

الفريد في الطعن على النبي عليه الصلوة والسلام

المرجان في اختلاف اهل الاسلام

علي بن العباس بن جريج الرومي قال ابو عثمان الناجم دخلت عليه في عاتيه التي مات

فيها وعند رأسه جام فيه ماء مثلوج وخنجر مجرد لو ضرب به صدر خرج من ظهره فقلت :

ما هذا قال : الماء أبل به حلقي فقلا يموت انسان الا وهو عطشان والخنجر ان زاد علي

الالم نحرث نفسي ثم قال : اقص عليك قصتي تستدل بها علي حقيقة تلني اردت الانتقال

من الكرخ الى باب البصرة فشاورت صديقنا ابا الفضل وهو مشتق من الافضال فقال

اذا جئت القنطرة فخذ علي يمينك وهو مشتق من اليمين واذهب الى سكة النعيم وهو مشتق

من النعيم فاسكن دار ابن المعافي وهو مشتق من العافية فخافته لتعسي ونحسي فشاورت

صديقنا جعفرأ وهو مشتق من الجوع والفرار فقال : اذا جئت القنطرة فخذ علي شمالك

وهو مشتق من الشؤم واسكن دار ابن قلابه وهي هذه لاجرم قد انقلبت بي الدنيا

واضر ما علي العصافير في هذه السدرة تصيح سيق سيق فما انا في السياق ثم انشدني

ابا عثمان انت قريع قومك وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من اخيك فما اراه يراك ولا تراه بعد يومك
والخ به البول فقاب له البول ملح بك فقال

غداً ينقطع البول ويأتي الوبل والبول
الا ان لقاء الله حول دونه المول

ومات من الغد فارجو ان يكون هذا القول توبة له مما كان اعتقده من ذنبه نفسه
والرسول عليه الصلوة والسلام يقول من وجأ نفسه بحديدة حشر يوم القيامة وحديدته
بيده يجأ بها نفسه خالداً مخلداً في النار من تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى على
منخره في النار خالداً مخلداً من تحسي سماً حشر يوم القيامة وسماً بيده يتحساه خالداً
مخلداً^(١) في النار

قال الحسن بن رجاء الكاتب جاءني ابو تمام الى خراسان فبلغني انه لا يصلي فوكلت
به من لازمه اياً ما فلم يره صلى يوماً واحداً فعاتبته فقال : يا مولاي قطعت الى حصرتك
من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ولم اره يثقل علي فلو كنت اعلم ان الصلاة تنفعني
وتركها يضرني ما تركتها فاردت قتله فخشيت ان يحمل علي غير هذا

وفي تاريخ كثيرة انه احضر المازيار الى المعتصم وقبل قدمه يوم سخط على الافشين
لان القاضي بن ابي دواد قال للمعتصم : اعزل ويطأ امرأة عربية وهو كاتب المازيار
وزين له العصيان فاحضر كاتبه وتهده المعتصم فأقرانه كتب الى المازيار لم يكن في
الارض ولا في العصب بلية الا انا وانت وبابك وقد كنت حريصاً على حقن دمه حتى
كان من امره ما كان ولم يبق غيري وغيرك وقد توجه اليك عسكر من عساكر القوم
فان هزمته وثبت انا بملكهم في قرار داره فظهر الدين الابيض فاجابه المازيار بجواب هو
عنده سفت احمر فجمع بين الافشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكي عنه وقيل للمعتصم ان
وراء المازيار مالا جليلاً فانشد

ان الاسود اسود الغاب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ذكروا ان اثنين قتلا ثلاثة آلاف وخمسمائة ذباح بالثياب الحمر والخناجر
الطوال وانهم وجدوا اسماءهم في وقعة وقعة وفي بلد بلد وكانوا يأذون من كل واحد
علامة خاتمه او ثوبه او منديل او تكته اتى الوادي فطم على القرى
قد لقيت من يجادلني ان عليا رضي الله عنه وكذلك الحاكم^(٢) وقد ظهر بالبصرة من

(١) وقوع لفظ الخلود في هذه الاحاديث للتهديد (٢) كذا في الاصل

بدعي ان جعفر بن محمد عليهما السلام وانه متصل به وروحه فيه ومتصلة به ولواستقصيت
القول في هذا الفن لطال جداً ولكن

لا بد للمصدور ان ينقثا وللذي في الصدر ان يبعثا
بل لو قلت كل ما ائتمه اكلت زادي في محبسي بل كنت انشد
احمل راساً قد ملئت حملة الافنى يحمل عني ثقله
واستريح الى ان انشد

ليس يشفي كلوم غيري كلومي ما به ما به وما بي ما بي
ان شكوت العصر واحكامه وذمت صروفه واباه شكوت من لايتكي
ابداً وذمت من لايرضي احداً شيمته اصطفاء اللئام والتخمل على الكرام وهمته
رفع الخامل الوضيع ووضع الفاضل الرفيع اذا سمح بالحياء فأبشر بوشك الاقتضاء
واذا اعار فأحسبه قد اغار فابين ان يقبل عليك مستبشراً ويولي عنك متجهماً
مستبشراً الا كبح البصر واستطارة الشر لم يخترق ذكر الوفاء مسامحه ولم يمس
ماء الحياء مدامه ظاهره يسر ويونس وباطنه يسوء ويؤس يخيب ظن راجيه
ويكذب امل عافيه لا يسمع الشكرى ويشمت بالبلوى قد ذمت سيئاً ووقعت فيه
انا كالفريق يطلب معلقاً والاسير يندب مطلقاً واستحسن قول علي بن العباس
ابن جريح الرومي

الا ليس شيبك بالمتزع فهل انت عن غية مرزوع
وهل انت تارك شكوى الزما ن اذا شئت تشكو الى مستمع
نشيب اخي التيب أمنية اذا ماتناهر اليها هلع

كنت في حال الحداثة اقرب الناس اليّ واعزهم عليّ واقربهم عندي واجلهم في
نفسي مرتبة من قال لي نساء الله في اجلك جعل الله لك امد الاعمار واطولها فلما بلغت عشر
الثمانين جاء الجزع والهلع فم ارتاع والاماع واخلد الى الاطماع وهو الذي كنت اتمنى
ويتمنى لي اهلي امن صدوف الغواني عني فانا والله عنهن اصدف وبهن وادواهن اعرف
اذ لست ممن ينشد تحميراً عليهن

للسود في السود آثار تركن بها لمعا من البيض اثني اعين البيض
وقوا الآخر

ولما رأيت النسر عز ابن دابة وعشش في وكريه جاشت له نفسي

ولا انشد لابي عبادة البحرى

ان ايامه من البيض يبيض ما رأين المغارق السود سودا
واذا المحل ثار ثاروا غيوثا واذا النقع ثار ثاروا اسودا
بحسن الذكر تنهمم والاحاديث اذا حدث المديد الحديدا
بلدة تنبت المعالي فمالية غير الطفل فيهم اويسودا

وهذه صفة معرفة النعمان به ادام الله تأييده لاخلت منه ومن النعمة عليه وعنده
فقد وجدت اهلها مترفين بعوارفه خلا ابي العباس احمد بن خلف الممتع ادام الله عزه
فأني وجدت آثار تفضل عليه ظاهري ولسانه رطباً بشكره وذكره وقد ملأ السماء دعاء
والارض ثناء . قالت قريش للنبي عليه الصلاة والسلام اتباعك من هؤلاء الموالي
كبلال وعمار وصهيب خير من قصي بن كلاب وعبد مناف وهاشم وعبد شمس فقال
نعم والله لأن كانوا قليلا ليكثرن ولأن كانوا ضعفاء ليشرفن حتى يصيروا نجوماً يهتدى
بهم ويقبضوا فيقال هذا قول فلان وذكر فلان فلا تفاخروني بأبائكم الذين موتوا سيفي
الجاهلية فلما بددهم الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها فاتبعوني اجعلكم انساباً
والذي نفسي بيده لتتقدم من كوز كسرى وقيصر فقال له عمه ابو طالب أبق علي وعلى
نفسك فظن عليه الصلاة والسلام انه خازنه ومثله فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في
يمني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه متركته ثم
استعبر باكياء ثم قام فلما ولي ناداه اقبل يا ابن اخي فاقبل فقال اذهب وقل ماشئت فوالله
لا اسئلك لسوء ابداء فكان عليه الصلاة والسلام يذكر يوماً مالي من قومه من الجهد
والشدة قال لقد مكثت اياماً وصاحبي هذا يشير الى ابي بكر بضع عشرة ليلة مالنا
طعام الا البرير في شعب الجبال وكان عتبة بن غزوان يقول اذا ذكر البلاء والشدة
التي كانوا عليها بمكة لقد مكثنا زماناً مالنا طعام الا ورق البشام اكناه حتى نقرحت
اشداقنا ولقد وجدت يوماً تمر فجعلتها بني وبين سعد وما منا اليوم احد الا وهو امير
على كورة وكانوا يقولون فيمن وجد تمره فقسمها بينه وبين صاحبه ان اسعد الرجلين
من حصص النواة في قسمه بلوكها يومه وليته من عدم القوت وكذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد رعيت غنيمات اهل مكة لم بالقرار يطوا ابتداء امره انه وقف على الصفا
ونادى يا صباحاه فجاءوا بهرعرن فقالوا : ما همك ما طرقت قال : بما تعرفونني قالوا محمد
الامين قال : أرايتم ان قلت لكم ان خيلاً قد طرفتكم في الوادي وان عكراً قد غشيتكم

من الفج اكنتم تصدقوني قالوا : اللهم نعم ماجربنا عليك كذباً قط . قال : فان الذي
انتم عليه ليس لله ولا من الله ولا يرضاه الله قولوا لا اله الا الله واشهدوا اني رسوله
واتبعوني تطعمكم العرب وتملكون العجم وان الله قال لي استخرجهم كما استخرجوك وابعث
جيشاً ابعث خمسة امثاله وضمن لي انه يصرني بقوم منكم وقال لي : قاتل بين اطاعك من
عصاك وضمن لي انه يغاب سلطاني سلطان كسرى وقيصر ثم انه عليه الصلاة والسلام
غزا تبوك في ثلاثين الفاً وهذا من قبل الله الذي يجعل من لاشيء كل شيء ويجعل كل
شيء لاشيء يجمد المائعات ويميع الجامدات يجمد البحر ثم يفجر الصخر وما مثله في ذلك الا
كمثل من قال هذه الزحاجة الرقيقة السخيفة احك بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المنيفة
قترضها وتفضها وهذه النملة الضعيفة اللطيفة تهزم العساكر الكثيرة المعدة وكذا حقيقة
امره عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش وكان رسولهم
اليه صلى الله عليه وسلم بالحدبية لقد وردت على النجاشي وكسرى وقيصر ورأيت جندهم
واتباعهم فما رأيت اطوع ولا اوفر ولا اهيب من اصحاب محمد لمحمد هم حوله وكأن
الطير على رؤوسهم فان اشار بأمر بادروا اليه وان توضع اقساموا وضوءه وان تنخم
دلكوا بالخمالة وجوههم ولحائم وجلودهم وكانوا له بعد موته اطوع منهم في حياته حتى
لقد قال بعض اصحابه لا تسبوا اصحاب محمد فانهم اسلموا من خوف الله واسلم الناس من
خوف اسياقهم فتأمل كيف استنبح دعوته وهو ضعيف وحده بان هذا سيكون فراه
العدو والولي وما كان مثله في ذلك الا مثل من قال هذه الهابة تعظم وتصير جبلاً يغطي
الارض كلها ثم انذر الناس بها في حال ضعفها وجاء صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخل
الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدري فقال : لاتفعل يا عثماني فكأنك بمفتاحها بيدي
اضعه حيث شئت فقال : لقد ذلت يومئذ قريش وقلت قال : بل كثرت وعزت وانا
استعين بعصمة الله وتوفيقه واجعلهما معيني على دفع شقوتي واشكو اليه عكوفي على
الاماني واسأله فها هم المواقظ عبر الدنيا فتندعمت عن كلوم غيرها بما جشم على خواطري
من الشغف ولست اجد مني منصفاً لي منها ولا حاجزاً لرغبتني فيها عن اوين ودائع العقول
وخزائن الافهام يا أرولي الابصار صفحتنا عن مساوي الدنيا اغماضاً لعاجل موفق التفتيش
وترمي اليه يد الزوال وتكمن له الآفات قال كثير

كأنني انادي صخرة حين اعرضت من الصم لو تحشي بها العصم زلت
واقول نكى مذهب كثير يادنيا في كل لحظة لطر في منك عبرة وفي كل فكرة لي منك

حسرة يا مرئقة الصفا ويا ناقضة عهد الوفا ما وفق لحظة من عرج نحرك ولا سعد من اثر
المقام على حسن الظن بك هيهات يا عشرين ابناء الدنيا كم في الظاهر اسم الغني وفي الباطن
اهل الثقل لم نفس هذا المعنى كم من يوم لي اغر كثير الالهة قد اصحت سماؤه وامند
عليّ ظله تمدني ساعاته بالمنى ويضحك لي عن كل ما هوى حتى اذا اتصل بكل اسبابي
وامتزج سروره بفرجي وروحي واترابي نفست علي به الدنيا فسعت بالتشتيت الى ألفته
والتقص الى مدته فكسفت بهجته كسوفاً وارهقت نضرة وحشته الفراق وقطعتنا فرقا
في الآفاق بعد ان كنا كالأعضاء المؤتلفة والاغء ان اللدنة المتعطفة واحسرتني في يوم
يجمع شرّتي كفن ولحد

ضيعت ما لا بد منه بالذي لي منه بد

واشد قول ابن الرومي

الا ليس شيبك بالمتزع فهل انت عن غيد مرتدع
فاقلق وايبكى بكاء غير نافع ولا ناجع ويجب ان ايبكى بكائي وانشد
لساني يقول ولا افعل وقلبي يريد ولا اعمل
واعرف رشدي ولا اهتدي واعلم لكنني اجهل

عرض عليّ بعض الناس كأس خمر فامتعت منها وقالت خلوني والمطبوخ على مذهب
الشيخ الازاعي وقت لم عرض ابراهيم بن المهدي على محمد بن خازم الخمر فامتعت وانشد

ابعد شيبني اصبو والشيب للجهل حرب
سن وشيب وجهل امر لعمر ك صعب
يا ابن امام فالأ أيام عودي رطب
واذ مشيبي قليل ومنزل الحب عذب
واذا شفاء الغواني منى حديث وقرب
فالآن لما رأى بي العذال ما قد احبوا
وآنس الرشيد منى نوم اعاب واصبو
آليت اثرب خمرأ ما حيج لله ركب

واقبلت على نفسي مخاطباً ولها معاتباً والخطاب لغيرها والمعنى لها لقد امهلكم حتى كأنه امهلكم
اما تستحيون من طول ما لا تستحيون فكان كالوليد نقله يد اللطف به على فراش العطف عليه
نصرف اليه المنافع بغير طلب منه لصغره ونصرف عنه المضار بغير حذر منه لهجته اذ سمعت

الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول في دعاء: اللهم اكلاً في كلاً الوليد الذي لا بدري ما يراد به ولا ما يريد الا متعلق والاذلال اذ يال دليله الا مد مطية ورحلا ليوم رحيله ياهلاه الدجلة الدجلة انه من يدبى الى الماء يظاً انما منعك ما تنهي ضناً بك وغيره عليك قال الرسول عليه الصلاة والسلام: اذا احب الله عبداً حياه الدنيا وانت تشكو في اذا حبيبك وتكره صيانتى اذا صنتك الا لا تد بفنائنا ليعز الا فاراً اليها لا فار منا يامن له بد من كل شيء ارحم من لا بد له منك على كل حال الله يغني بشيء عن شيء وليس يغني عنه شيء فلماذا قال جبريل للخليل الك حاجة قال: اما اليك فلا الله يستحق ان يسأل وان اغنى لانه لا يغني بشيء عنه اطعمه ليطعمه ولا تطعمه ليعطيك فتفتر وتقل . من ترك تدبيره لتدبيرنا ارحمنا جل من لوالب القلوب والهمم بيده وعزائم الاحكام والاقسام عنده

انسيت ذكر احبة ينسون ذنبك عند ذكرك
وجفوتهم واطالمنا كانوا خلافاك طوع امرك
وصبرت عند فراقهم ما كان عذرک عند صبرك

ترك من اذا جفوته ونسيت ذكره وتعديت حده وتركته نهيه وضيعت امره وتبت اليه وعولت في تفضله عليك عليه وفلت: يارب قال: لك لييك « واذا سألك عبادي عني فاني قريب » ان كان الذباب بوجهك فاتهمك وان قطعت انا اعضاءك فلا تتمعني انت الذي اذا اعطيتك ما املت تركتني وانصرفت « واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه » يا وفاقاً بالتهم كم كم اليس يقول لك ما غرك في تقول حليمك والا لو ارسلت علي بقية لجمعتني عليك اذ اردت ان تجمعني

امن بعد شربك كأس النهى وشمك ريحان اهل النقي
عشقت فاصبحت في العاشية من اشهر من فرس ابلقنا
ادنيائي من غمر بحر الموه خذي بيدي قبل ان اغرقا
انا لك عبد فكوني كمن اذا سره عيده اعتقا

كان ببغداد رجل كبير الرأس فيلي الاذنين اسمه فاذهو رأسه في الازمنة الاربعة مكشوف لا يتورع عن ركوب مخزبة يقال له يا فاذهو ويملك تب الى الله فيقول يا قوم لم تدخلون بيبي وبين مولاي وهو الذي يتقبل التوبة عن عباده فكان في بعض الشوارع يوماً ذاهباً والشارع قد اتسع اسفله وضائ اعلاه والتتمت جناحان فيه فناولت جارة

جارتها مهنياً أنسل من يدها على رأس فاذوه فهرس رأسه وخلط كخلط الهريسة وأعجمه
عن التوبة وكان لنا واعظ صالح يقول لنا احذروا ميتة فاذوه .

قال جبريل في حديثه خشيت ان يتم فرعون الشهادة والتوبة فاخذت قطعة من
حال البحر فضربت بها وجهه يعني طينه والحال ينقسم ثمانية اقسام منها الطين فكيف
يصنع من عنده ان التوبة لاتصح من ذنب مع الاقامة على آخر فلا حول ولا قوة
بلغني عن مولاي التميمي ادام الله تأييده انه قال وقد ذكرت له اعرفه جزاً هو الذي
هجا ابا القاسم علي ابن الحسين المغربي فذلك منه ادام الله عزه رائع لي خوفاً ان يستشر
طبعي وان يتصورني بصورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو بتعريف التنكير
انفع لي عنده لجلالة قدره ودينه ونسكه وانا اطلعه بطلعه ليمرف خفضه ورفع
وفراداه وجهه .

كنت ادرس علي ابي عبد الله بن خالويه رحمه الله واختلف الى دار ابي الحسين
المغربي ولما مات ابن خالويه سافرت الى بغداد ونزلت على ابي علي الفارسي وكنت
اختلف الى علماء بغداد الى ابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الزبائي وابي عبيد الله المرزباني
وابي حفص الكنتاني صاحب ابي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبلغت نفسي اغراضها جهدي والجهد عاذرت سافرت منها الى مصر ولقيت ابا الحسن
المغربي فالزمني ان لزمته لزوم الظل وكنت منه مكان المثل في كثرة الانصاف والحنو
والتياف فقال لي سرّاً انا اخاف همة ابي القاسم ان تنزوبه الى ان يوردنا ورداً لا صدر
عنه وان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعتي بها فقال لي يوماً
ما نرذي بالخمول الذي نحن فيه قلت واي خمول هنا تأخذون من مولانا خلد الله ملكه
في كل سنة ستة آلاف دينار وابوك من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم فقال : اريد ان
تصار الى ابرارنا الكنتائب والمواكب والمقائب ولا ارضى بأن يجري علينا كالولدان
والنسوان فأعدت ذلك علي ابيه فقال : ما اخوفني ان يخضب ابو القاسم هذه من هذه
وقبض على لحية وهامته وعلم ابو القاسم بذلك فصارت بيني وبينه وقفة

وانفذ الى القائد ابو عبد الله الحسين بن جوهر فشرني بشرف خدمته فرأيت
الحاكم كلما قتل رئيساً انفذ رأسه اليه وقال : هذا عدوي وعدوك يا حسين فقلت من
يريوماً يربه والدهر لا يغتر به وعلمت انه كذا يفعل به فاستأذنته في الحج فاذن فخرجت
في سنة سبع وتسعين وحجبت خمسة اعوام وعدت الى مصر وقد قتله فجاءني اولاده

سراً يرومون الرجوع اليهم فقلت لهم خير مالي ولكم الهرب ولا يكم يبغداد ودائع خمسمائة
الف دينار فاهربوا واهرب ففعلوا وفعلت وبلغني قتلهم بدمشق وأنا بطرابلس فدخلت
الى انطاكية وخرجت منها الى ملطية وبها المايسطرية خولة بنت سعد الدولة فاقمت
عندها الى ان ورد علي كتاب ابي القسم فسرت الى ميفارقين فكان يسر حسواً في ارتفاع
قال لي يوماً من الايام : مارأيتك قلت : أعرضت حاجة ؟ قال : لا اردت ان العنك
قلت فالعني غائباً قال : لا في وجهك اشفى قلت : ولم قال : لمخالفتك اياي فيما تعلم .
وقلت له ونحن على انس بني وبينه لي حرمت ثلاث البلدية وتربية ابي لي وتربيته
لاخوة قال هذه حرم مهشكة البلدية نسب بين الجدران وتربية ابي لك منه لنا عليك
وتربيته لاخوتي بالخلع والدنانير اردت ان اقول له : استرحت من حيث تعب الكرام
فخشيت جنون جنونه لانه كان جنونه مجنوناً واضح منه مجنون واجن منه لا يكون
وقد انشد :

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

بل جن جنانه ورقص شيطانه

به جنت مجنونة غير انها اذا حصلت منه الب واعقل

وقال لي ليلة اريد ان اجمع اوصاف الشمعة السبعة في بيت واحد وليس يسمح لي
ما ارضاه فقلت انا افعل من هذه الساعة قال انت جديلاً المحكم وعذيقها المرجب فاخذت
القلم من دواته وكتبت بحضرته

لقد اشبهتني شمعة في صبابتي وفي هول ما القى وما اتوقع

نحول وحرق في فناء ووحدة وتسهد عين واصفرار وادمع

فقال كنت عملت هذا قبل هذا الوقت فقلت تمنعني سرعة الخاطر وتعطيني علم الغيب
وقلت : انت ذا كر قول ابيك لي ولك والبي الشاعر والمحسن الدمشقي ونحن في الطارمه
اعملوا قطعة قطعة فن جود جعلت جائزته كتبها فيها فقلت

بلغ السماء سمو به تشيد في اعلى مكان

بيت علا حتى تو ر سيف ذراه الفرقدان

فانعم به لازلت من رب الحوادث في امان

فاستجاد سرعتها وكتبها في الطارقة وخلع على وكان ابو القسم ملولاً والمول ربما مل
الملال وكان لا يمل ان يمل ويحقد حقد من لا تمل كبد ولا تحمل عقده وقال لي بعض

الرؤساء معانبا : انت حتمود ولم يكن حقوداً فقلت له انت لاتعرفه والله ما كان يحى عوده ولا يرجى عوده وله رأي يزين له العقوق ويمقت اليه رعاية الحقوق بعيد من الطبع الذي هو للصد صدود وللتآلف الوف ردود . كأنه من كبره قد ركب الفلك واستوى على ذات الحبك ولست بمن يرغب في راغب عن وصلته او ينزع الى نازع عن خلته فلما رأيتنه ساوراً جارباً في قلة انصافي على غلوائه محوت ذكره عن صفحة فؤادي واعتددت وده فيما سال به الوادي

ففي الناس ان رثت حبالك واصل وفي الارض عر دار القلى متحول
وانشدت الرجل ايبائاً اعتذر بها في قطعي له

فلو كان منه الخير اذ كان شره عتيذاً لقانا ان خيراً مع الشر
ولو كان اذ لاحير لاشر عنده صبرنا وقانا لا يريش ولا يهري
وامكنه شر ولا خير عنده وليس على امر اذا دام من صبر

وبغضي له شهد الله حياً وميتاً اوجبه اخذه محارب الكعبة الذهب والفضة وذر بها دنائير ودرام وسماها الكعبية وانهب العرب الرملة وخرب بغداد وكم دم سنك وحريم انتهك وحره ارملة وصبي ايتم وانا معتذر الى الشيخ الجليل من تقريظه مع تقريظي فيه لانه قد شاع فضله في جميع البشر وصار غرة نل جبهة الشمس والقمر خلد ذلك في بدائع الاخبار وكتب بسواد الليل على بياض النهار وانا في مكاتبة حضرة بمنظوم ومنثور كمن امد النار بالشرر واهدى الضوء الى القمر وحب في البحر جرعة واعار سير الفلك سرعة اذ كان لا يحل النقص بواديه ولا يطور السهو بناديه

ولقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ان نعمتها فقد عبتما وان وصفتها فما اصفتها واطربتي يشهد الله اطراب السماع وبالله لو صدرت عن صدر من خزائنه وكتبه حوله بقلب طرفه في هذا ويرجع الى هذا فان القلم لسان اليد وهو احد البلاغتين لكان ذلك عجباً صعباً شديداً والله لقد رأيت علماء منهم ابن خالويه اذا قرئت عليهم الكتب ولا سيما الكبار رجعوا الى اصولهم كالمقابلين يحفظون من سهو وصحيف وغلط والعجب العجيب والتأذر الغريب حفظه ادام الله تأييده لاسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الاذكياء المبرزين المنظوم وهذا سهل بالقول صعب بالفعل من سمعه طمع فيه ومن رآه امتنعت عليه معانيه ومبانيه .

حدثني ابو علي الصقلي بدمشق قال : كنت في مجلس ابن خالويه اذ وردت عليه

من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزائنه واخرج كتب اللغة وفرقها على اصحابه يفتشونها ليحيب عنها وتركته، وذهبت الى ابي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ويده قلم الحمره فاجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب وقال ابو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المتعلق حفيظاً وقال لي ابو عمر كنت اعلى اللغة عن ثعلب على خرف واجلس على دجلة احفظها وارمي بها وانا تعبت وحفظت نصف عمري ونسيت نصفه وذلك اني درست ببغداد وخرجت عنها وانا طاري الحفظ ومضيت الى مصر فامرجت نفسي في الاغراض البهيمية والاعراض المؤثمية واردت بزعمي وخديعة الطبع المليم ان اذيقها حلاوة العيش كما صبرت في طلب العلم والادب ونسيت ان العلم غذاء النفس الشريفة وصيقل الافهام اللطيفة وكنت اكتب خمسين ورقة في اليوم وادرس مائتين فصرت الآن اكتب ورقة واحدة وتحكمني عينايا حكماً مؤلماً وادرس خمس اوراق وتكل ثم دفعت الى اوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا ادب بل في فضة وذهب فلو كنت اباسا صرت باقلا واضع كتاباً عن يميني واطلبه عن شمالي واريد مع ضعفي ارتاد لنفسي معانداً بظهر غير ظهير بل كسير عقير وصلب غير صليب ان جلست فهو كالدهل وان مشيت فحملت دماويل ومعى بقية نزرة يسيرة من جملة كثيرة لو وجدت ثقة اعطيته اياها ليعود علي بما ارفه به جسدي من الحركة وقلي من الشغل وانا اجد من ادفعها اليه وبقي ان يردّها الى

دفع رجل الى صديق له جارية اردعها عنده وذهب في سفره فقال بعد ايام لمن يأنس به وتسكن نفسه اليه : يا اخي ذهبت امانات الناس اودعني صديق لي جارية في حسابه انها بكر جربت بها فاذا هي ثيب . ومن ظريف الاخبار ان بنت اخي سرقت لي ثلاثة وثمانين ديناراً فلما هدهدا السلطان اطال الله بقاءه ومد مدته وادام سموه ورفعة، واخرجت اليه بعضها قالت : والله لو علمت ان الامر يجري كذا كنت قتلته فاجبوا من هريستي وزبوني والله لولا ضعفي وعجزى عن السفر لخرجت اليه متشرفاً بجالسته ومحاضرتة فلما مذاكرته فقد يئست منها لما قد استولى علي النسيان واحتوى على قلبي من الموموم والاحزان والى الله الشكوى لا منه وليس يحسن ان اشكو من . حمي الى من لا يرحمني وائس بحكيم من شكا رحيماً الى غير رحيم وكان ابو بكر الشبلي يقول : ليس غير الله غير ولا عند غير الله خير . وقال يوماً : يا جواد ثم امسك مفكراً ورفع رأسه ثم قال : ما اوتخني اقول لك يا جواد وقد قيل في بعض عبيدك

ولولم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله
وقد قيل في آخر

تراه اذا جثته متمللا كأنك معطيه الذي انت سائله

ثم قال : بلى اقول يا جواد فاق كل جواد وبجوده جاد من جاد . ودخل ابن السماك
على الرشيد فقال له عظمي وفي يد الرشيد كوز ماء فقال : مهلاً يا امير المؤمنين ارأيت ان
اقدر الله عليك مقدراً فقال لن امكنك من نربة الا بنصف ملكك اكنت فاعلاً ذلك
قال : نعم قال : اثرب هنأك الله فلما شرب قال : ارأيت يا امير المؤمنين ان لو اسفت
نفس هذا المقدر عليك فقال : لن امكنك من اخراج هذا الكوز الا بأن استبد بملكك
دونك اكنت فاعلاً ذلك قال : نعم قال : فاتق الله في ملكك لا يساوي الابولة وكيف
اشكو من قاتني وعالي نيفاً وسبعين سنة كان قيصي ذراعين فوكل بي والدين حديدين
مشفقين يتناهيان في دقته ورقته وطيبه فلما صار اثني عشر ذراعاً تولاه هو وطعامي فما
اجاعني قط ولا اعراني والذي هو يطعمني ويستقن خايط ربه بالادب فقال : واذا
مرضت فهو يشفين فنسب المرض الى نفسه لانها تنفر من الاعراض والامراض وكل
شيء يطرأ على الانسان لا يقدر على دفعه مثل الزوم واليقظة والضحك والبكاء والغم
والسرور والخصب والجذب والغنى والفقر فهو منه نتجست اسماؤه الا تركه انه
لا يتوعد على فعله ولا يعاقب عليه وما يقدر على دفعه فهو منه مثل ان يريد الكتابة
فلا يقع منه البناء ويريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعدة لا يقدر على امساك
يد ومن ليست به يقدر على امساكها

كنت بتيس وبين يدي انسان يقرأ ويحزن : « يوفون بالنذر ويخافون » ويكي يخطر لي
خاطر فقات انا بضد هؤلاء القوم صلوات الله عليهم انا لا اندر ولا ابي ولا اخاف
شقاء ولا عناء ولو كنت اخاف ما اصبحت محموماً وكنته وحدثي من اثني به ولا اتهمه
عن ابيه وكان زاهداً قال : كنت مع ابي بكر الشبلي ببغداد في الجانب الشرقي بباب
الطابق فرأينا شارباً قد اخرج حملاً من التنور كأنه بسرة فضجاً الى جانبه قد عمل
حلاوى فالودجاً فوقف ينظر اليهما وهو ساه مفكر فقلت يا مولاي : دعني آخذ من هذا
وهذا ورقاقاً وخبزاً ومنزلي قريب تشرفني بأن تجعل راحتك اليوم عندي فقال : يا هذا
اظننت اني قد اشتبهتكما وانما فكري في ان الحيوان كله لا يدخل النار الا بعد الموت
ونحن ندخلها احياء

يارب عفوك عن ذي شبهة وجل كأنه من حذار النار مجنون
 قد كانت ذم افعالاً مذممة أيام ليس له عقل ولا دين
 تمت الرسالة والحمد لله ذي الافضل وصلواته على محمد وخيرة الآل ما فرغت من
 هذه السوداء حتى ثارت بي السوداء وانا اعتذر من خطي فيها اوزل فاب الخطأ مع
 الاعتذار والاجتهاد والتحري موضوع عن الخطي ومن ذا الذي يؤتي الكمال فيكمل .
 قال عمر بن الخطاب : رحم الله امراً اهدى الى عيوبي واسأله ادام الله عزه تشريفي
 بالجواب عنها فان هذه الرسالة على ما بها قد استحسنيت وكتبت عني وسمعت مني وشرفتها
 بأسمه وطرزتها بذكره والرسالة التي كتبها الزهرجي الي كانت اكبر الاسباب في دخولي
 الى حلب واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرها ان شاء الله وبه الثقة وصلى الله
 على سيدنا محمد وآله وسلم .

الدين والدنيا

واين يختلفان وكيف يتفقان

ادخر لدنياك ادخار الراغب فيها . وتزود من دينك زاد الراغب عنها

نسمع في الارض اليوم صيحة تصم الآذان منشأوها اختلاف المذاهب والاديان .
 وهي لي كثرة الصائحين فيها قد صارت اشبه شيء بلفظ زمرة من المغنين وقد علت اصواتهم
 واختلفت لهجاتهم وتباينت نغاتهم فيقف السامع الصحيح الاذن مبهوئاً من خلط هؤلاء
 المغنين كخلطنا بين الدنيا والدين

يريد بعض الناس ان يكون الدين كل شيء . وينظر غيرهم الى الدين كأنه لا شيء .
 وبين هؤلاء ، واولئك افراد وزمر واقوام يتشاحتون ويتجاذبون ويتخاذلون ويقتتلون
 تعصبا للدين ولكنهم في الحقيقة يسخطون رب العالمين الذي لو شاء لجعلها امة واحدة
 ووحيد لها السراط الى عليين

في تعاليم كنفوشيوس المسألة والاخاء اساس الدين . وفي الديانات الفتشية وهي
 احط الادان في نظر الراقين لاطل لما نحن فيه ان العداء بسبب اختلاف المعتقد بل
 كل منهم وما يعبد شرط الولاء للقبيلة وفي التوراة على لسان سليمان الحكيم « من يعلم

روح بني البشر هل هي تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل الى اسفل الى الارض . جامعة ص ٣ - ٢١ » فكأن سليمان يوعز الى قومنا بان يفتأوا من حديثهم في احتكار طريق السماء . وفي الانجيل « في بيت ابي منازل كثيرة . وان الذين بلا شريعة فبنير الشريعة بدانون . وان كل من عمل خيراً مقبول عنده » فعلى م التعصب . وفي القرآن الشريف « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . وان الله رب العالمين » ولم يقل رب النصارى ولا رب المسلمين

وفي حكم العقل ان الله تعالى يجمل عنه ان يخلق اما شعوباً ليجمعها برمتها طعاماً للنار لانها عملت بشريعة الضمير التي سنّها هو لتكون شريعة عامة وتجاوزت بعض الامور العرضية التي لم يتفق لها ان تقتنع بها لرسوخ غيرها في مكانها مما لا يضر بالانسانية ولا يفضب رب البرية

وفي حكم الكتب المنزلة والعقل معاً ان الهنا الرحوم الغفار . المحب الاب السماوي . لم يخلقنا ليظهر قوته وبطشه فينا فيرسل بعض ابنائه الى بحيرة النار المتقدة لانهم يسبيرون اليه في طريق لا تراها نحن موصلةً اليه اما لنقص في مداركنا واما لانه تعالى لم يشأ ان يوحى الينا كامل ارادته في خلقه . او يعقل ان ننسب للاله الذي هذه صفاته محبة التلهي بمنظر لحوم ابنائه وهي تسوى في نار جهنم كأنه يسير بتعذيبنا وهو الرحيم الزحمن الغفار لجميع ذنوبنا اذا آمنّا به كما نحن مؤمنون ؟

اذاً فالموحدون جميعاً وجهتهم لاله الواحد واليه يسبيرون . فلماذا هذه القيامة القائمة على الارض وهذا التعصب الدميم الذي يفرق الاخ عن اخيه والابن عن ابيه . انزلت علينا آيات بينات بكره كل من خالف معتقدنا وبأثارة حرب عوان على اخواننا في الدين من الموحدين . بل مالنا وللكفرة المحمدين والله رقيب عليهم ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم لانه على كل شيء قدير .

نعلم ان جميع الاديان توصي بحجة الناس بعضهم لبعض وبمنع الاعتداء . وبالمسالمة . والاخاء . فضلاً عن شريعة الضمير ووصية كنفوشوس والسيد المسيح معاً القائلة « مهما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا هكذا انتم ايضاً بهم »

فأين حكم العقل والضمير وهذه التعاليم السامية من سير البعض منا ممن يتصافحون بالخنجر ويسلمون بالمسدسات لا لسبب سوى كون الفئة الواحدة تسير الى خالقها في طريق موازية لما تسير فيها الأخرى :

اهكذا تكون مقدمات الام التي تريد الرقي في عمرانها . ام نظن ان الله يرضى عن مثل هذه الافعال التي ما انزل بها من سلطان
 بقي ان متبب التعصب ليس في الدين نفسه بل سيف ما ادخل عليه من الثقايلد
 والشروحات والتفاسير المضلة التي قد سمت عقول العامة حتى صاروا ينظرون بعضهم الى
 بعض نظر العدو اللد على رغم كونهم ابناء وطن واحد تجمعهم جوامع اللغة والذومية
 والوطنية ووحدة المعتقد بربهم اجمعين

حقاً ان حالتنا في الشرق لما تذر ف لها الدموع السخينة . لاننا تركنا الجوهر
 وتمسكنا بالعرض تركنا العبادة الحقيقية بالروح والحق وصرنا ننظر الى الاسماء لا الى
 المسميات . فمن كان اسمه محمداً او بطرس او هرون او حمزة او مارون او نقولا صار
 كأنه يحمل في عنقه علامة لئلا يتله كل من يجده من اخوانه في الانسانية واشقائه
 في الوطنية

فالى مَ يا قومنا نبقى على هذه الحالة الحزنة نخلط الدين بالدنيا في معاملاتنا وصالواتنا
 ووظائفنا وخدمتنا الوطنية وواجباتنا القومية

الا يدري رؤساؤنا الروحيون ان كلمة منهم تغير مبادئ العامة اكثر من مجلد يكتبه
 غيرهم من الناس . فلماذا لا يتكلمون ويزيلون الوحشة بل الغلظة من قلوب الرعايا مع
 بقاء المعتقدات على اصلها مجردة عن الزيادات

هو ذا بعض المفكرين من اخواننا المسلمين في وادي النيل قد جاهدوا بوجوب
 الاصلاح الديني ودعوا الراسخين في العلم الى مجتمع يبحثون فيه لتنقية الدين ما طراً
 على محيطه من الشوائب التفسيرية والعادات التقليدية التي لا تتفق مع جوهر الدين .
 فلماذا لا نحذو نحن حذوهم فنعمم تفهمهم وننزع عن الدين صبغة التعصب التي شوهته بها
 العصور الوسطى ولا تزال عليه الى الآن

يظهر ما تقدم ان الدين والدنيا يتفقان اذا نزعنا عن الدين ما الصقه به المتعصبون
 من الزوائد الضارة وهو يزداد اختلافا كلما زدنا تفننا في تفسير التعصب ونحريجه اغراء
 للسذج ببقائهم على ما هم عليه من الجهل المطبق

دبتنا — لا تخف يا اخي التي فان لا قوة بشرية تقدر على اختطاف دينك منك
 ولا على زعزعة اركانه اذا كان مؤسساً كما تعتقد على الصخر .

فدع الزوايع تهب وافرح بعدم اقتدارها على هذه . اما اذا كنت حذراً خائفاً على

دينك فخطه بسور لثلا تسفيه الريح فثقتك اذا بصاحبه قليلة ، ولذالك تحاول انت ان تملأ نقص هذه الثقة . الا تعلم ان الحق يعلم ولا يعلم عليه ، وان الصحيح لا يتحول الى فاسد باختلاطه بالامور الدنيوية بل يطفو كالزيت فوق عكر الماء وتظهر شوائبه لاقل نظرة كما قد ظهرت الشوائب التي ادخلت فيه الى الآن

كلمة الى حضرات رؤساء الاديان -- جاء في الاسفار الدينية « رئيس شعبك لا نقل فيه سوء » . فانتم رؤساء الشعب الروحيون ولذالك فاننا نجل مقامكم ونحترمكم ونضمن لكم حفظ الرئاسة الدينية على شرط ان تفصلوا الدين عن الدنيا لانكم لستم رؤساء فيها ولا يجوز ان تكونوا لثلا يلتوي عليكم الامر في سياستنا التي تحتاجون معها الى توحيد القوى العقلية . وبعد هذا نرجوكم ان تفهموا الفلاح والصانع والتاجر والواعظ والكاتب وغيرهم ان يحترف كل منهم حرفته العالمية مجردة عن كل صبغة دينية . واذا جاءكم طلاب الوظائف وارباب الدعاوي واحتتموكم الى المراكز الدنيوية وبثتم فيهم روح الدين الصحيح القاضي باعتبار جميع الناس اخواناً في الدنيا . واذا جاهرتم ببدا الاخاء من على المنابر . واذا نزعتم من قلوب الشعب اشواك الجهل الديني -- وهو التعصب القديم . واذا اعطينونا قدوة تتبعها في هذا السبيل . فانكم اذا فعلتم جميع ذلك تخدمون الدين والانسانية معاً وحينئذ تروننا نزيد مقامكم رفعة ونجل جميعنا رثاستكم شاكرين لانكم بذلك تسكتون السنة المتدمرين

هذه هي الطريقة المثلى لفصل الدين عن الدنيا ولتعزيز المراكز الدينية العليا لان بها يستوفي العمران نصيبه ويحافظ الدين على حقه

فمن لنا من ساداتنا الروحيين بمن يبدأ بالمجاهرة بهذا التساهل وهذا التسامح فنسطرها له باكورة للاصلاح الديني في القرن العشرين

دنيانا - علينا في دنيانا واجبات كثيرة لا بد في قضائهم من التعاون والتضاد بقطع النظر عن الدين . هوذا البلاد في حاجة الى الشركات الوطنية وتوحيد الكلمة القومية في الدفاع عن الوطن وفي تعميره بما حسن من الحضارة الحديثة . فمن يقوم بهذه الاعمال ومتى يتم لنا النجاح اذا بقي الدين حاجزاً بين ابناء المذاهب المتفرقة . او كيف يمكن ان نهض معاً ونحن ننظر بعضنا الى بعض شزراً كنظر القريب الى الغريب المعتدي . ام نكذب على انفسنا وعلى الله بقولنا ان الدستور قد وحد فينا المبادئ القومية

وماقومنا للآن الا المذاهب متجسمة والضغائن كامنة تكاد تظهر من تحت الرماد في كل ملة ومذهب

هذه هي الحقيقة وادلتها تحيط بها احاطة الهالة بالقمر . والحقيقة اولى ان تقال لئلا يذهب بنا الوهم الى الاعتقاد باننا قد صرنا كما اظهرنا في بدء حياتنا الدشورية أجل ان فينا العدد العظيم ممن يريدون الاخاء وينادون به بالسنتهم وجرائدهم واعمالهم ولكن لا يزال في البلاد كثيرون من نصراء الدور السابق ممن يلقون الشقاق في كل ملة ويتنون الناس عن سيرهم في دنياهم متأخين

فاعمال هؤلاء لا يكشفها الا حملة الاقلام المناط بهم الدفاع عن الجامعة القومية ولقد كان لجرائدنا على اختلاف نزعاتها الفضل العظيم في امالة الخواطر وتحويل الرأي العام عن التعصب الى الحرية والمساواة والاخاء ولا تزال نطمع من زملائنا باعادة الكرة المرة بعد المرة على كل خالط للدين بالدنيا

وانا لعجب من استحكام هذا الشر في بلادنا الشرقية حيث الذكاء يتدفق من العقول في حين اننا لانرى عند غيرنا عشر معشار ما نحن فيه من الشقاق

أسبب ذلك كون ارضنا مهبط الوحي ومحمد الصالحين ؟

أ نكون اول من قصد الله بنا خيراً فحولناه بمجهلنا الى شر عظيم ؟

أ هكذا كانت غابة محمد وموسى وعيسى عليهم السلام أجمعين ان يزرعوا في قلوبنا

العداوة الى ابد الأبدين ؟

اقصد هؤلاء الداعون الناس الى طاعة ربهم ان يعلموا الشقاق في دنياهم

بواسطة الدين ؟

كلا . ثم الف كلا — اننا نحن السبب في ذلك كله لان نفوسنا جانحة الى الشر والله

لا يغير قوماً الى الحسنى قسراً اذ هم ابوا ان يغيروا ما بانفسهم . لان الانسان حر في

افعاله ليكون لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت

وخلاصة ما نقوله في هذا الشأن اننا قد شبعنا من العداة وقد كلت خناجرنا من

الطعن ومسدساتنا من خطف الارواح فهي تضرع اليها بلسان حالمات قائلة استبدلوني

بالنظرات الاخوية والمصالحة السلمية والقبالات القلبية . القوي في اليم وسيروا بلا خوف

ولا عداة وتضافروا في اعمالكم وتعاونوا في خدمة وطنكم . انسوا ذكري واهملوا امرى

وتساحوا بالغيرة الوطنية والمحبة الاخوية

لقد آن الوقت للاختلاط في الخدمة والاعمال المالية والاندغام في الدفاع والسعي وراء المصلحة القومية

ولايت لكم ذلك الا بترك الشقاق فتتركوني ولا يزول الشقاق الا بفصل الدنيا عن الدين وبذلك ترجوني وتخدمون دنياكم وتكسبون رضى رب العالمين
وفي الختام اننا نبتهل اليه تعالى لينظر الينا بعين الرضا وينزع من قلوبنا شوك الشقاق ويلهمنا رحمة مده الى التوفيق بين مساعيها الدنيوية مع تمسكنا باصول الدين مجردة عن الدخيل . وهو حسبنا ونعم الوكيل
« خليل سعد »

غرف التجارة

تمة ماورد في الجزء الماضي

ذكرت قبلا بعض ما تمتاز به الغرفة الباريزية على غيرها من الغرف الفرنسية من الامتيازات وقد مضى عليها مائة وسبعة اعوام وهي ذات مقام سام خاص بها ولها خمس لجان عليا استشارية الاولى تبحث في المسائل الاقتصادية كما انها تتوغل بتحقيق مسائل الرسوم الجمركية والادخالية (الاوكتروا) والثانية تشغل بمسائل الوسائط النقلية والثالثة بالمسائل التجارية والصناعية والرابعة بمسائل الصادرات وتعنى الخامسة بالدروس ولها ايضا تسع لجان ادارية تشغل بدور البورصة ومدارس التجارية والمكتبات ٠٠٠٠ ولها ديوان يتولى كتابة تقاريرها الاسبوعية وقد نظمت هذه الغرفة خلال سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ ستة وسبعين ومائة تقرير في مسائل شتى واتحدت مع عدة لجان ألفت في النظارات ووافدت عنها اعضاء الى المؤتمرات الاجنبية .

وتنفق كل عام اربعة وخمسين الف فرنك على الدائرة الوطنية للتجارة الخارجية وستة وستين الفا على مدرسة التجارة ومئة وعشرين الفا على مدرسة التجارة العالية وخمسة وثلاثين الفا على الدروس الليلية وسبعة واربعين على دور البورصة وثلاثين الفا على الاوضاع والاعمال المفيدة للتجارة .

وتتولى غرفة التجارة الباريزية ادارة كل من مدرسة العلوم التجارية العالية التي أنشئت سنة ١٨٨١ وموازنتها ٥٢٧ الف فرنك ومدرسة التجارة العالية التي أنشئت سنة ١٨٢٠ وموازنتها (٥١٠) آلاف فرنك ومدرسة التجارة التي أسست عام ١٨٦٣

وموازنتها ٢٣٥ ألف فرنك ونحت حماية غرفة تجارة باريس الجمعية التجارية لتعليم الاسنة الاجنبية وجمعية الترويج في اصدار الاموال التجارية الفرنسية وقد استستأ عام ١٨٨١

ذكرنا اوضاع الغرف الفرنسية عامة والغرفة الباريزية خاصة ونبحث الآن في اوضاع الغرف التجارية في البلاد العثمانية واليك البيان :

قضى القرار الصادر عام ١٢٩٣ بتأليف جمعيات زراعية وتجارية مؤلفة من اربعة وعشرين عضواً في القسطنطينية واثنى عشر عضواً في حواضر الولايات وثمانية اعضاء في مراكز المنصرفيات واربعة اعضاء في مراكز الاقضية ومن الشروط الاساسية النظامية ان يكون الاعضاء الذين يتوظفون في القسم التجاري من التجار والاعضاء الذين يتوظفون في القسم الزراعي من الزراع وان تكون الغرف ملحقه ومرتبطة بعضها ببعض وان تكون غرف الولايات تابعة لنظارة التجارة مباشرة . وكانت الغاية من كل هذا تنسيق الغرف تنسيقاً ادارياً بحيث تكون مرتبطة بالحكومة ارتباطاً موثقاً غير ان هذا التنسيق الذي لم ينظر في وضعه الى الوسط والاحوال لم يثر قط اثمرة المطلوبة . وفي اليوم السادس من صفر عام ١٢٩٧ اي بعد اربعة اعوام اعلن النظام الاساسي لغرفة القسطنطينية وفي العشرين من رمضان عام ١٢٩٨ الموافق لليوم الثالث من آب ١٢٩٨ اعلن النظام الداخلي لغرفة التجارة واصدر في هذا التاريخ قوانين تقضي بتأسيس غرف صناعية وتجارية على حدة .

وكان اعلان النظام الاساسي لغرف التجارة باسم « النظام الاساسي لترقية دارالسعادة التجارية » ولم تسن الحكومة نظاماً خاصاً بغرف الولايات التجارية . ولم يعلم سر نسبة هذا النظام الى غرفة القسطنطينية على انه لم يكن مستحيلاً درج الاحكام والمواد المتعلقة بغرفة القسطنطينية التجارية في النظام العام للغرف التجارية .

ولم تمنع هذه الحال تأسيس الغرف في الولايات بل ان هذه حذت حذو استنبول وانشأت غرفاً قياساً على غرفة العاصمة . وقرر شورى الدولة ان تطبق غرف الملحقات وضعها واعمالها على غرفة الاستانة وان يراقب موظفو الملكية الغرف ويلاحظوا ما يكفل حسن ادارتها وبقائها وانه انيط بالولاة اثناء الغرف في اوقاتها لايجاد الاسباب التي تؤهل الى ترقية التجارة الاهلية وانها (الغرف التجارية) مرتبطة بنظارة التجارة وان لها الحق

بمراجعة النظارة اذا دعت الحاجة وابلغ كل هذا الى محل الاليجاب واتخذت ايضا بعض قرارات بما ستجري على غرف الولايات والاقضية من الامتيازات

ولقد تأسست غرف زراعية في بعض الجهات ولم تؤسس في اكثرها ولم يؤسس غرف صناعية مطلقاً ولذلك طلبت نظارة التجارة ان تقوم غرف التجارة باعمال الغرف الزراعية والصناعية وواجباتها . وقرر مجلس الوكلاء قبول هذا الطلب واقترب بارادة سنية في السابع والعشرين من جمادى الآخرة لعام ١٣٠٦ وعلى اثر الغاء غرف الزراعة والعدول عن تأسيس الغرف الصناعية دعت الغرف التجارية (غرف التجارة والزراعة والصناعة) ولكن من اللازم الالزب احدث غرف زراعية على حدة لان المصالح الحيوي في بلادنا هو ولا شك الزراعة . ويتيسر للغرف التجارية ان تقوم باعمال غرف الصناعات ولا بأس بتوحيدها لان الصناعات في بلادنا اقرب الى العدم منها الى الحياة .
يقضي النظام الاساسي لغرف القسطنطينية التجارية ان تكون مؤلفة من اربعة وعشرين عضواً .

وشروط العضوية اولاً ان يكون المنتخب (بفتح الخاء) بالغاً الثلاثين من عمره ثانياً ان يكون ممن قضوا في التجارة لا اقل من خمس سنين غير متهم بمحنة او جنابة ولا مفلس (الا اذا استرجع اعتباره بعد الافلاس) وان يكون من ذوي الشرف والاستقامة . وتجري الانتخابات بالاكثرية الخفية . وعند تساوي الآراء يرجح الأكبر سنّاً ولا يجوز انتخاب عضوين من شركة واحدة . ولجنة الانتخاب تتألف من عشرين منتخب اول (بفتح الخاء) عشرة فتنخبهم نظارة التجارة والزراعة (الآت نظارة التجارة والنافعة) وعشرة ينتخبهم التجار فيجتمعون تحت رئاسة ناظر التجارة (وفي الولايات تحت رئاسة الوالي والاولوية تحت رئاسة المنصرفين وفي الاقضية تحت رئاسة القائمهقامين) . واعضاء الغرفة ينتخبون من بينهم رئيساً اول ورئيساً ثانياً بالاكثرية المطلقة ويعرضون هذا الانتخاب على النظارة لتجيزه .

مدة العضوية (ولقد استعمل القانون في هذا المقام لفظة رتيبة الاعضاء على ان عضوية غرفة التجارة ليست وظيفية من الوظائف) ثلاثة اعوام ولم يكن يجوز الى تاريخ ١ كانون الثاني لعام ٣٠٥ تجديد انتخاب العضو قبل مرور سنة على انقضاء عضويته السابقة ولكن المادة المعدلة سنة هذا التاريخ جوزت تجديد انتخاب العضو غب انقضاء مدته . ومن لا يحضر الجلسات مدة ستة اشهر يعتبر مستقيلاً واذا توفي احد الاعضاء او استقال

أوحكم عليه، بجنابة اوجنحة تنتخب لجنة الانتخاب غيره عند حلول اول اجتماعها ويتم العضو الجديد المدة الباقية لسلفه . واليك واجبات الغرفة التي ذكرها النظام الاساسي وهي ابلاغ المواد الآتية رأساً ونحراً الى نظارة الزراعة والتجارة

(١) وسائل ترقية الصناعات

(٢) مايجب على النظارة القيام به من الاصلاح والتحوير .

(٣) الامور التي من شأنها ترقية التجارة : تعارف الجمارك، الاشغال العامة (الامور العمرانية والنافعة) ، المراسي ، الملاحة سيفي الانهر ، البريد ، اسلاك البرق ، السكك الحديدية، فتح الطرق والشوارع ، تأسيس دور البورصة ، اصدار الجرائد التجارية . وفي النظام صراحة بان الغرف مطالبة باحداث سجلات وقوائم منظمة لكل مائه علاقة بالاعمال التجارية من الاموال والمسكوكات والاسهام ومما يقضي به نص القانون الزام الغرف بالاجابة عن اسئلة النظارة ، واعدة اجوبتها بهذه السجلات والقيود موقعة عليها بختم الغرفة

ولغرفة التجارة الحق في وضع نظامها الداخلي كما هو مصرح في احده مواد نظامها المترجم عن نظام عام ١٨٣١ الفرنسي وقد عملت بموجب هذا الحق وسنت نظامها الداخلي الا انها دفعت الى الدوائر الاليجائية ثم قرنته بارادة سنية بلا ضرورة نظامية .

يعتبر النظام الداخلي غرفة التجارة مصدر الاخبار التي تتصل بنظارة التجارة عن التجارة والتجار والصلة بين الحكومة والتجار في الاعمال التي تجري بينهما والواجبات الاساسية على الغرفة هي البحث والتنقيب عن المصالح التجارية والصناعية والوسائل التي تؤول الى ترقية الصناعة والتجارة والتذرع بها وعن العوائق التي تحول دون تقدمها وابلاغ الحكومة ما تعثر عليه الغرف من نتائج البحث والتحقيق وللغرف الحق باجراء الامور الآتية عدا عن الواجبات التي سبق ذكرها آنفاً والتي ذكرت في النظام الاساسي :

اولاً — تدعو الغرف التجارية التجار واصحاب المصارف (البنوك) والمعامل ليجعلوا اسماءهم في دفاتر الغرف الخاصة والدعوة تعلن بنشرات عامة او في الجرائد .
ثانياً — تسجل سفر التجار (المسجلة اسماءهم عندهم) وقدومهم وافلاسهم

واسترجاعهم الاعتبار التجاري (بعد الافلاس) واذا حكم على احدهم ظناً واتهاماً
بجححة او جناية يسجل ايضاً هذا الحكم في الدفتر الخاص لهذه الوقائع .
ثالثاً — تصدق مجاناً الكفالات واوراق الشهادات والتقارير ومقدرة الكفلاء
فيما يتعلق بالامور التجارية .

رابعاً — تسجل من محال الايجاب وبواسطة نظارة التجارة اوراق اقامة الحجة
البرتنشو التي تنظم بحق التجار واصحاب البنوك والمعامل لعدم تأديتهم البنويات
والسندات المحررة للأمر والسفانج الموقعة بتواقيعهم .
خامساً — تستنسخ في دفتر خاص عين الصكوك والعقود التجارية والصرافية
والجربة والصناعية والعمرانية المتعقدة خارج الغرفة عند طلب الفريقين المتعاقدين .
سادساً — للغرفة التجارية الحق في ابداء ملاحظاتها في تجديد قانون التجارة
وتصحيحه والنظامات التي لها علاقة بمحاکم التجارة وفي تأسيس غرف التجارة في الولايات
ودور البورصة وتوظيف الدلائل وكلاء الكامبيو^(١) وسن تعرفات للدلة وقوانين
لها ولغيرها من الامور التجارية التي يجب ان يكون لها تعرفات ونظامات وفي البنوك
والاعمال العمرانية .

قضت المواد المؤرخة في ٧ المحرم لعام ١٢٩٩ و ١٨ تشرين الثاني لعام ١٢٩٧ المذيلة للنظام
الداخلي للغرف التجارية بان تنظم الغرف التجارية اوراق الشهادات بالكفالات التي
تقدم الى الدوائر الرسمية والمحاکم التجارية والحقوقية باسم التجار وان ترسل الى محل
المزايدة مأموراً تنمده ليحضر الحجز والمزايدة للاموال وتقدير التيم من قبل الخبراء
اذا كان ذلك بقرار من المحكمة . ومن جملة ما تقتضيه المواد المذكورة الزام الدلائل
والوسطاء (سماسرة التجارة) بتسجيل اسمائهم في الغرفة التجارية وان يأخذوا منها
تذاكر باجراً، صناعتهم وان لا يقبل في المزايدات والمناسقات للدوائر الاميرية الا
التجار والدلائل الذين ييدهم شهادات بانهم مسجلون في دفتر الغرف التجارية وان
يكون تسطير صحائف دفاتر التجار ووضع اشارة (صح) عليها من قبل الغرف — وقد
أعيد بعد ذلك حق كتابة صحائف دفاتر التجار ووضع اشارة (صح) الى محرر المقاولات
كما في السابق . والمنع الذي ذكر قبل المادة الاخيرة لم يراع الا قليلاً .

(١) الوكالات او الاوضاع التي تشتغل بمبادلة الاسهام والاوراق النقدية والحوالات

سبق ان اعضاء غرفة التجارة الاستنبولية اربعة وعشرون وذلك بمقتضى النظام الاساسي . واما تأليف غرف التجارة في الولايات من اثني عشر عضواً وفي الولاية من ستة اعضاء والاقتضية من ثلاثة فهو من احكام المقررات . واعضاء الغرفة يجب ان يكونوا من تجار احد الطبقتين : الاولى والثانية المسجلة اسماءهم في غرفة التجارة ويجوز انتخابهم للعضوية من التجار الوطنيين والاجانب على السواء متى تحقق انهم مسجلون في الغرفة . والصنف الاول من التجار المسجلة اسماءهم في دفتر الغرفة هم اصحاب المصارف وهؤلاء يدفعون للزفة خمس ليرات كل سنة . والصنف الثاني من التجار المسجلة اسماءهم في الغرفة هم الذين يؤدون ثلاث ليرات سنوياً والصنف الثالث منهم يدفعون ليرتين والرابع ليرة واحدة عن بدلات الاشتراك^(١) والشركاء الذين لم توقيع واحد يعتبرون تاجراً واحداً . والتجار يسجلون اولاً اسماءهم في دفتر الزفة ثم يعتبرون من احد الاصناف الاربعة بقرار من الاعضاء ويحق للاعضاء المسجلة اسماءهم في الصنفين الاول والثاني ان ينتخبوا اعضاء لغرفة التجارة كما ان الاعضاء الموقتين في المحاكم التجارية والخبراء والمميزين لبعض الدعاوي والاشخاص الذين يفحصون الدفاتر التجارية يجب ان يكونوا من الصنفين المذكورين

(المواد المذبلة)

تجتمع اعضاء الغرف التجارية مرة في الاسبوع واذا اقتضت الحال يعقدون اجتماعات غير عادية بدعوة من الرئيس او بطلب كتابي من ستة اعضاء وبعد نصب الرئيسين الاول والثاني ينتخب الاعضاء من بينهم باكثرية الاصوات مشاورين اولاً وثانياً لسنة واميناً عاماً للصندوق . وما عدا هذا يجوز ان يكون للغرفة امين صندوق بكفالة وكتبة للتركية^(٢) والفرنسوية وسواهم من الموظفين والمستخدمين وتجري مذكرات

(١) الغرف التجارية العاملة تصدر جرائد ومجلات اقتصادية واحصائية وتقوم باعمال كبرى تدفع التجار بل ان المصالح التجارية قائمة عليها ولذلك يجوز ان يقال بدل الاشتراك عن القيمة التي تدفع الى تلك الغرف ولعل اصل استعمال هذا التعبير (بدلات الاشتراك) ناجم عن هذه المنافع الحقيقية في غير البلاد العثمانية ومنافعها الموهومة في هذه البلاد المنكودة الحظ

(٢) وكأن لغتنا العربية لاحظ لها من الوطنية فلا تذكر في نظامات الحكومة والمعقول ان تجري معاملات الغرف التجارية بالاسنة الالهية ولكني لا اصدق الا ان

الغرفة بحسب ما تقتضيه أعمالها اليومية وقبل ارفضاض الجلسات تنظم الغرفة يومية المذاكرات عن الاجتماع القادم . وعلى الرئيس اعلام الاعضاء كتابة بايام الاجتماع . ولا تبرم القرارات الا اذا حضر الجلسات اثنا عشر عضواً ولكن تجوز المذاكرات اذا اجتمع اقل من ذلك وتكتب الآراء والملاحظات التي يذكرها الاعضاء في اوراق الدعوة للجلسة القادمة والاعضاء الذين لا يحضرون ثانياً اما ان يقبلوا رأياً من هذه الآراء ويبلغوه الى الغرفة كتابة واما ان يحضروا الجلسة المعينة في ورقة الدعوة ويعربوا عن آرائهم الذاتية واذا خالفوا في اجوبتهم الكتابية آراء الاعضاء ، ولم يحضروا او انهم لم يجيبوا الدعوة كتابة ولم يحضروا الجلسة بناتاً تعرض الغرفة عن آرائهم ويرم القرار ولولم يبلغ عدد الاعضاء المقدار المعين .

والغرفة الحق في تعيين لجان مؤلفة من غير الاعضاء للنظر في بعض المسائل ولا يجوز ان يتجاوز عدد اعضاء هذه اللجان الستة وتندب الغرف احد اعضائها ليضم الى اللجنة ويقوم بوضع لأحة تتضمن نتائج البحث عن المادة المحولة الى اللجنة . وللرئيس الحق في تأليف لجنة للبحث في المواد الجديدة بالقبول المبلغة الى الرئيس تؤلف من ثلاثة رجال ينشخبهم الاعضاء ويقضي النظام الاساسي بأن تكون مداخل الغرف التجارية عبارة عن بدلات الاشتراكات التي يدفعها التجار وبعض الرسوم (ولم يذكر صاحب المقالة هذه الرسوم) وما زاد على نفقات الغرفة من المداخل يجوز انفاقه بقرار الغرفة واذن الحكومة معاً الى انشاء مدارس وجرائد تجارية : ولكن يرصد منه مبلغ لا يقل عن مئتي ليرة لاحوال طارئة . والغرفة مكلفة بتنظيم ميزانيتها لآخر كل سنة .

وهذا تعريب نص احدى المواد الانتهاية :

(تعرض الغرفة التجارية على انظار مراحم (؟ !) الحكومة الجوائز لدوي الاختراعات الصناعية التي ينجم عنها منافع عامة .

الداء الذي افسد مدارس الحكومة — بل وكثيراً من المدارس الاهلية — يفسد الغرف والاندية التجارية والسياسة التركية المحضة التي تفادي بالغاية الاولى من المدارس في سبيل تدريب الامم تفادي بكل فائدة او ثمرة ولا تسمح للغرف باجراء معاملاتها ومخابراتها بالعربية .

ان النظامين الاساسي والداخلي لغرفة التجارة المعدلين بمقررات من شورى الدولة لاستحالة تطبيق موادها على الولايات محتاجان الى تعديل مهم يجب ادخاله عليهما :
اولاً : ان النظام الاساسي لغرف التجارة مختصر كثيراً و خاص بالعاصمة وثانياً
ان كثيراً من مواد النظام الداخلي يجب ادخالها في النظام الاساسي ولذلك يجب مزج
النظامين المذكورين ومراجعة آراء الغرف التجارية في العاصمة والولايات وتدقيق
النظامات الاوروبية ثم بعد ذلك يجب على نظارة التجارة سن لائحة قانونية لتعرض على
مجلس الامة في اجتماعه القادم

ولاشك ان الفوائد التي تنجم عن انتفاء الغرف التجارية على أسس الحقوق والواجبات
وتنسيقها بحيث تكون ممثلة للتجار ونائة عنهم تكون عظيمة . وبعد قبول مجلسي الامة
والاعيان اللائحة المذكورة واقرارها بارادة سنوية يجب الشروع بالعمل بها دون تأخير
ومن الضروري اعطاء حق وضع النظام الداخلي للغرف نفسها بشرط ان لا يكون مناقضاً
للنظام الاساسي ويجب ان تسجله الغرفة في نظارة التجارة .

ان تعريف الغرف التجارية المذكور في النظام الداخلي ليس بتعريف يضمن كرامتها
ولذلك من الضروري ادخال قيد ينضمن ان للغرف المذكورة حق الدفاع عن المصالح
التجارية وصيانتها وبذلك فقط تعلم مكانة هذه الاوضاع .

ويجب تأسيس غرف تجارية : في كل حاضرة من حواضر الولايات كما هي الحال في
فرنسا وان يكون تأسيسها في مراكز الالوية والاقضية غير محتم و اذا ارتأى التجار او
الحكومة تأسيسها في الالوية او الاقضية يجب ان يكون ذلك بعد موافقة المحاكم التجارية
في مراكز الولايات والالوية والاقضية او موافقة الغرف التجارية في مراكز الولايات
او الالوية .

ويجب اعطاء الرخصة بتأسيس الغرفة من قبل الولاية واعلام نظارة التجارة بواقعة
الحال . ولا حاجة بحسب النظام الحالي لتصديق انتخاب الاعضاء من قبل الحكومة ويجب ان
تبقى الحال كما هي اليوم ولا يرى ايضاً ان يتوقف انتخاب الرئيس على اجازة الولاية والمتصرفين
والقائم مقامين بل يشترط على الرئيس الذي ينتخب ان يكون من الوطنيين .

والاعضاء المراسلين في بلادنا ايضاً شأن كبير ولذلك يجب ان يكون للغرفة اعضاء
مراسلون من البلدة التي أسست فيها الغرفة وهي تنتخبهم ويجب ان يحضروا الجلسات
ويستضاء بأرائهم في بعض المسائل كما انه من الضروري ان يكون للغرفة اعضاء مراسلون

في الولايات والبلاد الاجنبية . ويجب ايضا توسيع حق الانتخاب واعطاؤه لكثير من التجار والصناع الذين يؤدون رسوم التمتع وعملا بهذا المبدأ يجب العدول عن القاعدة التي تقضي بأن يكون تعيين النصف من اعضاء لجنة الانتخاب من قبل الحكومة والنصف الآخر من قبل التجار وإن يكون حق الانتخاب للعضوية مشروطاً بالأحوال الآتية .
ان يكون المرشح للانتخاب مقيماً منذ مدة معينة في البلدة التي تقام فيها الغرفة مستغلاً خلال هذه المدة بصناعة او تجارة (بكل ما تشمل هاتين الكلمتين من ذروب الاعمال)
ومن الذين يؤدون ضريبة التمتع ومن ذوي الشرف والاستقامة .

اما مسألة الجنسية العثمانية فقد سبق ان هذا الشرط غير مصرح به في القانون الفردي ولكن مرعي في الانتخابات واما عندنا فلم تشترط التابعية العثمانية على الاعضاء فمنهم الاجنبي ومنهم العثماني على السواء . ويجب ان تظل الغرف على هذا الحال الى حين لاسيما وان التجار الاجنب المقيمين في بلادنا منذ مدة طويلة قد درسوا شؤون بلادنا حق الدراسة واذا اضفنا الى ذلك مقدرتهم العلمية وسعة اطلاعهم ووفرة بحثهم تبين لنا انه يستفاد منهم اذا كانوا بين اعضاء غرفتنا التجارية انما يشترط على اولئك الاعضاء الاجانب اقامتهم في بلادنا لمدة لا تقل عن عشرين سنة مستغلين خلالها بالتجارة .

جاء في نظام غرف التجارة ان لها الحق في انشاء مدارس وجرائد تجارية ويجب ان يكون لها الحق ايضا بتأسيس غير ذلك من الاوضاع التجارية وان تتعهد (اذا رغبت) القيام بالامور العمرانية على طريق الامتياز ولكن الواجب ان تكون خاضعة للشروط التي تشترط على غيرها من اصحاب الامتيازات .

ولا يمكن لغرفتنا التجارية ان تقوم بالاعمال التي تؤهل الى ترقية تجارتنا مالم تتوفر في ميزانيتهم المداخيل والا فان محافظة الحالة الحاضرة تقضي بان تظل مداخيلها تكاد لاتساوي النفقات الجارية السنوية مما لا يجوز البقاء عليه ابداً .

فيجب تقسيم الشركات الانونيم على درجات معينة والزامها بتأدية مقادير مقررّة سنوية تعين بحسب هذه الدرجات . ويجب ان تقرر درجات التجار بقدر ما يدفعون من ضرائب التمتع لاجل جرد رأي الغرف وتقديرها . ومن اللازم اللازم تسجيل التجار اصحاب هذه الدرجات كافة والزامهم بتأدية الضريبة السنوية .

لم يتصل باحد الى هذا العهد ان الغرف التجارية قامت منذ تأسيسها بمشروع يرفع مكانة التجارة في هذه البلاد . ولقد غابت هذه الغرف حيناً من الزمن ثم عادت تظهر في مظهر الحياة ثم افلتت بعد الشروق افولاً لاطلوع بعده او عاد بعضها بعد طول الغروب ولم تكن اعمالها في الغالب الا عبارة عن تسويد القرباس او ابداء بعض الآراء التي لم يلتفت اليها . ولم تلتفت الغرف التجارية الى انشاء مدارس او صحف تجارية البتة . ولاتلتي تبعة هذا الاهمال على الغرف التجارية بل على الحكومة السابقة . ولقد سبق ان بعض الغرف التجارية طلبت مرات عديدة اصلاح الاصول الرسومية وتسهيل المصالح التجارية دون ان تتجاوز الى طلب انشاء اوضاع جديدة ولم تثر هذه المراجعات قط .

ولما ينس التجار من الاستفادة من الغرف التجارية تخلوا عنها ولم يعودوا يؤمنون ابوابها وقطعوا عنها روايتهم السنوية ومما يدلنا على درجة ارتباط التجار بغرفتهم هذه مداخل غرفة القسطنطينية قبل عشرين سنين فانها كانت في ذلك الحين ضعفي مداخلها اليوم . هذه الاحوال من جهة وكون انتخاب الاعضاء لغرفة التجارة في العاصمة لم يكن كما وضعه القانون بل كان بيد نظارة النافعة تمنح العضوية من تشاء على نحو ما كانت تجري القاعدة في الاحسان بالرب والمناصب من جهة اخرى كل هذا وذاك ليس من الامور التي ترتاح اليها نفوس التجار او تطمئن بسببها قلوبهم للغرفة التجارية .

التجار اكثر واسرع من جماع طبقات الامة معرفة وشعوراً بالانقلاب الكبير الذي يسري الى شؤننا انعاماً . ومع ذلك فان حياة حرية التجارة قائمة بتوطيد دعائم الامن ومتى اطمان جمهور التجار الى ان مصالحهم الاصلية مصونة يجدر بنا الاعتماد عليهم بحيث لا يغادرون مثقال ذرة من واجباتهم ومن الواجب على الغرف ان تطلب من الحكومة بجد ومضاء تحديد نظام الغرف وتعديله وان تبحث بحثاً مدققاً في ضروريات التجارة ونواقصها في الحال التي تنتسب اليها وتدفع بأرائها وملاحظتها الى نظارة التجارة وان توجه همتها الى انشاء المدارس والصحف التجارية والدروس الليلية التي تكفل توسيع دائرة العلم بين ارباب التجارة . كل ذلك حقيق بالمفاداة ولا شك ان الاعمال المعروفة في هذا السبيل تتكامل بالانجاح

ويجب ان تكون غرفة القسطنطينية التجارية نموذجاً لسائر الغرف وان تدفن

العنعنات الماضية ^(١) فجعلها نسياً منسياً : يجب ان تنقد هذه الغرفة بفتية الافكار وتدخل الاصلاح الحقيقي الى مجلتها المدرسية وغير منكر ان هذه الصحيفة التجارية الوحيدة في البلاد العثمانية لاتفي بالحاجة بمقتلاتها التي لاتتجاوز العمودين وفقراتها المترجمة بل يجب على غرفة القسطنطينية ان تتخذ مجلة غرفة التجارة الفرنسية مثالا وتخطو نحوها فتنشي على منوالها صحيفة تجارية جامعة لخبار التجارة الداخلية والخارجية الجديدة المفيدة والموضوعات الاساسية فاذا لم تقم غرفة القسطنطينية بهذه الاعمال ولم تأت بالآثار الدالة على رقي صحيح لاتنال مكانة ارفع من مكانتها في دورها السابق .

اما التجار المسجلة اسماءهم في دفتر غرفة القسطنطينية فهم (٤٧) من الصنف الاول و (١٠٧) من الثاني و (٢٤٠) من الثالث و (٥٠) من الرابع وقد يوجد بين تجار الصنفين الثالث والرابع من يجب ان ينظموا بين تجار الصنفين الاول والثاني وبين التجار الذين لم يسجلوا اسماءهم في الغرفة كثير يجدر بهم الانتظام في احدى الدرجات الاربع . والامل وطيد بترقي مداخل الغرفة ولو بقيت اصول تصنيف درجات التجار على حالتها الحاضرة .

وتبلغ مداخل غرفة القسطنطينية وحدها (ماعدا مداخل جريدتها ونفقاتها) ١٧٥٠٣٢٦ قرشاً صحيحاً تنفق في مقابلة ذلك ٤٣٥٣٢ قرشاً على رواتب موظفيها و ٢١٧٣٩ قرشاً على النفقات المتفرقة و ٢١٦٠٠٠ على اجور دار ونحوه . فالنفقات الادارية وحدها تتجاوز دخل الغرفة ولا ينفق على المشاريع النافعة من مداخلها بارة واحدة . وما حالة غرف التجارة في الولايات باشي للصدور واوفي للاماني من غرفة القسطنطينية ولقد رغبت ان اعرف عدد غرف التجارة في الولايات والالوية والافضية من القيود الرسمية فاذا رأيت ؟ .

رائتي امام كمية تستحق العجب : في بلادنا مئة وخمسون غرفة تجارية على ان عامة غرف التجارة في فرنسا لاتتجاوز المئة والعشرين .

وبما انني اعتبر الغالب من هذه الغرفة المقيمة في الدفاتر حبراً على ورق لا اصدق ان الفهرس الذي انقل منه متقارناً للصحة . ^(٢)

(١) يظهر ان الكاتب يتصد بالعنعنات التقاليد القديمة (٢) فهرس غرف التجارة

وللإحاطة في بعض المراكز التجارية العثمانية غرف تجارية في القسطنطينية غرف تجارية انكليزية وافرنسية ويطليانية ونسوية والمانية وبونانية ولكل واحدة منها نظام وإخلي وللغرفتين الانكليزية والفرنسوية مجلستان بلسان قومهما . أسست غرفة التجارة الانكليزية عام ١٨٨٧ ولها رئيس وثمانية أعضاء وعضوان خارجيان وعضوا شرف وكاتب أمين صندوق وأربعة كتبة شرف في سلانيك وإزمير ومنشستر ولندن ولهذه الغرفة مراسلون في سلانيك وإزمير ومنشستر ولندن والولايات العثمانية . ولها مجلة يبلغ حجمها ستاً وثلاثين صفحة كبرى جامعة لمقالات في التجارة الانكليزية العثمانية والاخبار والاقتصاد .

وفي إزمير أيضاً غرفة تجارية انكليزية .

ويشترط في عضوية الغرفة التجارية الانكليزية الاشتغال بالتجارة او بالصناعة او الشؤون المالية ويشترط على العضوان يكون انكليزيا او من وكلاء المعامل الانكليزية في البلاد العثمانية .

ورئيس الشرف لغرفة التجارة الفرنسية هو قنصل فرنسا العام ولها لجنة ادارية مؤلفة من رئيس وكاتب وأربعة عشر عضواً ولها أعضاء مراسلون في فرنسا ولجنة مؤلفة من تسعة أشخاص في جنات قلعة ولجنة اخرى مؤلفة من تسعة عشر شخصاً في بورصة ولها مراسلون في سبعين بلداً داخل البلاد وفي الخارج لها من يخبرها في روسيا وفارس ورومانيا والصرب واليونان .

وتصدر هذه الغرفة شهرياً مجلة في سبعين او ثمانين صفحة منذ اثنين وعشرين حجة بلا انفصال . وتدعى هذه المجلة مجلة الشرق التجارية . وهي جامعة للمقالات والاخبار المفيدة للقراءة واني اتمنى ان تعلم مكانة غرفتنا التجارية الى منزلة غرفتي التجارة الفرنسية والانكليزية وان تتقدم جربدها تقدم الجرائد اليومية .

ما بين النهرين : تعريب ز . خ .

آلاسكا والاسكاويون^(١)

آلاسكا شبه جزيرة تنيف مساحتها على اراضي فرنسا ثلاث مرات اصبحت الآن معتركا حيويًا جديدًا لبني البشر الا ان وعورة المسالك واختلاف الهواء بها ترك اربعة اخماس من ارضها في عداد المجهول

وقد كانت هذه البلاد الواقعة في اقصى الغرب الشمالي من اميركا الشمالية والمنفصلة عن قارة آسيا بمضيق بيرنغ مستعمرة للدولة الروسية فباعتها من حكومة اميركا . ان البحث لم يهتد الى شيء مهم فيما يتعلق بالسكان الاصليين من وجهة علم الانساب بل ظل اكثره ان لم نقل كله ناقصاً مبهماً . فاشعوب النازلة سواحل البحر قد تمكن بعض المرسلين من درس احوالها اما المتوغلة في الداخل فاكتفى العلم بأخذر وايات من ارتادوها من الذين ضربوا في عرضها للتقيب عن معادن الذهب اولصيد بعض الحيوانات التي ينتفع من جلودها للقراء الثمينة . وكلا الفريقان مما لا يعول على قولها ولا يرجي منهما ان يفيا البحث العلمي حقه او بعض حقه .

ويستدل من آخر احصاء لسكان هاتيك البلاد الذي جرى سنة ١٩٠٠ للميلاد ان عددهم (٢٩٥٣٦) نسمة يدخل فيهم الاسكيو ولكن ذلك مما لا يصح الاعتماد عليه لاسباب حجة اهمها ان اغلب تلك الشعوب من الرحل ولم يتيسر الوصول الى بعضها لوعورة المسالك كما ذكر . اضيف الى ذلك ما دفعته اليهم المدنية الاوربية من آفات كالجدري والسل والزهرى وداء السكر بعد اكتشاف مناجم كلونديك الذهبية فان هذه الامراض الفتاكة فعلت وما زالت تفعل في الالهين مالا يفعله الأسل حتى ان كثيراً من القرى خوت على

(١) لخريجي المكتب الملكي في الاسنانة واعضاء الامرة « الملكية » كما ينعنون انفسهم مجلة تصدر باسمهم ينشرون فيها بنات افكارهم ونتاج قرائحهم فيما يرتأونه من طرق الاصلاح في الادارة والقضاء ولا يخفى ان بينهم الصدر الاعظم والوزير والوالي كما ان في عدادهم مدير المال والمحاسب والقائم مقام والمتصرف وغير ذلك من صنوف الموظفين فهم نخبة شبان المملكة ورجال حاضرها ومستقبلها وتكتب هذه المجلة في بعض الاحايين ما يجوز ان يقال عنه خارجاً عن صدد ما لانه لا يخلو من فائدة تعود بالنفع على القراء وهذه المقالة هي من الشق الثاني كتبها عبد الفياض توفيق بك ونحن نغربها لقراء المقتبس .

عروشها واصبحت قائماً صفصفاً عقب انتشار داء الجدري انتشاراً مريعاً من وراء الغاية . ولهذا يتراءى لي ان عدد السكان تنازل الى الخمسة والعشرين الفا وهم يقسمون الى فريقين فالاول يضم اليه شعوب شيلكا وستيفكنس وباكونا وهابيداح وآباعوت واوك الذين يتفوقون في الجنس والنسل . والثاني شعب واحد يدعى دنا ويختلف عن الاول باعتبار علم اصول الشعوب وسلائلهم وهو ينزل البلاد الواسعة التي تمتد من خليج الهودسون الى قلب آلاسكا على ان هذا التقسيم المبني على علم ناقص لا يلتفت اليه ولا يعمل به الى ان يقوم علماء الانسان بالتدقيق العلمي والبحث الكافي ويتفوقوا على ذلك شأنهم في سكان اميركا الاصليين

والذي يزيد المستطلع اشكالا في امرهم مشاكلتهم بعضهم بعضاً حتى انك لتخالهم من عنصر واحد لاتفاق ازبائهم واخلاقهم ومهما كانت النقابة دقيقة الفكر بعيد النظر لا يتمكن من النقد الصحيح والتمييز المصيب فلنحسبهم الآن قوماً واحداً وندرس احوالهم الاجتماعية .

يجد القائلون بأن سكان اميركا الاصليين من المغوليين الذين هبطوا اميركا عن طريق خليج بيرنغ وصخور الاووسيك في آلاسكا من الوثائق ما يقوي حجتهم وبرهانهم . لاجرم ان غولف استرايت الذي وصل الى سواحل آلاسكا بعد اجتيازه جزر اليابان هو الذي نفخ في الساحليين من شرقي آسيا روح الجرأة والاقدام على ارتياد هذه البلاد حتى اصبح امر احدى السفن الشراعية اليابانية التي جرفها التيار الحار سنة ١٨٣٣ ميلادية ودفعها الى ساحل آلاسكا : هوراً لان البرابرة « وفي الاصل اليوم يام » جعلوا منها مائدة كانت عيداً لاولهم وآخرهم .

اما الآن فقد وضع الحق وظهر ما كان باطناً من ان آلاسكا كانت مأهولة بالسكان في ازمة ما قبل التاريخ كسائر اخوانها من البلاد الافريقية وثبتت هذه الحجة ماتراه الآن في عادات الاسكاويين واخلاقهم وطبائعهم ولغتهم فان كل هذه لم تكن عليها مسحة تدل على انها آسيوية .

ونحن نتوخى في مجالتنا هذه البحث عن حالتهم الاصلية قبل ان يمازجها ما اكتسبوه من الاحتكاك بالاوريين فنقول ان هؤلاء قد اجتازوا دور التكامل البدائي للبشر وتباعداً ما امكن عن العرجية حتى صاروا اقرب الى البداوة منهم الى النوحش قبل ان تطأها اقدام المكشفيين من الروس .

وترى لم في البلاد الساحلية الآن البيوت الواسعة القوراء وبعض المصايف والقصور التي اقيمت على منوال الاوربيين وبالاجمال فهم ارقى علماً واوسع مدارك من شعوب البوروج الذين مازالوا يلبسون جلود البياض .

والغريب في امر هاته البيوت الفطرية انها على اتساعها وقد يختلف طولها بين المائتي متر وعرضها بين الخمسة عشر والعشرين متراً تكفي لايواء عائلات كثيرة معاً ومع هذا لا ترى فيها نافذة خلا بعض ثقب في سقفها لا يبعث الدخان المتصاعد من المواقد واجتذاب نور الشمس الى الداخل ولم يكن فيها مايصلها بالخارج سوى بعض الابواب كما ان سطوحها لم تكن مائلة من طرفيها كما هو الحال في غير بابات بل لها ميل قليل يكفي لتسليط مياه المطر على الخارج وتنفع هذه السطوح خطباء القوم فيرتقونها ويتخذونها منبراً لدى الحاجة .

وتبنى هذه البيوت من عيدان الحطب التي لم تقتل وبقشعرها بمقاطع خشبية لان الحديد الذي فيه البأس الشديد والمنافع الجمة للناس لم يعرفوا به بعد .

ويعتاضون عن الحديد بقرون نوع من الحيوان يسمى عندهم « وايثي » او بقواطع من شجر البابل^(١) وفي الشتاء حيث يهجم الثلج بجحله ورجله يضيفون الى البنائيات الداخلية طبقة من رفيع القصب وبمثل ذلك ايضاً يفرقون البيت عن اخيه فيكون سداً بين العائلات التي تأوي اليه .

اما اثاث هذا البيت البدائي فهو موافق له كل الموافقة فلا تجد فيه من الرياش ما يضيّق معه الرحب بل هو في منتهى البساطة وهالك مقاعد خشبية تحت الفراش « او هي اسرة النوم » على طول جدار البيت والفراش هو من السل « قش الحصر » وقد زيد في نسيجه عند موضع الرأس حتى اشبه الوسادة كما ان غطاءهم او لحافهم من جلود الغزلان المدبوغة او نوع من الكلاب المجعدة الشعر وقد اوشك نسلها بالانقراض بينهم .

لهؤلاء البائسين الذين يطاق عليهم اسم همج بعض صناعات لو انصف المطاعون عليها لقالوا بكبر عقولهم ورقة شعورهم وقد ترى بعض الصناديق من صنعهم على حين لا يعرفون المسار ولا رأوا آلات النجارة . والحداثة غاية في الضبط وآية في الدقة وطول هذه الصناديق متر وعرضها ستون او سبعون سنتيمترا وعمقها سبعون او ثمانون سنتيمتراً .

وصف احد المرسلين صناعتهم هذه بقوله انهم يأتون بخشبة من شجر الارز ويشقونها على اربعة وجوه ثم يصقلونها ما امكن ويلفونها لفا جيداً فيتكون منها زوايا الصندوق الثلاث ثم يخطون طرفا الخشبة الداخلين بخيطان قوية من جلود الوعل يدخلونها بالمسلة « الابرة » المصنوعة من قرون نوع آخر من الوعل فتحصل معهم الزاوية الرابعة اما اسفله فأنهم يجعلونه من قطعة واحدة من الخشب وله حافة تتصل اطرافها بالزوايا الاربع فيحاط كذلك بدقة غريبة حتى انك لا تجد فيه عوجاً ولا امناً . ويكون غطاء الصندوق من قطعة واحدة ايضاً يمدونها على شقوق الزوايا المتناظرة فيتم الصندوق الذي يعد من بدائع الابداع . وبعد ان يحفروا على الغطاء شارة العائلة او الفريق ويدهنونه بلون مناسب يضعون فيه الملابس القيمة والفراء الثمينة التي تلبس في الاعياد والمواسم .

ويبلغ الشتاء اشده و يقرص البرد في بعض بلادهم فيثقون بأسهم بالحفر مستديرة يفتحونها في بطن الارض على سعة متر او مترين كبيوت الاسكيمو وهناك يخبيئ العشرون او الثلاثون منهم مجتمعين فيحصل الدف بينهم

وتعلم هذه الحفر اكواخ حقيرة ليس لها من النوافذ الا واحدة في رأسها هي للبيئة والذهاب والهواء والنور اما سبيلهم الى هذه الاتفاق فهو عمود من خشب تقروه حتى نتأت منه ارجل اشبه السلم .

وقد اتفق الاسكاويون على عادة غريبة جرى عليها اغلب الاقوام القطريين وبنهم هنود اميركا الوسطى والجنوبية وهي عزل النبات اللواتي يلفن اشدهن والنساء اللاتي في الحيض في اكواخ خاصة بهن حتى يطهرن^(١) ولو جردنا صناعة السلال الدقيقة التي يصنعونها من رفيع القصب نجد كل صناعتهم في حالة ساذجة للغاية . نعم انهم يحيطون بعض الاقشة الثمينة من خيوط خاصة يستخرجونها من الياف شجر الارز ويخطونها باصواف وعول صيغين وكندا واصواف الكلاب التي مر ذكرها فيتكون عندهم منها نسيج متين يفي بحاجتهم الا ان ذلك مما لا يعد صناعة نافعة .

وهذه الكلاب هي من الحيوانات الداجنة التي يمكن ان يقال عنها انها وحيدة هذا القوم فهم ينتفعون من جلودها واصوافها وتفيدهم في صيدهم وجر عجالاتهم على الجليد ولكنها وباللاسف قد اوشكت تنقرض كما ذكرنا وقل نسلها قلة يخشي من ورائها .

(١) لم يقتصر ذلك على الامم القطرية فقد ترى هذه العادة متبعة عند الطائفة السامرية المقيمة في مدينة نابلس وهي تدين بالموسوية وتعمل ببعض التوراة

وللسلال التي اشرنا اليها شهرة واسعة عند اهل الاخضاء في جمع شتات الآثار ورائع الصنائع وهي اهل لان تكون كذلك لان عملها جميل مثقن وعلى الرغم من انها لم تطل بطبقة صمغية فقد تجدهم يستخدمونها في امتياح المياه من الآبار ونقلها ولا يرشح الماء من هذا السجل « الدلو » او السلة ابداً .

والاغرب من هذا ان النبات الذي يستعمل في صنع هذه السلال يختلف باختلاف الشعوب الا ان ارقها وادقها ما كان من الياف شجر الارز ويوجد من هذه السلال ما اربى عمره على خمسين عاماً تتداولها الايدي صباح مساء اما صانعوها فأنهم من النساء على الاعم .

وللنساء ولع خاص بالزينة والتبرج فيذهبن مذهب الماديين حتى ان المقارنة النسلية بينهن على هذه الوتيرة .

وتلقى ذلك ظاهراً كل الظهور في بعض الشعوب فترى الاب لا يهيمن على ابنه اوسبطه الاحين تزوجه من امرأة ينأى يكون للشباب الخيار بقبول الابنة التي انتخبها له والده او رفضها .

اما ما يتعلق بوجوه القرابة بين المرأة وزوجها فلم يكن لها من قاعدة مألوفة او خطة مرسومة بل ترك ذلك لاجتهاد كل فريق منهم . فقد ترى لدى بعضهم جوازاً بزواج ابنة العم بينما تلقى زواج فتى وفتاة خاضعين لزعم واحد من المحظورات عند آخرين فالاولين لم تمنعهم لحة النسب من الزواج والآخرين منعهم صلة التبعية فقط

وتجد الزواج عند بعضهم كأنه اتفاق وقفي وهو اقرب الى الاستمتاع منه الى الزواج والانكى من كل ذلك ان شرعهم قد تركت حبل الرجال على غواربهم واحلت لهم اقتباس ابنة امرأة في حبيهم . نعم انهم اشتراطوا في ذلك ان يتبارز الشاب الطالب مع زوج المرأة المطلوبة برازاً لا يتخلله سفك دم لان لاسلاح لديهم فاذا ماغلب الاول الثاني على امره وطرحه ارضاً جاز له التصرف المطلق في امراته . ولكن ماذا يفيد هذا الشرط وهل يغني عن الحق شيئاً مادامت الغلبة للقوة ؟ واذا كان الزوج الاول ممن يعتقدون قوة خصمه ويستنكف عن مبارزته فيبقى حينئذ لذلك الخصم ان يذهب الى بيت الاول ويدعو امرأته الى اللحاق به وهناك لايسع صاحبتنا الا الجري وراء زوجها الجديد البطل والدخول في دارة وحرمة ويظل الاول منزوياً في احدى زوايا

يبته ينظر الى هذه العادة الغريبة شزراً وقد اعتراه اليأس واشبه الهرة التي كسرت
اناء الحليب .^(١)

ويقوم الزوجان على ان يملك كل منهما ماله من اثاث البيت ورياشه ان كان هنالك
ما يقال له اثاث ورياش ولا يجوز لها ان يشتركا في شيء من انواع القنيات ومعنى توفي
الزوج الرجل يسترد ذوقه ما كان له في الدار من مال ومتاع اما اذا سبقت المرأة
زوجها الى الموت فلا يكتفي اهلها بأخذ ماله في البيت فقط بل هم يضطرون الزوج الى
اعطاء هدية ذات قيمة لتكون عزاء وسلواناً لهم على فقد ابنتهم .

ومعنى فاجأ الحامل المخاض يدخلها بعض النسوة المجاز الحاضرات غرفة خاصة وبعد
ولادتها يغسلن الطفل بالماء الفاتر وبرشش على جسمه مسحوق شجر الارز ثم يضعونه في
سلة على شكل سرر الاطفال وبعقلونها في دعامة البيت الخشبية او غصن من اغصان
الشجر وهذه السلال او السرر مصنوعة بحيث تنسنى للام ان تحملها على ظهرها اثناء
مشيها .

ويخرج الطفل من سريره مرتين في اليوم على الاكثر لاختلاف افرزاته وتبقى هذه
السلة عشاء له الى ان يدرك حد الفطام والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ومعنى
اتمنهما يدرج الطفل من عشه او سجنه وتذهب الام في ذلك السرير الى جهة نائية
من الحرج فتعلقه في احد الاغصان تقدمه الى الملك الموكل بحفظ ذلك الوليد
طول حياته .

وهناك بدعة سيئة يجري عليها بعض الشعوب في اطفالهم . فهم يلفعون رؤوسهم
عقب اليوم الثالث من ولادتهم بعمامة من قشور الشجر وهذه العادة القبيحة التي تغير
من شكل عظم الرأس وتهصره وتشوه الخلقة هي في عرفهم علامة خاصة بالنبلاء . ثم
يتلو ذلك التلغيع يوم خاص يجتمع فيه لفيف الأسرة او يقيمون حفلة خافتة بتسمية
اسم الوليد وبعدها تبدأ دروس التربية الجسدية وبعد انقضاء السنة الرابعة عن ولادة
الصبيان يجهبزون عليهم بالضرب بعصي رفيعة صباح كل يوم صيفاً كان او شتاءً ربيعاً
كان او خريفاً ليزبدوا حس جلودهم على زعمهم وفوق ذلك فهم يرغمونهم على الاغتسال
بالماء البارد في الانهار الجارية .

ومعنى بلغوا العاشرة من حياتهم يدفعونهم من اكوأخهم الى الخارج حفاة عرا ليقضوا

(١) عربنا هذا التشبيه ببيئة عن الاصل .

ليلهم نيامًا يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء او انهم يمشونه وايديهم قيد ماء الجليد على ضفاف البحيرات ولا يجوز لهم رفعها الا بعد ان تشرق الشمس عليهم فتحل عقال هؤلاء المحكوم عليهم بظلم العقول السخيفة .

وعندما يأزف زمان تكاثر الاممك في المياه وتطفو عليها طبقات من السمك المتن يعثون بأولادهم تحت جناح الليل ليستشعقوا تلك الروائح الكريهة ويعتادوها ويمارسوا الفروسية تحت رعاية ملك الحفظ .

اما من حيث المعتقد فأنهم بعيدون جداً عن الاعتراف بأله قادر وقائلون بتعدد الارواح التي ملأت السهل والجبل ويلي رأيهم ان لكل منهم عملاً خاصاً به حتى ان العجاوات والشجر والحجر وآلات الصيد وكل ما يقع عليه نظرهم في هذا الكائن الهائل من جماد ونبات وحيوان له ملك موكل به ولذلك تراهم ابداءً مشغولين بالمراسم والعبادات ليرضوا هذه الآلهة الكثيرة وينعموا بالآ في هذه الحياة الدنيا .

مثال ذلك ان افراد الشعوب التي تقتات من الصيد لا يتيسر لها اكل لحم الوعل الذي يصيدونه بهناء بل انهم يحتفظون بالدماء والامعاء لثلاث ثلث تحت يد وحش ضارفاً كلها وذلك لاعتقادهم ان الملك الموكل بذلك يطلع بقية الوعول على جلية الامر ويريههم النقص الذي حصل من الصائدين في سبيل احترام رفيقهم فلا يعودون يجودون بأنفسهم ليصطادوها بل يلجؤون الى الجبال التي تناطح السحاب وبشكل على المقلين في العناية بهم امر الصيد .

ثم انهم عندما يأتون بصيد الوعل الى بيوتهم لا يجوزون به الابواب التي وطئتها اقدام النساء وفي عرفهم ان غلباء النساء وظباء الوعل اعداء متشاكسون .

وعندما يزمع احدهم صيد الدب الابيض يطلب الى روح ذلك الحيوان ان تمثل امامه كحيوان مستسلم ولا تمسه بسوء فان ساعده الحظ ووفق الى صيده يدهن وجهه على « وجه الانسان » بألوان مختلفة علامة شكره على نجاحه ويبدأ بتلاوة قصيدة رثاء يمدح فيها خلال الفقيد العزيز وسجاياء الغر (١)

ومن غريب عاداتهم في مباشرة طعام لحم الدب انهم يبدأون برأسه على ان يكون وجوه حاذري الوليمة مصبوغاً بالألوان وان يعلق عظم رأس الدب في اعلى غصن من شجرة باسقة بحيث يراه ابناء جلده عزيز الجانب رفيع الجانب في الحياة وبعد الممات . يقولون وبعد هذا لا يأنف الحيوان مقابلة الصيادين والعرض لاسنة حراهم او اخشابهم .

ولا يقتصر هذا الاحترام على نوع الدب فقط بل يكاد يكون عاماً في جميع الحيوانات . وعند ما يتجاذب الاهلون حديث الصيد ويخوضون بالذكر الحيوان الذي يغنون قتله او صيده بالفخاخ يمازج حديثهم الحشمة والادب فيخفون من اصواتهم لئلا يقرع مسامع الارواح الموكلة بتلك الحيوانات كما انه يكون منسجماً متناسقاً كقولهم : « رفاقنا . لعل اولياء نعمتنا يشكرون علينا بروية احدهم فيكون نصيبنا منهم وعلاً اوغزلاً او دباً الى غير ذلك »

ولو اكتفوا بهذه التعاليم والتقاليد في الحيوان فقط لكان لهم فيه بعض العذر ولكنهم شملوا به الفاكهة ايضاً فخالطوا بياذرون بجني الثمار يكون لديهم راهب او ساحر يتلو عليهم جهاراً دعاءً يليق بالمقام ويرضى به الملائكة الموكلة لتتم البركة ويحصل الخير . وبينما الراهب يتلو الادعية والاذكار يقف زعماء الشعب وفي ايديهم العصي يراقبون اعمال الشبان حتى اذا مارأوا احداً ففتح عينيه قبل ختام الدعاء اوسعوه ضرباً ولكماً .

على ان كل ما ذكر لا يعادل الحفلات التي يقيمونها عند حلول موسم صيد نوع من السمك فعند ما تقع سمكة في يد الصياد في اول الموسم يرفعها على ساعدين لانه محظور عليه ان تمسها يده فيأتي بها بكل وقار الى رئيس الرهبان الذي يتقبلها منه بقبول حسن ويرفعها الى مكان خص بها وهي لها من غصون الصنوبر .

ثم يقترح على شيخ جليل من الحضور تكون له الوجاهة والرجاحة في قومه ان يصف حول السمكة العصي التي تشير كل مهابا الى اسرة من البيوت الكريمة بحسب درجاتها ثم يتناول الراهب الرئيس العصي واحدة بعد واحدة ويمس بها مسيح السمكة الامامي الذي يعتدونه ، بيدها اليمنى ويخاطبها بقوله : لي الشرف ان اقدم لكريم مقامك الاسرة الفلانية التي حضرت الى رحابك الواسع واطلب اليك ان تسحبي لها بان تكون موطياً قدمك الى غير ذلك من ضروب الاطراء وصنوف المديح . وبعد اتمام هذه المراسم يضع السمكة في قدر جديد ويسلقونها على النار بين التشيد والتبريل ثم توزع بين زعماء القوم وتليها الاسماك التي تشرفت بالعيد بعدها وتطبخ هذه ايضاً ثم تعطى الى من لم يكن حرم عليه اكل السمك شرعاً .

لرؤساء الدين عند هذه الطوائف شأن كبير لانهم يعتقدون فيهم انهم وسطاء بينهم وبين الملائكة او الارواح الموكلة وتنقل الرهبة من الآباء الى الابناء وتعالى هؤلاء الرهبان بعض مواد تخدر الجسم في حين يعنون كل العناية بالاعتكاف والانعطاع

عن الناس فيكون فيهم من وراء ذلك شيء من الجمود والسكينة .
ومما يدعوا الى الانتباه الانصاب القائمة في مداخل البلدان وقبالة البيوت وقد زعم
المكة: فون من الروس انها تماثيل تعبد والحقيقة ان هذه اشارات خاصة لكل أسرة منها
شارة فمنها ما يكون كالطير ومنها ما يكون كالسمك واشباههما من الحيوان على ان هذه
تخدم في تفریق البيوت بعضها عن بعض لانها كلها مبنية على نسق واحد لا يمكن التمييز
بينها الا بمميزات خاصة وهذه التماثيل تفي بالغرض المقصود . ولهم نوع من السحرة
يطبون المرضى ولكن بأخراج الارواح الشريرة منهم لا بالعلاج النافع الذي لا يعرفونه .
ثم هم يدعون ان كل أسرة منهم من نسل احد الارواح الموكلة ويعتقدون ان لهم صلة
بالسماء كالصينيين ابناء ماء السماء والله في خلقه شؤون

حيفا عبد الله مخلص

قانون الجمعيات

الفصل الاول

المادة الاولى — الجمعية هي الهيئة المؤلفة من اشخاص عديدين غايتهم توحيد
معارفهم اومساعدتهم دون ان يقصدوا اقتسام الربح
المادة الثانية — لا تخطر الجمعية الى نيل الرخصة قبل تأليفها الا انها يقضى عليها
عقيب تأسيسها اخبار الحكومة طبقاً للمادة السادسة .
المادة الثالثة — لا يجوز تأليف الجمعيات المستندة على اساس غير مشروع مغاير
لاحكام القوانين والآداب العامة او محل بالامن في المملكة وقام ملكية الدولة وتغيير
شكل الحكومة الحاضرة والتفريق سياسة بين العناصر العثمانية المختلفة .
المادة الرابعة — محظور تأليف جمعيات سياسية اساسها وعنوانها القومية والجنسية
المادة الخامسة — يشترط في اعضاء الجمعيات ان لا تكون سنهم اقل من عشرين
غير محكوم عليهم بجناية او محرومين من الحقوق المدنية .

المادة السادسة — ممنوع كل المنع تأليف الجمعيات السرية . فاذا أنشئت جمعية
تقدم بياناً في الاستانة لنظارة الداخلية وفي الولايات لا كبر موظف ملكي يوقع عليه
مؤسسو الجمعية ويختمونه فيبينون فيه عنوان الجمعية ومقصدها ومركز ادارتها واسماء

المكلفين بإدارتها وصفتهم ومحل اقامتهم . ويعطى علم وخبر مقابل هذا البيان . ويربط بالبيان المذكور نسختان على نظام الجمعية الاساسي الماهدق عليهما بطابع (ختم) الجمعية الرسمي .

وبعد اخذ العلم والخبر يعلن المؤسسون الكيفية على ان الجمعيات مضطرة ان تخبر الحكومة حالاً بالتعديلات والتبديلات التي تجربها سواء في نظامها الاساسي او في هيئة الادارة ومحال الاقامة وهذه التعديلات والتبديلات يعمل بها من يوم اخبار الحكومة وتفيد في سجل خاص يبرز في كل وقت تطلبه العدلية والملكية .

المادة السابعة — لمركز كل جمعية مجلس ادارة يؤلف من شخصين على الاقل واذا كان للجمعية فروع يجب ان يكون لكل واحد منها مجلس ادارة مربوط بالمركز ويشترط على المجالس ان يكون لها اولاً سجل تبين فيه هوية الاعضاء وتاريخ دخولهم ثانياً سجل للقرارات والمفاوضات والتبليغات ثالثاً سجل فيه مقدار دخل الجمعية ونفقاتها بانواعها ومفرداتها وتبرز هذه السجلات للملكية والعدلية في اي وقت تطلبها

المادة الثامنة — كل جمعية تعطي بياناً بموجب المادة السادسة تكون بالواسطة مدعية ومدعى عليها في المحاكم كما هو مبين في المادة التاسعة ولها الحق بان تنصرف وتدير امعادات الاعانات التي تكلف بها الدولة اولاً الحصر النقدية التي يعطيها اعضاؤها على ان لا تتجاوز سنوياً الاربع والعشرين ليرة ثانياً المحل المخصص لاجتماع اعضاء الجمعية وادارتها ثالثاً الاموال الغير الموقولة اللازمة للوصول الى المقصد الذي اتخذه وفقاً لنظامها الخاص .

ومحظور على الجمعيات ان تنصرف بغير ذلك من العقارات

المادة التاسعة — تكون المراجعات والمطالبات باسم الجمعيات للأموري الحكومة والمحاكم والمجالس الرسمية بعرائض عليها طوابع يوقع عليها الكتاب العموميون والمديرون بتوقيعهم وطابعهم الذاتي ولا تجري غير ذلك من الوسائط . وان امثال هؤلاء الاشخاص الذين يقومون بالمعاملات باسم الجمعية تبين هويتهم في نظام الجمعية الاساسي

المادة العاشرة — يمكن لاعضاء الجمعيات ان يتفصلوا عنها في اي وقت يريدون ولو اشترط في نظاماتها الاساسية عكس ذلك بعد ان يؤدوا ما عليهم من الحصر النقدية التي حان استيفائها وتحتص بالسنة الحالية

المادة الحادية عشرة — محظور ادخال الاسلحة النارية والجارحة الى المكان الذي تجتمع فيه الجمعية كما انه يحظر حفظها فيه الا انه يمكن ان يوجد اسلحة بقدر

اللزوم في الاندية المختصة بتعليم الصيد والقنص ولعب السيف على ان يكون للضابطة علم بذلك .

المادة الثانية عشرة — تمنع الحكومة كل جمعية لم تعط بياناً للحكومة ولم تخبر وتعلن عن نفسها حسب المادة الثانية والسادسة ويقاب بالفراغة النقدية من خمس ليرات الى خمس وعشرين ليرة مؤسسوها ومجلس ادارتها وصاحب محل اجتماعها او مستأجره على انه يحكم بجزء آخر اذا كانت امثال هذه الجمعية مؤلفة لمقصد مضر من المقاصد المستورة في المادة الثالثة والمبينة في قانون الجزاء كما يقضي به القانون المذكور

المادة الثالثة عشرة — يؤخذ جزاء نقدي من ليرتين الى عشر ليرات من الذين يأتون اعمالاً تخالف باقي احكام المادة السادسة ماعدا الاخبار والاعلان واحكام المادة الرابعة والخامسة والسادسة والثاسعة . ويفرم اعضاء الجمعيات التي تمنع بموجب المادة الثانية عشرة وتبقى مخالفة لهذا القانون او تؤسس من جديد بالجزاء النقدي من عشر ليرات الى خمسين ليرة وبالسجن من شهرين الى سنة ويجازى بعين الجزاء من يعطون محالم لاجتماع اعضاء جمعية منعت .

المادة الرابعة عشرة — اذا كانت نظام الجمعية التي محل برضا اعضاءها واختيارهم او بموجب نظامها الداخلي او تمتعها الحكومة صريحاً يعمل بهوجه بالاموال العائدة اليها والا تعامل على حسب ماقرره هيئة الجمعية العمومية .

اما اذا كانت الجمعية قد منعت لتألفها لاحد الاسباب المضرة بالمدينة في المادة الثالثة فان الحكومة تأخذ اموالها وتضبطها

المادة الخامسة عشرة — الاندية هي من قبيل الجمعيات المدرجة في هذا الفصل .

المادة السادسة عشرة — الجمعيات الموجودة اليوم مضطرة ان تقدم بياناً وتعلن كما تقضي بذلك المادة الثانية والسادسة وان توفى معاملتها على احكام باقي مواد هذا القانون خلال شهرين اعتباراً من اعلان هذا القانون .

الفصل الثاني

المادة السابعة عشرة — ان اعتبار الجمعية خادمة للمنافع العامة متوقف على تصديق الحكومة بقرار من شورى الدولة .

وهذه الجمعيات يمكنها القيام بالاعمال الحقوقية كافة التي لا تتمتع منها نظمهااتها الاساسية ولا بد للاسهم والسندات التي تعود الى حاملها ان تقيد وتحول باسم الجمعية

ولا يمكن للجمعية ان تقبل هبة او وصية الا باذن خاص من الحكومة وتباع اموال الهبة او الوصية الغير المنقولة اذا لم تنفع الجمعية في مقصدها ويصرح في قرار البيع بالمدة التي يجب ان تباع في خلالها ويسلم بدل العقار المباع الى صندوق الجمعية

المادة الثامنة عشرة — للضابطة حق تفتيش الجمعيات والاندية فتفتح هذه ابواب محال اجتماعها للأموري الضابطة في كل وقت . يجب ان يكون مع موظفي الضابطة كي يشبوا انهم دخلوا محال الاجتماع مستندين على لزوم حقيقي امر او اذن رسمي يضطرون الى ابرازه ويكون صادراً اليهم من ناظر الضابطة في الاستانة ومن اكبر مأمور ملكي او وكيله في الولايات

المادة التاسعة عشرة — على ناظري الداخلية والعدلية تنفيذ هذا القانون في ٢٩ رجب سنة ١٣٢٧ وفي ١٣ آب سنة ١٣٢٥

سيرة العلم والاجتماع

سعة التأليف ومؤلفو الشيعة

كتبت رصيفتنا العرفان ثمة لما كتبناه في الجزء الاول من المقتبس الخامس في سعة التأليف في الاسلام وذكرت اكثر من المؤلفين عند الشيعة فقالت : لم نجد بين رجال القرن الاول من له ثلاثون مصنفاً لعدم انتشار التأليف آنئذ وغلبة الأمية ويكفي بان ثبت للشيعة مؤلفين على حين انه لم يكن لغيرهم تأليف في ذلك القرن فقد الف امير المؤمنين علي عليه السلام صحيفة في الديات والف سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري في الاخبار والسير والف ابو الاسود الدؤلي في النحو والادب والف كثيرون غيرهم ممن بطول الشرح في تعدادهم

ومن المؤلفين المكثرين من رجال الشيعة في القرن الثاني لوط بن يحيى ابو مخنف المؤرخ المشهور الذي يروي عنه الطبري وغيره من المؤرخين قال النجاشي ^(١) له كتب كثيرة وعد منها نحو ثلاثين كتاباً كلها في التاريخ والسير

(١) هو احمد بن علي بن احمد بن العباسي النجاشي الاسدي المتوفى سنة ٤٥٠ له عدة كتب منها كتابه هذا الذي نقل عنه وهو مطبوع في الهند مرتب على حسب الطبقات ترتيباً حسناً وقد ذكر به رواية الشيعة من الصدر الاول الى زمانه وطريقته انه

وهشام بن الحكم عدد له النجاشي نحو ثلاثين كتاباً أكثرها في الكلام والفلسفة الالهية

ومن رجال الشيعة في القرن الثالث ابراهيم بن محمد الثقفى قال النجاشي له كتب كثيرة والتي اتصل بنا منها ثم عددها نحو اربعين كتاباً

والحسن بن موسى ابو محمد النوبختي قال النجاشي له على الاوائل ؟ كتب كثيرة منها كتاب الآراء والديانات وجميع طبيعية مستخرجة من كتب ارسطاطاليس في الرد على من زعم ان الفلك حي ناطق وكتاب في المرايا وجهة الرؤية فيها وعدد له نحو اربعين كتاباً وسعد بن عبد الله ابو القاسم القمي عدد له ١٠٠٠ ينيف عن ثلاثين كتاباً

وعبد العزيز بن يحيى الجلودى ذكر النجاشي كتبه في اربع صفحات وقد بلغت مائة واربعة وثمانين كتاباً في جملة فنون واغالبها تاريخ واخبار وفقه

وعلى بن محمد العدوي الشمشاطي قال النجاشي له كتب كثيرة عدد منها ما يقرب من اربعين كتاباً وما بلغت النظر منها كتاب الانوار والثمار قال النجاشي قال سلامة بن دكان هذا الكتاب الفان وخمسمائة ورقة يشتمل على ذكر ما قيل في الانوار والثمار من الشعر وكتاب النزاهة والابتهاج قال قال لي سلامة بن دكانه نحو الفين وخمسمائة ورقة يذكر فيه آداباً واخباراً ومن جملة كتبه مختصر تاريخ الطبري واغلب كتبه ضخمة والفضل بن شاذان ابو محمد الازدي النيسابوري قال النجاشي : ذكر الكشي انه صنف مائة وثمانين كتاباً وقع اليها منها وعدد نحو خمسين كتاباً

ومحمد بن اورمه ابو جعفر القمي قال النجاشي : ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من اول الليل الى آخره فتوقفوا عنه وقد عدد له نحو ثلاثين كتاباً ومن العجيب ان بينها كتاباً في الرد على الغلاة وكل كتبه دينية

ومحمد بن جعفر بن احمد بن بطه المؤدب ابو جعفر القمي قال النجاشي : كبير المنزلة بقم كثير الادب والفضل والعلم يتساهل في الحديث ويعلق الاسانيد بالاجازات وفي

يذكر الرجل فيقول يروي عن فلان عن فلان الى ان يتصل بالامام ثم بالنبي وكذلك المؤنات فانه يقول له كتب او كتاب يرويه فلان عن فلان وقد ذكر بكتابه هذا القاء ومائتي رجل من رجال الشيعة وكل منهم له المؤلف والمؤلفات

فهرست مارواه غلط كثير وقد عدد له اكثر من خمسين كتاباً. اكثر كتبه منبلة باسماء الاعداد فله كتاب الواحد والاثنين الى التسعة والاربعين
ومحمد بن احمد ابو الفضل الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني عدد له النجاشي نحو سبعين كتاباً وقد كان زديا فصار اثني عشرين
وهشام بن محمد الـايـب قال النجاشي : كان له كتب كثيرة، وعدد منها خمسين كتاباً في الانساب والتاريخ والسير
ويونس بن عبد الرحمن قال النجاشي : وكانت له تصانيف كثيرة وعدد منها اكثر من ثلاثين كتاباً

ومن رجال الشيعة المشهورين في سعة التأليف في القرن الرابع احمد بن محمد بن دول القمي قال النجاشي : له مائة كتاب وعدد منها جانباً
وعلي بن احمد ابو قادم قال النجاشي : كان يقول بانه من آل ابي طالب وغلا في آخر امره وفسد مذهبه وصنف كتباً كثيرة اكثرها على الفساد وقد عدد له نحو خمسين كتاباً اغنياً ردوداً وبها رد على ارسطاطاليس وكتاب في تفسير القرآن وكتاب في النفس
ومحمد بن يعقوب الكليني عدد له النجاشي اربعين كتاباً وقال : صنف الكتاب الكبير المعروف بالكليني يسمى الكافي في عشرين سنة ومات سنة ٣٢٩ سنة تناثر النجوم
ومحمد بن احمد بن الجفيد الكاتب ابو علي الاسكافي عدد له النجاشي ما يقرب من مائة وثمانين كتاباً كلها دينية فقه وسير وكلام

ومحمد بن بابويه القمي المشتهر بالشيخ الصدوق عدد له النجاشي نحو مائتي كتاب
وموسى بن الحسن ابو الحسن الاشعري القمي قال النجاشي : صنف ثلاثين كتاباً وعدد منها اثني عشر كتاباً

ون المؤلفين في هذا القرن اسماعيل صاحب بن عباد وابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني وهما وان لم تبلغ تأليف كل منهما الثلاثين فانها تاهز العشرين فضلاً عن تعدد مجلداتها وغزير فائدها

ومن المكثرين من التأليف في القرن الخامس علي بن الحسين ابو القاسم السيد المرتضى الشهير فقد عدد له النجاشي اربعين كتاباً ويقال بان له ثمانين كتاباً وهو صاحب لمالي المرتضى الذي طبع في مصر

ومحمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد عدد له النجاشي نحو مائة وستين كتاباً

اما في القرن السادس فيوجد من الشيعة عدة مؤلفين بيد انهم غير مكثرين ومن المكثرين من التأليف في القرن السابع السيد احمد ابن طاووس قال في الروضات ^(١) وصنف اثنين وثمانين كتابا في فنون من العلم وعد منها طرقا صالحا والحسن بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة عدده له صاحب الروضات سبعين مصنفا ورأيت علي حواشي بعض مصنفاته بأن له ثلاثمائة مصنف

والسيد علي بن طاووس عدده له صاحب الروضات نقلا عن كتب كثيرة اكثر من ثلاثين مصنفا كل كتاب منها عدة مجلدات ومحمد الخواجه نصير الدين الطوسي الحكيم المعروف عدده له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتابا في فنون مختلفة

ومن المكثرين من التأليف في القرن الثامن محمد بن معية النسابه ودوان لم يتجاوز ماعدده له صاحب الروضات خمسة عشر كتابا فهي تبلغ الستين مجلدا منها كتاب اخبار الام فانه قال صاحب الروضات خرج منه احد وعشرون مجلدا وكان يقدر لتعلمه في مائة مجلد كل مجلد اربعمائة ورقة

ومحمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول فهو وان لم يذكر له صاحب امل الآمل الا نحو خمسة عشر كتابا فمن المشهور ان له تأليف جمه في فنون مختلفة جزيلة لفائدة ومحمد بن مكرم الانصاري الافريقي صاحب كتاب لسان العرب المجمع المعروف له كتب كثيرة ويقال ان مختصراته خمسمائة مجلد

اما في القرن التاسع فلم نعتز علي مؤلفين مكثرين بين رجال الشيعة وان كان يوجد بينهم عدة مؤلفين متليين

ومن اشتهر في القرن العاشر بكثرة التأليف زين الدين الشهيد الثاني العاملي ثم الجبعي عدده له تلميذه العودي من المؤلفات المتنوعة ما ينيف عن ستين مؤلفا ومن اكثر من التأليف في القرن الحادي عشر عبيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي عدده له صاحب الروضات نحو اربعين مصنفا وبها الكتب التي وقعت في عشرة مجلدات وصدر الدين محمد ابراهيم الشيرازي المشتهر بالملا صدرا عدده له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتابا اكثرها في الحكمة الالهية

(١) هو كتاب روضات الجنات لمؤلفه محمد باقر الخولفسلوي من وجاليم القرن

الثالث عشر جمع كتابه تراجم كثر من من السنة والشيعة

ومحمد بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بالشيخ الحر العاملي صاحب كتاب الوسائل في الحديث وامل الآمل في علماء جبل عامل في التراجم وقد ترجم نفسه به وعدد مصنفاته كما نقله صاحب الروضات فاذا هي تليف عن اربعين كتاباً ورسالة ومن المؤلفين المكثرين في القرن الثاني عشر اسماعيل المازندراني قال صاحب الروضات بعد ان عدد له اربعة عشر كتاباً ورسالة الى غير ذلك من الرسائل والمؤلفات الكثيرة التي تبلغ نحواً من مائة وخمسين مؤلفاً مثبناً في فنون شتى من العلوم والحكم والمعارف ومحمد باقر المشهور بالمجلسي عدد له صاحب الروضات نحو خمسين مؤلفاً عربياً^(١) وخمسين مؤلفاً فارسياً وبعد الفراغ من تعدادها قال : وعدد ايات^(٢) جميع ما ذكر من العربي والفارسي الف الف بيت واثنين واربعمائة الف بيت وسبعمائة واذا وزعت على ايام عمره التي هي ثلث وسبعون سنة من غير زيادة ولا نقصان يكون قسمة كل سنة تسعة عشر الف بيت ومائتين وخمسة عشر بيتاً وخمسة عشر حرفاً وهكذا بالترتيب اه والسيد خلف عدد له صاحب الروضات نقلاً عن امل الآمل وغيره من كتب التراجم نحو ثلاثين مؤلفاً

وسليمان البحراني عدد له صاحب الروضات اكثر من خمسين مؤلفاً اكثرها رسائل وعبد الله بن جمعة السماهيجي البحراني عدد له صاحب الروضات نقلاً عن بعض اجازاته اكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة والسيد هاشم البحراني عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً وفيها المجلدات الضخمة

ومن المكثرين من التأليف في القرن الثالث عشر من الشيعة الشيخ احمد الاحسائي^(٣) فقد قال صاحب الروضات بعد ما عدد له ثلاثين مؤلفاً الى تمام مائة رسالة وكتاب

(١) اكثر مؤلفاته العربية جمعت في كتابه بحار الانوار الذي طبع في بلاد ايران فوقع في سبعة عشر مجلداً ضخماً وقد حوى ما هب ودب وبه الغث والسمين
(٢) البيت عبارة عن خمسين حرفاً باصطلاحهم اي سطر واحد
(٣) هذا الرجل مبتدع مذهب الكشفية القائلين بالحلول والشيعة الاثنا عشرية تكفروهم وبه يقول الشاعر

لزين الدين احمد ضوء فضل به تجلى القلوب المدلهمة
يريد الحاسدون ليطفئوه ويأبى الله الا ان يتمه

ومحمد باقر البهبهاني قال صاحب الروضات نقلا عن صاحب المنتهى له ستون مؤلفاً
ثم عدد أكثرها

وملا جعفر الاسترادي عدد له صاحب الروضات نحو اربعين مؤلفاً في علوم مختلفة
أكثرها مجلدات ضخمة

وابوالقاسم الميرزا القمي صاحب كتاب القوانين في الاصول عدد له صاحب الروضات
عدة كتب كلها مجلدات ضخمة وقال وجد بخطه مايؤدي بانه كتب الف رسالة في
مسائل مخصوصة من العلوم

ومحمد بن عبد النبي المعروف بميرزا محمد الاخباري ^(١) نقل صاحب الروضات بان له
كتاباً في الرجال ترجم به نفسه وعدد مؤلفاته وهي ثمانون مؤلفاً في فنون عقلية ونقلية
وشهودية وجلها او كلها مجلدات كبيرة ومنها م'وقع في عدة مجلدات ٥٠
مدرسة الاستقلال

ذكرت مجلة العلم الاجتماعي ان مدرسة دي روش في فرنسا احتفلت بمرور عشر
سنين على تأسيسها فذكر رئيسها بهذه المناسبة ما قامت به المدرسة منذ انشائها في تربية
العقول ونزع حب الاتكال من النفوس وتحبيب الاستقلال اليها قال ان هذه المدرسة
انتأها اديمون ديمولانس (صاحب كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين) وغرضها
ان تقصد الى القضاء على الاساليب والعادات المتبعة في المدارس الداخلية الفرنسية
فهي تعاكس الظلم الناشئ من التدريب المبالغ فيه وتقاوم انماك القوى في عامة اشكاله
وطريقة اتباع الخطط في الدروس ورخاوة التربية الطبيعية وقلة كفاية التربية الصحية
وفقدان التربية العملية ونزع الاساليب المتبعة في تربية الاخلاق وتلقين الادبان .
وقد ذكرت المجلة ان غاية ماتوخه هذه المدرسة ان توفق بين النمو العقلي في الطفل
وعنيت ان تبين للاولاد لماذا يعلمون الشيء الفلاني وان تشوقهم الى تعلمه لحل المسألة
الفلانية بحيث يهتمون بنتائجها وكان ممن تخرجوا في تلك المدرسة منذ سنة ١٩٠٥ ان
تقدموا للمسابقة فاحرز قصب السبق منهم ٥٦ من ٦٧ وابانوا عن كفاءة مدهشة في
المواد التي لاتسألهم عنها المدارس مثل الرياضات البدنية واللغات الحية والموسيقى
والعلوم العملية وتربية الاخلاق . واحسن ثمرات التعليم الاستقلالي انه لم يعتمد

(١) الاخباريون الذين يتكرون تعلم علم الاصول ولا يعملون الا بالاخبار ولا يقسمونها
الى الاقسام الاربعة بل يأخذونها على علاقتها وهم من المبتدعين

الى البطالة ففرد من المتخرجين على اسلوب، بل ان ٢٦ منهم دخلوا في التجارة والصرافة وكثيرون قصدوا البلاد الخارجية وثلاثة دخلوا المدارس التجارية و١١ في الصناعة وقلة يرغب تلامذة هذه المدرسة في التوظيف والاعمال الحرة بل يختارون الصناعات العلمية الحرة فلم يدخل منهم حتى الآن سوى واحد في معمعان السياسة. وواحد آخر التوظيف.

موتمر العناصر

من اول مظاهر الاخاء بين البشر المؤتمر الذي سيعقد في لندن في شهر تموز ١٩١١ فهو اول مؤتمر عام للعناصر يساعد على تبادل الاحترام بين عناصر الشعوب والغريب وتستل في مفاكرات غريبة يتلوها الناس من ارقى الرجال من اهل العالمين القديم والحديث وسيكون بينهم خمسة وعشرون رئيساً من مجالس النواب واربعون أسقفاً وثمانون استاذاً في الحقوق الدولية وغير ذلك وسيكون لهذا المؤتمر شأن عظيم في مستقبل العناصر البيضاء وغيرها.

استعمار الاسلام

قالت مجلة الاقتصاد الدولية اننا قد ايقظنا اليابان والصين من سباتهما وها قد اصبحنا ولاسيما الاميركان هنا نعص الانامل ندماً على ما قدمناه بين يدي تينك الامين وقد اخذ المسلمون بنهوضهم وبنعيتهم ايضاً بحسب رأي المشيولشائنية (المقتبس م ٥ ص ٢٧٦) كما بهم من الارقام التي اتى بها للدلالة على انتباه المسلمين قال ان الصحف الاسلامية تكون الرأي العام الاسلامي على ان تكون منافع الجمارك والاراضي والغابات والمعادن والنقل والاحتكارات والامتيازات وكل ثمرات الارض الاسلامية خاصة بالمسلمين يقول لسان حالها «الاسلام للمسلمين» وقد غلقت المجلة على ما تقدم بهذه الجملة الغريبة وها كما ينصها معربة : اننا نعد انفسنا سعداء اذا اكتفى المؤمنون بهذا ولم يأثروا فيستعصرونا على الطريقة التي عمدت اليها منهم .

ضعاف المدارك

نقلت مجلة الاقتصاديين الباريزية عن احدهم المجلات الانكليزية بحثاً لاحد اطباء انكلترا جاء فيه ان بين عامة الناس والبله الثابتة بلاهتمام في بريطانيا العظمى طبقه كبرى ضعيفة في مداركها وهي عالة على أسرهما والمجتمع وعيدها لا يقل عن خمسين الفاً قال ان ضعف العقل انساني واصحابه يشهد غرابهم ويكثر اولادهم على حين يقن:

اولاد الاذكى. وبذلك ينتج ضعف الاخلاق والعقل في المجتمع وذلك لان ضعف العقول يأتون الجرائم والمفاسد اكثر من غيرهم وضعيفات العقل من البنات اقرب بنات جنسهن الى الانواء . وقد حسبوا جميع سكان ورخوس فكان خمسهم اوربعهم ضعاف العقول فالواجب اذا تقوية هذه للمدارك الفضيلة والمدارس التي اقيمت لغرض تقوية الضعاف في عقولهم لم تثر الشجرة المطلوبة لانه لم ينجح واحد في الخمسين ممن دخلوها لانها اُثمت على جبل مدريس اقوياء العقول اي على طريقة مدرسية صرفة لاشأ فيها للصناعات . قلت المجلة فان ادعى صاحب هذا النكر بان هذا خطر عظيم على المجتمع أجيب بانه كان منذ كان البشر ولكنه لم يكن محسوساً كما هو الآن لان الملاجيء والاديار تؤوي امثال هؤلاء وكانوا من قبل مشتتين فالخطر وان كان واقعياً الا انه ليس بالدرجة التي يظنها الطبيب المشار اليه نعم ان الاولاد كلهم يصاغون صياغة واحدة من سن السادسة الى الثانية عشرة بمعنى انهم يتعلمون القراءة والكتابة وما تعلم القراءة والكتابة بالامر السهل كما يظهر بل هو من شاق الاعمال التي لا تقدرها حق قدرها فان المستخدم في احدى المكاتب يلي ثلاثين كلمة في الدقيقة اي ما يعادل طوله خمسة امتار فتكون هذه الخطوط ثمانية متر في الساعة او الف كيلومتر في ثلثائة يوم من ايام السنة وهي ايام العمل . ولأجل كتابة ١٣٠ كلمة بدور رأس القلم ٤٨٠ دورة في الدقيقة و ٢٨١٨٠ دورة في الساعة دمع عنك ما يتبع ذلك من التعاريج بما لا يقل طوله كله عن مئة الف كيلومتر في السنة. ولولا العادة ما سهلت الكتابة وخففت من تعب الاعصاب وهذا هو العمل الذي يقضي على الاولاد ان يعملوه فهل يستغرب اذا رأينا بعضهم ينوون بهذا العبء الثقيل وان ماطلبه الطبيب لضعاف العقول من تعليمهم الصناعات هو احق به ان يطلب لجميع المتعلمين اذا اردنا ان يكون لهم عقل سليم في جسم سليم

تربية الحس

كتب بول غولتيه من علماء التربية في فرنسا مقالة في نقص تربية الحس في مجلة التربية جاء فيها : لا ارى في التربية اكثر اهمالاً في العادة من تربية الحس فانه متروك وشأنه ينمو كما يشاء وعلى النحو الذي يشاء فيأخذ بالاتفاق ذات الجين او ذات الشمال في المدرسة والأميرة وترى الآباء والامهات والمعلمين والعملات يعنون بما في جهمهم بتلقين العلوم ولا يلتفتون الى تربية القلب في حين ان الحس اصل القوس كلها ومبدأ كل حياة ولا اثر للذكاء والارادة بدونه على ما بان ذلك الفلاسفة المحدثون امثال ريبو

وفوليه وبرجسون . فالفكر الذي لا يقتبس من حرارته عار عن القوة . فيه تعرف مطويات الضمائر وعناوين الامزجة وغاية الجهد بل هو الصورة المميزة لما في الافراد من مزايا الابداع . قال روسكين (من علماء الاجتماع الانكليزي) : انا نشكو من قلة الحس اكثر من كثرته فقلته ادت ببعض الارواح الى الابتذال فمن آثار قلته عادات واعمال تخالف الانسانية لاخوف يزيجها ولافرح ولاشرف ولا تقوى يهزها فاذا تناقلت يد المرء في تعاطي العمل وجف قلبه وساءت عاداته وجدفواذه يصح مبتذلاً على نسبة قلة عواطفه وسرعة ذكائه وجودة مأثاته ومنزعه فالعقل لا يعرف غير الحق فهو الانسانية الربانية تستحكم من القلوب فتندرك الالهيات وصالح الاعمال .

فالحس يقرب بين الشخصيات ويسيطر على العواطف فيجمع الناس في افراحهم ويشركهم بعضهم مع بعض في اتراحهم بل هو السلسلة التي تربط كلاً منا بالعالم كله فهو الموزع الجوهرى بين الشخصيات . والافكار والاعمال نتيجة لازمة عنه وهو كذلك الصلات بين الافكار . اذا نقص فلا شيء يحدو نحو الكمال بل ان الكمال يفقد جملة ويحذف معين العلم والصناعات والفضائل ويتعذر العلو وتفقد العشرة وتخل ربط الاجتماع فلا احسان ولاشفقة . اذا فقد الحس تضعف الارادة ويبقى العلم ظلاً زائلاً وبقي الذكاء . ولطالما رأينا علماء وهم بلم مغفلون لو استقرت احوالهم تجد لافرق بينهم وبين حمر الخلائق لان العلم لم يرق فيهم الحس الرقيق الذي يمكنهم من معرفة مالا يقع مباشرة تحت حواسهم وهو قلما يتعلم في كتاب فالحس من ثم هو الحد الفاصل بين ان يجعل الرجل في مصاف كبار الرجال او في طبقة ضعاف المغفلين

واذا حيد باستعداد الطفل عن الجادة منذ صغره لا يلبث ان يكون استعداداه مبعث كثير من المفاسد واصل جم من الخطايا يرسل باحسن ما فيه من مائبة الى الاغصان الشرهة الطفيلية فتهلك الاغصان النافعة وتقوى دواعي الهوى والشهوات فقد قال بول بورجه : « تكاد تكون معظم الامراض العصبية ناشئة من اضطراب العشق ومبدأ كل هذا الاضطراب من رداءة التدبير الصحي الاخلاقي زمان البلوغ » فمن الحس تنشأ المطالب العالية والمطالب الدينية وهذه القوة او هذا الاساس في كل قوة سواء كان في الخير او في الشر ينبغي ان لا يترك وشأنه في الولد على حين هو لدن رخص الى الغاية فاذا هذب على ما يجب يكون منه ابطال وقديسوت والا فلا اقل من اهل حشمة ووقار

واكثر ما يكون مريباً للحس بيت العائلة والتربية الاصلية هي التي تجعل الولد على استقامة لا ينحرف من تربية اخرى وفي حب الوالدة ولدها معنى من معاني الظرف تصعب المرء الى قبره ولكم كانت عناية الام اكبر مخرج للرجال الاعظم حتى قالت العقيلة نيكرو دي سوسور « ان الحنان هو الحرارة الضرورية لتنمية الجرائم السعيدة »

والمدارس الداخلية مضرّة وهي لصغار السن جريمة ويتضرر البنات وهن سيصبحن ملائكة البيت بدخولهن المدارس الداخلية اذ يبتعدن عن الأسرة بل عن الملم ويفطم الولد من الحب ولا يعرف غير جفاء النظام والعذاب المجرد وقلة مبالاة الادارة بامرّه . يتعذب ومامن احد يعنى به عناية حقيقية او يعرف ذوقه وميوله ولا يجد حوله من ييوح اليه بذات نفسه فهو وحيد محروم من الهواء واحساسه يذبل ان لم نقل يفسد ولذلك كانت المدارس الداخلية في فرنسا لا تخلو من مفسد تنحى الاخلاق . وقد اتبعه الانكليز لذلك فلم يعودوا يرسلون بناتهم الى المدارس الداخلية بل يجمعونهن في بيوت معلمتهن فيعتن بعيدات عن اهلن ولكن عيشة الظرف والعطف ويسهر معلمتهن على اخلاقهن وينجون من ادارة تسير على هواها كادارة الحبس فالفضل اختيار البيت لتربية الاولاد فيه فليس كالأسرة التي خرجنا منها وازع يحف طفولتنا بعنايته ويعلمنا الظرف واللطف والطهارة التي كتب فيها رينان الفيلسوف يقول : « ابن يتعلم الطفل اوالفنى الطهر وصفاء السريرة اللذين هما اساس كل ادب راسخ و يدرك زهرة العواطف التي تكون ذات يوم بهجة للمرء ودقة الفكر التي هي ذات اشكال لا تدرك بالتصور ؟ أيتعلمها في الكتب وفي الدروس التي تلقى على مسامعه فيصغي اليها او في رسائل يستظهرها ؟ كلا انه لا يتعلمها في شيء من ذلك بل يتعلم في الهواء الذي يعيش فيه والمحيط الاجتماعي الذي يصير اليه بتعلمها بحياته في أسرته ليس الا . »

فالحنان الآخذ بعنان الأسرة بما فيه من الانتباه والحب هو الذي يربي حس الطفل من نفسه بعيداً عن قلة الاهتمام والعدوى والحسد بعيداً منذ نعومة اظفاره عما يعث به . ويجب ان لا يدفع الاولاد للخدمات والخدمات فانهم يفسدونهم بضعف عقولهم وقلة عنايتهم حتى ان ولداً في الثالثة عشرة اصبح ابله بصنع خادمة ارادت تسكينه فوضعه في غرفة وأقفلت عليه الباب بضع دقائق حتى اذا فتمت الغرفة وجدته مشنججاً وقد عوج الولد فشنفي الا انه بقي ابله طول حياته . فصح فينا ما قاله بلوتارك في القديم : « من الغريب اننا نرى الواحد منا يستخدم خادماً له في حرث ارضه وآخر لتنظيم داره وغيره »

لادارة نفقته فاذا كان له خادم سكير لا يستطيع عملا يعهد اليه بتربية ولده « ونحن كم عندنا من معلم ومعلمة حائهم الدهر فعمدوا الى اتخاذ التعليم حرفة وهم ليسوا على شيء من الاخلاق التي تطلب منهم لتربية ابناء المتعلم فيرث الاولاد بـم نقائصهم واحيانا فسادهم بل يقبسون دناءة النفس فيتجردون عن المطالب العالية النضيجة قبل ان يبلغوا السن اللازمة .

ولذلك وجب على الوالدين ان لا يتخلوا لاحد عن ملاحظة اولادهم في الطفولية يتولون ذلك بانفسهم واثناء الدراسة يشرفون اشراقا عليهم ولا يدفعونهم الا لعلمين اكفاء على ان دلال الولد وملاطفته على الدوام فلما قنشي رجالا ونساء احرياء بالاعتبار لان رخاوة الحس على هذه الصورة تبعد بالولد عن تحمل المكار والافراط بالعناية به تعده الى ان لا يتوقع الا الدلال فالتساب يتطلب من الزوجة رقيقة لا أما والشابة تنتظر ان تكون لعبة لا ملكاً . وهذه العيوب تلحق الولد الوحيد في الغالب لان والديه يبالغان في دلاله .

واضر ما يكون على الطفل الاغراق في قضاء رغائبه واعطائه من اللعب ما لا تشد حاجته اليه بل يكون من شأنه ان يعود الاسراف والبذخ وخير من ذلك ان يعود الولد الحرمان والنقص لان الشدة القليلة في التربية تدعو المربي الى التجاعة . عرف الاسبارطيون ذلك حق المعرفة وهذا هو السبب في ان الانكليز مازالوا محافظين على انواع الرياضات العنيفة وضرب السياط في المدرسة . لاجرم ان ذلك يمنع رقة القلب الكاذبة ويبعد من التأنت مما هو من العيوب حتى في النساء .

وينبغي ان لانكتم شيئا عن الاولاد يطلبون السؤال عنه واذا كان ثمت ما لا يسوغ لهم ابدائه نعدهم بان نفصح عنه بعد حين فالجمل فيها ليس من الخير في شيء لان الجمل خطر كل حين وقد كتب المسيو نيكولا ي يقول : « ان الاخلاق عبارة عن تعلم مجاهدة الشر لان يعقد الامل الخيالي بان يكبر الولد في سداجة تامة في حين هو يعيش في الهواء الفاسد الذي نستنشق »

فلا يية الحس القوي الذي يقاوم الصدمات يجب ان نجعلها تمس الحياة عند بدء ظهورها والمدرسة مفيدة بهذا الباب لان الاخلاق تحاك فيها ولا بأس بان يغادر الولد البيت ويسبح في الخارج فان ذلك مما يقوي فيه الارادة ويشد عزمه على العيش في الهواء الطلق في هذه الحياة

يجب ان يكون الحس نظام فقد كان علماء التربية - حتى الآن - يعتبرون الصناعات واسطة للتسلية لا نتيجة لها او الاعيب صبيان وهي في الحقيقة احسن تعويذة لان في مكتبتها ان تجعل ابداء في الاحساس مساوقة ونظاماً وتحيله الى ادب غرض اذا صح ان الاعتدال هو القصد لان في المأكل والمشرب بل في الفكر والعواطف هو اساس كل فضيلة فقد قال روسكين : ان معرفة الجميل هو الطريق الحقيقي بل هو الدرجة الاولى لمعرفة حقيقة الاشياء الجميلة فان الحياة والسرور بالجمال في عالم المادة هما من القسم الدائمة المقدسة في اعمال الخالق كما الفضيلة في عالم الافكار .

فمن الواجب كل الوجوب ان يجعل شعور الطفل منذ نعومة اظفاره يحتمك بالجمال بوجه عام والفنون بوجه خاص وذلك لان في كتب مدرستها بل فيما يحيط به ويحفظ حوله وان يوق النظر الى البشع كما يوق النظر الى ما ينافي الادب

يجب ان لا ينشأ الطفل ويتطلع حوله الا ويجد الجمال في المسكن والجمال في المناظر فمن سيئات اتمدن الحديث ان حرم ابناءه السكنى في بيوت وسط الغابات والاشجار وجعل مساكنهم متصلة بعضها ببعض بحيث لا تفتح النافذة الا ترى واجهة البناء المحاذي لك ولا يفتح الطفل عينه الا ما كان هو منظر وبشع على حين يسهل ان تزين مسكننا فليس الجمال هو البذخ بل ان النظافة والنظام المدقق وانتقاء الاثاث والزهور وبعض النفائس والاعلاق في البيت تكفي في حمل الجمال الى مساكننا ولان تفتح حياتنا اليومية على الدوام باباً يطل على عالم الخيال . والواجب ان يعنى بلباس الطفل على ما ينبغي على اسلوب لا ينافي الاقتصاد ولا الظرف . نحن لانقول كما يقول الفيلسوف كارلايل ان اللباس يوجد النفس الانسانية بل نقول بان يرتبها وينظمها . وعليه فالاحسن ان ينظر ايضا في اختيار اللعب للطفل حتى لا يكون مما تنقرز منه النفس والاولى ان يعهد بصنع العاب الاطفال الى اناس من ارباب الذوق والفن على ما كانت عليه الحال في القرن السابع عشر والثامن عشر . ويجب ان لا تحرم المدرسة من مظاهر الجمال لان الطفل يقضي فيها شطراً مهماً من اوقاته واذ كان معلم الوالدين لا يستطيعون ان يجعلوا لاولادهم بيوتاً في الخلاء فالاجدر بالمدارس الثانوية ان تقيم مدارسها في الضواحي ليتيسر للاولاد ان يعودوا في المساء لبيوتهم في دور آبائهم . فقد كتب روسو ان البشر لم يخلتوا ليتجمعوا كما يتجمع النمل في القرية بل ليمتثلوا في الارض التي يحرثونها فنفس الانسان قتال لآخرانه . وهذه حقيقة لا محذور والممدن هوة الجنس البشري

فعليك ان تبعث باولاد يجددون حياتهم بانفسهم وينشطون قواهم وسط الحقول ويستعضون عن تلك القوى التي يضيعونها في الهواء القذر من الاماكن المأهولة كثيراً .

وهكذا يجب ان تكون المدارس الابتدائية في القرى والمدن في اماكن يشغلها الهواء والنور وان يستماض عن الأدهان التي تغطي بها جدر المدارس بالسواد عادة بالوان زاهية تزيل الوحشة عن قلب الطفل فيستفيد من ذلك عقله وقلبه . واجر بان تكون جدران المدرسة مزينة بمجاميع نفيسة ومفروشة حجرها احسن فرش بحيث يكون الجمال عن ايمان الطفل وشماله وقدامه ووراءه . ومن اجل هذا اختار بعض علماء التربية ان يربي الاطفال في حدائق خاصة بهم لينشأوا على التأمل في الابدان والنظر في اسرارها وبدائهم فالسما تعلم بالنظر فيها ولكي لا تفيدنا بقدر ما نتعلم من الصغر من التأمل في عظمتها

يقتضي ان يطلع الطفل منذ صغره على ابداع مانتقشه النقاشون وصاغة الصائغون وبناء البنائون وان نبتعد عن تدريسه تاريخ الصناعة لانه لا يفهم منه شيئاً فيدخل الملل الى قلبه بل الاولى ان نشرح له الجمال فقط ونشعره بوجوده . فعمل الطفل ان يكون هو متفتناً لان يتخذ الصناعات النفيسة حرفة له بل يجب ان يعلم اللازم منها حتى لا يكون كما قال روسكين أكثر خجلاً اذا لم يحسن الغناء مما اذا كان لا يعرف القراءة والكتابة لانه من الممكن كل الامكان ان يعيش المرء عيشة سعيدة ظريفة بدون كتاب ولا حبر ولكن قلما يتأتى ان لاتميل النفس الى الغناء اذا كان في يوم سعيده . ولقد رأى اليونان هذا الرأي فكانوا يزعمون بان في تعليم الطفل البناء يدونه طول حياته بزا د ثمين من الحكمة والسرور دع عنك ان البناء بالاشتراك مع الاصحاب هو آكد الطرق الى تعلم التضامن . ثم انه من النافع تعويد الطفل ان يرسم بقلم الرصاص او المنقش الاشكال والالوان الطبيعية فيتعلم بها الممارسة اللازمة للصناعات النفيسة . ويعتاد النظام والتدقيق الذي يقود عواطفه بالطبع الى التدقيق والدق فاذا ربي الحس على هذا الطرز يستعد للتخلق بالفضائل بتقوية الارادة وبدونها لا يتأتى قيام شيء في عالم الفضيلة لان الارادة لا توجد الميول والرغائب تتغير منها وهذا الميل ناشيء مثل كثير من الميول عن الحس الذي يعمل كل العمل فمن اللازم اللزب تقوية ميول الطفل الحسنة بتثقيف ارادة بدون ان يشعر

القدوة هي المربية في هذا الباب فهي تتسلط على الرجال فما اجدرها ان تكون كذلك
للاولاد يسرون في اعمالهم بسيرتها وينهجون على الدهر نهجها فقد ذكروا ان فتاة اخذت
في الشهر الخامس عشر من عمرها ثلث اباها في نعطيب حاجبه وتعتاد عادته في الغضب
ولهجته في رفع صوته ثم تلت الفاضله في قلة الصبر والغضب وهكذا أصبحت تردد افعال
ابيهما كلها بعد السنة الثالثة . وقانون القدوة الذي هو عمل من اعمال الاقتداء والمحيط
بعمل عمله في الحس كما يعمل في الذكاء فقد قال مونتسكيه : « من العادة ان يعلم الاب
اولاده ما يعلم كما ان من العادة ان يورثهم شهواته »

ولذا كان على الوالدين ان يراقبوا انفسهم في كل ما يصدر عنهما بين أسرتهما وامام
اولادهما ويتعدا عن كل ما شأنه ان يحدث في الولد تأثيراً سيئاً في الافعال او الاقول
ونرى الناس لا يبالون ان باتوا امام الطفل ما يفسده في فعله ومقاله ويعلم الفساد
كلها قبل ان يعرف ماهيتها . فالغضب وكلمات الكبر والعجب والاذنات الشهوانية والوقعة
والكذب تعرض كل يوم امام عيني الطفل واذنيه فتشوه حسه وتفسد نفسه ويعتذر
الابوان بان ابيهما لا يفهم ما باتيان امامه وهو يدرك العيوب التي تمثل امامه على هذه
الصورة ويتوهم بان الواجب يقضي بذلك وبوشك ان يسوء نظره على الدهر
وياسعد من لم يره ابواه لانهما في الاكثر يدلانه دلالاً يفسده فلا ينتهرانه
لترية نفس خوفاً من بكائه او ان يفقدوا ابتسامه موقته فتسوء تربية الطفل والطفلة
بصنع ابويهما وانالتهما كل رغائبهما وماذا يظنه الولد في نفسه متى رأى حواله اناساً
على اهبة تامة لسماع مايقوله والاعجاب به وتدليله واستحسان كل ما يصدر من فمه ويصفقون
تصفيق السرور لكل مايقوله مما يخالف الادب . فلو كان رجلاً ماوسع عقله كل هذا
التصفيق والاستحسان فما بالك به وهو طفل .

ومن الناس من يسرون على عكس هذه الخطة فينادون الطفل في اقواله وافعاله
وبغضونه في عامة احواله ويعلمونه الحسد بما يستعملونه من غروب التهديد الشديد الدائم
الذي يروقه تكراره وهذا من مفاصد التربية ايضاً .

فلى الوالدين ان ياعدوا عن الطفل ما يرتكبه من المضرات في تربيته فلا يشتدان
عليه ولا يرخيان له العنان بل تكون تربيتهما الى القصد فلا يمنعا من لذائذه بكل
ما يطلب وينجبان من رغائبه الى كل ما يشتهي فقد قيل من يحب كثيراً يعاقب كثيراً
فتأنيب الطفل من اهم فروض الوالدين واكبر مظهر من مظاهر عنايتهما . والاولاد

كالام يعزون الصرامة ولا يحبون الا ما يحترمون . كل هذا بدون ان يخلوا ساعة من سرور ابنتها حتى يعيش ويكون تجليه سرورا طول حياته

قلنا ان والدين يذنبان ان يكونا خير قدوة لابنتها فهو لا يتأثر بالفضيلة الا اذا رآها ماثلة بالفعل امامه منذ نعومة اظفاره . وكم من اناس لا يتطالون الى هذه الغاية لانهم عاشوا في وسط غير متمدن ومنهم من يحفظون حطة نفس ينم عليها تبذل اخلاقهم ومعلوم ان لهذه تأثيراً في القلب وهكذا الحال في كل الفضائل فاذا شاهدنا الطفل اليوم بعد الآخر يتسربها وتطمح نفسه الى ان يأتيها بذاته . فمن ابوين حريين ينشأ طفلاً مخلصاً ومن اب محتشم يكون الولد عفيفاً ومن اسرة طاهرة يخلق الولد نقياً نقياً . فالعدوى في هذا الباب اشد فعلاً في الطفل من قانون الوراثة وان للحركات والسكنات افعالا في خلقه الطفل وخلقه ولذلك وجب ان تصدر عن النفس دائماً لا متقطعة

وكما يقضى على الابوين ان يكونا خير قدوة لابنتها يجب عليهما ان يبذرا في نفسه البذور الصالحة وذلك بان ينميا في حب الذات او الاعجاب باحد من مافيه فليس احسن في التربية من ان يشعر المربي من نفسه بجعل عما اتاه فليس الاولى البعد عن مكافئة حب الذات بل المناسب تيممه على النور اللائق وتسييره الى وجهة الكمال فمن دواعي التربية وضع الثقة في نفس من تربيته فالاديان تدعو منتحليها الى الايمان فمن الضروري كما بقول بعض علماء الاخلاق ان يؤمن المرء بقوته الخاصة بمعزل عن معونة خارجية فقل شك بطراً علينا يتلينا بالعلم وينذب مادتنا ويحول دون انجاس ارادتنا القوية

وكما تحافظ على حرمة الولد عليك ان تربيته على حرمة غيره وان تعرفه بها بان تضرب على العرق الحساس فيه فاذا احببت ان تلقنه معنى الاحسان فاعرض عليه مصائب الناس وقارنها بما يشعر به من هذا القليل . وينلظ الوالدان اللذان يخفيان عن ابنتها شقاءهما كأنه رذيلة من الرذائل مع ان الفقر احسن مدرسة لتعليم الطفل الذي ولد في الرفاة حتى لا يعتبرها بانها واجبة او مضمرة وتنبه فيه الشعور بالفتنة . فمن النافع ان يعرف منذ طفولته ان من الناس من خانهم سوء الطالع ليعتاد التحنن لايهم والاسراع الى اغاثتهم وتحتاج في تربية الحس ليسانى بمرات جنبة الى ان توقد جذوته بالتحميس ليعمل الاعمال العظيمة فالواجب ان يلقي الطفل بين العاشرة والحادية عشرة من سنه الولوع بآية سامية ارقى مما يقع تحت نظره كل يوم وبذلك تنغذى روحه وينفع بما لديه من القوى والمواد . وخير ما ينفع في هذا الشأن النظر في انواع التعليم كالعلوم وتاريخ

الفنون والآداب فالتعليم اعظم مهماز يربي ميول الطفل ويعدده لان يكون من كبار الرجال ويربأ ؛ عن الانغاس في حماة المصالح المتبدلة . فالتعليم لا يقوم بوظيفته اذا لم يكن فيه ما يوسع معارفنا بل يوقد شعلتها بتوجيهها نحو الحق والجمال والخير واساس ذلك التحمس في الانسان

ولا يكتفى في تعلم تاريخ الصناعات والآداب بعرضها وتحليلها بل الواجب ان يعلمها الطفل في اللوحات والهيما كل والمصانع والشعر والقصص والخطب فهي لا تأخذ مكاناً من قلبه ويتحمس بها الا بذلك . يعرض عليه ذلك بالعمل ويشرحه للعلم فالتعليم الادبي والصناعي مهما بلغ من غنائه لا يتيسر تلقينه بدون قطع شرح السرفيه كالشريح لا يستفيد منه المتعلم اذا لم تكن امامه جثة . فعلياً ان نبتعد عن التحليلات التي لا مستند لها من الحقيقة لانها بقطع النظر عما فيها من الضرر اللاحق بالذهن تعود المرء على العمل بالفارغ وهي خالية من تأثير في الحس فمن واجب الاستاذ ان يطلع تلميذه على مقاصد المؤلفين ويشرح لهم عواطفهم على صورة تتمثل فيها الحياة والشعور وتبعث في روحه احتذاء مثالم وبذلك لا يكون من تعليم الفنون والآداب فتح السبل التي بفيض منها حس المتعلم بل ان حسه اذا تجمع على هذا النحو تزيد قوته وصفائه وتنبع منه ينابيع لا تجف طول الحياة

يقول بعضهم ان التربية العلمية الصرفة تجعل الذوق قاحلاً ولكن ربما كان العلم يتطلب قوة في التحمس كما تتطلب الفنون والآداب من الصانع والكاتب فالبحث عن الحقيقة يستدعي اخلاصاً شديداً كالنظر في الجمال . والمرء كما يقول باسكال اقل سكرأ باستحصال تركيب الطبيعة وما فيه من اللانهاية منه في ايجاد شيء من تصوره . فالذين يصرفون حياتهم في البحث ليسوا اقل قوة ممن يحترعون افكاراً من نفوسهم

قال كلوديرنارد : « ان الرغبة الشديدة في المعرفة هي الباعث الوحيد الذي يجذب الباحث ويعضده في اعماله وهذه المعرفة هي التي يمكنها فتقر امامه على الدوام وتكون في الوقت نفسه عذابه الوحيد وسعاده الوحيدة فمن لا يعرف كيف يقاسي المرء العذاب من اجل الحصول على مجهول لا يعرف الافراح التي تصيبه عند اكتشاف الجديد وهي افراح لا يدانيها شيء في العالم » للحقيقة كما للجمال بهاء وجلال ولذلك كم فائدة تكون للحس ولارتقاء العلوم في المستقبل ان يكشف عنها القناع امام اعين من يعلمهم الا انه

يجب لاشراك التلامذة في البحث ان تكرر لم تلك الحقائق ويطلب منهم ان يبحثوا بانفسهم وان يوفر لم قسطهم من السرور باكتشافها فيطلعون على مقدمات العلوم والاكتشافات العظيمة ويشوقهم الى احتذاء مثال من جاهدوا جهاد الابطال امام قوى الطبيعة حتى تبطنوا اسرارها فاذا حي وطيس البحث ينشأ فيهم حب الغاية المنشودة كما ان من يبدأ باللعب ويكون ضعيفاً لاول امره لا يلبث ان تنبعث له همته ويزيد بلوغ الغاية غرامه . وهذا يستدعي لتعليم الآداب ان يجعل التلميذ مع اتصال بالحقيقة والطبيعة التي هي ميدان درس العالم بدلا من حصره في مآزق تبث نفسه على المقس والتأفف في حين كان يجب ان تذكي فيها شعلة حب العلم فقد قال الفيلسوف رنان : « انما نشبه بالفديسين والابطال وكبار الرجال في كل عصر وجيل اهل الاخلاق العالية الذين وقفوا انفسهم خاصة للبحث عن الحقيقة غير مباليين بالمال بل ربما فاخروا بفقرهم وبسموا لما يقدم اليهم من التكريم وتساوى في نظرهم المدح والقدح وهم على ثقة فيما يعملون سعداء لان لم الحقيقة » ولا سبيل الى نشر ما نعت به عقول نوابغ الارض في العلم والآداب والصناعات الا على ايدي اساتذة جهابذة وبغير ذلك لا يرتقي الحس . والتعليم الديني نافع جداً في تربية الحس فقد قال جبرائيل كومباري : « باعد عن الجنس البشري الاعتقاد بعالم اخروي ارقى مما هو فيه فانك تسلبه بطبيعة الحال جزءاً من القوى اللازمة للتخلق بالفضيلة فاذا لم يكن هذا العالم الا خلأ واسعاً يضع فيه صوت الانسانية في الفراغ بدون ادنى قوة عاملة تضمن للعدل نصرة ابدية فالانسانية معرضة للسقوط في حياة سافلة لاستهوائها وافتتانها بالمفاسد وما يتسرب اليها من مغريات الملاذ المادية » وسواء علم الناس التعاليم الدينية او لم يعلموه فمن الثابت ان الخرافات تقوى بضعف الاديان ولقلة العناية بفساد الدين ولكنه لا يضمن للواجب تلقين الطفل لباب الدين لا الحشو ولا اللغو ليسب على المعقول والتشبث باذيال الجوهر بعيداً عن التعصب وصغر العقل فقد قال فككور هوغو : « ان ما يخفف الالم ويفرس التقوى والقوة والعقل والصبر والطهر والحرية في الانسان هو ان ينظر على الدوام الى عالم احسن مما هو فيه يلج من خلال ظلمات هذه الحياة »



المقبر

الدرر الكامنة

لبس احسن من تراجم الرجال للوقوف على حال السياسة والاجتماع في عصر من العصور في جملة ما طبع من كتب التراجم والطبقات كتاب خلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمعجمي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمراي المتوفى سنة ١٢٣٢ ولم تطبع تراجم اعيان القرن الثامن والتاسع والعاشر وان كان مثل السبكي في طبقاته والصلاح الكتبي في وفياته قد تعرضا لبعض المترجمين في الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لحافظ عصره قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن علي بن حجر الكنافي العسقلاني الاصل المصري والضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ وان لم يدركا من الرجال من جاء بعد من ذكرهم صاحب الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة النجم الغزي المتوفى سنة ١٠٦١

وها نحن نتكلم على «الدرر الكامنة» وسنعبه في الجزئين التاليين بالكلام على الضوء اللامع والكواكب السائرة .

جاء في كشف الظنون : الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لشهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة مجلد ضخام اوله الحمد لله الذي يحيي ويميت الخ جمع فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الاعيان مرتباً على الحروف ذكر في آخره انه فرغ منه في شهر سنة ٨٣٠ ثلاثين وثمانمائة ولم يكمل الغرض لبقايا من التراجم في الزوايا ثم اختصره جلال الدين السيوطي في مجلد ولابن المبرد ايضاً مختصره

اما الكتاب الذي نحن بصده فتمه في دمشق مخطوط ^(١) قديم بخط ابراهيم البقاعي مهمل غير معجم وتعرس في الاحايين قراءته وهو في مجلد ضخم من القطع الكبير قال في مقدمته : « اما بعد فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة احدى وسبعائة الى آخر سنة ثمان مائة من الاعيان والعلماء والملوك والامراء والكتاب والوزراء والادباء والشعراء وعينت فيه برواة الحديث النبوي فذكرت من اطلعت علي حاله واشرت الى بعض مروياته اذ الكثير منهم شيوخ شيوخي وبعضهم ادركته ولم ألقه وبعضهم لقيته ولم اسمع منه وبعضهم سمعت منه وقد استمددت في هذا الكتاب من اعيان العصر لابي الصفا الصفدي ومجاني العصر لشيخ شيوختنا ابي حيان وذهبة العصر لشهاب الدين ابن فضل الله وتاريخ مصر لشيخ شيوختنا الحافظ قطب الدين الحلبي وذييل سير النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي وذييل المرأة للحافظ علم الدين البرزالي والوفيات للعلامة تقي الدين ابن رافع والذيل للعلامة شهاب الدين ابن جعي ومآجمه صاحبنا تقي الدين المقرئ في اخبار الديار المصرية وخططها ومعجم كثير من شيوختنا والوفيات للحافظ ابي الحسين بن اسد الله ياطي والذيل عليه لشيخنا الحافظ ابي الفضل بن الحسين العراقي وتاريخ غرناطة للعلامة لسان الدين ابن الخطيب والتاريخ للقاضي ولي الدين ابن خلدون المائكي الي غير ذلك وبالله التكرم عوفي واياه اسأل عن الخطأ صوفي انه قريب مجيب ٠ »

وهذا المجلد في ٢٦٧ ورقة مرتب على حروف المعجم يميل فيه المؤلف الى الاختصار وفيه من تراجم المشاهير ترجمة ابي جعفر ابن الزبير والشهاب الاذري وشيخ الاسلام ابن نيمية وابن فضل الله العمري وعماد الدين ابن كثير وابن الوردي وابن الشهاب محمود وابن المطهر الشيعي والصالح الصفدي والعلائي والطوفي وابن خطيب داريا وابن عقيل وابن القيم وبرهان الدين القبراطي وابن هشام وابن رجب وابن جماعة والتاج السبكي والارديلي والتقي السبكي والسلطان محمود غازان والحافظ البرزالي وابن الاكفاني والحافظ الذهبي وشيخ الربوة ولسان الدين ابن الخطيب والخطيب القزويني والكمال ابن الزمكاني وابن دقيق العيد والبدر البلقيني وابن الوكيل وابن سيد الناس وابن نباتة وابن الحاج وابن المكرم والشمس القنوي وابو حيان الاندلسي وقطب الدين الشيرازي والبازري والحافظ المزي وغيرهم ممن كانوا غرة ذلك القرن

(١) في خزانه كتب الشيخ اسمعيل الميداني من بيت علم المذكور في دمشق

كما ان فيه من الخاملين ممن لا تسقط لهم على تراجم ولو مختصرة الا في هذا السفر ومن اعظم ما يلفت نظرك في هذا الكتاب روح التعصب التي كانت مستحوزة في ذلك العصر ايام كان يقتل كل من يخالف الجمهور في فكر او مذهب فتقرأ فيه صورة مكبرة من حال ذلك القرن الذي استولت فيه على هذه البلاد الجراكسة والتتار من اصبحوا العوبة في ايدي المتعصبة من رجال الدين وهاك . اقاله في ترجمة اسمعيل بن سعيد الكردي المقرئ المصري « ثقفه وقهر في القرائت والفقه والعربية وكان طلق العبارة سريع الجواب حسن التلاوة يدري الحاوي والحاجبية ويحفظ الكثير من التوراة والانجيل رمي بالزندقة بسبب انه كان كثير الهزل وحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له اسمعيل الكافر واسمعيل الزندبقي وطلب الى تقي الدين الاخواني وادعي عليه فخلط في كلامه فسجن فجاءه شخص من الصالحين فاخبره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له قل : للاخواني يضرب رقبة اسمعيل فانه سب اخي لوطاً فاستدعى به واعد مجلساً وأقيمت عليه البيعة بامور معضلة فامر به فقتل بحكم المالكى بن القصرين في السادس والعشرين من صفر سنة عشرين وسبعائة نقلته من خط القطب وذكر انه حضر ذلك وقال كان قد نظر في المنطق فدخل في كلام لا فائدة فيه فضبط عليه . وقرأت في تاريخ موسى بن محمد اليوسفي انه كان مشهوراً بالعلم بين الفقهاء وله فضيلة مشهور في الادب » قلنا واقبح بعصر يقتل فيه العالم عقيب رؤيا يراها احد ارباب الخيال .

وعن ضربوا على الزندقة « ناصر بن ابي الفضل بن اسمعيل المقرئ الصالح ولد سنة ٦٦٦ ونشأ جميلاً جداً وكان صوته مطرباً فكان يقرأ في الختم والترتب وحفظ الثنبيه ثم صعب الباجري على فصار يقع منه كلمات معذلة وسالك سبيل التزهّد ودخل الى بغداد مع ركب العراق فيقال انهم تقموا عليه شيئاً وهموا به فتوجه الى ماردين ثم فر منها الى حلب فغرى على عاداته في السطح فانكر عليه كمال الدين بن الزملكاني وهو يومئذ قاضي حلب فقبض عليه وارسله مقيداً الى دمشق فقامت عليه البيعة عند القاضي شرف الدين المالكى فاعذر اليه فما ابدى عذراً بل تشهد ولى ركبته بن وجهر بتلاوة القرآن ثم ضربت عنقه وذلك في ربيع الاول سنة ٧٢٦ ويقال انه انشد حين قدم ليقول

ان كان سفك دمي أقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمي

وقال ابن حبيب قلت فيه لما قتل

يا لهسا الهيتي هيت الي الردي كم تجتري بلسان خب هسالك

ارسلت من حلب لجلق موثقاً ونقلت بعد الشافعي لمالك

وفي الحاشية بخط ابن حيان البقاعي : قال ابن كثير ضربت عنقه بسوق الخيل عَلَى كفرة واستمثاره بآيات الله وشركه وصحبته الزنادقة كالنجم ابن خلكان والشمس محمد الباجريقي وابن العمار البغدادي قال الشيخ علم الدين : وحضر قتله العلماء والاكابر وارباب الدولة وكان يوماً مشهوداً اعز الله فيه الاسلام (١) واذل فيه الزنادقة واهل البدع وقد شهدت مهلكه وكان شيخنا ابن تيمية ايضاً حاضراً يومئذ وقد أنبه وقرعه عَلَى ما كان يصدر منه اهـ »

وقال في ترجمة السكاكيني مانصه : « محمد ابن ابي بكر بن ابي القاسم الهمداني ثم الدمشقي السكاكيني الشيعي ولد سنة ٦٣٥ بدمشق طلب الحديث وتأدب وسمع وهو شاب ابن اسمعيل العراقي والرشيد بن السملة ومحمد بن علام في آخرين وتلا بالسبع روى عنه البرزالي والذهبي وآخرون من آخرهم ابو بكر بن الحب وبالأجازة شيخنا برهان الدين التنوخي . وأقعد في صناعة السكاكين عند شيخ رافضي فأفند عقيدته فاخذ عن جماعة من الامامية وله نظم وقصائد ورد عَلَى العفيف النمساوي في الاتحاد وام بقرية جسر ين مدة وام بالمدينة النبوية عند اميرها منصور بن حجاز (?) ولم يحفظ عنه سب في الصحابة بل له نظم في فضائلهم الا انه كان يناظر عَلَى القدر وينكر الجبر وعنده تعبد وسعة علم قال ابن تيمية : هو ممن يتسنن به الشيعي وبتشيع به السني . وقال الذهبي : كان حلو المجالسة ذكياً عالماً فيه اعتزال وبنطوي عَلَى دين واسلام وتعبد سمعنا منه وكان صديقاً لابني وكان ينكر الجبر ويناطر على القدر ويقال انه رجع في آخر عمره ونسخ صحيح البخاري ووجد بعد موته بمدة في سنة خمسين وسبعائة بخط يشبه خطه كتاب يسمى الطرائف في معرفة الطوائف يتضمن الطعن عَلَى دين الاسلام واورد فيه احاديث مشككة وتكلم عَلَى متونها تكلم عارف لما يقول الا ان واضع الكتاب يدل عَلَى زندقه فيه وقال في آخره وكتبه مصنفه عبد الحميد بن داود المصري وشهد جماعة من اهل دمشق انه خطه فاخذه تقي الدين السبكي عنده وقطعه في الليل وغسله بالماء ونسب اليه عماد الدين ابن كثير الايات التي اولها

ايامعشر الاسلام ذمي دينكم الايات ومات السكاكيني في صفر سنة ٧٢١ « وفي الحاشية وجزم ابن كثير ان الكتاب الدال عَلَى الزندقه خطه وقال : ان فيه انتصاراً لليهود واهل الاديان الفاسدة قال ولما مات لم يشهد دفنه القاضي شمس الدين بن مسلم ودفن

بسفح قاسيون وقتل ابنه فيما بعد على قذف أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهما .

وتراج مثل السكاكيني تؤخذ عن امثال الحافظ الذهبي وكفاه فضلائ مثل الذهبي والبرزالي يعدان من مفاخرها الاخذ عنه وآثار التعصب والحقيقة لا تخفى على من قرأ العبارة الاخيرة . وقال في ترجمة « علي بن الحسن بن ابي الفضل بن جعفر بن محمد ابن كثير الحلبي الرافضي قدم دمشق واقام بها سنوات فانفق انه شق الصفوف والناس في صلاة جنازة بالجامع الاموي وهو يعلن بسب من ظلم آل محمد فنهره عماد الدين بن كثير وأغرى به العامة وقال ان هذا يسب الصحابة فحملوه الى القاضي ثني الدين السبكي فاعتبر بسب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فعدوا له مجلساً فحكم المالكى بضرب عنقه تعزيراً وزجراً بعد ان كررت عليه التوبة ثلاثة ايام فاصر فضربت عنقه بسوق الخليل وحرق العوام جسده وذلك في جمادى الاولى سنة سبعمئة وخمس وخمسين . »

ومن انعم النظر في تراجم من قتلوا يتضح له انهم كانوا على جانب عظيم من العقل والعلم وان أكثر ما روي عنهم متقول عليهم ليجدوا السبيل الى اقناع العامة والحكام لازهاق ارواحهم

وفي الدرر عدة تراجم من هذا القبيل تدل على الخطاط في ذاك العصر وان الناس كانوا يعمدون للتشفي ممن يجيئون الى استفتاء القاضي المالكى لان مذهب مالك يقتضي بان يكون التعزير بالقتل او بالحبس والتشهير كما وقع لاحمد بن محمد مري البعلبي الخبلي من اشياح ابن تيمية فرفعوا امره الى القاضي المالكى بالقاهرة « فضر به ضرباً مبرحاً بجضرته حتى ادماه ثم شهره على حمار اركبه مقلوباً ثم نودي عليه هذا جزاء من يتكلم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكادت العامة تقتله ثم اعيد الى السجن »

ومثل ما وقع لاحمد بن محمد البققي المصري الاديب العالم فضر بواعنه بامر القاضي المالكى بالطبع لانه بدت منه كما قيل امور تنبئ بان مستهزي بامور الديانة وانه فخل مستحل المحرمات

ومثل ما وقع لاحمد بن محمد بن اسمعيل الحلبي الاديب المتصوف فضبطت عليه الفاظ موبقة فرفع امره الى الحاكم بحجاب فحكم القاضي المالكى صدر الدين الدميري بسفك دمه فقتل وهو القائل

اذا نلت النى بصديق صدق فكان وداده وفق المراد

فأذران تعامله بقرض فان القرض مقرض الوداد
ومثله اسمعيل الكردي واحمد الرومي وعثمان الدكالي وفضل الله ابن اليهودي
ومحمد الباجريقي وعلي بن الحسن الرافضي وغيرهم ممن ذهبوا شهداء قضاء المالكية
والمتعصبة من العامة وبعضهم كانوا في مظهر علماء وهم الذين اوصلوا الامة الى هذه
الدرجة من الافكار والتصور .

ومن الغريب انهم كانوا يخوفون حتى من كان علي رأيهم من الفقهاء والعلماء فقد
ذكر ابن حجر في ترجمة العلماء ابن العطار ان الشيخ شمس الدين النقيب وغيره تكلم في
فتاوى تصدر من ابي الحسن بن العطار وادعوا ان فيها تحييطاً ومخالفة لمذهب القاضي
واجتمعوا عند بعض المحاكم فبادر جماعة من محبي الشيخ علماء الدين فقالوا له انهم
هياًوا شهادات يشهدون عليك بها فخارت قوته وبادر الى الخفي وضدرت عليه دعوى
فحكّم باسلامه وحقق دمه وبقاء جهاته عليه !!!

وها نحن اولاء ننقل ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية لانها تصور لك مزية هذا
الكتاب وهي خيزر ترجمة عثرنا عليها بل تصور لك ذلك العصر الذي كثر فيه تعذيب
العلماء قال ابن حجر رحمه الله : « احمد ^(١) بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله
ابن ابي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين ابو العباس بن شهاب الدين
ابن مجد الدين ولد سنة ٦٦١ وتحوّل به ابوه من حران سنة ٦٧ فسمع من ابن ابي عبد
الدائم والقاسم الاربلي والمسلم ابن علان وابن ابي عمر والفخر في آخرين وقرأ بنفسه
ونسخ سنن ابي داود وحصل الاجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وتمهر وتميز وتقدم
وصنف ودرس وافتي وفاق الاقران وصار عجبا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع
في المنقول والمفتول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

اول ما انكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الاول سنة ٦٩٨ قام عليه جماعة من
الفقهاء بسبب الفتوى الحموية ^(٢) وبجثوا معه ومنع من الكلام ثم حضر مع القاضي امام

(١) ساعدنا صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي على استخراج بعض مبهنات وقعت

في خط البقاعي والتعليق عليها فنشكر فضله

(٢) المقتبس : طبعت في مصر ضمن الرسائل الثانية والعشرين ومعها رسالة له في

اجوبته عما اعترض به عليه

الدين القزويني فانتصر له وقال هو واخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عزرناه

ثم طلب ثاني مرة في سنة خمس وسبعائة الى مصر فتعصب عليه يبهرس الجاشنكير وانتصر له سالار^(١) ثم آل امره الى ان حبس في خزانة البنود مدة ثم نقل في صفر سنة تسع الى الاسكندرية ثم أفرج عنه وأعيد الى القاهرة ثم أعيد الى الاسكندرية ثم حضر الناصر من الكرك فاطلقه ووصل الى دمشق في آخر سنة ٧١٢ وكان السبب في هذه الحنة ان مرسوم السلطان ورد على النائب بانتخانه في معتقده لما وقع اليه من امور تنكر في ذلك فعقد له مجلس في سابع رجب فسئل عن عقيدته فاملى منها شيئاً ثم احضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقري منها وبجثوا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرروا الصفي الهندي يبحث معه ثم أخروه وقدموا الكمال الزملكاني ثم انفصل الامر على انه أشهد على نفسه انه شافعي المعتقد (كذا) فاشاع اتباعه انه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحداً من اتباع ابن تيمية الى الجلال القزويني نائب الحكم بالعدالية فعزروه وكذا فعل الحنفي باثنين منهم

ثم في ثاني عشرين رجب قرأ المزيء فصلاً من كتاب افعال العباد^(٢) للبخاري في الجامع فسمعه بعض الشافعية فغضب وقال : نحن المقصودون بهذا ورفعوه الى القاضي الشافعي فامر ببجسه فبلغ ابن تيمية فتوجه الى الحبس فاخرجه بيده فبلغ القاضي فخطب الى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب فاشتط ابن تيمية على القاضي لكون نائبه جلال الدين آذى اصحابه في غيبة النائب فامر النائب من ينادي : ان من تكلم في العقائد فعل به كذا . وقصد بذلك تسكين الفتنة

ثم عقد له مجلس في سلخ رجب وجرى فيه بين ابن الزملكاني وابن الوكيل مباحثة فقال : ابن الزملكاني لابن الوكيل ماجرى على الشافعية قليل حتى تكون انت رئيسهم . فظن القاضي نجم الدين ابن صصريه انه عناء فعزل نفسه وقام فاعاده الامراء وولاه النائب وحكم الحنفي بصحة الولاية ونفذها المالكي فرجع الى منزله وعلم ان الولاية لم تصح فصمم على العزل فرسم النائب لنوابه بالمباشرة الى ان يرد امر السلطان

(١) سالار كان اكبر نواب الملك الناصر وكان في الدولتين الصالحية والظاهرية

اي اكبر الوزراء و يقال ان دخله في كل يوم مائة الف درهم

(٢) طبع في الهند في مجموع فيه اربعة كتب

ثم وصل بريدي في اواخر شعبان بعوده ثم وصل بريدي في خامس رمضان بطلب القاضي والشيخ وان ارسلوا بصورة ماجرى للشيخ في سنة ٦٩٨ ثم وصل مملوك النائب واخبر ان الجاشنكير والقاضي المالكي قد قاما في الانكار على الشيخ وان الامر اشتد بمصر على الخنابلة حتى صفع بعضهم ثم توجه القاضي والشيخ الى القاهرة ومعهما جماعة فوصلا في العشر الاخير من رمضان وعقد مجلس في ثالث عشره بعد صلاة الجمعة فادعي على ابن تيمية عند المالكي فقال : هذا عدوي ولم يجب عن الدعوى فكرر عليه فامر فحكم المالكي بحبسه فأقيم من المجلس وحبس في برج ثم بلغ المالكي ان الناس تتردد اليه فقال : يجب التضييق عليه لم يقتل والا فقد ثبت كفره ^(١) فنقلوه ليلة عيد الفطر الى الحب وعاد القاضي الشافعي على ولايته ونودي بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الخنابلة . فنودي بذلك وقرئ المرسوم قرأه ابن الشهاب محمود في الجامع ثم جمعوا الخنابلة من الصالحية وغيرها واشهدوا على انفسهم انهم على معتقد الامام الشافعي (?)

(١) في محاکمة الاحمدين وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يبتلون في الله تعالى ويصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون واهل الخير في الامم السالفة يقتلون ويحرقون وينشر احدثهم بالمنشار وهو ثابت على دينه وقد سم ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسم الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وصلب حبيب بن عدي وقتل الحجاج عبد الرحمن ابن ابي ايلي وسعيد بن جببر وغيرها وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربعمائة سوط ثم قتله وسعيد ابن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شات والبس جبة صوف وخبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط وذلك انه حدث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً اغتذوا عباد الله خوفاً وهماً الله دولا فكان عمر اذا قيل له ابشر قال : كيف نجيب على الطريق وابو عمرو بن العلاء ضربه بنو امية خمسمائة سوط والامام موسى الكاظم سجنه هرون حتى مات والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد ان ضرب وقيل انه جرع سمّاً والامام مالك بن انس ضربه المنصور ايضاً سبعين سوطاً في يمين المكره وكان يقول لا يلزمه اليمين والامام احمد امتحن وسجن وضرب في ايام بني العباس وللشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة أسوة .

وذكر ولد الشيخ جمال الدين ابن الظاهري في كتاب كتبه لبعض معارفه بدمشق ان جميع من بمصر من القضاة والشيوخ والفقراء والعلماء والعوام يحيطون على ابن تيمية الا الحنفي فانه يتعصب له والا الشافعي فانه ساكت عنه وكان من اعظم القائلين عليه الشيخ نصر المنبجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن العربي فكاتب اليه كتاباً يعاتبه على ذلك فما اعجبه لكونه بالغ في الخط على ابن العربي وتكفيره فصار هو يحيط على ابن تيمية ويغري به بيبوس الجاشنكير . وكان بيبوس يفرط في محبة نصر وبعضه وقام القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المائكية مع الشيخ نصر وبالغ في اذية الحنابلة . واتفق ان قاضي الحنابلة شرف الدين الحراني كان قليل البضاعة في العلم فبادر الى اجابتهم في المعتقد واسلموه خطه بذلك واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري انه سمر لابن تيمية وكتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم وكتب منه بخطه ثلاثة عشر سطراً من جملتها انه : « منذ ثلثائة سنة مارأى الناس مثله » فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الحريري فعزل وقرر عوضه شمس الدين الاذري ثم لم يلبث الاذري ان عزل في السنة المقبلة وتعصب سلال لابن تيمية واحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في اخراجه فانفقوا على انهم يشترطون معه شروطاً وان يرجع عن بعض العقيدة فارسلوا اليه مرات فامتنع من الحضور اليهم واستمر

ولم يزل ابن تيمية في الحب الى ان شفع فيه مهنا امير آل فضل فأخرج في ربيع الاول في الثالث والعشرين منه وأحضر الى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء وكتب عليه محضر بانه قال : انا أشعري ثم وجد^(١) خطه بما نصه : الذي اعتقد ان القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديم وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وان قوله الرحمن على العرش استوى ليس على ظاهره ولا اعلم كنه المراد بل لا يعلمه الا الله والقول في النزول كالقول في الاستواء وكتبه احمد بن تيمية

ثم اشهدوا عليه انه تاب مما يتنافى ذلك مختاراً وذلك في خامس عشرين ربيع الاول

(١) المقتبس : في هذه الوجادة نظر لان ابن تيمية قد ملأ الدنيا بفتاويه وهو في محبته التي تخالف مايقوله خصومه كما يعلم من راجع فتاويه المصرية التي طبع منها ثلاث مجلدات

سنة سبع وسبعائة وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم وسكن الحال وأُفرج عنه وسكن القاهرة

ثم اجتمع جمع من الصوفية عند تاج الدين ابن عطاء فطلعوا في العشر الاوسط من شوال الى القلعة وشكوا ابن تيمية انه يتكلم في حق مشايخ الطريق وانه قال لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم فافتضى الحال ان أمر بالمسير الى الشام فتوجه على خيل البريد وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشغول بنفسه بالمرض وقد اشرف على الموت وبلغه سفر ابن تيمية فراسل النائب فرده من بليس وادعى عليه عند ابن جماعة وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني وقيل ابن علاء الدين القونوي ايضاً شهد عليه فاعتقل بسجن حارة الدلم في ثامن عشر شوال الى سلخ صفر سنة تسع وسبعائة فنقل عنه الى جماعة يترددون اليه وانه يتكلم في نحو ما تقدم فامر بنقله الى الاسكندرية فنقل اليها في سلخ صفر وكان سفره صحبة امير مقدم ولم يمكن احداً من جهته من السفر معه وحبس ببرج شرقي ثم توجه اليه بعض اصحابه فلم ينعوا منه فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة وكان موضعهم فسيحاً فصار الناس يدخلون اليه ويقرؤون عليه ويبحثون معه . قرأت ذلك في تاريخ البرزالي فلم يزل الى ان عاد الناصر الى السلطنة فشفع فيه عنده فامر باحضاره فاجتمع به في ١٨ شوال سنة تسع فأكرمه وجمع القضاة واصلاح بينه وبين القاضي المالكي فاشتراط المالكي ان لا يعود فقال له السلطان : قد تاب . وسكن بالقاهرة وتردد الناس اليه الى ان توجه صحبة الناصر الى الشام بنية الغزاة في سنة ١٢ وذلك في شوال فوصل دمشق في مستهل ذي القعدة فكانت مدة غيبته عنها اكثر من سبع سنين وتلقاه جمع كثير فرحاً بمقدمه وكانت والدته اذ ذاك في قيد الحياة

ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة ١٩ بسبب مسألة الطلاق واكد عليه المنع من الفتيا ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة عشرين ثم حبس بالقلعة ثم أخرج في عاشوراء سنة احدى وعشرين ثم قاموا عليه مرة اخرى في شعبان سنة ٢٦ بسبب مسألة الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها الى ان مات في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٢٢٨ قال الصلاح الصفدي : كان كثيراً ما ينشدني :

تموت النفوس باوصالها ولم يدرك عوادها ما بها
وما انصفت مهجة تشكي اذاها الى غير احبابها

وكان ينشد كثيراً :

من لم يقد ويدس في خيشومه رهج الخميس فلن يعود خميسا
وأشد له على لسان الفقراء :

والله ما فقرنا اختيار وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى واكلنا ماله عيار
نسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

وسرد اسماء تصانيفه في ثلاثة اوراق كبار واورد فيه من امداح اهل عصره كأبن
الزمكاني قبل ان يعرف عنه وكأبي حيان كذلك وغيرهما قال ورثاه محمود بن علي
الدقوقي ومجرب الدين الخياط وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي وجمال الدين ابن الاثير
وتقي الدين محمد بن سليمان الجعبري وعلاء الدين ابن غانم وشهاب الدين ابن فضل الله
وزين الدين ابن الوردى وجمع جم واورد انفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة
قال الذهبي مالمخلصه : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف
واستدل ورجح وكان يحق له الاجتماع لاجتماع شروطه فيه قال : وما رأيت اسرع
انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولاشد استحضاراً للفتوى وعزوها
منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان آية
من آيات الله في التفسير والتوسع فيه واما اصول الدبابة ومعرفة احوال المخالفين فكان
لايشق غباره فيه هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس
ولعل فتاويه في الفتون تبلغ ثلثائة مجلد بل اكثر وكان قوالاً بالحق لاتأخذه في الله
لومة لائم

قال : ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني
الى التغالي فيه . وقد أوديت من الفريقين من اصحابه واعداده وكان ايض اسود
الرأس والحجة قليل الشب شعره الى شحمة أذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان . ربعة من
الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتربه حدة لكن
يقهرها بالحلم

قال : ولم ار مثله في ابداله واستغاثته بالله وكثرة توجهه وانا لااعتقد فيه عصمة
بل انا مخالف له في مسائل اصلية وفرعية فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان
ذهنه وتعظيمه لحرمت الدين بشراً من البشر تعتربه حدة في البحث وغضب وشظف
للخصم تزرع له عداوة في النفوس والا لو لاطف خصومه لكان كلمة اجماع كان كبارهم

خاضعين لعلومه معترفين بشفوئه مقرين بتدور خطائه وانه بحر لاساحل له وكثر
لا نظير له ولكن ينقمون عليه اخلاقاً وافعالاً وكل احد يؤخذ من قوله ويترك
قال : وكان محافظاً على الصلاة والصوم معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً لا يرتقي من
سوء فهم فان له الذكاء المفرط ولا من قلة علم فانه بحر زخار ولا كان مثلاً عاباً بالدين
ولا يتفرد بمسائل بالتشهي ولا يملق لسانه بما اتفق بل يخرج بالقرآن والحديث والقياس
ويبرهن وينظر أسوة من تقدمه من الائمة فله أجر على خطائه واجرات على اصابته
الى ان قال :

تمرض اياماً بالقلعة تمرضاً جداً الى ان مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة
وصلي عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل واقل ما قيل في
عددهم انهم خمسون الفا

قال الشهاب بن فضل الله لما قدم ابن نعيم على البريد الى القاهرة في سنة سبعمائة
نزل عند عمي شرف الدين وحض اهل المملكة على الجهاد واغلظ القول للسلطان
والامراء ورتبوا له في مدة اقامته في كل يوم ديناراً ومحفقة طعام فلم يقبل من ذلك
وارسل له السلطان بقجة قماش فردها قال ثم حضر عنده شيخنا ابو حيان فقال ما رأيت
عيناي مثل هذا الرجل ثم مدحه بايات ذكر انه نظمها بديهة وانشده اياها

لما اتانا تقي الدين لاح لنا	داع الى الله فرد ماله وزر
على حياه من سبى الاولى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبراً	بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن نعيم في بصر شرعنا	مقام سيد تم اذ عصت مضر
واظهر الحق اذا تاره اندرست	واحمد الشر اذا طارت له شرر
كما نحدث عن حبر يجي فيها	انت الامام الذي قد كان ينتظر

قال ثم دار بينهما كلام فحرق ذكر سيويه فاغلظ ابن نعيم القول في سيويه فنافره
ابو حيان وقطعه بسببه ثم عاد دائماً له وصير ذلك ذنباً لا يقفر قال : وحم ابن الحب سنة
٧٣٤ فسمع من ابي حيان اناشيد فقرأ عليه هذه الايات فقال قد كشطتها من ديواني
ولا اذكره فسأه عن السبب فقال : ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيويه
فقال ليس بشيء قال ابو حيان : وهذا لا يستحق الخطاب ويقال ان ابن نعيم قال له ما كان
سيويه نبي النخو ولا كان معصوماً بل اخطأ في اكثر من اربعين موضعاً ما تفهمها انت

فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره
النهر وراثه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل
من المسالك ان شاء الله تعالى . وراثه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية^(١)
قال كمال الدين السمرري في اماليه : ومن عجائب ما وقع في الحفظ من اهل زماننا ان
ابن نيمية كان يمر بالكتاب فيطالعهم مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته
بلفظه ومعناه

(١) اليك قصيدة ابن الوردي نقلا عن ديوانه المطبوع في الجواب

عثا في عرضه قوم سلاط	لم من نثر جوهره الثقاط
(تقي الدين احمد) خير حبر	خروق المضلات به تخاط
توفي وهو محبوس فريد	وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا	ملائكة النعم به احاطوا
قضى نجبا وليس له قرين	ولا كنظيره الف القمطاط
فريدا في ندى كف وعلم	وحل المشكلات به بناط
وكان الى التقي يدعو البرايا	وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان يخاف ابليس سطا	بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ماذا ضم لحد	ويا لله ما غطي البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى	ولكن في اذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الاصداف نخر	وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بال الهاشمي له اقتداء	فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنو نيمية كانوا فبانوا	نجوم العلم ادر كها انباط
ولكن ياندما حاسديه	فشك الشوك كان به يماط
الم بك فيكم رجل رشيد	يرى سجن الامام فيستشاط
ويافرح اليهود بما فعلتم	فان الضد يعجبه الخباط
امام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال	ولم يمهدهم له بكم اختلاط
فقيم سجنتموه وغظتموه	اما لجزا اذيته اشتراط

وقال الاقشيري في رحلته في حق ابن نيمية : بارع في الفقه والاصلين والفرائض والحساب وفنون أخرى وما من فن الا وله فيه يد طويلة وقوله ولسانه مثقار بان قال الطوفي : سمعته يقول : من سألني مستفيداً حققت له ومن سألني متعنتاً ناقضه فلا يلبث ان ينقطع فاكفي ووثنته وذكر تصانيفه وقال في كتابه ابطال الحيل : عظيم النفع : وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر احد على ان يورده في عدة مجالس كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء ويذكر . ومن ثم نسب اصحابه الى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زها على ابناء جنسه واستشعر انه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى الى عمر فخطاه في شيء فبلغ الشيخ ابراهيم الرقي فانكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر وقال في حق علي : اخطأ في سبعة عشر شيئاً ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها اطول الاجلين . وكان لعمصه لمذهب الخبالة يقع في الاشاعة حتى انه سب الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه ولما قدم غازان بجيوش الغر الى الشام خرج اليه وكلمه بكلام قوي فهمم بقتله ثم نجوا واشتهر امره من يومئذ

واففق ان الشيخ نصرًا المنبجي كان قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فيه فبلغه ان ابن نيمية يقع في ابن العربي لانه كان يعتقد انه مستقيم وان الذي ينسب اليه من الاتحاد او الاتحاد من قصور فهم من ينكر عليه فارسل بنكر عليه فكشب اليه كتاباً طويلاً ونسبه واصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الاتحاد فعظم ذلك عليهم واعاذه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد منكرة (?) وقعت منه في مواعيده

وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي	ففيه لقدر مثلكم انقطاع
اما والله لولاكم سريه	وخوف الشر لانحل الرباط
وكنتم اقول ما عندي ولكن	باهل العلم ما حسن اشتطاط
فما احد الى الانصاف بدعو	وكل في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم يا حاسديه	ونيثكم اذا نصب الصراط
فها هو مات عنكم واسترحتم	فعاطوا ما اردتم ان تعاطوا
وحاولوا واعقدوا من غير رد	عليكم وانطوى ذاك البساط

وفتاويه فذكروا انه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر ^(١) درجتين فقال : كنزولي هذا .
 فنسب الى التجسيم ورده علي من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم واستغاث فأشخص
 من دمشق في رمضان سنة خمس (بعد السبعائة) فجرى عليه ماجرى وحبس مراراً فأقام
 علي ذلك نحو اربع سنين او اكثر وهو مع ذلك يشتغل ويفتي الى ان اتفق ان الشيخ
 نصرأ قام علي الشيخ كريم الدين الايلي شيخ خانقاه سعيد السعداء فاخرجه من خانقاه وعلي
 شمس الدين الحريري فاخرجه من تدريس الشرفية فيقال ان الايلي دخل الخلوة
 بمصر اربعين يوماً فلم يخرج حتى زالت دولة بيبرس وخمل ذكر نصر وأطلق ابن نائمة
 الى الشام

واقترق الناس فيه شيعاً فمنهم من نسبته الى التجسيم لما ذكر في العتيدة الحموية والواسطية
 وغيرهما من ذلك كقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وانه مستوي
 علي العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لا اسلم ان التحيز
 والانقسام من خواص الاجسام فالزم بانه يقول ثبت (؟) التحيز في ذات الله تعالى
 ومنهم من ينسبه الى الزندقة لقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستغاث به وان في
 ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس عليه في
 ذلك النور البكري فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين : يعزز
 فقال البكري لامعنى لهذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعزز
 ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي ما تقدم ولقوا انه كان مخذولاً حيث
 ما توجه وانه حاول الخلافة مراراً فلم يلبها وانما قاتل للرياسة لا للديانة ولقوله انه كان
 يجب الرياسة ^(٢) وان عثمان كان يحب المال ولقوله ابو بكر اسلم شيئاً لا يدري ما يقول
 وعلي اسلم صبيّاً والصبي لا يصح اسلامه علي قول ولكلامه في قصة خطبة ابنة ابي جهل
 وما فيها من الثناء علي ٠٠٠ وقصة ابي العاص بن الربيع وما يوجد من مفهومها فانه
 مشنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم ولا يبعضك الا منافق
 ونسبه قوم الى انه يسعي في الامامة الكبرى فانه كان يلجج بذكر ابن تومرت ويطر به
 فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان اذا حو قى والزم يقول لم ارد
 هذا انما اردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً قال : وكان من اذكياء العالم وله في ذلك امور

(١) هو محل التدريس لا منبر الخطابة المعروف في المساجد اليوم

(٢) في كتابه منهاج السنة ما يكذب هذه الفرية علي شيخ الاسلام

عظيمة منها ان محمد بن ابي بكر السكاكيني عمل اياتاً على لسان ذمي في انكار القدر واولها:
 ابا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه باعظم حجة
 اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
 فوقف عليها ابن نيمية فثنى احدى رجليه على الاخرى واجاب في مجلسه قبل ان
 يقوم بمائة وتسعة عشر بيتاً اولها

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية^(١)
 وقال شيخ شيوخنا الحافظ ابن سيد الناس في ترجمة ابن نيمية وهو الذي
 حدا في علي رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين قال : فالقيته ممن ادرك من العلوم
 حظاً ، وكان يستوعب السنة والآثار حفظاً ان تكلم في التفسير فهو حامل راية ، او اثنى
 في الفقه فهو مدرك غايته او ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وروايته ، او حاضر
 بالملل والنحل لم يراوسع من نخلته في ذلك ولا ارفع من درايته ، برز في كل فن علي
 ابناء جنسه ، فلم ترعين من رآه مثله ولا رأيت عيته مثل نفسه . كان يتكلم في التفسير ،
 فيحضر مجلسه الحليم الغفير ، ويردون من بحره العذب النмир ، ويرتعون من ريع فضله في روضة
 وغدير ، الى ان دب اليه من اهل بلده داء الحسد وألب اهل النظر منهم علي ما يثبت عليهم من
 امور المعتقد ، فحفظوا عنه في ذلك كلاماً ، اوسعوه بسببه ملاماً ، وفوقوا لتبديعه سهاماً ، وزعموا انه
 خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازعه طائفة
 اخرى ينسبون من الفقر الى طريقة ، ويزعمون انهم تلى ادق باطن منها واجلى حقيقة ،
 وكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مراغم وموابق ، فاضت الى الطائفة الاولى من منازعته ،
 واستعانت بدوي الضغن عليه من مقاطعته ، فارصلوا الى الامراء امره ، واعمل كل منهم
 في كفره فكره ، فرتبوا المحاضر ، وألهبوا الرويضة (?) للسعي بها عند الاكابر وسعوا
 في نقله الى حاضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، وادوع السجن ساعة حضوره
 واعتقل ، وعقدوا لاراقه دمه مجلس ، وحشدوا لذلك قوماً من عمار الزوايا وسكان
 المدارس ، من عامل في المنازعة ، مختل بالمخادعة ومجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة ،
 يسومونه ريب المتنون ، وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعانون ، وليس المجاهر بكفره
 باسواً حالاً من الجامل وقد دب اليه عقارب مكروه ، فرد الله كيد كل في نحره ، ونجاه
 (١) شرح نجم الدين الطوفي جواب شيخ الاسلام في نحو كراسين شرحاً لطيفاً وهو
 موجود في بعض مكاتب دمشق

علي يد من اصطفاه والله غالب على امره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينشغل طول عمره من محنة الا الى محنة ، الى ان فوض امره الى بعض القضاة فتقلد ماتقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك الى حيث ذهبه الى رحمة الله تعالى وانتقاله ، الى الله ترجع الامور ، وهو المطلع على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وكان يومه مشهوداً ضاقت بمجازته الطريق ، وانتابها المسلمون من كل شئ عميت ، تبركون بمشهده يوم تقوم الاشهاد ، ويتمسكون بسريه حتى كسروا تلك الاعواد .

وقال الذهبي مترجماً له في بعض الاجازات : نراً القرآن والفقه وناراً واستدل وهو دون البلوغ وبرع في العلم والتفسير وافتي ودرس وهو دون العشرين وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وتصانيفه نحو اربعة آلاف كراسة واكثر .

وقال في موضع آخر واما نقابة للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير وفي موضع آخر وله باع طويل في معرفة احوال السلف وقل ان تذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ولما كان معتقلاً بالاسكندرية التمس منه صاحب سبته ان يميز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة اوراق باسانيده ومن حفظه بحيث يعجز ان يعمل بعضه اكبر من يكون واقام عدة سنين لا يفني بمذهب معين .

وقال في موضع آخر : بصيراً بطريقتة السلف واحتج له بادلة وامور لم يسبق اليها واطلق عبارات اجم عنها غيره حتى قام عليه خلق من العلماء بالصرين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لا يدهن ولا يجاني بل يقول الحق اذا اداه اليه اجتهاده وحده ذهنه وسعة دائرته فخرى بينهم حملات جزئية ووقعات شامية ومصرية ورموه عن قوس واحدة ثم نجاه الله سبحانه وتعالى وكان دائم الاشتغال كثير الاستغاثه قوي التوكل رابط الجأش له اوراد واذكار يدمنها

وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فاجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين المملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره في نفسي اكثر من ذلك

واجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا اغرض
سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الاوفى وغرامة مثله في هذا
الزمان بل من ازمان

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين خليل العلاني في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء
الدين عبدالله محمد بن خليل مانصه : وسمع بهاء الدين المذكور على الشينين شيخنا
وسيدنا وامانا فيما بيننا وبين الله تعالى شيخ التحقيق السالك بن ابيه احسن طريق
ذي الفضائل المتكاثرة والحجج الباهرة التي اقرت الامم كافة انهما عن حصره قاصرة
متعنا الله به لومه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الامام العالم الرباني
والحبر البحر القطب النوراني امام الائمة بركة الامة علامة العلماء وارث الانبياء آخر
المجتهدين اوجد علماء الدين شيخ الاسلام حجة الاعلام تقي الدين . . . سيف المناظرين
بحر العلوم كنز المستفيدين ترجمان القرآن أعجوبة الزمان فريد العصر والوان . . .
حجة الله على العالمين اللاحق بالصالحين والشبه للماضين مفاتيح الفرق ناصر الحق علامة
الهدى عمدة الحافظ ركن الشريعة كنز المعاني والالفاظ ذي الفنون البديعة ابي العباس
ابن نعيمة اهـ»

هذه ترجمة نابغة الاسلام واعجوب علماء القرون الوسطى ولو لم يكن في هذا الكتاب
سوى ترجمته لكان كافياً في طبعه والكتاب نسخة نفيسة نادرة في بابها لان ناسخه عالم
محقق ويعتاد الانسان قراءة خطه على اعجابه بعد قراءة بضع صفحات منه وقد طمست
بعض سطوره من اوائل بعض الصفحات لماء او رطوبة اصابته ولكن يسهل اثبات
الصحة ولو بمراجعة بعض المظان المطبوعة وغيرها

والكتاب كما تقدم بخط البرهان البقاعي المفسر قال في آخره : قال شيخنا شيخ الاسلام
والحفاظ مصنفه ومن خطه نقلت النسخة التي نقلت منها هذه فرغ منه جماعه سوى
ما الحق فيه بعد تاريخ فراغه في شهر سنة ثلاثين وثمان مائة ثم الحق فيه الى
سنة سبع وثلاثين ولم يكمل الغرض من الالحاق لبقايا من التراجم في زوايا لم استوعبها
بعد اعان الله تعالى على استكمال ذلك بمزكروه آيين . قلت (البقاعي) وكانت
كتابي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر عليّ قراءة كثير من النظم
الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله تعالى تحوير

ذلك ومقابلته جميعه على الأصل المنقول منه ان تيسر او يحجر ذلك من اصوله ان شاء الله تعالى وكان فراخي من هذه سنة ١٧ شوال سنة ٨٥٩ بمنزلي بحارة بهاء الدين في القاهرة اه

اما ابن حجر العسقلاني فهو شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر نسبة الى حجر قوم تسكن الجنوب العسقلاني الاصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة ولد سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وتوفي سنة ثمانمائة واثنين وخمسين والمؤلف هذا معدود من ائمة الشافعية وله غير ذلك من الكتب منها تاريخ مرتب على السنين ^(١) سماه انباء الغمر في ابناء العمر وفي المكتبة الظاهرية مسودته بخط مؤلفه وهي لاتكاد تقرأ لما فيها من سقم الحروف والشطب والتعليق قال في مقدمته : وبعد فيقول العبد الضعيف احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن حجر العسقلاني الاصل المصري المولد القاهري الدار هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان منذ مولدي سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة وهم جرا مفضلا في كل سنة احوال الدول ووفيات الاعيان مستوعبا لرواة الحديث خصوصا من اقيته او اجاز لي الى ان قال وسميته انباء الغمر بابناء العمر

وهاك نموذجا من تأليفه : سنة سبع وسبعين وسبع مائة : فيها في المحرم طهر السلطان اولاده وعمل لهم «مها» عظيما انفق فيه من الاموال الا يحصى وظهرت فيه من الفواحش والقبائح مالا مزيد عليه واستمر ذلك سبعة ايام . سنة اربع وسبعين وسبع مائة : وفيها كان الوباء بدمشق فدام مدة تسعة اشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر . سنة اربع وتسعين وسبع مائة : هجم على النائب بدمشق خمس انفس فقتلوه واخرجوا من الحبس من الميكاسه (?) وهم نحو مائة نفر وملكوا القلعة لحاجبهم الحاجب في عسكر دمشق وضيق عليهم الى ان غلبوا فاحرق عليهم الباب وامسكوا الثائرين فلم يبقوا منهم الا من هرب

وقال في اول الجزء الثاني وهو يتديء باول القرن التاسع من الهجرة مانصه : دخلت سنة احدى وثمان مائة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الظاهر ابو سعيد برقوق وسلطان الروم ابو يزيد بن عثمان وسلطان اليمن من نواحي تهامة الملك الاشرف

(١) جلاء العينين في حماكة الإحمدين للأوسمي

ومن نواحي الجبال الامام الزبيدي الحسيني وسلطان المغرب الادفي ابو فارس عبدالعزيز الحفصي وسلطان المغرب الاوسط المريني وسلطان المغرب الادفي ابن الاحمر وصاحب البلاد الشرقية ثيمور وكان المعروف بالملك وصاحب بغداد احمد بن ادريس وامير مكة حسن بن عجلان والخليفة العباسي ابو عبدالله محمد المتوكل على الله ويدعى امير المؤمنين وينازعه بهذا الاسم الامام الزبيدي وبعض ملوك المغرب وصاحب اليمن .

وقد امتد الكتاب الى سنة خمسين وثمانمائة وبديء به سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وقد ذكر صاحب كشف الظنون اذ يالا لانباء الغمر فمن انا بان نظفر بالاصل والفرع ويطبعا كما يطبع الدرر الكامنة

واما ناسخ الكتاب فهو البرهان البقاعي صاحب المناسبات ترجم له الضوء اللامع ترجمة مطولة وكلها مطاعن لانهما تدارسا العلم في سن الطلب واستفاد كل منهما من الآخر حتى عادت المطبعة فيما قاله فيه انه ابراهيم بن عمر البقاعي برهان الدين وكفى نفسه ابا الحسن الخرباوي البقاعي صاحب تلك العجائب والنوائب والقلائل والمسائل المتعارضة المتناقضة ولد فيما زعم ثمر بيا سنة تسع وثمانمائة بقرية يقال لها خربة روحا من عمل البقاع ونشأ بها ثم تحول الى دمشق ثم فارقها ودخل بيت المقدس ثم القاهرة قال ووقائعه كثيرة واحواله شهيرة ودعاويه مستفيضة اهلكه التيه والعجب وحب الشرف والسمعة بحيث زعم انه قيم العصرين بكتاب الله وسنة رسوله الى غير ذلك من المطاعن التي وجهها اليه وظهرت فيها نواجذ الشر والعداوة على انه من اهل العلم المذكورين في عصره والمعدودين من محاسن دهره ولو لم يكن له الا تفسيره في تناسب الآيات والسور الذي لم يؤولف في الاسلام مثله لكفاه فضلا ورحل في آخر امره الى دمشق واتخذها موطنه وتوفي في رجب سنة ٨٨٥ ودفن في مقبرة الحربية ضاهر الشويكة في دمشق الشام ويوجد في المكتبة الظاهرية من تفسيره المنوه به نختان عورضت احدهما على مؤلفها وبها خطه رحمه الله



المسلمون والبولونيون

في الغرب من مملكة روسيا وفي الجنوب من بروسيا وفي الشمال من النمسا بلاد متناحية الاطراف واسعة البقاع مخصبة الرباع كثيرة الانهار والغابات والمناجم اسمها بولونيا اي السهل باللغة الصقلية وهي المعروفة في تواريخ الانراك باسم « لهستان » قضى عليها نكد الطالع ان تفقد استقلالها لاختلاف كلمة امرائها وابنائها منذ نحو قرن ونصف فتقاسمتها روسيا والنمسا والمانيا وتبلغ مساحة بولونيا الروسية وفيها عاصمة البلاد القديمة « فارسوفيا » ١٢٧٠٣١٩ كيلومتراً مربعاً وسكانها ٩٦٤٥٦٠٠٠ واذا اضفنا اليهم سكان بولونيا النمساوية وبولونيا الالمانية يبلغ عددهم نحو عشرين مليوناً بحسب تقدير الجغرافيات الحديثة من اهل اوربا يدين نحو نصفهم بالكثلكة وباقيهم اسرائيليون وبرتستانات ومسلمون تاتار

ومناخ هذه البلاد شديد ولكنه معتدل في الجملة اذا قيس بمناخ روسيا وهو حار في الصيف بارد جداً في الشتاء ونقل فيها الثلوج وتجمد الانهار في الشتاء من شهرين ونصف الى ثلاثة اشهر ونصف وقد انتشرت فيها الصناعات لكثرة ما فيها من الفحم الحجري فاصبحت اهم اقاليم روسيا من هذه الوجهة اما التجارة فتكاد تكون محصورة في ايدي الاسرائيليين

وتاريخ هذه الامة القديم غامض اشبه باساطير حتى القرن التاسع للميلاد وغاية ما بعلم ان هذه الاقطار الممتدة بين البحر الاسود وبحر البلطيق كان يسكنها في الاصل شعوب اسمها الاتيس والهنت والفاند ثم زلها الصقالبة . واول زعيم انشأ مملكة بولونيا فلاح صالح اسمه يياست فحكمها الى سنة ١٣٣٣ ودخلت النصرانية الى بولونيا على يد ميسيسلاس الاول (٩٦٢—٩٩٢) وانضمت بلاد ليتوانيا الى بولونيا في القرن الرابع عشر بزواج هدويج ابنة كازمير الاول (١٣٣٣—١٣٧٠) من لاديسلاس جاجلون

وفي اوائل القرن الخامس عشراي وفي العهد الذي بدأت تنشأ فيه اوربا ممالك مطلقة الحكم مستبدة السلطان بدأ الفشل السياسي والفوضى الادارية تدب في مملكة بولونيا مما جعل تقسيمها وحذفها من رقعة السياسة الاوربية وذلك لاختلاف مصالح البلادين ليتوانيا وبولونيا واختلاف لسانيهما فكانت مجالس النواب في الولايات متباينة

المقاصد تعاكس الملك في اقل الامور حتى في عزل الموظفين الذين كانوا يعينون بلا عزل مدة حياتهم واقل صاحب رأي في الانتخاب يوقف عمل الاكثرية ويفسد عليها امرها حتى انقلبت الحال بعد ان كتب النصر لبولونيا على الهوسيين وفرسان حملة السيوف ان تبقى بلا حكومة ولا جيش ماعلا ايام أسرة نجلون

قد بدأ المخطط بولونيا على عهد سيجسموند فازا سنة ١٦١٨ فاصيحت المملكة بدون مالية ولايت ملك وطني بل كان ينتقل الملك من فرنسويي يعينه مجلس النواب الى مجري هذا وليس للبلااد حدود طبيعية تحميها من هجمات المهاجرين

ثم عادت الى البلااد بعض حياتها على عهد يوحنا سويسكي (١٦٧٤ - ١٦٩٥) فاصبح لها بعض مجد بجيش لما نظمته بالجيش البولوني أنقذت « فينا » من ايدي العثمانيين الذين حاصروها ولكن لم تعد نجدة البولونيين للنمساوين بشيء من الفائدة عليهم ولا على حكومتهم . وخلف المنتخب فريدريك اغطس في ساكس ملكها سويسكي فاستند الى امارته سكسونيا فاستقام له امر بولونيا ثم خلع وتدخلت روسيا في امره ثم نشأ خصام بين بيوت الملك في بولونيا يدعي كل منهم حق التملك على البلااد وفي سنة ١٧٦٤ قضت ارادة كاترينا الثانية صاحبة روسيا بتأييد سانيسلان يونيانوفسكي على عرش السلطنة البولونية وفي وسط ذلك الاضطراب كثرت الانقسامات الداخلية وجاءت الفتن الدينية التي كانت هادئة هناك فانضمت الى المنافسات السياسية وذلك بما تخلل الامر من عبث الاصابع الاجنبية فاستصرخ الاروام كاترينا الثانية ^(١) امبراطورة روسيا واستجبت البرتسانت ماري تريز ملكة النمسا وفريدريك الثاني . وكان لروسيا نفوذ في مجلس نواب سنة ١٧٦٦ فسعت الى اطلاق حرية المذهب والفت حرية الانتخاب فاستقام امر الحكومة وكان الاضطراب على اتمه عندما أُلّف سنة ١٧٦٨ اتحاد بار يضمن احترام الاستقلال الوطني ولكن كان قد سبق السيف العذل فتقرر بين روسيا والنمسا سنة ١٧٧٢ تقسيم بولونيا ولم يقاوم في ذلك من الدول سوى الدولة العلية فتقاسمت النمسا والمانيا وروسيا تلك المملكة العظمى وفي سنة ١٧٩٥ قسمت البلااد نهائيا فوقعت العاصمة اي فارسوفيا من حصّة روسيا وكرا كوفيا وفيها كلية بولونيا العظمى من حظ النمسا وفالت بروسيا ببقية المملكة ثم نظم جزءا منها مملكة جديدة ولكنها انتقضت واثارت سنة ١٨٣٠ افدخل الروس الى فارسوفيا بعد ان ابلى البولونيون بلا حسنا فاحتلت مملكة فارسوفيا

واقفلت كلية فيلنا البولونية وصادرت الاموال ونفت الرجال فاصبحت بولونيا ولاية روسية وقام البولونيون سنة ١٨٦٣ ثانية وحملهم على الانتفاض ما رأوه من اشتغال روسيا في حرب الشرق فألف البولونيون منهم عسكرياً لا يبق ولا يذر وبالنظر لقلته عدده تمكنت روسيا من قمع جماع الفتنة بعد سنة من نشوبها وما بقي منذ ذلك العهد حال بولونيا في الولايات الروسية ايلالا الى نزع لغتها وابدالها باللغة الروسية وتدريب اهلها على المناحي الروسية وكذلك حال ولايات بروسيا آخذ بالصيغة الالمانية الجرمانية

هذا اجمال من تاريخ انقسام مملكة بولونيا اما حالتها الادبية والعمرانية فان لغتها من فروع اللغات السلافية الغربية وقريبة جداً من اللغة الكسافية واللغة البولابية . وفي بولونيا عدة لهجات وقد نشأ من كلية كراكوفيا التي انشأها كازمير الاكبر عدة رجال في الفلسفة والعلم منهم كوبرنيك الفلكي ونجحت اللغة البولونية على عهد ملوكها من أسرة جاجلون وذلك بفضل دعاة المذهب البروتستانتي الذين اختاروا نشر تعاليمهم بلغة الشعب وعلى عهد بوخنا كوشانوفسكي سلم ذوق اللغة وتألقت على القواعد العلمية المألوفة لليونان والرومان ودام ذلك الى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وهما قرنا الانحطاط لان القوم شغلوا بالفن الداخلية فلم يعد احد ينظر في الادب وداهمت اللغة مفردات من اللغات الاجنبية .

وقد نشأ للآداب البولونية شعراء وكتاب كبار ومؤلفون وعواظ واثريون وموءرخون وجغرافيون وقصصيون ودخل الشعر البولوني على عهد ثورة سنة ١٨٣٠ في طور جديد واثرت في عقول الناهضين من شبانهم احوال الفن وانطلقت السنهم بالشعر الممزوج بعواطف النفوس المثألة ودامت طبقة الشعر في ارقاء الى اواخر القرن التاسع عشر بما نشأ لهم من الشعراء بل والشاعرات المجيدات الذين حركوا كوامن النفوس وهياؤها لمطلب الكمال والاستقلال وساعد القصصيون خاصة بما نشره من الاساطير والروايات على ترقية اللغة البولونية وادخل حياة جديدة فيها في العهد الاخير دع عنك من خرج من هذه الامة من الفلاسفة والمؤرخين

وان ما بقي من الآثار القليلة والعاديات في تلك البلاد ليدل دلالة واضحة على ان قدماء الصقالة كانوا يحبون الصناعات والفنون وكذلك كانت الحال في القرون الوسطى في بولونيا فان ملوكها حموا حى الصنائع النفيسة فكانوا يأتون من ايطاليا بالبناثين والنقاشين والمصورين حتى جاراهم البولونيون وناقسوم في هذه الاعمال بعد .

ولكن الفتن التي استطار شرارها في القرنين الاخيرين سلب من نفوس البولونيين قرارها فهايموا على وجوههم بعد فقد استقلالهم في طول اوربا واميركا وعرضهما وكثر منهم المهاجرون ولاسيا الى اميركا الشمالية حتى قيل انهم بلغوا نحو مليوني بولوني يحافظون الى اليوم على لغتهم وآدابهم وعاداتهم القومية

وللبولونيين غرام فائق في احتفاظهم بلغتهم وتناغمهم بثار يجهم قترام كلما طال المطال على تمزق ملكهم يحزنون لاسترجاعه ونفوى عزائمهم على المطالبة به ولكن اوربا او الساسة من اهلهما قد قدت قلوبهم من حجر فلا تسمع لباك ولا تحرم كل شاك. على ان البولونيين لم يعتمدوا بعد التجارب الكثيرة الا على انفسهم فكانوا ومازالوا يستعدون في بلادهم وخارجها للتربية الحربية حتى لا تزول منهم ملكة الكر والفر وقد انشأوا لغرض الاستقلال جمعيات بثوا دعائها في بلادهم وفي اوربا واميركا يجمعون المال الى ايام الشدة وهذا المال يحفظونه في الغالب في فروع جمعياتهم في سويسرا وقد صرفوها كلها في الفتن الاخيرة التي ثارت في بولونيا الروسية عقيب حرب روسيا مع اليابان فكانت تأتينا اخبار فارسوفيا بفضائع البولونيين وشدة حكومة روسيا في قطع دابر الفتن. وفي سويسرا ايضا حفظ البولونيون تاج آخر ملوكهم وصولجانه ونموذجا من البستهم جعلوها في متحف خاص

ولما انتشرت الحرية بعض الشيء في روسيا تنفس خناق البولونيين وقاموا يعيدون ايجاد آدابهم بمدارسهم ولم تتل روسيا مأربا من نزع لغتهم وتلفيتهم لغتها بالقوة بل عادت اللغة البولونية اكثر انذارا مما كانت قبل انقسام بلادهم ومن الغريب ان التشتت الذي اصاب اهلهما والسعي الحثيث في معاملة مدارسها بالشدة في المانيا وروسيا لم تسفر الا عن اندماج كثير من اليهود والجرمانيين في الجنسية البولونية لان البولونيين من اقدر الامم على جلب غيرهم اليهم كأن من خواص شعبهم ان يأخذ ولا يعطي

كانت النمسا ومازالت ارفق الدول الثلاث الكبرى التي تقاسمت بينها بولونيا بهذه الامة ولغتها وآدابها وعاداتها ولذلك كان اخلاص البولونيين لها اكثر من اخلاصهم للامان والروس لانها ساوتهم بسائر عنادها فلم يستغفروا ظلمها ولا تبرموا بادارتها .

ولكثرة اندماج الالمانيين والاسرائيليين بالبولونيين من حيث يشعرون ولا يشعرون زادت نفوس فارسوفيا زيادة هائلة حتى بلغت الآن ثمانمائة الف وكانت اقل من خمسين الفا ايام التقسيم وعدت من عواصم بلاد اوربا وبالنظر لخصب البلاد وعراقتها في

الصناعات والتجارات ونشاط اهلها اكثر من سائر العناصر السلافية بلغت مداخيل
المصنوعات البولونية ٤٢٠ مليون روبل وكانت اقل من ثلاثين وبلغت قيمة الثروة العامة
في بولونيا الالمانية نحو الف وثلاثمائة مليون مارك وكانت نحو اربعمائة مليون
وهكذا تجد تجارتها واسعة باتساع غاباتها ومناجمها وخصب تربتها واقتصاد اهلها
على الصناعة والتقليد حتى حاكوا اعرق الامم الغربية في الحضارة ويكفي ان كوري
مخترع الراديو هو وعقيلته من اهل بولونيا وان في اهل اوربا كثيرين ممن نعرفهم الآن
فرنسيين او المائنين او نموسيين او انكليزيين وهم في الحقيقة بولونيون لغة ومنشأً .

وبعد فيقدر وقد اتصل بنا نفس الكلام في هذا البحث الى هذا الحد ان نلم بطرف
من تاريخ هذه الامة وعلاقتها بالمسلمين ولا سيما بدولة آل عثمان فقد بدأت الصلات المهمة
بين بولونيا والامم الاسلامية ^(١) على عهد لاديسلاس جابلون والسلطان مراد العثماني
وحاكم بلاد المجر على ذلك العهد يوحنا هونياد وهو تابع لبولونيا وكانت تحدث مشاكل
على الدوام بين جيشه وجيش السلطان وبعد حروب وفتن كتب فيها النصر تارة للعثمانيين
واخرى للجريين شملت نفوس الطرفين القتال فطلب السلطان مراد التوسط بالصلح
الى صاحب بولونيا فوقع على صكه في ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤) لمدة
عشر سنين على ان يعيد السلطان بلاد الصرب الى ملكها وان تضم بلاد الفلاخ الى
المجر وبفتدي السلطان صهره محمد جلبي الذي أسر في وقعة كونو بيرا بسبعين الف دوكا
(٨٠٥٠٠٠٠ فرنك)

واذ صادف ان السلطان مراد تنازل عن عرش الملك لابنه محمد طمعت اوربا في
السلطنة ورأت ان الفرصة مناسبة للذيل منها وعلى عرشها فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة
من عمره فطلب الى صاحب بولونيا ان يشارك الدول في تحالفهن على العثمانية فابى للعهد
الذي عقده قبل مع سلطان العثمانيين فارسل اليه البابا اوجين الرابع بصرح بانه
لا خشية في بعض الاحوال من الخنث بالايمان ومثل له بنفسه اذ نه جبرثا في سفن
على نفقته وسمى نفسه رئيس العصبة فاضطر صاحب بولونيا ان يسير على الخطه التي رسمها

(١) كتاب بولونيا والاسلام لصديقنا سيف الدين افندي كاشنوت البولوني

Thadée Gaxtowski. La Pologne et l'Islam.
Paris Société Française d'Imprimerie et de Li-
brairie 15 Rue de Cluny, 1907

امام الاحبار فانفذ بعوثه الى اقليم تراسيا واشتبك القتال بين المجريين والبولونيين والفلاحيين من جهة والعثمانيين من اخرى ونزل السلطان مراد بنفسه الى ساحة الوغى بدل ابنه الذي خلفه فقتل احد شيوخ العسكر العثماني واسمه خوجه خير. ملك بولونيا فذهب الفشل في الجيش المتحزب كله وذلك في رجب سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤)

قال المؤرخ ليونارد شودزوكو : « قال السلطان مراد بينما هو يطوف ساحة الوغى مع امين سره اذ يب بك لما رأى صرعى الحرب من اعداء : اليس من الغريب ان يكون كل هذا الجيش مؤلفاً من شبان وليس فيه شيخ واحد فاجابه اذ يب بك : لو كان فيه شيخ واحد لما اتى بنفسه في مثل هذه الورطة المجنونة » وقد فقد جيوش المحاربين في تلك الوقعة اشياء ثمينه ومنها سجلات ملك بولونيا فقدت مع ما فقد عند مصرعه وهي خسارة كبرى .

وفي سنة ١٤٤٧ كان التاتار في بلاد القريم في حروب دائمة فاجمع رأيهم على ان يحكموا كازمير جاجلون ملك بولونيا ودوق ليتوانيا فيما شجر بينهم فقتل بعض المنكوبين من التاتار في بلاد ليتوانيا على الركب والسعة واعطاهم صاحب بولونيا اراضي يتوفرون على زراعتها واخلصوا له ودافعوا في مواقع القتال عن حوزة بلاده واطلاق لم حريتهم الدينية حتى استال بذلك قلوبهم وجاء الملك لاديسلاس الرابع وابد امتيازاتهم فانشأوا لهم جوامع ومنارات وبعد ان كانوا بادية رحالة اصبحوا مزارعين ساكنين وادعين وفي سنة ١٤٩٤ جمع يوحنا البر ملك بولونيا بعض امراء النصرانية في جواره وتحالفوا على قتال العثمانيين فساق السلطان بايزيد جيشاً مؤلفاً من اربعين الف جندي اجتازوا نهر الطونة وانضموا الى الفلاحيين وهجموا سنة ١٨٩٤ على بلاد بولونيا وكان صدر الامر السلطاني الى والي سيلسترا ان يهاجم البولونيين ففتح العثمانيون البلاد على ايسر وجه لانبساط سهولها واستولوا على بعض مواقعها في وقتين ظفروا فيها ولكن داهم الجيش العثماني برد فارس وثلج واعاصير فهلك منه اربعون الفا ولم يسلم سوى عشرة آلاف جندي عادوا ادراجهم يمتازون نهر الطونة

واذ تحالف ملك بولونيا مع ملك المجر وملك ليتوانيا اضطر السلطان بايزيد ان يعث الى كراكونيا سفراً لعقد الصلح . وفي سنة ١٥٢١ ارسل السلطان سليمان الاول الى بلاد المجر سفيراً لم يجبه المجر يون الا بخنق سفيره فساق السلطان على المجر قوة من جيشه غلب بها المجر ولئن امددهم صاحب بولونيا بستة آلاف جندي لكن قوة الدولة العلية كانت

اعظم وعاد السلطان سليمان في ربيع سنة ١٥٢٦ ايضاً في قوة من رجاله على بلاد المجر فامد صاحبها ملك بولونيا ولكن قوة الدولة العثمانية تغلبت فكتب النصر لاعلامها وهلك في المعركة لويز الثاني ملك المجر في خمسة وعشرين الفا من رجاله

ثم سار سليمان الى جهات المجر وارجع البلاد الى ملكها الشرعي وانقلبت الحال فتحالف سلطان العثمانيين مع ملكي بولونيا وفرنسا وتزوج السلطان سليمان بروكسلان من سبايا البولونيات فيسغفته حباً واتخذها سلطانة شرعية وسماها خرمًا وكانت على غاية من الجمال والادب والذكاء ولكنها صرقت ذكاءها الى الخبث فكانت القاضية على السلطان ان يعامل ابنه معاملة بربرية شهدت لها توار يخ العثمانيين فقتله بدسائسها

وفي سنة ١٥٧٢ اعانت بولونيا الدولة العلية عند ماتداخات هذه لاقرار الامن في نضابه في اقليم مولادافيا وسعت الدولة العلية كل السعي ان يبقى التحالف مستحكما بينها وبين فرنسا وبولونيا لدفع عوادي النمسا ولكن حكم بولونياملوك لم يعدوا لهذا الامر عدته . وفي سنة ١٥٧٦ تحالف السلطان مراد الثالث مع اتين باتوري امير ترانسلفانيا وملك بولونيا وحدثت هذه المعاهدة سنة ١٦١٩

ولكن امير ترانسلفانيا واسمه بتم كايور كان يطمع في الاستيلاء على المجر فحرض العثمانيين والتاتار على البولونيين فوقعت بين صاحبي بولونيا والعثمانية وقعة اخرى سنة ١٦٢٠ كسر فيها البولونيون وفي سنة ١٦٢١ قام السلطان عثمان الثاني في مئة الف من جنده قاصداً الى بولونيا فدحر جيشه ولما رأى انه فقد منه شئون الفاضل اضطر يوم ٢٣ ذي القعدة ١٠٣٠ الى عقد صلح صدق عليه في الاستانة سنة ١٦٢٣ سفير بولونيا

ثم ان روسيا اهاجت خاطر السلطان مراد الرابع على بولونيا ولكن حكمة صاحب بولونيا قضت بحقق الدماء وان كان ازمع السلطان العثماني ان يملأ بجيوشه السهل والوعر في بولونيا لكن السفير البولوني تطف في السفارة واغضى عما سمع من السلطان من ارادة هذا ان تدين بولونيا بالاسلام وتذكر حصونها وتؤدي اليه الجزية فعقدت بين الدولة العثمانية وبولونيا معاهدة سنة ١٦٣٤ كانت نافعة للبولونيين . وفي تلك السنة بدأت روسيا بحجة الدفاع عن مسيحي الشرق تدس الدسائس .

خدم نالي بك وهو بولوني واسمه الاصلي بوبوفسكي الباب العالي اعظم خدeme في

القرن السابع عشر كما خدم البولونيون والليتوانيين فقد عينته الدولة مترجماً في الباب العالي وكان يحسن سبع عشرة لغة

وفي سنة ١٦٧٢ زادت الاخطار التي كانت تهدد بولونيا منذ سنة ١٦٥٢ فكان قيصر الروس يدس الدسائس بين القوزاق والتاتار والأتراك ليحملهم على النيل من البولونيين حتى كان من السلطان محمد الرابع ان اعلن عليهم الحرب في نيسان سنة ١٦٧٢ فاستولى على كامينيك بودولسكي وليوبول وكلي اهم المواقع الحصينة من اقليم روتينيا غاليسيا . فطلب صاحب بولونيا الصلح من السلطان وتحت بولونيا للباب العالي عن بودولي واوكرين وان تدفع اليه جزية سنوية قدرها ٢٢٠ الف دوكا الا ان الامة البولونية لم ترض ان تدفع مثل هذه الجزية لما رأت فيها من العار عليها وآثرت ان تعود الى الحرب تموت في ساحاتها من ان تقبل بشروط ارتضاها ملك لها مأفون الرأي ضعيف الحول والطول فعاد السلطان محمد الرابع الى القتال وهاجم سويسكي جيوش العثمانيين في شوسيم على نهر دنيستر واستولى على المدينة ورجع العثمانيون على اعقابهم الى بابا طاغ حيث كان السلطان مخبئاً فصادف ان مات في ذاك الحين ملك بولونيا فانصرف سويسكي الى فارسوفيا للاشتراك في انتخاب ملك لبولونيا فقدر انتخابه ملكاً لها مكافأة له على الخدمة التي قدمها لامة . وعاد الى قتال العثمانيين فبهزمهم في بودوليا واوكرانيا وفي ١٩ شعبان ١٠٨٢ هـ عقد الصلح على ان لا تدفع بولونيا شيئاً ويبقى لها قسم من اقليم بودوليا ويحتفظ العثمانيون بكامينيك وان تكون مغاليج الاماكن المقدسة بيد بولونيا لانها دولة تسامح لا تتعصب لكاثوليكي ولا لرومي ولا لبرستانتني ولا لغيرهم من اهل الاديان وذلك على الرغم من ارادة روسيا فصفت العلائق بين الدولة العثمانية وحكومة بولونيا

• ولما سافت الدولة العثمانية على فينا مائة وخمسين الف رجل وكادت تستولي عليها انجد صاحب بولونيا صاحب النمسا فارتد العثمانيون عن عاصمة النمسا ثم اقتتل الجيش العثماني مع الجيش النمساوي سنة ١٦٩١ في سالانكم على نهر الطونة فغلب العثمانيون اولاً ثم انهزموا فاقدن ثلاثين الفا من رجالهم وفي سنة ١٦٩٤ رد البولونيون العثمانيين من كامينيك بودولسكي

ونال العثمانيون على عهد ميخائيل الثاني عدة نصرات على جمهورية البنادقة واستولوا على الهرسك وامدوها بالذخائر وجاز السلطان في جيشه الطونة ماراً بأق بنار

(كارلسبرج) وتمسور ولاغوس وقاتل النمساويين فقتل زعيمهم وقتل العثمانيون من الروس في ازوف ثلاثين الفأثم فشل العثمانيون في غرة صفر ١١٠٨ في تسيا على يد النمساويين وكان العثمانيون يريدون انقاذ بلاد المجر من النمساويين وفي خلال ذلك اجتمع ملوك اوربا للمرة الاولى لحل الاختلافات التي كانت بين الدولة العلية العثمانية وبين سبع دول من دول اوربا وبموجب ماتم من هذا الاجتماع ارجعت الدولة العلية الى بولونيا كامينيك وبودوليا واوركرونا وتخلت الاولى للثانية عن الخراج الذي كانت تعقاضه منها ومنذ ذاك العهد تصافت بولونيا والعلية لانهما ايقنتا بدسائس حكومات اوربا التي يقصد بها اضعاف الفريقين فكانت اوربا تترك روسيا تعتدي على العثمانية وبولونيا والسويد بدون ان تطالبها باحكام العدل والانصاف ومراعاة حق الجوار نعم كانت تعضي عن روسيا لتتال قسطها من الارض العثمانية والبولونية والسويدية

نشبت حرب هائلة على عهد السلطان احمد الثالث بين السويد وروسيا وبولونيا وسكسونيا دامت مئذسنة ١٧٠٠ الى سنة ١٧٠٩ فانهمزم السويديون والبولونيون ولجأوا الى الارض العثمانية فزولوا في بندر من اقليم بيسرابيا فاكرمت العثمانية مثوام الا ان روسيا لحقت بالمنهمزمين الى الارض العثمانية وفي خلال ذلك دخل الاسطول الروسي الى الاسطانة فاغناظ السلطان واعلن الحرب عاهداً بقيادتها العامة الى الصدر محمد باشا البلطجي وحي وطيس القتال بين عساكر الدولة يعضدها اناس من البولونيين وبين الروس في سهول هوسكب فاركب الله القائد العثماني اكتاف العدو ولكن القائد العثماني عاد فارتشي من كاترينا الاولى ملكة روسيا وعقد بين دولته والامبراطورية الروسية معاهدة اجحفت بمحتوق امته فعزله السلطان ونفاه الى جزيرة مانوس وقتل ختقاً من ارتشوا معه من رجال الدولة اذ ذاك مثل وزير الداخلية ورئيس الكتاب وغيرهما واعلن السلطان ان هذه المعاهدة بين الدولة العلية وروسيا لاغية وعاد الى اعلان الحرب على العدو سنة ١٧١١ بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم فاوقفت الحرب بسعي الروس في الاسطانة وعقدت معاهدة جديدة بين المتحاربين فوقع رجال روسيا على عهد الصلح ليشغلوا الدولة وينغموا الوقت فلما ابلغوا مضمون المعاهدة للقيصر ابى الاقرار عليها فاعلن السلطان الحرب في شوال سنة ١١٢٤ ولم يظفر الروس في هذه الوقعة بالعثمانيين الا لان وزارتي لندرا والهائي كانتا تعضدانه على العثمانية وبولونيا والسويد وبمساعدها اوقفت

الدولة العلية الحروب ووقعت في ادرنة يوم ١٣ حزيران ١٧١٣ على معاهدة صلح الي مدة خمس وعشرين سنة ولم تراع فيها مصلحة الدولة العلية وعادت روسيا فعقدت معاهدة اخرى مع الدولة العلية سنة ١٧٢٠ من مقتضاها انه يحق لها التدخل في شؤون بولونيا .

توفي السلطان احمد الثالث سنة ١١٤٩ هـ وخلفه السلطان محمود الاول فخارب الفرس واضطر الى التخلي عن تبريز وفي سنة ١١٤٩ هـ وقع الفرس والعثمانيون على هدنة لتفترغ الدولة العثمانية لمقاومة اعتداء روسيا والنمسا . وازمعت روسيا ان تجتاز بيجوشها بلاد بولونيا لتدهام الارض العثمانية فاغتاظ لذلك السلطان محمود لانه مخالف للعهد الموقع عليها ولم يسمع الروس لاحتجاج العثمانية فحاصروا مدينة ازوف واضطرت الحكومة العثمانية ان تسوق جيشا في ٦ صفر ١١٤٩ هـ (١٧٣٦) وكانت قد سقطت المدينة قبل ان يجدها الجيش العثماني واستولت روسيا على اوتشاكوف وكيبورن وعلى كوزلوف وبغجه سراي وآق مسجد من بلاد القريم واتى الروس من الفطائع في هذه الوقائع ماسطره لم التاريخ باحرف من نار حتى كتب المسيو كاستلنو في تاريخه الذي قدمه الى القيصر اسكندر الاول بشأن هذه الوقائع مانعريه : ان الحملة لم تول روسيا شرفا فان بلاد القريم احرقت ودمرت وربما كان مثل هذا العمل يفتخر على عهد البربر لما فطروا عليه من الجهل ولكن احراق المدن في القرن الثامن عشر وتخريب اهم المصانع والآثار وتدمير المعابد وابداء المدارس العامة وادخال الظلام على العقول باحراق خزائن كتب الامة التي تريد الانتفاع بها في اثار افكارها والقاء الشيوخ والنساء والاولاد طعنة للزيران لا يقصد منه الحرب بل اهلاك شعب عن بكرة ابيه »

وتحالفت روسيا والنمسا محالفة دفاعية وهجومية واحتاثت الثانية لعقد مؤتمر مؤلف من مندوبيها ومندوبي روسيا والدولة العثمانية فرأى الروس بموجب المعاهدة المبرمة ان تلقى جميع المحالقات التي كانت أبرمت بين الدولة العلية وامبراطورية روسيا وان تسلم الى هذه بلاد القريم وكوبان وجميع البلاد التي نزلها التاتار ويعترف ببولدافيا وفلاخيا بانهما امارتان مستقلتان تحت رعاية روسيا ويعترف بان ملوك الروس هم قياصرة وان تدخل السفن الروسية حرة الى البحر الابيض من خليجي البوسفور والبردرنيل فلم تعرض الدولة بهذه الشروط المجحفة وعادت النمسا تستعجميت قولها وحجج الرطيس في بلاد

البلقان وهزم العثمانيون العدو حتى اضطر الروس الى ان يحرقوا بانفسهم اسطولهم في بحر ازوف لئلا يسقط في ايدي العثمانيين

وفي سنة ١٧٣٩ عقد المصلح بوساطة فرنسا بين الدولة العثمانية من جهة ودولتي النمسلوروسيا من اخرى واعادت النمسا بلغراد وسابا كرا ورسوفا وغيرها واصبح نهر الطونة والساف تحوماً بينها وبين الدولة العثمانية وقضت المعاهدة الاخيرة على روسيا ان تهدم حصون ازوف وتاكنروج وتسحب سفنها من بحر ازوف والبحر الاسود ولا تتجبر الا على السفن الاجنبية وان تظل القريم مستقلة وتنال لقاء بذلك حرية المذهب الارثوذكسي في المملكة العثمانية وان تنضم لها سفيراً دائماً في الاستانة ووعد السلطان ان يمنح لقب امبراطورة للقيصرية حنة ايفانوفنا . ولم يجر في هذه المحالفة ذكر لبولونيا . وكان من نتائج هذه المعاهدة ان عرف الارثوذكس بكي عهد السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٧ بان روسيا تعضدهم في البلاد العثمانية فكان اول عمل لم ان ينهبوا دير الكاثوليك في يافا وهجموا على الفرنسيسكانيين وغيرهم من البابويين حتى في كنيسة التبر المقدس وكسروا المصاييح والآثار وغيرها وجردوا الرهبان مما كان لهم

ولما ابى اغسطس الثالث ملك بولونيا ان يدخل مع اعداء الدولة العلية في مخالفة ضدها اعترف به الباب العالي ملكاً وارسل من قبله الى فارسوفيا عاصمة البولونيين مندوباً سنة ١٧٣٧ وذلك على عهد السلطان عثمان الثالث وكذلك ابلى السلطان مصطفى الثالث بعد ثلاث سنين صاحب بولونيا بجلوسه على العرش وبدأت العلاقات الحسنة بين الدولة العلية وحكومة بولونيا حتى كانت الدولة تصدر اوامرها المرة بعد المرة الى عمالها في شوسيم وبندر والى خان القريم ان لا يكذبوا صفو الصلات بينهم وبين بولونيا واذا نشأ على التقوم خلاف يحلونه بالحسنى

وادخلت روسيا في خضوع ذلك جنداً لها الى ارض بولونيا فاعترض الباب العالي عليها فاجابه بانها تنوي اطفاء فتنة داخلية وان العهد نقضي بان لا تندخل العثمانية في الشؤون البولونية ومع هذا اصر الباب العالي فاضطرت بولونيا ان تقسم الخلاف الذي كان قد حدث بين الشعب بداعي انتخاب ملك جديد فاتحدت بولونيا على امرينها تحت حماية الدولة العلية حتى ان السلطان مصطفى الثالث لما ذهب الى جامع ايوب ليتقدس سيف عثمان الاول على المادة قدم له الجنود كأس مشروب على نحو ماجرت العادة فاجابهم انه يرجو في المربع القادم ان يشربه معهم على اسوار بندر وضفاف دينبر

ولقد كانت جل رغائب روسيا في ذاك العهد ان تقسم بلاد السويد والدولة العثمانية وبولونيا فكانت تسعى الى ذلك بكل حيلة وتجديد عن كل مخالفة كما فعلت سنة ١٧٦٧ بالاتفاق سرّاً مع ملك بروسيا وادخلت جيوشها الى بولونيا فاغتالت الدولة العلية لذلك اذ عدت هذه مقدمة الى جلب الدب الاكبر الى جوارها واعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب على كاترينة الثانية سنة ١١٨٢ هـ .

وفي سنة ١٧٦٩ و ١٧٧٠ حدث بين الدولة العلية وروسيا وقائع كتب فيها الظفر للروس ولاسيا في الحرب البحرية التي هاجم فيها الاسطول الروسي الاسطول العثماني في نافرين واحرق السفن العثمانية بقيادة ربان انكليزي واحرق مدينة تشسما بالقرب من ازميز وسمع صوت القذائف الى بعد خمسين فرسخاً والى ازميز حتى بعد ستة فراسخ ودام الحريق من الساعة الواحدة بعد نصف الليل الى الساعة السادسة صباحاً وكان ذلك في ٣ ربيع الاول سنة ١١٨٣ هـ فغسر العثمانيون خمس عشرة سفينة في كل منها ٢٤ الى ١٠٠ مدفع وتسع سفن في كل واحدة منها من ١٥ الى ٣٠ وعدة مراكب واستاق الروس سفينة فيها ستون مدفعاً وخمسة زوارق ودامت الحرب بين الدولتين سنة ١٧٧١ و ١٧٧٢ واستولى الروس على القريم واحبوا عقد الصلح الا ان السلطان نشر في المحرم سنة ١١٨٧ (١٧٧٣) منشوراً يعلن فيه الحرب على روسيا فظفر الجيش العثماني في عدة وقائع في سنتي ١٧٧٣ و ١٧٧٤ وردوا الروس عن تجاوز نهر الطونة والى ماوراء سيلسترا وبينما النصر كان حليف اعلامهم توفي السلطان مصطفى الثالث وكان قبيل وفاته اخذ منشوراً من حكومات بروسيا والنمسا وروسيا باتفاقهن على تقسيم بولونيا تقسيماً اولياً وذلك في سنة ١٧٧٢

وخلف عبد الحميد الاول اخاه مصطفى الثالث وفي ايامه اتفقت روسيا والنمسا على حرب الدولة العثمانية فاستوليا على اوتشاكوف سنة ١٧٨٨ وفي خلال ذلك كانت المانيا تحاصر بلغراد فحزن السلطان لما نال ملكه حتى مات قهراً سنة ١٧٨٩ وظل خلفه سليم الثالث يحارب تينك الدولتين ولكن ردت الجيوش العثمانية على اعتابها واستولى الظافرون على بندر وغيرها واستولى النمساويون على بلغراد وسائر مدن الطونة وفي خلال ذلك احبت انكلترا وبروسيا والنمسا ان تحمل روسيا على توقيف الحرب على العثمانيين لاشتغالهم بشورة فرنسا الاولى ولكن كاترينا صاحبة روسيا رأت الفرصة مناسبة لدوام الحرب واتمام رغائبها بشأن العثمانية وبولونيا الا ان جيوش العثمانيين ظفروا في عدة مواقع

بالجيش الروسي وذلك في البحر الاسود بالقرب من يكي قوله ثم بالقرب من آق بر (سباستبول) وانهزم امير البحر الروسي في ١٨ ايلول سنة ١٧٩٠ وتبدد اسطوله وبعد خمس وستين سنة في ٨ ايلول اي سنة ١٨٥٥ سقطت سباستبول ايضاً وفي خلال ذلك حدث لروسيا ما شغلها ببولونيا فعقدت الصلح مع الدولة العلية وفي سنة ١٧٩٣ قسمت بولونيا تقسيماً ثانياً وفي سنة ١٧٩٥ قسمت تقسيماً ثالثاً بين الدول الثلاث ولم تفر دولة من الدول بنيت شقة في الاعتراض على هذا العمل الا الدولة العلية التي اعترضت على نزع استقلال بولونيا بالقول والفعل ولكن قدر فكان واستولت روسيا وبروسيا والنمسا على بلاد البولونيين بعد مذايح بيعت فيها الارواح بيع المجان.

ولقد عذمت حكومات اوربا سنة ١٨١٥ ان تقيم في فينا مؤتمراً دولياً لتقرير حال السياسة وسعت روسيا ان لا يقبل فيه مندوب من الدولة العلية فنجحت في مسعاها وكان من اثر ذلك ان اخذت روسيا تحرض اليونان والصرب ^{الذين} اغار من رعايا الدولة العلية على نزع ايديهم من حكومتهم ففضي في دسائس ^{التي} ^{قامت} العناصر ومن المسلمين ايضاً

وحدثت بين سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤٨ عدة فتن داخلية في البلاد العثمانية وكذلك في بلاد الفلاخ والجر وتدخل الباب العالي في شؤون ولايات الطونة واهم ذلك فتنة الجر ولو جرت الدولة العلية على تحالفها مع بولونيا والجر وعصرها من العناصر التي تحب العثمانيين كثيراً لنجت هي وهم من غوائل سياسية كثيرة

قلنا ان الدولة العلية ناهضت لحفظ استقلال بولونيا بالقول والفعل وذلك على عهد مصطفى الثالث الذي اعلن الحرب على كاترينا الثانية لمجرد الدفاع عن بولونيا فبعثت الدولة الصدر محمد امين باشا الى تخوم نهري الطونة ودينستر سنة ١٧٦٨ فحاولت كاترينا ان تدخل اليه السم فاكتشفت المكيدة وشنق الاطباء ولكن عاد الصدر فتناول رشوة من روسيا هو وامير مولدا فيا وترجمان الباب العالي فلما اكتشف السلطان امرهم امر باعدامهم في آب سنة ١٧٦٩ وارسل الباب العالي قائداً آخر ودام القتال بين البولونيين والعثمانيين من جهة وبين الروس من جهة أخرى الى سنة ١٧٧٠ وانتهى على مامر بك اتفاقاً بتدمير الاسطول العثماني في تلك الوقعة المشهورة

فالمسلمون والبولونيون اصدقاؤه منذ عرفوا ما يكيد لهم اعداؤهم حتى ان بولونيا لم ترسل بجيش منها مع جيوش الصليبيين الى الشرق لما قام هؤلاء باستخلاص البيت المقدس

من ايدي المسلمين . ويكفي في عنابة الدولة بالبولونيين وعنايتها بالمجربين ايضاً انها فحمت صدر بلادها لقبول المنكوبين منهم والعاملين على انهاض بلادهم واسترجاع سلطانهم فانزلتهم في ارضها على الرحب والسعة ووسدت الى بعضهم المناصب واستعانت بهم على نقوبة كلمتها الجفدية والسياسية حتى ان الدولة لما ارسلت الى مؤتمر بكرش الدولي مندوباً من قبلها في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اعلنت بان دول اوربا اذا رضيت بان تعيد مملكة بولونيا الى حالتها يعدل الباب العالي علناً عن امتلاك ولايات الطونة ولذلك رأى عقلاء من البولونيين ان تؤلف كتاب بولونية سنة ١٨٥٤ تحت رعاية العثمانية فتألف عسكر الفوزاق وكان منهم كتاب الدراغون التي جاءت الى سورية ايام فتنه سنة ١٨٦٠ في جبل لبنان

وكان من كتاب البولونيين في حرب القريم ان ابلاوا مع العثمانيين بلاءاً حسناً ولما انتهت الحرب اقطعهم التي تمل بعض قرى في ضواحي بروسه واسسوا لهم بلدة في ضواحي الاستانة لاتزال الى اليوم وقد رن بعض قوادهم بالاسلام مثل ميخائيل ساجوفسكي الذي سمي بعد محمد صادق باشا ولوبورد زاكي الذي لقب بمحمد حلي وغيرهما من رجال البولونيين الذين اخلصوا الخدمة للدولة العثمانية . وابن محمد صادق باشا المشار اليه هو مظفر باشا متصرف جبل لبنان السابق .

وهكذا كان الامراك والبولونيون يتحابان كما طال المدى خصوصاً والعمانيون يعلمون حسن معاملة البولونيين ايام استقلالهم للتتار المسلمين النازلين في بلادهم ليتوانيا منذ سنة ١٤١٠ وكيف كانوا يعتمدون عليهم في الدفاع ويؤلفون منهم كتاب تنفي غناءها في رد هجمات المهاجرين على بلادهم وكانت لهم حريتهم المذهبية والشخصية حتى كانت تسمح لرجالهم ان يتزوجوا من النساء البولونيات لقلة النساء عند التتار وان يتبعن مذهب رجالهن وما قُط تزوجت مسلمة من بولوني كما انه لم يتزوج تاتاري من يهودية وكانت بلاد بولونيا قديماً الطريق التجاري لبلاد الشرق الى اوربا لان بولونيا كانت اول بلاد المسلمين ولذلك ترى العادات والاذواق واحدة في البولونيين واكثر العثمانيين وبين البلادين من الصلات التجارية شيء كثير ولا سيما بعد ان زادت مدينة البولونيين ونما عددهم الذي بلغ كما قال مؤلف الكتاب الذي اعتمدنا عليه في تعريف هذه النبذة ثلاثين مليوناً وهم نازلون بحر البلطيق الى البحر الاسود ومن نهر اودر الى داوينا الى دنيبر .

ذهب استقلال بولونيا منذ نحو قرن ونصف ودعاة استقلالها مازالوا منبئين في البلاد لم يدخل اليأس على نفوسهم والاب يلقي اباه والام تلقى ولدها الثناغي بالاستقلال ويعلمون ابناءهم تاريخ بلادهم وعظمتها وبطش الحكومات التي تقاسمهم ولا سيما روسيا ويذكرون لها مذابحها واقاعيلها فيهم فهل يوفق اولئك الدعاة الغيورون الى ما قصدوا اليه ذات يوم ياترى ام يخضعون على الدهر لمن استصفوا ارضهم وديارهم -

ان انقضاء القرون في حياة الشعوب لاشان له بقدر كسر السنين في حياة الافراد وما الملة سنة بالشيء الكثير على امة تطلب التجديد ونزع ربتها ممن يظلمها ولذلك يرجى الاستقلال لكل امة كانت لها ففقدته كالمصريين والجزائريين والهنديين وغيرهم ممن استعمرت بلادهم واقرب الامم بالاستقلال البولونيون والليتوانيون .

» فما الالام بلغه

الفصحیح العامی والعامی الفصحیح

من ممثلي لنعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى اليومية في

نيو بورك

ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى فحمة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللفظة ما يدل على ازالة الابهام وكشف الغامض بايراد ابيات فحول الشعراء وعبارات بلغاء المنشئين الى فحمة الكلمة والعبارة كما نرى في وبسائر في الانكليزية وليتدر في الفرنسية فترى اكثر الكتاب يتفحصون في ما لا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبالغة في العقيم والحوشي وان كل من هرف عرف .

فاللغة في حاجة الى معجم تقام على كل حرف وكلمة منه شواهد شعرية ونثرية يسلم معها النوق ويستقيم ويرد الكلام المدعو عامياً الى اصله الفصحیح ويعمدل عن التفرع الى السهل المقبول

قد تنهت ثوب اللغة حتى كاد يسقط من ثقطعه فترى كل من تحيف يياته عجمة وجدل عن ادعاء ومكابرة يمتحنف الفصحیح ويستلب البليغ ويحرك خشاشه غضباً على كل من

ملك من اللغة عنانا وضبط لها بيانا ويكون لابدري من اي الدهداء هو ولا يعرف له في عالم الادب اصل او فصل ولكنه يتوهم ان كل كلمة يقرأها ولا يفهم معناها تكون من « الحوشي » والوحشي ! » . وان كل مائدولته السنة العامة ساقط يجب الترفع عنه وتكون الكلمة التي لا يفهمها من ابلغ ماجرت به اقلام المنشئين والشعراء الا انه لم يطالع ليعلم ولا تحرى ليفهم ويكون بعض مائدولته السنة العامة من بقايا افصح اللغات العربية التي اعتورها التصحيف والتحريف وقليل من البحث يرجعها الى اصلها ويقم من اللسان مناداه على ما وقع من نحو خمسين عاماً او اليوم اذ توكد المجتهدون أثر بلغاء العربية الاقدمين وتنشطوا للبحث والتنقيب واقبلوا على التدقيق والتحقيق وقد ترجع مثابرتهم اللغة الى رونقها الاول بعد خمسين عاماً تأتي .

وليس لنا حتى في مدارسنا الوطنية اثر « للوطنية » فترى ان كل مدرسة سورية قد اوجبت على تلاميذها التظاهر بالوطنية عندهم حتى عند اول دخولهم بابها فيتسرب العقوق وشي من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين ويكون القائلون على تهذيبهم وتدريبهم من خونة الوطنية ومجرمي الآداب اذ كيف يعقل ان طائفاً لا يفهم من الفرنسية او الانكليزية او الروسية او الجرمنية كلمة يكلم رفيقه باحداهن قبل انتضاء الاعوام عليه وكيف يقبل السوريون مثل هذه « الشريعة المدرسية » الظالمة التي تكفم التلميذ وتعوده الخيانة اضطراراً لقضاء حاجاته الضرورية وتنشئه على حب لغة غير لغته ووطن غير وطنه ولو ان المدارس السورية توجب التجاوب بلغة اجنبية في ساعة واحدة معينة للسلامة لكان ايجابها معذوراً وان لم يكن له مثيل في اي مدارس اوربا واميركا وانما هو الاحتقار يركب الصغار ! والمدرسة التي لاتصان فيها اللغة الوطنية تكون عدوة الشعب ولو كان منشؤها من الصرخاء .

ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه والتصرع والتصاغر للاجنبي والتمروء الظاهر تكلفه والتفوق البادي تحيفه مع الوطني وريح التخاذل حتى في اللغة تنجف كل ذروة باقية في جرفها وتحتل كل درة كما نعرفها قبل عصفها والله في تدابيرها شؤءون .

وهناك آفة جديدة على اللغة من اهمال معاجمها المعروفة وعدم تنقيحها وتصحيحها وادخال الموضوعات الحديثة اليها في اي معجم نرى تفسيراً عصرياً للجبر والندي والرعاد والمنطاد مثلاً او جمعا لثنات ما جمع على صحوة المحققون او توسعاً في الاشتقاق

والنحت والقلب والابدال والتركيب والادغام مما لاغنى عنه في لغة حية بل نرى ان كل معجم يطبع حديثاً يجرد من الكثير من اصوله بدعوى حفظ آداب الناشئة وصون اخلاقها . فليكن ذلك . ولكن بعد بذل شيء من العناية لزيادة الضرورية للكبار كالتناقص الضروري للصغار .

الفيلسوف اللغوي يجد في كل معجم حديث زيادة جديدة وشروحاً مفيدة الا في العربية الباقية كالرسوم الدوارس مع تعدد المدارس . وترى « المثقفين والمهذبين » ينشرونهم ترجمات الحريري والبديع وجمع البحرين وامثالها لاشرب التلاميذ روح الخداعة والسمانة والجبانة والخيانة والحيلة والرديلة على غير قصد منهم او بقصد استظهار الشوارد والاوابد ويطوون صفحات كل كتاب يكون افيد واعود وانفع وارفع لانهم لا يزالون كالفلاحين الشرقيين محافظين على المحارث القديمة !

ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولا فاعل . الاحداها فهل نقبل فلسفة اللغة شيئاً من هذا ؟ وهل بعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاماً من غير اجزاء ؟ اننا لاننسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة على سلامة اللغة اذ يكونون يحافظون على قديم عقيم لا يسلم به عقل سليم .

وفي اللغة عيوب كثيرة الصقها بها غير الراسخين ونظن ان اوان النهضة الادبية قد آن وانه يجب ان يعلن دستور اللغة كما اعلن دستور الحكومة

انا مورد الآن ما حضرني من العامي الفصحح للغاية التي بسطتها في التوطئة .

توأ — اسأل عجوزاً او شيخاً ان يدلّك على بيت او طريق في لبنان فيقول لك « اذهب توأ » ويشير باصبعه والكلمة فصيحة من قولهم جاء توأ اي قاصداً لا يرجع شيء

بربص — يقال بربص الارض اذا ارسل فيها الماء لتجدد او بقرها وسقاها شقياً رويًا وهو المعنى الذي تستعمل العامة الكلمة له في بعض السواحل والقرى الغزيرة المياه اما في سائر لبنان فيفهمون بالبربصة رش الماء امام البيوت والحوانيت وليس في المعنى شذوذ

دعث — الدعث هو تدقيق الرجل التراب على وجه الارض بالقدم

ودعس — وقريب منه دعس الشيء اذا وطئه شديداً والغريب ان اكثر الصغافيين يعتبرون « دعس » عامية وان الكتاب لا يستعملونها لزعمهم ان المعنى العامي غير تام

اما « دعث » فلا يذكرها احد منهم مع ان القرويين يستعملونها « للرص » ويقولون عن الارض المدوسة مدعثة وعن الطوح التي تكف : هيجب دعسها او دعثها . فليتأمل القاري .

دعك — كلمة فصيحة ويقال دعك : الثوب اذا ألان خشته ، الا ان متفرنجي اللغة لا يرون في الكلمة فصاحة فيستعملون « أخلق » وهي لاتدل على شيء من الدعك بل على البذ والارثاث

دعر — يقول العرب : عود دعر نخر للردى الكثير الدخان ويفهمون بالدعارة (بتشديد الراء) سوء الخلق ويقولون دعر العود اذا دخن ولم يتقد ونقول العامة رجل دعر اذا كان متصبلاً جافياً وهو من المجاز الذي لاغنى عنه الا ان من الناس من لا يريد ان يمتد نظره الى ابعد من اربعة انفه .

دغري — في محيط المحيط ان « الدغري تحريف الطوغري بالتركيب ومعناه الصحيح والمستقيم » فلماذا لا يرجع الى الاشتقاق العربي فيكون معناه الاتقنام من غير ثبوت وهو المعنى الذي يريده أكثر العامة اذ يقولون : اذهب دغري وذهب دغري الى البيت واذا وجد اختلاف فيما لا يمتد به .

الثغرة — يلفظ أكثر اللبنانيين الثاء بين لفظها الاصلى ولفظ الثاء او الطاء فيقولون انتفرت الثغرة ويستعملون الكلام الفصحح في المواضع التي لا يحسن كثير من كتاب هذه الايام استعماله فيها ولا عبرة باللفظ الذي لا يفسد المعنى — لو كان اللفظ يفسد معنى الكلمة لكانت اللغة الانكليزية فاسدة في أكثر كلامها بين اللفظ الانكليزي والامريكي والكندياني والاورستالي .

الثلم — خط المحراث ويريد البعض جعله غير فصيح من طريقة لفظه التي اشرنا اليها في الثغرة .

احزك الحمل — شدة جيداً « والمكارون » يستعملون هذه الكلمة الفصيحة التي لاترضي البعض مع ان معنى « حركه » عصبه وضغطه واحتزك بالثوب احتزم .

بلصقي — اللبناني يقول : اجلس بلصقي اي يجني ولا يوجد اصح من هذا التعبير للمعنى المراد الا ان استعمال العامة له جعله عند بعض الناس غير عربي كما جعل بعض الفضائل مستحى بها الا ان اصحابنا هؤلاء ينظرون الى الكلام نظراً الى المنوعات

الوطنية التي ليس لانفسها وأدقها قيمة عندهم ولو استطاعوا ان يعاضوا عن هواء سورية العليل بهواء معل بشرط ان لا يكون « وطنياً » لما ترددوا .

منزهه — منزهه والكلمة عربية وعلى لسان كل لبناني

شلخه — هبزه بالسيف وجريمة العامة انها تستعمل الشلخ للدية والمخل الا ان المنتشرين على اطراف الجبل والمضطرين الى منازل ومقاتلة المغيرين والغزاة يقولون « شلخه بالسيف »

حز — وعلى ذكر الشلخ نقول ان نصيب « حز » من (المتعصرين — ونريد بهم الذين يدعون انهم عصريين بلغتنا العامية) ليس افضل من نصيب شلخ . يقال : حز الشيء قطعه . وفيه فقه اللغة للشعالي انه خاص بالحم الا ان العرب نقول حز الخشبة فرفضها العامة نقول : حزز المذار جعل فيه أثراً ونقول ايضاً « الحز » للقطع والحزة للقطعة ولا نرى ما يعاب به الاشتقاق

حش — قطع الحشيش او طلبه وجمعه والكتاب بؤثرون استعمال « قطع الحشيش » على حشه مع ان الكلمة اصلية لا يصلح غيرها معناها .

القلت — النقرة في الصخر يجتمع فيها الماء واصلها لنقرة الجبل يستنقع فيها الماء ويستعملها الاولاد من العامة صحيحة دون اكثر الكتاب .

غظفط — غاب النوم عليه هذا هو المعنى الاعم عند العامة وبأقي بعدد معنى غليان القدر فلو قام منشيء ببلغ واستعمل الكلمة لقال « المتعصرون » عنه انه بأقي بالوحشي والحوشي او ان الكلمة دخيلة لانهم هكذا يريدون اوهكذا يفهمون .

زلق — زلقت قدمه زلت . والزلفة الصخرة الملساء وبها سميت قرية في ساحل بيروت وفي التسمية دلالة على ان اللسان العربي كان في بلادنا فصيحاً ولا تزال الآثار تشهد له الا ان من نكد الدنيا عليه ان عارفيه — بروحه لا بلفظه — غير كثار وان جاهليه مع الادعاء بمعرفته جيش جرار

زحل — عن مكانه تفنى وتبعد

زحلقة — درجته ومنه تزحلق الاولاد في مطاوعه

شخر — صات من حلقه او انفه ولا ندري ما يجمل الكلمة غير فصيحة في استعمالها

للفطيط .

تقفق — في معارج اللغة : تقفف الرجل ارتعد من البرد وغيره او اضطرب حنكاه

واصطكت اسنانه وهو المعنى الذي تستعمله العامة له تمامًا الا ان هناك معنى آخر لم نعثر عليه في المتون وانما ورد رواية واسناداً في لسان العرب وهو : قفقت الدجاجة على بيضها حضنته واستعمال الكلمة شائع في لبنان للمعنيين فهل اغرب من هذا النقص في معارج اللغة

وخش — الشيء كان وخشاي رديئاً وهذا هو المعنى الذي تريده العامة من الخش ضد الناعم لانهم لا يحصون الاشياء فقط به بل يتناولون بمعناه رذال الناس وخشارتهم ويصيرون بكل فصاحة .

طم = بالتراب دفن وغطى

كب = افرغ

طرفة — طريق

من الحاضر — من الجاهل

بتكه قطعته تشديد بتكه للبالغة

بت — الامر امضاء

بربر = صاح واجلب وتكلم بالفاظ وحشية

قرقر = شقق (حاجي نقرقر وتبربر)

وكل كلمة مما مر واجبة الاستعمال في موقعها اذ ليس ما يسد مسدها

القر = في محيط المحيط ان العامة تستعمل القر لا غزل من الفياج المبيضة فهل هي تستعملها الا لما استعملها له الشاعر القائل .

« يرفلن في سرق الحرير وقزه » ؟

راز وروز = يقال رازه جربه وامتمه، وقدره وراز الرجل اختبره قال الحريري

لانسأل المر من ابوه ورز خلا له ثم صله او فاصرم

وروز كلامه رواء في تقديره وترتيبه فما قول المنفرنجين !

نتش — نتش اللحم جذبه قرصاً والشعر نتفه

النتفة = ما نتفه باصبعك والفعل نتف بمعنى نزع . يرى المنزوي ان معنى العامة

في محله وان انكر المنكرون وعلى هذا المثال ثقل وثقل

نش = الغدير أخذ ماؤه في النضوب وهو المعنى المستعمل له النش عند العامة

أكثر من التحلب والنز . والنز من العامي الفصيح وهو النجل او الماء المتجلب من الارض

يُبقَى — من من السورين لم يسمع هذه الكلمة ؟ نقول العامة فلان يبقَى اي
يهذر وفي المعجم ان البقبة تفريق الكلام عَلَى الناس وربما كانت فلسفة الكلمة في المعنى
العامي الذي يتناول معنى الهذر والشقشة والغموض
وهم يقولون ايضاً عند انزالهم الجرة في حوض او الدلو في بئر ان الماء يبقَى فليطلب
الادباء الاصل لتثبت لهم فصاحة الكلمة

قرفة — يقال بنو فلان قرفتي اي هم الذين اظن عندهم طلبتي وسل بني فلان عن
ناقشت فانهم قرفة ايسى تجد خبرها عندهم والعامة تستعمل الكلمة كالتقاريف والمقارفة
مصدري قارف اي قارب

وقراف من لا يستفيق دعارة يعدي كما يعدي الصحيح الاجرب
الا ان اصل المقارفة للاشياء الدنيئة وما لا تشك فيه ان التعميم الذي جرت عليه
العامة ناتج عن الخاطئة المفسدة للغة الا ان غرضي الآن هو اثبات صراحة اكثر الكلمات
الدارجة واذا وجد في بعضها خلل فذلك من جهل المدعين فوق ماهو من مخالطة
الاعاجم اما ترون كيف نستدرك العامة المعنى بقولها : مقارفة التاجر الفاسد في حسنة
والآخر دنيئة فروح اللغة لاتزال فيهم وهم افيد لها من الذين لا يفهمون ولا يريدون
تفهم معنى الكلام

قرف — نقول العامة قرف قمعة السجرة اي انتزعها والاصل النشر
تف — هذا مثل التف عندي مثل وسخ الظفر وقد لاتكون العامة تفهم ان التف
هو وسخ الظفر الا انها تفهم انه شيء لا يعبأ به وتستعمل الكلمة فصيحة
تفه — اصل هذه الكلمة تفه وفساد لفظها لا يفسد معناها فهي فصيحة يجاب استعمالها
تَلَّى حد ما تستعملها العامة بعد اقامة اللفظ فهي نقول : بي تفه وامر تفه وكلام تفه
وقولها صحيح فصيح

هبط — لازم متمد يقال هبط بمعنى سقط وهبطه بمعنى انزله واكثر استعمال العامة
للفعل مشدداً فهم يقولون هبط الحائط فاين المأخذ ؟
سمالك — السمالك عود يكون في الخيلاء يسمك به البيت اي يرفع قال ذو
الرمة الثقفي :

كأن رجلين سماكان من عشر صقبان لم تنقسم عنهما النجب
والكلمة مستعملة عند القرويين بمعناها الوضعي الا انهم يستعملونها لرفع الكرم ايضاً

ويظن البعض انها لا تعود فصيحة فعلى هذا المذهب الغريب لا يجوز لنا ان نضع للجاحين
شكيمة ولا ان نلتي الى الاكفاء مقاليد الامور .

ان بلية اللغة في ابناءها المقيدون لانهم مقيدون ولما كنا نبحت في المسناك فلا
بأس من استعمال الكلمة العامية الفصيحة من ان كل من لا يكون لطيفاً يكون بالطبع
« سميكا »

هيج — هيجه بالعصا ضربه وهيجه ورمه وتهيج تورم وبما ان العامة تستعمل الفعل
بمجردده ومزيدده لم يعد عند المنشئين فصيحاً

هبش وهمش — لينظر العارفون اذا كان معنى الجمع والالتقاط تاماً ام لا
جرس — المنشئون يستعملون شهر والعامة تستعمل جرس للتسميع بالناس واشهار
عيوبهم ونقائصهم والكلمة العامية اصح وواقع .
« ماهذه الجرسة ! »

هاش — لالملتفت يا قارئى الى هوش الكلاب وتهو يشهم فان ابناء العربية اخذون
بخناقها وانما تذكر قول العامة : « الناس هاشون » وقولهم : « هم في هوشة وكانوا يتهاوشون »
للدلالة على الهرج والهبج والفتنة والفساد والاختلاط وتذكر في الوقت نفسه ان الكلمة
عربية فصيحة وان « الهوش والبوش » من فصيح اللغة ايضاً وانه لا يتقصنا الا
التحقيق والتدقيق

الكلمات التالية كلها من فصيح العربية المحسوبة عامية

الثلثة القطران — الانتشار — التشمير للرفع والتقليص — قش الشيء جمعه
والاولاد والنساء في لبنان يقولون : نحن ذاهبون الى الحقل او الحرج نقش اي نجمع
الوقود — هارش واثب وخرش للناس والكلاب والشيء بالشيء يذكر فالعامة نقول :
رجل هرش للشيخ ولنا فعل هرش الرجل يهرش اذا ساء خلقه فاذا كانت كلمة هرش
عربية فهرش مصحفة وهل اقدر الائمة لا يلحنون ؟ — لازق لاصق — ولصقي ولصق
بيني بجانبى وجانبه — الهتيكة الفضيحة وهي في لسان العرب دون الفيروز ابادي ومحيط
المحيط — حاص حوله اي حام — نعر صوت بنحيشومه وصاح : كفى تعرو فلان ينعر — رزه
غمرزه والشيء في الشيء اثبته : رز الودت ورز الدمل والمدا والجرباب — صول الخنطة
والكلس — عزوة الرجل — اُتَفَفَ ونَفَفَ ونَفَفَ — الوأف — خارت قوته اى

ضعف — عززه لأمه ووبخه — الولودية الصغر — خنخن لم يبين كلامه أي ابدى
خنه أو غنة في خياشيمه — خنفس عن القوم : كرههم وعدل عنهم ومنه فلان مخنفس
والولد مخنفس . تفاح تكلف الفصاحة — فلتة لسان وفلت لسانه . السحت الكسب
من مال الحرام — نكس رأسه طأطأه — تعوق تأخر وتريث — يسرها الله : سهلها —
طعمه من : فيه مزازة او طعم بين الحلاوة والحوضة قال الحريري :

لا ابالي من أي كأس تفوق م ت ولا ماحلاوة من مزازة

همدت النار : ذهبت حرارتها وطفئت البتة — نصت وتنتصت : سكت مستمعاً وتسمع —
خبص الشيء بالشيء خلطه وخبصه للمبالغة — الخبنة : التواضع والخشوع — تزتر :
تختبر وهي فصيحة الا ان العامة تكره التزتر والتبختر — حت : حك وقشر — خبطه :
ضرب ، ضرباً شديداً

تبط — نقول العامة : فلان يتببط والمعنى انه يتناول الشيء قليلاً قليلاً او شيئاً
شيئاً الا ان استهزاء جبهة المتعلمين بالعامة يجعل الكلام الفصحح غير فصيح عند الاغبياء
دون سواهم .

قرقص — من اين انت القُرْ قُصاء التي هي ان يجلس الرجل على أليتيه وبلزق
تخذه يبطنه ويحتني يديه اذا كان لا يوجد لها فعل بمعناها فان قول العامة « قرقص »
يدل على القرفصاء الا ان المعاجم تنكر هذا المعنى مع وضوحه . انشد ابو المهدي
لو امخطت وبراً وضباً ولم تل غير الجمال كسباً
ثم جلست القرفصا منكباً تحكي اكاريب فلاة هلباً
ثم اتخذت اللات فينا ربنا ما كنت الا نبطياً قلباً

الا ان العربية في حاجة الى التحقيق والتدقيق . انظر الى فرع آخر من هذا
الاصل فانهم يدعون اللصوص التجاهرين « قرافصة » لانهم يقرصون الاسير اي يشدون
يديه تحت رجليه الا انهم لم يذكروا للجمع مفرداً والجمع التي لامفرد لها غير قليلة
فهل هذا معقول ؟!

نبر — من معاني نبر المعنى الذي اتخذته العامة لرفع الصوت . انشد اللحياني

اني لاسمع نبرة من قولها فأكاد ان يغشى علي سرورا

فلماذا لا تكون الكلمة فـئجة . لاندرى !

نهر — بالله يا أبناء العربية ماهذه الفوضى ! نقولون نهر السائل وانتهره زجره والعامة

تستعمل المعنى نفسه الا بعض اللدناء عن توسع وما يثبت وجود معنى الزجر في نهر العامة انها لا تستعمل الكلمة الا عند الحدة والشدة ففسدوا اللغة هم اكثر حملة الاقلام لا العامة التي لا تزال محافظة على ما لا يحافظ عليه اكثر الدارسين . و قريب من نهر نده .
تتجوج — متى ذهب الناس في طلب الحاجات يقولون نحن ذاهبون نتجوج وكذلك يقولون عند شراء حوائج العروس ومع ذلك تعتبر الكلمة عامية عن غير نزواذ ماهي بضاعة التاجر غير حاجته « وجهاز » العروس غير حاجتها ؟
خش — اهلاً وسهلاً خش . اي ادخل وخشت الحية في الحائط دخلت والكلمة من الفصح

هت — بماذا بهتني تعبرني وتخط مرتبتي ومنزاتي
متمق — يجب ان يكون لنا معنى التكلم باقصى الحلق هذا الفعل بدليل وجود اسم فاعل منه وهو المقامق الا ان معاجم اللغة لا تشير الى شيء من هذا او ان النقص الظاهر فيها تكلمه العامة بقولها : فلان يشقشق ويمتمق فليرجع المنقبون الى المتن ويعتبروا طاح — ذهب وتاه في الارض ومنه « الطائح » عند العامة للفار من وجه الحكومة ولا يوجد كلمة ادل على المعنى فيجب استعمالها

انتم الجسم — قلنا ان بعض لفظ العامة غير صحيح الا ان كلامهم فصيح ومن الشواهد « انتم الجسم » اي ذاب وضعف وبعض الدروز في لبنان لا يزالون بلفظون الكلمة « على حقها » ولا يبدلون الثاء سيناً وشيء من العناية يرجع الى اللغة رونقها ولوان الحكومة تقيم الائمة لاقامة الكلام والالفاظ فكانت تخدم البلاد والعباد ما زالت مدارسنا توجب على التلاميذ التخاطب بلغة اجنبية ولا توجب عليهم التخاطب « ولو ساعة » بفصح لغتهم كأن التخاطب بفصح العربية عار وبفصح سائر اللغات فخار وقوق — من فصيح اللغة ان الوقواق المكثار والوقواقه المبهذارة قال ابو بدر المسلي ان ابن ترفي امته وقواقه تأتي نقول البوق والحماقة

الا ان المعاجم لا تذكر الفعل الالنباح الكلب واختلاط صوت الطير وعندني ان الكلمة على ما تستعملها العامة صحيحة فصيحة اذ كيف يقولون وقواق ووقواقه ولا يقولون وقوق بمعناها ثم ان العامة تستعمل « الوقوفة » في التهمك كأنها تقول ان فلاناً يخطط ويلت فاذا رفض الغويون الا التقييد بسلاسل الثقيلد البليد فلا اقل من التسليم بصحة المجاز

ات — ثم ان اللت هو الخلط فلماذا يجوز لنا استعمال الخلط واعتباره فصيحاً ولا يجوز لنا استعمال اللت وهو بمعناه . فكم انت مظلومة ابتها العامة !
 فقع — مات من شدة الحر والعلمة تقول « فقع ومات » مع تخصيص المعنى بالهم
 والغم الا ان المراد ظاهر وحوادث الفقع في حمارة الصيف كثيرة في امهات مدن
 الولايات ويجب استعمال الكلمة الا من « مفاهيم » اللغة .

تصيع الرجل = ضل . من تصيع الماء اضطرب على وجه الارض وفي الحرف معنى
 التفرق بتردد وتخير فلماذا لا تتوسع في اللغة كما توسع العرب قبلنا .

المداس = الخذاء الذي يلبس في الرجل « والمتفرنجون » بفضول استعمال اللستيك
 والصباط والحزمة لان « المداس » مستعمل من العامة فكأنهم يحاولون اظهار تفوقهم
 بنبد اصح الكلمات العربية لالحجة الا ان الكلمة من غير « زيهم » الحديث

حنث فلاناً = ذلك حنكه والغريب ان الكلمة تعد عامية متى استعملت لذلك
 القابلة حلق الطفل قبل ان يرضع فاذا كان معنى ذلك موجوداً فإين « العامية » في
 الكلمة وهي على فصاحتها . ابعط في كلامه : لم يرسله على وجهه قال رؤبة

وقلت اقوال امرئ لم يبعط اعرض عن الناس ولا تسخط
 وابعط في السوم تباعد وتجاوز القدر — قال حسان

ونجاراهظ ابعطوا ولو انهم ثبتوا لما رجعوا اذاً بسلام
 سفق — سفقته بالكف : لطمه قال ابو منصور سفقت الباب واسفقته أحفته . وسفق
 وجه الرجل لطمه فاستعمال العامة للسفق في محله .

دمشق — الشيء زينه . قال ابو نخيلة :

« دمشق ذاك الصخر المصخر »

وهذا هو معنى العامة : شاب مدمشق وقامة مدمشقة

دلق — تروى في المعاني التالية ، تدلق السيل عليه واندلق هجم واندفع — اندلق
 الشيء خرج من مكانه وكل ماندر خارجاً فقد اندلق ويقال : طعنه فاندلقت اقباب
 بطنه اي خرجت امعاؤه ودلق واداق السيف اخرج ، فاي جريمة لغوية في استعمال

العامة للدلق والاندلاق بمعنى الصب والانصباب

عثر — زل ومعثر ساقط وزال والعامة تلفظ الثاء تاء

خثر — جمد وتماسك ومخثر مجهد

لَمْ -- الشيءُ شَدَّه والصَّقه والقوم اجتمعوا وتضابقوا والشيءُ بالشيءِ الزمه به فليعتبر
اللغويون

زَمْك — عن ابن الاعرابي زَمْكَت القربة وزَجَمَتها اذا مَلَأَتْها والزَمْكَ اَدْخَالَ الشيءُ
بعضه في بعض والعامه تَسْمَعُ المجرّد والمشدّد استمعلاً صحيحاً

زَرْكَ — زَرْكَ الغلامُ ساء خلقه . هذا عند اللغويين فصيح ولكن الا يجوز لنا ان
نعامل زَرْكَ معاملة « سَمَّ » فنقول اسامُوساً مَوازَرْكَ وزَرْكَ ! ولماذا ؟! قد تكون العامه
عَلَى صواب

دَعَقَه — في لسان العرب . الدَعَقُ الدَقّ ومحيط المحيط لا يذكر هذا المعنى الذي
هو معنى العامه تماماً الا اذا كان لا يجوز لنا استعمال الصب للبتروْل لانه لم يكن عند
العرب ولا لسائل آخر غير الماء والخمر

حَوَشَه — جمعه ونحاش عنه تقبض ونفر والحواشة ما يستجيب منه والعامه تستعمل
كل ذلك دون حملة الاقلام

لَقْلَقَ بَقْباق — مَهْدَار كثير الكلام واللقطة تقطيع الصوت والجلبة ولقلق وفلقل
بمعنى واحد للتحريك والهز

لَاط — لَاطَه خلطه وعجنه وقد وردت في كلام الامام علي
الحدو — الحدو عند الموت من الفصح

سَن — سَن الارض ملسها قال الشاعر:

ثم خاصرتها الى القبة الخضم رآءَ نَمَشِي في مرمر مسنون

وهو المعنى الذي تستعمله القروية اللبنانية بعد ان « تطين بيتها او تمرحه » وتسنه
وتسن « الحجرة »

سَرَم — شق وقطع فهو مشروم بكل فصاحة
استمْلَح — الشيءُ عده مليحاً .

سَبْرَكَ سَبْرِي — تريد العامه بذلك ان عليك ما علي لان اصلك كاصلي وهيئتك
كهيئتي وليس من مغمز

تَغَنَفَص — كان ذا صلف وخفة وخيلاء وادعى بما ليس فيه ولا يريدون ان
يكون له رباعي

تَفَنَفَجَتْ : شَكَلَتْ وتدلّت

تفلج : فلان علی فلان بنی علیه وظله فهو مغلج

ثخنها : غلظها وصلبها

حزر : الشيء قدره وضمنه وحزره التي عليه مايحزره

اقلعت الباخرة = في الجرائد والمجلات والكتب نقرأ هذه العبارة الواجب الاقلاع عنها — كانوا يقولون اقلعت السفينة اي نشرت شراعاها اوقلوعها لثمخر شاقة الماء ولم يكن ابام كانوا يستعملون العبارة بخار اما اليوم فلا يجوز ان نقول اقلعت الباخرة بل محوت او حرت الا اذا كان المركب غير بخاري وفي مثل هذه العبارة يظهر فضل الالة العربية ويثبت لهؤلاء الذين لا يعرفون شيئاً منها اننا بغنى عن تحدي الفرنجية الذين يقولون « اقلعت الباخرة » لفقر لغاتهم

ضربت بكلامه عرض الحائط = مها التمس « المجازيون » من الاعذار لا اجد هذا التعبير عربياً فاننا لانضرب عرض الحائط بالكلام لنهمله ونستقطه ونطرحه ونرميه . نحن نقول في العربية جاء في كتاب فلان فضربت به عرض الحائط وانما لانقول مثل هذا القول عن الكلام نفسه

حررت له وارسلت له = اصعب ما في اللغة على الدارسين انفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق يتناول الجرائد والمجلات الا العدد القليل منهم يضحك من كثرة السقطات التي لا يعذر منشيئ عليها وفي مقدرة شراً معجم او في رأسه قوة تميز بين هذا وذاك المعنى فانت لا تكتب لاحد الا اذا استكتبك ولا ترسل له الا اذا بكلفك الارسال اما اذا اردت ان تقول انك تخاطب احداً بالكتابة فيجب ان تستعمل « الى » لا اللام وهكذا في الارسال ثم ان التحرير ليس الكتابة ولا الكتاب او الرسالة بل « انقاذهما من عبودية السقط والخلل » والغريب جداً ان منشيئ الجرائد والمجلات يدعون الكتاب محرراً وهم يريدون المنشيئ لا المصحح ولا المصلح ولا المذهب ليعذروا والاغرب من ذلك ان بعض جامعي المعاجم العربية سقطوا في ما سقط فيه غير المتحسين والمدققين وقالوا عن الكتاب والرسالة « تحرير » فأوردوا ولم يقوموا .

غب انتقاد شريف الخاطر العاطر = هل على مثل هذه البلادة في الانشاء

بلادة !

كل كلمة بنفسها فصيحة الا ان مجموعها لا معنى له والمسؤولية الحقيقية على المدارس

والاساتذة الذين يسقطون الى الجاهلين ولا يرفعونهم اليهم بل ان الجري على الطرائق القديمة يجعل اكثر الكتابات سقيمة عقيمة « خالية من المعنى ولكن تفرقع »
 ابقاء القديم على قدمه يجب ان يرجع الى عهد بلغاء العربية لا الى العهد المتأخر الذي اعتور اللغة فيه الخلل والفساد فما معنى العاطر والفاخر والشريف مع الخاطر ولماذا لانكتب ونكتب بفهم وسهولة وبساطة وسلامة ؟

دام بقاؤه = طلب الدوام حمافة وحرام . اي بقاء بدوم ! تدوم المادة بعد استخالة ولكن الذين يطلبون دوام البقاء او يدعون للناس به لا يريدون المادة بل البقاء في دار الفناء وخلود من اعدت لهم اللحد

همي الدمع من عيونها — كم من العيون للمرأة وان تكن العيون عليها كثيرة
 الملاحه الجوبة — « في طم هذا الاصطلاح ملح » فانه من غير روح العربية ومن غير فقهها فاذا كنا نحن اصحاب الجرائد اليومية نلتبس الاعذار لضيق اوقاتنا عند ما نلجأ الى الحواضر فما هو عذر اساتذة المعاني والبيان في المدارس والكتليات وما هو عذر اصحاب المجلات — المطير اصلح من الملاحه وانما لا بد من اختيار كلمة اصلح
 المظلم والعامر — خرج من عالم الخرافة « المظلم » الى بلاد الحرية « العامرة »
 الجرح يدي — الجرح لا يدي وانما يدي

خذ اي كتاب ومجلة وجريدة واعتبر فلسفة كتابتها دون الانفاظ . او المعاني دون المباني . تجد اننا — الا عدداً قليلاً من حملة الاقلام — نتعسف ونتكلف ولانزاعي المعاني والبيان لان اكثر المنشئين منطفلون

نحن ابعد ابناء اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقامته في مواقعه لاننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان اكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين من غير الاكفاء الا بالتبجح والادعاء او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق حتى بالبعث والنفاق واليك بعض ما يخطر في خاطري الآن اجيء به وأكل اليك الحكم
 طارت نفسه شعاعاً — تحرصات الاوهام — يغيظه من النظام — هل يعتمد كلام السقيم في « طعم » الماء — رفع الابن باسطاً يديه الى والدته — سقط عليه بالضرب حتى « جلد » به الارض — الجالية والطارئة : دون تمييز بين الاستيطان والعود = يسير ويسري دون فرق بين سفر النهار والليل — « رحلوا » في القطار الى المدينة والولاية الفلانية . زاره اخوه فاحسن « قراه » = ظعنوا مع اصحابهم الى واشنطون =

شخص البياع الى بوسطن = كان الخواجا فلان يتدفق في خطابه كالسيل المنهمر الا انه اعتذر بانه غير خطيب وشكر الناس وجلس دون ان يتكلم !
ثم ماهي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لانريد الا نصرف عن جعل الواو « الثقيلة الد » في اولي وعمرو وحيوة وصلوة بحجة اتميز وازالة اللبس وهلا يوجد غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ماهي فائدة الحركات اذا كنا نكتب « إله » ولا يجوز لنا ان نكتب مؤنثه إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لا مفرد لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشمايط وما جمعه الثعالي وغيره وهل كل ما لا يكون سمعه الجامع لا يكون وضعه الواضع جريباً علي القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة في فعل ولا تكون في آخر مثله تماماً ؟ وكيف تكون صيغة افعل التفضيل في ما لا فعل له كقولهم : هو اقلظ منه او كيف يكون مضارع لا ماضي له كقولهم : لم يذر ؟ او مزيد لا مجرد له والامثلة متوفرة ؟

وثمت منابت العربية بعد ان كانت مستحسنة وتفاصح كل من لم يكن فصيحاً ولن يكون متفصحاً فوجب ان يرجع الناس الى فقه اللغة الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الثعالي بل فلسفة اللغة حتى لا يرسل كل من اغتر بمقدرته انكلام علي عواهنه ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعراً وناثراً واماماً وثقة — يجب الاقلال من التردد المبهم الذي لا يزيد الا اعتكالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمنثور والاستكثار من حفظ الجيد ولا سيما ما بدعي السهل الممتنع ويجب ان تكون مجلاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية تفرض كل كتابة عليقة بالمعاني الضئيلة وينبه المغرور والشعور الى ما يفسد الذوق ويدعو الى الهزء ومن فقه اللغة ان نصطاح علي ما يبدل لنا صعاب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا ما نستطيع معه نقل الكلمة الاعجمية من نكرة وعلم الى معناها الاصلي وقد كان للعرب دوم واشتياق فليكن لنا زيادة علي مثالهما والله ولي التوفيق



تولستوي

فقدت الحكمة عضواً عاملاً من دعائها وعمدة ثقة من اعز انصارها ورعاتها وانساناً كاملاً خدم الانسانية بافعاله واقواله وادھش ارباب الثقايد بحسن مثاله وراع قلوب اهل السلطة بحظوته واقباله ونعني به فيلسوف روسيا واحد رجال الاخلاق في هذا العصر الكنت ليون نيكولا يفتش تولستوي الذي هزّ نعيه ارجاء العالم المدفي واكبر رجال الاصلاح هول المصاب به

ولد هذا الحكيم في ايانا بوليانا من اعمال ولاية تولا الروسية سنة ١٨٢٨ فيتم من امه وهو ابن سنة ونصف وفقد اياه في العاشرة وهو من بيت وجاهة وغنى وكان جده سيّ الادارة يميل الى البذخ والاسراف ففقد ثروته حتى اضطر الى التوظيف فعينه روسيا والياً لقازان وجاء ابنه والد تولستوي ولم يكن على شيء من العفل حتى العشرين من سنه ^(١) ورزق ابناً من خادمة زوجه منها اهل ثم تخلى عن الوظائف وتزوج بوالدة تولستوي وكانت غنية تحسن الروسية كتابة وقراءة كما تحسن الانكليزية والالمانية والافرنسية والاطالية والفنون والضرب على البيانو وكانت على جانب من حرية الفكر وسلامة الوجدان والسذاجة

واشتغل والد تولستوي بالزراعة في الاملاك الواسعة التي ورثها عن ابيه واتصلت اليه من زوج، وكان يحب المطالعة واقتنى مكتبة فيها شيء كثير من آداب الفرنسيين وكان من عادته ان لا يقتني كتاباً قبل ان يأتي على مطالعة ما اقتناه من قبل فنشأ ليون تولستوي على اللغة الافرنسية وكان يفهم كتب الفيلسوفين الفرنسيين روسو وفولتير كما يفهم شعر بوشكين شاعر الروس واخذ الافرنسية عن استاذ فرناوي اسمه سان توما ولم يبلغ الخامسة عشرة حتى كان متبعاً بآدابها

ربي في المذهب الارثوذكسي ولكن لم يكد يبلغ التاسعة عشرة من عمره حتى تجرد عن الاعتقاد بالكنيسة ولكنه عمد الى التقية فلم يكن يظهر ما يضرر وكان وهو طالب يقوم بالفروض والواجبات وغادر سنة ١٨٤٧ الكلية التي كان يدرس فيها ليلتحق بالفلاحين ويحسن اليهم الا انه لم يفالح وفي سنة ١٨٥١ سافر الى قافقاسيا حيث عين ضابطاً في المدفعية واشتهر ببسالته في حصار سواستبول فعين قائد فرقة وكان في خلال تلك المدة

قد نشر بأكورة كتيبه موقعة بالحروف الاولى من اسمه واسم أسرته ثم اقام في بطرسبرج مدة فكتب عدة مصنفات وقصص له وساح سنة ١٨٥٨ في المانيا وسويسرا وفرنسا وعاد الى روسيا بعد تحرير الفلاحين فانشأ في بلده مدرسة نموذجية للفلاحين ومجلة في التربية والتعليم وعين قاضي صلح . وفي سنة ١٨٦٢ تزوج وطابت نفسه وحسن سلوكه ولم يكن من قبل كما قال عن نفسه على حالة حسنة في آدابه وكانت كتيبه التي كتبها لاول عهد زواجه احسن ما خطته يده واسلمها فكرياً وفي سنة ١٨٧٤ اخذ بتسأل عن مصير الحياة فصارت تبدر . بوادر ذلك على أسلة قلبه ولسانه حتى اذا كانت سنة ١٨٨٣ تعرف الى فلاحين كانوا انشأ لها مذهبين دينيين من مقتضائهما ترجيح العهد القديم على العهد الجديد وان اصلاح العالم لا يتم الا بالعمل اليدوي والشخصي وبعد ان جاهد تولستوي نفسه تخلى في رواية عن بعض املاكه فوزعها على الفلاحين وترك جزءاً منها لأسرته كان يعمل فيه بنفسه على نحو ما يعمل صغار الفلاحين بأيديهم ومنذ ذاك الحين لم يترك بلده وطفق يحرق الارض كما يحرق الآداب ويبت الفضيلة وصار قصره مجمع العلماء والفضلاء وفي ٢٤ شباط ١٩٠١ حرم الجمع المقدس الروسي تولستوي لالحاده وخروجه عن ربة التقاليد الارثوذكسية وتخوفت الحكومة الروسية عادية افكاره فصارت تراقبه حتى كادت تنفيه مع الوف ممن كانت تنفيهم الى سجونها في سبيريالولا ان لطف الله به ونفس خناق الحرية عن امته بانشاء مجلس الامة

ويعتبر تولستوي بانه من اقدر القصصيين الذين نبغوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد اجاد في ذكرى الماضي من حياة امته ووصف الروح الروسية والاخلاق الروسية بحسن مآثاته وجودة اختياره وتفصيله وتصوره فكان يمارزق من هذه الهبة يصور لك ابطال قصصه كأنهم احياء بل يصور كذلك الاشخاص من الدرجة الثانية والجمهور . وهو قليل العناية بانشائه ولذلك لا تقرأ عليه سحنة الفنان واذ قد نشأ تولستوي لاهوتيا تراه يحاول ان يقترب مما يراه بانه النصرانية الاصلية . وتطالبه الفلسفة الطبيعية بأنه اجد دعاتها والناخون في ضرامها وان تولستوي ليجت في كل مكان عن الطبيعة . والجمهور في قاعدة حيانه الجديدة هي الطبيعة الصوفية والاخلاق عنده المقام الاول وجماع القول في فلسفته ان « لا يقاوم الشر بالشر » . وقد ظهرت كتيبه كلها في اللغة الروسية في ثمانية عشر مجلداً وترجم معظمها الى لغات اوربا الراقية وترجم بعضها الى العربية ولا سيما قصصه .

وهذا الدور الاخير في حياته هو الذي تمنى ان يموت عليه قال في ترجمته نفسه : لما ذكرت ما اتيت من خير وما تم على يدي من شر رأيتني اقسام ادوار حياتي الطويلة بأسرها الى اربعة ادوار : اولها ذاك الدور العجيب خصوصاً اذا قيس بالدور الذي يليه — البار البهيج الشعري واعني به دور الطفولية . ثم الدور الثاني وهو عشرون سنة كان فيه من الغشاء الغليظ والخدمة والطمع بالمعالي وخصوصاً في المكاسب ما كان . ثم جاء الدور الثالث وهو ثماني عشرة سنة اي منذ تزوجت الى نشوري الروحي وهو الدور الذي يحق له ان يدعى في نظر العالم دور الاخلاق بمعنى اني عشت في هذه الثاني عشرة سنة كما تعيش الأسر بالحشمة والنظام غير مستسلم لمفسدة ينفذها الناس ولكن جميع مصالحي كانت مقصورة على عنايتي بأسرتي عناية مقرونة بحب الذات ممزوجة بالانانية وعلى زيادة ثروتي وعلى نجاحي الادبي وعلى مختلف حظوظ تنالها نفسي والدور الرابع يرد الى عشرين سنة التي انا فيها الآن واد ان اموت عليها وبها يتثل لي مافي الحياة الماضية من عظيم الخطر وهو الدور الذي لا ابقي سواه ما خلا اعتيادي الشر الذي اندمج في روحي في الادوار الاخيرة .

هذا مجمل من طفولية تولستوي وشبابه وكهولته وشيخوخته وقد نشأ فيه القيام على الظالمين ومجاهدة المستبدين من الرؤساء الدينيين والديويين مما ثقفه عن خالته تاتيانا الكسندروفنا وكانت من النساء المتهذبات فعملته الحب والميل الى الوحدة والتأثر من المظالم كما علمه روسوفواتير نزع ربة التقاليد الموروثة . ولكن تولستوي لم يتحرر كل التحرير من رق العبودية للمحيط والمنشأ وبقيت فلسفته ترشح من صباوات النصرانية ومدارها لا تقابل الشر بالشر . ولو سارت اوربا على هذه الفلسفة لما قام عمرانها وانبسط سلطانها على مانزى . فلسان حال الغرب « جزاء سيئة سيئة مثلاً » فحكمة تولستوي ليست كحكمة معظم انصار الحكمة في الغرب اليوم مادية صرفة بل هي روحية ممزوجة بطرف من آداب النصرانية تغلغلها عقائد اشتراكية متطرفة فهو لا يرى ان يملك الارض احد لانها لله بل ان تترك وشأنها ينتفع بها عباده ويرى ان لا يعاقب المجرمون بالسجن بل ان يصفح عنهم الصفح الجميل ولا يعتقد بالوهية المسيح بل يرى انه انسان ذو مذهب هو خير المذاهب للناس ومن افكاره الاشتراكية بل الفوضوية ان احسن الطرق في الخلاص من ظلم الحكومات ان يمتنع الناس عن الخدمة العسكرية وعن اداء الضرائب وبذلك تضطر الحكومات الى اصلاح امرها

ومن تعاليم تولستوي الادبية ان يتعد المرء عن مغازلة النساء ويتعد بزوجه قلباً وقالباً ولا يجرها لان هجرها مفسدة واي مفسدة وان الواجب ان لا يفرق الانسان بين مواطنيه والغرباء لان الناس ابناة اب واحد وام واحدة وان يسعى كل امرئ بازالة عدم المساواة بين البشر حتى يعيشوا بسلا . وله آراء في المعاد بعضها مما لا يقره عليه رجال الدين

ولقد ضاق صدر تولستوي قليل وفاته من شؤون بيته وبقال انما نشأ ذلك من مقاومة أسرته له في امر خيرى كان يريد ان يختم به حياته وهو ان يجعل ربيع كتبه مادام الدهر وفقاً على أمته فلم يوافق على هذا الفكر اهل بيته ولا سيما زوجته المشهورة ببخلها فقام تولستوي ذات يوم ورافق طبيبه على نية الهرب من بيته وركب في الدرجة الثالثة من القطار ليساوي الفقراء ولكن كانت المركبة مكتظة بالركاب حتى لم يكن فيها محل يجلس فيه الشيخ الحكيم فعرض موظف السكة الحديدية عليه ان ينتقل الى الدرجة الاولى او الثانية فابى ونزل في احدى المحطات وهي اسكابوفا وبصق دماً وزادت حرارته ثم اسلم الروح في غرفة مدير المحطة ويقال ان الفيلسوف كان ينوي ان يلقى باحد الاديبار لينضم الى من فيه يعبد الله على منحهم وانه قابل ابنة له راهبة في طريقه وفافواها بضع ساعات كما خلا ساعات برئيس دير ثان

والاقرب الى الدهن ان تولستوي عزفت نفسه عن الدنيا واحب التجرد عنها وعن الملاذ والابهة في قصره وعن عيشه المحفوف بالخدم والحشم شاء ام ابى واراد ان يفعل الخور بوقفه مداخل كتبه على الامة فعاكسته زوجته وكان منه ان هام على وجهه لا يدري كيف يسير فوافاه حمامه وشق نعيه على امته البالغة مئة وخمسين مليوناً من البشر وعلى كل من اطلع على طرف من افكاره وفلسفته العملية من منوري الارض ولا عجب اذا عدته امته مفخراً من مفاخرها جاد به الزمان وعده اهل الاخلاق والحكمة والاصلاح من اعظم من عملوا لادب النفس واصلاح المجتمع الانساني

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الصناعة في مصر

التي علي بك ثروت خطبة في الصناعة في المؤتمر الوطني المصري جاء فيها ما ملخصه :
لم يخطئ من قال ان الصناعة أثر الذكاء الانساني في استخدام الطبيعة وتصفير
أشكالها والتأليف بين قواها المختلفة ولذلك كانت اقوى الامم من بنت هيكل قوتها علي
اساس مكين من الصناعة

وقد كانت امتنا المصرية راقية في صنائعها منذ القدم . ولا تزال الآثار التاريخية
شاهدا حيا على مبلغ رقيها الصناعي . وكفى في الدلالة عليه ان البلاد المصرية هي التي
ثبتت فيها قوى الفراعنة ومدينتهم وحفظت معها مدينة العرب
وكان حظها من الصناعة في التاريخ الحديث وافرا فانه لما ولي محمد علي باشا الكبير
الاركة الخديوية افرغ جهده في ترقية الصناعة الاهلية وجلب لها من الخارج ما ينقصها
من فنون الصناعة الاجنبية

نظر الى البلاد المصرية نظر حكيم فرأى انها بطبيعة تكونها زراعية صناعية فشر
عن ساعد الجد واخذ يذني المصانع المختلفة في كثير من بلاد الوجهين البحري والقبلي .
اعانه على ذلك علماء فرسان بعض اساطين الصناعة فيها وساعده ايضا كثير من الايطاليين
والنمساويين . وقد جاوز عدد المصانع المختلفة التي انشأها مائة وخمسة وسبعين مصنعا
يصنع فيها الخزف والزجاج والجلد والجوخ والانسجة المتنوعة والخيط بانواعه والطرايش
والالبسة والاسلحة والبارود والمعادن والمدافع والسفن الحربية وجميع ماله علاقة
بالمدينة . فكان المصري يلبس ملابس اهلية تصنع في بلاده وكانت المدن الكبيرة
والصغيرة والثغور وسائر البلدان العامرة حافلة بهذه المصانع والمعامل المتنوعة

ارسل الرسائل العديدة الى كثير من العواصم الاوربية لائقان الصناعة حتى
اذا عادوا الى بلادهم بعد ذلك ابوا واقفين على اسرار الفنون محيطين بدقائق الصناعات فحلوا
محل اولئك المعلمين في المصانع المصرية

انشأ محمد علي مصانع اخرى لصنع الشمع واحواضا لصنع لوازم المراكب
الحربية وداراً لضرب النقود في القلعة فكانت مصر في ذلك العهد ارقى كثيرا من
اليابان

أخذت الصناعة تنمو وتزدهر حتى بلغت من الانتشار والرفق مبلغاً عظيماً وبقيت كذلك حتى عهد الخديوي سعيد وقد أسس معملًا كبيراً كان بدوره افرنسي كبير هو انجلو بك

ثم اخذت الصنائع الاوربية تفد على مصر وعلى الاخص بعد انشاء السكك الحديدية المصرية فالح قفاصل الدول على سعيد باشا ان يبطل جميع المعامل فأبطلها ماعدا معامل الحرية فانه ابقاها كما انه انشأ مدرسة الفنون والصنائع وقصر التعليم فيها على تعليم الرسم وفن العمارة وغيرها من الفنون الجميلة

وقد وفدت على مصر في عهد الخديوي سعيد بعثة افرنسية من المهندسين الجيولوجيين للبحث عن المعادن في بلادنا فأذن لهم الخديوي ان يعملوا . وفي اثناء عملهم عثروا في السودان على صنف الفحم الحجري وحملوا منه كمية الى مصر انجز بها تجربت ووجدت نافعة وأقر على نفعها انجلو بك ولكن كنقص انكثرت في ذلك العهد الخ على الخديوي ان لايعنى بهذا الامر بدعوى انه يكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة فضلا عن ان الفحم من صنف غير جيد فأطاع الخديوي وفدت مصر بذلك مرفقا تجاريا مبهما

وقد انشئت في اوائل عهد اسماعيل مدرسة العمليات الكبرى في بولاق وكانت هذه المدرسة قائمة على نموذج مدارس الصنائع بفرنسا عين لها جيجون بك الفرنسي ناظراً . وقد بلغت من الرقي مبلغا مدهشاً فكان المتخرجون فيها يؤدون عمل المهندس الميكانيكي والمهندس الرياضي معاً . وفي ذلك الوقت أنشئت المطبعة الاميرية في بولاق وانشي بجوارها معمل لعمل الورق على اختلاف اصنافه واشكاله وكان ما يخرج منه هذا المعمل كافياً لحاجة مصر . وقد بقيت على تلك الحال حتى هبط الاحتلال لبلادنا . وكذلك انشأ الخديوي اسماعيل معامل السكر في الوجه القبلي والمدارس الصناعية في كل بلد من بلاد القطر فكان عهده من هذه الوجهة عهد حياة للصناعة والصناع

قضت سلطة الاحتلال سنة ١٨٨٤ ان يلغي معمل المدافع النحاسية وتباع عددها الكبيرة فبيعت هذه العدد من شركة انكليزية بشمن بخس كما قضى ببيع عدد ضرب القود الى شركة انكليزية اخرى وكان من هذه العدد ما لم يستعمل بعد وما لم تفتح صناديقه الا ايدي رجال هذه الشركة وصدر الامر ببيع جميع عدد آلات مصنع الورق وذلك في سنة ١٨٨٥ وفي هذه السنة ايضا باعوا آلات وعدد الورشة الكبرى التي كانت الخاصة بالخديوية قد انشأتها حين اشترت سراجي الجزيرة

وفي سنة ١٨٨٧ بيعت العدد والآلات التي كانت تدار بها مغازل القطن وبيعت ورش القطن في الاقاليم واحدة بعد أخرى

وفي عام ١٨٩٨ بيعت جميع آلات دار الصناعة « الترسانة » الكبرى بالاسكندرية وبيعت مراكب البوستة الخديوية واحواضها لشركة انكليزية بمائة وخمسين الف جنيه وهو لا يعادل نصف ثمن حوض واحد والاحواض كثيرة والمراكب اكثر

اما مراكب بولاق وترسانتها فان جزءاً عظيماً منها قد بيع

انشأ المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف الاسبق مدرستين صناعيتين احدها في المنصورة والثانية في اسيوط ليكون منهما ابرملجاً للتلاميذ الذين فصلوا من المدارس التجهيزية التي كانت في المديرية فالتاها الاحتلال اما مدرسة المنصورة فلم تبق طويلاً لان الورشتين اللتين يملكهما بعض الانكليز في تلك المدينة قضتا على حياتها . حتى اذا كانت سنة ١٨٩٣ عادت الى حالتها السابقة واصبحت الآن ورشة بسيطة لا يتعلم فيها الطلاب الا مبادئ القراءة والكتابة والهندسة والحساب والرسم العملي بعد ان كانت تعلم فيها العلوم الهندسية والميكانيكية العالية

وليس ثمة دليل على عظيم الخطأ في عدم رقي الصناعة في مصر اقطع ولا انصح من الاقوال السديدة التي ذكرها المسيو (ليوبولد جوليين) المهندس الزراعي واحد واضعي تقرير لجنة القطن الاخير فقد قال :

« ان كل امة بكثرت فيها وجود المواد الاولى الضرورية للحياة يكثر فيها كذلك وجود المعامل لصنع تلك المواد فيها ومن اهمها القطن فان كل الامم التي تزرع تنشيء بجوارها معامل لغزله ونسجه والانتفاع به عدا مصر فانها لا تزال فقيرة في معاملها خلواً على الاخص من هذا الصنف »

سعى الساعون في تأسيس معملين لنسج المنسوجات القطنية في سنة ١٨٩٩ احدهما في القاهرة والآخر في الاسكندرية . اما معمل القاهرة فقد اغلق . ولا يزال الآخر باقيا وفيه ثلاثون الف مشط واربعائة نول

وقد لقي مؤسسه صاحبا حجة في تأسيسه اهمها وضع الحكومة المصرية على منسوجاته ضريبة قدرها ثمانية في المائة

ثم رأيت ان تنزل هذه الضريبة الى ثلاثة في المائة لمدة خمس سنوات . فعمي ان

تجعل الحكومة هذا الاعفاء دائماً حتى يتيسر لمروجي هذه الصناعة ان ينشروها في كل مكان

على ان في البلاد المصرية غير هذا المعمل نحو ستة آلاف وثلاثمائة نول للنسيج وكلها للوطنيين وهي تستورد خيوط الغزل من الممالك الاوربية وقد استوردت في سنة ١٩٠٨ من هذه الخيوط ما قيمته ٢٢٩٠٠٠ ج

على ان ما تستهلكه البلاد المصرية في عام من المنسوجات الاوربية بلغت قيمته في سنة ١٩٠٨ ٤٠٠٠٠٠٠ ج ولو كانت مصر تنسج منسوجاتها في عامل لحسابها لبقيت هذه الملايين في خزائنها ولم تنقل الى خزائن المعامل الاوربية

وقد فكر بعض ذوي النفوس العالية في الحال وفي مقدمتهم المرحوم مصطفى كامل باشا الذي اقترح علي الامة في سنة ١٩٠٢ انشاء معهد صناعي كبير يكون بمثابة تذكار لمرور مائة عام على تولية محمد علي باشا الكبير مؤسس البيت الخديوي فلبت جمعية العروة الوثقى بمدينة الاسكندرية نداءه واخذت في الاكتتاب لتأسيس مدرسة محمد علي الصناعية فوجدت من نفوس الامة ارتياحاً واقبل على الاكتتاب الكثيرون وفي مقدمتهم الخديو واعضاء الأسرة الخديوية وكرماه الاوربيين القاطنين في مصر

وما جاءت سنة ١٩٠٨ حتى كان بناؤها عالياً ووضعها محكماً وهي اليوم تقدم للثغر احسن الاعمال وتكفي الكثيرين من ابنائه ثم نحا اهل الخير هذا النحوا فتأسست مدرسة في اسيوط بهمة محمود باشا سليمان احد كبار الاعيان وتأسست مدرسة في بني سويف وثالثة في الفيوم

وقد عني الامير حسين كامل باشا بالاكتتاب لمدرسة كبرى صناعية لمديرية البحيرة فلبى دعوته كثير من الاعيان الاغنياء وبلغ الاكتتاب نحو ٣٠٠٠٠ جنيه وظهرت هذه المدرسة في اجمل مظهر وهي تعمل الآن اعمالاً مفيدة

وكذلك عنيت بطريكية الاقباط واسست مدرسة صناعية كبرى في بولاق اكتب لها الكثير من ابناء هذه الطائفة بمبالغ طائلة وكذلك مدرسة طوخ الصناعية فانها شيدت في هذه الايام الاخيرة على احسن طراز وغير ذلك من الورش الصغيرة

واخيراً فكر يوسف كمال بك في ان يخدم امته من طريق العلم والصناعة فاسس مدرسة لتعليم الفنون الجميلة ووقف عليها عقاراً يقدر بخمسين الف جنيه واخذ في تهيئة دار كبيرة لها واختار لها مديراً فرنسياً هو الميسيو لابلاني النحات التلميذ المشهور

ووكيلا هو فؤاد افندي حسيب واختار اسانذتها من الاوربيين والمصريين المشهود لهم بعلو الكعب والتفوق في هذه الفنون الجليلة
 فاعاد الامير بانشاء هذه المدرسة الى مصر روح النحت والنقش والظل وفن العارة
 وغير ذلك من الفنون الجميلة الكبيرة التي تعود على مصر لا محالة بجلايل الفوائد
 لحوم البشر

ان عادة اكل اللحوم البشرية غير محصورة في مكان في انكتب اليونانية القديمة
 اشارات اليها والايرلنديون الاقدمون كانوا يأكلون موتاهم وفي مكسيكو وبيرو قبل
 فتوح اسبانيا كانت شهر الحروب ليستحصلوا ذبائح من البشر لاعيادهم ولولائمهم
 لكن بولنيزيا لم تنزل محافظة على هذه العادة الى عصرنا الحاضر ومبتدعو تلك العادة
 في تلك الجزائر هم سكان جزائر الفيجي وهي عندهم من الفروض الدينية وهم مولعون
 بطعم لحوم البشر الى درجة ان احدهم كان يعيش مع امرأة له عيشة راضية فلا يكون
 منه الا ان يقتلها ويقتات بلحمها كما رواه وليم في كتابه عن سكان الفيجي وهم لا يفضلون
 لحم الطفل على لحم الرجل او المرأة المسنة بل يأكلون ماتيسر بعد شيه .
 من افطع العقوبات عندهم انهم يثرون اطراف المجرم وهو حي ينظر اليها تشوى
 وتؤكل

ومن افطع ما يروى ان رجلا من اهل هذه الجزيرة كان يفاخر بانه اكل مدة
 حياته ٩٠٠ انسان وهو مع ذلك يقر في الضيف وليس عنده من الشراسة اكثر من
 باقي سكان الجزيرة ممن لم يأكلوا اللحم بشر مدة حياتهم . ويروى ان شيكا زعيم احدي
 جزائر الفيجي اسر في ساحة الحرب مايربو على مائتي مقاتل من عسكر العدو وفي
 صباح ذلك اليوم اولم وليمة دعا اهل الجزيرة لحضورها ومشاركته بالتمتع بلحم الاسرى .
 وفي غينة الجديدة عندما يشيخ الرجل ويصبح غير قادر على العمل يأخذه اهله ويربطونه
 الى غصن شجرة ويجمعون حوله يرقصون ويغنون بقولهم « الثمرة قد نضجت الثمرة قد
 نضجت » ثم يهزون الغصن فيقع الشيخ على الارض نياكلونه . وفي جزائر الهبروز الجديدة
 يفضلون اكل لحوم السود على لحوم البيض وهذه العادة ايضا منتشرة بين سكان
 كليدونيا الجديدة .

يقول المستر تيلور في كتابه عن زيلندا الجديدة ان الطريقة المتبعة هي انهم يرسلون
 سلا مملوءة بلحوم البشر من طرف الزعيم الى اعوانه فمن قبلها منهم يأتي الى الموعد

المضروب بمجموعه للمساعدة وهم يعدون من لا يذهب الى الحرب وبأكل من لحوم البشر « غير مهذب » وبعد انتهاء المعركة تجتمع جثث القتلى وتوزع لحومها عن العظام وترسل الى بيوت الانصار والحلفاء .

والمؤبة الوحيدة في تلك العادة ان الذين يشولون تقطيع الفريسة وتعريق لحمها يصبحون على شيء من المعرفة في تركيب اعضاء الانسان لذلك تراهم ماهرين في رد خلع المفاصل . هذا وقد اخذت تحف وطأة هذه العادة منذ اخذت المدنية الحديثة تدخل الى تلك الجزائر . ملخصاً عن مجلة الاثري الاميري

الصور السائية

تكلم احمد بك زكي في محاضرة التي اشهرتها مجلة المقتبس في الجزء السادس من المجلد الخامس تحت عنوان (الكتابة والكتب ودورها) على كتاب (الصور السائية) لعبد الرحمن ابن عمر بن محمد بن سهل الصوفي فقال عنه : واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشائيم ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لا تجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد اس طافية الاختفاء وتطاير في الفضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهين بها الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن ارجعته وجب عليهم ان يتلقوا احدى هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية او ان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهناك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستالان السادسة هي التي سأتكلم عليها الخ

وحينما تلوت هذه العبارة تذكرت اني رأيت هذا الكتاب من نحو خمس سنين في المكتبة الاحمدية التي نوهت مجلة المقتبس في ذاك الجزء بذكرها او ذكرت بعضاً من نفائس كتبها فدعاني ذلك ان اسفح المكتبة واعيد النظر الى هذا الكتاب واكتب شيئاً عنه بتسيراً لعشاق هذا العلم بوجود هذا الكتاب في هذه البلاد بلغة الناطقين بالضاد لعلهم يسعون في طبعه ويقبسون من غر فوائده

اوله بعد البسملة

قال عبد الرحمن بن عمر المعروف بابي الحسن الصوفي بعد ان حمد الله واثني عليه وصلى على رسوله المصطفى وآله (اما بعد) فأني رأيت كثيراً من الناس يخوضون في طلب معرفة الكواكب الثابتة في مواضعها من الفلك وصورها ووجدتهم على فرقتين احدهما

تسلكت طريقة النجمين ومعولها على كرات مصورة من عمل من لم يعرف الكواكب باعينها وانما عولوا على ما وجدوه في الكتب من اطوالها وعروضها فرسموها في الكرة من غير معرفة خطائها وصوابها فاذا تأمل من يعرفها فيها وجد بعضها مخالفا في النظم والتأليف لما في السماء او على ما وجدوه في الزيجات وادعى مؤلفها انهم قد رصدوها وعرفوا مواضعها وانما عمدوا الى الكواكب المشهورة التي يعرفها كثير من الخالص والعام مثل عين الثور وقلب الاسد والسمك الاعزل والثلاثة التي في جهة العقرب وقلب العقرب وهذه الكواكب هي التي ذكر بطليموس انه رصدها باطوالها وعروضها واثبتتها في كتابه المعروف بالمجسطي لقربها من منطقة فلك البروج فرصدها واثبتوا مواضعها في وقت ارسادهم ثم قال بعد كلام طويل :

واما الفرقة الاخرى فانها سلكت طريقة العرب في معرفة الانواء ومنازل القمر ومعولهم على ما وجدت في الكتب المؤلفة في هذا المعنى ووجدنا في الانواء كتباً كثيرة اتماها واكملها في فنه كتاب ابي حنيفة الديوري فانه يدل على معرفة تامة بالاخبار الواردة عن العرب في ذلك واشعارها واسجاعها فوق معرفة غيره ممن افوا الكتب في هذا الفن ولا ادري كيف كانت معرفته بالكواكب على مذهب العرب عيانا فانه يحكى عن ابن الاعرابي وابن كنانة وغيرهما اشياء كثيرة من امر الكواكب يدل على قلة معرفتهم بها وان ابا حنيفة لو عرف الكواكب لم يسند الخطأ اليهم ثم كل من عرف من الفرقتين احدى الطريقتين لم يعرف الاخرى والى في كتابه اشياء من غير الفن الذي اخذ فيه نادى على نفسه بها بالخطأ وخفة البضاعة فيه منهم ابو حنيفة فانه ذكر في كتابه ان البروج الاثنا عشر لم تسم بهذه الاسماء الا لان نظم كواكبها مشا كل للصورة المسماة باسمها وان الكواكب تنتقل عن اماكنها واسماء البروج غير زائلة وان زال نظم الكواكب ولم يعلم ان نظمها لا يزول ولا يتغير (الى ان قال) وقد كنت اظن بابي حنيفة ان له رياضة بعلم الهيئة والرصد فقد كنت بالدينور في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة من سني الهجرة في صحبة الاستاذ ابي الفضل محمد بن الحسين نازلاً في حجرته وحكى لي جماعة من المشايخ انه كان رصد الكواكب على سطح هذه الحجرة سنين كثيرة فلما ظهر تأليفه وتأملت ما وودعه كتابه علمت ان الذي كان يراعيه انما كان طلب الظاهر المشهور من الكواكب وما كان يجده في كتب الانواء من ذكر المنازل وما اشبهها والناس كلهم متفقون على ان لهذه الكواكب حركة الى توالي البروج

ثم قال بعد كلام طويل :

ولما رأيت هؤلاء القوم مع ذكرهم في الآفاق وتقدمهم في الصناعة واقتداء الناس بهم واستعمالهم مؤلفاتهم قد تبع كل واحد منهم من تقدمه من غير تأمل لخطائه وصوابه بالعيان والنظر حتى ظن كل من نظر في مؤلفاتهم ان ذلك عن معرفة بالكواكب ومواقعها ووجدت في كتبهم من التغلف والاسباغ في كتب الانواء من حكاياتهم عن العرب والرواية عنهم اشياء من امر المنازل وسائر الكواكب ظاهرة الفساد لو ذكرتها طال الكتاب بلا فائدة عزمت مرات كثيرة على اظهار ذلك وكشفه وكان يعتريني فتور في حال واشغال تصدني عن المراد في اخرى الى ان شرفني الله بخدمة الملك عضد الدولة ابي شجاع بن ركن الدولة رحمه الله تعالى وانعم عليّ بادخالي في جملة خوله وحشمه ووجدته من فتون العلم متمكنا وفي المعرفة بها منبسطا وعلى عامة العلماء مقبلا والى جميعهم محسنا ورأيت كثيرا من النجوم لا احوال الكواكب مائلا الى امتحانها والوقوف على مواقعها من الصور ومواقعها من البروج والدرج بالرصد والعيان ولم اجد يحضرته من النجميين من يعرف شيئا من الصور الثماني والاربعين التي ذكرها بطليموس في كتابه المعروف بالجسطي على حقيقتها ولا شيء من الكواكب التي في الصور على مذهب النجميين ولا على مذهب العرب الا اليسير الظاهر المشهور الذي يعرفه الخاص والعام ولم اجد لمن تقدمني من العلماء ايضا كتاب في احد الفنين بوثق بمعرفة مؤلفه الا كما تقدم ذكره ولا يمكن الرصد الا بمعرفة الصور وكواكب كل صورة بالنظر والعيان فرأيت ان اقرب اليه بتأليف كتاب جامع يشتمل على وصف الصور الثماني والاربعين وعلى كواكب كل صورة منها وعددها ومواقعها من الصور ومواقعها من فلك البروج باطوالها وعروضها وعدد كواكب الفلك كلها المرصودة التي من الصور والتي حوالى الصور وليست منها

وبعد كلام طويل اخذ المؤلف بشكلم على الصور الثماني والاربعين صورة فصورة مع اثبات نفس الصورة ونقشها بحروف وارقام عند موضع كل كوكب غير ان اربع عشرة صورة منها ليس عليها شيء من الحروف والارقام وخالية من الاشارات الى مواضع الكواكب

وبعد ان ينتهي من الكلام على كل صورة يذيله بجدول فيه اسماء كواكب تلك الصورة وارقام تدل على مواضع تلك الكواكب فيها والكتاب في ١٢٧ صفحة بقطع قريب من الكامل قال ناسخه في آخره : وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة

المسماة بكواكب الصوفي في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس بعد الالاف وتحت ذلك ثلاثة اسطر اخر لم يقرأ منها سوى (المقرئ الموقت بومئذ بجامع حلب الشهباء الكبير عمره الله تعالى) حلب : محمد راغب طباح

المعادن المذخورة

نشر المؤتمر الجيولوجي الدولي الحادي عشر الذي التأم في استوكهلم خلاصة التقارير التي طلبها من علماء طبقات الارض والمهندسين في مناجم العالم على اختلاف الاصقاع والديار بشأن مناجم الحديد في العالم بأسره وتقسيمها فتبين منها ان ما يعرف الآن من المناجم في الدنيا يحتوي على عشرة مليارات طن وربما لا يقل المذخور في بطون تلك المناجم عن خمسين الف طن وما ينبغي للعالم اليوم هو ستون الف طن وكان يكفي سنة ١٨٧١ بثلاثة عشر مليون طن وسنة ١٨٩١ بستة وعشرين مليون طن وسنة ١٩٠١ باحد واربعين مليون طن واذا قدرنا ما يلزم العالم من الحديد اليوم وما يعرف من مناجمه المذخورة فلا يكفي الحديد سوى قرنين آخرين واذا لم تتدارك الحال بالبحث عن مناجم جديدة يحتل المعدل واليك جدولاً بما هو مذخور من الحديد في القارات الخمس ومنه ما عرف ومنه ما يقدر تقديراً وهو بحساب مليون طن :

مناجم يرحى ان تكون مذخورة		مناجم معروفة مذخورة	
حديد	حديد ممزوج بتراب	حديد	حديد ممزوج بتراب
اوربا ١٢٠٨٥	٤١٨٢٩	٤٧٣٢	١٢٠٣٢
اميركا ٤٠٧٣١	٨١٨٢٩	٥١٥٤	٩٨٥٥
اوسترااليا ٣٧	٦٩	٧٤	١٣٦
آسيا ٢٨٣	٤٥٧	١٥٦	٢٦٠
افريقية ؟	؟	٧٥	١٢٥

وجاء في جدول آخر ذكرت فيه المناجم المعروفة والتي يرحى كشفها في كل مملكة على حدها من ممالك اوربا فكانت المملكة العثمانية كثيرة جداً بمناجمها الا انه لا يعرف مقدارها الآن وتبين ان فرنسا أكثر ممالك اوربا بمناجمها المعروفة

فَتْحُوطُ بَابِ طَبَوِيَّتَا

بدائع الصنائع

في ترتيب الشرائع للامام علاء الدين ابي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي المتوفى

سنة ٥٨٢ هـ طبع بمصر سنة ١٣٢٨

اعتاد محمد امين افندي الخافجي صاحب المكتبة المشهورة في القاهرة والاستانة ان يطبع للامة كل نافع من آثار سلفها الصالح فاحيا باقدمه عدة أهيات ومنها هذا الكتاب في الفقه الحنفي تعرض فيه مؤلفه الملقب بملك العلماء لاقسام المسائل وفصولها وتخريجها على قواعدها واصولها ليكون اسرع فهمًا واسهل ضبطًا وايسر حفظًا وقد جمع جملا من الفقه مرتبة بالترتيب الصناعي والتأليف الحكيم مع ايراد الدلائل الجلية والنكت القوية وهو في سبعة اجزاء تم الاول والثاني والخامس والسادس والسابع منها وسيتم الجزآن الآخران وقد وقع في نحو ٢٥٠٠ صفحة بالقطع الكامل على ورق جيد وحروف مصرية ولا شك ان المشتغلين بفقه الامام الاعظم يحلون هذا الكتاب محله من الاعتبار كما احل المالكية المدونة الكبرى المنسوبة للامام مالك والشافعية كتاب الام للشافعي فيعد عندهم مرجعًا واسعًا

الدولة الاسلامية او ماضي الشرق وحاضره

تأليف الشيخ احمد الصابوني الحموي طبع الجزء الاول في مطبعة حماة سنة ١٣٢٨

ص ٢٠

كان الفاضل صاحب هذا الكتاب نشره مقالات متسلسلة في جريدته اسان الشرق فاستحسنها قراؤها فاعاد طبعها مع زيادات على هذه الصورة فجاءت شاهدة بفضلها وبعد نظره وكتابة التاريخ على هذا الاسلوب اوقع في النفوس واعاق في الازهان لانها عبارة عن التدبير في اعمال الرجال . فقد تكلم على طائفة من الخلفاء الراشدين والملوك الامويين والعباسيين فكان كلامه فلسفة على تاريخهم وبيان الحكمة من اعمالهم . وما رواه المؤلف نقلا عن ابن عبد ربه ان عثمان حينما كبر و تقدم في العمر شد اسنانه بالذهب وقال غيره انه وضع سنًا من ذهب ومعلوم ان تركيب السن من الذهب لا يكون الا بمهارة في الصناعة وعلم بها عظيم . وعبارة المؤلف منسجمة وعساه يوفق الى نشر بقية الاجزاء ليم نفعه

الاسكا وكلونديك

تأليف جبرائيل افندي عساف مرعي من دوما (لبنان) طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس
الشام سنة ١٩٠٩ ص ٢٢٨

مؤلف هذا الكتاب ممن اقاموا زمناً طويلاً في بلاد الاسكا وكلونديك بلاد الذهب
فعنه له ونعما فعل ان يكتب ما عرفه عن هذه البلاد وغناها ومدنها ومناجمها وركازها
وزرعها وضرعها وصيدها وسكانها وحكومتها وادارتها وحالتها الطبيعية وما يتعلق بتلك
البلاد من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية التي تفيد الجالية العربية الى تلك البلاد
وابناء العربية كافة في الاطلاع على عجائب صنع الله في ارضه وهذه البقعة الصغرى
منها التي بلغت مساحتها بحسب الاحصاء الاخير ٥٩٠٨٤٤ ميل مربعاً اي نحو خمس
مساحة الولايات المتحدة ويناهز طول سواحلها البحرية ٢٦ الف ميل وهي كما قال المؤلف
سعة بالغة تزيد عن محيط الارض عند خط الاستواء ٠ وبالجملة فان هذا السفر نافع
في بابه وباحضه لو تصدى كل من ينزل منا قطراً شاسعاً من اقطار الارض فيصفه
بما ينبغي خدمة للعلم ورجال المال والاعمال لتذكر لهم على الدهر مقرونة بالثناء الطيب
والذكر العطر

نقويم البشير

ظهر هذا التقويم الذي تصدره مطبعة الآباء اليسوعيين كل سنة وهذه هي السنة
الرابعة والثلاثون لظهوره وهو تأليف الاب لويس معلوف وفيه حساب السنين على
اختلاف انواعها من شمسية وهجرية وقبطية واسرائيلية واعياد المسيحيين واصوامهم
واسماء الرؤساء الروحيين فيهم ومرآكرهم في المملكة العثمانية وغيرها ولا سيما البابويين منهم
وجداول المعدودات ورؤساء الممالك العثمانية والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية ولا سيما
في سورية واسماء الجرائد والمجلات والمطابع في بيروت ولبنان وفيها نحو ٥٧ جريدة ومجلة
وبعض وصايا عجيبة وفوائد علمية وبيئية ولطائف في ١٧٦ صفحة جيدة الطبع والحرف



المقبر

الضوء اللامع

من كتب التراجم الممتعة التي تجمع بين الفائدة واللذة هذا التاريخ لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن الملقب بشمس الدين السخاوي الاصل القاهري تكلم فيه على رجال عصره بما اعتقده فيهم واطلاق لقلبه الغنان ايما اطلاق حتى لتظنه لا يعرف غير المهجاء مذهباً وكشف عورات اهل جيله وقبيله مشرباً .

قال في كشف الظنون : الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع لشمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعائة رتبة علي الحروف وقد صنف السيوطي في رده مقالة سماها الكاوي في تاريخ السخاوي وشنع عليه فيها وتنبه الشيخ زين الدين عمر بن احمد الشماخ الحلي المتوفى سنة ٩٣٦ ست وثلاثين وتسعائة وسماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي والشهاب احمد بن الغز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١ احدى وثلاثين وتسعائة وسماه البدر الطالع من الضوء اللامع لاهل القرن التاسع واختصره الشيخ احمد القسطلاني وسماه النور الساطع في مختصر الضوء اللامع

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة صحيحة من هذا الكتاب ربما كانت اصح نسخة في سورية ومصر وهي في نحو ثلاثة آلاف صفحة كبيرة بخط وسط وقعت في خمس مجلدات ضخام . والمؤلف عالم من علماء الحديث وغيره وله مصنفات أخر وترجم نفسه Autobiographie في كتابه وقد جرت عادة كثير من الاعلام ان يترجموا انفسهم من غير تكبير فيما قاله انه اخذ عن دب ودرج وذلك لانه ارتحل من القاهرة على عادة العلماء لان الرحلة ولا سيما للمحدثين

والمؤرخين من لوازمهم وحج فر على الينبوع وعقبة ايلة وراغب وخليص ثم ارتحل الى حلب ماراً ببلدس وقطيا وغزة والمجدل والرملة وبيت المقدس والخليل ونابلس ودمشق وصالحيتها والزبداني وبلبلك وحمص وحماة وسمرين وحلب ومراً ايضاً بطرابلس وبرزة وكفر بطنا والمزة وداريا وصالحية مصر

وله تصانيف كثيرة في الحديث ومنها تراجم من اخذ عنهم في ثلاثة مجلدات سماه بغية الراوي بمن اخذ عنه السخاوي وفهرست مروياته، وفيه ازيد من ثلاث مجلدات والدير المسبوك في الذيل على تاريخ المقرئ في نحو اربعة اسفار والضوء اللامع الذي نحن بصدد الكلام عليه ويكون ست مجلدات بحسب نقديده . والذيل على قضاة مصر نسخة في مجلدة والذيل على طبقات القراء لابن الجزري في مجلد والذيل على دول الاسلام للذهبي والوفيات في القرن التاسع وترجمة نفسه والتاريخ المحيط وهو في نحو ثلثة رزمة على حروف المعجم قال ان لا يعلم من سبقه اليه . وطبقات المالكية اربعة اسفار الى غير ذلك من الشروح والتلاخيص ولد سنة ٨٣١ وقد استغرقت ترجمته نفسه في كتابه هذا ١١ ورقة ونصف ورقة ولم نرفيه اكبر منها

وفي هذا الكتاب من المشاهير الناشري وابراهيم بن ظهيرة والباقعي والبرهان الطرابلسي واحمد الكوراني وابن الهام وابن الشحنة والمقرئ والحافظ ابن حجر وابن عربشاه وتيمونك والقاضي زكريا والحافظ العراقي وابن خلدون والجلال البلقيني والجلال السيوطي . وفيه من غير هذه الطبقة ايضاً طرف صالح جداً منهم من نسب الى بلده ومسقط رأسه ومنهم من اشتهر بالقبأ أخرى فتقع فيه على تراجم البعلبكي والعجلوني والطنبوبي (نسبة لبلدة من اقليم المنوفية بمصر) والادفوي والزناكوني والمنوفي والاسنوي والقوسي والديمياطي والبوصيري والسمودي والاسيوطي والسنباطي والاشموني والمروي والمفلوطي والفارسكوري والبنهاوي والبيجوري والمنشاوي والرشيدي والسكندري والاذرعي والعكاري والباقعي والسقطي (من سقط الحنيفة شرقية مصر او سقط قليش من البحيرة) والديروطي والفاقوسي والحلي والدمهري والاشمعي والابشهي والقليوبي والعامري والناوي والحلاوي والكركي والشوبكي . والصعيدى والبلينائي والبلديسي والبصروي والصيداوي والنزوي والزفتاوي والبلقيني (نسبة لبلقينة في الغربية) والاسواني والجهري (نسبة لقاعة جعبر من بلاد حلب) والحصي

والحموي وغير ذلك من الاعلام الذين نشأوا من قرى مصر والشام ومدنها في ذلك القرن .

بل وتجد فيه ما هو اغرب واعجب من تراجم امراء الجراكسة والمقدمين في حكومة تلك الايام امثال قايتباي احد ملوك مصر ترجمه في ست ورقات وقشمر وقطلبايع وقطليك وقطلوبغا وقطج وقرقاس وقراجا وقراسنقر وقرابلوك وقرابوسف وقراقجا وقايتباي وقارب يردى وقانصوه وقاينك وقانم وكتنور وكتنباواق سنقر ولاجين ومنكلي بغا والطنبغا وامثالهم من لاتعثر لهم على ذكر في غير هذا السفر الحاوي وترجم كثيراً من العامة وارباب الاحوال والنساء واورد بعض اشعارهن ومنها الجيد مثل شعر فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمد ابن شيرين الخنفي وقد كتبت الى المؤلف بعد مجيء الخبر بموت اخويه من نظمها

قفا واسمعا مني حديث احبتي
انا س اطاعوا الله نارت قلوبهم
واوصاف معانهم عن الحسن جلت
وابصرت الاشياء من غير نباءة
وقد كرشفوا عن كل ما اضمرا الفتى
ونارت قلوب منهم وبصيرة

وهاك ما قاله السخاوي في مقدمة كتابه وفيها الغرض الذي يرمي اليه :

الحمد لله جامع الشتات ورافع من شاء في الحياة وبعد المات ومقبل المقبل على الاكثار من الطاعات من ذوي الهيات من بعد ما سلم صدر عنه من الزلات وقابل توبة من اخلص ورجع عما اقترف من البليات سيما الصادرات في الصبا الغالب معه ترك النظر في العاقبات فضلا عما نشأ في الطاعات الى ان قال : وبعد فهذا كتاب من اهم ما به يعتنى جمعت فيه من علمه من هذا القرن الذي اوله سنة احدى وثمان مائة ختم بالحسنى وسائر العلماء والنضاة والصلحاء والرواة والادباء والشعراء والخلفاء والملوك والامراء والمباشرين والوزراء مصرى كان او شاهيا حجازيا او يمانيا روميا او هديا مشرقيا او مغربيا بل وذكرت فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من اهل الذمة اقتفاء في اكثرهم (?) لمن اضعفهم اليه في غزوه لانه اجتمع لي منهم ائمة الفقير وارتفع عني اللبس في جمهورهم الا اليسير مستوفيا من كان منهم في معجم شيخنا وانبائه وتاريخي العيني والمقرزي سيما في عقودهم التي رتبها اليجم ابن فهد مع اصله للفارسي والطبقات والوفيات المدونة والتراجم كشيوخ ابن فهد التقي وولده تخرجه وغيرهما من المجامع وما علقته من مجامع مفيدنا الذين رضوان او رأيت في استدعائ ابن شيخنا ونحوه من الاعيان وسائر

من ضبطته من اخذ من شيخنا او عني او اخذت عنه، ولو لم يكن كبيراً عينا وربما اثبت من لا يذكر بعض الاغراض التي لا يحسن معها الاعتراض والحقت في اثباته كثيراً من الموجودين رجاء انتفاع من لعله يسأل عنهم من المستفيدين مع غلبة الظن الفني عن التوجيه ببقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه مرتباً له لتسهيل الكشف على حروف المعجم الترتيب المعهود في الاسماء والآباء والانساب والجدود مبتدئاً من الرجال بالاسماء ثم بالكنى ثم بالانساب والالقب وكذا المهمات بعد الانباء مراعيّاً في الترتيب لذلك كله حروف الكلمة المقصودة بحيث ابدأ في الالف مثلاً بالهمزة الممدودة ثم بالهمزة التي بعدها موحدة والـف ثم بالتي بعدها على ما الف مردوفاً ذلك بالنساء كذلك وكل ما اظلمت فيه شيخنا فرادي به ابن حجر استاذنا وكنت اردت ايراد شيء مما لعله يكون عندي ن حديث من شاء الله من المترجمين فحشيت التطويل سيما ان حصل ايضاحه بالتبيين ولذا اقتصر على الرضي والزكي والسراج والعقد والمحوي ممن بلغت رضي الدين او زكي الدين او سراج الدين او عضد الدين او محي الدين من المصنف عليه محتوي واعرضت لذلك عن الافصاح بالعطوف عليه للعلم به فانصر على قولي مات سنة ثلاث مثلاً دون وثمان مائة وتوفي ثم ليعلم ان الاغراض في الناس مختلفة والاعراض بدون التباس في المحذور مؤتلفة ولكنني لم آل في التحري جهداً ولا عدلت عن الاعتدال فيما ارجو قصداً ولذا لم يزل الاكابر يتلقون ما ابدى به بالتسليم ويتوقون الاعتراض فضلاً عن الاعراض عما القيه والتأثير حتى كان العز الحنبلي والبرهان بن ظهيرة المعتلي يقولان انك منظور اليك فيما تقول مسطور كلامك المنعش للعقول وقال غير واحد من يعتد بكلامه وتمتد اليه الاعناق في سفره ومقامه من زكيته فهو المعدل ومن مرضته فالضعيف المعلن الى غيرها من الالفاظ الصادرة من الائمة الايقاظ بل كان بعض الفضلاء المعتبرين يصرح بمعنى الموت في حياتي لاترجه بما لعله يخفى عن كثيرين نعم قد يشك من يعلم اني لا اقيم له وزناً فمرفق بل يختلف (كذا) ما يضمن محل في وقته حساً ومعنى ويستفيد به التوجيه على نفسه فيتحقق منه ما كان حسداً او ظناً والله اسأل ان يجنبنا الاعتساف المجانب للانصاف وان يرزقنا ثلثة الحق في السخط والرضى ويصرفنا عما لا يرتضى ويقينا شر القضا وسميته الضوء اللامع لاهل القرن التاسع اهـ

هذا هو اقل ما يقال في الضوء اللامع والامل معمود بان يمثل للطبع عما قريب على يد

احدى جمعيات المستشرقين في اوربا ولذا اكتفينا بايراد ترجمتين منه لفاضلين احدهما دمشقي والاخر مصري وان كان شامي الاصل وذلك انموزجا لاسلوب المؤلف وانشائه قال في ترجمة العالم المؤرخ الكاتب المشهور ابن عربشاه :

« احمد بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم ابن ابي نصر محمد ابن عربشاه ابن ابي بكر الاستاذ الشهاب ابو محمد ابن الشمس الدمشقي الاصل الرومي الحنفي والد التاج عبد الوهاب ويعرف بالعجمي وبابن عربشاه وهو الاكثر وليس هو بقريب لداود وصالح ابني محمد عربشاه الحمدانيين الاصل الدمشقيين الحنفيين ايضاً . ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة احدى وتسعين وسبعائة بدمشق ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عمر بن اللبان المقرئ ثم تحول في سنة ثلاث وثمانمائة في زمن الفتنة مع اخوته وامهم وابن اخته عبد الرحمن بن ابراهيم بن خولان الى سمرقند ثم بمفرده الى بلاد الخطا واقام ببلاد ماوراء النهر مديماً للاشتغال والاخذ عن هناك من الاستاذين فكان منهم السيد محمد الجرجاني وابن الجزري وهما تزيلا سمرقند الاول بمدرسة ايدكوتور والثاني بباغ خدا وعبد الاول وعصام الدين ابن العلامة عبد الملك وهما من ذرية صاحب الهداية واحمد الترمذى الواعظ واحمد القصير وحسام الدين الواعظ امام مسجد السيد الامام محمد بخاري الزاهر ولقي في سمرقند في سنة تسع وثمانمائة الشيخ عربان الادهي الذي استفيض هناك انه ابن ثلثائة سنة فالله اعلم وبرع في فنون واستفاد اللسان الفارسي والخط الموغولي واتقنهما واجتمع في بلاد الموغول بالبرهسان الايدكاني والناخي جلال الدين السيرامي واخذ عنه وقرأ النحو على حاجي قليد السيد ثم توجه الى خوارزم فاخذ عن نور الله واحمد بن شمس الائمة السيرافي الواعظ وكان يقال له ملك الكلام الفارسي والتركي والعربي ثم الى بلاد الدشت وسراي وحاجي خان وبها (البحر) الزاخر مولانا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردي فاقام عنده نحو اربع سنين واخذ عنه الفقه واصوله ومما قرأ عليه المنظومة ثم الى قرم واجتمع باحمد بيروق وشرف الدين شارح المنار ومحمود البلغاري ومحمود اللب ابي (؟) وعبد الحميد الشاعر الاديب ثم قطع بحر الروم الى مملكة ابن عثمان فاقام بها نحو عشرين سنة فترجم فيها للملك غياث الدين ابي الفتح محمد بن ابي يزيد ابن مراد بن عثمان كتاب جامع الحكايات ولامع الروايات من الفارسي الى التركي في نحو (٠٠) مجلدات وتفسير ابي الليث السمرقندي القادري بالتركي نظماً وباشراً عنده ديوان الانشاء وكتب عنه الى ملوك الاطراف

عربياً وشامياً وتركياً فبالعجمي لقرا يوسف ونحوه وبالتركي لأمر الدشت وسلطانها
وبالموغولي لشاروخ وغيره وبالعربي للمؤيد شيخ كل ذلك مع حرصه على الاستفادة
بمحيث قرأ المفتاح على البرهان حيدر الخوافي واخذ عنه العربية أيضاً

فلما مات ابن عثمان رجع الى وطنه القديم فدخل حلب فاقام بها نحو ثلث سنة ثم
الشام وكان دخوله لها في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين فجلس بجانوت مسجد
القصبة مع شهوده يسيراً لكون معظم اوقاته الانعزال عن الناس وقرأ بها على القاضي
شهاب الدين بن الحبال الحنبلي صحيح مسلم في سنة ثلاثين فلما قدم العلاء البخاري سنة
اثنين وثلاثين مع الركب الشامي من الحجاز انقطع اليه ولازمه في الفقه والاصلين
والمعاني والبيان والتصوف وغيرها وكان مما قرأ عليه الكافي في الفقه واليزدوي في اصوله
ونقدم في غالب العلوم

وانشأ النظم الفائق والنثر الرائق وصنف نظماً ونثراً مرآة الادب في علم المعاني
والبيان والبديع وسلك فيه اسلوباً بديعاً نظم فيه التاخير وعمل قصائد غزلية كل باب
منه قصيدة مفردة على قافية اشار اليه شيخنا بقوله واوقفني على منظومة في المعاني والبيان
واجاد نظمها وجعل كل باب قصيدة مستقلة غزلاً يؤخذ منه مقصد ذلك الباب
انتهى . ومقدمته في النحو . وعقود النصيحة . والرسالة المسماة بعقد الفريد في التوحيد .
ونثراً تاريخ نيورلنك ساه عجائب المقدور في نوائب نيمور . وفاكهة الخلفاء وفاكهة
الظرفاء . وكتاب الالهات الناقب وجواب الشهاب الناقب . والترجمان المترجم بمنتهى
الارب في لغة الترك والجم والعرب

واشير اليه بالتفنن حتى كان ممن يحمله ويعترف له بالفضيلة شيخنا واثني على نظمه
التاخير كما قدمته بل كتب عنه من نظمه ليدخله في البلدانيات فقال انشدني بمنزلة
برزة بالقرب من قرية القابون القحطاني في سابع رمضان سنة ست وثلاثين لنفسه

السييل يقطع ما يلقاه من شجر بين الجبال ومنه الارض تنفطر

حتى يوافي عباب البحر ينظره قد اضمحل فلا يبقى له اثر

مع حرص صاحب الترجمة حين كونه بالقاهرة على ملازمته والاستفادة منه بل
امتدحه بتصيدة بديعة اتى فيها بالغاز وتعاي واهاجي وجناسات وتالع فيها بضروب
الادب اودعتهما الجوهر والدرر سمعتها منه ومن لطيف ابياتها بيت جمع فيه حروف
الهجاء وهو

خض بحر فطحديه تفش العلا واجزم بصدقك ناطقاً اذ تسند
وبيت عاطل وهو

العالم العلم الامام لدى العلا العامل الحكم الهام الاوحد
وبيت شطره الاول مما يستحيل بالانكاس وشرطه الثاني عاطل مع كونه مملا يستحيل
ايضاً فالاول مركب من آمن والثاني من احمد وهو
نم آمناً من نم انما آمن دم حامداً ما أم آدم احمد
وكثر اجتماعهما وطرح شيخنا عليه من الاسئلة التي فيها الفكاهة والمداعبة مما
تعرف منه الملاءة والقدرة على التخلص منه ما اودعته منه اشياء في الجواهر عند الكلام
على قدرة شيخنا في التفسير وغيره رحمهما الله

وكان احد الافراد في اجادة النظم باللغات الثلاث العربية والعجمية والتركية
مجيد الخط جيد الايمان والضبط عذب الكلام بدع المحاضرة مع كثرة التودد ومزيد
التواضع وعظمة النفس ووفور العقل والرزانة وحسن التشكيلة والابهة وسياه الخير ولوايح
الدين عليه ظاهرة وقد اقيمت بالقاهرة في الخانقاه الصلاحية سنة خمسين فكتبت عنه
من نظمه اشياء وسمعت من لفظه العقد الفريد وعقود الصيحة وكتبهما لي بخطه
وبالغ في الادب والتواضع ومات بالخانقاه المذكورة في يوم الاثنين منتصف رجب
سنة اربع وخمسين ودفن بترتيبها والناس مشغولون بالاستسقاء عند توقف النيل غرباً
عن اهله ووطنه بعد ان امتحن على يد الظاهر جقمق وطلبه لشكوى حميد الدين عليه
وادخله سجن المجرمين فدام فيه خمسة ايام ثم اخرج واستمر مريضاً من القهر حتى مات بعد
اثني عشر يوماً عوضه الله خيراً وترجمته محتملة للبسط فقد كان من محاسن الزمان ومن
ترجمه باختصار المقر يزي في عقوده ومما كتبه عنه نفسه

قيص من القطن من حله وشربة ماء قراح وقوت
بنائ به المرة ما ينبغي وهذا كثير على من يموت

ومنه معمياً

وجبهك الزاهي كبدر فوق غصن طلعا واسمك الزاكي كشكاة سناها معا
في بيوت اذن الله لها ان ترفعا عكسها صحفه تاتي فيه الحسن (?) اجمعا

ومنه

فمش ماشئت في الدنيا وادرك بها ماشئت من صيت وصوت

فجل العيش موصول بقطع وخيط العمر معقود بموت

ومنه

وما الدهر الا سلم فبقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيئات مافيه نزول وانما شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فن صار اعلى كان اوفى تهشماً وفاء بما قامت عليه شروطه

وترجمه بعضهم فقال : العلامة احد افراد الدهر في الفضل والسجع وعلم المعاني والبيان والبديع والنحو والصرف والنظم والثر كان ممن أسرمع اللتك (اي الاعرج تيمورلنك) ونقل الى سمرقند ثم خرج منها في سنة احدى عشرة وچال في بلاد الشرق ورجع الى دمشق في سنة خمس وعشرين فاقام بها مدة بتكسب بالشهادة في بعض حواينيتها وقدم القاهرة في سنة اربعين وصنف عجائب المقدور في نوائب تيمور من ابتدائه الى انتهائه ابان فيه عن فضل كبير وملكة للسجع وغزارة اطلاع بحيث خلصه المقرزي وترجم مؤلفه فقال : ثره سجعاً فعلاً ورشحاً ، بالاشعار فحلاً . الى ان قال : بانه بحر بلاغة وفصاحة انشدنا كثيراً من شعره وله معرفة بالفتة واللغة ولكن الغالب عليه الادب وله نظم كثير منه كتاب مرآة الادب يشتمل على المعاني والبيان والبديع وهو نظم بطريقة الغزل يكون نحو النقي بيت وكتاب في علم النحو نظمه بطريقة الغزل ايضاً نحو مائتي بيت وقصيدة غزلية في الصرف بديعة مدح بها بعض اعيان الدولة وقصيدة في نحو مائتي بيت وشرحها في مجلد وخضاب الالهاب الناقب وجواب الشهاب الناقب بينه وبين البرهان الباعوني وحيد الدين القاضي ابان فيه عن حفظ كثير للغة وكثرة اطلاع وغزارة فضل وسبب منعه ان الباعوني كتب له بسة ابيات التزم فيها بانطاً (؟) المسألة اولها

أحمد لم تكن والله فظاً ولكن لا اري لي منك حظاً

واستوفي كثيراً من اللغة وكان قد وقع بينه وبين حميد الدين فحصل للشهاب سنة أخرى مثل نظره في كتب اللغة وعملها في ستة ابيات يعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته ثم كتب اليه بايات التزم فيها الراء قبل الالف والراء بعدها .

من مجيري من ظلوم منه أبعدت مزارا

واستوفي مافي الباب قال الشهاب فلم اجد له قافية فكشب له على لسان حميد الدين

قصيدة بغدادية اولها

اي خداوند عجبو عن موالة التناغي
فلم يقدر علي الجواب بمثلها وكتب الي بقوله
ياشهاب الدين يا احـ مد يا ابن عربشاه
واستوفى القافية فظفرت باشياء تركها فقلت
قد اتى الفضل عليه حلل اللطف موشاه

فتعجب من سعة دائرته وكثرة اطلاعه ثم قال له انا والله ماعرفتك الا الآن قال
فقلت له والله والى الآن ماعرفني وطال الجواب بينهما على هذا المتوال حتى ألف من
ذلك مجلداً فمن ذلك ما كتب به البرهان

ابن عربشاه كف عني اولاً نخذ ما يبيحك مني
واعلم بانني خصم ألد الشر دأبي والمكر فني
خلفي رجال لهم مجال في الحرب لا يخلفون ظني

الى آخرها ومن جملة المراسلات ان البرهان ارسل اليه بعشرة ابيات التزم فيها الباء
والياء واستوفى ما في الصحاح اولها

ان النميم وانت يا هذا ابن عين الخبير كذا

واستوفى القوائمي وظن اني لم اجد قافية فاجبته وآخر الامر توجه حميد الدين
الى مصر وشكاها الى السلطان وقال له البرهان هجائي فلم يرد عليه الا بقوله يكتب له
من اليوم بكفه عن هجائك فلما خرج قال السلطان للشمس الكاتب ان الباعوني رجل
جيد لولا انه عرف منه شيء ما قاله وألغز اليه ابو اللطف الحصكفي فاجابه بعد ان
اجاب شعر القاهرة (?) بغير المراد ثم الغز هو اليه واجابه بما لم اطل بايراده هنا وشعره كثير
جداً وتصنيفه الماذبي فأكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا في مجلد ضخيم فيه عجائب وغرائب
على لسان الحيوانات من اواخر ما الف .

ولما دخل مصر بعد الخمسين في الطاعون وجد غالب من بيت الكمال ابن البارزي
مات كزوجته واخذه فرثاهم بقصيدة طنانة على عدة قوافي واطهر في مخالصة من كل
قافية الى الاخرى قوة عجيبة ومملكة للنظم لا ينهض غيره بشق غبارها من قافية
اللام الى قافية الالف الى الهاء الى غيرها تزيد على سبعين بيتاً اولها

الى م الدهر يردى بالكمال ويه دي بالردى اعمل الكمال .»

وقال في ترجمة العلامة المقرئ: « احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن

ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن ابي الحسن ابن عبد الصمد ابن تميم الثقفي ابو العباس ابن العلا ابن المحيوي الحسيني العبيدي البجلي الاصيلي القاهري سبط ابن الصائغ ويعرف بابن المقرزي وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة وكان اصله من بعلبك وجده من كبار المحدثين فتحول ولده الى القاهرة وولي بها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاة وكتب التوقيع في ديوان الانشاء والنجب صاحب الترجمة وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين وقال شيخنا: انه رأى بخطه ما بدا علي تعيينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة وشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع من جده لأمه الشمس ابن الصائغ الحنفي والبرهان الآمدي والعز ابن الكوكب والنجم ابن رزين والشمس ابن الخشاب والنزخي وابن ابي الشيخة وابن ابي المجد والبقيني والعراقي والهيتمي والفرسيوسي وغيرهم بل كان يزعم انه سمع المتسلسل علي العماد ابن كثير ولايكاد يصح . وحج فسمع بمكة من النساوري والاميوطي والشمس ابن سكر وابي الفضل النوري القاني وسعد الدين الاسفراييني وابي العباس ابن عبد المعطي وجاعة واجاز له الاسنوي والاذرعي وابر البقا السبكي وعلي ابن يوسف الرريدي (?) وآخرون ومن الشام الحافظ ابو بكر ابن الحب وابو العباس ابن العز وناصر الدين محمد ابن محمد بن داود وطائفة واشتغل كثيراً وطاف علي الشيوخ ولقي الكبار وجالس الائمة فاخذ عنهم وتفقه حنفيًا علي مذهب جده لأمه وحفظ مختصرًا فيه ثم لما ترعرع وذلك بعد موت والده في سنة ست وثمانين وهو حينئذ قد جاز العشرين تحول شافعيًا واستقر عليه امره لكنه كان مائلًا الى الظاهر ولذلك قال شيخنا انه احب الحديث فواظب علي ذلك وكان يتهم بمذهب ابن حزم ولكنه كان لا يعرفه انتهى هذا مع كون والده وجده حنبلين ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل وكتب بخطه الكثير وانتقى وقال الشعر والنثر وحصل وافاد وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة غير مرة ولها في سنة احدى وثمان مائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة حسن والامامة بجامع الحاكم ونظره وقرأ الحديث بالموأيدية عوضًا عن الحب ابن نصر الله حين استقراره في تدريس الخناقلة بها وغير ذلك وحمدت سيرته في مبائثراته وكان قد اتصل بالظاهر برقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر في سنة عشر وعاد معه وعرض عليه قضاءها مرارًا فابى وصحب يشبك الداودار وقتًا ونالته منه دنيا بل يقال انه اودع عنده نقدًا وحج غير مرة وجاور

وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها نظر وقف القلاسي والبيارسثان التوري مع كون شرط نظره لقاضيها الشافعي وتدريس الاسرفية والاقبالية وغيرها ثم اعرض عن ذلك واقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبمد فيه صيته وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الاوحدى كما سبق في ترجمته فاخذها وزادها زوائد غير طائلة ودرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ذكر فيه من عاصره وامتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع . وكان يجب ان يكتب بمكة ويحدث به فتيسر له ذاك . والمدخل له . وعقدجواهر الاسقاط في ملوك مصر والفسطاط . والبيان والاعراب عما في ارض مصر من الاعراب . والالام في تأخر من بارض الحبشة من ملوك الاسلام . والطرفة الغربية في اخبار حضر موت العجيبة . ومعرفة مايجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم . وايضاظ الحنفيا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء . والملوك بمعرفة دول الملوك يشتمل على الحوادث الى وفاته . والتاريخ الكبير المقفى وهو في ستة عشر مجلداً وكان يقول انه لوكل على ما يرومه لجاوز الثمانين . والاخبار عن الاعذار . والاشارة والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام ومختصره وذكر من حج من الملوك والحلفاء والتخاصم بين بني امية وبني هاشم وشذور العقود وضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري والاوزان والاكيال الشرعية وازالة التعب والعنا في معرفة الحال في العنا وحصول الانعام والمير في سؤال خاتمة الخير . والمتاخذ السنية في معرفة الاجسام المعدنية وتجريد التوحيد وجمع الفرائد ومنبع الفوائد يشتمل على علمي العقل والنقل المحتوي على فني الجد والهزل بلغت مجلداته نحو المئة وما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب . وشارع النخاة يشتمل على جميع ماختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق منها والاشارة والالام الى حل لغز الماء وهو ظريف وغير ذلك . وقرض سيرة المؤيد لابن ناهض وقد قرأت بخطه ان تصانيفه زادت على مائتي مجلدة كبار وان شيوخه بلغت ستمائة نفس وكان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك يكثر له فيهم وقبح التحريف والسقوط وربما صحف في المتون .

ومما رأته بخطه في ذلك ابن بدر وهو بفتح الموحدة والدال المهملة فضبطه بخطه بالبدل وعلي ابن منصور الكرخي شيخ السلفي وهو بالجييم فضبطه بالخاء المعجمة وكثيراً ما يحصل عبدالله عبيدالله وعكسه بل وبلغني انه جعل ابا طاهر ابن محمش راوي الحديث

المسلسل بالاولية حين حدث به باخاء المعجمة بدل المهمة واما في المتأخرين فقد انفرد في تراجعهم بما لا يوافق عليه كقوله في ابن الملقن انه كان يبي (؟) الصلاة جداً وكان مع ذلك بكثير الاعتماد علي من لا يوثق به من غير عزو اليه حتى فعل ذلك في نسبه فان مستنده في كونه من العبيدين كونه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له : يا ولدي هذا جامع جدك لاسيما وما قاله ابن ارفع في نسبة عبد القادر جده انصاريا يخدش في هذا وان توقف صاحب الترجمة فيه لكنه مع ذلك لم يكن يتجاوز في تصانيفه في سياق نسبه عبد الصمد ابن تميم وان اظهر زيادة على ذلك فلم يثق به ثم رأيت ما يدل على انه اعتمد في هذه النسبة العرياني المشهور بالكذب فالحمد لله اعلم . ومن يصف من يكون كذلك بالحافظ مريد الاصلاح فقد جازف وما احسن قول بعضهم مما في بعضه توقف (كذا)

وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها واما الوقائع الاسلامية ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل والراتب والسير وغير ذلك من اسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه وكانت له معرفة قلبية بالفقه والحديث والنحو واطلاع على اقوال السلف والمأم بمذهب اهل الكتاب حتى كان يتردد اليه افاضلهم للاستفادة منه مع حسن الخلق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده والمجبة في المذاكرة والمداومة علي التهجد والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة فيها والملازمة لبيته حتى ان بعض الرؤساء فيما بلغني عتب على انقطاعه عنه اشد قول غيره :

قالت الارنب للفوت كلاما فيه ذكرى لثفهم الالباب

انا اجري من الكلاب ولكن خير يومي ان لاتراني الكلاب

ولو انشده قول ابن المبارك

قد ارحنا واسترحنا من غدو ورواح واتصال بلثيم او كريم ذي سماح

بعفاف وكفاف وقنوع وصلاح وجعلنا اليأس مفتاحاً لآبواب النجاح

لكان احسن و (له) الخبرة بالازيرة والاصطرب والرمل والميقات بحيث انه اخذ لابن خلدون طالعاً والتمس منه تعيين وقت ولايته فيقال انه عين له يوماً فكان كذلك وعد من النوادر

كل ذلك مع تبجيل الاكابر له اما مداراة له خوفاً من قلمه او لحسن مذاكرته وقد حدث ببعض تصانيفه ومروياته بمكة والقاهرة سمع منه الفضلاء واخبر انه سمع فضل الخليل للدمياطى على ابي طلحة الحراوي مرتين فاعتدوا اخباره بذلك وقرئ عليه مرة بل

كتب بخطه قبيل موته بسنة انه لا يعلم من يشاركه في روايته ورأيت بخط صاحبنا النجم ابن فهد انه حضره في الرابعة علي الحراوي وما علمت مستنده في ذلك .
وقد ترجمه شيخنا في مجمعه بقوله وله النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة فانه احيا معالمها واوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم اعيانها ولكنه لم يبالغ في انبائه لهذا الحد بل قال واولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصنف فيه كتاباً وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيراً منه قال وكان حسن الصحبة حلو المحاضرة وقال العمري : كان مشغلاً بكتابة التواريخ وبضرب الرمل تولي الحسبة بالقاهرة في آخر ايام الظاهر يعني برقوق ثم عزل بمسطره ثم تولي مرة أخرى في ايام الدوادار الكبير سودون ابن اخت الظاهر يعني برقوق عوضاً عن مسطره بحكم ابن مسطره وعزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور وقال ابن خطيب الناصرية في ترجمة جده وهو جد الامام الفاضل المؤرخ نقي الدين وقال غيره : جمع كتاباً فيها شاهده وسمه ، مما لم ينقله من كتاب ومن عجب ما فيه انه كان في رمضان سنة احدى وتسعين ماراً بين القصرين فسمع العوام يتحدثون ان الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك ومن شعره في دمياط :

سقى عهد دمياط وحياء من عهد فقد زادني ذكراه وجداً على وجدي
ولا زالت الانواء نسقي سمائها دياراً حكمت من حسناتها الجنة الخلد
وهي اكثر من عشرين بيتاً مات في عصر يوم الخميس سادس عشرى رمضان
سنة خمس واربعين بالقاهرة بعد مرض طويل وذلك على ما قاله شيخنا بتكملة
ثمانين من عمره ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية رحمه
الله وابانا هـ . »

هذان نموذجان من الكتاب وكله فوائد جزيلة وهو مرآة صادقة لاحوال القرن التاسع للهجرة وفيه دب الانحطاط على اشده في جسم الامة الاسلامية



میزان المقادیر فی تبیان التقادیر

علامة الامامية وشيخ الفرقة العلوية الشيخ رضي الدين محمد القزويني وكان احد
افاضل القرن الحادي عشر من اعيان قزوين
«عني بنشرها محمود شكري افندي الألويسي احد كبار علماء العراق العاملين»

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد وبعد فيقول المنقر بجهله بالعلم اليقيني رضي الدين محمد
القزويني . كثيراً ما وقعت في الشريعة الحقة المصطفوية عليه وآله الف الف تحية .
احكام مبتنية على مقادير مخـوصة ومسائل مشتملة على اوزان واكيال ومسافات منصوصة .
وجليلا ما اتفقت من المتدينين اهل الحساب . طوبى لهم وحسن مآب ضوابط مثقنة
بتقديرات معينة . وقواعد محكمة بتجديدات مميّنة فتصفت فما وصلت الى رسالة مفصلة .
موضوعة لشأنها وتبعت فما اطاعت على مقالة محصلة متكفلة ببيانها . غير انها مسطورة
في صحف منتشرة ضبطها محل للقرينة . ومذكورة في كتب متفرقة حفظها محل
للطبيعة . مع ان اكثرها وقعت موقعا لاختلاف الآراء . واجلها وردت موردا لافتراق
الاهواء . فها انا التي عليك لبيانها في طي هذه الرسالة نوعاً من بسط الكلام واهدية
اليك لبيانها في اثناء تلك المقالة ضرباً من توضيح المرام قاصداً فيها تسهيلاً على الطلاب .
راجياً منها شيئاً من الثواب فانه غير مقصور على من اكثر العمل ووفره . الكريمة فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره

وسميتهما ميزان المقادير في تبیان التقادير . فجعلتها تيمناً لها . وتزييناً ايها . هـ دية
خزانة كتب الدستور الاعظم ملجأ الاكابر والامم . حاوي الرياستين الدينية والدنيوية
جامع الفضيلتين العلمية والعملية . مقدر احوال الانام . بالفكر الرزين . مدبر ممالك
الاسلام بالعقل المتين . ملاذع اعظم الفضلاء في الآفاق . سلطان افاخر العلماء بالاستحقاق .
معبر تقود انظار الاولين والآخرين . خازن مكتوم اسرار السابقين واللاحقين فخر
السيادة والنجابة والفضيلة والكمال . عين العظمة والشوكة والجلالة والاقبال . اعتضاد
الحضرة المتدسة السلطانية . اعتماد الدولة العلمية العالية الخاقانية . ابد الله تعالى ظلال
دولته الى يوم الدين . بحرمة جده سيد المرسلين . وآباء الائمة الطاهرين المعصومين .

فاعلم ان المقادير المذكورة على ثلاثة اقسام . امامقلدة بالوزن . واما بالكيل . واما بالمساحة .
والبحث . واما ان يكون على وجه يكشف حقائقها . او على سوق يظهر دقائقها فانظمت
الرسالة بتفصيلات افتتاحاً . وبتتميات اختتاماً

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدره بحسب الوزن

هذه المقادير ينتهي اكثر تقديراتها بل كلها الى وزن الحبة من الشعيرة المتوسطة
لقلة الاختلاف فيها . وسهولة تحصيلها وشيوعها في الامكنة والافاق فوزنها بين
الاوزان كالواحد بين الاعداد فكما ثبت للواحد كسورهم فكذلك قدرت لها اجزاء فأسس
البيان بذكرها فيقال لسدس الشعيرة الخردل

ولجزء من اثنين وسبعين جزءاً منها الفلس

فهو نصف سدس الخردل . ولجزء من اربعمائة واثنين وثلاثين جزءاً منها الفتيل ويقال
له الفتيلة ^(١) ايضاً فهو سدس الفلس

ولجزء من الفين وخمسمائة واثنين وتسعين جزءاً منها النقيير فهو ايضاً سدس الفتيل

ولجزء من عشرين الفا وسبعمائة وستة وثلاثين جزءاً منها القطمير فهو ثمن النقيير

ولجزء من مائتين وثمانية واربعين الفا وثمانماية واثنين وثلاثين جزءاً منها الذرة ^(٢) فهي
نصف سدس القطمير

ولجزء من الف الف وسبعمائة واحد واربعين الفا وثمانمائة واربعة وعشرين جزءاً منها
الهباء فهو سبع الذرة

وبعد هذا التأسيس نفصل الاوزان المشهورة المذكورة على الالسنه على ما وصل
اليها حسبما انتضاهما الترتيب .

الطسوج وهو قدر حبتين من شعيرتين متوسطتين وهو مشهور وبه فسر اهل
اللغة ايضاً ولم اجد فيه خلافاً

(١) وقع في القرآن المجيد منها كما في قوله تعالى ولا تظلمون فيبلا وامثاله مجاز بعلاقة
معانيها اللغوية لاما اصطلاحوا عليه المذكور فيما نحن فيه (منه)

(٢) الذرة النملة الصغيرة والمذكور هنا ليس وزنها الواقعي بل هو محض اصطلاح
اذ بين وزنها الواقعي وهذا القدر بون بعيد يظهر من قول صاحب القاموس الدر صغار
الخل ومائة منها وزنة حبة شعير فالواحدة ذرة (منه)

والقيراط وهو قيراطان قيراط الدرهم وقيراط الدينار . وهذا ايضاً مكي وعراقي
فبالحقيقة ثلاثة اقسام

اما قيراط الدرهم فهو اربع شعيرات يبلغ طسوجين في القاموس في م كك القيراط
طسوجان والطسوج حبتان يعني شعيرتين كذا في الصحاح . وقيل هو ست شعيرات
فيبلغ ثلاثة طساسيج يعني قيراط الدرهم
واما القيراط المكي للدينار فهو شعيرتان او سبعة اسباع شعيرة يبلغ سطوجاً وثلاثة
اسباعه .

واما القيراط العراقي فهو ثلاث شعيرات وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ طسوجاً وخمسة
اسباعه في القاموس القيراط والقيراط يختلف وزنه بحسب البلاد فمكك ربع سدس دينار
وبالوراق نصف عشره انتهى فالتقدير موافق لما قدرناها به كما ستعرف وهذا العراقي
هو المعتبر في باب زكوة الذهب

واما القيراط الواقع في الحديث مع تفسيره بانه مثل جبل احد فجاز
والدائق وهو اذا اطلق فالمراد به دائق الدرهم وقدره ثمان شعيرات يبلغ قيراطي
الدرهم في القاموس في م كك . والدائق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج
حبتان والحبة سدس من ثمن درهم وهو جزء من ثمانية واربعين جزءاً من درهم وهو بعينه
عبارة الصحاح وفي دنق فسر به سدس الدرهم وهو ايضاً قيراطان كما ستعرف
والدرهم وهو دراهم الدرهم البغلي^(١) وهو اربع وستون شعيرة يبلغ ثمانية دوانيق
والدرهم الطبري وهو اثنتان وثلاثون شعيرة يبلغ اربعة دوانيق نصف البغلي في
القاموس الطبري ثلثا الدرهم اراد به الدرهم الشرعي . والدرهم التسري وهو ثمان
واربعون شعيرة يبلغ ستة دوانيق متوسط بينهما وهذا الشرعي هو المعتبر سيفي نصاب
زكوة الفضة وامثاله ويقال له الوربة ايضاً

قال العلامة في التحرير الدراهم في صدر الاسلام كانت صنفين بغلية وهي السود^(٢)

(١) ضبط بعضهم البغلي باسكان الغين المعجمة وبعضهم بفتح الغين المعجمة وتشديد
اللام ووجه تسميه به مفصلاً مذكور في الحبل المتين (منه)

(٢) قيل الدراهم السود هي الدرهم من الفضة المسكوكة بالصور كما يكون بين الكفار
لا الفلوس ولا يخفى ان ماروي في من لا يحضره الفقيه من انه سأل عبد الرحمن ابن الحاج
اوعبد الله عليه السلام عن الدراهم السود تكون مع الرجل وهو يصلي مربوطة او غير

كل درهم ثمانية دوانيق وطبرية كل درهم اربعة دوانيق فجمعاً في الاسلام وجعلوا درهمين متساويين وزن كل درهم ستة دوانيق فصار وزن كل عشرة دراهم . سبعة مثاقيل بمثل الذهب وكل درهم نصف مثقال وخمسة وهو الدرهم الذي قدر به النبي من المقادير الشرعية في نصاب الزكاة والقطع ومقدار الديات والجزية وغير ذلك . والدانق ثماني حبات من اوسط حب الشعير انتهى

والمثقال وهو مثقالان المثقال الشرعي وهو المعبر عنه بالدينار بلا خلاف لكن الدينار كثر استعماله في المسكوك من الذهب كما ان اكثر استعمال الدرهم في المسكوك من الفضة قدره ثمان وستون شعيرة واربعة اسباع شعيرة يبلغ درهماً وثلاثة اسباعه بالشرعي . في الصحاح وكذا في القاموس المثقال درهم وثلاثة اسباع درهم والدرهم ستة دوانيق والدانق قيراطان الخ . وهو المعتبر في الاحكام الشرعية بلا خلاف يظهر من تتبع كلام الفقهاء . وما وقع في الحديث من ان المثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصورها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض فجاز . والمثقال الصيرفي وهو المعروف في زماننا سنة اربع وخمسين والفي اكثر بلاد العجم قدره اربع وثمانون شعيرة على ما وزنا وراعينا في وزنه كالم الاحتياط . والتدقيق يبلغ درهماً وثلاثة ارباع درهم بالشرعي

والوافي وقدره ثمانون شعيرة يبلغ درهماً وثلاثي درهم في القاموس الوافي درهم واربعة دوانيق موافقاً لما قدرنا به

والاستار بالكسر وقدره ثلاثمائة وثمانى شعيرات واربعة اسباع شعيرة قدره ستة دراهم وثلاثة اسباع درهم بالشرعي يبلغ اربعة مثاقيل ونصف مثقال بالشرعي كذا في الصحاح . والقاموس وقيل هو ستة دراهم وثلاث درهم او اربعة مثاقيل نقلهما الشيخ في اواخر كتاب القانون

والاوقية كالوقية بالضم ونشديد الياء وهي اوقيتان الاوقية الجديدة وهي على ما به فسرهما الفقهاء . وجمهور اصحاب اللغة والاطباء خمسمائة واربع عشرة وسبعان من الشعيرة قدر عشر دراهم وخمسة اسباع درهم يعني سبعة مثاقيل ونصف يبلغ استارا وثلاثي استار بالمعنى الاول . وعلى ما نقله الشيخ في اواخر القانون هي سبعة مثاقيل يكون

مربوطة فقال ما اشتبهى ان يصلي ومعه هذه الدراهم التي فيها التماثيل الحديث لا يؤيد شيئاً منهما كما لا يخفى

عشرة دراهم وتبعه العلامة الشيرازي في شرح القانون وصاحب القاموس في وقـ
لكنه وافق في م لكك الجمهور كما وافقهم صاحب الصحاح في الموضعين وصرح بانها
هي المعتبرة بين الاطباء وسنقل كلامه بعينه وعلى ما فسر به بعض ما يعتد به هي اثنا
عشر درهماً يعني ثمانية مثاقيل وخمسي مثقال فلها ثلاثة تفسيرات والمعتمد المشهور هو
الاول كما ذكرنا

والاوقية القديمة وهي الف وتسعمائة وعشرون شعيرة قدر اربعين درهماً يعني ثمانية
وعشرين مثقالاً تبلغ ثمانية اساتير وثمانية اساع استار بالمعنى الاول وفي الصحاح
تصريح به وبما سبق منه في موضع آخر كما مر بقله الاوقية في الحديث اربعون درهماً
وكذلك كان فيما مضى فاما اليوم فيما يتعارفها الناس ويقدر عليه الاطباء فالاوقية عندهم
وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وهو استار وثلاثا استار انتهى وموقع في الحديث
من تفسير الاوقية باعظم من جبل احد فجاز

والنش^(١) بالتشديد وهو تسعمائة وستون شعيرة قدر عشرين درهماً يعني اربعة
عشر مثقالاً يبلغ نصف اوقية قديمة كذا في الصحاح والقاموس ورووا كان صداق
ازواج النبي صلى الله عليه وآله اثنتي عشرة اوقية ونشاً اندرون ما النش هو نصف
اوقية عشرون درهماً انتهى ذكر هذه الرواية العلامة في منتهى المطلب للاستدلال على
ان الاوقية كانت اربعين درهماً

والرطل وهو ارطال الرطل العراقي ويقال له البغدادي ايضاً وهو المراد عند اطلاق
الرطل في الاكثر وفي تفسيره خلاف فعند جمهور الخاصة والرافعي^(٢) من العامة^(٣) ستة
آلاف ومائتان واربعون شعيرة تبلغ اثنتي عشرة اوقية وثلاثي خمسة بالجديدة على المعنى
الاول وبعبارتين آخرين احد وتسعون مثقالاً بالشرعي ومائة وثلاثون درهماً به وعند

(١) وفي حديث محمد بن علي بن موسى عليه السلام حين تزويج ابنته مأمون وبذلت
لها من الصداق ما بذله رسول الله صلى الله عليه وآله لازواجه وهي اثنتا عشرة اوقية
ونش على الخمسمائة الحديث (منه)

(٢) نقله عن الرافعي بهاء الملة والدين في الكشكول (١ منه)

(٣) «المقتبس» يريد بالخاصة علماء الشيعة وبالعامة علماء السنة وهذا الاطلاق

شائع في كتب الامامية فليتأمل

جمهور العامة والعلامة^(١) من الخاصة ستة آلاف ومائة واحد وسبعون شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ اثنتي عشرة اوقية بالمعنى المذكور بلا زيادة ولا نقصان . وبعبارتين آخرين تسعون مثقالاً ومائة وثمانية وعشرون درهماً واربعه اسباع درهم وعلى هذا التفسير صاحب الصحاح والقاموس اذ فسراه باثنتي عشرة اوقية وهو الرطل المعتبر بين جمهور اطباء ايضاً لكن على ما يظهر مما نقله الشيخ في اواخر القانون حيث فسره باثنتي عشرة اوقية والاوقية بسبعة مثاقيل كما مر يصير اربعة وثمانين مثقالاً ولم اجد من فسره به اصلاً والرطل المدني وهو رطل ونصف بالعراقي والرطل المكي وهو ضعف الرطل العراقي ويجري فيهما الاحتمالان الناشئان من تفسير الرطل العراقي في كل منهما مذهبان على النسبة المذكورة في الرطل العراقي

والمن^(٢) ويقال له المناء^(٣) مقصوراً والمشهور منه مئتان المن المصري والانطاليقي وهو ثمانية آلاف ومائتان وثمانية وعشرون شعيرة قدر ست عشرة اوقية جديدة بالمعنى الاول يبلغ رطلاً وثلاث رطل على تفسير العامة وفي القانون ايضاً ست عشرة اوقية واخلاف في تفسيرها كما مر . والمن الرومي وهو عشرة آلاف وثمانمائة وثنائي شعيرات قدر احدى وعشرين اوقية بالمعنى المذكور يبلغ رطلاً وثلاثة ارباع رطل وفي القانون عشرون اوقية يبلغ رطلاً وثنائي رطل بتفسيره

والمن الطبي وهو اثنا عشر الفا ومائتان واثنان واربعون شعيرة وستة اسباع شعيرة يبلغ رطلين وبعبارة اخرى اربع وعشرون اوقية واخلاف فيه الا ما يقتضيه ما في القانون من تنويع الاوقية

والمن التبريزي وهو خمسون الفا واربعائة شعيرة يبلغ ستمائة مثقال صيرفي كما هو المتعارف في زماننا . والمن الشاهي وهو مائة الف وثمانمائة شعيرة يبلغ الفا ومائتي مثقال صيرفي ضعف المن التبريزي

والنكر بحسب الوزن اما المكيالي والمساخي منه فسيجي تفسيرهما ويعتبر فيه كونه من الماء قدر بالف ومائتي رطل باتفاق فقهاءنا رضوان الله عليهم الا ان الطب الراوندي وسندكر ما ذهب اليه لكنهم اختلفوا في ان هذا الرطل هل هو مدني او عراقي ذهب

(١) صرح به في التحرير واسنده اليه الشهيد في البيان (منه)

(٢) ولئن غير الاوزان المذكورة اطلاقاً آخران نقلهما صاحب القاموس بقوله

المن كيل مشهور او ميزان (منه) (٣) بلا تشديد (منه)

الى الاول جماعة منهم ابن بابويه والسيد المرتضى رحمهما الله والى الثاني الشيخان والعلامة ومن تبعهم فيه مذهبان يرجع بعدملاحظة الاختلاف الواقع في قدر الرطل العراقي بين الجمهور والعلامة كما ذكرنا الى ثلاثة مذاهب بحسب المال ^(١) فعلى مذهب ابن بابويه يصير مائتين واربعة وثلاثين الف درهم شرعي وعلى مذهب الشيعين مائة وستة وخمسين الف درهم وعلى مذهب العلامة مائة واربعة وخمسين الفا ومائة وخمسة وثمانين درهماً وخمسة اسباع درهم .

ومما يلحق بالاوزان النواة وهي الاوقية من الذهب او اربعة دنابر او ما زنته خمسة دراهم او ثلاثة ونصف ومن العدد عشرون او عشرة هكذا في القاموس والروبة بالكسر وهي عشرة آلاف درهم كما في القاموس والبدره وهي كيس فيه الف او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار كما في القاموس وفي بعض كتب اللغة عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار والفتنطار بالكسر قيل مائة وعشرون رطلاً وفي القاموس وزن اربعين اوقية من ذهب او الف ومائتا دينار او الف ومائتا اوقية او سبعون الف دينار او ثمانون الف درهم او مائة ^(٢) رطل من ذهب او فضة الى الف او لأمسك ثور ذهباً او فضة انتهى وهذا الاخير هو الشائع وبعض المفسرين عليه حمل ما في قوله تعالى (وآتيتم احداهن قنطاراً) وما وقع في الاحاديث مع تقديره في بعضها بالف ومائتي اوقية والوقية باعظم من جبل احد وفي بعضها ^(٣) بخمسة عشر الف مثقال من ذهب والمثقال اربعة وعشرين قيراطاً اصغرها مثل جبل احد ^(٤) واكبرها ما بين السماء والارض فيجاز

(١) لا يقال يجب ان يكون اربعة مذاهب لسراية الاختلاف في الرطل العراقي الى المدني ايضا لاننا نقول لما كان القائل بالمدني من جمهور الخاصة فالمراد بالمدني هو المعنى الاول اي رطل ونصف بالعراقي على تفسير الخاصة (منه)

(٢) تفسيره بمائة رطل يساوي تفسيره بالف ومائتي اوقية لان الرطل عنده اثنتا عشرة اوقية فالترديد بينهما كأنه لخصوصية الموزون فيه اي الذهب والفضة (منه)

(٣) كما روي في الكافي عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ الف آية كتب له قنطار من بر والقنطار خمسة عشر الف مثقال والمثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض (منه)

(٤) كما روي في الكافي في فضل القرآن عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب الكيل

هذه التقديرات ينتهي أكثرها الى مكيال يقال له المد بالضم معياره تخميناً ملاً كف الانسان المعتدل اذا ملاًها ومد يده بهما قاله صاحب القاموس في م د د موافقا لما نقله عن الداودي بتقريب تفسير الصاع ثم قال وبه سمي مدا وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً انتهى ولنعسر ضبطه مع رجوع المقادير المكيلة اليه احتيج الى تقديره بوزن معين سهولة للحفظ وصونا عن التغيير فقد ربه فاختلفوا في قدره بحسب اختلاف الروايات عن المقدر فلا بد لنا مقدماً على سائر تلك المقادير تفسيره وتحقيق وزنه على ما وصل اليها من المذاهب تأسيساً للاصل وتمهيداً للفصل فهذا القسم ايضاً في الحقيقة ينتهي في التقدير الى اوسط حب الشعير وفي تقديره ستة اقوال الاول مائة واثنان وستون درهماً ونصف درهم بالشرعي هو مائة وثلاثة عشر مثقالاً وثلاثة ارباع مثقال بالشرعي يبلغ رطلاً وربعا بالعراقي على تفسير جمهور الخاصة وهذا احد احتمالي مذهب ابن ابي نصر البزنطي من المحدثين اذ فسره برطل وربيع ومذهبه في قدر الرطل غير معلوم فان وافق الخاصة فذاك والا فمائة وستون درهماً وخمسة اسباع درهم هو مائة واثنان عشر مثقالاً ونصف مثقال يبلغ رطلاً وربعا على تفسير العامة فهو الاحتمال الآخر لمذهب . والثاني مائة واحد وسبعون درهماً وثلاثة اسباع درهم هو مائة وعشرون مثقالاً يبلغ رطلاً وثلاثاً على تفسير العامة واليه ذهب النووي^(١) من العامة واخباره صاحب القاموس في تفسير الصاع ونسبه صاحب الصحاح الى اهل الحجاز . والثالث مائة وثلاثة وسبعون درهماً وثلاث درهم هو مائة واحد وعشرون مثقالاً وثلاث مثقال يبلغ رطلاً وثلاثاً على تفسير الخاصة واليه ذهب الرافعي من العامة ومن تبعه . والرابع مائتان وسبعة وخمسون درهماً وسبع درهم هو مائة وثمانون مثقالاً يبلغ رطلين على تفسير العامة نقله صاحب القاموس ونسبه صاحب الصحاح الى اهل العراق . والخامس مائتان وتسعة وثمانون درهماً وسبعاً درهم هو اثنان ومائتان مثقالاً ونصف مثقال يبلغ رطلين وربعا على تفسير العامة . واليه ذهب العلامة من الخاصة رحمة الله عليه . والسادس مائتان واثنان وخمسمائة آية في يوم وليلة في صلاة النهار والليل كتب الله عز وجل له في اللوح قطاراً من حسنات القطار الف ومائتا اوقية والوقية اعظم من جبل احد

(١) نوى قرينة بالشام منها ابو زكريا النووي من القاموس

وتسعون درهما ونصف درهم هو اربعة ومائتا مثقال وثلاثة ارباع مثقال يبلغ رطلين وربعاً على تفسير الخاصة واليه ذهب جمهور فقهاء ارضوان الله عليهم اجمعين (والقسط) وهو مكيال يسع مدين بالمعنى الثاني على ما يستفاد من القاموس اذ فسر بما يسع نصف صاع والصاع اربعة امداد بذلك المعنى وقيل هو اربعة ارباع بتفسير العامة وحينئذ يبلغ مدين بالمعنى الرابع . ونقل الشيخ في اواخر القانون ان القسط عند الروم رطل ونصف وسدس فيكون عشرين اوقية والقسط الانطاقي رطل ونصف واعلم انه قال يخلف باختلاف اضافته الى بعض المائعات كما نقل الشيخ ايضاً عن بعضهم ان القسط من الزيت ثمانى عشرة اوقية ومن الشراب ثمانون رطلاً ومن العسل مائة وثمانمائة ارباعاً ومن بعضهم ان قسط العسل رطلان ونصف وقد عرفت مراراً ان الرطل على ما نقله اثنتا عشرة اوقية كل منها سبعة مثاقيل وذكر بعضهم في تفسير قسط العمل رطلاً واحداً ايضاً (والصاع) واعني به صاع النبي صلى الله عليه وآله وهو المدار عليه في زكوة الفطر وغيرها اتفقت اقوالهم جميعاً على ان الصاع اربعة امداد كيلاً ولم اجد خلافاً فيه واما في تقديره بحسب الوزن فاختلّفوا فيه بحسب اختلافهم في تقدير المد فذهب كل في الصاع اربعة امثال ما ذهب اليه في المد ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات فعلى اول احتمالي مذهب البرنطى هو خمسة ارباع على تفسير الخاصة وعلى آخر احتماليه خمسة ارباع على تفسير العامة وعلى مختار النووي وصاحب القاموس والمنسوب الى اهل الحجاز خمسة ارباع وثلاث رطل على تفسير العامة وعلى مختار الرافعي خمسة ارباع وثلاث رطل على تفسير الخاصة وعلى ما نسب الى اهل العراق ثمانية ارباع على تفسير العامة وعلى مختار العلامة رحمه الله تسعة ارباع على تفسير العامة وعلى مختار جمهور فقهاء ارضوان الله عليهم تسعة ارباع على تفسير الخاصة

والكيلجة وهي من وسبعة اثمان من بالطبي يبلغ ثلاثة ارباع وثلاثة ارباع رطل على تفسير العامة كذا في الصحاح والقاموس (والمكوك) كتثور وهو كما في الصحاح ثلاث كيلجات يعني احد عشر رطلاً وربع رطل كذا في القاموس والوية بتقديم الياء المثناة التمانية وهي اثنان او اربعة وعشرون مداً كذا في القاموس فيجرب فيها المذهب الثاني والرابع اللذان نقلهما في المد ففيهما اربعة احتمالات

والفرق وهو مكيال يسع ستة عشر رطلاً عراقياً على تفسير العامة كما في الصحاح

يلغ ثمانية امانان وتفسيره بما يسع ثلاثة اصوع لا يفاير هذا التفسير اذا كان المختار عند المفسرين به ان الصاع خمسة ارطال وثلث فالترديد في تفسيره بين ما يسع ثلاثة اصوع وما يسع ستة عشر رطلا من صاحب القاموس كأنه لاختلاف التعبير مع كونه بعيداً جداً

والقفيز المكيالي اما الارضي منه فسيجيء تفسيره يختلف بحسب البلاد جداً والمنقول ثمانية مكايك اعني اربعة وعشرين كيلجة كذا في الصحاح والقاموس والاردب بكسر الهمزة وتشديد الباء وهو ستة وتسعون مدا يبلغ اربعة وعشرين صاعاً نقله صاحب القاموس وقد عرفت مختاره في الصاع والجرب المكيالي اما الارضي منه فسيجيء تفسيره قال صاحب القاموس هو مكيال قدر اربعة افقرة فيبلغ اثنين وثلاثين مكوكا

والوسق هو المعتبر في نصاب زكوة الغلات وهو مائتان واربعون مداً يبلغ ستين صاعاً بالاتفاق نقله اهل اللغة وغيرهم ولم اجد خلافاً فيه فيختلف الآراء في وزنه بحسب اختلافها في المد والصاع ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات والتفرع ظاهر مما ذكرنا في المد والصاع

والكر المكيالي وهو ثلاثة آلاف وثمانمائة واربعون مداً يبلغ اربعين اردباً نقله صاحب القاموس وله معنيان آخران نقلهما ايضاً بقوله وبالضم مكيال للعراق وستة اوقار حار وهو ستون قفيزاً

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب المساحة

بنتهي تقديرات هذا القسم ايضاً الى قدر الشعيرة المتوسطة لكن لامن حيث الوزن كما مر بل من حيث المساحة اي قدر عرض السطح الصغير منها يعني احد جنبتيها وبعضهم لم يقنوا في التقدير على عرض الشعيرة وتجاوزوا عنها وقدروا عرض الشعيرة ايضاً بعرض شعر البرذون ذنبه كما قال صاحب البهائية او عرفه كما صرح به صاحب القسطاس وقيل عرض كل شعيرة ست شعيرات منه وقيل سبع شعيرات فبعد هذا التأسيس اعلم ان هذا القسم من المقادير ينقسم الى ثلاثة اقسام اما ان يعتبر فيه المساحة الخطية . واما ان يعتبر فيها المساحة السطحية . اي مربع الخط . واما ان يعتبر فيها المساحة الجسمية اي مكعبه فالقسم الاول الذي يعتبر فيه المساحة الخطية (الاصبع) وهي قدرت بست

شعيرات متلاصقات بالسطح الاكبر بحيث يكون ظهر كل منها على بطن الآخر وبها قدرها شارح الجغميني . وقيل سبع وبها قدرها شارح اللمعة ففيها ايضا مذهبان وفي كل منها يجري احتمالا تقدير الشعير فتصير الاحتمالات في تقديرها اربعة . الاول كونها ست شعيرات والشعيرة ست شعرات . والثاني . كونها سبع شعيرات والشعيرة سبع شعرات . والثالث . كونها سبع شعيرات والشعيرة ست شعرات عكس الثالث فنقل الاول صاحب البهائية والقسطاس . ونقل الثاني والثالث الشهيد الثاني في شرحه على لمعة الفقه . ولم اطلع على نقل على الرابع لكنه متحد في المال مع الثالث اذ حاصل ضرب الستة في السبعة وبالعكس واحد فالمذاهب الواقعة المختلفة في المال في تقدير الاصبع ثلاثة موجب الاول ان يكون ستا وثلاثين شعيرة والثاني ان يكون تسعا واربعين منها والثالث ان يكون اثنتين واربعين منها فيجزي هذا الاختلاف في جميع المقادير الآتية الراجع تقديرها الى الاصبع فكل واحد من التقديرات التي تنقل بعد على ذلك الوجه منطلق عن ثلاثة احتمالات بحسب المال

والقبضة وهي قدرت باربع اصابع مضمومة يبلغ ثمان وعشرين او اربع وعشرين شعيرة ينتهي الى مائة وست وتسعين او مائة وثمان وستين او مائة واربعين شعيرة

والشبر والمعتبر منه شبر المسنوي خلقه وهو المقياس لاستعلام الكرم من الماء يمكن تقديره تخميناً بالقبضة والاصبع بان يقال هو ثلاث قبضات او اثنتا عشرة اصبعاً ولكن لم يقدره بشيء اعتياداً على قلة تفاوته مع قيد المسنوي ومن اراد التحديد فيمكن ان ينضبط بما قدرناه ويكاد ان لا يتخلف عند التبع

والقدم وهي المعتبرة في الظل وليس لها قدر معين قدرت بسبع القامة من اي شيء كان من الشواخص سواء كان قامة الانسان او غيره فيختلف بحسب اختلاف اعتبار القامة

والخطوة والقامة من الانسان والمعتبر منهما هو المعارف الوسط ولم يقدرها بشيء معين

والذراع وهي ثلاث الذراع الشرعية ويقال لها القائم وهي ذراع المحدثين وللاصل فيها من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطي او الساعد قدرت باربع وعشرين اصبعاً يبلغ ست قبضات والذراع الحديد ويقال لها السوداء قدرت بسبع وعشرين اصبعاً

يبلغ سبع قبضات الا اصبعاً والذراع الهاشمية وهي ذراع القدماء قدرت باثنين وثلاثين اصبعاً يبلغ ثمان قبضات هذه الثلاثة هي المنقول والاذرع المتداولة في زماننا بحسب البلاد في زماننا غير محدود

والقصبة وهي ست اذرع بالهاشمية وسبع وتسع بالحديد وثمانى بالشرعية والاشل بالتخفيف وهو عبارة عن حبل طوله ستون ذراعاً بالهاشمية يبلغ عشر قصبات

والميل وهو الميل الهاشمي والاصل فيه مدى البصر قدرت بستة وسبعين الف اصبع يبلغ اربعة آلاف بالشرعية هذا هو المشهور في تقديره وروي ثلاثة آلاف وخمسمائة هذه الذراع نقله الشهيد الاول رحمه الله في البيان ففيه مذهبان

والفرسخ وهو ثلاثة اميال عند الاكثر فيختلف باختلاف تقدير الميل فهو اما اثنا عشر الف ذراع بالشرعية يبلغ تسعة آلاف بالهاشمية او عشرة آلاف وخمسمائة بالشرعية يبلغ سبعة آلاف وثمانمائة وخمسة وسبعين بالهاشمية ونقل صاحب القاموس في تفسيره عشرة آلاف ايضاً وظاهره الشرعي ففيه ثلاثة احتمالات وقول صاحب القاموس في الميل انه ثلاثة اواربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين انتهى اشارة الى الاول لا الى قولين مختلفين فيه وان كانت عبارته موهمة بخلاف المراد معناها انه ان اعتبرت في تقدير الفرسخ ذراع القدماء اي الهاشمية وقدر بتسعة آلاف منها فالميل الذي يكون ثلث الفرسخ عبارة عن ثلاثة آلاف بهذه الذراع وان اعتبرت فيه ذراع المحدثين اي الشرعية وقدر باثني عشر الف منها فالميل عبارة عن ثلاثة ايضاً يعني اربعة آلاف بتلك الذراع ولا تفاوت في التقدير الا بالاعتبار كما اشار اليه المبيد في حاشيته على شرح الجفميني بقوله هو ثلاثة اميال بالاتفاق وذراعان الميل اربعة آلاف كل اثنان وثلاثون عند المتقدمين وعي التقديرين الميل ستة وتسعون الف اصبع انتهى هذا ولكن دعوى الاتفاق في كون الفرسخ ثلاثة اميال مزيفة بما نقلناه عن صاحب القاموس في تفسيره يعني عشرة آلاف ذراع ولم ينقل احد تفسير الميل بما يطابق ثلثه

والبريد وهو عبارة عن اثني عشر ميلاً يبلغ اربعة فراسخ وهو المشهور ونقل صاحب القاموس في تقديره فرسخين ايضاً

والمسافة ^(١) وهي التي شرع عند القصد اليها مع شروطه القصر في الصلوة والصوم اختلف فيها فقيل اربعة فراسخ يبلغ بربدأ بالمعنى المشهور وقيل ثمانية فراسخ يبلغ بردين بهذا المعنى ففيه مذهبان ويجري في كل واحد الاحتمالات المذكورة في الفرسخ ففيها ستة احتمالات يصير في المال عند ملاحظة المذاهب الثلاثة في الاصح ثمانية عشر احتمالاً

والقسم الثاني الذي يعتبر فيه المساحة السطحية سعة الدرهم البغلي وهي المعتبرة في عفو الدم في الصلوة اذا كان ناقصاً عنها او مساوياً لها قدراً فقدرة بعض فقهاءنا كأبن الجنيـد رحمه الله بسعة عقد الابهام الاعلى وبعضهم كأبن ادريس رحمه الله بما يقرب من اخمص الراحة

والعشـير وهو ست وثلاثون ذراعاً هاشمية مسطحة مضروب القصة في نفسها ويقال لعشر كل شيء ايضاً عشيراً وكأنه هنا ايضاً بذلك الاعتبار لكونه عشر القفيز والقفيز الارضي وهو ثلاثمائة وستون بهذه الذراع حاصل ضرب القصة في الاشل وقدرة صاحب القاموس بمائة واربعين ذراعاً

والجريب الارضي ^(٢) وهو ثلاثة آلاف وستائة ذراع بها مضروب الاشل في نفسه وما ذكرنا في القفيز والجريب هو المنقول وربما يختلف بحسب اختلاف اعتبارات البلاد .

(١) السوف بالضم موضوعه في الاصل للشـم وكثر للمسافة الاستعمال في البعد لان الدليل اذا كان في مسافة فلاة شم تراها ليعلم اعلى قصد ام لا كذا في القاموس وذكرها هنا باعتبار حقيقتها الشرعية والاختلافات الواقعة فيها وان كانت نظيراً لتصاب الزكوة في المقادير الموزونة من انها من المسائل الفقهية وليست مما نحن فيه وقس عليها فظايرها المذكورة منه

(٢) وما وقع في بعض خطب امير المؤمنين عليه السلام ان اول من بغى على الله عز وجل عناق بنت آدم واول قتيل قتله الله عناق وكان مجلسها جريباً في جريب الخطبة وان كان بظاهره يقتضي ان يكون الجريب مما يعتبر فيه المساحة الخطية ولكن يظهر من تتبع كلام اهل اللغة والحساب ان حقيقته ما ذكرنا فينبغي ان يحمل ما وقع في تلك الخطبة على التوسع منه

علمائنا

وكيف ينشئون أبناءهم

ان العالم الذي اصفه في مقالتي هذا ليس مما انبثته بلدتنا طرابلس الشام وحدها . بل بوشك ان يكون من مستبقات كل بلدة من بلادنا الاخرى .
 قضى هذا الفاضل حياته في خدمة العلم وتحقيق مسائله والتأليف فيه . وقد ورث هذا الميل من آباءه فأحب ان يورثه ابناً له في السابعة عشرة من عمره فلم يفلح .
 وكما ذكر علماء « الطبيعيات » في كتبهم ان الاجسام او المواد قسمان « موصل ردي » و « موصل جيد » يعنون بالاول ما تنتقل فيه الحرارة ببطء . وبالأخر ما تنتقل فيه بسرعة — كذلك الحال في بعض الاشخاص : فان منهم من ينقل ملكات آباءه واستعدادهم العلمي الى ابنته ومنهم من لا ينقل . والاول يصح ان نسميه « موصل جيد » والثاني « موصل ردي »

وصاحبنا الذي نحكي عنه هو على ما يظهر من قبيل القسم الاخير : فانه مع ما أوتيته من سعة العلم والرغبة في تحصيل فنونه — لم يورث ابنه هذا الميل والاستعداد . فكان كسولاً . فاطر الهمة . منطفيء نار العزيمة . وهل ان ضعف الميل في ذلك الفتى امر جبلي فيه او انه عرض له بسبب الاسلوب الذي جرى عليه ابوه في تربيته وتثقيفه ؟
 لا اعلم .

وربما كان القاريء أشد علماً مني ، اذا اطال روحه واصغى لاتمام الحديث :
 قيل للوالد : نراك تونج ابنك لاقول هفوة . وتنتهره على ملاء من الناس . وقد بلغ الشباب فيحسن بك ان تخاطبه بما يخاطب به عادة من كان في مثل سنه .
 فقال : انه يعرف هذا . ويعرف مبلغ تأثير التوبيخ العلني في تشويه اخلاق الناشئين . ولكن هناك ضرورة تستدعي العدول عن هذا الاصل في التربية الى اصل آخر اجل واسمى .

ولما استوضح الامر منه قال : انه كانت يؤنب ابنه علي سوء عمله في السر . فكان لا يرعوي ولا يزدجر . ثم لما اخذ يوبخ جهره صار الولد يحاسب نفسه ويصلح سيرته .

قالوا : ولكنك تشتمه لامرئ تافهٍ لاعلاقة له بما نقول . فقد سمعناك توبخ، مذ
وضع الكرسي في غير الموضع الذي تريد ان يضعه فيه . وهذا مما لا يحسن بحال من
الاحوال ان يوبخ عليه . لاسيما وهو لا يعلم الغيب الذي وفر في نفسك من لزوم وضع
الكرسي في هذا المكان دون ذاك .

فتخلص الاستاذ من الجواب على هذا الاعتراض الى وصف ذكاء ابنه . وصفاء
ذهنه . وانه يفهم ويحفظ مايلقى عليه بسرعة زائدة . وقد حفظ مرةً كتاباً صغيراً
في قواعد اللغة الفارسية وحذق جميع مسائله في وقت قصير . ثم قال : لكن ابني مع
هذا الذكاء النادر كسول لا يهتم بحفظ دروسه . ولا يصبر على المطالعة . ولو فعل
لكان في التابغيين الاولين . وعد في مقدمة الطلاب الناجحين .

ثم قال : واني لا اطيق ان ارى ابني جاهلاً وان اعيش انا واياه تحت سقف
واحد . وقد اعيتني الحيلة في تعليمه . ويخطر لي انه اذا وصل الى سن العشرين وبقي
على ما هو عليه من الكسل والجهل اسلمته الى الجندية . وضنت بدفع البذل التقديري
عنه . او انني ارسله الى مكاتب الاستاذ . حيث يعنى التلامذة من الخدمة العسكرية .
واخذ يصف مايقاسي من عناء هذا الامر وان ابنه ننص عليه طيب عيشه . ولتعيد
حياته . قال الراوي : فخشعت نفسي لقول الاستاذ . ورثيت لحاله . وقلت له ارى
يا سيدي ان حياتك اثن من ان تكدر صفوها بمثل هذا . وان ابنك اذا لم يكن فيه
استعداد وميل لطلب العلم . فاختره بيوله الأخرى لشؤون الحياة ودعه يشتغل في
العمل الذي يحسنه ويميل اليه بطبعه . فاذا كان يميل الى التجارة والكسب فنشطه
لسلك هذا السبيل . واذا رأته يميل للدخول في سلك موظفي الحكومة فليفعل . فان
ذلك اجدى من ان تكلفه ما لا طاقة له به ، من التحصيل .

فارتد وجه الاستاذ من سماع هذا الكلام . وقال : ان جميع ما تعلمه انت اعلمه انا
وانك للان لم تدر ما اقول : اما قلت لك ان ابني تلى جانب عظيم من الاستعداد والذكاء
وانه يحفظ ويفهم مايلقى عليه بسهولة وانه في ساعة واحدة حذق مسائل اللغة الفارسية
التي لا يدركها غيره في بضعة ايام .

قال الراوي : قلت بلى يا سيدي الاستاذ فهمت كل ما تقول ولكنك انت لم تفهم
بعضاً مما اقول :

ان قوة الذكاء والفهم غير قوة الميل والرغبة . فإلم تتوفر في الطالب هاتان القوتان

لا يقال عنه انه مستعد للطلب . ولا ذو قابلية للعلم . وان ابنك ذكي سريع الفهم . لكنه كسول ضعيف الميل . فهو اذن قد توفرت فيه قوة دون قوة . الا ترى ان كثيرين من الطلاب هم على العكس من ابنك : ترى الواحد منهم كثير الرغبة والميل لتحقيق العلم متوفر على الدرس والمطالعة جهده . لكنه ينقصه قوة الذكاء والفهم المتوفرة في ابنك . فيضيع عمره ولا يستفيد شيئاً من العلم . والايق بمن كان كذلك — اي كان ذكياً لكنه كسول او مجتهداً لكنه بليد — ان يدع طلب العلم ويأخذ في عمل آخر ينتفع به .

فامتعض الاستاذ وقال : من اين اتيت بهذه الفلسفة ؟ يريد انني تكلمت بكلام غير مفهوم . وهو ما يريدون بكلمة الفلسفة احياناً . ثم عاد الاستاذ فشرح مأثوته ابنه من ذكاء وقوة حافظه وغير ذلك من المواهب والمزايا . هذا مافضه الراوي علينا . وموضع العبرة فيه ان ذلك الاستاذ قد درس على زعمه علوم الاولين والآخرين لكنه نسي علماً واحداً لم يوفق لدرسه مع انه في اشد الحاجة اليه . ذلك العلم هو علم التربية الذي هو فرض عين على كل اب عائلة . ومعلم مدرسة . واذا زعم الاستاذ ان هذا العلم درسه في جملة ما درس . نقول له ولكنك لم تكن ذا استعداد وقابلية للانتفاع به . فیرد علينا بانه على استعداد وقابلية لانه ذكي وسريع الفهم . فنضطرب حينئذ الى السكوت والصبر .

ومثل الاستاذ كثيرون يريدون ان يلزموا اولادهم بالتحصيل . ويكونون ضعيفي الميل والرغبة فلا يهتمون ان تمضي اعمارهم سهلاً . ويكون من جهة ثانية قد فات الوقت الذي يمكنهم فيه التدرب على الكسب وتوفير الثروة فيقضون حياتهم في البطالة والاحمول وضيق ذات اليد .

ولو فطن اولياؤهم لحالم من اول الامر لربأوا بهم عن مثل هذا الموقف . وتخطوا بهم ما لا يطيقون من العلم الى ما يطيقون من العمل . واعانوهم على الانتفاع بميولهم الخاصة . واستثمار مواهبهم الخطيرة .

واكثر ما يكون هذا الاغفال في بيوت العلم القديمة فان الآباء فيها يحرصون على تنشئة بنينهم في العلم . وتعويدهم التحصيل منذ الطفولة . ويلزمونهم اياه بكل وسيلة . ولا يكون في كثير منهم ميل اليه . واستعداد له . فيقضون اعمارهم فيه . من غير ان

يكون لم نصيب منه . سوء القيادة الخاصة . عملة وطيلسان . وجبة واسعة
الاردان .

وهناك سبب آخر يحمل الآخرين على الاشتغال بطب العلم من دون ان تتوفر
فيهم القابلية له فلا يتألمون خطأ منه : اولئك الذين يريدون الفرار من الخدمة
العسكرية وتضيق ذات يدهم في الغالب عن البديل التقدي فيشتغلون في التحصيل
لهذا الغرض .

وقد ينبغ بين هؤلاء افراد يصبحون غفراً لقومهم . ونبراس هدى في وطنهم .
اما الآخرون وهم معظم الطلاب فيحذقون من العلم القدر الذي ينجيهم من الخدمة
العسكرية ثم لا يلبثون ان يشغلوا عنه فينسوه رويداً رويداً . ويكونون قد وصلوا
الى سن يصعب معها محاولة عمل او صناعة فيعيشون كلاً على اهلهم . يرمقون الرزق
تريقاً . ولو انصف هؤلاء انفسهم لما اشتغل بتحصيل العلم منهم . الا من اوتي نصيباً من
ميل واستعداد للطلب . ورزقاً يكفيه مؤونة الحاجة . والا فخير للرجل منهم ان يتعاطى
عملاً يرضه به عيشه . وينقذه من عار البطالة . ويمكنه من اداء البديل العسكري .
او انه يقوم بهذه الوظيفة المقدسة . فانها من انرف الاعمال لاسيما في وقتنا هذا .
وقد اصبحت الحكومة دستورية . والجندي فيها مرفه في معيشته . موفور الحرمة
في اداء خدمته .

ولو بلغ طلاب العلوم الاسلامية في احدى المدن مائة طالب مثلاً لكان منهم
عشرة يشغلون المناصب الدينية : مثل مفتي . وموظف محكمة . و كاتب صكوك .
وعشرة آخرون اغنياء عن الكسب بغنى والديهم . وعشرة سوانهم اقدموا على الكسب
بقوة من ارادتهم وهمة نفوسهم . اما السبعون الباقون فيندون ويروحون في قومهم
على غير الحالة اللائقة بحرمة العلم وكرامة اهله وقد نقود البطالة بعضهم هؤلاء الى انتياب
اماكن اللهو . وينزل الحال بأحرين الى تناول الصدقات . والسقوط على طعام
الاموات .

وانا لنود ان يكثر هذا العنصر فينا معشر المسلمين : عنصر علماء الدين ولكننا نود
لم قبل كل شيء ان يكونوا موضع احترام العامة واجلال الخاصة ليكون ذلك ادعى
للانتفاع بهم . والتلقي عنهم . وان يكون لهم من خزينة الاوقاف مال الامة رواتب
تساعد على اداء وظائفهم . والظهور في مظهر التجليل بين ابناء قومهم . ثم يكون

وراء ذلك من قبل الحكومة او من قبل الرأي العام عيون تراقبهم . وتناقشهم الحساب على اعمالهم . حتى اذا اقترب احدهم مالا يلائم آداب صنفه . وكرامة دينه . اكرم على التجرد من زيه العلمي . ثم ليختار لنفسه صناعة أخرى او يبق متشرداً كما يريد . والا فان ظهور اهل الدين في مظهر يزري بهم ويحط من قدرهم بدعو الى النفرة منهم وتوقع ابناء الخاصة عن الدخول في سلكهم . فلا يعود ينضم اليهم سوى الخثالة . من اهل الجهالة . وذوي البطالة .

طرابلس الشام : المغربي

صحافتنا وصحافتهم

يا ممتنا اذا اردت ان يكون لك حول وطول وكلمة عالية مسموعة ومنزلة مهمة عند دولتك وسائر دول الارض فاقبلي على صحافتك الوطنية اقبال الشعب الاميركي على صحافته

صحافة الولايات المتحدة وصحافتنا

عدد سكان ولاية ميسوري	٣١٦٦٦٦٥	عدد صحافتها	١٠٤٨
« « «	٤١٥٧٥٤٥	« «	١١٨٩
« « «	٤٨٢١٥٥٠	« «	١٧٤٦
« « «	٦٣٠٢١١٥	« «	١٥٢٤
« « «	٧٢٦٨٨٩٤	« «	١٩٥١
« « «	٢٢٣١٨٨٣	« «	١١٣٢
« « «	٢٤٢٠٩٥٢	« «	٨١٠
« « «	٢٥١٦٤٦٣	« «	٨٥١
« « «	٢٨٠٥٣٤٦	« «	٦٥٤
« « «	٣٠٤٨٧١٠	« «	٨٥١
« « «	١٨٩٣٨١٠	« «	٢٦٦
« « «	٢٠٢٠٦١٦	« «	٢٩٨
« « «	٢٠٦٩٠٤٢	« «	٧٣٢
« « «	٢١٤٧١٧٤	« «	٣٣٨

عدد سكان ولاية جورجيا	٢٢١٦٣٣١	عدد صحافتها	٣٩٥
« « «	١٥٥١٢٧٠	« «	٢٥١
« « «	١٧٥١٣٩٤	« «	٧٧٠
« « «	١٨٢٨٦٩٧	« «	٢٣٠
« « «	١٨٥٤١٨٤	« «	٢٤٩
« « «	١٨٨٣٦٦٩	« «	٣٩٠
« « «	١٣١١٥٦٤	« «	٢٨٩
« « «	١٣٤٠٣١٦	« «	١٥٦
« « «	١٣٨١٦٢٥	« «	٧٣٦
« « «	١٤٨٥٠٥٣	« «	٧٣٨
« « «	٥٢٨٥٤٢	« «	١٨٣
« « «	٥٣٩٧٠٠	« «	١٥٨
« « «	٦٩٤٤٦٦٥	« «	٣٧٤
« « «	٩٠٨٤٢٠	« «	١٧٣
« « «	٩٥٨٨٠٠	« «	٢١٧
« « «	١٠٦٦٣٠٠	« «	٦٥٩
« « «	١١٨٨٠٤٤	« «	٢٠٦
« « «	٣٩٨٨٣٣١	« «	٣٠٣
« « «	٤٠١٥٧٠	« «	٣٩٣
« « «	٤١١٥٨٨	« «	٩٤
« « «	٤١٣٥٣٦	« «	٢٤٠
« « «	٢٢٨٥٥٦	« «	٥٩
« « «	٥١٨١٠٣	« «	٩٩
« « «	٢٧٦٧٤٩	« «	٨٣
« « «	٢٧٨٧١٨	« «	٨٢
« « «	٤١٩١٦٤٦	« «	٢٣٣
« « «	٣٤٣٦٤١	« «	٧٦

عدد سكان ولاية مقاطعة الهنود	٣٩٢٠٦٠	عدد صحافتها	١٦٤
« « «	٤٢٣٣٥	« «	٣٥
« « الاسكا	٦٣٥٩٢	« «	٤٥
« « اريزونا	١٢٢٩٣١	« «	٦٦
« « ايدهو	١٦١٧٧٢	« «	٩٩
« « دلووار	١٨٤٧٣٥	« «	١٤٠
« « نيومكسيسكو	١٩٥٣١٠	« «	٦٣

يظهر من مطالعة هذا الجدول الذي جمعته بعد بذل الوقت الطويل ان نفادا اصغر ولاية في الولايات المتحدة بعدد سكانها ٠ فهم يبلغون ٤٢٣٣٥ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم كما ترى يبلغ ٣٥ جريدة ومجلة ايـه انه يصيب كل ١٢٠٩ انفس منهم جريدة واحدة ٠ هذا عدا مايرد عليهم من جرائد سائر الولايات ومجلاتها وولاية الاسكا تحتي فوق ولاية نفادا في عدد السكان ٠ دع عنك عدم استجارها في الحضارة والعمران بداعي اقليمها البارد جداً ومع نقصيرها بذرائع الرقي عن شقيقتها تقرأ ان لسكانها البالغ عددهم ٦٣٥٩٢ نفساً ٤٥ جريدة ومجلة ايـه انه يصيب كل ١٤١٢ نفساً منهم جريدة

وقس على ولايتي نفادا والاسكا بقية الولايات وقابل بين عدد سكان كل منهما وعدد جرائدها ومجلاتها ولا سيما احط مقاطعة في الجمهورية بمعارفها وعلومها واسباب تقدمها الا وهي مقاطعة بقايا ذلك الشعب القديم شعب سكان اميركا الاصليين الهنود الذين مازال اكثرهم عائشاً عيشة الهمجية — قابل تجد ان لكل ٢٤٥١ نفساً منهم جريدة فعدهم ٣٩٢٠٦٠ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم ١٦٤ جريدة ومجلة ثم قابل بين عدد سكان الجمهورية الاميركية وعدد جرائدها وبين عدد سكان البلاد العثمانية وجرائدها وتأمل في الفرق واعتبر وانح باللائمة على مسببي تأخرنا ونقهرنا

صحافتنا

لا اعلم وانا سميت الدار كم هو عدد صحافة ولاية سورية ٠ الا انني لا اخلها لتجاوز عدد الاصابع فتد اتصل بي ان غير جريدة منها دبت فيها الحياة ردياً من الزمن المدعو بزمن الدستور ثم تمارضت او مرضت ومضت للملاقة ربهـا وانه لم يبق غير المتقسين

والعصر الجديد والراوي وحط بالخروج في دمشق والاختاء في حماة وحمص في حمص
وثنتان او ثلاث لم اقف على اسمائها

في اعظم مدن العربية

في القرن العشرين الذي اتصلت فيه بلاد العالم بعضها ببعض اتصال شرايين الجسم
واختلطت شعوبها اختلاط الخابل بالنابل — في القرن الذي قويت فيه شوكة العلم —
في القرن الذي كثرت فيه الثورات والنهضات وظهرت الاختراعات والاكتشافات الا
يوجد في اعظم مدينة في البلاد العربية — في مدينة من اعرق مدن الدنيا
بقدمها — في بقعة من افضل بقاع المعمورة بارضها وسماؤها واقلبيها ونيراتها — في
دمشق اكثر من خمس اوست جرائد تستحق ان تسمى جرائد؟

كثرة قرائهم وقلة قرائنا

عدد سكان ولاية نغادا في اميركا يقل عن سكان صالحة الشام على ما ارجح
ولا يزيد كثير عن سكان حي نصارى دمشق ولا وثلثك ٣٥ جريدة وللدماشقة البالغين
ثلاثمائة الف نفس ونيف خمس اوست جرائد او لكل ستين الفاً منهم جريدة وقراء
الصحف منهم لا يزيدون عن خمسة بالالف على ما أقدر واظن ان تقديري هذا في محله .
فالطامة الكبرى ليست فقط بقلة جرائد دمشق بل بقلة عدد مشتركيها . فلجريدة
حقيرة في الجمهورية الاميركية العظمى مستركون وقارئون اكثر من أكبر وأقدر وأشهر
جريدة في دمشق

مكانة المقتبس من جريدة اميركية كبرى تطبع ستين الف نسخة يومياً

هذا المقتبس على شهرته الواسعة ومقدرة صاحبه المشهورة بين الناطقين بالضاد في
مشرق الارض ومغربها وبين الكثرين من الاميركيين في غربي الولايات ^(١) يقال
انه لا يطبع يومياً اكثر من ثلاثة آلاف نسخة يوزع منها الفين وخمسمائة نسخة على
المشركين والقارئين وخمسمائة نسخة على رصفائه ومكاتبه في الجهات في حين ان مكانة
المقتبس المعنوية لا تنقص مكانة عن مكانة صحيفة اميركية كبرى تطبع يومياً ستين
الف نسخة كبيرة

(١) لقد نقلت عشرات من مقالات المقتبس (المجلة والجريدة) الى كثير من جرائد
ومجلات الاميركيين في غربي الولايات المتحدة وتهلل لها غير واحد من اكابر الكتاب

مقابلة وانتقاد

في عاصمة نبراسكا البالغ عدد سكانها ٦٥ ألفاً عدة جرائد ومجلات ناجحة منها جريدتان عظيمتان سبق ذكرهما تشغل كل منهما بناية عظيمة ومعدل ما تطبعه احدهما يومياً خمسون ألف نسخة وما تطبعه الأخرى اربعون ألف نسخة وبكل حرية اقول ان معنويات تينك الجريدتين الخطيرتين لاتتفوق معنويات المقتبس وانما تفوق بما لا يتناسب بكثرة القارئين والمشاركين وتعدد الصفحات وكبر الحجم وبشيء معنوي هو انك تقرأ عنواناً لكل كتابة او خبر في تينك الجريدتين تفهم منه ما يرمي اليه الكاتب قبل ان تطالع الكتابة او المقالة او الرسالة ونرى الصور الكثيرة المهمة في كل عدد منهما كل يوم ولا سيما عدد الاحد الكبير البالغ اربعاً وعشرين صفحة كبيرة تقرأ فيه مقالات مشاهير وشهيرات الكتاب والكاتبات في اوربا واميركا

واما المقتبس فانك لاتستطيع ان تفهم شيئاً من كثير من مقالاته ورسائله واخباره الا بعد ان تقرأ الكتابة كلها واذا كانت طويلة فتضطر احياناً الى قراءة العمود او العمودين او الثلاثة الاعمدة منه لتلم بالموضوع او نقف على مغزاه ومرماه ومن حين صدور اول عدد منه الى يومنا هذا لم ارَ ولم يرَ غيري صورة فيه قطعياً . فاذا كان الداعي الى ذلك هو قلة واردات المقتبس المادية فيعذر واذا كان الداعي هو ان الدين الاسلامي ينهي عن نشر الصور فهل لصاحب المقتبس او لغيره من ائمة الدين ان ينشروا بياناً شافياً بهذا الباب لعلنا نعذر ونقنع . ان الدين الاسلامي الكريم كتب شرائعه ونشرت في زمان هو غير زمان القرن العشرين وما انطبق على ذلك الزمان لا ينطبق على هذا الزمان ولكل عصر حاجات لاتوافق حاجات العصور التي سبقتها واذا كانت الصور من بقايا آثار الوثنية التي كانت في اوج مجدها وعزها في اول عهد ظهور الاسلام فلم القرن العشرين قد محات تلك الآثار او كاد وصار يفهم العالم والجاهل اليوم ان الغرض من نشر الصور هو للافادة التي تنقضاها اليوم حاجة عصر النور لا للعبادة التي كانت تنقضاها حاجة عصر الظلمة في القرون المتوسطة

صحف العرب في اميركا

قرأ الصحف العربية في ولايات الاتحاد معدودون ومعدودون فعدد الناطقين بلغة قریش فيها لا يتقصون عن مئة وخمسين ألف نفس ومع ذلك ترى صحافتهم أكثر

عدواً واكبر حجماً واحسن تبويباً وانظف ورقاً من صحافة ولاية سورية بل ارقى بمادياتها . وشاهدي او دليلي على ذلك جريدة الهدى اليومية الصادرة في نيورك فانها مع كونها في بلاد غربية نائية عن موطن اللغة العربية فهي تطبع نحو خمسة آلاف نسخة كل يوم ذات ثماني صفحات كبيرة حافلة بالمقالات المحبرة والاخبار المهمة ومزينة بالرسم الزامية الى اغراض نافعة واذا حققت وجدت ان ما تطبعه الهدى وحدها كل صباح لا يقل عما تطبعه جرائد ولاية سورية مجموعة

لوم وعتاب

لا أريد ان أنسب الى اني احرق الأُرَمَ وأورث نيران المناظرة لغاية او نكابة بين المسنصرين منزلة المهاجرين من المتخلفين والذابين عن حياض المهاجرين فلهؤلاء مكانة سامية ابدعها جدهم وكدهم ولاؤلك بتعريضهم عيون لا تبصر واجسام لا تشعر واغراض كلها امراض وانما الوم بل اعتب على ولاية رجالها ونساؤها واولادها لا يقل عددهم عن مليون نفس هم عرب في عرب — على ولاية شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وسماؤها وارضاها وطوارها ووهادها وسهولها وهضابها واشجارها واثمارها وانهارها وعمرت بالعرب وتخص العرب وليس لهم ولها على الاقل جريدة تطبع ما تطبعه جريدة عربية* في ديار اعجمية

كيف يأتي الاصلاح

الاصلاح جاءً ويحيى وسيجيء من طريقين اما من طريق الحكومة واما من طريق الشعب ومثال الاول حكومة يابان ومثال الثاني الجمهورية الفرنسية والجمهورية الاميركية والانقلاب العثماني لم يأت من طريق الحكومة ولا من طريق الشعب من حيث مجموعه بل من طريق الجيش . اما والحكومة العثمانية منصرفه قواها جملة الى حل مسائلها ومشاكلها وقد بدا حتى الآن انها لا تكثرت او لا تريد ان تكثرت بالعربية حيث ام مانت فقد تحتم على ابناءها ان يعلوا منارها ويحموا ذمارها ويعملوا لوائها وهذا لا يكون فقط بالاحتفاظ ببقايا تلك الكتب العتيقة الباقية في مذاهب سيبويه ونفطويه واضرابهما مثلاً بل يكون في نشر الصحافة الحرة بكثرة في المدائن وفي القصباء وفي المديرية وفي الضواحي والنواحي فالصحافة الحرة الصادقة بلا مدافع اكبر كلية للدولة واكبر مدرسة الامة واكبر جامعة للشورات الادبية المحطمة قيود الجهل والظلم والانهضات

الجلالة رفعة القدر ووفرة الفخر وبقاس رقي الامم يرقى صحافتها فكل امة لها صحافة راقية لها منزلة راقية في السياسة والاجتماع والآداب والامران والعرفان.

صحافة هذا الدور هي غيرها في الماضي

لم تكن الصحافة موجودة بعرفي في دور نيرون القرن العشرين . فثلك التي كان العبيد المستعبدون يدعونها صحافة لم يكن اكثرها الا وريقات او نشرات لنشر آيات التقديس والتدليس والتدنيس بل لاذاعة المين كل المين والتمويه كل التمويه والتجهيل كل التجهيل والتضليل كل التضليل وكان الاستذلال والاستعباد يقضيان بدفن الحقائق واستحياء المخارق . اما وقد دت الى الشعب بعض حقوق المعطاة له من الله فمن الغضاضة على الصحافة ان تستر العيوب والعورات وكل صحافة لاتدل الدولة والامة على حسناتها وسيئاتها بكل ما في كلمة الحرية من معنى الحرية لاتدعى صحافة ولا يرجى لامتها وحكومتها صلاح واصلاح

الذنب ذنب الشعب

نعم ان مضمار الانتقاد اوسع في اميركا منه في الدولة العلية بداعي تقييد الصحافة العثمانية واطلاق حرية اميركا غير ان الذنب على الشعب . فشعب اميركا مطالب وناهض وقائم والشعب العثماني قاعد وجامد ونائم . النواب هم الذين قيدوا حرية الصحافة وهم ضيقوا الخناق عليها والشعب هو الذي انتخب اولئك النواب وارسلهم الى عاصمته وهو الذي يدفع مرتباتهم ونفقاتهم فالشعب هو سيد النواب والنواب خدامه ولم اسمع ولم يسمع غيري ان ٢٥٠ خادماً يستطيعون ان يستبدوا بثلاثين مليون (سيد) فيا ايها الشعب مر نوابك بتعديل قانون صحافتك واحملهم على تلبية امرك فان لبوه كان مانريد والا فاقبل لم ظهر المحن في الانتخاب المقبل وانتخب الاصلح فالاصح حتى تبلغ ضالتك وتعمل عمل البلاد الشعبية . فهل من سامع او يجيب لهذا الهوت الضعيف اميركا : يوسف جرجس

زخم

(المقتبس) ان اعنالم عائق يحول بيننا في هذه المجلة وفي جريدة المقتبس وبين وضع الصور اللازمة القليلة في بادئ الامر هو عدم اضطلاعنا بهذا الامر وعدم

وجود مصور ماهر هنا يحسن حفر الصور على المناحي المطلوبة . والاسلام لا يمنع من التصوير الا المجسم والمنع تحت شروط ايضاً .

ثم ان قلة رواج بضاعة الم والادب من اكبر الدواعي في تخلف صحائفنا العلمية والسياسية كما قال صديقنا صاحب المقالة فمجلة المقتبس على شهرتها لا تطبع سوى الف نسخة في الشهر وجريدة المقتبس على سعة انتشارها لا تباع اكثر من الف نسخة في اليوم فمن لنا يوم تطبع فيه صحيفة عشرة آلاف فقط لنقلد الصحافة الغربية حذو القذة بالقذة ومكانة الجرائد بمكانة قرائها وللحيط العامل الاعظم في رقيها

عمران الكرك

لم نكد الحال تستقر في حوران على ما يجب بعد ان ادبت الحملة العسكرية اشقياء الدروز في جبل حوران حتى ارادت الحكومة ان تحصي نفوس سكان لواء الكرك كما احصت سكان لواء حوران فنشز السكان وانتقضوا على الحكومة وصادف ان قطعت مرتبات بدو بني صخر والخرشان وغيرهم من كانوا يتقاضون انعاماً من السلطنة منذ القديم لحراسة الطرق فتكونت هذه الاسباب وقام البدو الذين حرّموا من رواتبهم وهي اربعة آلاف ليرة في السنة وسلبوا على بضع محطات من السكة الحديدية الحجازية واقعة على طول زهاء مائتي كيلومتر في اراضي اللواء وخربوا بعض القضبان الحديدية ونهبوا احد القطارات التي كانت قادمة من المدينة وسلبوا ما كان مع ركبائها من مال ومئات مما لا يقل ثمنه عن عشرين الف ليرة وقتلوا وجرحوا بعض موظفي الخط الحديدي وكان ذلك على بضع ساعات من مركز لواء الكرك وقام الكركيون بادبهم وحاذرهم واطالوا يد الاعتداء على التجار والموظفين والحامية ولو لم يلجأ الموظفون الى قلعة الكرك الحصينة ويقيموا فيها عشرة ايام ريثما وافاهم المدد لقصت الثورة عليهم ولا يعلم الى الآن عدد من هلك في الفتنة من التجار والضباط والموظفين والجند ممن كانوا يتجولون في الاربابض لاتمام اعمالهم وقد حرقت نيران الفتنة الاماكن الاميرية كلها ونهبت نقود الخزينة ونقود ادارة حصر الدخان ونهبت دور الموظفين واحرق قسم منها وخرب قسم عظيم من المدينة باطلاق القلعة المدافع عليها وقطع العصاة الاسلاك البرقية وهاموا على وجوههم في البراري والجنود بتأثر ونهم الآن في السهل والوعر .

وقد نوى اهالي الطفيلة واهالي معان القيام بمثل هذه الفظائع في الوقت الذي قام فيه الكركيون بثورتهم ولم يؤثر عنهم شيء مضر

واذ كان النزاع الآن قائماً في ذلك الصقع بين الحكومة والسكان وبعبارة أخرى بين المدنية والهمجية رأينا ان نلّم بعمرانه وتاريخه وجغرافيته واقتصاده واستعداداته للارتقاء فنقول نقلاً عن مصادر عربية وافرنجية وتركية كثيرة : يمتد هذا اللواء من وراء قصر الزرقاء في الحد الجنوبي من لواء حوران الى مدائن صالح جنوباً وهي مسافة يتقطعها راكب المطايا في العادة في نحو خمسة عشر يوماً ماعرضه من الغرب نهر الأردن (الشرية) وبحيرة لوط (البحيرة الملتنة او البحر الميت) ووادي العاربة والوجه والعقبة الفاصلة بينه وبين فلسطين الى بادية الشام شرقاً فالجوف فيجد وهذه المسافة لا تقل عن خمسة ايام وهي تبلغ اكثر اذا تجاوزنا البادية الى وادي السرحان في الشرق .

وارضه سهلية جبلية وجباله لا ترتفع كثيراً عن سطح البحر وتدعى باسماء البلاد التي بقربها الآن واشهر انهار اللواء وادي الزرقاء ينبع من رأس عمان قال ياقوت : الزرقاء موضع بالشام بناحية عمان وهو نهر عظيم في شعار ودحال كثيرة وهي ارض شبيب الشعبي الحميري وفيه سبع كثيرة مذكورة بالضرورة وهو نهر يصب في الغور . ووادي الصلت وهو ينبع من قصبه الصلت ووادي السير ينبعث من قرية وادي السير ووادي حسبان ينبض من محل اسمه حسبان ونهر زرقا معين ووادي الوالا ينبع بالقرب من ام الرصاص وينضم اليه وادي الموجب وهذا الوادي يتألف من اللجون الواقع في منتصف الطريق بين القطرانة والكرك وجميع هذه الودية او الانهار تصب في نهر الأردن او الشريعة ومن انهار هذه البلاد وادي الكرك ينبع في قصبه الكرك ويصب في بحيرة لوط ووادي الحسا تجتمع اليه مياه الشراة ومياه وادي موسى وبتابع شق فيصب في بحيرة لوط . وهذه الانهار تفيض كعادة معظم الانهار شتاءً بما ينهل اليها من السيول وتجف قليلا في الصيف . ومن الانهار مالا يجري الا في الشتاء مثل نهر التمد ولا ينفع بهذه المياه في السقيا حتى ان نهر الزرقاء الذي يعد من الانهار المتوسطة لا يسقي اكثر الاراضي التي حفايه بل هي تشرب بماء المطر وكذلك حال اراضي البلاد كلها ما خلا بعض الحدائق القليلة في وادي موسى والصلت

ووادي الموجب ووادي الحسامن اعنى اودية سورية قد ينزل الراكب من ذروتها الى قرارها في ساعة ونصف ويصعد اليها في اكثر من ذلك

وفي هذا اللواء مناجم كثيرة فبالقرب من زرقا معين على ساعتين من مادبا جبال ملونة ففيها جبل اصفر وآخر احمر وبالقرب من بحيرة لوط وحة عفرة من اعمال الطفيلة معادن الكبريت والقصدير والبتروول والنحاس . وزرقا معين هذه من الحمامات البخارية اشبه بحمام ابي رباح بالقرب من تدمر . وهي ثلاث حمامات يستحم المستحمون ببخارها ولا يجسر احد ان يمد يده اليها . ويقصدها سياح الافرنج كما يقصدون حمة عفرة من بحيرة لوط حتى اذا بلغوا شاطئها يركبون على الدواب ثلاث ساعات

وتقل الحراج في هذا اللواء واهمها ما كان بالقرب من بلدة الصلت وفي ارض بني حميدة وهي تبعد عن قصبة الكرك خمس ساعات ويمتد هذا الحرج من الزرقاء قرب معين الى وادي بني حماد وطوله نحو عشر ساعات وفي قضاء الطفيلة حراج واسعة يمشي الانسان بظل لظاها وسنديانها طويلاً ولا سيما في جنوبه قرب قرية ضانا

واكثر الاشجار المثمرة في اللواء التين والعنب والزيتون واكثره في الصلت والطفيلة والكرك والعراق وخنزيرة . واهم الحبوب التي يستنبطونها الخنطة والشعير والذرة والعدس والحمص يصدرونها الى فلسطين او الى دمشق وتباع بعشرات الالوف من الليرات وقبل ان تحترق السكة الحجازية هذا اللواء كانت صادرات بلاد الكرك تباع في فلسطين او تبقى في ارضها لبعده المسافة بينها وبين دمشق واقربها لا يقل عن خمسة ايام على الجمال

ومعظم سكان هذا اللواء بادية رحالة ولا تجد ساكنين في البيوت الا في الكرك والصلت والشوبك ومعان والطفيلة ويمة وصنفحة وبصرة وضانا وخنزيرة والعراق وكثيرة ومادبا وام الرمان وعمان والفحيص ووادي السير وناغور وعين صويلح ورصيفة وياجوز وعيون الحمرو وبادودة ولبن وام العمد وزيزاء . ويخمن الناس نفوس الاهالي بمئة وخمسين الفا نحو خمسهم حضر والباقي بادية ينزلون في بيوت شعر عشائر وقبائل وانخاذ وكل عشيرة موقع خربة يتخذون من الابار انابيب يخزنون فيها حبوبهم وهم ينتجعون الكلا . وفي قضاء اللواء اي الكرك ثلاثون الف ساكن منهم اربعمائة بيت مسيحيون والباقي مسلمون وفي قصبة الصلت عشرة آلاف منهم الفان من المسيحيين وليس بين العرب الرحالة اناس من المسيحيين واهل مادبا كلهم مسيحيون .

قال القرماني في (معان) انها مدينة صغيرة على قارعة طريق الركب الشامي وهي على عشر مراحل من دمشق كان غالب اهله نصارى . والآن ليس فيها احد منهم ولقد نظمت الحكومة ادارة هذه البلاد سنة ١٣١٠ على الحساب الهجري وكانت

حكومتها من قبل بيد المشايخ والزعماء فجعلت الكرك مركز اللواء وسمت سائر اللواء باسمه، وقسمته الى اربعة اقصية وهي قضاء المركز وقضاء الصلت وقضاء الطفيلة وقضاء معان والى سبع نواح وهي عمان وديبان ومادبا وزيزاء (جيزة) وتبوك وخزيرة والشوبك .

وديان هي شمالي ضفة ارنون (الموجب) على نحو ٦ اميلا من مصبه في بحيرة لوط و ٦ اميلا شمالي الكرك وهي المعروفة في الكتب المقدسة باسم ديبون اوديون وكانت احدى منازل بني اسرائيل ^(١) واشتهرت ديان بالحجر الموائى الذي وجد فيها سنة ١٨٦٨ وهو حجر اسود طوله اكثر من ثلاثة اقدام وعرضه نحو قدمين وسمكه نحو قدم وفيه ٣٤ سطراً من الكتابة الفينيقية العبرانية قرئت كلها وهي من ميثع بن خموسا ملك مواب ملخصها انه بنى هذا المقدس لكموش لانه خلصه من كل معتد وجعله ينظر بازدراء الى اعدائه كلهم قال قد ضايقت عمرى ملك اسرائيل مواب اياماً عديدة . ملك ارض ميثدبا وسكن هناك هو وابنه ٤٠ سنة اهلكه كموش على عهدي حينئذ بنيت بعل معون ورممت قريتايم . بنى ملك اسرائيل عطاروت فهاجمت المدينة واخذتها وقتلت كل سكانها قال لي كموش اذهب خذ نبأ من اسرائيل فذهبت وحاربتها من الفجر الى نصف النهار فاخذتها وقتلت سبعة آلاف رجل وجرت آية يهوه على الارض امام كموش واقام ملك اسرائيل مدة حربه معي في ياهص فطرده كموش من امامي . انا هو الذي بنى عروعر (عراعر) وعمل طريق ارنون انا هو الذي بنى بيت باموت التي اُخربت انا هو الذي بنى نبوسور وديون وبيت دبلتايم وبيت بعل معون وقال لي كموش انزل وحارب حوروناي وخذها اه .

اما مدينة ميثدبا ويقال لها الآن مادبا فقد تعاقب عليها بنو اسرائيل ومواب وعمون مراراً وهي على مسافة ٦ اميال من حشبون بين الشرق والجنوب الشرقي و ١٤ ميلا شرقي بحر لوط وكانت في القرون الاولى مركزاً مهماً للدين المسيحي ومن آثارها الآن كنيسة قديمة قيل هي من القرن الخامس وقد وجدت بها سنة ١٨٩٧ خارطة الارض المقدسة مرسومة بالفسيفساء رسماً متقناً يظهر فيه نهر الأردن وكثير من المدن الرئيسة وكانت مادبا في الاصل مدينة ويؤخذ من الكتابة التي اُثرت عن الملك ميزا من القرن الحادي عشر م انما اُعيدت الى الموائيين لتصير بعد ذلك تحت تحكم التبطين اي

(١) جغرافية الكتاب

العرب وكانت على عهد المكابيين قلعة مهمة استولى عليها هيركان واصبحت على عهد الرومان جزءاً من العربية الصخرية . والخارطة لم تنزل في كنيسة الروم هناك وعثمان كما قال القرماني . مدينة قديمة خربت قبل الاسلام ولها ذكر في تاريخ الاسرائيليين وتي رسم كبير ويمر بجانبها نهر الزرقاء الذي على اريق الحاج الشامي وهي من اعمال البلقاء وهي من بناء لوط

واخصب ارض في هذا اللواء ارض البلقاء وهي واقعة بين الأردن والبرية ووادي الموجب والزرقاء وتمتد من الصلت الى مادبا على مسيرة تسع ساعات وهي تزرع في الجملة قال القرماني : البلقاء كورة بين الشام ووادي الترى بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الرقيم المذكور في القرآن فيما زعم بعضهم وفيها مدن عظيمة وقرى كثيرة الا انها دثرت وخربت فليس بها ديار ولا تلخ نار . والقرماني كتب في القرن الحادي عشر وارض الصلت وهي عبارة عن مركزه وناحيته عمان ومادبا هي كما قال القرماني بلدة من اعمال الأردن بها قلعة يسكنها من يحفظها من قبل ملوك العثمانية وينبع من تحت قلعتها عيون كثيرة وتدخل البلد وبها بساتين كثيرة يجلب منها حب الرمان الى البلاد . ومن اراضي اللواء البائرة الجيدة التربة الشاغرة ارض الشراة المشهورة قديماً وهي تمتد من حصن التسوبك الى وادي موسى وفيها كلها مياه نضيرة وهي ذات تربة حسنة وكلها خراب اليوم . والتسوبك على ١٩ ساعة عن الكرك كما ان وادي موسى على ٢٥ ساعة عن الكرك .

ولهذه البلاد تاريخ مجيد قبل الاسلام وبعده ويكفي ان من اعمالها وادي موسى — على ٦٤ ميلاً من جنوبي الكرك و٥٤ ميلاً عن الجنوب الشرقي من بحيرة لوط — المعروف عند الافرنج بتراب العربية الصخرية او سلع من اعمالها بلاد مآب (موآب) المشهور في تاريخ النصرانية والظاهر ان سلع هي غير بتراب وليست مرادفة لها ولا يعرف اليوم اسم بتراب الاصل ولا تاريخها كما ينبغي ويظهر من النوايس القديمة فيها ان تاريخها يرد الى القرن السادس ق م ولم يجر ذكر للنبطيين اي العرب الذين استولوا على البلاد بعد الادوميين الا في سنة ٣١٢ ق م اسيه ايام ارسل الملك انتيغونوس قائده اتني ثم جاء القائد ديمتريوس ليستولي على بتراب عاصمة البلاد فاخفق القائدان في فتحها وكانت المدينة في الغالب صغيرة وهي حيث وجدت النوايس القديمة ومعظمها على اكمة هناك لا تمتد الى الوادي . حازت هذه المدينة مكانة كبرى لحصانتها ومناعتها امام غارات

سكان البادية فكانت مخزن القوافل النبطية لوقوعها على طرق البحر الاحمر اي القنزم ومصر وغزة ودمشق وتدمر .

اول امير نبطي ذكره التاريخ اسمه ارتياس الاول . وامتد سلطان النبط على عهد المكابيين الاولين الى شرقي الأردن ولما ضعفت دولة البطالسة والسلاوقيين عاد النبط ففوي سلطانهم بسرعة في القرن الثاني قبل الميلاد . وكانت حدود هذه المملكة على عهد ارتياس الثالث نحو سنة ٨٥ تمتد الى دمشق ولقب ملكها اذ ذاك « نجب اليونان » ويستدل على ان المدينة اليونانية كانت قد استحكمت او اصرها في ارض النبط من المصانع والنواويس التي عثر عليها وهي تنم باجلى بيان عن مدنيه يونان ^(١) وفي ايام هذا الملك حدث المصاف الاول بين وبين الرومان فاضطر ارتياس ان يؤدى الجزية اليهم . واضطر النبطيون على عهد الامبراطور بومبي واخلافه ان يقدموا منهم الحين بعد الاتفر جنوداً مساء مدين للرومانيين ولكن ظلت مملكتهم حرة قوية وانضمت على عهد ارتياس الرابع الى مملكة دمشق . وفي سنة ١٠٦ للميلاد جعلت بترا واعمالها كلها ابناء الرية الصخرية ولاية رومانية وقد انشأ الامبراطور تراجان طريقاً عظيماً وصل فيه بين سورية والبحر الاحمر . وبعد ذلك انقسمت هذه الولاية . وفي نحو سنة ٣٥٨ أصبحت بترا ولاية مستقلة رأساً تحت اسم مملكة فلسطين او فلسطين المسالمة . وان المصانع والعاديات الرومانية التي لم تهرح محفوظة الى اليوم لتدل بان بترا كانت على عهد الحكم الروماني قد بلغت سوطاً عالياً من العظمة والارتقاء ولم تبدأ بالسقوط عن مكانتها الا في نحو منتصف القرن الثالث للمسيح لارتقاء مملكة فارس ومملكة تندر اللتين نازعتاها في التجارة بل لان الفرس ونفخوا الى تحويل التجارة عن مصارفها القديمة الى اصتاع الفرات والخليج الفارسي .

ولما فتح العرب هذه البلاد كان قد محي اسم بترا او كاد . وزعم الصليبيون لما جاؤا سورية فالتحن ان جبل هارون على مقربة من بترا هو جبل طور سيناء فانشأوا قصراً فخماً في ذروته المقدسة ومنذ ذاك العهد سقطت المدينة في تيه العدم الى ان كان القرن التاسع عشر وقد اكتشف سياح الافرنج ما فيها من العاديات وفيها ٧٥٠ ناووساً مهماً

(١) دليل بيدكر لفلسطين وسورية ١٩٠٦

وهي اهم تلك المصانع ومن العاديات هنا التي تعد من اغرب ماصنع^(١) خزانه فرعون وهي هيكل علوه ٨٥ قدماً واسفله دار مربعة قطرها ٣٦ قدماً وعلوها ٢٥

وقال مؤرخو الفرنجة ان معنى سلع في اللغة العبرانية صخر فدعا اليونان والرومان هذه البلاد بتر اى صخراً ودعاها العرب الحجر وقالوا انها مدينة ثمود وان الفرجة الصخرية الواقعة فيها المدينة هي صدع الصخرة الذي خرجت منه نافذة صالح . والحقيقة ان سلع بفتح السين وكسرها والجمع السلوع اسم عربي ومعناه الشقوق في الجبال قال ابو زياد الاسلاع طرق في الجبال يسمى الواحد منها سلماً وهو ان يصعد الانسان في الشعب وهو بين الجبلين يبلغ اعلى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر يفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدرآ في فضاء الارض فذاك الرأس الذي اشرف من الواديين السلع ولا يعلمه الا راجل . قال ياقوت: وسمع حصن بوادي موسى بقرب بيت المقدس وبهذا لا يصح ان يطلق سلع على وادي موسى باجمعه كما توهم بعضهم . والحجر كما قال ياقوت . اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام قال الاصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى على يوم بين جبال وبها كانت منازل ثمود . قال الله تعالى (وتختون من الجبال بيوتاً فارهين) قال ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في اضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الاثالث وهي جبال اذا رآها الراي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لا يكاد يرتقى كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعداها احد الا بمشقة شديدة وبها بئر ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » قال جميل :

اقبل لداعي الحب والحجر بيننا ووادي القرى لبيك لما دعانيا

فما احدث النأي المفرق بيننا سلواً ولا طول اجتماع ثقاليا

اما بلاد مواب او مآب فهي جزء من العربية السعيدة او الصخرية بين بحيرة لوط فيما وراء عبر الأردن والبادية على ضفتي نهر ارنون وكانت عاصمة الموابيين قلعة رباط مواب . والموابيون هم ابنا لوط لا يعلم من تاريخهم الا انهم كانوا اولي بأس شديد يخاف اليهود عاديتهم لغزوم ايام الحين بعد الآخر واستولى الموابيون على الاسرائيليين

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

ثماني عشرة سنة (١٣٣٢ - ١٣١٤) عَلَى عهد حكومة القضاة وقد غلب شاول (جالوت) الموابين وخضعوا لسلطان داود مؤقتاً ثم استعبدهم الفرس فالمصريون فالسوريون فالاسكندر فالرومانيون وعلى عهد العرب امتزجوا بهم وفنوا فيهم كما فنيت شعوب كثيرة في انفلتحين مع الزمن وآثروا الانضمام اليهم بسائق الدين والمصلحة الدنيوية . اما مدينة الكرك فكانت هي عاصمة الموابين على ما يقول بعض الجغرافيين وكان اسمها كرك مواب .

وكان ^(١) مقام الموابين جنوبي ارنون وامتدوا جنوباً الى ادوم وهم من نسل لوط اتحدوا على اخوتهم بني عمون وطرردوا الرفائيين وسكنوا مكنهم حاربهم شاول وانصر بهم بحسب رواية التوراة وعند ملك مواب اودع داود ولديه من وجه شاول وقيل ان ملك مواب قتلها فقتل داود منهم ثلاثين الفا ووضع الباقيين تحت الجزية وقد ساعدوا بمختصر في حصار اورشليم واسترجعوا بعد السبي املاكهم القديمة .

وعند ياقوت بلاد ماب مدينة واحدة فقال وهي على طرف الشام من نواحي البلقاء قال احمد بن محمد بن جابر توجه الى عبيدة بن الجراح في خلافة ابي بكر في سنة ١٣ بعد فتح بصرى بالشام الى ماب من ارض البلقاء وبها جمع العدد فافتتحها على مثل صلح بصرى وقيل ان فتح ماب قبل فتح بصرى وينسب اليها الخمر قال حاتم طي :

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من ماب الى زغر

بلاد امري لا يعرف الدم بينه له المشرب الصافي ولا يعرف الكدر

وقال عبد الله بن رواحة الانصاري :

فلا وابي ماب لتأينها وان كانت بها عرب وروم

ولم يقل ياقوت ان الكرك عاصمة بلاد ماب بل قال انها قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين ابلة وبحر القلزم والبيت المقدس وهي على من جبل عال تحيط بها اودية الا من جهة الريض

وفي المرأة الوضية والى جنوبي نهر الزرقاء الى نهر الموجب البلقاء وشمالها جبل الصلت وليس فيهما موضع مسكون الا قرية الصلت ومن مواضعها القديمة جلعاد وعمون وهي الآن عمان وحشبون وهي الآن حسان والعال ونبا وماعين وعراعر وديان وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديماً ارض بني عمون والى جنوبي النهر الموجب وهو نهر

ارنون ايضا والى الاحساء ارض الكرك وهي ارض موآب او ارض قوم لوط ومن قراها الكرك وهي كبر موآب ورربة هي رابة موآب وزعراء ويقال انها صاغز التي هرب اليها لوط لما نجا من سادوم

وقال ياقوت ان البلقاء كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل ومن البلقاء قرية الجبارين التي ارادها الله تعالى بقوله «ان فيها قوماً جبارين» والبلقاء مدينة الترة شراة الشام وهي ارض معروفة ونسب اليها قوم من الرواة والنسبة اليها بلقاوي . وقال ان الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحيمية التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في ايام بني مروان ونسب اليها بعض الرواة والنسبة اليها نروي .

وذكر ياقوت ايضا ان عمان بلد في طرف الشام وكانت قصبة ارض البلقاء وروى عن ابي عبد الله محمد بن احمد البشاري عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والانعام بها عدة انهار وارية يدبرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السون مستنق الصحن شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطل عليها وبها قبر اورياء النبي عليه السلام وعليه مسجد وملعب سليمان بن داود عليه السلام وهي رخيصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهل اجهال والطريق اليها صعبة قال الاحوص بن محمد الانصاري

اقول بعمان وهل طربي به الى اهل سلع ان تشوقت نافع
اصاح الم يحزنك ريح مريضة ويرق تلالا بالعقيقين لامع
وان غريب الدار عما يشوقه نسيم الرياح والبروق اللوامع
وكيف اشتياق المرء ليكي صباية الى من نأى عن داره وهو طامع
وقد كنت اخشى والنوى مطمئنة بنسا وبكم من علم ماله صانع
اريد لانسى ذكرها فيشوقني رفاق الى ارض الحجاز رواجع
وقال الخطيم العملي اللص بذكر عمان (بفتح العين)

اعوذ بربي ان ارى الشام بعدها وعمان ما غني الحمام وغردا
فذاك الذي استنكرت بالام مالك فاصبحت منه صاحب اللوى اسودا
وان الماضي العزم لو تعلمينه وركاب احوال يخاف بها الردى

ونسب اليها بعض الرواة والنسبة عمافي .

هذا ما قاله صاحب معجم البلدان وفي كلامه على بلاد ماب والبلقاء واسم المدائن كانت عاصمة تلك النكورة كلام لا يمكن للمرء ان يجزم بان البلدة الفلانية كانت قاعدة البلاد والغالب ان الحكومة في الاسلام كانت تنقل في هذه المدن فتارة بعان واخرى في الكرك والفهوم من النصوص الآتفة الذكر ان تلك البلاد كانت قبيل الاسلام وبعده بقرون عامرة بالسكان وفيها قرى ومزارع كثيرة

وتاريخ هذه البلاد مبشّر جداً قبل الاسلام وبعده وليس لدينا من النصوص التي يستأنس بها الا مارواه ياقوت في معجمه من اسماء قرى كانت في وادي موسى ومواب والبلقاء قال : (بموتة) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام وقيل موتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف واليها تنسب المشرفة من السيوف قال ابن السكيت في تفسير قول كثير

اذا الناس ساموكم من الامر خطة لها خطة فيها الماهام الممثل

ابى الله للشتم الانوف كأبهم صوامم يجلوها بموتة صيقل

قال المهلبى ماب واذرح مدينتا الشراة نلى اثني عشر ميلا من اذرح ضيعة تعرف بموتة بها قبر جعفر بن ابي طالب بعث النبي صلى الله عليه وسلم اليها جيشا في سنة ثمان وامر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال ان اُصيب زيد فجعفر بن ابي طالب الامير وان اُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فساروا - حتى اذا كانوا بشخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها موتة فالتقى الناس عندها فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقاتل زيد حتى قتل فاخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل فاخذ الراية عبد الله بن رواحة فكانت تلك سلة فاجتمع المسلمون الى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتى قدم المدينة فجعل الصبيان يحذون عليهم التراب ويقولون يا فرار فررت في سبيل الله فقاتل النبي صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار لكنهم الكرار ان شاء الله وقال حسان بن ثابت :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بموتة منهم ذوالجناحين جعفر

وزيد وعبد الله هم خير عصبة توأصوا واسباب المنيّة تنظر

وقال : (الموجب) بلد بالشام بين القدس والبلقاء

وقال في (أبني) « بالضم ثم السكون وفتح النون والقصر بوزن حيلي » موضع بالشام

من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد حيث امره بالمسير الى الشام وشهر الغارة على ابني وفي كتاب نصر ابني قرية بموثة

وقال : (اذرح) اسم بلد في اطراف الشام من اعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لارض الحجاز . وبين اذرح والجرباء ثلاثة ايام وقيل ميل واحد (والثاني اصح) . واقل لان الواقف في هذه بنظر هذه (والجرباء) موضع من اعمال معان بالبقاء من ارض الشام قرب جبل الشراة من ناحية الحجاز وهي قرية من اذرح وبينهما كان امر الحكمين بين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري

وقال : (زيزاء) من قرى البلقاء كبيرة يطوؤها الحاج ويقام بها لم سوق وفيها بركة عظيمة واصله في اللغة المكان المرتفع ولذلك قال ذوالرمة

تحدّر عن زيزائه القف وارتقى عن الرمل وانتقادت اليه الموارد

وقال مليح

تذكرت ليلى يوم اصبحت قافلا بزيزاء والذكرى تشوق وتشغف
غداة ترد الدمع عين مريضة بليلي وتارات تفيض وتذرف
ومن دون ذكرها التي مطرت لنا بشرقي عمان الشرى والمعرف
واعملت من طود الحجاز نجوده الى الغور ما اجتاز الفقير والفلف

وقال : (السواد) نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها فيما احسب
وقال : (شتار) نقب شتار بكسر الشين نقب في جبل من جبال الشراة بين ارض البلقاء والمدينة على شرقي طريق الحاج يفضي الى ارض واسعة معشبة يشرف عليها جبال فاران وهي في قبلي الكرك .

وقال : (صرفة) قرية من نواحي مآب قرب البلقاء يقال بها قبر يوشع بن نون

وقال : (الصمان) من نواحي الشام بظاهر البلقاء قال حسان بن ثابت :

لمن الدار افقرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدا ريفاسكاه فالقصور الدواني

وقال : (لعلال) جبل بالشام مشرف على البثينة بين الغور وجبال الشراة .

وقال : (طفيل) تصغير طفل وادي طفيل بين تهامة واليمن عن نصر وبوادي موسى

قرب البيت المقدس قلعة يقال لها طفيل عرندل قرية من ارض الشراة من الشام فتمت في ايام عمر بن الخطاب بعد اليرموك .

وقال : (جادية) قرية من عمل البلقاء من ارض الشام عن ابي سعيد الضرير
واليها ينسب الجادي وهو الزعفران قال : ويشرق جادي بهن مديف . اي مدوف .
وقال : (جبال) من قرى وادي موسى من جبال الشراة قرب الكرك بالشام
منها يوسف بن ابراهيم بن مرزوق بن حمدان ابو يعقوب الصهبي الحبالي والحافظ
ابو القاسم .

وقال : (الرتبة) بلفظ واحدة الرباب عين الربة قرية في طرف الغور بين ارض
الأردن والبلقاء .

وقال : (زغر) قرية بمشارف الشام واياها عنى ابو دؤاد الايادي حيث قال :

ككتابة الزغري زيد نهان الذهب الدلامص

قال وقيل زغر اسم بنت لوط عليه السلام نزلت بهذه القرية فسميت باسمها وقال
حاتم الطائي

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من مآب الى زغر

بلاد امري لا يعرف الدم بيبته له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

وقال : (المشارف) جمع مشرف قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من
اشمال دمشق اليها تنسب السيوف المشرفية ردة الى واحده ثم نسب اليه . وفي مغازي
ابن اسحاق في حديث مودة ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع
هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف .

وقال : (معان) بالفتح وآخره نون والمحدثون يقولون بالضم واياه عنى اهل اللغة منهم
الحسن بن علي بن عيسى ابو عبيد المعني الازدي المعاني من اهل معان البلقاء والمعان
المنزل يقال الكوفة معاني اي منزلي قال الازهري : وميم ميم مفعول وهي مدينة في طرف
بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً
الى مودة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة فساروا حتى بلغوا
معان فاقاموا بها وارادوا ان يكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجمع من الجيوش
وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف فنهاهم عبدالله بن رواحة وقال انما هي
الشهادة او الظعن ثم قال

جلبنا الخيل من أجاء وفرع تغر من الحشيش لها العكوم

حذونا من الصوان سبتاً ازل كآف صفحته أديم

اقامت ليلتين من معان فاعقب بعد فقرتها هجوم
فرحنا والجياد مسومات تنفس من مناخرها السجوم
فلا وائي مآب لآتينها وان كانت بها عرب وروم
فعبأنا اعتنتها فحسات عوابس والغبار لها برجم
بذي لب كأن البيض فيها اذا برزت قوائسها النجوم

وروى ياقوت عن ابي محمد الاعرابي في قول الراجز

يا عمرو قارب بينها تقرب وارفع لها صوت قوي صلب
واعص عليها بالقطيع تنضب الا ترى ما حال دون المقرب
من نفع فلا فدياب المعتب

قال — فلا — من دون الشام والمعتب واد من مآب بالشام ومآب كورة من كور
الشام ودباب ثنايا يأخذها الطريق

وقال : (تنهج) اسم قرية بها حصن من مشارف البلقاء من ارض دمشق سكنها
شاعر يقال له خالد بن عباد ويعرف بابن ابي سفيان ذكره الحافظ ابو القاسم
وقال : (التيه) الموضع الذي ضل فيه موسى بن عمران عليه السلام وقومه وهي
ارض بين ايلة ومصر وبحر القلزم وجبال الشراة من ارض الشام يقال انها اربعون
فرسخا في مثلها وقيل اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ واياه اراد المتنبئ بقوله
ضربت بها التيه ضرب القا ر اما لهذا واما لذا

وقال : (الحميمة) بلد من ارض الشراة من اعمال عمان في اطراف الشام كان
منزل بني العباس

وقال : (نقس) بكسر اوله وثانيه ونونه مشددة من قرى البلقاء من ارض
الشام كانت لابي سفيان بن حرب ايام كان يتجر الى الشام ثم كانت لولده بعده
وقال : (النقيب) بالضم وهو تصغير نقب وهو معروف موضع في بلادهم بالشام بين
تبوك ومعان على طريق حاج الشام

وقال : (وسادة) موضع في طريق المدينة من الشام في آخر جبال حوران ما بين
يرفع وقرافر

وقال : (الوعيرة) كأنه تصغير الوعرة حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى .
هذا ما تبسر تلقفه من معجم البلدان وليس بين اسماء هذه البلاد شيء يعرف الآن

فيما نجس الاقربة اوقري بنان مثل عمان ومعان وماعدا ذلك فقد دثر واصبح خواباً يباباً تدل آثاره عليه وقد بدأ الخراب الحقيقي في هذه البلاد علي عهد الصليبيين وكانت اشهر حصونها الكرك والشوبك فقد اخذ بقودين^(١) من ملوك الصليبيين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقدم السنين والشوبك هي في رواية مسربة وقال القرماني^(٢) : شوبك بلدة صغيرة كثيرة البساتين من اعمال الشام غالب اهلها نصارى وهي شرقي الغور على طرف الشام من جهة الحجاز وينبع من تحت قلعتها عينان وقلعتها على تل مرتفع مطل على الغور .

واستولى الصليبيون على الكرك وحصنها الملك فولوك تحميها شديداً حتى كانت صاحبا البرنس ارناط كما يقول مؤرخو العرب او ارنولد كما يقول الافرنج من اشد الصليبيين عدواة للمسلمين كان غزا الحرمين فنذر صلاح الدين يوسف بن ايوب ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان فسقط بيده اسيراً يوم وقعة حطين بالقرب من طبرية وبعث صلاح الدين فاستولى على الكرك

وفي الانس الجليل ان السلطان صلاح الدين لما كان في بلاد انطاكية لم يزل الحصار على الكرك وكان اخوه الملك العادل عين معه على حفظ البلاد وكان صهره سعد الدين كشه بالكرك موكلاً بمحصاره فراسل الافرنج الملك العادل في الامان فامتنع ثم صالحهم وسلموا الحصن . ولم يكن للكرك شأن كبير قبل الحروب الصليبية ثم غدت عاصمة مملكة يعرف صاحبها بملك الكرك او صاحب الكرك على عهد صلاح الدين ومن بعده الى عهد الجراكسة والغالب ان موقعها الحربي المهم وتوسطها تقرباً بين مصر ودمشق وكانت اذ ذاك حكومتها واحدة هيأ لها ذلك

قال القرماني : كرك بليدة مشهورة وبها حصن عال على قمة جبل يقال انه كان دير الروم وجعله المسلمون حصناً فيها قبر جعفر الطيار واصحابه وفي اسفله واد فيه حمام وبساتين كثيرة وكان من دأب ملوك الترك والجراكسة كلما خلعوا سلطاناً ارسلوه الى الكرك

اما الكرك او قلعتها فهي كانت وما زالت من اعظم حصون سورية ولذلك احتلها الصليبيون وحرص صلاح الدين واسرته ان يسترجعوها منهم لانها مفتاح القطرين

(١) خطط المقرئزي (٢) في تاريخه المسمى باخبار الدول وآثار الأهل وهو مما كتب

في القرن الحادي عشر .

بل القطر المصري والشامي والحجازي ولذلك تجد ذكرها يتردد كثيراً في التاريخ منذ استولى عليها الافرنج الى ان انقرضت دولة الجراكسة في مصر والشام على يد السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢ هـ.

ولطالما كانت الكرك موعداً للقاء وميداناً لاهراق الدماء وتكافح الناس في جوارها على امتلاكها كفاحاً واعي كفاح بيعت فيه الارواح والاشباح بيع السماح وهاك الآن مثالا من صحف التاريخ المنسية تعتبر بها وتزدجر

قال ابو الفدا في حوادث سنة ثمان وستين وخمسمائة وفيها سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك . الرقيم هو كما قال يافوت ايضاً بقرب البلقاء من اطراف الشام عناه كثير بقوله وكان يزيد بن عبد الملك ينزله وقد ذكرته الشعراء

امير المؤمنين اليك نهوي	على البخت الصلادم والهجوم
اذا اتخذت وجوه القوم نصيباً	اجيع الواهجات من السموم
فكم غادرن دونك من جهيض	ومن نعل مطرحة جذيم
يزرن على ثنائيه يزيداً	باكناف الموقر والرقيم
تهنئه الوفود اذا اتوه	بنصر الله والملك العظيم

والموقر حصن بالبلقاء قال فيه يافوت انه اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق وكان يزيد بن عبد الملك ينزله قال جرير :

اشاعت قریش للفرزدق خزية	وتلك الوفود النادبون الموقرا
عشية لاقى القين قين مجاشع	هزيراً ابا شبلين في الفيل قسوراً

وقال كثير :

سقى الله حياً بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب
وقد نشأ من الموقر جملة من المحدثين والنسبة اليها موقري وصرح الشاعر بان الموقر من ارض الشام فقال :

اذنت علي اليوم اذ قلت انني	احب من اهل الشام اهل الموقر
بهايل ثم عصمة الناس كلهم	اذا الناس جالوا جولة التحير

وقال كثير عنزة

اقول اذ الحيان كعب وعامر تلاقوا ولقننا هناك الماسك
جزء الله حياً بالموقر نضرة وجادت عليه الرأثات الهواتك
بكل حيث الوبل زهر غمامه له درر بالقسطلين مواشك

وفي حوادث سنة ثمان وسبعين وخسمائة ان البرنس صاحب الكرك عمل اسطولا في بحر ايلة (وهي مدينة على ساحل بحر القلزم او الاحمر ما يلي الشام) وساروا في البحر فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب ^(١) يفسدون في السواحل وبنفنون المسلمين في تلك النواحي فانهم لم يعبدوا بهذا البحر فرنجاً قط فعمز الملك العادل ابو بكر ابن ابوب اسطولا في بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين الحاجب لؤلؤ وهو مشولي الاسطول بديار مصر فوقع بالدين يحاصرون ايلة فقتلهم وامرهم ثم سار في طاب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموه على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة وسار لؤلؤ يبقوا اثرهم فبلغ رابغ فادركهم بساحل الحورا ونقاتلوا اشد قتال فظفر بهم وقتل اكثرهم واخذ الباقيين اسرى وارسل بعضهم الى منى لينغروا بها وعاد بالباقيين الى مصر فقتلوا عن آخرهم

وفي السنة التالية سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربض ^(٢) الكرك وبقيت القلعة وليس بينها وبين الربض غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين طمعه فلم يقدر لكثرة المقاومة فجعمت الفرنج فارسها وراجلها فقصده فلم يمكن السلطان الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقام في اماكن وعرة واقام السلطان قبالتهم وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فلم يامتناعه عليه فرحل عنه .

وبعد وقعة حطين كان السلطان صلاح الدين لما سار الى البلاد الشمالية قد جعل على الكرك وغيرها من يحصرها وخلي اخاه الملك العادل في تلك الجهات يباشر ذلك فارسل اهل الكرك يطلبون الامان فامر الملك العادل المباشرين بحصارها بتسلمها فتسلموا الكرك والشوبك وما بتلك الجهات من البلاد .

(١) عيذاب بالفتح ثم السكون وذال معجمة وآخره باء موحدة . بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسي المراكب التي تقدم من عند والي الصعيد « ياقوت »

(٢) الربض فيما قال بعضهم اساس المدينة والبناء والربض ماحوله من خارج . الاول

مضموم والثاني بالتحريك

قال ياقوت في الشوبك انها بلدة - حصينة في اطراف الشام بين عمان وابلة والقلمز قرب الكرك وذكر يحيى بن علي الترخي في تاريخه ان يقدور الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ الى بلاد ربيعة من طي وهي باق والشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بقرب وادي مومي فعمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر الى الام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن . وبعد وفاة هلالح الدين ظلت الكرك والشوبك والبلاد الشرقية بيد الملك العادل سيف الدين ابوبكر ابن ابوب

تقدم ان حصن الشوبك كان من جملة الحصون التي يتنافس فيها الفاتحون في هذه الديار وهو على ١٩ ساعة من الكرك يؤيد ذلك مارواه ابو الفدا (١) في حوادث سنة ٦٢٥ هـ من ان الملك الكامل صاحب مصر ارسل يطلب من ابن اخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يعطه اياه ولا اجابه اليه فزار الملك الكامل من مصر الى الشام بقصد استخلاص الشوبك وغيره .

وفي حوادث سنة ٦٢٩ ان الملك الكامل سار من دمشق الى الشوبك واحتفل له الملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل ابى بكر ابن ابوب احتفالاً عظيماً بالضيافات والافامات والتقدام وحمل بهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل باللاجون قرب الكرك وهي منزلة الحجاج . وفي سنة ٦٣٣ فطرت العلائق بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين عمه الملك الكامل صاحب مصر فزار الاول الى بغداد ملتجئاً الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف فاصالح الخليفة بينهما وعاد الناصر الى الكرك وفي سنة ٦٣٥ جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولي بلي دمشق مصاف بين جنين ونابلس انتصر فيه الملك الجواد يونس وانهزم الملك الناصر هزيمة قبيحة ونهب عسكره واثقاله ولتادمر هذا وقائع مع امرته وغيرهم ولكن بني ابوب ومن بعدهم على تنافسهم في الملك كانوا بدأ واحدة على اعدائهم الصليبيين حين الحاجة لان هؤلاء لم تكن انقطعت شأفتهم كلها من بلاد الشام

وفي سنة ٦٤٤ سار الامير نجر الدين يوسف ابن الشيخ من قبل الملك الصالح الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فاستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولي

(١) اعتمدنا على تاريخه في وصف ما اثاب الكرك بعد حرب الصليب

عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفاً بالغاً ولم يبق بيده غير الكرك وحدها .

وفي سنة ٦٤٧ استولى الملك الصالح ايوب صاحب الديار المصرية على الكرك وفي السنة التالية ملك القلعتين الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين وكان اعتقاله الملك المعظم تورانشاه في الشوبك فلما قتل هذا باذر النائب عليهما وهو بدر الدين الصوايبي الصالحى فافرج عن الملك المغيث وملكه الحصنين وفي سنة ٦٥٦ انضمت البحرية الى المغيث صاحب الكرك والتزم مع عسكر مصر في غزة فكانت الكسرة على المغيث ومن معه فولى منهزماً الى الكرك في اسوار حال ونهبت اثقاله ودلهيزه . وفي سنة ٦٥٧ حاصر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حماة الملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته البحرية واقاموا على بركة زيزاء (التي يحرقها العامة بمجيزة اليوم) ما يزيد على شهرين وفي سنة ٦٦٠ قتل الملك المغيث صاحب الكرك قتله الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر لانه كتب اجوبة على مكاتبات من التتر الى الملك المغيث في اطاعهم في ملك مصر والشام ورتب الظاهر امور الكرك وعاد الى مصر

وفي سنة ٦٨٠ استقر الصلح بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الملك خضر ابن الملك الظاهر بيبرس صاحب الكرك . وفي سنة ٧٠٨ سار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز فسار الى الكرك وكان النائب بها جمال الدين اقوش الاشرفي فعمل ساطكاً واحتفل به وعبر الى المطان الى المدينة ثم الى القلعة ولما عبر السلطان على الجسر الى القلعة والامراء ماشون بين يديه والماليك حول فرسه وخلفه سقط بهم جسر قلعة الكرك وقد حصلت بد فرس السلطان وهو راكبه داخل عتبة الباب فلما احس الفرس بسقوط الجسر اسرع حتى كاد ان يدوس الامراء الماشين بين يديه وسقط من ماليك السلطان خمسة وثلاثون الى الخندق وسقط غيرهم من اهل الكرك ولم يهلك من الماليك غير شخص واحد لم يكن من الخواص ونزل في الوقت السلطان عند الباب واحضر الجنوبات والجبالب ورفع الذين وقعوا عن آخرهم وامر بمداواتهم فصلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه وكان ارتفاع الجسر الذي سقطوا منه الى الخندق يقارب خمسين ذراعاً .

ولما تولى الملك الناصر^(١) احمد بن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون في الكرك اقام فيها اياماً في لهو ولعب فانكروا عليه اموراً لا تليق بالسلطنة فاتفق اهل الزمام على خلعه وارسلوا الى المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاه الصالح اسماعيل ووردت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشامية بتجريد العشرات وغيرهم الى الكرك وعينوا على معاملتي صيداء وبيروت خمسمائة راجل فذهبوا اليها سنة ٧٤٣ ووجدوا في القلعة ومع السلطان احمد خلقاً كثيراً وقد نصبوا على القلعة في اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة وكان الكركيون يظهرون من باب القلعة ويقاتلون احياناً كثيرة وكان الحصار والزحف مستمراً ونصب المحاصرون على القلعة متجنيقاً يرمي بحجار وزنها خمسة وثلاثون رطلاً .

وكان يحكى عن السلطان احمد انه كان شاباً حسن الشكل عبل البدن وكان يلبس ملبوس العرب ووسع اكمامه على زي الكركيين وكان يظهر لهم انه لبس هذا الزي محبة فيهم

وكان يجلس كل يوم بين نمراريف القلعة ويرمي سبعة سهام صيغت نصولها من فضة موشاة بذهب كانت تدل على قوة قوسه وكان اذا اراد ان يرمي السهم رفع يده التي فيها القوس فيسقط كفه من سعة الى كتفه حتى يبان شعر ابطه وكان غليظ الذراع ابيض اللون ورأوا له سهماً في حصار الكرك وقد نقش عليه هذان البيتان .

ومن جودنا نرمي العداة باسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
يداوي بها المجروح منها جراحه ويشري بها الاكفان منها قتيلا
وهما للامين بن هرون الرشيد وكان لما حضره عبدالله بن طاهر في بغداد بعساكر اخيه المأمون صنع نصول الشباب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمئة ضعفت حال السلطان احمد والكركيين وكان زرعهم قد رعي رعاه التركان والعربان وكان اكثر دوابهم قد نهبت وانقطع عنهم الجلب وحالم في ضعف واخذت قلعة الكرك سنة خمس واربعين وسبعمئة واخذ سلطانه وقتل وذلك بعد ان تجمعت عساكر الشام على حصارها زهاء سنتين

وبعد فليس في التاريخ الحديث ولا سيما من بعد دخول الدولة العلية الى هذه

البلاد شيء ينقل ليفيد في حالة بلاد الكرك اللهم ما كان من انتفاض اهالي هذه البلاد على ابراهيم باشا المصري لما فتحها ايام دخوله الى سورية في اوائل القرن الماضي ونظم ادارتها وجعل لها حامية من جنده فلم يرض الاقليل حتى تمرد السكان وقاموا فدبحوا الحامية والموظفين عن بكره ابيهم حتى انهم قتلوا كتيبة من جنده كانت آية الى مصر فضلاوها في الطريق واهلكوها الا قليلا كما ارتكبوا مثل هذا المنكر هذه المرة ولم يفلحوا

ويؤخذ بالقرينة ان معظم البلاد اصبحت بادية بعد هذه الواقعة لغلبة الجهل واختلال الادارة وظلم العمال وكذلك حال القرى يعرف ذلك كل من طاف في اقصية اللواء الاربعة فانه يتأهد خراباً ومياهاً سائبة فقد كان في قضاء الصلت وارض بني صخر نحو ثلثائة قرية وعدة مدن عامرة وليس فيها اليوم سوى خمس عشرة قرية عامرة بعض الشيء

وبعض الخرب في اللواء بيد العرب المزارعين وبعضها شاغرة وآخر ملك للحكومة . وبدو الكرك كثيرون فنهزم في قضاء الصلت الدجبة ^(١) والايديات وابي نعيم والشوايكة والازابدة والابووندي والعجارمة والمطيريون والحرافيش وراسفة والعدوان والنمر والكائد والصالح والعباد والمناصير والفقهاء والزيود والزيادات والجروم والمشاخلة والقاعور والريع وبنو صخر وهم يقسمون الى الزبن والهكيش والحفير والقبعين والفايز ومجموع بيوتهم نحو ٤٥٠٠ بيت واشهرها بنو صخر وهي ٧٠٠ بيت والعدوان وهي ٥٠٠ والعباد ٨٠٠ والارض التي تنزلها هذه القبائل شرقي نهر الشريعة وغربي البادية وشمالا وادي الولا ووادي الثمد وجنوباً ماء الزرقاء والحدود الفاصلة بين عجلون والصلت وسكان القضاء كله نحو اربعين الفا وهو اعمر اقصية الكرك

وفي قضاء الطفيلة نحو عشرين الفا من النفوس وهذه ^(٢) اسماء عشائرم : الحميدات وهي اعظمها مؤلفة من خمسمائة بيت وعبيدين تقرب نفوسها من الحميدات والبحارات مثلها ايضاً والكلالدة والوهيبات والهلالات وعشيرة المناعين وهي رحالة نقضي اكثر ايامها في الجوف بالقرب من مجد وتنزل القضاء بعض اشهر بين محطة الجروف ومدينة الطفيلة وفي هذه المدينة ١٢ الفا من السكان الحضرم .

وفي قضاء معان عشائر وانحاذ واهمها الحويطات ومنها الدمانية وابوتاية والمطالقة ومنها

(١) خليل رفعت افندي الحوراني

(٢) الدكتور محمد خيرى القباني

البدول والشوبك والنعيمات والديابات والعامرة والمراعية والدرواشة والعطون والزوايدة والطقاطقة والعمارين والرشابدة والسعيديين والراحفة . وفي قضاء معان ايضاً ينزل بنوعطية وهم يقسمون سبعة اقسام منهم المزايدة والخضرة والشبوث والهرامسة ومنازلهم من المدورة الى تبوك

اما عشائر قضاء الكرك ^(١) فكثيرة وهي اغوات . اللصاية . بنو حميدة . يياضة . جلامدة . حباشنة . خرشة . خنزيرة . دنيبات . كفواين . ضمور . حجابا . سليط . شمالة . صرايرة . صعوب . طراونة . العمرو . عراق . عكشة . حجازين . غور الصافي . غور المزرعة . فقرا . قطاونة . قضاة . كثرربة . معايطه . بحالي . مبيضين . مصاروة . مدانات . بقاعين . نوايسة . نعيمات . هلسة

هذه فرق عشائر الكرك واهمها وأكثرها عدداً بنو حميدة . سليط . حجابا حباشنة . ضمور . صرايرة . طراونة . كثرربة . معايطه . وتنقسم عشيرة بني حميدة الى ثلاث فرق (حمولات) وهي ابو بريز وابن طريف وابو رييحة . وتنقسم ابو بريز الى فرقتين وهما الفواضلة والتوايمة . وكل منهما ينقسم الى اربع جماعات لكل جماعة شيخ . وتنقسم عشيرة ابن طريف الى ست فرق وهي ابن طريف . رواحنة . الحبيصة . الضرابعة . الشخابة . شقور وحمادين . بصيرة وتنقسم عشيرة ابي رييحة الى اربع فرق . هي الشروانة وحواتمة . هواوشة . اللوانسي . قواسمة . وتنقسم عشيرة سليط الى فرقتين بحارات ورجيلات . وتتألف عشيرة الحباشنة من العرود والجعافرة . وتتألف الضمور من محمود وسيميات والطراونة من عيال جبرين وعيال جبران . وجماعة وعيال عودة .

اما كثرربة فهي قرية يسكنها فرقتان وهما القراللة والراماضنة وتتألف القراللة من زغيلات سالم وزغيلات سعيد وسلامات ومهابة ومخائرة . وتتألف الراماضنة من الرواشدة والحنانة وشواورة وكساسة ومطارنة وجوازنة . وتتألف عشيرة المعايطه من فرقة ساهر ويوسف . وتتألف النعيمات من العبادلة والجعافرة والاحمدة وتتألف الحجابا من محموديين وهدايات وهؤلاء الحجابا لا يزرعون ولا يفلحون بل هم بادية . والعشائر التي لها شأن عند الحكومة هي . الحجابي . طراونة . ضمور . معايطه .

صرايرة • مدانات • هلسة • اما العشائر التي لها نفوذ على العشائر نفسها فهي المجالي • سايط • حجابيا • طراونة • بنو حميدة

هذه اسماء العشائر وفرقها ومكانتها اما ما كن نزولها فان فرق ابي ريحة • ابي بريز • شخامة • الحيص • الرواحنة من عشيرة بني حميدة وسليط وكهانة والفقرا كلهم ينزلون تحت الخيام في ناحية ديبان من اعمال مركز اللواء • وحدود ديبان هذه من القبلة نهر الموجب ومن الشمال اللب ومن الغرب بحر لوط ومن الشرق ام الرصاص في بقعة من الارض سهلية جبلية يبلغ عرضها اربع ساعات وطولها سبع ساعات • ولا تجد شرقي ام الرصاص ارضا تزرع ومركز ناحية ديبان وادي الوالا وهو على احدى عشرة ساعة عن مركز اللواء •

اليك على الجملة اسماء العشائر المزارة وهي معدودة بادية رسالة في هذا اللواء والحكومة تستوفي منها الى اليوم عشرا مقطوعا وخراجا مقطوعا ودينا (تعداد الجبال وتعداد الغنم) مقطوعا اي انها تفرض على كل حمولة او عشيرة قدرا من المال وتطالب به من وجدته منهم فيكون بذلك مجال لظلم الضعاف من هذه القبائل يرهقهم متابعهم وعمال الحكومة وهؤلاء يشتدون في الاكثر في اعنت من يظفرون به او يجتازون منزله وقد يأخذونه بجزيرة جاره او اخيه فان بعض اولئك البدو قد يهربون في بعض سني المحل او يفرض آخر فلا يلبث عمال الدولة ان يستوفوا من ابناء تلك القبيلة ما هو في ذمة الهاربين وكثيرا مانقاضت الحكومة من واحد ما يفرض على خمسة من عتيبرته • مثال ذلك ان العامرة من الحويطات كانوا اغنياء على عهد تأسيس اللواء اي منذ سبع عشرة سنة فلم تمض بضع سنين حتى اصبحوا افقر الفقراء بتلك القاعدة السخيفة في الادارة وتفروقا تحت كل كوكب ومنهم من انقلب الى حسمه وغزة او اغل في البادية الى نجد والشرق

نعم ان الحكومة حتى الآن لم تعمل لعمران اللواء عملا من شأنه رفع الحيف وكشف الظلامات لتعمر البلاد بل على العكس انت ماخرب به عمرانها وابدع سكانها فيدلا من ان ترسل لهم وعاطلا يعلمونهم بلغتهم بعثت اليهم في الدور البائد تسعة من الاتراك تحت اسم وعاط لا يعلمون العربية فاشتغلوا سنين بالتجسس وبث المفاصد وبهذا تأصلت النفرة في قلوب القوم بدلا من تأليف شاردهم وساعد على ذلك في الاكثر انخراط

طبقة أكثر الموظفين الذين يعينون في امور الادارة وبذلك زاد الاهلون مراتاً على الاحتيال تخلصاً بزعمهم من فساد الحاله وركنوا الى شيوخهم على ظلم فيهم أكثر من حكومتهم التي تريد الخير بهم على الجملة وان كانت لم تهتد الى الطريق حتى الآن في اختيار الجياد من العمال

كان الرجاء معقوداً بتأسيس حكومة الكرك ان تغدو عمالتها كلها بعد هذين العقدين من السنين جنة لما خستها به الفطرة من المواهب وتقلب تلك الخيام السوداء كما قال احد العارفين دوراً قوراء فاصبحت بسوء الادارة بيوت ارزاء ولا واء .

كاد اولئك البادية يضعون ثقتهم بالحكومة يوم تولى امرهم اداري يقيم نصاب العدل ويرفع عن عائقهم عدوان زعمائهم الجاهلين ولكن جرعة الامر على عكس ذلك فاخذ السكان يستضعفون حكومتهم خصوصاً بعد ان قاموا منذ زهاء سنتين وهجموا على دار الحكومة وكان بلغهم انها تريد احصاء نفوسهم والحقيقة انها كانت في صدد انتخاب نائب منهم يمثلهم في مجلس الامة . ولو احسن متصرفهم اذ ذاك التصرف وصحت عزيمة الحكومة على ازالة العقوبة الشديدة بمن شقوا عصا الطاعة لما حدث اليوم ما حدث فخرّب العامر والغامر وتضرر الحاكم والمحكوم عليه .

فان يوماً في فتنة يخرب مالا يعمر في سنين . وعدل ساعة يحجي الارض اكثر من كل قوة في غير محلها . فوا اسفاه لبلاد مثل هذه تؤوي الملايين من البشر يعيشون من تربتها سعداء وهي اليوم لا ينزلها سوى الوف لا يستفيدون منها ولا يفيدون وها قد زادت اليوم فوق خرابها خراباً . كانت بالامس ممالك ذات منعة وهي الآن بما تحيفها من الدمار عبرة لمن اعتبر فسبحان من يشقي ويسعد ويغني ويفقر



رثاء تولستوي

(تولستوي) تجري آية العلم دمعها
 وشعب ضعيف الركن زال نصيره
 ويندب فلاحون انت منارهم
 يعانون في الاكواخ ظلمًا وظلمة
 تطوف كعبسى بالحنان وبالرضى
 ويأسى عليك الدين اذ لك ابيه
 أبكفر بالانجيل من تلك كتبه
 وتبكك الف فوق (ليلي) ندامة
 تناول ناعيك البلاد كأنه
 وقيل تولى (الشيخ) في الارض هائمًا
 وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه
 عليك ويكي بأس وفقر
 وما كل يوم للضعيف نصير
 وانت سراج غيبوه منير
 ولا يملكون البث وهو يسير
 عليهم وتغشي دورهم وتزور
 وللخادميه التافمين قشور
 أناجيل منها منذر وبشير
 غداة مشي (بالعامريه) سرير
 براع له في راحتك صرير
 وقيل (بدير) الراحات اسير
 وللطب من بطش القضاء عذير

اذا أنت جاورت (المريّة) في الثرى
 او اقبل جمع الخالدين عليكما
 جماجم تحت الارض عطرناها شدى
 بهن تباهي بطن (حواء) واحتوى
 فقل باحكم الدهر حدث عن البلى
 أحطت من الموت قديما وحادثا
 طوانا الذي يطوي السموات في غد
 نقادم عهدانا على الموت واستوى
 كأن لم تضق بالامس عني كنيسة
 ارى راحة بين الجنادل والحصى
 نظرنا بنور الموت كل حقيقة
 اليك اعترافي لا تقس وكاهن
 فزهدك لم تنكره في الارض عارف
 وجاور (رضوى) في التراب (ثبير)
 وغالى بمقدار النظر نظير
 جناهن مسك فوقها وعبر
 علمهن بطن الارض فهو فخور
 فانت عليم بالامور خبير
 بما لم يحصل منكرو ونكير
 وينشر بعد الطي وهو قدير
 طويل زمان في البلى وقصير
 ولم بوؤني دير هناك طهور
 وكل فراش قد اراح وثير
 وكناكلانا في الحياة ضرير
 ونجواي بعد الله وهو غفور
 ولا متعال في السماء كبير

بیان یشم الوحي من نفحاته : وعلم سکلم الانبياء غزير
 سلكت سبيل المترفين ولذني بنون ومال والحياة غرور
 اداة شتائي الدفء في ظل شاهق وعدة صيفي جنة وغدير
 ومتمعت بالدنيا ثمانين حجة ونضر ايامي غنى وحبور
 وذكر كسوة الشمس في كل بلدة ولا حظاً مثل الشمس حين تسير
 فإرا عني الا عذارى اجرني ورب ضعيف تحتمي فيجير
 أردت جوار الله والعمر منقض وجاورته في العمر وهو نضير
 صباً ونعيم بين اهل وموطن ولذات دنيا كل ذاك نذور
 بهن وما يدرين ما الذنب خشية ومن عجب تحشي الخطيئة حور
 اوانس في داج من الدير موحش والله انس في القلوب ونور
 واشبه طهر في النساء بمریم فتاة على نهج المسيح تسير

تسألني هل غير الناس ما بهم وهل حدثت غير الامور امور
 وهل أثر الاحسان والرفق عالم دواعي الازد والشر فيه كثير
 وهل سلكوا سبل المحبة بينهم كما يتصافى أسرة وعشير
 وهل أن من اهل الكتاب تسامح خالق بأداب الكتاب جدير
 وهل عاجل الاحياء بؤساً وشقوة وقل فساد بينهم وشور
 قم انظر وانت المالمالي الارض حكمة أأجدى نظم أم افاد نثير
 اناس كما تدرى ودنيا بحالها ودهر رخي تارة وعسير
 واحوال خلق غابر متجدد تشابه فيها اول واخير
 تمر تباعا في الحياة كأنها ملاعب لا ترخي لمن ستور
 وحرص على الدنيا وميل مع الهوى وغش وافك في الحياة وزور
 وقام مقام الفرد في كل امة الى قولهم مستأجر واجير
 وحوار قول الناس مولى وعبيده ولا نهى الا ما يرى ويشير
 واضحي نفاذ المال لا امر في الوری ويدعن اقبال له وصدور
 ناس حكومات به وممالك

وعصر بنوه في السلاح وحرصه
ومن عجب في ظلها وهو وارف
ويأخذ من قوت الفقير وكبه
ولما استقل البر والبحر مذهبا
على السلم يجرى ذكرها وبدير
يصادف شعبا آمنا فيغير
ويؤوي جيوشا كالخصى ويمير
تعلق اسباب السماء يطير
احمد شوقي

رثاك امير الشعر في الشرق وانبرى
ولست ابالي حين ارثيك بعده
فقد كنت عوناً للضعيف وانني
ولست ابالي حين ابكيك للورى
فاني احب الابطال لعلمهم
دعوت الى عيسى فضجت كنائس
وقال اناس انه قول ملحد
ولولا حطام رد عنك كيدائم
ولكن حماك العلم والرأي والحجى
اذا زرت رهن الحبسين^(١) بحفرة
وابصرت انس الزهد في وحشة البلى
وايقنت ان الدين لله وحده
فقف ثم سلم واحتشم ان شيخنا
وسائله عما غاب عنك فانه
يخبرك الاعمى وان كنت مبصراً
كأنني بسمع الغيب اسمع كل ما
يناديك اهلاً بالذي عاش عيشنا
قضيت حياة ملؤها البر والتقى
وسموك فيهم فيلسوفاً وامسكوا
وما انت الا زاهد صاح صيحة

لمدحك من كتاب مصر كبير
اذا قيل عني قد رثاه صغير
ضعيف وهالي في الحياة نصير
حوت جناح او حواك سعير
واعشق روض الفكر وهو نصير
وهن لها عرش وماد سرير
وقال اناس انه لبشير
لضقت به ذرعاً وساء مصير
ومال اذا جد النزاع وفيه
بها الزهد ثاو والذكاء سثير
وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
وان قبور الزاهدين قصور
مهيب على رغم الفناء وقور
عليم باسرار الحياة بصير
بما لم تخبر احرف وسطور
يجيب به استاذنا ويحير
ومات ولم يدرج اليه غرور
فانت بأجر المتقين جدير
وما انت الا محسن ومجير
يرن صداها ساعة ويطير

سلوت عن الدنيا ولكنهم صبا
 حياة الورى حرب وانت تربدها
 ابت سنة العمران الانحرا
 تحاول رفع الشر والشر واقع
 ولولا امتزاج الشر بالخير لم يقم
 ولم يبعث الله النبيين للهدى
 ولم يعشق العلياء حر ولم يسد
 ولو كان فينا الخير محضاً لما دعا
 ولا قيل هذا فيلسوف موفق
 فكم في طريق الشر خير ونعمة
 الم تر اني قت قبلك داعياً
 اطاعوا ابيك كيراً وسقراط قبله
 ومم وما مانت مطامع طامع
 اذا هدمت للظلم دور تشيدت
 افاض كلانا في النصيحة جاهداً
 فكم قيل عن كهف المساكين باطل
 وما صدعن فعل الاذى قول مرسل

اليها بما تعطيهم وتخير
 سلام واسباب الكفاح كثير
 وكذاً ولو ان البقاء يسير
 وتطلب محض الخير وهو عسير
 دليل على ان الاله قدير
 ولم ينقطع للسريير امير
 كريم ولم يرجو الثراء فقير
 الى الله داع ان تبلغ نور
 ولا قيل هذا عالم وخبير
 وكم في طريق الطيبات شرور
 الى الزهد لا بأوى الى ظهير
 وخولفت فيما ارثني واشير
 عليها ولا القى القياد ضمير
 له فوق اكثاف الكواكب دوز
 ومات كلانا والقلوب صخور
 وكم قيل عن شيخ المعرفة زور
 ولا راع مفتون الحياة نذير

حافظ ابراهيم



المقابر

الكواكب السائرة

من المخطوطات في التراجم التي تتصل بطبعهم اسلسلة تواريخ القرون كتاب الكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي ومنه نسخة جيدة في الخزانة الظاهرية بدمشق دخلت في ثلاثة اجزاء وبلغ عدد اوراقها ١٦٤ بالقطع الكامل وفي آخرها جزء رابع جعله المؤلف ذيلًا على كتابه هذا وهو خمسون ورقة قال فيه انه الفه لتمام سنة ثلاث وثلاثين بعد الالف وهي السنة التي جاءت بكل عجب قال وسميته لطيف السمر وقطف الثمر من تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر . وقد كتب الاصل والفرع سنة اثنتين وستين ومئة والى قال المؤلف بعد مقدمة طويلة : واني طالما كنت اتشوق الى تأليف كتاب يجمع تراجم المتأخرين من اهل المئة العاشرة من العلماء الانجاب فلم اجد من تعرض لهذا المعنى او دخل في هذا الباب غير ان الشيخ المحدث النحوي شمس الدين محمد بن طولون الحنفي ألف كتابًا جمع فيه تراجم طوائف من اواخر المئة التاسعة واولائل المئة العاشرة سماها بالتمتع بالافران ولم اقف على مجموع هذا الكتاب وانما وقفت على نحو كراسة منه فاستدلت بالصباغة على العباب ووقفت له ايضا على الجزء الثاني من تاريخه الذي جعله لحوادث الزمان وسماه بمفاكهة الاخوان واوله من مستهل سنة سبع وعشرين وتسعمائة الى ختام سنة احدى وخمسين فرأيته ذكر فيه وفيات من بلغه وفياتهم في تلك المدة لكنه لم يخرج فيه لتراجمهم من عهده ثم وقفت بعد على الجزء الاول منه فرأيته ابتداءً فيه من اول سنة ثمانين وثمانائة وهي سنة ميلاده وانتهى فيه الى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكتبت قد وقفت قبل ذلك على

قطعة من تاريخ كتاب الحافظ العلامة بدر الدين الحنفي في حوادث القاهرة من سنة سبع عشرة وتسعمائة الى اواخر سنة اربع وثلاثين ثم وقفت علي تعليقه بخط والد شيخنا الشيخ الامام الفقيه ابو الندى شرف الدين يونس العيثاوي الشافعي رحمه الله تعالى على فيها وفيات شيوخه وبعض اقاربه وترجم اكثرهم فذكر من مآثر كل مترجم ما يليق بمقامه ومكانه ثم وقفت علي قطعة صالحة من تاريخ العلامة شهاب الدين احمد المحصي الخطيب الشافعي الذي ضمنه من مهمات الحوادث والوفيات فاذا هو تاريخ عجيب غير انه سلك فيه مسلك الايجاز والتقرير فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب فجمعت فيه من تراجم القوم ما يغلو في السوم ويحسن له الانتخاب وتحريت فيه بقدر الطاقة والامكان وجه الحق والصواب وسلكت بين طريقي الايجاز والاطاب لانه اقرب لتناول المقتصدين وانفع لمن يريد الكشف من احوال المترجمين معتمداً فيما انقله علي خطوط هؤلاء المشايخ او علي خط من يوثق به من كل ذي قدر في العلم شامخ وقدم في الفضل راسخ او علي ما تلقيته من افواه المعشرين واخذته عن الفضلاء البارعين مما يدخل في تراجم الاعيان او تاريخ مواليدهم او وفياتهم بحسب الامكان من اهل القرن المذكور من العلماء الاعلام بدمشق الحروسة وحلب وغيرها وبلاد الشام ومن علماء القاهرة والحرمين الشريفين حسبما تيسر لنا مع التحري والاجتهاد في كل مقام وضمنت الى ذلك نبذة من تراجم اعيان الفتح العثماني ووفيات اعيان الملك السلطاني ممن اتفقت وفياتهم فيما حدث من الزمان منتخبةً لذلك من الشقائق النعمانية ومن رحلة والدي المسماة بالمطالع البدرية ومن غيرهما بما بلغني وتحققته وتلقيته عن الثقات وتلقيته واضفت الى ذلك ايضاً من تراجم سلاطين القرن المذكور وملوكه ليتم نظم الكتاب في فلاتد عقيانه وسلوكه معتمداً في هذا النوع علي كتاب الاعلام بما في مكة من الاعلام للشيخ العلامة الجوزي عن الاقراّن القطب الحنفي المكي عرف بابن قاضي خان وعلي غيره ايضاً مما تيسر لنا الاطلاع عليه في هذا الشأن ثم اني وقفت بعد ذلك علي تاريخ العلامة رضي الدين ابن الحنبلي الحلبي الحنفي المسمى بدر الحلب في تاريخ اعيان حلب وهو كتاب في مجلد ضخم ضخين مشتمل علي الفتح والسمين والثافه والثنين وربما فيه بعض التراجم بما لا يتعلق له بالمرام وليس له بن التاريخ التمام وربما اكمل الاسماء لثلا يخلو الحرف من التراجم بنقاش او تاجر او مغن او مطبّر وعاشق او معاز او غيرهم من العوام فانخبت منه تراجم بعض اعيان كتابه وضمنتها الي كتابي واعرضت عما لم يقع اختياري عليه مما اتى به وليس في بابه

حسبما قضى به تميزي وانفجالي لاني وضعت هذا الكتاب على اسلوب اهل الحديث والاتقان ولم ارسمه كيف انفق ولا على اي وضع كان ثم وقفت على تاريخ مختصر للامام المحدث المسند المعتبر ابي المفاخر عبدالقادر الحيويني ابن النعمي الشافعي سماه بالعنوان في ضبط مواليده ووفيات اهل الزمان وقد ذيل عليه ولده العلامة الحيويني محي الدين فانفتحت منه مالاغنى لكتابنا عنه ثم وقفت على طبقات الاولياء الكبرى والوسطى وكلاهما للشيخ القدوة الشعراني عبدالوهاب فانفتحت منه ما دخل في شرط كتابي من تراجم الصالحين الانجاف مع ذكرهم اذكرهم الشيخ العلامة الولي المحدث شرف الدين الكناوي من الصالحين ممن يدخل في شروط كتابنا من تراجم المتبعين سيف شرح منظومته التي جعلها في تقييد اسماء مشاهير الاولياء والعارفين ومع ذكر تراجم اعيان من اخذ عن شيخ الاسلام والدين العلماء والصالحين والبارعين ممن يدخل في شرط الكتاب ايضا ملخصا لذلك من جزء له كتب فيه تراجم جماعة من الملته والملازمين فكان كتابا جامعاً لزبد هذه الامهات ملخصاً لمقاصد جامعها من العلماء الاثبات وكل ذلك مع توفير القرائن وتهئية الاسباب وتيسر الجمع والتأليف من قبل الكريم الوهاب وسميته «بالكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة» وقد وقع الاختيار فيه بعد تقديم اسماء المحمدين على ترتيب حروف المعجم الواقعة في اوائل اسماء المترجمين وعلى تقسيمه الى ثلاث طبقات الطبقة الاولى فيمن وقعت وفاته من اول القرن الى ختام سنة ثلاث وثلاثين الطبقة الثانية فيمن وقعت وفاته من اول سنة اربع وثلاثين الى ختام سنة ست وستين الطبقة الثالثة فيمن وقعت وفاته من اول سنة سبع وستين الى نهاية سنة الف اهـ .

وترجم صاحب خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر المؤلف الغزي في ست ورقات ويؤخذ منها انه ولد سنة ٩٧٧ ونشأ على شيء من الطلب وله مؤلفات منها هذا التاريخ ومنها شرحه على الفية التصوف لجدّه وله كتاب في ترجمة والده . وله كتاب التنبيه في التشبيه قال فيه المحبي انه كتب بدع في سبع مجلدات لم يسبق الى تأليفه وهو ان يذكر ما ينبغي للانسان ما يتشبه به من افعال الانبياء والملائكة والحيوانات المحموده وما يتشبه من اجتناب ما يلزم فعله . وقال انه خاتمة حفاظ الشام وكانت وفاته سنة ١٠٦١ عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة اشهر وانتفع به اناس كثيرون وتلقوا العلم عنه .

اليك زبدة ترجمة المؤلف وعصره كما ترى ليس من العصور الراقية في الاسلام
ولذلك تراه علي فضل فيه مأخوذاً بمؤثرات عصره يخلط الجيد بالردى او يشوب الجيد
الكثير بهنات لاتليق بمن كان مثله ولكن هو المحيط يعمل في عقل المرء الا بعمله
كل تعليم وارشاد .

خذ مثلاً لذلك مارواه المؤلف من تراجم لanas تستحي ان تعدهم من العامة لان
العامة ارقى منهم عقلاً وديناً ولعمري اي دخل لكتاب في تراجم اعيان قرن ان
يدس سيفه جملتهم اناس لاخلق لهم خرقوا حدود الشريعة بدعواهم خرق العادات
وعبثوا بعقول العامة فسرت بدعهم الى الخاصة . قل لنا بابيك اي داع للمؤلف ان
يترجم ناساً من البله السفهاء ارباب الجذب مثل ابكر اليمني المجذوب وعبد الله الكردي
المجذوب وشعبان المجذوب ومحمد المجذوب وعمر العقيبي المجذوب وابي بكر بن الجنون
ومروان المجذوب وذو النون الكملاني المجذوب واحمد ابوطايقية وفرج المصري المجذوب
وخميس المجذوب وسويد ابن المجذوب وسويد المجذوب الى غيرهم من المجاذيب والمجانين
الذين هم احرى بان يجعلوا في دور المعتوهين من ان يحشروا في عداد العلماء العالمين
امثال شيخ الاسلام زكريا الانصاري والشيخ حسن البوريني والجلال السيوطي والسيدة
عائشة الباعونية وغيرهم ممن كانوا مزار الامة في ذاك القرن

تالله ان شيخ الاسلام زكريا والسيدة الباعونية لا يرضيان بان يذكر اسمهما مع
اسماء اولئك الذين قضي عليهم باختلال تراكيب ادمغتهم وقضي على الامة بصنع
علمائها ان يقدسهم ويتباركوا بهم فقابلوا ضعف العقول بضعف مثله والخلل بما هو
اشد منه عاراً .

مانظن عاقلاً يرضى بان يعد في الاولياء سويد المجذوب وهو باقرار المؤلف يتناول
الحشيش فيغيث ويهذي ومثله تلك الطبقة من المجاذيب والمجانين وشيخنا المؤلف يقول
للتناظرين في كتابه اعتقدوا كما اعتقد بهؤلاء السفهاء

ومك ذلك فالكتاب ليس من الكتب المتقحة لان المؤلف لم يشغل بل بعلم التاريخ
اشتغاله مثلاً بعلم الحديث ولذلك كان كحاطب ليل في بعض صفحات كتابه . وماذا
تقيد الامة ترجمة محمد بن مبارك القابوني مثلاً الذي ترجمه بانه كان رئيساً في عمل
الموالد ! ندي الصوت حسنه بعيد النفس عارفاً بالموسيقى الا انه كان زلياً بلعن وكان
احد المؤذنين المشهورين بالجامع الاموي ورئيس المؤذنين بالدرويشية والسبائية .

ان نفس القاريء تثلج اذا قرأت ترجمة علي بن ميمون مثلاً وكان بعض اهل عصره يعتقدون فيه الخير والصلاح وهو على جانب من العلم فما ذا يضر مؤلفنا لو كان اقتصر على التعريف بمثله وبغيره من العلماء واطرح من عداهم ممن لاغناء فيهم الانكبير حجم الكتاب وتلويثه بثلث الهئات ربما لا يقع كلامنا هذا الموقع المقبول من قلوب بعض من يحبون ان يحسنوا ظنهم بعباد الله اما المؤرخ والاجتماعي فلا يقنعه من الخلق ان يذكروا كلهم بالمحمدة على قاعدة التساوي فيختلط صالحهم بطالحهم وعاقلمهم بجنونهم بل لا يرضى الا ان يقتدر كل واحد وما يعمل فقد قيل في بعض الآثار اذكروا الفاسق بما فيه وقيمة كل امرئ ما يحسنه .

ان القول بخرق العادة وتعدي نظام الطبيعة ليس هذا محل الجدل فيه وعلماء الاسلام انفسهم على اختلاف بينهم فيه ومنهم من تكلم مجحماً ومنهم من أثر السكوت والسكوت قد يضر في مثل هذه المواطن . اما كرامات الاولياء التي ينسبها بعض احبابهم لهم وهم لا يدعونها على الاغلب على نحو ما نسبوا امورا للجلي والرفاعي وغيرهما من العلماء فانها تدخل في باب خرق العادة وهذه لا ينقل اخبارها الا من يحملون بها في منامهم وبقظتهم فاذا كان البشر نسبوا الى اناس عرفت ترجمتهم على ما يجب اموراً لم يأتوا بها ولا قالوها افهام احرياء ان يلبسوا مع ضعف المدارك على بعض الصالحين كرامات لم تخضر لهم في بال وهاك الآن ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ^(١) في هذا المعنى فهو اصرح ما قرأناه وعساه يقف عنده المعتقدون ولا يفوتهم ان كل من قرأ قوانين الوجود وزكن معنى خرق العادة يستحيل عليه ان يؤمن بما نفاه علماء الاسلام حتى في القرون الوسطى قال ابن تيمية :

ومن اظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد باقى بما يناقض ذلك لم يكن لاحد ان يقول هذا ولي الله فان هذا ان لم يكن مجنوناً بل كان متولياً من غير جنون او كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق اخرى وهو لا يقوم بالفرائض بل يعتقد انه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان كان مجنوناً باطناً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم . وقال نقلاً عن الشيخ ابي سليمان الداراني انه ليقع في قلبي النكسة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين ان الكتاب والسنة وقال ابو القاسم الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له

ابن بكلم في علما او قال لا يقتدى به وقال ابو عثمان النيسابوري من امر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لان الله تعالى يقول في كتابه القديم « وان تطيعوه تهتدوا » .

وقال : تجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله انه قد صدر عنه مكافئة في بعض الامور او بعض التمرقات الخارقة للعادة مثل ان يشير الى شخص فيوت او يطير في البواء الى مكة او غيرها او يمشي على الماء احياناً او يملأ ابريقاً من الهواء او ينفق بعض الاوقات من النيب او ان يخفي احياناً عن اعين الناس او ان بعض الناس استغاث به وهو غائب او ميت فراه قد جاءه ففضى حاجته او يخبر الناس بما سرق لهم او بحال غائب لهم او مريض او نحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور ما يدل على ان صاحبها ولي لله بل قد اتفق اولياء الله على ان الرجل لو طار في الهواء او مشى على الماء لم يعتبر به حتى ينظر متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقة لامره ونهجه وكرامات اولياء الله تعالى اعظم من هذه الامور الخارقة للعادة وان كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين واهل الكتاب والمنافقين وتكون لاهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز ان يظن ان كل من كان له شيء من هذه الامور انه ولي لله بل يعتبر اولياء الله بصفاتهم وانهالم واحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الايمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة مثال ذلك ان هذه المذكورة وامثالها قد توجد في اشخاص ويكون احدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة بل يكون ملابساً للتجاسات معاشراً للكلاب يأوي الى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابيل رائحة خبيثة لا يشطر الطهارة الشرعية ولا ينتظف الخ

وبعد هذا فنقل للقاري نموذجاً من ترجمة المؤلف لرجل جليل في عصره وهو علي بن ميمون دفين مجدل معوش من اعمال شوف لبنان نورده بدون تذييل عليه ليستنتج القاري لنفسه ان تلك الكرامات التي ينسبها المؤلف للمترحم به لم يقل هو بها بل ادعاها له احبابه ومربدوهم ومعظمهم قد يكونون مأخوذون بحجة لا يظنون الى الواقع الا من وجه واحد قال المؤلف مانصه :

علي بن ميمون بن ابي بكر بن علي بن ميمون بن ابي بكر بن يوسف بن اسمعيل بن ابي بكر بن عطاء الله بن ميمون بن سليمان بن يحيى بن نصر يوسف بن عبد الحميد بن

بالتزواذ روق (?) بن وسكرون بن عربه بن هلال بن محمد بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم كذا باقي النسب في ترجمته لابن طولون الشيخ المرشد المري القدوة الحجة ولي الله تعالى العارف به السيد الشريف الحسيب النسيب ابو الحسن ابن ميمون الهاشمي القرشي المغربي المغاري الفاسي اصله كما قال ابن طولون من جبل غارا بالغين المعجمة من معاملة فاس . وقال الشيخ موسى الكناوسي اصله من غمارة وسكن مدينة فاس واشتغل بالعلم ودرس ثم تولى القضاء ثم ترك ذلك ولازم الغزوى على السواحل وكان رأس العسكر ثم ترك ذلك ايضا وصحب مشايخ الصوفية ومنهم الشيخ عرفة القيرواني فارسل الشيخ عرفة الى ابي العباس احمد التوزي الدباسي ويقال الثباسي بالتاء ومن عنده توجه الى المشرق قال الشيخ موسى فدخل بيروت في اول القرن العاشر وكان اجتماع سيدي محمد بن عراق به اولاً هناك ولما دخل بيروت مكث ثلاثة ايام لم يأكل شيئاً فاتفق ان ابن عمران كان هناك واتى بطعام فتناول لبعض جماعته ادع لي ذلك الفقير فقام السيد علي بن ميمون واكل وقال ابن عراق لاصحابه قوموا بنا نزور الامام الازاعي فصحبهم ابن ميمون لزيارته ففي اثناء الطريق لعب ابن عراق على جواده كهادة الفرسان فعاب عليه السيد علي ابن ميمون فقال له اتحسن لعب الخليل اكثر مني قال نعم فنزل ابن عراق عن فرسه فتقدم اليها سيدي علي فحل الخزام وشده كما يعرف وركب ولعب على الجواد فعرفوا مقداره في ذلك ثم انفتح الامر بينهما الى ان اشهر الله تعالى الشيخ علي بن ميمون وصار من امره ماضار .

قال الشيخ موسى كذا اخبرني علي الغرياني المغربي عن شيخه علي الكيزواني عن سيدي محمد بن عراق وقال في الشقائق ان دخل القاهرة وحج منها ثم دخل البلاد الشامية وربى كثيراً من الناس ثم توطن بمدينة بروسا ثم رجع الى البلاد الشامية وتوفي بها قال وكان لا يحالف السنة حتى تقل عنه انه قال : لو اتاني السلطان ابو يزيد بن عثمان لا اعامله الا بالسنة . وكان لا يقوم للزائر ين ولا يقومون واذا جاءه احد من اهل العلم يفرش له جلدة شاة تعظيماً له وكان قوالاً بالحق لا يخاف في الله تعالى لومة لائم وكان له غضب شديد اذا رأى في المريدين متكرراً يضربهم بالعصا قال وكان لا يقبل وظيفه ولا هدايا الامراء والسلاطين وكان مع ذلك يطعم كل يوم عشرين نفساً من المريدين وله احوال كثيرة ومناقب عظيمة انتهى

وكان من طريقته ماحكاه عنه سيدي محمد بن عراق في كتاب السفينة انه لا يرى لبس الخرقه ولا الباسها وذكر الشيخ علوان رضي الله تعالى عنه انه كان لا يرى الخلوة ولا يقول بها وكان اذا بلغه ان احداً سبه او ذمه ونسبه الى جهل او فسق او بدعة يتأول ما يتأول عنه وكان يقال عنه كنانز وكيماوي ومطالي فيقول : نعم انا كنانز وعندي كنز عظيم ولكن لا يطلبونه ولا يسألوني عنه ، وانا كيماوي ولكن لا يطلبون ما عندي من الكيمياء وانا مطالي وعند مطلب نفسي مزهود فيه ويشير الى كنز العلم ومطلب المعرفة وكيمياء الحقيقة وكان كثيراً ما يقول جواب الزفوت السكوت .

ومن وصاياه اجعل تسعة اعشارك صمتاً وعشرك كلاماً . وكان يقول الشيطان لا وحي وفيض فلا تغفروا بما يجري بنفوسكم وعلى السنتكم من الكلام في التوحيد والحقائق حتى تشهدوا من قلوبكم . وكان اذا اتاه متظلم من الحكماء يقول : له اصلح حالك مع الله فمن اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين خلقه وكان ينهي اصحابه عن الدخول بين العوام وبين الحكماء ويقول ما رأيت لهم مثلاً الا الفار والحيات فان كلاهما مفسد في الارض فالحيات مسلطة على الفار والفار مسلطة على الناس وكذلك العوام سلط بعضهم على بعض فسلط الله تعالى الحكماء عليهم وكما انه لا بد ان يسلط على الحية قاتلاً يقتلها او يأتيتها اجلها سلط على الظالم ظالماً آخر وكان شديد الانكار على علماء عصره وكان يسمى القضاة القضاة والمشايخ المسايخ والفقهاء الفقهاء من ققع اللبن اذا فسد . وكان من كلامه لا يرفع الدار الا ما فيها وكان يقول ايضاً لا تشغل بعدة اموال التجار وانت مفلس . وكان يقول اسلك ما سلكتوا تدرك ما ادركوا . وكان يقول لا تخلطوا الحقائق ويستدل بقوله تعالى « ولا تلبسوا الحق بالباطل » وكان يقول عجبت لمن يقع عليه نظر المفلح كيف لا يفلح . قلت وهو منقول عن سيدي احمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه .

وكان يقول يبصر احدكم القذاة في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عينه قلت هو حديث رواه الامام احمد من طريق ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه يبصر احدكم القذى في عين اخيه وينسى الجذع في عينه وكان يقول كنزك تحت جدارك وانت تطلبه من عند جارك

وله كلام غير هذا وله من المؤلفات شرح الاجرومية على طريقة الصوفية وكتاب غربة الاسلام في مصر والشام وما والاها من بلاد الروم والاعجام ورسائل عدة منها

بيان فضل خيار الناس والكشف عن مكر الوسواس ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملة القرآن وكشف الافادة في حق السيادة ومواهب الرحمن وكشف عورات الشيطان وتذكرة السالكين وتذكرة المريد المتب باخلاق اصحاب الحبيب كذا في ترجمته لابن طولون ومنها رسالة لطيفة سماها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق ترجم فيها الشيخ محي الدين بن العربي وذكر في اولها ان سبب تأليفها انه دخل دمشق في سنة اربع وتسعين وثمانمائة فسمع عن بعض اهلها استنقاص الشيخ محي الدين بعد ان زار الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي بها في شعبان من هذه السنة وهو الذي عرفه بابن العربي بمقامه في الصالحية قال وكنت اسمع به في المغرب ولا ادري من حاله سوى انه من اهل العلم والخير فقصدت زيارته فانتهيت الى حمام^(١) يقال له حمام الجورة فسألت من الحامي ان يفتح لي باب مقامه فصعد من بعض الجدران وفتح لي باب مقامه فوجدته ليس فيه اثر العواد وفيه عشب يابس يدل على ان احداً لا يأتيه الى ان قال ثم قدمت عند قدميه الكريمتين كما ينبغي بل اقول قدمت على سوء الادب اذ هو ان افق خارج المقام بالكلية في مقام السائل المقتر لكن اخطأت واسأل الله تعالى بلطفه ان يعوب علي من ذلك قال رأيت في مشهد قبره عند رأسه حجراً مكتوباً فيه قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك » الآية فعند ذلك قوي نور اعتقادي في الشيخ وتزايد نوراً على نور حتى ملأ ظاهري وباطني وكنت قصدت بلاد ابن عثمان رجاء الجواز من هناك الى المغرب فدخلت برصة غرة المحرم سنة خمس وتسعين فلما كان سنة تسع وتسعمائة خطر بنا الى تقييد بعض كلمات في اظهار شيء من محمود صفاته

« ١ » وذكر علي بن ميمون في رسالة له مخطوطة اسمها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق ما يشبه هذه القصة وقال انه قصد صالحية دمشق سنة اربع وتسعمائة ليزور الشيخ الاكبر فلم يجد من يوصله اليه لشدة خوف العامة من ظلم الفسقة الخاصة المنتقدين وانه سأل عن مقامه فذكر له بالنعمة من بعيد وقيل له اسأل على موضع كذا فاذا وصلته فستجد هناك حماماً فهو في جواره قال ثم اتيت حتى انتهيت الى الحمام فسألت الحامي ان يفتح لي الباب لادخل الى المقام واشاهد القبر فتحيل الحامي وصعد من بعض الجدران وفتح لي باب المقام الخ ويستدل من هذه القصة ان قبر الشيخ محي الدين بن العربي كانت تحظر زيارته في القرن العاشر على نحو ما يزار الآن وبيالغ العامة وبعض الخاصة في التلطف بزيارته فاین هذا بما عليه العامة الآن من شد الرحال اليه كل اسبوع فتأمل

ثم ذكر رحمه الله تعالى ترجمة الشيخ ابن العربي رضي الله تعالى عنه ودل هذا الكلام منه على انه كان له اعتقاد زائد في ابن العربي وهو ما عليه اعيان المتأخرين من العلماء المحققين والصوفية المتعمقين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ودل هذا الكلام منه ايضاً انه رضي الله تعالى عنه دخل دمشق قبل القرن العاشر وذكر سيدي محمد بن عراق رضي الله تعالى عنه في كتاب السفينة ان سيدي علي بن ميمون دخل دمشق سنة اربع وتسعمائة وذكر ابن طولون في تاريخه مفاكمة الاخوان ان سيدي علي ابن ميمون اول ما دخل دمشق دخل في اواخر سنة اثنتي عشرة وتسعمائة فهرع الناس اليه للتبرك به ونزل بجارة السكة بالصالحية وصار يعمل بها ميعاداً ويرشد الناس

ومن صعد اليه للاخذ عنه الشيخ عبد النبي شيخ المالكية والشيخ شمس الدين بن رمضان شيخ الحنفية وسلكا علي يديه وخلف انتهى ولاتنافي بين هذا وبين ما تقدم لان ما ذكره ابن طولون هو مبلغ علمه اذ لم يعلم بقدمة ابن ميمون الاولى والثانية حتى ذكر هذا الكلام وايضاً فان سيدي علي بن ميمون لم يشهر في بلاد الغرب بالعلم والمشيخة والارشاد الا بعد رجوعه من الروم الى حماة سنة احدى عشرة ومكث بها مدة طويلة ثم قدم منها الى دمشق في سابع عشرين رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة كما ذكره سيدي محمد ابن عراق في سفينته وتقدم في ترجمة ابن عراق من هذا الكتاب

قال ابن عراق واقام يعني شيخه ابن ميمون في قدمته، هذه ثلاث سنوات وخمسة اشهر واربعة عشر يوماً يري ويرشد ويسلك ويدعو الى الله تعالى كمي (كذا) سيدي الشيخ عبد النبي مفتي المالكية وسيدي محمد بن رمضان مفتي الحنفية وسيدي احمد بن سلطان كذلك وسيدي عبد الرحمن الحموري مفتي الشافعية وسيدي اسماعيل الدناي خطيب جامع الحنابلة وابو عبد الرحمن قيم الجامع وسيدي عيسى القباقي المصري وسيدي احمد بن الشيخ حسن وجاره حسن الصواف وسيدي الشيخ داود العجمي انتهى

قلت وكان ممن اصطحب به شيخ الاسلام الجدر رضي الله تعالى عنه وكان يحضر سيدي علي بن ميمون درسه ومجالسه فكان الجدر رضي الله تعالى عنه يقول لابن ميمون حين يحضر عنده يا سيدي علي امسك لي قلبي امسك لي قلبي

ومن اجتمع به شيخ الاسلام الوالد وكان يومئذ في سن الثمان والتسع لكنني لم اتحقق عنه انه اخذ شيئاً اولم يأخذ عنه وكان شيخنا الشيخ حسن الصافي المقرئ بذكر انه رأى سيدي علي ابن ميمون وحضر مجالسه فعلى هذا يكون بحمد الله قد صحبنا في طريق الله تعالى من صحبه .

ومن كراماته انه حصلت بين رجلين من الفقراء المتجدين عنده منافرة فخرج احدهما على وجهه فسمع الشيخ بذلك فقال لمن كان السبب في ذلك اما ان تأتني به واما ان تذهب عني فلم يلبث يسيراً الا والذي خرج على وجهه قد دخل على الشيخ وهو يبكي وذكر ان الشيخ تشكل له في صورة اسد وكان كلما توجه الى طريق منعه من سلوكها .

ومن كراماته ان المطار حبس بدمشق في سنة ثلاث عشرة وتسعائة فكشب سيدي علي بخطه درجاً الى نائب دمشق سيدي فحضر النائب بالدرج الى الجامع الاموي في يوم الجمعة رابع رمضان فقرأ على مفتي دار العدل السيد كمال الدين بن حمزة وقضاة القضاة الثلاثة الشافعي ابن فرفور والمالكي خير الدين والحنبلي شمس الدين بن مفلح فاذا فيه آيات من القرآن العظيم واحاديث من السنة في التحذير من الظلم ثم انتقل الى الفقهاء والقضاة فحذرهم من اكل مال الاوقاف ثم حث على الاستغفار وذكر ما يتعلق بذلك ومن نقل ذلك من السلف بحيث ان سيدي ذرف دمعته في انشاء قراءة الدرج وقع المطر وجاء الله تعالى بالغيت كذلك ذكر هذه الواقعة ابن طولون وانا لاشك في انها كرامة ظاهرة وانتقد ابن طولون على الدرج المذكور ان صاحب الترجمة تعرض فيه لذكر الشيخ نبي الدين بن قاضي عجبلون ولذكر غيره ولا مهم فيه على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانا اقول لا انتقاد عليه في ذلك اصلاً فانه اراد النتيجة فاعلن ان الفتنة التي وقعت بين الثقوي ابن قاضي عجبلون وابن اخيه السيد كمال الدين وبقية اعيان دمشق بسبب هدم التربة كما تقدم شرحها في ترجمة السيد وغيرها ايضاً اما كانت بسبب توجه سيدي علي بن ميمون بقلبه عليهم وتكدر خاطره وبؤيد ذلك ان هدم التربة المذكورة كان في ثالث رمضان المذكور ثم استفتي الشيخ نبي الدين في هذه الايام في هذه الواقعة وافتي بعدم الهدم ثم هاجت الفتنة بعد ذلك وانتشر شرها وتطايير شرها حتى طلب الشيخ نبي الدين وابن اخيه قاصرون الى السلطان الغوري بمصر وصوروا باموال كثيرة ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم رأيت ابن طولون ترجم سيدي علي بن ميمون في التمتع بالاقران وذكر من مصنفاته بيان فضل خيار الناس والكشف عن منكر الوسواس والرسالة الميمونية في توحيد الجرومية وبيان غربة الاسلام ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملة القرآن وكشف الافادة في حسن السيادة ومواهب الرحمن في كشف عورات الشيطان وغير ذلك وقال قدم دمشق فتلغاه الشيخ عبد النبي وانزله بحارة السكة بالصالحية وهرع الناس للسلام عليه

طالبة العلم والفضلاء والعلماء والتضادة والامراء وصار يسأل كلاً عن اسمه وينباه عن ذكر القلب ان ذكره ثم عن حرفته ويوصيه بتقوى الله تعالى ثم يوجه نفسه الى القبلة ويرفع يديه الى وجهه ويقرأ له الفاتحة ويدعوله ويصرفه وان رأى في ملبسه شيئاً منكراً ذكره .
قال ثم عقد للتسليك مجلساً في منزله فتلذ له خلق من المذاهب الاربعة كالشيخ عبد النبي من المالكية والشمس بن رمضان من الحنفية والشهاب ابن مفلح من الحنابلة والزين المحوري من الشافعية وآخر من تسلك علي يديه منهم القاضي ابو عبد الله محمد ابن عراق وشاع ذكره وبعد صيته وصار كلامه مسموعاً عند الامراء خصوصاً نائب الشام سيباي ولهم فيه اعتقاد زائد

ثم قال ابن طولون اجتمعت به وسلمت عليه ثم ترددت الى مجلسه فما رأت عيني اعظم شأناً منه لكنه كان يستنقص الناس وقال احياناً ما رأيت في هذه المملكة اعلم من ابن حبيب الصفي قال وكان ابن حبيب مشهوراً بنجمة ابن العربي ويتبعجج بها انتهى .

قلت وما ذكره عنه انه كان يستنقص الناس هذا انما كان من سيدي علي بن ميمون علي سبيل التنهيز بل ان يستنقصه وينكر عليه لا على سبيل احتقار الناس واستصغارهم وتأيد نفسه عليهم

ومن كرامات ابن ميمون رضي الله تعالى عنه ما ذكره الشيخ علوان في شرح تائية ابن حبيب ان رجلاً من اعيان دمشق وفضلائها في العلم والتدريس قال باغني اذه تفرس فيه ان لا يكون منه نتيجة وكان ذلك بعد ان تجرد ذلك الرجل وارتكب انواعاً من الرياضة والمجاهدات وحكي سيدي محمد بن سيدي علوان في تحفته قال اخبرني شفاهاً جمع من سكن قرية مجدل معوش التي هي قرية الشيخ وقبره فيها انه كان في جوارهم وفي قريتهم كروم قد بست اغصانها وفسدت عروقها وتعطلت بالكلية فدخل الشيخ المذكور تملك الاراضي عادت الاراضي المجذبة مخضبة وعادت اشجار العنب المذكورة ايضاً الى احسن ما يكون وايئعت ثمارها قال وهي مستمرة من ذلك الى الآن الى هذا الزمان ولم يعرف ذلك الا من بركته .

وذكر ايضاً ان بعض اهل العلم حكى له وقد توجه لزيارة قبر سيدي علي بن ميمون رضي الله تعالى عنه في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة فقال ان من غريب كرامات من انتم متوجهون لزيارته ماشاهته بيمينه ذلك ان رجلاً من الاجناد ارسل كلباً قال اوصقراً على غزال فركضت الغزال حتى جاءت الى الارض التي هو مدفون فيها فدخلها واجتمعت

في ظل الشيخ فقيل للجبدي دعها فانها قد فعلت فعل العائذ بقبر الشيخ فلم يلخفت الى مقالتهم وجاء اليها وهي قائمة فلم تبرح من مكانها حتى امسكها الجبدي بيده وذبحها واكل من لحمها فلما فرغ من اكله اخذه وجع في بطنه واستمر حتى مات من ليلته فلما غسل كان لحمه على المغتسل متقطعاً قطعاً حتى كأنه اكل شيئاً مسيوماً قالت فعلت انا وغيري ان ذلك كله من بركة الشيخ انتهى .

وكان سبب انتقال سيدي علي بن ميمون من دمشق الى مجدل معوش وهي قرية من معاملة بيروت انه دخل عليه وهو بصالحية دمشق قبض واستمر ملازماً له حتى ترك مجلس التأديب واخذ يستفسر عن الاماكن التي في بطون الاودية ورؤوس الجبال حتى ذكر له سيدي محمد بن عراق مجدل المعوش فهاجر اليها في ثاني عشر المحرم سنة سبع عشرة وتسعمائة قال سيدي محمد بن عراق ولم يصحب غيري والولد علي وكان سنه عشر سنين وشخصاً آخر عملاً بالسنة واقت معه خمسة اشهر وتسعة عشر يوماً وتوفي ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بها في ارض موات بشاهق جبل حسبما اوصى به قال ودفن بعده خارج حضرته المشرفة رجلاً وصبيان وامرأتان وايضاً امرأتان وبناتان الرجلان محمد المكشلي وعمر الاندلسي والصبيان عبد الله وكان عمره ثلاث سنين ومومي بن عبد الله التركاني وامرأتان ابراهيم وبناتها عائشة زوجة الذعري والمرأتان الآخرتان مريم القدسية وفاطمة الجوية وسألته عند وفاته عن امور منها اين اجعل دار هجري فقال : مكان يسلم فيه دينك وديالك ثم تلا قوله تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة » الآية وقال ابن طولون في حوادث سنة سبع عشرة وتسعمائة من تاريخه ويوم الجمعة تاسع عشر ، يعني جمادى الآخرة بعد صلاحاتها بالجامع الاموي نودي بالسدة بالصلاة غائبة على الشيخ العالم السيد علاء الدين علي بن ميمون المغربي . قال وقد صح انه توفي ليلة الخميس حادي عشره بتل بالقرب من مجدل معوش وبه دفن انتهى . ولم يختلف قول سيدي محمد بن عراق في السفينة وقول ابن طولون والشيخ موسى الكناوي ان سيدي علي بن ميمون توفي في ليلة الحادي عشر من جمادى الآخرة غير ان في كلام ابن طولون انه كان يوم الخميس ونقدم انه كان يوم الاثنين وقول ابن طولون اصح لانه ارخ هو والحضي وغيرهما مستهل جمادى المذكورة انه كان يوم الاثنين فيكون حادي عشره يوم الخميس بلا شك رحمه الله تعالى اهـ

ميزان المقادير في تبيان التقادير

نقمة ماورد في الجزء الماضي

والقسم الثالث الذي يهتد به فيه المساحة الجسمية الذكر المساحي من الماء فهو كما انه مقدر بالوزن كما مر مقدر بالمساحة ايضاً واقوال فقهائنا رضوان الله عليهم فيه اربعة . الاول سبعة وعشرون شبراً مكعباً حاصل ضرب ثلاثة عرضاً في ثلاثة طولاً في ثلاثة عمقاً واليه ذهب الصدوقان وباقي القميين وهو ظاهر بن طائوس وصریح العلامة في المختلف واليه مال بعض المتأخرين ايضاً كالشيخ علي رحمه الله في حاشية المختلف والثاني اثنان واربعون شبراً وسبعة اثمان شبر حاصل ضرب ثلاثة ونصف عرضاً في ثلاثة ونصف طولاً في ثلاثة ونصف عمقاً واليه ذهب الاكثر وهو المشهور والثالث نحو مائة شبر واليه ذهب ابن الجنييد والمراد في هذه الثلاثة بلوغه المقادير المذكورة اذا ضرب بعض الابعاد في بعض ومثلوا بالمكعب لتسهيل الفهم والرابع مبالغ مجموع ابعاده عشراً ونصفاً . وليس المراد الضرب واليه ذهب القطب الراوندي ^(١) وعلى هذا القول ليس له قدر معين لاجب المساحة ولا بحسب الوزن ويكون له افراد مختلفة غير متناهية بعضها منطبقة على بعض المذاهب الباقية وزنا او مساحة ونسبوا الى القولين الاخيرين في تقدير الكر الشذوذ ولزم على ^(٢) الاخير ان يكون كف من الماء بل اقل اذا انبسط فيما

(١) قال الشيخ بهاء الملة والدين في الحبل المتين وانت خبير بان صدور مثل هذا التحديد العظيم الاختلاف الشديد التفاوت عن القطب الراوندي رحمه الله لا يخلو عن غرابة والذي يظهر ان مراده طاب ثراه ان الكر هو الذي لو تساوت ابعاده الثلاثة لكان مجموعها عشرة اشبار ونصفاً وحينئذ ينطبق كلامه على المذهب المشهور والله اعلم بحقائق الامور (منه)

(٢) قوله ولزم على الاخير ان يكون الخ لا يخفى انه لا ينتهي الكر في القلة على هذا القبول حدا لا يكون اقل منه كما يظهر بالتأمل فتأمل فيما نقل الشيخ بهاء الملة والدين في الحبل المتين عن الشهيد الثاني ان ابعاد العروض عنها ما لو كان كل من عرضه وعمقه شبراً وطوله عشرة اشبار ونصفاً واعترض عليه بوجود ما هو ابعد منه كما لو كان طوله

يلغ طوله وعرضه عشرة اشبار ونصف زائداً على الكر . وحوض مربع كل من ابعاده ثلاثة اشبار ناقصا عنه وهذا بعيد جدا هذا ما اردنا ايراده من التفصيلات والان نسوق الكلام في التتميات وبالله التوفيق

(نتميم) اعلم ان الشيخ في آخر القانون ذكر بعض الاكيال والاوزان المعروفة في اليونانية نافلا بعضها من كفاش ساهر وبعضها من كباتس ابن سراييون وقد نقلنا عنه في هذه الرسالة نافلا يحتاج اليه في الجملة حسبا اقتضاء التعريف وطرحنا اكثرها لوجوه الاول انها كانت على اللغة اليونانية الغير المعروفة في هذه الازمان ولا فائدة في تطويل الرسالة بذكرها الا لفهم بعض ما في الكتب الطيبة مما نقل بعينه عن اليونانية وكذا بالفصل الذي ذكره في آخر القانون لتلك الفائدة معه لا يكون لذكرها في تلك الرسالة كثير فائدة والثاني ان نسخ القانون كانت مختلفة في اكثرها وفي تحقيق اللغات اليونانية وتصحيحها على وجه يطمئن الخاطر عسر تام وفي نقلها بصورتها من غير تصحيحها مسخ غير مفيد . الثالث ان بعضها مما ذكره تأصيلا متناقضة وفرع كثيراً منها على ذلك البعض فصارت اكثرها مضطربة غير محصلة وكان الشيخ نقلها من اصولها من غير تأمل وحساب فعرض كلها عن الفائدة لعدم الاعتماد

ومن جملة التواهد على ما ذكرنا انه قال في موضع القسط الانطاليقي رطل ونصف والرطل اثنا عشرة اوقية انتهى وفي موضع آخر بعده بسطر وان يكون اربعين استاراً والرطل عشرين استاراً . والاستار ستة دراهم ودانق ان اوارية مثاقيل انتهى ففسر الرطل اولاً باثني عشرة اوقية والاوقية في موضعها بسبعة مثاقيل فبلغ الرطل اربعة وثمانين مثقالاً^(١) . وفسره ثانياً بعشرين استاراً والاستار اربعة دراهم ودانقين فبلغ ثمانية

تسعة اشبار وعرضه شبراً واحداً وعمقه نصف شبر فان مساحته اربعة اشبار ونصف ثم ناقش معه رحمه الله بان الابعاد الثلاثة في العرض الذي ذكره انما هي اثنا عشر شبراً لاعشرة ونصف هذا (منه)

(١) وفي بعض نسخ القانون موقع او اربعة واربعة بالمواد وفي بعضها وهو اربعة وعلى هاتين النسختين يصير اقوى اضطراباً كما لا يخفى ولذلك نقلنا عنه في بيان قدر الاستار موافقاً عنه ههنا وطرحنا النسختين الاخيرتين ثم ما اخترنا نقله في بيان قدر الرطل من الاحتمالات الثلاثة مع اضطراب كلامه فيه عن المعاضدة بصورته بقول صاحب القاموس وغيره وكذا ما نقلنا عنه في بيان قدر الاوقية وان كان المعتمد خلافاً كما مر (منه)

وثمانين مثقالاً وكسرا واما باربعة مثاقيل فيبلغ ثمانين مثقالاً فيضطرب قدر الرطل في كلامه بين كونه اربعة وثمانين مثقالاً وكونه ثمانين او ثمانية وثمانين مثقالاً وكسرا ومع ذلك لا ينطبق شيء من هذه الثلاثة على شيء من تفاسيره المشهورة على ما ذكرنا في موضعه

تعميم قد عرفت مما تقدم ان الدائق حقيقة هو سدس الدرهم الشرعي الذي هو عبارة عن شعيرتين فاعرف الآن ان الدائق والطسوج يطلقان مجازاً على سدس كل شيء ورابع سدسه مما اعتبر فيه الوزن ام لا كما هو المتعارف الشائع في زماننا فعلى هذا لما كان المثلث الممبر عنه بالدينار بالاتفاق عبارة عن ثمانين وستين شعيرة واربعة اسباع شعيرة فيجب ان يكون دائقه هو سدسه الذي عبارة عن احدى عشرة شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة وطسوجه هو ربع هذا السدس الذي هو عبارة عن شعيرتين وستة اسباع شعيرة فتبين خطأ من قال ان دائق المثلث اثنا عشرة حبة وطسوجه ثلاث حبات اذ يلزم ان يكون المثلث اثنتين وسبعين شعيرة وقد عرفت انه ثمانين وستون شعيرة واربع اسباعها اللهم الا ان يكون في المثلث اصطلاح آخر لم ينقل اليهنا وكذلك تبين خطأ صاحب التسمية في الحساب حيث توهم ان طسوج الدينار اربع شعيرات وقال يجب ان يعلم ان الدوائيق مخرجها من الدينار ستة والطساسيج مخرجها من الدوائيق اربعة والشعيرات مخرجها من الطسوج اربعة ثم بسط الكلام في المثال وتحرير الكسر من مخرج الى مخرج على هذا الحساب وهذا فاحش جداً اذ يلزم حينئذ ان يكون الدينار ستار وتسعين شعيرة ضعف الدرهم الشرعي وحكاية كون الدينار درهماً وثلاثة اسباع درهم وكون عشرة دراهم سبعة دنائير اشهر واشيع من ان يحتاج الى نقل الاسناد وتفصيل عبارات الاقوام وقد مر بعضها وكأن هذا الغلط صار مغالطة لبعض الحسابين ايضاً كصاحب قسطاس المستقيم حيث وافقه في ذلك واقتفى اثره بعض الناظرين ايضاً حيث نظم في بيان اجزاء الدينار شعراً

هست شش دانك قدر ديناري ليك هردانك اذ طسوج جهار

هر طسوجي جهار جوهرجو شش خردل بود بوقت شمار

مع ان هذا الناظم قد نظم ماهو الحق ايضاً في بيان وزن الاستار واجزاء فقال

چار مثقال ونيم اسنادي هفت مثقال وده درم اي يار

درهمي وده سبع يك مثقال حامش اكنون كه شد سخن بسيار

ولا يتوهم ان مناط ذلك الاختلاف ربما يكون قدر الدرهم ولعل فيه خلافا تفرع
عليه ما وقعوا فيه اذ لا مجال لذلك التوهم لمن تتبع الآثار والاخبار وشيوع كونه ثنائي
واربعين شعيرة قد جاوز حد التواتر حتى نظم ذلك الناظم ايضاً ونقله صاحب القسطاس
شش دانك بود قدر درم يادت باد دانك يست دو قيراط چنين كفت استار
قيراط و طسوج چه چون دانستي هربك ونها بعد بود يادت ياد
وقد اخطأ ايضاً صاحب البائية في الحساب هنا من جهة اخرى وزعم ان الدينار
ستون حبة حيث قال في تعليل حفظ نسبة الستين لكون الدينار ستين حبة وكون
الدرجة ستين دقيقة وكون الكرسنين قفيزاً وكون الدرهم ستين عشيراً انتهى ثم كان
مراده باعشير عشر الدانق من حيث اطلاقه على عشر كل شيء كما مر والام لم ينقل
تفسير العشير بخصوص ذلك وظني ان منشأ هذه الاغلاط قلة تتبع الآثار والكسل
في تصفح الاخبار والاخذ بكلام مجهول والاعتماد على خبر غير منقول

«تقيم» قد ذكرنا ان الدرهم المذمورة المنقولة هي الدراهم الثلاثة البغلي والشرعي
والطبري وذكرنا ان مورد الاحكام الشرعية منها هو الشرعي الذي وزنه ستة دوانيق
وهو المدار عليه في باب زكاة الفضة وغيره المضبوط بالقراريط والطساسيج فكل ما
وقعت من الدراهم المختلفة المغايرة له وزناً بحسب الازمنة يقاس عليه بالحساب فاؤل
نصاب زكاة الفضة مثلاً مائتان من تلك الدراهم التي واحدها ستة دوانيق وزكاتها
خمس منها قدر ربع عشرها الذي عبارة عن ثلاثين دانقاً فاذا فرض وزن الدرهم في
زمان خمسة دوانيق مثلاً فاؤل مراتب الزكاة يصير بهذا الحساب ستة منها اذ لا يبلغ
ثلاثين دانقاً الا ستة منها واذا فرض في زمان اربعة دوانيق وصعبا دانق مثلاً يصير
اول مراتب الزكاة حينئذ سبعة منها وهو ظاهر مما قلنا وعلى هذا القياس وكأنه قد
كانت الدراهم في بعض الازمنة السابقة على هذين القدرين اللذين ذكرناهما تمثيلاً
يستفاد مما روى الشيخ الجليل رحمه الله في الكافي في باب العلة في وضع الزكاة على
ما وضع عن حبيب الخثعمي قال كتب ابو جعفر المنصور الى محمد ابن خالد وكان عامله
على المدينة ان يسأل اهل المدينة عن الخمسة في الزكاة من المائتين كيف صارت وزن
سبعة ولم يكن هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وامره ان يسأل فيمن يسأل
عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد عليهما السلام قال فسأل اهل المدينة فقالوا ادر كنا
من كان قبلنا على هذا فبعث الى ابي عبد الله بن الحسن فقال كما قال المستفتون من

اهل المدينة قال : فقال ما نقول يا ابا عبد الله فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل في كل اربعين اوقية اوقية فاذا حسبت ذلك كان على وزن سبعة وقد كان وزن ستة كانت الدراهم خمسة دوانيق قال حبيب : فحسبناه فوجدناه كما قال فاقبل عليه عبد الله بن الحسن فقال : من اين اخذت هذا قال : قرأت في كتاب امك فاطمة عليها السلام قال : ثم انصرفت فبعث اليه محمد بن خالد ابعث اليّ بكتاب فاطمة عليها السلام فارسل اليه ابو عبد الله عليه السلام اني انما اخبرتك اني قرأته ولم اخبرك انه عندي قال حبيب فجعل محمد بن خالد يقول لي ارأيت مثل ذلك قط الحدبث

توضيحه ان السائل توهم ان المعتبر في الزكوة هو العدد لا الوزن لما رأى من كثرة اطلاق الدرهم على المسكوك من الفضة من حيث العدد كما مرّ وهذا توهم شائع نقله العلامة في منتهى المطلب واستدل على خلافه بقوله وحكى عن بعض اهل الظاهر اعتبار العدد وهو خطأ للاجماع ولما روى ابو سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيما دون خمس اواق من الوزن صدقة انتهت فبعثه هذا التوهم الى ان يفتش عن كيفية شيوع سبعة دراهم في زمانه لاول مراتب الزكوة مع انه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان خمسة دراهم غافلاً لا عن ان المعتبر في الزكوة هو الوزن لا العدد وان دراهم زمانه مختلفة وزناً بالنسبة الى دراهم رسول الله صلى الله عليه وآله فاجابه ابو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام بان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل في كل اربعين اوقية اوقية يعني ان المعتبر في الزكوة ربع العشر بحسب الوزن لا بحسب العدد وذكر الاوقية تنصيماً على ذلك اذ هي صريحة في الوزن لا يجري فيها توهم العدد فقال عليه السلام فاذا حسبت ذلك كان على وزن سبعة اي اذا اعتبرت ربع الشعر من حيث الوزن فيصير اول مراتب الزكوة وزن سبعة من دراهم هذا الزمان التي وزنها اربعة دوانيق وسبعاً دانق ثم اوضح عليه السلام ذلك بنظير له من الدراهم التي كانت قبل زمانه فقال : وقد كانت وزن ستة دراهم خمسة دوانيق يعني وعلى هذا الحساب يصير اول مراتب الزكوة وزن ستة دراهم منذ كانت الدراهم خمسة دوانيق بحسب الوزن فلا اعتبار بالعدد والمعتبر هو الوزن فعدد الدراهم على اي وزن كان يحسب ويقاس على ما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله اصلاً في ذلك اي الدراهم التي كان وزنها ستة دوانيق فافهم

«تتم» من الاوزان الشائعة في زماننا المرجعة للباقية هو المثقال الصغير في الذي عليه

مدار المسكوكتين المحمدية والعباسية الرائجتين في هذه الايام ينسب اليه المحمدية بخمسة دوانيق والعباسية التي ضعفها بمثله وثلاثي مثله وعليه ايضاً مدار المنين التبريزي والشاهي المشهورين بين الانام يكون التبريزي في زماننا ستمائة منه والشاهي الذي ضعفه الفا ومائتين وهذا المثلث مع انه في هذا الزمان مرجع المقادير المذكورة ومقياس الاوزان المشهورة لم يضبط بالشعيرة وامثالها ضبطاً مشاراً اليه ولم يحفظ حفظاً مداراً عليه فبعضهم كالعلامة رحمه الله كأنه ضبط بمائة وثلاث شعيرة والفين وثمانمائة وخمسة وثمانين جزءاً من خمسة وخمسة آلاف اجزاء شعيرة يستفاد من ضبطه الصاع صريحاً بخمسمائة وستة وثلاثين مثقالاً وربع مثقال بالصيرفي فالرطل العراقي الذي يكون عنده وعند الجمهور من الخاصة تسعاً من الصاع مضبوطاً حينئذ بتسعة وخمسين مثقالاً ونصف مثقال وثلاث وربع مثقال

ومعلوم مما مر ان الرطل العراقي عنده عبارة عن تسعين مثقالاً شرعياً ينتهي الى ستة آلاف ومائة واحد وسبعين شعيرة وثلاث سبع شعيرة فوجب ان تكون المائيل الصيرفية المذكورة التي بها ضبط الرطل عبارة عن تلك التعبيرات بالنسبة لمثقال واحد صيرفي يلزم ان يكون عنده مائة وثلاث شعيرة والفين وثمانمائة وخمسة وثمانين جزءاً من خمسة وخمسة آلاف اجزاء شعيرة كما قررنا وبعضهم كالشيخ علي رحمه الله كأنه ضبط بمائة واربع شعيرات وخمسمائة وخمسة وسبعين جزءاً من سبعمائة وسبعين جزءاً من شعيرة يستفاد من ضبطه الصاع والرطل صريحاً بمثل ما ضبط به العلامة مع تصريحه بان الرطل عبارة عن احد وتسعين مثقالاً شرعياً موافقاً لجمهور فيانتهى الى ستة آلاف ومائتين واربعين شعيرة زائدة على عدد شعيرات رطل العلامة بثمانية وستين شعيرة واربعة اسباعها قدر مثقال واحد شرعي هو تفاوت ما بين الرطلين في حينئذ وجب ان تكون المائيل الصيرفية التي بها ضبط الرطل عبارة عن هذه الشعيرات الزائدة على شعيرات رطل العلامة بما ذكرنا بالنسبة لمثقال واحد صيرفي يلزم ان يكون عنده عبارة عن مائة واربع شعيرات وخمسمائة وخمسة وسبعين جزءاً من سبعمائة وسبعين جزءاً من شعيرة كما قلنا ثم لا يخفى ان الشيخ رحمه الله ان لم يقتف في ذلك اثر العلامة وضبط ما صح عنده فاتفق بما صورة في قدر الصاع والرطل بالنسبة الى المثلث الصيرفي مع ذلك الاختلاف معني من غرائب الانفاقات واغرب من ذلك ان اقتفى اثره واعتمد على تصحيحه وظن نفسه متبعاً موافقاً له في ذلك وغفل عن تلك الدقيقة الموجبة للاختلاف وعدم الموافقة وبعضهم

من فضلاء العصر ضبطه صريحاً بدت وتسعين شعيرة و بعضهم ضبطه بخلاف هذه المذكورات مما يوجب نقله التطويل

وبالجملة لما رأيت هذه الاختلافات حاولت ان اضبطه بنظر دقيق وقصدت ان احفظه بتأمل حقيق فتحقق عندي بصحيحات قوية وتفثشات مستقيمة ان المثلث الصيرفي المتعارف في زماننا عبارة عن اربع وثمانين شعيرة قدر درهم وثلاثة ارباع درهم بالشري ولا تظنني مخطئاً اياهم وموصوفاً رأيي ان بعض الظن اثم حاشا ان اكون اهلاً لذلك ولكن اثبت ما ثبت لدى همة فكري القاصر واديت ماوجب على ذمة ذهني القاصر هذا مع انه يجوز ان يكون في زمن العلامة والشيخ علي رحمهما الله قدر المثلث الصيرفي زائداً على قدره في زماننا بمقدار التفاوت الواقع في الضبطين وكذا الكلام في التفاوت القليل الواقع بينهما رحمهما الله بحسب زمانيهما وامثال ذلك قد يكون متفاوتة في الزمنة والاعصار ويؤيد ما قلت التفاوت الواقع في المن التبريزي في الزمانين حيث ضبط الشيخ علي رحمه الله المن التبريزي بخمسمائة مثقال صيرفي واليوم ولاشك ستمائة منه ويمكن ان يكون هذا التفاوت الواقع في المن بعينه مناطاً للتفاوت في المثلث بحسب الزمانين اذ خمسمائة من المثلث الذي ضبطه الشيخ قريب جداً من ستمائة من مثقال زماننا حسب ضبطناه وما يبقى من التفاوت قليل يمكن استناده الى الميزان او الشعير او التسامح او امثالها

«تتميم» اعلم ان انواع الاجسام كما كانت المتساوية فيها وزناً قد تختلفت حيزاً فطرط من الماء مثلاً لايملاً نصف مكان رطل من الشعير كذلك المتساوية منها بحسب الحيز قد تكون مختلفة بحسب الوزن فوزن صاع من الشعير مثلاً لا يبلغ نصف وزن صاع من الماء وعلى هذا القياس سائر الاجسام حسبما اقتضت صورته النوعية من التخلخل والكثافة والخفة والثقل وتحقيقه كما نقرر في موضعه ان نسبة وزن الخفيف الى وزن الثقيل يكون كنسبة مكان الثقيل الى مكان الخفيف بل قد يكون نوع واحد من الاجسام يختلف اشخاصه في ذلك بحسب الامكنة والعوارض المختلفة كما لا يخفى فتقدير كل معين بوزن معين لا يتصور الا بنوع من التخمين وضرب من التسامح فما قال العلامة رحمه الله في التحرير الوسيط ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وآله اربعة امداد والمد رطلان وربع بالمراقي الى قوله وهذا التقدير تحقيق لا تقرب انتهى محل تأمل اذ تقدير المد عبارة عن كيل مخصوص بالرطل الذي هو وزن مخصوص لا يمكن بدون تقرب الا ان

يحمل على أنه لما كانت هذه التقادير مستندة الى الشارع فتكون بمنزلة التحقيق والا فمعلوم ان المد من الماء المعتبر في الوضوء لا يوافق المد من اجناس اخر كالخنة والشعير وامثالها المعتبر في الكفارات بحسب الوزن حتى بقدر ما بشي واحد تحقيقاً فكأنه اراد الشارع توسعة وجعل ذلك الكيل المخصوص والوزن المخصوص في تلك الاحكام بمنزلة الواجبات التخيرية بايهما اخذ المكلف بريء ذمته وان اختلفا فاحشا واليه ناظر ظاهر قول بعض الفقهاء^(١) في قدر زكوة الفطر هي بالكيل صاع وبالوزن الف ومائة وسبعون درهماً انتهى . فاشكاله بعد ذلك في صورة بلوغه كيلا لا وزنا او بالعكس للحنة او الثقل كأنه مبني على الاحتياط هذا مع ان الروايات في التقدير مختلفة لانأى الجمع بينها بحمل كل منها على جنس مناسب لكن لم ينقل من الفقهاء هذه الطريقة بل جمعوها من جهات أخر او طرحوا بعضها للضعف السند وغيره على حسب اقتضاء قواعد الاصول حتى انتهى الى الاختلافات بينهم متفرعاً الى اختلافات اصولهم فاتخذ كل مذهب كما نقانا عنهم في التفصيلات

«نتميم» المقادير الموزونة والمكيلة التي قدمناها مفصلة على قسمين قسم معتبر بخصوصه في الشرع مذكور في الاحاديث دائر على السنة الفقهاء وقسم ليس كذلك بل متداول بين الحسابين^(٢) وعامة الناس والقسم الاول ايضاً على قسمين قسم معتبر عددهم على سبيل الاصلة وكونه متعلقاً للاحكام^(٣) وقسم^(٤) ليس كذلك بل مذكور على سبيل التبعية وكونه مقياساً لشيء آخر ومحدد له فبالحقيقة ينتهي الى ثلاثة اقسام . ولما كان القسم الاول منها اي المعتبر في التسرع اصالة مما اشتدت حاجة المكلفين اليه من حيث ابتناء فتاوى فقهاءنا رضوان الله عليهم حاولنا تسهيلاً عليهم تقويم ضابطة لبيان تلك المقادير خاصة متضمنة لكيفية نسبتها واحداً واحداً من الاوزان المعروفة في زماننا اعني المن التبريزي والمثقال الصيرفي والتهميرة واجزاءها على ما وصفناها قبل فوضعنا جدولاً واثبتنا فيه المقادير المعتبرة المذكورة وبيننا ان كلا منها كم يكون من المن ثم ناقص عنه من المثقال ثم ما كسر عنه من الشعيرة وعلى هذا القياس . وعلمنا ما كان مجاوزاً عن بعض بعلامة البياض . وما كان مطفراً وغير بالغ الى البعض بعلامة الصفر ايضاً

للمقصود

(١) هو الشيخ بهاء الملة والدين في رسالته الزكوبة للثاني عشرية (٢) كالواقي والاسنار وامثالها (٣) كالدرهم والدينار وامثالها (٤) كالرطل والواقية وامثالها (منه)

وهذا هو الجدول

البناء	الذرة	القطيع	التعشير	القبيل	القليل	الخرول	الزهرية	المتقال الصيرفي	المن التبريزي		
							٤٨	٠	٠	الدرهم المعبر في زكوة الفضة وغيرها بالاتفاق	
٥	١	١	٥	٠	٥	٣	٦٨	٠	٠	الدينار المعبر في زكوة الذهب وغيرها بالاتفاق	
							٢٤٥١٤	٢٢٢		٢٢٢	على مذهب ابن بابويه
							٧٢٣٤٢	١٤٨		١٤٨	على مذهب الشيخين
							٥٣٥٦٢	١٤٦		١٤٦	على مذهب العلامة
							٧٢	٩٢	٠	٩٢	على احد احتمالي مذهب البرزنطي
٦	٦	٤	٢	٣	٨	١	٧	٩١	٠	٩١	على احد احتمالي مذهب
١	٥	٣	٣	٢	٣	٤	٢٥	١٦٥	٠	١٦٥	على مذهب العلامة
							١٢	١٦٧	٠	١٦٧	على مذهب الجمهور
							٣٦	٣٧١	٠	٣٧١	على احد احتمالي مذهب البرزنطي
٣	٣	٢	٤	١	١٠	٠	٢٩	٣٤٤	٠	٣٤٤	على احد احتمالي مذهب
٤	٨	٥	١	٤	١	٥	١٨	٦١	١	٦١	على مذهب العلامة
							٤٨	٦٨	١	٦٨	على مذهب الجمهور
							٦٠	٨٥	٣٧	٨٥	على احد احتمالي مذهب البرزنطي

الوسن	المن	التقال	الزحل	الفلس	القنل	التعبیر	القطمیر	القره	الربا
عَلَىٰ احدا احتمالي مذهبه	۳۶	۲۴۰	۶۶	۳	۵	۰	۵	۱	۵
عَلَىٰ مذهب العلامة	۶۶	۷۲	۳۹	۲	۶	۵	۶	۱۰	۲
عَلَىٰ مذهب الجمهور	۶۶	۱۵۴	۲۴						

الوسن المتعبر في تصارب زكوة الفلأل

« تميم » بظهر مما مر من التفصيلات ان الاختلافات الواقعة بين فقهاءنا رضوان الله عليهم في قدر المد والصاع والوسق كلها مبنية عَلَى خلافين احدهما في قدر الرطل العراقي هل هو تسعون مثقالا او احد وتسعون مثقالا وهذا الخلاف قائم بين العلامة والجمهور وثانيهما في قدر المد هل رطل وربع او رطلان وربع بالعراقي وهذا الخلاف قائم بين ابي نصر البزنطي وغيره من الفقهاء وهم يستندون الى قوله الغضنفي والشذوذ قال العلامة في التحرير وقول ابن ابي نصر المد رطل وربع تعويل عَلَى رواية ضعيفة انتهى وقال الشهيد في البيان وشذ قول البزنطي ان المد رطل وربع فكون المد رطلين وربعاً بالعراقي هو رطل ونصف بالمدني مجمل مع قطع النظر عن الاختلاف الواقع كالمجمع عليه بين فقهاءنا والروايات متضاربة عَلَى هذا المعنى دالة اكثرها ايضا على ما ذهب اليه الجمهور في قدر الرطل روى الصدوق رحمه الله فيما لا يخفى عنه الفقيه في باب الزكوة عن السكوني وليس كَالْحِطْلَةِ والتعبير شيء حتى يبلغ خمسة اوساق والصادق اربعة امداد والمد وزن مائتين واثنين وتسعين درهما ونصف وروى الشيخ رحمه الله في الاستبصار في باب ماهية زكوة الفطر عن ابراهيم ابن محمد الهمداني اختلفت الروايات في الفطرة فكتمت الى ابي الحسن صاحب العسكر عليه السلام اسأله عن ذاك فكتب ان الفطرة صاع من قوت بلدك الخ وفي آخر الحديث ترفعه وزنا ستة ارجل برطل المدينة والرطل مائة

وخمسة وتسعون درهماً ويكون الف ومائة وسبعين درهماً الحديث وفي باب مقدار الصاع فيه عن جعفر بن إبراهيم بن محمد الهمداني قال كتبت الى ابي الحسن عليه السلام علي يدي ابي جعلت فداك ان اصحابنا اختلفوا في الصاع بعضهم يقول الفطرة بصاع المدني وبعضهم يقول بصاع العراقي فقال كتبت الى الصاع ستة ارطال بالمدني وتسعة ارطال بالعراقي قال واخبرني انه يكون بالوزن الف ومائة وسبعون^(١) وزنة وعن علي بن بلال في هذا الباب قال كتبت الى الرجل اسأله عن الفطرة وكم يدفع قال فككت ستة ارطال من تمر بالمدني وذلك تسعة ارطال بالبغدادية وفي باب مقدار الماء الذي يجزى في غسل الجنابة والوضوء عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ بمد ويغتسل بصاع والمد رطل ونصف والصاع ستة ارطال واما ما روي في هذا الباب من روايتين ظاهرهما خلاف مظهر من هذه الروايات فقد ذكر الشيخ رحمه الله هنالك وجه التوفيق فيهما فالاولى عن سليمان بن حفص المروزي قال قال ابو الحسن عليه السلام الغسل بصاع من ماء وصاع النبي صلى الله عليه وآله خمسة امداد والمد مائتان وثمانون درهماً والدرهم ستة دوانيق والدانق وزن ست حبات والحبة وزن حبة شعير من اوساط الحب لا من صغاره ولا من كبارها والثانية عن سماعة قال : سأله عن الذي يجزى من الماء للغسل فقال اغتسل رسول الله صلى الله عليه وآله بصاع وتوضأ بمد وكان الصاع علي عده خمسة امداد وكان المد قدر رطل وثلاث اواق الحديث فقال الشيخ رحمه الله في وجه التوفيق قوله في هذا الخبر الصاع خمسة امداد وتفسير المد برطل وثلاث اواق مطابق للخبر الذي رواه زرارة لانه فسر برطل ونصف فالصاع يكون ستة ارطال وذلك مطابق لهذا القدر فاما تفسير سليمان المروزي المد بمائتين وثمانين درهماً فمطابق للخبرين لانه يكون مقداره ستة ارطال بالمدني ويكون قوله خمسة امداد وهما من الراوي لان المشهور من هذه الرواية اربعة امداد ويجوز ان يكون ذلك اخباراً عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله اذا شارك في الاغتسال بعض ازواجه يدل علي ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن احدهما قال سأله عن وقت غسل الجنابة كم يجزى من الماء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغتسل بخمسة امداد بينه وبين صاحبتة وبغسلان جميعاً من اثناء واحد انتهى فتوضيح توفيق الرواية الاولى علي ما ذكره رحمه الله انه حمل في هذه الرواية الصاع خمسة امداد علي وم الراوي لان المشهور منها اربعة بدل خمسة فاذا كان الخمسة

وهما والصواب اربعة امداد حال كون المد مائتين وثمانين درهما فيوافق الصاع اربعة امثاله مع ستة ارطال فلا يبقى منافاة اوعلى ان يكون خمسة امداد اخبارا عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله وقت مشاركته بعض ازواجه في قدر ماء الاغتسال فيستقيم ايضا ولا منافاة بين هذه الصورة وبين ان يكون اربعة امداد سيفي صورة الانفراد وفيه تأمل لان كون المد مائتين وثمانين درهما خلاف الظاهر والمشهور واتفاق الجمهور ويلزم حينئذ ان يكون الصاع الفا ومائتين وعشرين درهما وهو خلاف ماظهر من الروايات المقبولة عنده الدالة على انه الف ومائة وسبعون درهما ومع هذا لا قائل به فكيف التوفيق وايضا حمل خمسة امداد على صورة المشاركة بعيد في هذا الحديث جدا اذا لم يقع فيه الاخبار عن ماء الغسل حتى يمكن الحمل على تلك الصورة بل وقع الاخبار عن قدر الصاع ثم ان في هذه الرواية ان الدائق وزن ست حبات والحبة وزن حبة شعير وهذا ايضا بحسب الظاهر خلاف مااتفق عليه من ان الدائق من الدرهم عبارة عن وزن ثمانين شعيرات وان المراد بالحبة والشعير واحد ويلزم على هذا ان يبلغ دائق الدرهم اثنتي عشرة شعيرة فالدرهم يصير اثننتين وسبعين منها الاثمانية واربعين كما هو المتفق عليه وان حملنا قول الشيخ في التوفيق على ان المد وزن مائتين وثمانين من هذه الدراهم التي واحدها عبارة عن اثنتين وسبعين شعيرة بوساطة تلك الاصطلاحات وان كان بعضها غير مشهور فلا يستقيم ايضا اذ يوجب ان يكون الصاع حينئذ ثمانين الفا وستمائة واربعين شعيرة يبلغ الفا وستمائة وثمانين درهما من الدراهم المشهورة ولا قائل به فظهر ان هذه الرواية مشككة جداً لا تستقيم الا بتكلف بعيد والعلم عند الله واهله واما توضيح توفيق الرواية الثانية على ما ذكره رحمه الله انه ابقى خمسة امداد في هذه الرواية على حاله لتجبر هذه الزيادة في عدد المد نقصان تفسيره برطل وثلاث اواق فقصد ان المد الذي صاع النبي صلى الله عليه وآله خمسة مئة غير المد الذي كان منه اربعة لان هذا المد كما فسر عبارة عن رطل وثلاث اواق وخمسة منه يعني خمسة ارطال وخمس عشرة اوقية ينطبق على اربعة امداد بالمعنى المشهور يعني ستة ارطال مدنية وفيه ايضا تأمل لانه على تقدير ان يكون المد على هذا المعنى لا يستقيم ايضا اذ توجب ان يكون خمس عشرة اوقية عبارة عن رطل واحد مدني حتى بعد ضمه الى خمسة ارطال بلغت ستة ارطال ولا شيء من الاوقيثين الجديدة والقديمة موافقا لهذا القدر اذ الجديدة على ما بينا اما عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم يبلغ سبعة مثاقيل ونصفا فخمس عشرة منها

مائة واثنی عشر مثقالاً ونصف مثقال واما عشرة دراهم يبلغ سبعة مثاقيل فخمس عشرة منها مائة وخمسة مثاقيل واما اثنا عشر درهما يبلغ ثمانية مثاقيل وخمس مثقال فخمس عشرة منها مائة وستة وعشرون مثقالاً وظاهر ان لا يبلغ شيء من هذه الثلاثة حد الرطل المدني والقديمة اربعون درهما وخمس منها يزيد على الرطل فضلاً عن خمس عشرة ولم ينقل تفسير الاوقية بغير هذه المعاني هذا وان امكن حمل خمسة امداد في هذه الرواية على ورم الراوي مستظهِراً بالتهرة والاتفاق وللروايات الصحيحة كما جوز الشيخ رحمه الله في رواية سليمان ولا يعد ان يحمل الرطل هنا على المكي دون المدني والاوقية على الجديدة بالمعنى الاول فيستقيم بلا تكلف في معنى المد والصاع ايضاً اذ الرطل المكي كما مر عبارة عن رطلين عراقيين وثلاث اواق بهذا المعنى يبلغ ربع رطل عراقي على تفسير العلامة فيصير كلاهما رطلين وربعاً بالعراقي وهو رطل ونصف بالمدني فاربعة امثاله يبلغ ستة ارجال مدنية كما هو المستفاد من الروايات المطابقة مع ما ذكرنا انه كالجمع عليه بين الفقهاء ويمكن ان يحمل الرطل على العراقي ايضاً ويؤيد مذهب البزنطي ولا يمكن ان يحمل الاوقية على القديمة اصلاً اذ اذا حمل الرطل حينئذ على العراقي ينقص عن المد او يزيد عليه بالنسبة الى المذاهب واذا حمل على المد او المكي يزيد عليه على جميع المذاهب فلا يصير مطابقاً لشيء منها فليس قول صاحب الصحاح في تفسيرها الاوقية في الحديث اربعون درهما وكذلك فيما مضى انتهى على عمومته فتأمل

«تتميم» قد عرفت مما نتقدم في التفصيلات ان الكرم المعتبر في باب الطهارة المعروف بماء مقدر شرعاً لا يفعل بالنجاسة ما لم تغيره مقدر بتقديرين بالوزن وبالمساحة على ما فصلنا كلاً في موضعه ففيه احتمالان اما ان يكون الوزن اصلاً فيه وتكون المساحة طريقاً الى استعماله لتعسر الوزن في اكثر الحالات واما ان يكون بعكس ذلك بان تكون المساحة اصلاً فيه ويكون الوزن طريقاً الى استعماله حال تعسر المساحة لعدم وقوعه على شكل پرکاری كثر الغدران والاحباب^(١) واثامهما واما ان يكون كل منهما اصلاً مستقلاً يجوز استعمال ما اراد المكلف منهما بدون تعسر الآخر وان كان بينهما تفاوتاً كثيراً كالواجبات التخيرية فظاهر كلام الشيخ ابي جعفر الطوسي رحمه الله هو الاول فان في الاستبصار في باب كمية الكرم في ذيل ذكر رواية الوزن بعد ذكر الروايات التي في المساحة فلا ينافي هذا الخبر ما تقدم من الاخبار لانا كنا ذكرنا في كتابنا تهذيب

الاحكام ان العمل على هذا الخبر على ما نصره الشيخ رحمه الله وحملنا ما ورد من التحديد بالاشبار على ان يكون مطابقاً لذلك بان يكون مقدارها المقدار الذي يطابقها فكانه جعل لنا طريقان احدهما ان نعتبر الارطال اذا كان لنا طريق اليه واذا لم يكن طريق الى ذلك اعتبرنا الاشبار لان ذلك لا يتمدح على حال من احوال انتهى . وكذلك ظاهر من عرف انكر بالف ومائتي رطل وظاهر العلامة والشهيد ومن تبعهما رحمهما الله هو الثاني حيث فرعوا اختيار العراقي في الارطال دون المدني كما مناسبة لما اسسوه من المساحة وكذا ظاهر من عرف الكربانه ما بلغ تكسيه باشبار مستوى الخلقة اثمين واربعين وسبعة اثمان وظاهر ابن بابويه رحمه الله هو الثالث لا - تياره من اقبال المساحة ما لا يناسب ما ذهب اليه بحسب الوزن لان البعد وعدم المناسبة بين تقديره بأبي عن ان يكون احدهما لاستعمال الآخر فيكون كل منهما اصلاً مستقلاً مأخوذاً من رواية معتمد عليها لا يضره عدم مناسبة الآخر له ومثال ذلك كثيرة في الشرح فاقبل ^(١) والعجب من ابن بابويه كيف لم يعتبر العراقي واعتبر المدني مع ان الكرى عنه قريب من نصفه عند من اعتبر العراقي انتهى فيه تأمل ثم ان العلامة رحمه الله في المختلف وافق ابن بابويه رحمه الله في المساحة والشهيد رحمه الله في الذكرى وافق الجمهور فيه ومع هذا اختار كل منهما في الوزن الارطال العراقية لادعائهم ان تلك الارطال هو المناسب لما اختاره من المساحة دون الارطال المدنية قيل ^(٢) وقد يظن ان بين الكلامين تصادماً فان الارطال العراقية ان ناسبت مذهب ابن بابويه كما قال العلامة بعدت عن مناسبة مذهب الجمهور بل تكون الارطال المدنية انسب منها اذ التفاوت بين المذهبين في قدر المساحة قريب من التفاوت بينهما في الوزن والتفصي عن هذا التصادم غير خفي انتهى . واشـ ار الى وجه التفصي في الحاشية بقوله بان يقال سراد الشهيد رحمه الله ان اعتبار الرطل العراقي يناسب التقدير بالاشبار على كل من الروايتين بخلاف الرطل المدني فانه شديد البعد عما يقتضيه رواية القميين وفيه ايضاً تأمل اذ لم يكتفى تقدير اعتبار المناسبة لاشك ان الارطال العراقية انسب من الارطال المدنية الى ما اخبر ان بابويه في المساحة ولكن دعوى كونها انسب من المدنية بالنسبة الى المذهب المشهور في المساحة ايضاً لا يكاد يتم بل المدنية انسب منها بكثير وتوضيح ان ما يملأ من الماء قدر شبر من المكان كما

(١) القائل شيخنا بهاء الماتر والدين رحمه الله في رسالته انكزية (٢) القائل البهائي في

رسالته انكزية (منه)

صح عندنا بتخمين دقيق قريب من التحقيق هو اربعة امانان تبريزية وثلاثمائة وستة وخمسون مثقالاً صيرفيًا تبلغ قدر سبعة وعشرين شبراً هو مذهب ابن بابويه في الكرك مائة واربعة وعشرين مثقالاً واثنا عشر مثقالاً ولا شك ان الارطال العراقية انسب به من المدنية بكثير يظهر من الرجوع الى الجدول ويبلغ قدر اثنين واربعين شبراً وسبعة اثمان شبر هو مذهب الجمهور مائة وستة وتسعين مثقالاً وخمسائة وثلاثة وستين مثقالاً ونصف مثقال وظاهر ان الارطال المدنية التي عبارة عن مائتين واثنين وعشرين مثقالاً واربعة عشر مثقالاً وسبعي مثقال كما مر في الجدول اقرب الى هذا القدر من الارطال العراقية التي قدرها عند الشهيد رحمه الله مائة وثمانية واربعون مثقالاً وثلاثمائة واثنان واربعون مثقالاً وستة اسباع مثقال كما مر ايضاً اذ تفاوتت الارطال المدنية منه لا يبلغ الى ستة وعشرين مثقالاً وتفاوتت الارطال العراقية يزيد على ثمانية واربعين مثقالاً فإين هو من هذا ولا يبلغ التفاوت الذي قد يكون في اشخاص المياه المتحدة في المكان بحسب الوزن الى حد يستر ذلك كما تشهد به التجربة ونحن اغمضنا عن ذلك ايضاً فلا شك ان المناسب لمن جعل الاصل في التقدير المساحة وجعل الوزن طريقاً الى استعمال بلوغه ذلك القدر كما فيما نحن فيه ان يكون ما اختاره من الوزن زائداً عليه لا ناقصاً عن باب المقدمة وتحقق كونه غالباً القدر الشرعي يقيناً وزيادة الارطال المدنية على القدر المشهور في المساحة متيقنة عنده ايضاً دون الارطال العراقية اذ مع الاغراض عن تيقن نقصانها عنه بازيد من زيادة المدنية عليه فلا مجال البتة لدعوى تيقن زيادتها عليه المصححة اكونها مستلزمة للبلوغ الى الحد المذكور والعلم عند الله واهله

«تتميم» ينبغي للمكلف المقيّد بالشرع المهم لتحصيل براءة الذمة ان يكون طريقته التمسك بالاحتياط والعمل على وجه يكون به مخرجاً عن عهدة الخلاف في جميع ما ذكرنا من المسائل الخلافية فيختار في قدر المد والصاع المعتبرين في الكفارات وزكوة الفطر وامثالها مذهب الجمهور الذي قدروا المد بما يبلغ مائة وسبعة وستين مثقالاً صيرفيًا واثنى عشرة شعيرة والصاع بما يبلغ مثقالاً وثمانية وستين مثقالاً واثني واربعين شعيرة اذ هذا التقدير لها اكثر من جميع التقادير الباقية كما مر والاحوط هنا هو الاكثر ويختار في قدر الوسق المعتبر في تحقق نصاب الغلات ثاني احتمالي مذهب البزنطي اعني ستة وثلاثين مثقالاً تبريزياً مع كسوره المثبتة في الجدول حتى يكون خمسة اوساق هو قدر النصاب عبارة عن مائة واثنين وثمانين مثقالاً وكسر اذ هذا التقدير في النصاب

اقل من سائر التقديرات والاحوط هنا هو الاقل وعلى هذا القياس في قدر الكرم ومثاله حسب ما اقتضاه سلوك طريقة الاحتياط . ولا شك انه اصوب خصوصاً في زماننا الذي فيه الآراء متخالفة والحق محبوب والقائم بالحق مستور اللهم ارزقنا توفيق ادراك ملازمته . وتحقيق ماهو الحق من خدمته . والخروج عن عهدته ماهو الصواب من التكاليف بفراغ البال . والخلاص عما يوجب تقويت الوقت . وتضييع العمر من القيل والقال . هذا آخر ما اردنا ايراده في هذه الرسالة . وقصدنا الاختتام به في تلك المقالة والله الموفق والمعين



السوريون في اميركا

لا يصح اطلاق اسم المهاجرين على السوريين الذين سافروا من بلادهم الى اميركا لكونهم لم يهاجروا ديارهم كما هو المفهوم من معنى الهجرة وانما يصح اطلاق اسم المسافرين عليهم لانهم سافروا الى اميركا للتجارة لا الإقامة او للمغادرة او لطلب ثباتاً او لجعل اميركا وطناً جديداً لهم أبداً

وجعلهم طريق اميركا طريقهم المطروق ذهاباً واياباً مما يثبت هذا . وسل ايّا كان من السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية هل هجرت سورية . يقل كلاً ما هجرتها وانما غادرتها الى حين — نرحب عنها طلباً للاكتساب والاتجار ومتى نجحت ووصلت الى غرضي عدت الى وطني

واما اولئك الذين اشتروا الدور والاملاك في اميركا فلم يشتروها لكي يقيموا في اميركا وانما اشتروها ليتجروا بها ويكسبوا ويثروا فالاتجار في الاراضي والعقار كثيراً ما يفيض على صاحبه يتابع اللجن والفسار . وسل ايّا كان من الملاكين السوريين في اميركا لا تريد ان ترجع الى ارض آبائك واجدادك اذا تمكنت من بيع املاكك بالربح بقل بلى أريد من قلبي ولكن دور العودة لم يأت بعد . وما بقوله الملاكون بهذا الباب بقوله التجار والعمال والاطباء والصحافيون السوريون في اميركا

وحجّتهم على ذلك هي هذه الامور (١) قلة العدل في الوطن (٢) عدم المساواة (٣) شدة التضيق والضغط (٤) عدم وجود الأمن في اراضي سورية المهجورة وغير

المهجورة (٥) عدم وجود المعامل المهمة وقلة ابواب الرزء (٦) كثرة التثبيط وقلة التنشيط (٧) كثرة القول وقلة العمل (٨) الابطاء الطويل والماطلة في الامامات هذه هي حججهم الرئيسة وحققهم ان يحتجوا بها . فاذا كانوا قاسوا ميثاق الاخطار والاسفار حتى وصلوا الى ديار اتسعت ابواب رزقها وكسبها وكثر عدلها وساد أمنها وعمت مساواتها وحررتها وسبق عملها قولها وكثر تنشيطها وقل تثبيطها — اذا كانت هذه حالة البلاد التي وطئتها اقدام السوري بين فخري بعقلائهم ان يغمثوا فرصة الانتفاع منها والعامل العاقل من وجد الفرص فانتهازها والجاهل الجاهل من اغفرتة بنفسها ولم يغمثها السوريون المتخلفون منقسمون الى اربع طوائف في هذا الموضوع . طائفة راضية عن سوري اميركا . وطائفة غير مبالية بهم . وطائفة غير راضية عنهم وهي غير مخصصة . وطائفة غير راضية الا انها مخصصة

اما الاولى فهي عامة الشعب السوري وهي الاكثر عدداً واما الثانية فهي التي لا يحمها عمرت البلاد او خربت واما الثالثة فهي التي يليق بها ان تسمى بالطائفة « المتعنتة » لانه لا يرضيها شيء فهي ابداء تمذمر وتناؤف وتفاخر وتباهي باقدارها وتستصغر اقدار سواها كأنها خلقت من طينة سماوية وغيرها خلق من طينة ارضية واما الرابعة فهي الطائفة المخلصة الغيرة على وطنها وهي القائلة بضرر « سفر » المهاجرين الى اميركا بعري او بضرر « مهاجرتهم » بعرفها، وعرف غيرها والطائفة القائلة بفائدته هي عامة الامة السورية فابتهما احق بقولها ودعواها اتلك ام هذه ؟

لاجرم ان دعوى الطائفة الراضية هي الاظهر والاحق واليك البراهين غادر اكثر السوريين نزلاء اميركا اليوم القطر السوري جاهلين القراءة والكتابة فصاروا في اميركا يقرأون ويكتبون . غادروها جاهلين كثيراً من آداب السلوك فصاروا سيف اميركا باداب سلوكهم من الطبقة الاولى

غادروها جاهلين السياسة الوطنية والاجنبية فصاروا في اميركا من اهل الاسلام بها وصاروا يفهمون معناها ومبناها ومغزاها ومرماها غادروها عديمي المعارف العمومية تقريباً فصاروا سيف اميركا يمين بكثير من تلك المعارف

غادروها جاهلين اساليب التجارة فصاروا في اميركا من اهل التجارة
 غادروها جاهلين الصناعات العصرية فصاروا في اميركا عاملين بكثير منها
 غادروها جامدين خاملين فصاروا في اميركا ناهضين
 غادروها ونفوسهم صغيرة فصاروا في اميركا من اهل النفوس الكبيرة
 غادروها أذلاء فصاروا في اميركا اعزاء
 غادروها منقادين لاهل الاستبداد انقياداً أعمى فصاروا في اميركا منورين ومن
 دعاة الاستقلال الشخصي

غادروها ولا صحافة لهم فصارت صحافتهم في اميركا من ارق الصحف العربية في
 العالم العربي

غادروها فقراء فصاروا في اميركا من اهل اليسار
 غادروها ولا مقام لهم فصاروا في اميركا من اهل المقامات
 غادروها ضعفاء الهمة والعزيمة فصاروا في اميركا من اهل العزائم والهمم
 هذا بعض ما كانوا عليه في سورية وبعض ما صاروا اليه في اميركا اما ما ارسلوه
 من المال الى سورية فهو اكثر من عشرة ملايين دولار او مليوني ليرة انكليزية ومن
 كان مشككاً بذلك فعليه بمراجعة مصرف لندن والمصرف العثماني في بيروت
 عَلَى الاخير

منذ عامين سألت احد العمال في مصرف او.ها.نبراسكا الاول وهو المستر نيسي الذي
 لا يزال حياً يرزق عن قيمة الدرام التي ارسلها سوريا ولاية نبراسكا الى سورية عَلَى يده
 من ذلك المصرف فقال : ان ما ارسلوه في شهر واحد بلغ ستين الف دولار اميريكي
 اي اثني عشر الف ليرة انكليزية . فاذا كان هذا ارسله فريق من سوريي ولاية
 نبراسكا في شهر واحد فكم هي قيمة المبالغ التي ارسلها ويرسلها غيرهم في غير ولايات ؟
 وأثار ذلك المبلغ الكبير بادية لذي عينين في لبنان وغير ولاية من ولايات سورية
 لما كنت في سورية كنت ارى بأمر عيني المبالغ التي كانت ترد عَلَى اهالي راشيا
 الوادي وقراها فكانت تلك المبالغ وحدها تختلف كل اسبوع بين الخمسمائة ليرة والالف
 ليرة حتى كثر المال في ذلك القضاء بين الايدي وكثر الاخذ والعطاء وصار رباً الليرة
 في الشهر عشر بارات وعشرين بارة بعد ان كان قبل عهد السفر الى اميركا لا ينال
 عن غرشين وثلاثة غروش

والدور الجميلة التي يشاهدها الناس اليوم في الاقاليم والولايات والالوية والمديريات والاقضية التي لها علاقة بسوري اميركا قد بنيت بمال هؤلاء ولولا هذا المال لكانت بقيت بلدان وضياع كثيرة اقرب الى الخراب منه الى العمران ولولاها لما كانت قدرت الرعية على تأدية الاموال الاميرية لان البلاد السورية ولاسيما في العقد الاخير من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين كانت بحاجة شديدة الى المال . فلاشغال في ذلك العهد المظلم امست في خبركان . وكان الحكام والموظفون واهل السلطة والسيادة قد اغتصبوا البقية الباقية من مال الامة ولم يبقوا لها الا الموت ذلاً وفقرًا وجوعاً وقهرًا

واما دعوى القائلين بان ما ربحته سورية مالياً من طريق اميركا لا يوازي عشر معشار ما خسرت من شبانها ورجالها الذين ذهبوا فدية الغربه فاقول لهم انه من البديهي ان من يموت في سورية يموت في اميركا . فالموت موجود في هذه كما هو موجود في تلك خلّ عنك انه اقل بطشاً في اميركا منه في سورية بدليل وفرة الوسائط الصحية في اميركا وقلتها في سورية والسوريون في اميركا محافظون على صحة اجسامهم اكثر بكثير من محافظتهم عليها في سورية

واما القول بان المال الذي فارق السوريون آباءهم وامهاتهم واقرباءهم من اجله لا يساوي لوعة ام على فرقة فلذة كبدها فهو قول اعده من تلك الاقوال العتيقة البالية التي كانت وما زالت من اسباب انحطاط الشرق والشرقيين

اجتماع الولد بأمه واهله دائماً حسن وجميل ولكن هذا الاجتماع لا يصير ذلك الولد رجلاً ولهذا ترى رجال الشرق الذين يصح ان يقال فيهم انهم رجال قلائل جداً بل لهذا السبب اصيب الشرق بقحط الرجال

الاميركي يربي ولده ويعلمه، وحينما يبلغ رشده يقول له اذهب الى العالم وعاركه ودعه بعاركك واما الشرقي فلا يعلم ولده ولا يريد تربية الاميركي ولا يعلمه تعليم، وانما يخاف عليه اذا فارق بيته ولو الى بضعة اميال وهو يعتقد بانه بعمله هذا يحج، ويقار على مصلحته وخير مستقبله وان هذا هو اهم ما يطالب منه ولكن قد فاز، ان تلى هذا الخوف « وعدم هذا الخوف » يتوقف سقوط ام وارتفاع ام واذا لم ينتفع سوريو اميركا غير هذا من اميركا فيكفيهم لانهم على هذا المبدأ يستطيعون ان يشيدوا بناء امة عالية واما الذاهبون الى ان بقاعاً حجة من بقاع سورية قد خربت بسبب « مهاجرة »

سوري اميركا وانهم لو ظلوا في بلادهم يتعهدون زرعها وذرعها وتعميرها لكانت درجت عليهم وعلى سورية انهار الثروة وكانت هذه الثروة اكبر بكثير من ثروتهم التي حصلوها في اميركا ولكانت تلك البقاع زاھية بالحضارة زاھرة بالعمران فهو مذهب فاسد من وجوه جهة

هو مذهب فاسد لان الطور الذي زابلوا فيه وطنهم كان طور الخراب . فكانت سماءه وأرضه خراباً في خراب وجهاته الاربع خراباً بجرب لم يستطع في ايامه سوريو اميركا وغير سوريي اميركا ان يثروا ولا ان يعيشوا على الاقل عبثة خالية من ضغط الظالمين وجورهم وتعدي الحاكمين واستبدادهم ولا ان ينسوا كلمة في الاصلاح والعمران

اما كان الفلاح يهجر ارضه ويقطع غرسه ويهمل ضرعه تخلصاً من الظلم ؟ اما كان يترك داره تعمي من بناها كرهاً لا طوعاً لان صبره قد عيل في تلك الايام السوداء ولم يبق في وسعه ان يحتمل فوق ما احتمل بصعوبة لا يستطيع بشري ولا وحش برتي ان يطيقهما . لماذا هجرت اوطانكم وخلانكم واخذانكم واخوانكم واعز الناس لديكم واحبهم اليكم يا ايها الاحرار ؟ اهو لكونكم لم تقدروا على اطاقه ما لا يطاق ام لا ؟ كنا نتوقع ان تكونوا عادلين في كتاباتكم عنا في ارض غربتنا . كنا ننظر انصافاً لا اجحافاً ولكن شتمتم ولمشيتكم احكام ان يحقرنا ويرميننا بالعيوب والعورات حتى الذين كنا نعلق على فضلهم ومروئتهم وغيرتهم كبار الآمال بل قضت الاقدار ان يظلمنا حتى حماة العدل وكما الفضل الا ان الايام بيننا وبينهم ولكل عصر احكام

والخلاصة ان سوريي اميركا لم ينجروا وانما عمروا ودواعي الخراب المشهور في سورية عائدة الى تلك الحكومة المشهور امرها وان صح ان الذنب كله او جلّه راجع على سوريي اميركا فلما اذا فررتم انتم من وجه الحكومة الجائرة قبل سوريي اميركا او بعدم ولم تبقوا في سورية لتصلحوا ما افسده سواكم او لتعمروا لا لتساعدوا على ازدياد الخراب

اشاع والي بيروت وكثيرون غيره اشاعات عن سوريي اميركا لم نسمع بها الا منه ومنهم ولعل الغيرة على مصلحة الدولة دعتهم الى تلك الاشاعات . فاذا اقرضنا وجود افتقار بعض السوريين في اميركا الى القوت الضروري فانه من المؤكد والمحقق وجود كثيرين من السوريين الغير (بضم النين والياء) الذين يعنون بذلك البعض

ويظلمونه، ويسدون حاجاته، وان فرضنا ان السوريين لم يكتثروا بأخيهام الجائع فحكومات هذه البلاد الرحومة الشفوقة تعنى به وان فرضنا انها لانعنى به فهناك جمعيات في كل ناحية من نواحي هذه الديار غرضها الاعتناء بالفقراء والمعوزين على اني لم اسمع ولم يسمع غيري ان سوريا مات جوعاً من اول عهد السفر حتى يومنا هذا وكيف يموت السوري جوعاً وقلماً فرغ كيسه من المال مهما تكن حالته وحرفته في ارض غربته . واما القول بان هذه الاشاعات هي نتيجة تقارير معتمدي الدولة العثمانية في اميركا فاننا لاندرى كيف ان هؤلاء المعتمدين يبعثون بتلك التقارير وهم لا يعرفون عن سوريا اميركا من حيث مجموعهم شيئاً تقريباً ولا يعرف السوريون عنهم سوى وجودهم في اميركا

انا اكتب عن السوريين لا عن سواهم من العثمانيين في اميركا واذا كان هنالك جمهور من مهاجري اترك سلانليك وازمير وسواهما لم يفهموا كيفية التماس الرزق في اميركا من ابوابه وكان معتمدو الدولة في اميركا يعنون باخوانهم الاتراك المهاجرين (?) لانهم اترك ويحملون سواهم لانهم غير اترك ويرسلون في احوالهم التقارير حباً بمصلحتهم وغيره عليهم — فليس المعنى ان السوريين العرب في اميركا صاروا اتركاً حتى يصح عليهم ما اذاعه عنهم والي بيروت اعتماداً على ما ارسله معتمدو الدولة في اميركا بهذا الباب

اميركا : يوسف جرجس زخم

مقابر^(١) المصريين وجنائزهم

في المقابر المنفية

ابتدأت المقابر بلحد فحت الثرى تدفن فيها الاموات بعد درجها في لفائف الاكفان اما مباشرة في جوف الارض او في جرار كبيرة من الخرف ويظن انه سرى لهم ذلك اقتداءً بقايل حين قتل اخاه هابيل وعجز عن مواراة سواته فبعث الله غراباً ليريه كيف يوازي سواة اخيه ففعلوا مثله

(١) محاضرة القاها احمد بك كمال العالم الاثري المصري في اواخر ذي الحجة

سنة ١٣٢٨ في نادي المدارس العليا

واقدم الجثث ما وجد منها مقرصاً على الهيئة التي خلقت بها في احشاء الامهات سوى الرأس فانه يبقى منتصباً لا منطوياً بين الرجلين وقد وجد منها العدد الكثير في وادي القطار بجوار اطفيج من الجهة القبلية الشرقية وفي جهة أبي صير التابعة لمديرية الفيوم وفي نقاده والكوامل وأم الجباب وجبل السلسلة ثم استعمرت اللحدود لدفن الفقراء تلى تماذي الزمن وكان للموميات في بادئ الامر ثلاثة أحوال

الحالة الاولى — يكون هيكل المومية مجتمعاً مترس في الكعب منضمّة الى الصدر وموضوعة فوق الوجه وتلحد في القبر على جنبها اليسر متجهة نحو الجهة الشمالية الحالة الثانية — يجمعون عظام الميت بعد تجريدها عن اللحم ويفصلون الرأس عن العنق لتحنيط الرأس وحفظه سليماً وذلك في بعض الموميات

الحالة الثالثة — حرق بعض شيء من الجثة أو حرقها كلها مع بعض من الاثاث الذي يتهيأ لوضعه في القبر معها ثم يؤخذ رمال ذلك المحروق ويوضع في قدر وقد خالف الفقراء في صناعة اللحدود اولو الثروة والاعيان فاتخذوا مقابرهم منحوتة في صميم الجبال وعلى الاخص في جبل لويه كالقابر التي نراها الآن بجوار الاهرام في مديرية الجيزة فانها آبار تتسدي فوق صخر الجبل ثم بعد عمق يختلف بعدا وطولا حسبما يشاؤون تنتهي بمائة مستطيلة يوضع فيها تابوت الميت فهي بهذه الصفة لا تختلف عن مقابرنا الآن الا بعمق الآبار وقد تكون البئر شبه منزل للمائة غير ضيق فينحتونها في سفح الجبل ويتركون وجهتها الغربية عالية ويجعلون في آخرها مائة مربعة لدفن الميت فيها ويصرون في الجزء الاعلى الذي ترك فوق السطح على حافة البئر صورة الميت وبجانبه باب وهمي لارشاد الروح (كما كانوا يعتقدون) عند نزولها من السماء الى جثتها حيث ترى شبه صاحبها امامها وباباً معداً لها فلا تضل عن الوصول اليها ويجعلون تحت هذا الباب الصوري مائدة من الحجر يضرب بجانبها مسلتان صغيرتان وقد كان يوضع فوقهما الخبز المقدس والشراب ولحم الطيور مما هو مبين بقلم النقش على جدران القبر

وان كان الميت من اعيان الدولة او من سرة القوم شادوا له مسطبة وهي بناء جسيم مرتفع كالهرم الناقص شكلاً او كالهرم المدرج الناقص ويجعلون فيها بئراً منحوتة في صخر الجبل يوصل الى سرداب طويل يفضي الى مائة معدة لواراة جثة الميت

فتكون المسطبة عبارة عن تركيب القبر ثم يرسمون في طول وجهتها من الاعلى نقوشاً
تضمن عنوان صاحب القبر ويكون تحت هذه النقوش المستطيلة باب المقبرة محلى
بالنقوش والصور الدالة على الميت وعلى اهله وذويه وتكسى ظاهر تلك المساطب بحيت
الاجار او يتنونها باللبن — وفي بعض الاحيان يجعلون للمقابر المنحوتة في صخور
الجبال قاعات بطرق متواصلة وعلى جدرانها دعوات وصلوات وصور مرسومة بالالوان
كما ترى في مقابر سقارة فيستدل من تلك النقوش والصور على عقائدهم الدينية وعلى
نسب الميت وسلسلة حسبه مرتبة في الواح ترتيباً حسناً من قبيل الحلية والزينة للمكان
وفي بعض الاحيان يجعلون امام القبر انا يعمل فيه مدخل يفضي الى المأمة — واما
الملوك فأنهم ميزوا مدافنهم عن مدافن الرعية بان جعلوها اهراما كاملة مبنية بالحجر
او باللبن وجعلوا تحتها او في حجمها الاماكن اللازمة للجثة وللثلاث والقرابين والصلوات
وشحوا في بعض الاحيان جدران هذه الاماكن الداخلية بالنقوش الدينية الصعبة
المعنى واليها الآن وجه الأثر يون مباحثهم ورعايتهم لايضاها وحل مغمضاتها —
وتبنى الاهرام بطريقة بسيطة جداً وهي انهم يتفقدون اولاً على الرسم المراد ايجاده من
اليوت الداخلية وعلى ارتفاع الهرم وطول قاعدته وعرضها ثم يملون هذا الرسم الظاهر
البيان الى المهندس المعماري وهو يقوم بالعمل طبقاً للاوامر الصادرة اليه فاذا انجز
الاشغال اللازمة في صخر الجبل من نحت وتفرغ شرع في البناء فيكسو الاماكن
الداخلية المراد كتابتها بالاجار الملء ثم يرتفع فوقها بالبناء فاذا اعلوا فوق الارض
جعل البناء على هيئة المسطبة المائلة الاجنب او المستقيمها بحيث يجعلها نافذة عن
المقياس المطلوب بمقدار الكسوة الظاهرة التي يغطي بها الهرم بعد بنائه وحتى أتم المسطبة
الاولى واراد الشروع في الارتفاع بنى مسطبة ثانية فوقها اقل حجماً منها بحيث يجعل في
الفضاء الذي ترك في المسطبة الاولى زلاقة للعمال توصل الى المسطبة الثانية وهذه
الزلاقة تقام بدون مونة وتقل بالرمل والحصى ويستمر العمل من الزلاقة التي فوق الارض
الى الزلاقة الثانية التي فوق المسطبة الاولى حتى تنتهي المسطبة الثانية ثم يشرعون في
المسطبة الثالثة ويجعلونها اقل حجماً من الثانية ويقيمون لها زلاقة بالكيفية السابقة وهكذا
يستمر البناء في اقامة مسطبة بعد اخرى حتى ينتهي العمل بأخر مسطبة فتكون
المساطب مدرجة بعضها فوق بعض ثم يهرمون المسطبة العليا ثم الثانية لها وهكذا يستمر
في ملء الفواغ الموجودة بين المساطب وبعضها متباعد وضع الكسوة الحجرية من

القمة الى القاعدة حتى يتم الهرم واما الاهرام المقامة باللبن فانها كالا هرام المقامة بالاججار من حيث الوضع والرسم في الاماكن السفلى ولا تختلف عنها الا بالمادة لانها تقام بوضع اللبن المصنوع بالطين وخالط القش بهيئة مدامك بعضها فوق بعض ويكون بين المدامك والآخر طبقة خفيفة من الرمل في مقام المونة لتثبيت اللبن في مكانه فلا تدكه زلازل الارض ولا تزعزعه الزوابع والعواصف

مقابر طيبة

هذه المقابر منحوتة في جوانب الجبل بوادي يعرف الآن ببيان الملوكة وآخر يعرف ببيان الحريم وغالب هذه المقابر يشتمل على طرقات وبيوت بعهد وفيها نقوش بالوان وبدون حفر نضمن تقديم القرايين واقامة الصلوات بناء على ما هو مرسوم في كتاب الموتى المنقوش صورته على حيطان الاهرام

ولا بد لكل قبر من الباب الوهمي لكونه يقوم مقام الايوان الذي يشاد امام المقابر مشحوناً بالرسوم والنقوش وينقشون على هذا الباب توسلا الى أسوريس أو الى (خونومر) أو مينو أو أمون أو بيتاح أو أتومو أو (رع) اي الى معبودات منف وعين شمس التي عمت عبادتها المدن والقرى في بعض الاقسام بعد ان كانت معبودات للحاضرات الشهيرة تلك هي أوصاف المقابر على وجه عام

تشييع الجنازة

اذا حضر احدهم الموت جهزوه مدة سبعة ايام وهي المقررة عندهم للتحنيط ثم وضعوه فوق سرير جميل كالموجود منه بعض نماذج في المتحف المصري ووضعوا تحت هذا السرير اربعة قدور فيها احشاؤه التي زعت من جوفه وقت التحنيط ولكل قدر غطاء له صورة مخصوصة اما كراس الانسان او كراس ابن آوى او كراس الباشق او كراس القودا - يي انهما تمثل اولاد حوريس الاربعة وهم (حور) و (أسميت) و (قبح سنو) و (ديوموتف) المعبود لهم حفظ الاحشاء الضرورية للحياة وفي هذه الاثناء يكون القبر قد تمهياً واستعد للميت ويكون نعيمه قد بلغ احبابه ومعارفه ومتى اصبح الصباح وحان وقت (اخفاء رأسه في وادي اوتى واجتماعه بالارض) حسب تعريفيهم. هنالك تحضر وفود الناس ويرفعون النعش فيقوم زوجته وخادماتها ويتعلقن بالنعش ويمعن خروجه من البيت وتأخذهن عبرات الحزن فيبكين ويتحنن ويولولن فيجتهد الرجال في خلاص النعش ويخرجونه عنوة من باب داره ثم يسيرون به الى

القبر فتبتدي الجنائز بطائفة من العبيد والخدم ومعهم القرايين وهي فطير وازهار وجرار ماء وقارورات فيها تراب ونوافج عطر وطيور مجهزة فوق سلال وعجل يسحبه رجل ليضحي كفارة للميت وتلب في بعضها ما كولات وفي بعضها تماثيل صغيرة لازمة لروح الميت — ومعهم ايضا صوان عليها صحاف فيها فاكهة حولها جريد النخل الاخضر

والطائفة الثانية تحمل الاثاث المعتاد كصناديق الملابس والارائك التي تفتح وتغلق وأوذات المخادع والسرر الجميلة اللازمة للميت تليهم خدمة الاسطبل يقلون عربة كاملة الادوات فيها الجنب والسهام ثم الميراخور يقود عربة يسحبها اثنان من جياذ الخيل والطائفة الثالثة وهي أكثر عدداً من الطائفتين الاولى والثانية نقل القناني وصندوقا لقدور الاحشاء ثم قدور الاحشاء نفسها فالوجه المستعار المصنوع من المقوى والمصبوغ باللون الازرق والمموه بالذهب ثم الاسلحة والقضبان وعصي الادارة والقلائد والجلعان والنسور المبسوطة الاجنحة على هيئة الدائرة لوضها فوق صدر الميت من قبيل الزينة ايام الاعياد ثم السلال والتماثيل الصغيرة وباشقاً برأس انسان رمزاً الى الروح وقد يكون بعض هذه الاشياء من الذهب المصبوب والبعض الآخر مموه بالذهب حتى ان كل من رآها مارة امامه اخذت بعصره لكثرة بهجتها وبريقها

والطائفة الرابعة فيها النائمات يسرن بضجة وغواش وعبد يصب فوق الارض من وقت لآخر بعض نقط من النابن كأنه يشير الى ارقاد التراب الثائرة ثم يعقبه قسيس متشح بجلد النمر ينثر بلمعة من الذهب العطر على جموع الخلق — ومن خلفه بأثني النعش وهو على شكل سفينة اسورس فيها نائمنا اميس ونفتيس وفي مقعدها المحكم الوضع قد وضعت جثة الميت محبوبة عن العيون وحولها زوجته واولاده يليهم احبابه بأفخر الملابس ويبد كل واحد عصا يتوكأ عليها ثم تأتي جيران الميت سائرين بدون نظام وعلى هذا الترتيب تمر الجنائز في الطرقات المعوجة بنظام تام وفيها سفينة النعش فوق السحافة تسحبها الثيران وتسير الهوبنا مستمرة على ذلك مدة ساعات

فيما يحصل اثناء تشييع الجنائز

مضى خرج النعش من بيت الميت كثر البكاء والتعجب وضجت النائمات المأجورة بالولولة والصراخ فيصحن ويصنبن ويقطعن شعورهن ويبدن من الامور ما يستوجب الزفات والحسرات والاسف الزائد وهذا خلاف ما يحصل من اهل الميت واحبابه

فترام في صراخ وانين وبكاء وعويل نال النساء منهم يتناوبن الرثاء والتأبين طائفة بعد أخرى ويقان ما معناه :

« الى المغرب مسكن اسوريس . الى المغرب انت الذي كنت احسن الناس وكنت تبغض الرياء » فتجيبهن التأنحات ويقفن المعبودات نفسها تنعيك لانك ذاهب ايها الرئيس الى المغرب

هذا ما يحصل من طوائف النساء واما ما يحصل من سائق الثيران التي تسحب النعش فوق الارض فانه يحث هذه الثيران ويقول لها :

« الى المغرب ايها الثيران الساحبة للنعش الى المغرب (الاثرى) ان سيدكم آت خلفكم » فتجيبه الاحباب قائلين :

« لند اقل طالع الرجل العظيم الذي طالما احب الصدق وكره الكذب » اه

ثم تستمر الجنائزة بعد ذلك في سكوت تام برهة من الزمن وبمدها تصبح احدى التأنحات بالرثاء والتدب فيجيب بالنسوة بما يناسب نديها وهكذا تسير الجنائزة بين نعي ونحيب كما هو حاصل الى الآن في الجنائز وعلى الخصوص في الوجه القبلي وكل من سمع بالجنائزة وجب عليه الاسراع اليها مراعاة لحاظ اهل الميت ووفاء بما تنصيه عادات البلاد وكذا كل من حضر قدم واجب التعزية والسلوان قائلا « الى المغرب » مضيئا اليها — بمض عبارات تشف عن حسن خصال الميت ونفضائه ومحاسن اعماله المبرورة وعما ناله من الرقي والشرف في دار دنياه . وقد بدرجون في تعازيهم ما يشير الى فناء هذه الدنيا والى بقاء الآخرة والى التحفظ والوقاية من هول يوم القيامة . ومتى اقبلت الجنائزة الى شاطئ النيل نزلت حملة الترابين في السفن المعدة لهم ونزلت التأنحات وعائلة الميت في سفن اخرى ويضعون النعش في مقعد السفينة بعد كساء ظاهره اما بالانسيجة المزركشة المدبجة بانواع الالوان او بستار من الجلد المصبوغ بالالوان المصنوعة صناعة جميلة تشهد لصانعيها بالفضل والذوق السليم وفي اثناء جواز النيل يكون الناس وتوقفا في السفن ووجوههم نحو النعش وفيما اسلفنا قلنا ان هذا النعش صنع على نمط الفلك السري الذي اعد للمعبود اسوريس واقترنت له عبادة في مدينة العرابية ويعرف عندهم باسم شميمت اي مبرقش بنقط سود ونقط بيض او المرفوع الذكر . وهو رقيق الجسم خفيفة وشكله مسطح ايل وفي مقدمه وهؤخره زينت من المعدن على هيئة زهر اللوتس وكلاهما مائل ميلا خفيفا الى الامام يخالها الرأي انهما ينوآن لثقل ما في السفينة وفي وسط هذا

الفلك مقعد مزين بياقات من جريد النخل الاخضر فطوف حوله زوجة المتوفى
 واولادها نائمة وبكون معها قسيان عليهما لباس وعصابات كزي المعبودتين لاسيس
 ونفتيس ومحلهما خلف النعش لوقاية، ويقف القسيس المترس على الجنازة امام
 النعش ويده مبحرة يحرق فيها الجذور وتكون سفينة النائحات خلف سفينة النعش
 اما باقي السفن فانها تسبح على مقربة منها بقوة المجاذيف وقوة الرجال وهذا
 التشيع يعرف عندهم بالرحلة او الانتقال الى الدار الآخرة فاذا مارسا النعش على الشاطئ
 استقبل جموع الناس بالتبجيل والاكرام مودعين له وقائلين :
 « لقد حان لك الدخول بسلام في القبر فعليك منا السلام فاذهب بسلام الى العرابة
 واهبط بسلام نحوها ونحو بحر الغرب » اهـ

ولقد كان لجواز النيل عندهم شأن عظيم لان الانتقال من هذه الدنيا الى دار
 الآخرة تختلف احواله عند الامم اما المصريون فقد عرفوا المكان الذي تذهب منه
 الارواح لدخولها في دار البقاء وهو عبارة عن فجوة في الجبل الواقع غربي العرابة
 المدفونة ولا يتأتى للارواح العبور منه في سفينة اسوريس ومن ثم كان عبور الميت
 للنيل هو استعداد روحه وتأهبها للتوجه نحو الفجوة الآتفة الذكر وهناك تترقب محبي
 الشمس في سفينتها فتقبل بما فيها من طائفة المعبودات نزلت فيها وسبحت في السماء
 محترقة اللجة السماوية برسومها في اثناء ذلك اما حالة في جثتها ومحللة بلباسها المعتادة
 كأنها حية في دار دنياها او يجعلونها نائمة في نعش حوله النائحات والقسوس ومن خلفها
 سفن مشحونة بالقرايين ولقد ذهب اليونان بناء على ما بلغهم من الروايات الى ان اغنياء
 المصريين كانوا يفضلون دفنهم في العرابة بجانب اسوريس وهي البقعة المباركة عندهم
 ولكن علماء من بعض جثث اولئك الاعيان الذين قيل بدفنهم في العرابة انهم لم يحدون
 في مقابرهم التي اقاموها في منف او في بني حسن او في طيبة فاتضح ان الرحلة المخصوص
 عنها في النقوش المصرية القديمة هي الروح لا للجسد — ولنرجع الى امر الجنازة فنقول
 ان جموع العالم تصيح اثناء تشيع الجنازة ونقول : « الى المغرب الى المغرب دار الحق
 لقد نعاك وبكأك المكان الذي كنت تهواه » ونقول النائحات بسلام بسلام اذهب
 بسلام ايها الممدوح الى المغرب سنراك ان شاء الله يوم الحشر لانك ستذهب الآن
 الى الارض التي تخرج الناس بعضها ببعض »
 ثم تصيح الزوجة قائلة

يا بعلبي يا اخي يا حبيبي قف واستقر في مكانك ولا تبتمد عن المكان الدنيوي الذي انت فيه واوجعنا مالي اراك ذاهباً الى السفينة لتجتاز النهر — يا ايها الملاحون لا تسرعوا به بل دعوه لانكم ستعودون الى منازلكم اما هو فراحل الى دار الخلود — لماذا اتيت ابتما السفينة الاسورية ونزعت مني هذا الذي يفارقني؟؟
اما الملاحون فلا يعبأون بهذه العبارات الحزنة ولا يعيرون لها اذناً واعية بل يقولون كن ثابتاً فوق سطح السفينة لاننا اقتربنا الى الشاطئ

ومتي اقبلت السفينة المقلّة للنعش بقوة وتصادمت بالشاطئ ربما يقع منها بعض الرجال في النهر وكذلك لما تأقني باقي السفن وترسو بجانبها بتساقط منها في لجة النيل بعض القرايين لشدة تلاطمها بالشاطئ لكن لا هلقت احد لذلك بل يستمر الاحباب في تأيينهم ورثائهم قائلين

ما اسعد هذا الممدوح حيث ساعده الحظ فتوجه الى الراحة في قبره الذي اعدده لنفسه وسينال من العبود الرحمة الواسعة فيسمح له بالذهاب الى المغرب محفوفاً بالخدم من جيل لآخر — وهذا الرثاء لا يمنهم عن البكاء والعيول
ثم انهم يخرجون الموميا من السفينة ويضعونها ثانياً فوق السحافة وتنظم الجنازة في سلكها الاول وتسير بهذا النظام الى سفح الجبل وهناك يتعذر على الثيران سحب الشعش فتحملة الرجال فوق اعناقهم ويسرون به الهوبنا الى باب القبر المعد لدفنه حيث يجدون هناك نوع مسطبة يوضع الشعش عليها فينصبون صندوق الميت فوق كتيب من الرمل ويجعلون وجهه نحو جموع العالم كأنه حل بيته الجديد صحبة احبابه وكأنه قد تأهب لوداعهم للدخول في سكنه الجديد هنالك يتجدد البكاء والعيول وتعالى الاصوات بالنجيب والانيين ويرتفع الصياح والصراخ ويأتي اهل الميت بالازهار فيضعونها فوق صندوقه ثم يعانقونه وبودعونه فتقول الزوجة :

« انا اختك ايها العظيم فلا تتركني فهل نقصد حقيقة ايها الاب العزيز ان اتابعك عنك ؟ متى فارقتك صرت وحيداً فهل لك من انيس يرافقت — انا اخاطبك انت الذي كنت تود المزاح معي مالي اراك ساكناً لا تنكلم » اه
وتكون جاريتها في هذا الوقت جاثية خلفها فتقول :

« ها قد اخذ سيدي مني وترك خدمه »

ثم تقول النائمات بعدها

« نوحوا عليه نوحوا وأبكوه بلا انقطاع وصيحوا بأعلى أصواتكم (وقولوا) أيها الرحالة العظيم المتوجه الى ارض الخلود لقد نزعنا منك الآن نخطبك انت الذي كنت تحب حراك رجلبك للشبي مالنا نراك مغلولاً مقيداً مكفناً انت الذي كان لك كثير من الملابس الفاخرة وكنت تحب القماش الابيض مالنا نراك الآن رافداً في ثيابك (التي كانت عليك) بالامس

لقد اصبح الذي يبكيك (كأنه) يتيم الامام والقلب محترقاً عليك لما اصابه من الحزن وحائماً حول جثتك

وفي اثناء العويل والبكاء على الميت يحرق القسيس البخور ويهرق التراب ويقول (هذا) لجثتك ايها المتوفي فلان الصادق القول لدى المعبود العظيم عند ذلك تخفي الموميا في جديتها وتستقر في ظلمات القبر الى دهر الدهرين

ولما كان القبر مسكناً للميت كما كن الدنيا للاحياء رأوا ان يجعلوا فيه اما كن للزينة ومصلى يأتي فيها اهل الميت بالقرابين والضحايا في كل يوم عيد وفيه اما كن خصوصية لا يدخلها سوى جثة الميت ويزينون داخل تلك الاماكن بالرسوم والكتابات بعد تليطها ملاطاً لطيفاً يظهر محاسنها ويجعلون تلك الرسوم الواحاً متعاقبة يعلو بعضها بعضاً بهندام ونظام حتى تصل الى السقف فيصرون حراث الارض والزراعة والحصيد وتخزين الغلال وتربية الحيوانات وصيد البر والبحر ومعامل التجارين وصناع العربات والنقاشين والصاغة والزجاجين والخبازين وتحضير الطعام واستعداد المواسم مرفقة بالاغاني ورقص العوام وكل ذلك طلاسهم يعتقدون انها تتحول الى حقائق بسر صيغ يتلونهم ليمنع بها الميت في قبره فان اشتبهى شيئاً بتغذى به فما عليه الا ان يختار ماشاء من الابقار او الاشياء الاخرى المرسومة في قبره ومتى وقع نظره عليها تحولت الى حقيقة وتلدز بها كما كان يلدز في دار دنياه تلك هي عقائدهم التي ساقطهم الى زخرف المقابر ولذلك ترى في رسومها صورة صاحب القبر قد اخذت فخذ الثور من يد خادما وتغذت منه هذا مانفعله اموات فقرائهم

اما اموات الاغنياء وارباب المظاهر فانهم لا يحتاجون غالب الاحيان في اوائل موتهم الى شيء من الرسوم على جدران القبور لان اهلهم وذويهم يقدمون لهم في المواسم وغيرها ما اشتبهه انفسهم من المأكول والمشرب فيذبجون الضحايا من بقر واوز ويقدمون النبيذ والجمعة وغيرها الى امون او اسوريس او فتاح او خونسو فيأخذ المعبود شيئاً منها

لنفسه ويرسل الباقي الى الميت المراد بتلك القرايين ومن ثم وجدت الاوقاف على الاموات وبنوها على شروط كانوا يبرمونها مع قسوس المعابد وهو لاء يقدمون ما هو موقوف للقبر من الاشياء ويقومون بالصلوات والدعوات في الاوقات المعينة وعليه كانت العناية باحياء ذكر الاموات من الامور المهمة عندهم لكن مع وجود هذه العناية ومرور المدد الطويلة على الاوقاف كان ينتهي امرها بالانقطاع اما لانقراض العائلة واندراسها او بتبدد الاوقاف عقب الانقلابات الكبيرة وبذلك ينقطع الوارد عن الميت فعندئذ لا يجد امامه الا ما هو مرسوم فوق جدران قبره لكن كيف يتسنى لميت القيام والعودة واستمرار الحركة مع ان الموت افقده ذلك والتصير حول جثته الى جسم لا حراك له ولا قدرة فلا يستطيع المشي ولا التكلم ولا النظر ولا تأدية شيء من الوظائف التي لا يمكنها مدار الوجود فلاجل خلاص الجثة من هذه المقيدات المعطلة لعامة حركات الجسم اوجدوا طريقة يسمونها (فتح القم) وهي ان رؤس القسوس واعوانه وهم اولاد حوريس يوقفون الجثة المحنطة فوق كتيب من الرمل في آخر المصلى المعدة لها ويقرأون عليها الصيغة المنادسة السرية التي تلاها حوريس على جثة اسوريس ثم يطهرونها بالماء القراح والماء الاحمر ويبخور الجنوب والشب الوارد من الوجه البحري كما يفعل لتماثيل المعبودات عند الشروع في تقديم الاحبا لهم ثم يعملون له العمل اللازم لابقائه من السبات والامانة ولخلاصه من لفائف الاكفان ويرجعون له الظل الذي تقلص منه وقت خروج روحه ويردون اليه جميع حركاته فيصير جسمه المحنط حياً في عقيدتهم فيثغذي ويتنعم كما كان في دار دنياه فاذا كان الجزارون يذبحون ثور الجنوب ويقطعون به بعد دفن الميت اسرع القسيس بتناول نخذه هذا الثور وبتقديمه لقم الوجه المستعار الموضوع فوق رأس الجثة المحنطة لا اعتقاده انها حية وانها تتناول شيئاً من ذلك ولما يجد عدم الفائدة بأخذ آله من خشب لها نصال من حديد ويثير بها على فم الجثة مردياً بذلك ففتح فمها ثم يتلو صيغة على الموميا فيصبح في استطاعتها حسب عقيدتهم الذهاب والاياب والنظر والسمع والكلام وتناول شيء من القرايين التي تقدم لها بل وتستطيع ان تدعو كل من رافقها يوم الجنائز الى اول وليمة تقدم لها في قبرها بعد الدفن وذلك انهم متى وضعوا تابوت الجثة في منامتها اتت العبيد بالقرايين وبالتدور الاربعة التي فيها احشاء الميت والصناديق والاثاث والمأكولات التي احضروها مع الجنائز فيتلو عليها القسيس صلاة معلومة عندهم بعد وضعها في القبر ثم يخرج من عندها واثق عليها البناءون سداً محكمًا في نور المشاء وبعد

فنجيز هذا العمل تقدم العبيد مائدة للحاضرين امام القبر او في المصلى فيحضر في هذه الوليمة تمثال الميت المرسوم رسماً بارزاً في آخر القاعة الثانية ويتوهمون انه يتناول ما يخصه من هذه الوليمة حسب عقيدتهم القاضية بان الاشياء روحاً وشيخاً كما للانسان والحيوان فتى ذهبت الموميا الى قبرها تلبسها الحياة وتتمتع بفضائلها كما كانت في دار دنياها فالشيخ الموهوم للكرسي او للسرير هو كرسي وسرير حقيقي لجثة الانسان المدفونة فيتمتع بهما ويتلذذ بما يقدم من الشراب واللحوم عالم الجنازة كأنها حية معهم ويلبنا يكونون مغمورين في ملاذ المطاعم تشغل النساء بالرقص والتصف ويشرن في اغانيهن تارة الى الميت وطوراً الى الاحياء مع مراعاة السجع فيقان

اكتسب حظ يومك ما الحياة الا لحظة اكتب حظ يومك لانك متى دخلت قبرك مكثت فيه مكوئاً ازيلاً الى دهر الداهرين

فاذا انقضت هذه الوليمة تأهب الجوع للرحيل فعندئذ يقوم العواد امام تمثال الميت ويده العود ويشعر في نشيد الاغاني القديمة فيقول ما عناء

الدنيا دار انقلاب وتجدد مستمر اذ الامر الذي قضى به اسوريس المعبود الكبير من الغرابة بمكان وهو انه من حسن القضاء (والقدر) انه كلما فني جسم وانقضى حل غيره مكانه وهذا معروف من قديم الزمان (كيف لا) وان الفراعنة الاول الذين كانوا يعبدون ودفنوا في اهرامهم ودفنت معهم في تلك الاهرام جثثهم واشباحهم تركوا ما كان لهم من مقاعد القصور التي شيدوها فانقضت نهبهم فلا تأس (ايها الحي) بل اتبع شهوتك ومروورك قدر ما تستطيع وطول ما تعيش في هذه الدنيا فلا تضني نفسك الى ان يأتيك اليوم الذي يتوصل فيه الانسان الى اسوريس صاحب القلب الثابت فلا يسمع له — كل بكاء الناس لا يفيد الميت الذي في قبره فاكسب حظ يومك ولا تهمل ما فيه مسرتك فلم يستطع احد اخذ شيء من امواله الى دار آخرته ولا احد ذهب اليها وعاد اه

اما اعتقادهم في الجثة فبعضهم يقول انها تبقى في القبر مرتابة الوجود قليلة التمس بنفسها فلا تبرحه الا اذا انقطع عنها وارد المؤونة اي القرابين التي تقدم لها من لدن اهله واعتراها الجوع ويحكمون انهم يرونها هائمة في القرى وتلقي نفسها بشراة على البقايا الموجودة فوق الارض وعلى اقبح القاذورات ويحدث عندها الفحط عوالم الغيظ وحب الانتقام من الاحياء الذين اهلوا امرها فتحجب عليهم وتعنفهم وتجدد

فيهم الامراض — ويحكون ايضا ان بعض الجثث او اشباحها مع تقديم القرابين لها والقيام بما يلزمها فانها شرسة الطبع فتحملها شرستها الى اضطهاد اقرب اهلها فقد جاء عنهم في الآثار ان رجلا احسن معاشرته زوجته واقام لها جنازة فاخرة يوم وفاتها واوقف لها اشياء كثيرة الا انها اتقصده بالاذى فكانت تأتبه كل يوم بهيئات فظيعة ولم يتيسر له الخلاص من سوء اعمالها فلما فرغت جعبة صبره ولم يستطع تكبد هذا التعنيف المستمر كتب لها جوابا ذكر لها فيه حسن المعاشرة والتودد الذي كان بينهما واصلها عن الاسباب التي دعته الى هذه الاعمال السيئة فقال لها ماتعريب :

منذ صرت زوجا لك الى هذا اليوم ما الذي فعلته نكايه فيك واخفيه عنك ماذا تفعلين حينما اعترف (امام الرب) بما فعلته لك وقت عرضنا عليه امام مجلسه حينما دافع بنفسه عن مظلمتي امام معبودات الآخرة ويحكم عليك بناء على ما احمره لم في مظلمتي من مساوئك (اخبريني) ماذا تفعلين اه

ثم انه علق هذه الكتابة في تمثال من خشب على هيئة المرأة ووضعه في قبر زوجته فلما وصلها هذا الجواب خافت من لقاء ربها ونعاستها اراحته من تعنيفها — وكثير منهم يقول ان الروح تغادر قبرها وتهاجر الى ارض اخرى كائنة خلف الفجوة الآتفة الذكر وهي الواقعة في جبل العرابية وفي تلك الارض ممالك حقيقية للاموات كل مملكة تحت رعاية معبود مثل خنتامتي وبتاح سكرى واسوريس وهذه المعبودات تقتبل ارواح المصريين الذين عبدوهم في دار دنياهم فكل من توسل مثلا الى اسوريس كان تابعا له وفي مملكته وكل من انتهى الى بتاح سكري كان من اتباعه وفي مملكته وسمى وميق اسوريس او وميق ختيامتي — واعمر تلك الممالك واكثرها سكانا مملكة اسوريس وهي عبارة عن جملة جزر نرى من هذه الدنيا اكثافها الظاهرة فجبتها البحرية الشرقية السماء وجهتها الشرقية المجرة وهي الشهيرة بآم النجوم ولا يمكن الوصول اليها الا بعد سفر دونه مشاق واخطار فمضى غادرت الروح جدتها جعلت سهرها نحو الوادي وزجت بكل جسارة وجرة في اغوار الصحراء فتصادفها احدى الجميزات الباسقات هناك في وسط الرمال وتعرف عند فلاحهم بالشجرة المسجورة فتشاهد بين افنانها اما المعبودة (نيت) او (حاتحور) او (نوت) فتقدم لها هذه المعبودة صفحة بها خبز واخرى بها ماء فكل روح قبلت هذه العطية كانت من اتباع هذه المعبودة ولا يمكنها الخروج من مملكته الا باذنها ورضاها ويوجد فيها وراء الجميز قلاع محفوفة بالخواف مشحونة بالذئاب

والحيوانات الضاربة وفيها سهول فيها حميم وابطاح تسكنها نسايس كبيرة تصطاد الارواح بالحبائل ويحكون ان كثيراً من الارواح وقعت في تلك المخاطر فهلكت اما ما يكون منها محصنا بالتأتم والتعاو يد متوقفاً بسر الطلامم السحرية القوية فانها تفتحم الاخطار وتنجو منها حتى تصل الى شاطئ بحيرة تسمى (خا) فتشاهد هناك الجزائر السعيدة فيأتيها بحوت على شكل الطائر ايس المعروف (بابي حنس) ويأخذها على جناحه او يأتيها الملاح المقدس ويأخذها في سفينته الى ان يأتي بها الى اسوريس فيسألها هذا المعبود امام اعضائه وهم اثنتان واربعون قاضيا عن اعمالها في دار دنياها ويناقشها الحساب ويوزن قلبها تحوت في كفة ميزان، حينئذ تأتيها معبودة يقال لها (معيت) اي المدالة فتلقنها الاعترافات السلبية لتتبرأ من كل تهمة توجهت اليها ثم تدخل بعدئذ في رياض يقال لها (سنجيت ابالو) في زمرة الارواح السعيدة وهي اراض طيبة الخصوبة يعلو فيها القمح الى سبعة اذرع بما في ذلك السنابل التي تبلغ ارتفاع الواحدة منها ذراعين

والموتى هم المكلفون بزراعته وجمع محصولاته وتخزين الغلال وقد ينوب عنهم في هذا العمل الشاق تماثيل صغيرة توضع بجانب جثثهم في القبور ويقال لها (شبتى) اي المحيية وقت نداء صاحبها بباشرة اعمال الفلاحة في حقل (ابالو) المذكور في الاوقات المدينة اما باقي اوقاتها فتكون في ولائم مستمرة وفي اغاني ومسامرات ومسررات لانهاية لها

وكثير منهم يقول بيطلان هذه العقيدة وفسادها لما فيها من الخشونة والفظاعة وهو لاء كانوا يجهدون في الوقوف على الحقائق وينسبون للارواح درجة اشرف وارقي من ذلك

وكانت لكمته (امونرع) مذاهب في حقيقة ماتوول اليه الروح وكلها ضروب من تخمين اللاهوتيين لادخل لافراد الشعب فيها ومضمونها ان الانسان سيبعث بعد موته ولا يعلم سر ذلك الا الله الخفي اه



الرأي الصريح

في مقالة « الفصيح العاني والداهي الفصيح »

قرأت في الجزء العاشر من مجلة المقتبس مقالا بعنوان « الفصيح العاني والعاني الفصيح » لحضرة الفاضل نعم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك . قرأته بلهف شديد لاني اميل بسائق من طبعي الى المباحث اللغوية وتقد كلام البلغاء وتميز القول الفصيح من الغث الرقيق . ليكون لي من ذلك مادة استعين بها . وقاعدة احذني مثلها : اقدمت على تصفح هذه المقالة وانا معجب باولئك النفر من اخواننا العرب المسيحيين الذين هجروا وطنهم لكنهم لم يهجروا لغتهم . ولم يذلوا في غربتها . بل رفعوا شأنها وحفظوا من كرامتها . بما نشره من الجرائد . ودججوه من الرسائل والكتابات المفيدة . وحضرة نعم افندي من هؤلاء الافاضل الذين خدموا لغتنا العربية بما ينشره في جريدته (الهدى) التي لم اك من قرائها وانما كنت اقرأ احيانا نبذاً منها في صحفنا العربية اما مقال (الفصيح العاني) الذي قرأته اخيراً في مجلة المقتبس فقد رأيت اقل قدراً من ان يعزى الى صاحب جريدة (الهدى) . ولاحظت فيه ركافة في التعبير . وضعفاً في الاسلوب . ومواضع للنقد والمناقشة بلغت من الكثرة مبلغاً جعلتني استبعد ان تكون فرضت من قلم كاتب المقالة وانما هو الدهول غلب على مصحح اصولها في ادارة المقتبس فجاءت هكذا مشوهة المحاسن . طامسة المعالم . وان لم يكن الامر كما ذكرت فيكون الوسط الاعجمي الذي يعيش فيه اخواننا المهاجرون اثر رطانته في صراحة لغتهم . وبدلت عجمته من عروبة السننهم . والا فكيف نقرأ مقالاً لواحد من اشهر كتابهم في نقد لغة الكتاب وتعداد اغلاطهم في اصاليهم وتراكيب كلامهم . وارشادهم الى الطريقة المثلى في التعبير والتجيز . ثم بعد هذا كله نسمع في المقال نفسه من الركافة والغموض والعسطة ما لا يتفق وجوده في عشرات من المقالات . الا يكون هذا من النرائب ؟

لواقصر الكاتب على الموضوع الاهم من مقالته : وهو سرد الكلمات العامية التي يحسبها الكتاب دخيلة وهي عربية فصيحة ثم حضهم على استعمالها لكان اجاد وافاد . لكنه ذهب

في افانين القول كل مذهب وتعرض لنصح المنشئين والزراية عليهم وارشادهم الى الانشاء العالي فسقط في هذا التعرض من عل واتى بأشد مما نهام عنه . وحذرهم منه . ولا مهم عليه .

ولا يكون من الانصاف بعد هذا ان لا نذكر نموذجاً مما نؤخذ الكاتب فيه . ثم نلفت انظار القاري اليه :

اول ما يؤخذ عليه قوله في العنوان (الفصحح العامي والعامي الفصحح) فانه تكرار للاحسن فيه . ولا داعي اليه : ان كلمتي (العامي) و (الفصحح) في هذا التركيب وقعنا صفة لمحدوف كأنه يقول (اللفظ الفصحح في اصله العامي في استعماله) ولما عكس وضع الكلمتين كان المعنى (اللفظ العامي في استعماله الفصحح في اصله) وهو نفس المعنى المستفاد من التركيب الاول فكان ذكره زيادة مستغنى عنها . وليس تغليب الكلمتين هنا كما هو في قولهم (كلام الملوك ملوك الكلام) فان هذا القول له معنى خاص لا يستفاد الا بمجموع التركيبين وقد حمل احدهما على الآخر . اي ان لكلام الملوك ميزة على سائر كلام الناس كما ان للملوك ميزة على الناس انفسهم . فالمعنى المستفاد من الموضوع والخممول حسن في ذاته . وزاده حسناً قلب التركيب وعكس الالفاظ حتى استحق بذلك ان يعد في جملة اذراع البديع .

ثم بعد هذا العنوان اراد الكاتب ان يبين مبلغ حاجتنا الى معجم لغوي يجري في تحليل الالفاظ مجرى معاجم اللغات الاوربية فافتتح الكلام بقوله : (ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نبعة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد ونسب الشوارد ولا في غير اللفظة ما يدل على ازالة الابهام الخ) فقوله (ولا في غير اللفظة) غامض في اتصاله بما قبله مبهم في تعيين المراد منه

ثم قال (فترى اكثر الكتاب يتخرون فيما لا يبدرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في العقيم والحوشي وان كل من هرف عرف)

الكاتب الذي خط قلمه هذه العبارة هو الذي قال بعد سطرين (قد تنهتاً ثوب اللغة حتى كاد يسقط من تقطعه فترى كل من تحيف بيانه مجمعة وجدل عن ادعاء ومكابرة يمتنع الفصحح ويستأب البليغ ويحرك خشاشه غضباً على كل من ملك من اللغة عنائاً وضبط لها بياناً ويكون لا يدري من اي الدهماء هو الخ) اذا سألت معاجم اللغة عن معنى ماورد في هذه الجملة قد تجد ان معنى (تنهتاً) تقطع وبلى . كذلك اذا سألت نفسك عما فهمته منها تجدها لا تحير جواباً . ولا تملك خطاباً . واذا الخفت عليها بالسؤال تقول لك يلوح

لي ان الكاتب الفاضل يريد ان يوضح ادعاء اللغة والانشاء الذين ينتقصون غيرهم .
ويعمون عن عيوب انفسهم .

اذا قلنا ان المصحح سها عن تصحيح كلمتين او ثلاث فهل يعقل ان يكون ركب السهو في كل جمل المقالة فخرها وتلعب بها . ودونك هذه الجملة الاخرى : « وقليل من البحث يرجعها — اي الكلمات العامة — الى اصلها . ويقم من اللسان مناد . على ماوقع من نحو خمسين عاماً الى اليوم اذ توكف المجتهدون اثر بلغاء العربية الاقدمين وتنشطوا للبحث والتنقيب واقبلوا على التدقيق والتحقيق وقد ترجع مباحثهم اللغة الى رونقها الاول بعد خمسين عاماً تأتي » الجملة بمجموعها ركيكة ظاهر عليها التكلف . ولعله يريد بقوله « توكف » المجتهدون اثر البلغاء — تتبعوا . ولكن هذا الفعل يتعدى باللام . ويكون معناه التعهد تارة . والتعرض مرة اخرى : فيقال فلان يتوكف فلان اذا تعهد بالصلوات والعطايا . وفلان يتوكف للامير اي يتعرض له حتى يلقاه . وقوله « مباحثهم اللغة » صوابه على اللغة لان الماثرة بمعنى المواظبة . وها يتعديان بعلى يقال : ثابت على الامر وواظبت عليه . على ان المجهود في مثل ما يريد الكاتب ان يقال الماثرة على خدمة اللغة او دراسة اللغة لا الماثرة على اللغة . ثم انكى الكاتب باللائمة على المدارس الاجنبية التي توجب على تلاميذها التخاطب بلغاتها وقال « وبذلك يتسرب العقوق وشي من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين » قد نجد تتسرب العقوق الى العقول معنى لكنا لا نجد ابداً تتسرب البله الى عقولهم معنى ولا شبه معنى بسبب التخاطب باللغات الاجنبية .
ثم قال الكاتب « ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه .
والنصرع والتصاغر الاجنبي والتمروء الظاهر تكلفه والتفوق البادي تحجفه مع الوطني وريح التخاذل حتى في اللغة نجف كل ذروة باقية في جرفها وتحتل كل ذرة كنا نعرفها قبل عصفها . والله في تدابير شوء »

اليس من تعاجيب الدهر ان يقع مثل هذا الكلام في مقال نشر ليكون نبراساً يهدي الكتاب الى مواقع الفصاحة والبلاغة وحسن التعبير . ويتجنب بهم من الملقى الركافة والسلطة والغموض ؟

واغرب من ذلك ان حضرة الكاتب اراد ان يذكر عيوباً للغة فعدها منها عيباً يعده قوم مزية من مزاي اللغة العربية ويحسبه آخرون امراً طبيعياً لا تخلو منه لغة من اللغات . فقد قال :

(ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولا ماضي لاحدها .
 فهل نقبل فلسفة اللغة شيئاً من هذا ؟ وهل يعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاماً من غير
 اجزاء ؟ اننا لانتسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة على سلامة اللغة او يكونون
 يحافظون على قديم عقيم لا يسلم به عقل سليم)

لا نرى علاقة بين فلسفة اللغة وبين ان يكون في العربية جموع لامفرد لها : عدد
 اهل اللغة طائفة من الجموع لم يعرف لها مفرد : مثل محاسن ومذاكير وتجاليد . فذهب
 بعضهم الى انها لامفرد لها . وحقق آخرون ان لها مفردات اهملت في الاستعمال . وربما
 كان المراد من قول الاولين (لامفرد لها) اي في الاستعمال لا الوضع فلا يكون بين
 الفريقين خلاف .

ولا بد من داع دعا اهل اللغة الى اهمال تلك المفردات . وقد قالوا ان جمع (لب)
 (الباب) لكنهم لما رأوا الجمع ارشق في اللفظ واخف على السمع اكثرثوا من استعمال
 الجمع واهمال مفرده وهكذا كان دأب القرآن الكريم في استعمال الجمع دون المفرد .
 ومثل هذا يقال في الفعل الذي لم يستعمل مصدره او لم يستعمل ماضيه .
 فليست المسألة اذن من مسائل الفلسفة . وانما هي من مسائل تخيير ارشق كلمات
 اللغة للتخاطب والتفاهم .

وفلسفة اللغة لا يصلح ان يكون اتمعق فيها مدعاة الاجادة في المنظوم والمنثور .
 كما كرره الكاتب في مقاله : فان تلك الفلسفة علم نظري اكثر بما هو عملي . وله ثمرة
 خاصة به غير تجويد الانشاء وتجويد الكلام الذي يتوقف على استظهار كثير من كلام
 البلغاء واطالة النظر في اساليبهم والنفط لمناحي كلامهم . هذا هو الطريق لتحصيل
 ملكة الانشاء . اما فلسفة اللغة فلا يكون من اثرها ذلك بل ربما كان للاشتغال بها اسوأ
 الاثر في ضعف تلك الملكة والعجز عن تحدي الكلام البليغ .

وقد غلا حضرة الكاتب في الرفع من شأن فلسفة اللغة والخط من قدر زملائه الكتاب
 الذين لم ينالوا حظاً من تلك الفلسفة حتى قال :

(نحن ابعد ابنا اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقامته في مواضعه
 لاننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان اكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين
 من غير الاكفاء الا بالتجييع والادعاء . او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق
 حتى بالعبث والتفاني)

فقد جعل حضرته علة تقصير اخوانه في وضع الكلام مواضع جهلهم فلسفة الالة . فهل هذا حق ؟

وبما انتقده الكاتب قولهم (دام بقاؤه) فقال (ان طلب الدوام . حماقة وحرام) وانهم في هذا القول قد طلبوا (البقاء في دار الفناء وخلود من اعدت لهم الخلود) . وهذا ذهول من حضرة الكاتب : لان اصل الدوام في اللغة السكون ومنه (ماء دائم) . ويستعمل ايضاً في طول البقاء وامتداد المدة . ومنه (ديمة) للمطر الذي يستمر تهطاله بضعة ايام . ومنه ايضاً استعمال (مادام) : فاذا قلت اجتمع بك مادامت في هذه البلدة كان المعنى مدة بقائك فيها . فقول الكاتب دام بقاؤه في الدعاء بمثابة اطال الله بقاءه . نعم قد يراد بالدوام الخلود كما في القرآن الكريم (اكملها دائم وظلها) والضمير يرجع الى الجنة كما ان الخلود نفسه يراد به طول المدة احياناً كما ورد في القرآن الكريم عن اناس لا يكونون كافرين ومع هذا خبر عنهم بأنهم يدخلون النار - الذين فيها ففسروا الخلود بانه طول المكث لا المكث الابدى .

وبما انتقده ايضا وسهبي عليه فيه قولهم (همي الدمع من عيونها) قال : « كم من عيون لها » يشير الى ان صوابه ان يقال « من عينيها » . لكن اهل اللغة يجوزون استعمال صيغة المثني في الجمع والجمع في المثني بل يجوزون احياناً استعمال المفرد في الجمع والجمع في المفرد . ومثلوا لكل ذلك . وذكروا له اسباباً معتبرة عند اصحاب اللغة . ففي القرآن الكريم « فقد صغت قلوبكما » . كان الظاهر ان يقال : « قلبا كما » لان مخاطبين اثنين . ولها قلبان لاقلوب . لكنهم كرهوا اجتماع علامتي ثنية في لفظ واحد . اما مثل « همي الدمع من عيونها » فيأولونه بارادة المبالغة وان المرأة كانت كأنها تبكي . « بيون كثيرة » لفرط ما اسبلته من الدموع التريزة . واكبر ما يؤخذ به ان الكاتب انه عاب اخوانه الصحافيين في امر تكاد تري مثله ماثلاً امام عينيك وملوساً تحت يدك في كل جملة من جل مقاله . مثال ذلك انه أخذهم في قولهم « ارسلت له » وصوابه « ارسلت اليه » . وانتقاده صحيح لكن الرصفاء لا يستحقون عليه كل هذا الاضرار والتوبيخ فقد قال في هذا الصدد

(اصعب ما في اللغة على الدارسين انفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق يتناول الجزائد والمجلات الا العدد القليل منهم يضحك من كثرة السقطات التي

لا يعذر منشيء عليها وفي مقدرة شراء معجم او في رأسه قوة تميز بين هذا وذاك
(المعنى الخ)

ولكن هل تحسب حضرة الكاتب في منجاة من كل ما تنقص به زملاءه . وهل تراه
احسن استعمال حروف الجر ووضعها ومواضعها الثلاثة بها ؟

قال في هجوم اولئك الزملاء المساكين : (فترى اكثر الكتاب يتخرون فيها لا يعذرون
عليه) اخطأ الكاتب في استعمال الحرفين — « في » و « على » في جملة واحدة قصيرة .
بقال تخرس عليه اي كذب واقرى . ولا يقال تخرس فيه . ويقال عذره في فعله .
ولا يقال عذره على فعله : فكان الواجب على الكاتب ان يقول (يتخرون على ما لا
يعذرون فيه) . على ان هذه الجملة برمتها لا معنى لها ولا معنى لاستعمال التخرس
في هذا المقام

وبما قاله في صدد التهم بالكتاب والمنشئين : « ولماذا لا نكتب ونكتب بفهم وسهولة
وبساطة وسلامة و » حقاً ان حضرتته اشفق على القراء من اذى ما ينالهم من كد الذهن اذا
اذا قرأوا كثيراً مما يخطئه الكاتبون لكنه لم يشفق هو عليهم في مقاله هذا بل ضربهم
بثلاثة الانافي مذ قال في خاتمة المقال . وانا اعيدوه على اسماع قراء المقتبس وان طال :
« ثم ما هي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لانزيد الا نصرف عن جعل الواو
« الثقيلة الد » ؟ في اولى وعمرو وحيوة وصلوة بحجة التمييز وازالة اللبس وهلا يوجد
غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ما هي فائدة الحركات اذا كنا نكتب
« اله » ولا يجوز لنا ان نكتب مؤنثة إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لا مفرد
لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشماطيط وما جمعه الثعالي وغيره وهل كان كل ما لا يكون
سمعه الجامع لا يكون وضعه الواضع جريباً على القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة
في فعل ولا تكون في آخر مثاء تماماً ؟ وكيف تكون صيغة افعال التفضيل في ما لا فعل
له كقولهم هو اقلط منه ؟ او كيف يكون مضارع لا ما : اي له كقولهم لم يذر ؟ او مزيد
لا مجرد له . والامثلة متوفرة . وثمة منابت العربية بمد ان كانت مستحسنة . وتفاصح
كل من لم يكن فصيحاً ولن يكون متفصيحاً . فوجب ان يرجع الناس الى فقه اللغة
الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الا بالي بل فلسفة اللغة حتى لا يرسل كل من اغتر بمقدرته
الكلام على عواهنه ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعراً وان اثرأ واماماً وثقة يجب الاقلال
من التريديد المبهم الذي لا يزيد الا اعتسالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل

مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمنثور والاستكثار من حفظ الحديث ولا سيما ما يدعى السهل الممتنع ويجب ان تكون مجلاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية فترفض كل كتابة عيلة بالمعاني الضئيلة وينبذ المغرور والشعور الى ما يفسد الذوق ويدعو الى الهزء ومن فقه اللغة ان نصطلح على ما يبدل لنا صعب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا ما نستطيع معه نقل الكلمة الانجمية من نكرة وعلم الى معناها الاصيل . وقد كان للعرب روم واشام فليكن لنا زيادة على مثالهما والله ولي التوفيق اه

هذا ما نؤخذ او نعانب به الكاتب الفاضل . ولم تقدم عليه الا عندما آتينا منه في مقاله غراما في اللغة العربية . ورغبة في ان تكون مصونة من عبث العابثين بها . وكيد العاملين على امانتها : فقد اعرب حفظه الله في غير ما موضع من مقاله المذكور عن غيره شديدة . وعزمة في اصلاح اللغة اكيدة . من ذلك قوله : « لو ان الحكومة تقم الائمة لأقامة الكلام واللفظ لكانت تخدم البلاد والعباد ما زالت مدارسنا نوجب على التلاميذ التخاطب بلغة اجنبية ولا نوجب عليهم التخاطب — ولو اساعة — بفصيح لغتهم كأن التخاطب بفصيح العربية عارو بفصيح اللغات فخار » فلا جرم ان هذه الغيرة من حضرته متعبة يحمد عليها ومأثرة يجب علينا ان نقندي به فيها

طرابلس الشام : المغربي

سيرة العلم والاجتماع

الآداب العربية

وفى احمد بك زكي بعد عناية عشرين سنة الى جمع طائفة من مخطوطات السلف في علوم مختلفة فعرض على حكومة مصر ان تساعد على تمثيلها بالطبع فعينت لذلك الف جنيه في ميزانية هذه السنة ووفقت المال الاحتياطي الموجود في دار الكتب المصرية لطبع ما يجب طبعه واليك المجموعة النفيسة التي جمعها صدقنا العالم وسبشرع بطبع الكتابين الاولين منها قبل كل شيء وهي بشرى بل بشرى بل للامة العربية بل ولكل من تهمة مدينة العرب الراقية :

موسوعات

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين التويري

مسالك الإبصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري
جوامع العلوم لغريبن تليذ ابى زيد احمد بن سهل الباخي
ادب وبلاغة وانشاء

الفاخر للفضل الضبي

ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابي تمام

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي

التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعليم الترسيل للحميدي
رسائل وخطب واشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي من
جمع حفيده

مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني
حديث

فنون العجائب

اكرام الضيف

آداب الملوك

كتاب التاج للبحاظ

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن امر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف
ينبغي لمن ارسل الى ملك ان يعمل في الاحتياط لنفسه ولن ارسله ومن ذم من الرسل
ومن حمد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء
كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

التراجم

إنباء الرواة عَلَى أنباء النخبة للقاضي الاكرم الوزير القفطي

نزهة الالباب في الالقب لابن حجر

التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق ابى سعيد جقمق

لابن عربشاه

هدية العبد القاصر الى الملك الناصر ابى السعادات محمد بن السلطان الملك الاشراف

لبد الصمد الصالحى

سبك النصار وكسب المفاخر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي
اقباي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في ايام قايتباي) لعبد الله بن محمد بن عبد
الله الزكي الغزي الحنبلي

التاريخ

كتاب المختارين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب
ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف ابي
شجاع احد وزراء الدولة العباسية
درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبد الله بن ايك الدواداري المصري
كنز الدرر وجامع الفرر له ايضاً

النسب

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه
الغوري

الجغرافيا

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل البلخي (بالخرائط)
صورة الارض وصفة اشكالها ومقدارها في الطول والعرض واقاليم البلدان ومحل
القاهر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال
المجموعة اليها (بالخرائط)
هيئة اشكال الارض ومقدار صوزها في الطول والعرض (بالخرائط)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار Roger للشريف
الادريسي (بالخرائط)

علوم طبيعية وميكانيكية

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب
الباهر في علم الحيل
الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

رحلة

تاريخ الامير يشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في آسيا
الصغرى في ايام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

علم حفظ الصحة

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطبيب في عصر السلطان
قانسوه الغوري

علم الحيوانات

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن
العباسيين عند ماهاجمها مع التتر فتقله الى بلاده وامر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية
الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمه الى العربية
ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن)
طب الطيور (مستخرج من حزانة الرشيد)

علم المعادن

الجمهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني
ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي

علم الفلك

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني
علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط يملك بن عبد الله القبيجاني

علم الموسيقى

كتاب العود والملاهي للفضل الضبي
كشف الغموم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

علم الحرب

العز والمنافع للجهادين بالآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)
الانيق في المجانيق (بالصور والاشكال)

التذكرة الهروية في الحيل الحربية للسائح الهروي

ديانات قديمة

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب ثمسطس الذي احرقه بعضهم وترجمها
احد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين وديانة
المجوس)

كتاب الاصنام لابن الكبي

فنون متنوعة

لطائف المعارف للنيسابوري
عين السبع مختصر طرد السبع للصالح المصفي
الامام با داب دخول الحمام
الكوكب الدرّي في اجوبة السلطان الغوري
نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء سيف حصر
السلطان الغوري وهو في جملتهم
الترقي في العطر للفيلسوف الكندي
كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين الممالك
الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب
بسط الشرق

من اهم مالفت انظار الغربيين في معرض الصناعات الاسلامية في مونيخ في العهد
الاخير قسم البسط والسجادات الشرقية فقد قدروا ما فيها من الكمال المدهش من
حيث الالوان والنقوش والتراكيب وهيئات ان تعبر الالفاظ عن جمال تقطيعها وظرفها
وتنوع وضعها وجماع صنعها وانضمام اشكالها وترصيعها وتوزيع زينتها السائلة من كل
خل . قالت احدى المجلات العلمية ومن اهم هذه القطع سجادة اسمها « ربيع كسرى »
يرد عهدها الى الدولة الساسانية التي قضت عليها دولة العرب في القرن السابع للميلاد
وقد تمازج فيها المذهب بالاحجار الكريمة وفيها صور بنايع واشجار واطيار واضعاع بتدنية
تأخذ بجوامع القلب . ولقد نسج الفرس بسطاً من هذا النوع المسماة بسط الحداثق
قبل قيام دولة الاكاسرة بالف سنة فكانوا يصورون فيها غدراناً فيها اسماء واشجار
اللوز مزهرة تتسلق عليها الهوام . ولم تكن تجعل هذه السجادات التي لا تدوس عليها
الارجل الا متلطفة على الجدر كما هو الحال في اوربا اليوم بل كانت تبسط على الارض .
وهي من عهد ارتقاء الصناعات الفارسية اي من القرن السادس عشر وكانت تباع منذ
عشرين سنة ببضع مئات من الفرنكات اما اليوم فتباع بما يوازي ثقلها ذهباً . ومنها
عرض في هذا المعرض بساط اسمه « بساط الصيد » وهو ملك بلاط النمسا ولم يكن
امبراطورها فرنسيس يوسف عارفاً بقيمة هذا الكنز الذي يحويه قصره من قبل وهو
معمول في القرن السادس عشر ايضاً وفيه صورة وعلة بطاردها اسد وهذه الصورة

في بلاد الصين رمز الى طول الحياة وكثيراً ما كانت الصناعة الفارسية تنقل عن الصين وتقلدها في مناحيها .

معجم الانكليزي

بدأت احدى بيوت المطابع في اكسفورد من بلاد الانكليز بطبع معجم للغة الانكليزية منذ سبع وعشرين سنة برئاسة السير جيمس موري وهو ارقى بموضوعه من المعاجم الكبرى في اللغة الافرنسية مثل لته والانكليزية مثل وبستر والامانية مثل كويم . فيذكر هذا المعجم تاريخ كل مفردة وماتوا الى عليها من النشوء مع ايراد الشواهد لذلك ويقوم بتأليفه الف ومائتا لغوي انتخابوا من مشاهير علماء اللغة الانكليزية . وقد بلغ مجموع عناوين الكتب في مكتبة تأليفه عدة ملايين تتألف منها خزانة كتب هائلة اقتضت ان ينشئوا لها بناية خاصة من الحديد مخافة ان تسري اليها النيران وهذا المعجم يصدر في اوقات غير معينة وقد بلغوا به الى حرف ت

ويقدر ان ينتهي سنة ١٩١٣ اماثنه فعال ولكن نفقاته قد جمعت مقدماً باشتراك بعض الكتيبة به . فانتم واكمر بامة فيها هذا القدر من العلماء في لغتها عدا من لم يقع عليهم الاختيار وبلاد يطبع فيها مثل هذا المعجم الهائل الذي ربما تجاوز ثلاثين مجلداً وشركته ترجع به من اول يوم

بردي قديم

اوصى احد المحسنين للقسم المصري في المتحف البريطاني باعظم قطعة من ورق البردي عرفت حتى الآن وطولها ٤١ سنتيمتراً وعرضها ٥٠ سنتيمتراً وقد حفظت حروفها ورسومها سالمة من كل سوء . ويرد تاريخها الى ما قبل ٣٠ قرناً وهي عبارة عن صورة ثيبيية من كتاب الاموات مشفوعة بابتهال الى الرب عمر بن ايم معبود في ثيبيية وقد كتبت هذه الورقة قبل الف سنة من التاريخ المسيحي لابنة الملكة نيزي خانسو وهي ذات شأن عظيم في تاريخ الاديان .

صناعات الامراء

تناقلت الصحف ان السلطان الخلوع عبد الحميد سجين قصر الاتيني في سلانيك يصرف بعض اوقاته في التجارة بعد ان أنزل عن عرش السلطنة . والعادة في الملوك والامراء ان يعنوا بهتاعة من الصناعات النفيسة في الغالب او عمل من الاعمال اليدوية يروضون بها انفسهم وحواسهم وكانت هذه العادة شائعة كل الشيوع في فارس وبخارى

وافغانستان وبلجستان وغيرها من الاصقاع الواقعة في النصف الشرقي من قارة آسيا ولكن ما كان من مميزات الاسياويين ايام حضارتهم اصبح الآن من مميزات الاوربيين في استئجار عمرانهم فن امرائهم من ينصرفون الى علم اوف او صناعة يدوية وقد يصرفون فيها شطراً صالحاً من اوقاتهم خصوصاً اولئك الذين ليس لهم عمل حقيقي من الامراء والملوك . فقد كان الدوق كارل تيودور البافاري عالماً بطب العيون وممتازاً فيه . وكانت الملكة اميلي ملكة البرنقال منصرفه الى دراسة السل الرئوي . وسجل الامير هنري دي بروس الالماني اكتشافاً طريفة لتنظيف زجاج السيارات . وعرف ملك بلغاريا بامتيازته في علم الحيل (الميكانيك) وهو الذي يسوق قاطرة القطار الملكي بنفسه . ويخصص ملك نابولي شطراً مهماً من وقته في عمل المعادن . واخترع دوق دولاندبورغ آلة دافعة جديدة للسفن . واخصى الامير جواشيم في الحدادة . وكان الامير فريدريك سيمسموند معلماً في التجارة . اما ابراطور المانيا غليوم الثاني فقريحة . متسعة فهو شاعر ومؤلف قصص فاجعات ومصور بل هو يتوفر ايضاً على تربية المواشي والنباتات وصنع الخزف والفخار . وملكة رومانيا كاتبة من الطراز الاول . والامير اوجين السويدي مصور المناظر الطبيعية . ودوقة دارجيل نقاشة ماهرة . وكان الملك ادوارد السابع يصرف جزءاً عظيماً من وقته في تربية الحيوانات

اعظم البوارج

انشأت شركة ويتستار الانكليزية بارجتين للسفر بين سوسايتون احدى موالي انكلترا ونيويورك في اميركا وهي من اضخم ما عرف حتى الآن دعتهما (اوليك) و (تيتانيك) وقد انزلت الاولى الى البحر وقريباً تنزل الثانية وطول كل واحدة منهما ٢٥٩ متراً وربع متر وعمقها ٢٨ متراً و٢١ سنتيمتراً ومحملها خمسون الف طن ولها ثلاث آلات دافعة وتقطع ٢١ عقدة في الساعة وهي بقوة ٤٦ الف حصان

حكم افرنجية

اذا تولى بعضهم المناصب يؤثرون ان يعملوا اعمالاً سيئة لكي ان يبقوا بلا عمل (ارسين هوساي)

للمرء بعض الآمال الخيالية التي قد يتعذر الحصول عليها والتعلق باهداب المحال وطلب الابلق العقوق او الصعود الى العميق (عمانويل ارين)
لا تعمل الحكمة شيئاً مع احساس الضمير العام (كيزو)

الاقتناع هو الارادة الاسانية البالغة ابعد مراقبها (بالزك)
 ابدأ يظل المرء غير راض عن حاله اذا قامه باحسن منه (لا فيس) .
 اياك والتساهل في النقبات الصغيرة فان ثقباً صغيراً يجري فيه الماء تفوق منه سفينة
 كبرى «فرانكلين»

ان العلام الظاهرة للحزن الكبير تأتي على الاحياء كما تكون القباب بلية على الاموات
 فانها كثيراً ماتكون علامة الكبرياء اكثر مما تكون علامة الحزن والفضيلة «شاتوبريان»
 كلنا محكوم علينا ان نموت وما الولادة الا مبدأ الموت «غوته»
 ان الاكثار من الكلمات للتعبير عن اثر مشهور اشبه بقطعة من الذهب تبداها
 بنقود زائفة «بومارشيه»

الاموات غير مرئيين ولكنهم غير غائبين «هوغو»
 للقلب عقل لا يعرفه العقل نفسه «باسكال»
 اذا سار المرء على خطأ يستحيل ان يصل الى الحقيقة «جوي»
 لا يعني خريف الحياة الا ما غرسه كل يوم منها «كراتري»
 الانسانية تأمرني ان اظن خيراً اكثر مما اظن شراً «بوسويه»
 من عاقب وهو في حال الغضب فلا يريد من عقابه الاصلاح بل الانتقام «مونتيني»
 ان مما يصعب علينا ان لانكون على اتفاق مع حينا ذاتنا «اسيل»
 كلما وقع في نفس الانسان ان ليس شيء مستحيلاً يقوم باعمال اكبر مما كان يظن
 «مالرب»

من الامراض ان يتطلب المرء الموت واعظم منها مرضاً ان يخاف الموت
 الشهوات كل انواع الاطعمة بسطها هي التي لا تنقزز منها النفس
 على المرء ان يطيل نظره في نفسه قبل ان يفكر في الحكم عليه
 الطاعة اعظم فرحة للمرأة بعد الحب
 على المرء ان يحب نفسه لان البشر لا يعدلون الا مع من يحبون
 كانت الضرورات في المجتمعات القديمة هي الزوائد اما في المجتمعات الحديثة فبان
 الزوائد هي الضرورية

اذا اردت ان يظن بك خيراً فلا تذكر ذلك (باسكال)
 نخب العدل كثيراً وقلاً نخب العادلين

الواجب عليّ ان اقوم بما تفرضه عليّ الحياة من الواجبات عليّ اي مجورة وكيفية ولكن الواجب القيام بها .

الكسلان الصحيح الجسم ابدأ من المريض لانه يأكل ضعفين ولا يعمل عملاً .
ان من يهتمون ابدأ لصحتهم هم كالجلاء يجمعون الكوز بدون ان يستمتعوا بها
ان قلباً مفطوراً عليّ الاستقامة الثامة لا يرضى عن الترفيع في الاخلاق كالاذن الصحيحة
السمع لا ترضى عن الموسيقى الرديئة .

ان من يعتقدون من انفسهم الدكاء اكثر من غيرهم هم اقرب الى الانخداع غالباً
الديانة أم يتجلى عنها الانسان عند ما يناديه داعي سعده وهي تنظرك يوم تصيبك
البوائق (دي ليثي)

ان اصلاح نفوس اغلب الناس عبارة عن ادخال القلب والابدال عليّ رذائلهم
الافكار رأس مال لا تأتي بفائدة الا في ايدي من رزقوا القرائح والعقول .
تأتي عليّ المرء احوال يكثر فيها غمه اكثر من الباكين وبمعنى الدموع ان تجري
في مآقيه فلا يجدها

السكك العثمانية

اصدر المسيو الكسيس راي كتابه الرابع عشر في احصاء آت السكك الحديدية
العثمانية وحساباتها في السنة الماضية جاء فيه ان دخل السكك العثمانية في آسيا كان
متوسطاً اما مجموع الدخل في السلطنة فقد زاد عن السنة السابقة اذا حسبنا ما نقص
من سكة الروملي من جهة بلغاريه منذ اعلنت استقلالها وقدر النقص ٣١٠ كيلومترات .
وقد نقصت الضمانات الكيلومترية في السلطنة ٥٧٩ الف فرنك وتقص كثيراً
في ميزانية سنة ١٩١٠ . السكة الحجازية فقد بلغ طولها ١٥٠٠ كيلومتر ودخلها
٣ ملايين و ٨٠٠ الف فرنك . وهاك ما اعطته الحكومة العثمانية من الامتيازات
الجديدة : ١ - تمديد سكة بغداد بقدر يخط يبلغ طوله ٨٢٠ كيلومتراً وقد بدأت
الاشغال في نقط مختلفة منه وما نقرر ايضاً مد هذا الخط الى حلب ٢ - تمديد خط
حمص - طرابلس وطوله ١٠٢ كيلومتر وصار على اهبة النجاز ٣ - امتياز فرع
من باندurma الى صوما وطوله ١٩٠ كيلومتراً ويتصل بازمير وبحر مرمره وبذلك تقرب
المسافة بين ازمير والامشانة ٤ - امتياز فرع من بابا الى اسكي كليسا وطوله ٤٠
كيلومتراً وهو لشركة الروملي والخطوط الثلاثة الاخيرة لا ضمانات كيلومترية لها ومجموع

الخطوط الاربعة الجاري العمل بها يبلغ طولها ١١٥٢ كيلو متراً منها ١١٠٢ كيلو متراً في آسيا و ٤٠ في اوربا وهذا بيان توزيعها على الامم
 ٨٢٠ كيلو متراً للامان و ٢٩٣ للفرنسيين و ٤٠ للنسويين
 وهذا بيان ما تستثمره الامم حالياً من السكك جمعاء في السلطنة
 ١٦٩٧ كيلو متراً للفرنسيين و ١٥١٩ للامان و ١٥٠٠ للعثمانيين و ٩٥٥ للنم. و بين
 و ٩٠٩ للانكليز و ٤١ لامم مختلفة
 ويتبين من ذلك ان الامان اذا اتقوا مد الخطوط المعهودة اليهم يصبحون في
 مقدمة الجميع اذ يبلغ مجموع خطوطهم ٢٣٣٩ كيلو متراً ويتلوهم الفرنسيون بمخطوط
 مجموعها ١٩٨٩ كيلو متراً

مخطوطات طبوتنا

الدروس العربية

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٨ ص ٨٨
 اعتاد صديقنا صاحب هذا الكتاب ان ينشر من قلمه كل ما فيه تصحيح الافكار
 وبث اللغة وسفره هذا في النحو من سلسلة كتب في الصرف والنحو وفنون البلاغة
 والانشاء وقرض الشعر والادبيات واللغة كسبه بعبارة سهلة يفهمها التلميذ وشفعه
 بتأريخ ثرية وشعرية تفيد في احكام ملكة الاعراب فنشكره على غيرته على الآداب
 ونرجو له اتمام هذه السلسلة

الطريقة القدسية

او طريقة جديدة للقيودات المزدوجة لوضعها الياس بك القدسي طبع بالمطبعة
 البطريركية الارثوذكسية بدمشق ص ٣٢

اجاد صديقنا في وضع هذا الكتاب في علم الدويما او طريقة القيود المزدوجة وقد
 قال في مقدمته ان الايطاليين كانوا اسبق الامم الى استعمال هذه الطريقة في منتصف
 القرن الرابع عشر وكان اول كتاب ظهر في انكلترا من نوعه سنة ١٥٦٩ سماه مؤلفه
 فن حسابات التجار الطليان او مسك الدفاتر بالقيودات المزدوجة وقد وجد في مدينة
 جنوة سجل امين صندوق البلدية مؤرخاً في سنة ١٣٤٨ وفيه الحسابات مدونة على

هذه الكيفية ولكن هذه الطريقة لم تشع في اوربا الا في القرن السابع عشر والثامن عشر قال ولم تدخل هذه الطريقة الى بلادنا الا نحو سنة ١٨٦٥ اذ قام المعلم سليم غاليه الدمشقي وطبع كتابه البدر المنير في اصول الزنجير والف بعده المعلم ظاهر خير الله الشويري كتابه لمحّة الناظر في مسك الدفاتر ورسالة ترويض المباشر في مسك الدفاتر وتبعه آخرون ووضعوها كتباً على الطريقة الايطالية وقد شرح المؤلف طريقته الجديّة المبتكرة احسن شرح يفهمه طالب هذا العلم النافع فله منا الشّاء على غيخته وفضله

دبوان سلامة بن جندل

رواية ابي سعيد الاصمعي نشره الاب لويس شينجو طبع في المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩١٠ ص ٤٩

نشر هذا الديوان في مجلة المشرق اولاً عن نسختي الاستانة والاسكندرية وعلق عليه منشأها الباحث لمخوضات واصطلاحات وعد سلامة في شعراء النصرانية بالطبع . وشعر العرب العرباء كله مما يقتني فللناشر الادب الشكر على عنايته بنشر آثار العرب في اي مظهر اظهرها

كتب متفرقة

الاحكام السلطانية — هذا الكتاب للماوردي المتوفى سنة ٥٤٠ مشهور متداول وقد أعيد طبعه الآن وعني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني ويطلب من محل محمد امين افندي الخانجي في مصر والاستانة

دروس التاريخ الاسلامي — للشيخ محي الدين الخياط وقع في ٩٦ صفحة وهو القسم الثالث منه يشتمل على مجمل تاريخ بني امية في الشرق وخريطة الدول العربية الاسلامية ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت .

الخراج في الشرع الاسلامي — كراسة للمسيو كولوزيو طبعت في تونس باللغة الافرنسية ذكر فيها تاريخ الخراج في ١٦ صفحة

هل اللغة العربية ميثمة — كراسة للمسيو كاموسي تقدمها الى المجمع العلمي القرطاجني في ١٧ صفحة قال فيها ان العربية لا تشبه الافرنسية فند ثلثت زاهرة الف سنة ومنذ ثلاثمائة سنة وقفت عن النمو اما الافرنسية فقد مضى عليها الف سنة وهي في حال التنبث واخذت تنمو منذ ثلاثمائة سنة وليس القرآن هو السبب في وقوف العربية بل ابتوائها وميلهم عن العلم

وقاية الشبان من المرض الافرنجي والسيلان — هو كتاب وضعه الدكتور سعيد
جمرة صاحب الافكار البرازيلية منذ بضع سنين ونفدت طبعته الاولى فاغاد طبعه
ان واصفاً هذه الامراض المدهشة وعلاجها وطرق التوقي منها بلسان علمي وقد وقع
١٧٢ صفحة من مطع الوسط وهو يعد من الامهات في هذا الباب

مجانان جديدتان

رقاء — مجلة علمية ادبية صناعية للنشأ الخور فسقفوس جرجس شلحت تصدر
ب مرة كل شهرين في ٧٦ صفحة وقيمة اشتراكها ريال في حلب وخمسة فرنكات
رها

سمير الضبا — مجلة ادبية فنية فكاهية تصدر في خمس مرة في الشهر لصاحبها شكوي
افندي فارس لوقا في ١٦ صفحة وقيمة اشتراكها ١٢ غرشاً في حمص و١٥ في غيرها
او ٣ فرنكات وربع في الخارج

خاتمة السنة الخامسة

نحمدك اللهم ان يسرت لنا ختام هذه السنة من المقتبس على النحو الذي نختاره منذ
اول تأسيسه . وبعد فقد اضطررنا الحال الى التمثيل في اصدار اجزاء هذه السنة للعود
الى اعتبار المحرم اول سنة المجلة ونجبر المدة التي انقطعت فيها عن الصدور اشهرآ في العام
الفائت فاصدرنا اجزاء اثني عشر شهرآ في نحو ستة اشهر وألغيناها كذلك حتى جاءت
بفضل الله وبيض ايادي موازينا من اهل البحث والعلم لا تقل في تجويد الموضوعات
عن السنين السالفة ان لم نقل انها احسن على كثرة ما انتاب مجرى العمل من العوارض .
وفي مأملنا ان تبدو هذه الصحيفة في سنتها السادسة في مظهر ارقى يكون لائقاً بشان المعصر
ونهموس البلاد بكثرة سواد الراغبين في العلم والعلم اليوم بعد اليوم والله نسأل هدايتنا
وتسديدنا والتجاوز عن هفواتنا وسيئاتنا وهذا جهد المقل وما على من يبذل جهده من
حرج والسلام



